مؤسسة القديس أنطونيوس

المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية



نصوص آبائية

-١٨٠-



السجود والعبادة بالروح و الحق

للقديس كيرلس عمود الدين

مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية

السجود والعبادة بالروح والحق

للقديس كيرلس عمود الدين

ترجمة ومقدمة وتعليقات
د. جورج عوض إبراهيم

مراجعة
د. نصحي عبد الشهيد بطرس

طبعة منقحة ومزيدة بالعناوين الجانبية والحواشي

تُرجم هذا الكتاب عن:

اسم الكتاب : السجود والعبادة بالروح والحق

اسم المؤلف : القديس كيرلس الأسكندري (عمود الدين)

اسم المترجم : دكتور جورج عوض إبراهيم

الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الابائية بالقاهرة: ٨ (ب) ش إسماعيل الفلكي - الدور الأول - محطة المحكمة مصر الجديدة ت: ٢٢٤١٤٠٢٣.

E-Mail: opcc2007@yahoo.com

Website: www.patristiccairo.

تصميم الغلاف
فصل الألوان : جذور - ٢٦٣٣٨١٣٧

اسم المطبعة : J.C. Center - جي سي سنتر - ١٤ محمود حافظ ميدان سفير. مصر الجديدة ت: ٢٦٣٨٥٧٩٧.

رقم الإيداع

الترقيم الدولي



القديس كيرلس الأسكندري

(عمود الدين)



قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

المحتويات

مقدمة

لمحات من حياة القديس كيرلس الأسكندرى[1]

ولد القديس كيرلس حوالي سنة ٣٧٥م بالأسكندرية، وهو ابن أخت البابا ثاوفيلس بطريرك الأسكندرية الـ٢٣، وقد تعلم كيرلس في الأسكندرية برعاية البطريرك ثاوفيلس. ثم قضي كيرلس حوالي خمس سنوات في برية شيهيت (٣٩٤-٣٩٩)، إذ هناك قرأ العهدين القديم والجديد على يدي الأب سرابيون الشيخ خليفة القديس مقاريوس الكبير.

كان كيرلس يحفظ النص الكتابى بمجرد قراءته مرة واحدة، وحضر دروس المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية على يدي ديديموس الضرير.

ثم استدعاه خاله البطريرك ثاوفيلس ليكون شماساً معه في الأسكندرية ورسمه قارئاً وطلب منه أن يشرح الكتب المقدسة للشعب.

وفي سنة ٤٠٤م رُسم كيرلس قساً بكنيسة الأسكندرية، وانطلق كيرلس يعظ ويعلِّم الشعب ويفسِّر الكتب المقدسة. وقد درس القديس كيرلس مؤلفات آباء الأسكندرية مثل أوريجينوس، وأثناسيوس، وديديموس الضرير، كما أطلع أيضاً على مؤلفات القديسين باسيليوس القيصري وغريغوريوس النزينزى. كما درس القديس كيرلس اللغات القديمة الشائعة في أيامه وهي العبرية والسريانية، ولكنه كتب باليونانية، وربما القليل بالقبطية.

الجميع إلى القديس كيرلس، فتم انتخابه وقام الأساقفة برسامته أسقفاً للأسكندرية وبطريركاً لكرازة مار مرقس رقم ٢٤ في نفس السنة وله من العمر حوالي ٣٨ سنة.

واصل البطريرك كيرلس جهاده في تعليم المؤمنين بالوعظ وتفسير الكتب المقدسة، وابتداءً من ٤٢٨م بدأ القديس كيرلس يظهر كعلامة بارزة ومحطة هامة في تاريخ

١- أنظر للمزيد : دكتور نصحى عبد الشهيد، القديس كيرلس الأسكندرى حياته وكتاباته، أعمال المؤتمر السنوى السادس للدراسات الآبائية، سبتمبر ١٩٩٨، إصدار مركز دراسات الآباء، ص ٩ - ١٨.

العقيدة الأرثوذكسية وتاريخ العلاقات الكنسية، وذلك بظهور هرطقة نسطوريوس بطريرك القسطنطينية، إذ قام كيرلس بدور المدافع الأول عن الأرثوذكسية ضد البدعة النسطورية.

وقد تعرض القديس كيرلس للسجن لعدة شهور أثناء فترة وجوده في أفسس بسبب دفاعه عن الإيمان. وعند عودته إلى الأسكندرية في ٣٠ أكتوبر سنة ٤٣١م، استُقبل في الأسكندرية استقبال الأبطال؛ إذ نظر إليه المؤمنون على أنه أثناسيوس جديد، وهكذا لقَّبه الأقباط بلقب "عمود الدين".

رقد القديس كيرلس في الرب في يوم ٣ أبيب سنة ١٦٠ ش الموافق ١٠ يوليو ٤٤٤م، وذلك بعد كفاح طويل وصمود شامخ في الدفاع عن الإيمان ضد أخطر بدعتين هما الآريوسية والنسطورية.

القديس كيرلس مفسراً للكتاب المقدس:

درج علماء الآباء على تقسيم كتابات القديس كيرلس إلى مرحلتين:

الأولى: ما قبل ظهور البدعة النسطورية (٤٢٨م)، حيث كانت هذه الفترة مكرسة لتفسير الكتاب المقدس بعهديه والدفاع عن الإيمان ضد البدعة الآريوسية.

الثانية: من ظهور البدعة النسطورية إلى نياحته (٤٤٤م)، وهذه الفترة كانت مكرسة للدفاع عن التعليم الصحيح عن التجسد، وذلك ضد البدعة النسطورية .

يعتبر القديس كيرلس الأسكندرى من المفسرين العظام للكتاب المقدس في تاريخ الكنيسة، وبينما اتّبع الطريقة الرمزية لتفسير العهد القديم، ظل محافظاً على العقيدة من أية مساوئ قد تنتج من التطرف في التفسير الرمزي. إن التعليم عن المسيح ضد (آريوس، نسطور، أبوليناريوس، أفنوميوس) يمثل الأساس لفهم كل شروحاته وتفسيراته للكتاب، وهو يعبّر في شروحاته عن تقليد الكنيسة وعقيدتها.

القديس كيرلس بدون شك لا ينتمي إلى المتطرفين في التفسير الرمزي كما كان يستخدم الطريقة التاريخية في التفسير مع استخدامه للطريقة الرمزية مع الطريقة النماذجية (τυπολογική)[١] .

١- التفسير المَثّلي أو المَثَلاني أو النماذجى للكتاب المقدس يسمى " τυπολογική «من كلمة «مثال» أو «نموذج» باليونانية «Τύπος" أو "Type" بالإنجليزية وهى تعني نموذج أو مثال، يشير إلى حقائق أعلنت في العهد القديم تتم في

إسهامات القديس كيرلس كمفسر للكتاب المقدس:

أ – العهد القديم:

إن تفاسير القديس كيرلس للعهد القديم تعتبر من أقدم كتاباته، فقد كتب "العبادة بالروح والحق" في صورة حوار بينه وبين بلاديوس، وهو شرح روحى "رمزى"، "مَثلاني – نماذجي"، ويشمل الكتاب ١٧ جزءً، وهو موجود باليونانية في مجلد ٦٨ من باترولوجيا مينى.

وكتب أيضاً في هذه الفترة "الجلافيرا (τα γλαφύρα) «المختارات» من ثلاثة عشر جزءً، وهو يُكمل ما سبق أن كتبه في «العبادة بالروح والحق»، ولكنه لم يجيء في صورة حوار. ما يخص سفر التكوين سبعة أجزاء، وثلاثة أجزاء لسفر الخروج، وثلاثة لأسفار اللاويين والعدد والتثنية. وقد تم ترجمة هذا العمل ونُشر في الكتاب الشهري وسوف يُنشر قريباً في مجلد واحد .

وكتب أيضاً في هذه الفترة تفسيره لسفر إشعياء والذى شغل مجلداً كاملاً (رقم ٧٠) في سلسلة Μιγνε، وكتب أيضاً شرحه للأنبياء الصغار ، وقد تم ترجمة شروحاته على سفري يونان وحجي إلى العربية ، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية وجاري ترجمة بقية أسفار الأنبياء الصغار.

أما شروحات القديس كيرلس لأسفار الملوك، نشيد الإنشاد، والأنبياء حزقيال، إرميا، باروخ، دانيال فلم يبق منها سوى مقاطع صغيرة.

ب – العهد الجديد:

(١) شرح إنجيل يوحنا:

كتب القديس كيرلس شرحه لإنجيل يوحنا ويحوى ١٢ كتاباً.

شرح القديس كيرلس لإنجيل يوحنا له طبيعة عقيدية، والمقدمة تكشف على أنه يريد أن يُعطى مفاهيم عقيدية للنص وأن يحارب الأفكار الهرطوقية. فهو يفحص

الأزمنة الأخيرة بواسطة المسيح. والسمة الجوهرية في هذا التفسير هو Christocentric أي أن المسيح هو مركز كل شئ، فآدمِ ونوح وموسى هم أمثلة أو نماذج لآدمِ الثانى ونوح الجديد وموسى الجديد أي "المسيح". والقديس بولس ينبهنا لذلك قائلا: "فهذه الأمور جميعها أصابتهم **مثالا** وكتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور" (اكو١٠:١١). وهكذا نجد أن نموذج الإفخارسيتا هو المن السماوي في إنجيل يوحنا، وأن عبور البحر الأحمر هو مثال المعمودية في الرسالة الأولى لأهل كورنثوس، والطوفان نموذج للمعمودية في رسالة بطرس الأولى.

في شروحاته هذه فكر الآريوسيين، وفكر أتباع أفنوميوس. وفى هذا الشرح لا يذكر، لا اسم نسطور، ولا مصطلح والدة الإله. ومصطلحاته في هذا العمل ليست هي نفسها الموجودة في كتاباته بعد ظهور النسطورية. لذلك يوجد اتفاق بين المفسرين بأن القديس كيرلس كتب شرحه هذا لإنجيل يوحنا قبل فترة البدعة النسطورية[1]، وقد قام المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية بنشر شرح هذا الإنجيل إلى اللغة العربية في مجلدين كبيرين.

(٢) تفسير إنجيل لوقا:

هو مجموعة عظات حول نصوص إنجيل لوقا، والهدف من هذه العظات ليس عقيدياً فقط كما في تفسيره لإنجيل يوحنا، ولكنه روحيٌ وعمليٌّ أيضاً.

وقد بقيت فقط ثلاث عظات من النص اليوناني المفقود وبعض المقاطع الأخرى، بينما هناك ١٥٦ عظة وصلت إلينا باللغة السريانية (من القرن السادس) ومن خلال هذه الترجمة نعرف من العظة رقم ٦٣ أن وقت كتابة هذه العظات كان أواخر ٤٣٠ م لأنه يذكر حرومات القديس كيرلس الاثنى عشر، وقد ترجم المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية هذا التفسير على إنجيل لوقا من الترجمة الإنجليزية ونشره كاملاً في مجلد واحد.

(٣) مقاطع تفسيرية لأعمال أخرى للعهد الجديد:

توجد مقاطع قليلة من شروحاته لإنجيل متى، وأسفار أخرى من العهد الجديد.

الملامح الأساسية للتفسير عند القديس كيرلس

١- الأساس الخريستولوجي.

٢- الأساس الروحي.

٣- الأساس الكنسي.

ونتناول هذه الملامح في شيءٍ من التفصيل كالآتي:

١- هذا هو رأى الأب جورج فلورفسكى في كتابه "آباء بيزنطة القرن الخامس" والصادر في تسالونيكى سنة ١٩٩٢م.

أولاً: الأساس الخريستولوجي لتفسير للكتاب المقدس

يعتبر القديس كيرلس أن الإيمان الصحيح بسر التجسد هو ضرورة أساسية للتفسير، إذ أن الكلمة المتجسد هو القانون والمعيار الذي يُقاس عليه التفسير الصحيح (تفسير يوحنا: ٩ P.G. 74, 189X).

فالأساس الخريستولوجي هو دعامة لكل شروحاته، وأيضاً صياغاته للعقيدة، فالمسيح ظلَّ بعد التجسد هو الواحد - الله - الكلمة. وبالتجسد اتحد اللاهوت بالناسوت بغير اختلاط أو تغيير، وهذا الاتحاد في شخص المسيح ليس مجرد اعتراف نظري، بل هو حدث واقعي في تاريخ التدبير الإلهي وأساس التفسير الصحيح للكتاب المقدس وتعاليم الكنيسة. لذلك ففي رأي القديس كيرلس، لكي نفهم ما قاله المسيح وندرك أيضاً أفعاله المدوّنة في الأناجيل، لابد وأن نراها في إطار الاتحاد الكامل بين اللاهوت والناسوت في شخص المسيح، فالكلمة المتجسد لم يكن ببساطة إنساناً "حاملاً لله (θεοφ) ∀ ® (ροφ)" مثلما كان يعتقد نسطور، بل العكس، فكل ما قاله وما فعله المسيح كان صادراً من شخص الله الكلمة، ويتعلق بإقرار الإيمان الصحيح عن الاتحاد الذي تم بين اللاهوت والناسوت والذي نتج عنه ما يُسمي "بتبادل الخواص"، فطبيعة الناسوت قبلت المجد الإلهي وذلك باتحادها بطبيعة اللاهوت "(عن التجسد: P.G. 75, 1244, 1249)".

فالإخلاء "أخلي ذاته" هو الذي جعل الكلمة داخل المعايير البشرية (تفسير يوحنا:.P.G . 73, 132A).

ولكي نفهم أقوال وأعمال المسيح الإنسانية كما دُوِّنت في الأناجيل، هناك حاجة لأن نحافظ على الوحدة غير المنفصلة وغير المختلطة بين اللاهوت والناسوت في شخص المسيح، فلا يجب أن ننسب الأقوال والأعمال الإنسانية للمسيح للاهوت فقط ولا للناسوت فقط (تفسير لوقا: Π.Γ. 72, 509Δ) بل لشخص المسيح الواحد، ويطبق هذا على المعجزات، التي هي أعمال إلهية، ولكنها تمت بواسطة الجسد (الناسوت). (الكنز ٢٣: Π.Γ. 75, 388X).

لكن علينا أن نعرف ونميِّز متى تُنسب الأقوال للاهوت ومتى تُنسب للناسوت، دون أي انفصال بينهما. فمثلاً عندما يقول المسيح: "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يو ١٤: ٨) أو (يو ١٠: ٣) "أنا والآب واحد"، واضح أن هذه الكلمات

منسوبة للاهوت. أمَّا قوله مثلاً في (يو ٨: ٤٠) "ولكنكم تسعون إلى قتلي وأنا إنسان كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله .. "، هنا الكلام منسوب إلى إنسانيته الكاملة (تفسير لوقا:.Π.Γ. 72, 672X).

واللوغوس (كلمة الله) لو لم يَصِر إنساناً كاملاً لما كان لنا ان نراه يتكلم بشرياً. وبناء على ذلك، مَن ينكر هذه الأقوال والأفعال الإنسانية للمسيح ينكر تدبير التجسد (الدفاع: Π.Γ. 76, 413XΔ).

فهذه الأقوال تُعلن عن حقيقة التأنس، فلو لم يتكلم المسيح كإنسان كامل، لما آمن أحدٌ بإخلاء الله الكلمة (رسالة ١٧: Π.Γ. 77, 116BX).

وقد رفض كيرلس قول نسطور بأن أعمال الجسد التي للمسيح تُنقص من شأن المجد الإلهي، فإن القديس كيرلس يرى أن بواسطتها نستطيع أن نعرف عظمة الجوهر الإلهي السامي، وهكذا علو اللاهوت نعرفه من التواضع والإخلاء الإلهي (الكنز 7: Π.Γ. 75, 120AB).

إن هذا الاتحاد الأقنومى بين اللاهوت والناسوت، في رأي القديس كيرلس، كان هو الوسيلة الوحيدة لخلاص البشرية، وعلينا أن لا نقف عند الحرف مثلما فعل نسطور لكي يبرهن على سمو وتفوق الطبيعة الإلهية على الطبيعة الإنسانية للمسيح، وانتهي إلى أن المسيح كان إنساناً حاملاً للإله فقط، وأنكر التجسد الحقيقي للكلمة. وبذلك فإن كل ما قام به المسيح إنسانياً، أي بالجسد ليس له بُعد خلاصي حقيقي لدى نسطور.

يُشدّد القديس كيرلس على أن الأقوال التي ينسبها البعض إلى طبيعة لاهوت المسيح أو إلى طبيعة ناسوته، يجب أن تُنسب لشخص المسيح الواحد، فالتمييز بينهما هو تمييز تدبيري ولا يتعلق بأي فصل بين الاثنين. (الكنز ٢٤: Π.Γ. 75, 429X).

ثانياً: الأساس الروحي لتفسير للكتاب المقدس:

كان القديس كيرلس كأسكندري أصيل، تابعاً متحمساً للتفسير الروحي للكتاب المقدس، وأيضاً في إطار التعليم عن شخص المسيح يشرح لنا التفسير الروحي. فكما أن ناسوت المسيح يؤكد إلوهيته تاريخياً، هكذا أيضاً الحرف أو التاريخ يُعلنان المعنى الروحي الإلهي المقصود من الكلام المكتوب.

والتفسير الروحي، بحسب القديس كيرلس، يتخذ الحرف أو التاريخ أساساً له؛ إذ فيه يتعرف على سر المسيح "سر التدبير الإلهي". فالتجسد يُعلن هدف التدبير الإلهي ويتعرف عليه عندما ننظر إلى أقوال وأعمال المسيح المدونة في الكتاب المقدس وفق هذا التجسد "الإخلاء" (عن الإيمان المستقيم ٣٠، P.G. 76, 1373C) .

لذلك، بحسب القديس كيرلس، يجب أن نعبر من حرف الكتاب والذى يصف الكلمة بطريقة بشرية، أي وفق مقاييس بشرية، إلى الفهم الروحي الإلهي. إذن التفسير الروحي عند القديس كيرلس يستلزم التمييز الواضح بين عالَمين: العالم المحسوس المادي؛ والعالم الروحي الذهني، ويستلزم أيضاً التأكيد على الاتحاد بين هذين العالمين بدون امتزاج، كما تحقق هذا الاتحاد في شخص المخلِّص الواحد ربنا يسوع المسيح. وبناء على ذلك، يُنظر إلى تطبيق التفسير الروحي على أنه تجلٍّ وتغيُّر للعنصر التاريخي والإنساني (الحرفي) وتحوله إلى العنصر الإلهي والروحي والذي هو متحد معه بغير امتزاج ولا انفصال.

والآن نسرد بعض المبادئ الأساسية لفهم التفسير الروحي لكيرلس:

١- يؤكد القديس كيرلس على أن الكتاب المقدس يتكلم عن الله بشرياً لأن الله لا يستطيع أن يتكلم أو يُعلن عن نفسه إلَّا بطريقة بشرية قريبة من الإنسان ومفهومة لديه (تفسير المزامير P.G. 69, 792). وهذه الطريقة لا تقلل من سمو المجد الإلهي، ولكن على العكس، فإن عجز العقل البشري واللغة البشرية هما السبب الذي جعل الكتاب يتكلم بطريقة بشرية عن الله. وهكذا فالكلام عن الله يحاكي ويتكيف بحسب الحاجة مع مقاييس الكلام البشري. ولكي نعرف سمو المجد الإلهي، علينا أن نفهم الشواهد التاريخية والإنسانية عن الله، المدونة في الكتاب المقدس وذلك بطريقة خاصة. إذ أن الإنسان موجود في كثافة جسدية وتحكمه قوانين بيولوجية، ويجب عليه ألَّا ينحصر في الفهم البشري للكلمات "اللاهوتية"، ولا يعيها بطريقة حرفية صارمة أو بطريقة تاريخية فقط، ولكن وفق العنصر الإلهي.

ستظل الكلمة البشرية قاصرة وغير كافية لوصف الإلهيات، فتعبيرها دائماً نسبي، فهي محصورة داخل حدود اللغز والنموذج والعلامة والمثال. وبواسطة الكلمة نستطيع أن نفهم جانباً ما من العنصر الإلهي الروحي. فالكلمة الكتابية لا تعلن ماهية الله بالضبط، ولكن تعلن وتعلِّم بعض مفاهيم عن الله (ضد نسطور ١: ٣ Π.Γ. 76, 33X).

والذي حدد هذه المفاهيم ليست الكلمات اللغوية أو المفاهيم التاريخية في حد ذاتها، ولكن المعني الروحي المختفي والعميق السري، وذلك بحسب التدبير. والتدبير هو الذي يقودنا إلى الفهم الصحيح للأقوال البشرية (تفسير إشعياء٣:١، Π.Γ. 70, 565X).

إذن، فالتفسير الروحي للكتاب ليس قضيةً لغويةً أدبيةً صارمةً، تقتصر فقط على الفهم الحرفي أو التاريخي، ولكن هدف التفسير هو "المعرفة الإلهية" التي تستلزم عدم بقاءنا في الحرف أو التاريخ، ولكن نعبُر فيه إلى الروح، فما يرمي إليه التفسير هو المعرفة الخلاصية لعمل التدبير الإلهي. لا يمكن أن نظل في الحرف (الكلمة المكتوبة) لأن الغرض منها هو الصعود الدائم نحو الأسمى، من المحسوس إلى الروحي. فالحرف يخدم سر التدبير الإلهي، والمحسوسات البشرية تتغير وتتجلى بفضل التجسد، نحو الحالة الإلهية في المسيح يسوع (تفسير متى، Π.Γ. 75, 429X).

بحسب القديس كيرلس، فإن الكلمة في الفلسفة اليونانية هي بلا جسد (≤σαρκοφ) أما الكلمة الكتابية فهي متجسدة (νσαρκοφ) وهي حاملة لقوة سر الإلوهية، فهي المثال والنموذج للروحيات، ولذلك ترفع العقل من الماديات إلى الروحيات.

٢- يشدد القديس كيرلس على عدم احتقار الحرف أو التاريخ، فلكي نصل إلى التفسير الروحي لابد أن نفهم أولاً الخاصية التاريخية واللغوية للنص، وعن طريق هذا الفهم يستطيع المفسر أن يتعرف على قوة الكلمة التي تقود إلى الرؤية الروحية. فالتفسير التاريخي والحرفي عند القديس كيرلس مهم لأنه:

أ- يعتبر الظل الذي يقود إلى عمق الروحيات (العبادة بالروح والحق٣، Π.Γ. 68, 540B).

ب- يؤّمن حقيقة المفاهيم الروحية الإلهية بعيداً عن التأمل الروحي المريض، لأن التاريخيات أو الحروف هي نماذج وظلال للحقيقة.

ج- له هدف تربوي، وتعليمي، وأدبي لأن مختارى الله سواء في العهد القديم أو العهد الجديد هم نماذج وقدوة للحياة المسيحية الحقيقية.

الكلمة المكتوبة لها مفهومان: تاريخي وروحي، والذي يقودنا إلى التفسير الصحيح هو الإيمان؛ لأن الإيمان يسبق المعرفة، إذ بواسطة الإيمان يصل الإنسان

إلى المعرفة الكاملة (شرح إنجيل يوحنا٤، ٤: ٢، Π.Γ. 73, 576Δ). والإيمان هنا هو المعرفة الصحيحة عن الله داخل حياة الفضيلة (شرح يوحنا١٢، Π.Γ. 74, 756Δ). الإيمان بالاتحاد بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير في شخص المسيح، أعاد الوحدة بين المحسوس والروحي، وأيضاً بين أنشطة الإنسان الجسدية والحياة الروحية. ولكي نصل إلى المفهوم العميق والسري للكلمة الكتابية، هناك احتياج دائم لتطبيق الهدف العام، بمعنى أن نتعرف داخل شخصيات وأحداث وروايات الكتاب على فعل التدبير الإلهي وبالتحديد سر المسيح. هذه الطريقة تمنع وجود أي مسافة فاصلة بين العهدين القديم والجديد كما أنها تمنع وجود خلط بين العهدين. فالعهد القديم والعهد الجديد بينهما علاقة لا تنقطع، والتقليد الأسكندرى الذي ينتمي إليه كيرلس يستند على تفسير (٢ كو ٣: ٦) "الذي جعلنا كفاةً لأن نكون خدام عهد جديد. لا الحرف بل الروح. لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيي"، و(عب١٠: ١) "لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء، لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام أن يكمل الذين يتقدمون".

فالعهد القديم هو نصٌ نبوي له شكل الظل والمثال والنموذج، فهو يتنبأ عن سر المسيح، وهذا يسري على أسفار موسى الخمسة وأيضاً على كل الكتب النبوية. (العبادة والروح والحق٦، Π.Γ. 68, 440A)، (تفسير إشعياء٢: ٥، Π.Γ. 70, 545Δ).

العهد القديم هو ظلٌ للعهد الجديد، وذلك في حالة فهمه بالتفسير الروحي، لأن طبيعة الكلمة الكتابية هي لغز وظل ومثال. وبدون اللجوء للمحتوى الذي يُعلَن بواسطة الكلمة، فهي تظل بلا فائدة (شرح يوحنا٥: ٤، P.G. 73, 661).

عند القديس كيرلس هناك ثلاث أسباب تجعلنا نتمسك بالعهد القديم:

١- بالعهد القديم نرى أن سر المسيح ليس شيئاً جديداً ولا مستحدثاً، بل هو موجود منذ الأزل، وقد عُبِّر عنه في شكل الرمز والظل في الأحداث والأعمال التعبدية وأيضاً في الأعياد المذكورة في العهد القديم (مختارات على سفر الخروج ص٢، P.G. 69, 424B) (على سفر ملاخي ص٢، P.G. 72, 364C).

٢- كان المسيح حاضراً في أحداث وشخصيات العهد القديم، وإن كان ذلك أيضاً بالرمز والمثال، وذلك بسبب ضعف السامعين (تفسير لوقا، P.G. 72, 901C).

٣- حضور المسيح في العهد القديم يُبرهن على أن الكتب المقدسة أوحيت بنور روح المسيح (العبادة بالروح والحق٥: ٤، P.G. 68, 1313D).

وهكذا يُشدّد القديس كيرلس على أن نقبل العهد القديم لا بالمفهوم الحرفي بل بالمفهوم الروحي.

ثالثاً: الأساس الكنسي لتفسير للكتاب المقدس

تنتمي الأسرار الإلهية للعالم الروحي، بينما الإنسان محدود وإدراكه ضعيف مما يعوق المعاينة الكاملة للمجد الإلهي، ولذلك فأي مفسر يحتاج إلى أساسيات تتعلق بالإيمان والحياة الكنسية، وعلى هذا الأساس يلجأ دائماً القديس كيرلس إلى التعاليم والخبرة الكنسية، ويعتبر أن التقليد الكنسي هو المرشد الضروري للتفسير الكتابي، والأساسيات الكنسية في نظر القديس كيرلس هي:

١- الوحي وحضور الروح القدس في الكنيسة.

٢- التقليد الحي في الكنيسة الذي يشمل الإيمان المستقيم والعقيدة الصحيحة، أي التقليد التفسيري والعقيدي.

٣- العمل الليتورجي داخل الكنيسة والحياة الروحية النُسكية (حياة الفضيلة).

وذلك على التفصيل التالي:

أولاً: فيما يتعلق بالوحي، فالقديس كيرلس يعتمد على أن (٢ تي ٣: ١٦) "كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم". وعندما يتعرض للطريقة التي كتب بها الكُتَّاب المقدسين، النصوص المقدسة، فهو يعتمد التقليد الأسكندري الذي يؤمن بأن الكُتَّاب قد قبلوا الكلمة الإلهية بإعلان مباشر من فم الرب وكتبوه بإلهام مباشر من الروح القدس الذي هو وسيط يعلن الكلمة الإلهية لأنه هو الذي يعرف ويفحص أعماق الله (١ كو ٢: ١٠). الروح القدس يمنح الكاتب الأذن الروحية ليسمع كلمة الله (تفسير إشعياء ٢: ٢ Π.Γ. 70, 349Δ). وفي هذه الحالة لا يفقد النبي قوته ووعيه الذهني، ولا يصير كمجرد أداة ميكانيكية في يد الروح القدس، ولكن بطريقة واعية وتفكير في الأشياء المعلَنة كانوا يكتبون الإعلان الإلهي سواء كان عن طريق السمع أو الرؤى، وهو على ذلك ناقصٌ وليس كاملاً؛ لأنه

يتجاوب ويتمشى مع محدودية الطبيعة البشرية. فالكلمة الإلهية المكتوبة في علاقتها بجوهر الشيء الذي تريد أن تعلن عنه، هي نموذج ومثال وظل وسر وتحتاج لحضور الروح القدس لكي يعلن المفهوم الروحي العميق المستتر وراء الكلمة. وبناء على ذلك، فالكتاب المقدس يُفهم فقط داخل الكنيسة، وذلك بالروح القدس الحاضر في الكنيسة. الطبيعة البشرية بمفردها لا تستطيع أن تكشف الأسرار الإلهية (شرح يوحنا: ١١ Π.Γ. 74, 464B). لذلك، فالحاجة دائمة إلى عمل الروح القدس في تنقية الذهن وفي تحرره من أي انشغال مادي أو اضطراب معيشي (Π.Γ. 71, 868).

الروح القدس ينير الذهن ليفهم ما هو مخفي ومستتر وراء النص اللغوي، لأن الكلمة الكتابية -كما قلنا سابقاً- هي عادةً كلمة تخفي داخلها المعنى الروحي. إن سر الله هو عطية إلهية للإنسان، لكنه يستطيع أن يصل إلى معرفة هذا السر وذلك فقط بغنى النعمة الإلهية (شرح يوحنا ٤ :١ Π.Γ. 73, 552X). هذا العمل يتممه الروح القدس، الذي يمنح الطبيعة الإنسانية الصلاح، أي معرفة الأسرار الإلهية، هذه المعرفة تنير القلب والعقل. لذلك، الفهم السليم للكلمة الكتابية يتطلب صلاة نحو الله لكي يرسل نوره لينير العقل (شرح يوحنا: ٤ : ٣ Π.Γ. 73, 605Δ).

إذن التفسير الصحيح للكتاب والذي ينتهي إلى الرؤية الروحية، إلى جمال الحق هو عطية الله وعطية المسيح وعطية الروح القدس. (شرح يوحنا ٣: ٢ Π.Γ. 73, 412Δ تفسير إشعياء ٣: ٤ Π.Γ. 70, 800B).

ثانياً: من أجل فهم صحيح للكتاب، اتبع القديس كيرلس، القديس أثناسيوس في أنه لا بُد من أن نعرف الهدف العام للكتاب، الذي هو سر المسيح، أي التأنس. ولكن عند القديس كيرلس يرتبط الهدف العام أيضاً بالوحدة الغير المنفصلة بين الآب والابن (شرح يوحنا ١١ Π.Γ. 74, 509)، أو بسر الثالوث (شرح يوحنا ٩، Π.Γ. 74, 237A).

وبناء على ذلك فإن هدف الكتاب المقدس يتطابق مع الإيمان المستقيم وكل ما يتعلق بعمل تدبير الثالوث. هذا الإيمان يسميه القديس كيرلس: "المعرفة الكاملة" التي تتقابل مع دقة العقيدة وتتجاوب مع الهدف الداخلي للكتاب الذي نراه باستنارة الروح القدس. وبهذا المعنى، فإن المعرفة الكاملة هي ثمرة التفسير الروحي للكتاب. أيضاً يشدد القديس كيرلس على أن استقامة الإيمان أو المعرفة الكاملة

ليست هي فقط الهدف الداخلي للكتاب، ولكن يتعلق أيضاً ب "فكر" الآباء (شرح يوحنا ٩، .Π.Γ. 74, 216X). إن الفكر الآبائي هو المفهوم الأصح للكتب الإلهية، فنحن ملتزمون بالتقليد الحي للآباء والذي يرجع إلى استنارة وعمل الروح الذي صِيغ في اعترافات الإيمان (Π.Γ. 77, 109Δ) . هذا التقليد يمثل معياراً وعلامةً محورية للتفسير الكتابي، ولذلك من الضروري أن نقتفي آثار ''هدف'' الحكمة الآبائية.

ثالثاً: إن هدف الكتاب المقدس يحيا ويعمل داخل الحياة الليتورجية في الكنيسة. الكنيسة ترتبط مباشرة بتدبير التجسد، وتبعاً لذلك بهدف الكتاب. لذلك يعطي القديس كيرلس تفسيراً لجبل صهيون، وجبل الجليل وأورشليم على أنها الكنيسة (تفسير إشعياء ١: ٢ . (Π.Γ. 70, 68Δ).

إن سر التدبير الإلهي يُتمم بطريقة سرية في الكنيسة، لذلك هي ''البيت المقدس للمخلِّص''. كل من يجهل هذا البيت ويكتفي بالتفسير الجسدي (الحرفي) للكتاب ليس لديه إمكانية الخلاص.

يشدد القديس كيرلس على أن داخل الكنيسة يستطيع المؤمن أن يري ويشارك ما تممه المخلص، وبذلك يستطيع أن يخلص (شرح يوحنا ٢: ١ (Π.Γ. 73, 217AB).

إن حياة الإيمان المعاش في الكنيسة والمشاركة في الأسرار الكنسية واختبار حياة الفضيلة اليومية، أمور ضرورية وأساسية للتفسير الصحيح للكتاب.

أخيراً من كل ما سبق نري أن القديس كيرلس يرد على التراث غير الأرثوذكسي في التفسير، والمبادئ التي شرحها لنا هي مبادئ مهمة جداً لنا اليوم لكي نميِّز بين التفسير الأرثوذكسي والتفسير غير الأرثوذكسي للكتاب، فالقضية ليست قضية فردية، ولكن هي موضوع الكنيسة الحاملة للإعلان الإلهي والتي بدونها الكتاب المقدس ليس له أي معنى حقيقي، إذ يظل لغزاً وظلاً ومثالاً وأموراً نظرية مجردة، أما في الكنيسة فيتحقق سر التدبير، أي كل ما تممه المسيح عن طريق الأسرار، ويصبح الكتاب متجسداً ينير العقل ويطهِّر القلب ويقود الإنسان في مسيرة شركة واتحاد مع الله بواسطة المسيح في الروح القدس، حتى يستطيع المؤمن أن يقول مع القديس يوحنا: "الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة" (١ يو ١: ١).

كتاب السجود والعبادة بالروح والحق:

كتب القديس كيرلس هذا العمل على الأرجح قبل عام ٤٢٨م. وقد تم إنقاذ نهاية الجزء السادس والجزء السابع كله في ورق بردى يرجع إلى القرن السادس (٤٨ ورقة). وتوجد ترجمة سريانية لكل هذا العمل ترجع إلى القرن السابع.

وقد كتب القديس كيرلس هذا العمل في صورة حوار بينه وبين بلاديوس وهو شرح رمزى ومَثَلاني (نماذجى) للعهد القديم. ويشمل هذا العمل سبعة عشر جزءً. اتبع القديس التقليد الأسكندرى في التفسير، إذ عبر على الحرف والتاريخ ودخل إلى قلب النص مفتشاً عن المعنى الروحى اللازم للغذاء. إن التفتيش عن "المعنى الروحى" وراء الحرف هو الغرض من التفسير، والقديس مُحِقٌّ في تطبيقه لهذا المنهج في تفسير العهد القديم؛ لأن الناموس يعطى فقط صوراً ورموز للحقيقة، لذلك قد أُبطِلَ. ولكن كيرلس يشدد على أن الإبطال تم بحسب الحرف وليس بحسب محتواه الروحى وأهميته الروحية، ومن هنا فإن الناموس -بحسب رأى القديس- حفظ فاعليته حتى اليوم ولكن بحسب مفهومه الروحى. لذا فكل الأعياد والوصايا اليهودية المذكورة في العهد القديم تمثل صوراً ونماذج للعبادة المسيحية الروحية. وإن كلمات المسيح التي تمثل مفتاحاً لهذا الأمر هى: "وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هَؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. اَللَّهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا" (يو ٤: ٢٣ - ٢٤).

≅ في الجزء الأول: يتكلم عن ضرورة تحرر الإنسان من الخطية التي دخلت بسبب سقوط الأبوين الأولين.

≅ في الجزئين الثانى الثالث: يؤكد على التبرير بواسطة نعمة المسيح.

≅ أما في الجزئين الرابع والخامس: يحدثنا القديس كيرلس عن ضرورة مشاركة الإرادة الإنسانية بالقبول والتفاعل مع دعوة المسيح.

≅ وفى الجزء السادس: يتكلم القديس كيرلس عن ضرورة الإيمان والمحبة نحو الله.

≅ وفى الجزء السابع وكذلك الثامن: يتحدث عن محبة القريب.

≅ وفى الأجزاء من التاسع إلى الثالث عشر: يحدثنا عن الكنيسة والكهنوت.

≅ وبعد ذلك يحدثنا عن التطهير والعبادة الروحية في الأجزاء من الرابع عشر إلى السادس عشر.

≅ أما الجزء الأخير (السابع عشر): يحدثنا فيه عن الأعياد اليهودية وعن أنها تشير إلى الأفراح السماوية.

الترجمة العربية الحالية

لقد سبق أن ترجمنا هذا العمل إلى العربية في ثمانية أجزاء :

الجزء الأول نُشر في ديسمبر ٢٠٠١م ويشمل المقالة الأولى، الجزء الثاني نُشر في يوليو ٢٠٠٢م ويشمل المقالة الأولى والثانية ، الجزء الثالث نُشر في مارس ٢٠٠٣م ويشمل المقالة الرابعة والخامسة ، الجزء الرابع في أغسطس ٢٠٠٤م ويشمل المقالة السادسة والسابعة ، الجزء الخامس نُشر في يناير ٢٠٠٦م ويشمل المقالة الثامنة والتاسعة ، الجزء السادس في يوليو٢٠٠٧ م ويشمل المقالتين العاشرة والحادية عشر، الجزء السابع في أكتوبر ٢٠٠٨ م ويشمل المقالات١٣،١٢ ،١٤، وأخيراً الجزء الثامن في يناير ٢٠١٠م،ويشمل المقالات ١٥ ، ١٦ ، ١٧. والجدير بالذكر أن المقالة الخامسة قد ترجمها د. سعيد حكيم وكذلك المقالة الثامنة قد ترجمها د. مجدي وهبة صموئيل (المتنيح أبونا صموئيل وهبة) وقد قمنا بالمراجعة وكتابة التعليقات لهما لتكون مثل باقي المقالات الأخرى التي ترجمناها. والآن أصبحت كل هذه الأجزاء في مجلد واحد بعد تنقيحها ومراجعتها مرة أخرى على النص الأصلي اليوناني مع مقدمة عن القديس كيرلس تناولت حياته وأعماله بشكل عام ثم عن منهجه في تفسير الكتاب المقدس وحرصنا على وضع عناوين جانبية في كل مقالة لتساعد القاريء على إدراك الموضوع الذي يتحدث عنه القديس كيرلس مع محاوره بلاديوس، كذلك حرصنا على وضع حواشي أو تعليقات توضحية من أعمال القديس كيرلس الأخرى وأعمال الآباء الآخرين .

نتوسل إلى إلهنا القدوس محب البشر الآب والابن والروح القدس أن يبارك في هذه الكتابات لبنيان كنيسته تمجيداً لاسمه القدوس، بصلوات سحابة الشهود الآباء القديسين، وصلوات القديس كيرلس الأسكندرى عمود الدين، مؤلف هذا الكتاب، وصلوات قداسة البابا تاوضروس الثاني، ولإلهنا كل السجود والتسبيح والتمجيد الآن وإلى الأبد. آمين.

المقالة الأولى

حول سقوط الإنسان وأسره في الخطية، وعن دعوته، وعن رجوعه بالتوبة، وعن ارتفاعه إلى الحياة الفُضلى

كيرلس: إلى أين تسير ومن أين أتيت، أسألك بالطبع، وأعتبر أن السؤال غير ضرورى، لأنك ستقول بدون تردد: إني أعرف ذلك جيداً، وأنك أتيت من البيت إلى هنا.

بلاديوس: هذا حقيقي.

كيرلس: ما هذا الكتاب الذي في يدك؟

بلاديوس: إنه الإنجيل، بحسب متى ويوحنا.

كيرلس: وأين تظنك ذاهب به ولمن؟ لأنك بالتأكيد لا تستطيع -يا بلاديوس- أن تدرسه خارج البيت، فتعب القراءة ومشقتها تكون ممتعة في هدوء البيت.

ما جئت لأنقض ... بل لأكمِّل

بلاديوس: نعم. لقد أتيت لأتحدث معك. وأحضرت لك الكتاب المقدس، لأنه بالرغم من إني أجهدت نفسى مراراً، لم أفلح في أن أفهم جيداً[1] ما الذي يقصده ربنا يسوع المسيح بما يقوله في الإنجيل بحسب متى: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ" (مت ٥: ١٧ - ١٨).

١- مسألة فِهم الكتب المقدسة تتطلب -بجدية- سعياً جاداً في طلب المسيح المستترِ في هذه الكتب، وهذا الأمر سبق أن أكد عليه القديس كيرلس في مقدمة المقالة الأولى من عمله المُسمى: جلافيرا، قائلاً: "قال المسيح لجموع اليهود "فتشوا الكتب" (يو ٥:٣٩)، مظهراً لهم بوضوح أن البعض لن يستطيعوا أن يأتوا إلى الحياة الأبدية، إن لم ينقبوا بعمق، كما فى كنز، فى الناموس، وإن لم يسعوا بجدية فى طلب الجوهرة (اللؤلؤة) المخفية فيه، أى المسيح، "المزخر فيه كل كنوز الحكمة والعلم" (كو ٢:٣)، طبقا لما قاله بولس الطوباوي" المقالة الأولى، الكتاب الشهري نوفمبر ٢٠٠٣.



وأيضاً ما يقوله للمرأة السامرية في إنجيل يوحنا: "يَا امْرَأَةُ صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ لاَ فِي هَذَا الْجَبَلِ وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ. أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ لأَنَّ الْخَلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ. وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هَؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. اَللَّهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا" (يو ٤: ٢١ - ٢٤).

كيرلس: ما هو الذي يبدو لك صعباً فيما ذكرت؟ وما هو الشيء الغامض والعسير الشرح فيه؟ أخبرني.

بلاديوس: تأمرنا الكلمة المقدسة بأن نتحرر من العادات القديمة، ونكُفُّ عن أن نتبرر بالناموس. لقد قال بولس لهؤلاء الذين يريدون أن يتبرروا بالناموس بعد إيمانهم بالمسيح: "قَدْ تَبَطَّلْتُمْ عَنِ الْمَسِيحِ أَيُّهَا الَّذِينَ تَتَبَرَّرُونَ بِالنَّامُوسِ. سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ. فَإِنَّنَا بِالرُّوحِ مِنَ الإِيمَانِ نَتَوَقَّعُ رَجَاءَ بِرٍّ" (غلا ٥: ٤ - ٥). وبينما يُظهر دوافع مُشرِّفة وعظيمة من أجل الافتخار بالحياة وفق الناموس، أجده يُقرر أيضاً أن "لَكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحاً فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ. وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ" (فيلبى ٣: ٧ - ٩).

ويؤكد بوضوح أن الوصية القديمة لم تكن بلا لوم. ومع ذلك حلَّت الوصية الجديدة، أي الإنجيلية محل الوصية القديمة لمنفعتنا بواسطة المسيح[1]. وبناءً على ذلك يكتب: "فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ الْوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ مِنْ أَجْلِ ضُعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا، إِذِ النَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئاً. وَلَكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى اللهِ" (عب ٧: ١٨ - ١٩). لأنه لو كانت الوصية الأولى قد أُعطيت لكمالنا لَمَا كانت هناك حاجةٌ للثانية لأنه يقول: "فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ الأَوَّلُ بِلاَ عَيْبٍ

١- هناك فرق شاسع بين الوصيتين القديمة والجديدة بقدر الفارق الشاسع بين يسوع وموسى وكذلك بين النعمة والناموس، إذ يؤكد القديس كيرلس على هذه الحقيقة في موضع آخر، قائلاً: "وعلى كل من يريد أن يتعلم أن يدرس النعمة الإنجيلية التي وُهبت لنا بواسطة المخلص ويقارنها بنعمة الناموس التي أعطيت بواسطة موسى، فسوف يرى أن الابن أسمى بكثير، لأنه هو واضع الناموس الأعظم الذي يهب الخيرات أفضل من الناموس الموسوي. ولذلك يقول الإنجيلي "الناموس أعطي بموسى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا". شرح إنجيل يوحنا، المجلد الأول، ص ١٤٧.



لَمَا طُلِبَ مَوْضِعٌ لِثَانٍ. لأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ لاَئِماً: «هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ، حِينَ أُكَمِّلُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْداً جَدِيداً. لاَ كَالْعَهْدِ الَّذِي عَمِلْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَثْبُتُوا فِي عَهْدِي، وَأَنَا أَهْمَلْتُهُمْ يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّ هَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَعْهَدُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي أَذْهَانِهِمْ، وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْباً" (عب ٨: ٧ - ١٠). وبولس يتأمل في كل هذا ويفسر بشكل خاص مفهوم العهد الجديد قائلاً: "فَإِذْ قَالَ «جَدِيداً» عَتَّقَ الأَوَّلَ. وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الاِضْمِحْلاَلِ" (عب ٨: ١٣).

إذن، بما أن الناموس لم يقدِّم الكمال في أي شيء، وحدث إبطالٌ للوصية القديمة ودخولٌ للثانية التي تقودنا إلى الاقتراب من الله، فلماذا يقول المخلص: "لم آتِ لأنقض الناموس بل لأكمل"، وأنه "يجب أن نعبد إلهنا وأبانا بالروح والحق"؟ هذا يعني -على ما أظن- أنه يجب أن نهجر عادات الناموس وعبادته.

المعنى الحقيقي للناموس

كيرلس: إنها تساؤلات متسعة كاتساع البحر. وأيُ عقلٍ له القدرة على تحمل الرؤية بأكثر لمعانٍ، لدرجة أن يعي أنه بجوار كل ما هو من القديم الذي أُعطى بواسطة الحكيم موسى، يُقدِّم لنا الكتابُ، الجديدَ كأخٍ وجارٍ ومهتمٍ بنفس الأمور، وأن الحياة (في المسيح) ليست منفصلةً تماماً عن ما جاء في الناموس، لو فُهِمَ الناموس بالمفهوم الروحي؟[1] لأن الناموس هو مثالُ وظِلُّ التقوى، والحقيقة فيه لا تزال في فترة المخاض، وجمال الحقيقة هذه مُخفيٌّ داخل الناموس. ربما تقول إن الأمر ليس هكذا كما أقول؟

بلاديوس: هكذا بالضبط. لكن كيف يمكن أن توضح هذا الأمر؟ أو كيف يمكن أن نعتقد أن مَن يسير حسب الوصية الإنجيلية يعتمد على الوصية القديمة،

١- التفسير الروحي للكتاب ليس هو قضية لغوية أدبية صارمة، تقتصر فقط على الفهم الحرفي أو التاريخي، ولكن هدف التفسير هو "المعرفة الإلهية" والتي تستلزم عدم بقاءنا في الحرف أو التاريخ، ولكن نمر منه إلى الروح، فما يرمي إليه التفسير هو المعرفة الخلاصية لعمل التدبير الإلهي. لا يمكن أن نظل في الناموس الحرفي لأن الغرض منه هو الصعود الدائم نحو الأسمى، من المحسوس إلى الروحي. فالناموس يخدم سر التدبير الإلهي إذ يتغير ويتجلى بفضل التجسد، نحو الحالة الإلهية في المسيح يسوع (تفسير متى، P.G. 75, 429 C).

وأن الوصية الإنجيلية مكمّلة لكل ما حدده موسى؟

كيرلس: ليس من السهل افتراض هذا الأمر. فالفضيلة هي -على ما أعتقد- أمرٌ متشعِّبٌ جداً ومتعدد الجوانب. ومفاخر الحياة المسيحية تُزيَّنُ بعددٍ لا حصر له من الأعمال الصالحة. ولأجل ذلك طبعاً يضع داود العظيم في مزمور ٤٥ بجوار المسيح -في مكان الملكة- الكنيسةَ، كعذراء نقية ويُحوطها بزى مُوشَّى بالذهب قائلاً: "جُعلت الملكة عن يمينك مزينة بذهب أوفير" (مز ٤٥: ٩). إن تعبير "بذهب" يعبِّر بكل وضوح عن كرامتها وإشراقها، بينما كلمة "مزيَّنة" تعني كثرة جمال الفضيلة. فالكنيسة ذات جمال بالغ، وزينتها عقليةٌ لا تُرى بالأعين الجسدية، بل تُرى بالعقل والقلب، وهى خفية عن اليهودي، بينما تظهر لنا نحن في جمال رائع وأصيل بلا حدود.

لأنه كما يكتب الطوباوي بولس: "لأَنَّ الْيَهُودِيَّ فِي الظَّاهِرِ لَيْسَ هُوَ يَهُودِيّاً وَلاَ الْخِتَانُ الَّذِي فِي الظَّاهِرِ فِي اللَّحْمِ خِتَاناً. بَلِ الْيَهُودِيُّ فِي الْخَفَاءِ هُوَ الْيَهُودِيُّ وَخِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لاَ بِالْكِتَابِ هُوَ الْخِتَانُ الَّذِي مَدْحُهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ بَلْ مِنَ اللهِ" (رو ٢: ٢٨ - ٢٩).

بلاديوس: أخبرني إذن، طالما أُدخل الختان الروحي، وتغيَّرت الذبائح الناموسية، وفقدت طريقة الحياة اليهودية مكانها عندنا، ألا يبدو مستحيلاً أن يقول المسيح: "مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ"؟ لأنه لو لم تكن الأمور هكذا، لَمَا تعطلنا عن أن نمجد إله الكل بذبائح الثيران والتبخيرات، مقدمين له يمام وحمام، أو أي شيء آخر نعتقد أن الأقدمين قد فعلوه، لكي نفعله نحن أيضاً.

منفعة الناموس الفعلية وأهميته

كيرلس: لكنك يا صديقى، قد ابتعدت كثيراً عما يليق. لأنك تعتقد أن الناموس قد تغيَّر، لدرجة أنه لم يعد لدينا أيةُ منفعةٍ منه، وأنه على أية حال ليست هناك أية منفعة من الأمور التي وضعها. ألا تعتقد أن الناموس قد تحول بالأحرى إلى إشارة نحو الحقيقة[1]، خصوصاً وقد كتب الطوباوي

١- نؤكد دائماً كما علمنا القديس كيرلس على ان الناموس يشير فقط على الحقيقة، إذ في سياق شرحه لمعجزة تحويل الماء إلى خمر يقول: "لكن الخمر فرغت ولم يعد لدى المحتفلين منها أي شيء لأن الناموس لم يكمل شيئاً، ولم تعط الوصايا الموسوية الفرح، ولم يستطع الناموس الطبيعي المغروس فينا أن يخلصنا. ولذلك من الصواب أن نقول إن "ليس



بولس: "أَفَنُبْطِلُ النَّامُوسَ بِالإِيمَانِ؟ حَاشَا! بَلْ نُثَبِّتُ النَّامُوسَ" (رو ٣: ٣١). لأن الناموس مُربٍّ يقود بطريقةٍ حسنةٍ إلى سر المسيح. ونقول إن كل ما شرَّعه موسى للأقدمين، ما هو إلَّا أساسيات بداءة أقوال الله. لكن لو أهملنا المربِّي، فمَن سيقودنا عندئذ إلى سر المسيح؟ ولو رفضنا أن نتعلم أساسيات بداءة أقوال الله، فكيف يمكننا الاستمرار؟ أو كيف نصل إلى الغاية؟ أفليس المسيح هو الذي يُكمِّل الناموس والأنبياء كما تقول الكتب؟[1]

بلاديوس: نعم.

كيرلس: بالفعل. فإنه مكتوب أنه هو مكمِّل الناموس والأنبياء لأن كل كلمة نبوية وناموسية تخصه وتشير إليه.

لقد قال (المسيح) وهو يتوسل إلى اليهود لأجل عصيانهم: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي أَشْكُوكُمْ إِلَى الآبِ. يُوجَدُ الَّذِي يَشْكُوكُمْ وَهُوَ مُوسَى الَّذِي عَلَيْهِ رَجَاؤُكُمْ. لأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي. فَإِنْ كُنْتُمْ لَسْتُمْ تُصَدِّقُونَ كُتُبَ ذَاكَ فَكَيْفَ تُصَدِّقُونَ كَلاَمِي؟" (يو ٥: ٤٥ – ٤٧).

إذن يقول إنه لم يأتِ إطلاقاً لكي يشكو الناموس، بل بالحرى لكي يُكَمِّله، فلا تُظن أن تغييراً كاملاً للشرائع القديمة قد حدث، بل على الأرجح تم تجديدها بطريقةٍ ما. وأستطيع أن أقول إنه حدث نقلٌ لنماذجَ أو أمثلةٍ (من العهد القديم) إلى الحقيقة، أي من الظلال إلى الحقيقة[2].

بلاديوس: بالصواب تتكلم.

كيرلس: سأشرح لك ما كان يجب أن يصير بواسطة المسيح (بالمثال التالي): الفنانون

عندهم خمر" قد قيلت عنا نحن أيضاً. ولكن صلاح الله وغناه لا ينضب، ولا يمكن أن يعجز أمام احتياجاتنا. لقد أعطانا خمراً أفضل من الخمر الأول، لأن الحرف يقتل أما الروح فيعطي حياة (٢ كور٣: ٦) والناموس لم يكمل شيئاً، ولم يعط الخيرات، ولكن التعليم الإلهي للإنجيل يعطي البركة الكاملة" شرح يوحنا، المجلد الأول، ص ١٦٩ ـ ١٧٠.

١- أي أن المسيح هو محقق ومفسر الناموس وأقوال الأنبياء، والمفهوم السري الذي يوجد في كل الأقوال النبوية للعهد القديم وأعماله ليس مدركاً من الجميع. سوف يظل هذا الذي هو سر إن لم يعلنه المسيح ذاته، علِة وغاية الأعمال والأقوال النبوية إنه مفسر النبوات الغامضة (أنظر يوستينوس الدفاع الأول ٢:٣٢).

٢- إن مبدأ التفسير المَثَلاني (الطيبولوجي) أي التفتيش عن النماذج والأمثلة الموجودة في نصوص الكتاب المقدس وتشير إلى الحقيقة التي تتم بواسطة المسيح، نجده مبكراً في عصر المدافعين ويبدو أنه يمثل تقليداً مسيحياً عاماً، كان يعرفه القديس كيرلس عمود الدين. هكذا حضور اللوغوس في العهد القديم كان مباشراً وغير مباشر. مباشر حين ظهر بأشكال مختلفة في حياة البطاركة والمختارين وأنبياء العهد القديم وتحدث معهم، وغير مباشر حين أعلن مسبقاً بالقول النبوي وصُوِّر في أحداث الشعب القديم التاريخية المختلفة. وقد تعرَّف يوستينوس على أنواع "نماذج" في العهد القديم قد أعلنت مسبقاً حوادث في حياة المسيح. أنظر يوستينوس، الحوار مع تريفون، على سبيل المثال ٤٠، ٤١.

الذين يرسمون ويكتبون على الألواح، لا تكون كتابتهم أو رسمهم كاملاً مباشرةً بمجرد أن يبدأوا الكتابة، بحيث يكون الرسم في شكل كامل وغير ناقص ومكتمل تماماً. ولكنهم في البداية يضعون تخطيطاً لشكل الرسم ولونه، بحيث يصبح ذي جودة فائقة، ويختارون المواضع التي تحتاج إلى ظلال معينة. وإلى أي الدرجات يجب أن تُبَيَّن وتُوضَّحْ حتى يصلوا إلى الشكل المطلوب، والأكثر مناسبة. وهكذا يصلون بنماذجهم إلى الشكل الذي نراه أخيراً. وهو الأفضل بشكل لا يقارن عما كان في البداية. أليس كذلك؟

بلاديوس: نعم، إنه كذلك.

كيرلس: كذلك أيضاً الذين يمارسون فن صنع التماثيل النحاسية، إن أرادوا صب النحاس السائل في قالب التمثال المعد لذلك، فإنهم يُصوِّرون أولاً شكل التمثال على نموذج شمعى، ويُصنع القالب على هذا النموذج، وبعد ذلك يُذيبون النحاس على النار ويسكبونه في القالب. وهكذا يضيفون لتحفتهم -بطريقة حسنة- كمالاً وجمالاً. وعندما يضيف الصانع الألوان المتنوعة فوق آثار الرسم، وأيضاً عند إحلال النحاس محل النموذج الشمعي، يُظَن في لحظة ما، أن الأشكال الأولى قد نُقِضَت وأُبطِلت. لكن الأمر ليس كذلك؛ لأنه لو كان هذا الاعتقاد حقيقياً، لقال الرسام والصانع إننا لم نلغِ آثار الكتابة، ولم نسئ إطلاقاً استخدام النماذج، لكن بالحرى قد أكملناها. أي أن ما كان يبدو غير واضح وبدون جمال في الظلال والنماذج الأولى، صار الآن أكثر روعةً ووضوحاً[1].

بلاديوس: بالصواب تتكلم.

١- ومن النماذج والأمثلة التي أصبحت أكثر وضوحاً وجمالاً في المسيح ما ذكره القديس يوستينوس في حواره مع تريفون، على سبيل المثال الآتي: الحمل الفصحي هو مثال لذبيحة المسيح، طريقة الشواء هي مثال للصليب: "إن الحمل الفصحي الذي أمركم الله بذبحه كان رمزاً نموذجياً للمسيح الممسوح. كذلك الأمر الذي كان يقضي بشواء الحمل كله، كان رمزاً لعذاب الصليب الذي كان يجب على المسيح أن يتحمله" (الحوار ٤٠: ١، ٣)، أيضاً تقدمه الدقيق هي نموذج لخبز الإفخارستيا (الحوار ٤١:١)، الختان بحسب الجسد هو رمز الختان الحقيقي في الروح (أثناء المعمودية) (الحوار ٤١: ٤. ٤٣: ٢)، وصلاة موسى رافعاً يديه على شكل الصليب هو سر نصرة الشعب في القديم (أنظر الحوار ٩٠: ٤، ٥) وكذلك الخيط القرمزي الذي وضعته راحاب الزانية على شباك البيت هو رمز لدم المسيح. "ورمز الخيط القرمزي الذي أعطاه في أريحا الجاسوسان اللذان أرسلهما يشوع بن نون لراحابٍ الزانية (انظر يش ٢: ١٧ - ١٨)، وطلبا منها أن تعقده في الطاق الذي دلتهما منه ونجتهما من الأعداء، يُظهر هو أيضاً رمز دم المسيح الذي بواسطته ينجو الذين كانوا بُغاةً وظالمين في كل الأمم" (الحوار ١١١:٤)، بركات يعقوب تخص بركات الكنيسة (الحوار ١٢٠:١)، السبت يرمز للراحة من فعل الخطية (الحوار ١٤:٢)، الفطير يرمز إلى حياة القيامة، ونفس الأمر اليوم الثامن، أما شجرة المعرفة في الفردوس فهي إعلان مسبق للمسيح (الحوار ٨٤:١)، وتجربة آدم هي إعلان مسبق لتجربة المسيح (الحوار ١٠٣:٦) .



كيرلس: فإذا أراد أحد أن يتفحص حقيقة الكتاب المقدس بالتفصيل، فسوف يتأكد على أية حال أن ما أقوله صحيح. لأن موسى وضع برقعاً على وجهه، وذلك بحسب الكتاب؛ لأن الإسرائيليين لم يستطيعوا أن ينظروا وجهه (أنظر خر ٣٤: ٣٣ - ٣٥).

بلاديوس: إلى أي شيء يشير هذا؟

كيرلس: لأن أفكار اليهود كانت غليظة، لم يفهموا[1] إلَّا ظاهر الناموس الحرفي فقط، ولذا كان من المستحيل تماماً أن يفهموا ويميزوا كل ما كان مستتراً داخل الناموس، أي الوجه الحقيقي لمعاني كلمات الناموس. لذلك يكتب القديس بولس: ''بَلْ أُغْلِظَتْ أَذْهَانُهُمْ، لأَنَّهُ حَتَّى الْيَوْمِ ذَلِكَ الْبُرْقُعُ نَفْسُهُ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْعَهْدِ الْعَتِيقِ بَاقٍ غَيْرُ مُنْكَشِفٍ، الَّذِي يُبْطَلُ فِي الْمَسِيحِ. لَكِنْ حَتَّى الْيَوْمِ، حِينَ يُقْرَأُ مُوسَى، الْبُرْقُعُ مَوْضُوعٌ عَلَى قَلْبِهِمْ'' (٢ كو ٣: ١٤ - ١٥). لكن دعنا نتوقف هنا عن الكلام في الأمور التي صارت لليهود.

الناموس في ضوء العهد الجديد

(ويقول): ''وَنَحْنُ جَمِيعاً نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ''[2]. هنا كلمة ''الرب'' تعني ''الروح''. فكما لا يستطيع أولئك الذين ينظرون في مرآة -كي يشاهدوا صورةً ونموذجاً للحقيقة- رؤية الحقيقة نفسها، على ما أعتقد. هكذا أيضاً، كل مَن يرغب في مشاهدة (صورة) جمال الحياة في المسيح عن طريق مرآة الناموس، يمكنه أن ينال هذا الذي يتمناه بطريقة

١- يرى مليتيوس أسقف ساردس في رسالته الفصحية أن إسرائيل بسبب عماه وقساوة قلبه لم يُدرك هذه الحوادث المدونة في الكتاب المقدس (أنظر الرسالة الفصحية ٨٢). على الجانب الآخر، أحد المواهب الهامة هي موهبة إدراك وتفسير أقوال الكتاب النبوية. لذا يدرك القديس كيرلس ضرورة إقتناء هذه الموهبة وقد سبق للقديس يوستينوس التأكيد على هذه الحقيقة إذ كان ينسب التعرف على فكر الكتب المقدسة حصرياً إلى النعمة الإلهية: ''نحن الذين جعلتهم نعمة المسيح حكماء'' (الحوار ٣٢:٥)، ''إذا لم يحصل أحد على نعمة عظيمة مستمدة من الله، ويسعى إلى فهم ما قاله وعمله الأنبياء، فلا يفيده أن يورد الأقوال والأحداث التي يستطيع البرهان عنها'' (الحوار ٩٢:١)، ''أتظنون أيها الأصدقاء أننا كُنّا استطعنا فهم المعاني الموجودة في الكتب لو لم نكن تلقينا نعمة لإدراكها من فضل ذاك الذي أرادها؟'' (الحوار ١١٩:١). هذه النعمة، نالها القديس يوستينوس ذاته وطلب أن يشترك الجميع في هذه العطية: ''سأذكر لكم الكتب المقدسة، لا لأني أهتم بتقديم براهين قائمة على الفن وحده -وهذا ما ليسٍ لي الموهبة عليه- بل لأن الله منحني نعمةً تجعلني وحدها أفهم كتبه. وأدعو الجميع إلى الإشتراك في هذه النعمة مجاناً وبسخاء'' (الحوار ٥٨:١).

٢- في نص القديس كيرلس ''بواسطة الروح الذي هو الرب'' (٢ كو ٣: ١٧ ـ ١٨).



حسنة. بمعنى أنه يمكنه أن يرى صورة الأشياء أو نموذجاً لها، وفيها يتعرف على حقيقة الأشياء، وهكذا يمكنه أن يرى بكل وضوح هذا الذي يريده الله ويُسر به.

بلاديوس: لكن ما هو السبب الذي من أجله لم يُعطَ الجديد الإنجيلى من البداية للأقدمين، بل أعطى لهم في نماذج وظلال فقط؟

الناموس، غذاءٌ للأطفال

كيرلس: إن تمام التدبير وعلاقة هذه الظلال بالحقيقة الكاملة، هو أمرٌ يليق بنا أن نتركه لله كُلِّي المعرفة، لكن الأفكار التي لا تغيب عنها المفاهيم الصالحة، يمكنها أن تقودنا إلى معرفةٍ معتدلةٍ، أو تجعلنا نعتقد أننا أدركنا سبب التدبير. إذاً يمكننا القول إن الذين تحرروا من أرض مصر، كانوا في أشد الحاجة إلى غذاءٍ يُناسب الأطفال. إذ كان ذهنهم غليظاً، وكان من السهل إغواؤهم نحو الضلال. لذلك كان من الصعب عليهم ترك محبة الجسد ومحوها تماماً من المرضى بها. كما أن أولئك المأسورين في شهواتهم كان من العسير عليهم تجنبها. وكان من المستحيل أيضاً أن ينالوا مباشرةً القدرة على الوصول إلى حياة الكمال، مفضِّلين حياةً مجيدةً مُشرقةً وفائقةً، إلى الحد الذي ينالون فيه مواطنة السماء، بالرغم من أنهم ما زالوا يعيشون على الأرض، بحسب ما هو مكتوب (فيلبى ٣: ٢٠). أوليس الطعام القوى هو للكاملين، بينما يكون اللبن مناسباً جداً للأطفال؟! (عب ٥: ١٢ - ١٤).

بلاديوس: هكذا هو الأمر بالفعل.

كيرلس: كانت الحاجة إذن، إلى التربية باستخدام أسلوب الأمثال، إذ كانوا أطفالاً، ولكى أشرح لك ما أقصده أشير إلى إنهم كانوا في احتياج إلى طعام أكثر ليونة، وليس إلى الكلمة التي تُوجّههم نحو الكمال والتى تقودهم نحو النضوج. هكذا كان الإسرائيليون عديمى الرؤية متساهلين تجاه أية شهوة. لأننا لو فحصنا سلوكياتهم ومحاولاتهم للوصول للكمال، بأى معيار، لوجدناهم غير مستحقين ولا حتى للظلال. هذا ما أظهره موسى. لأنه؛ حينما صعد موسى إلى الجبل بأمر الله، ليستلم الناموس، انحرفوا مباشرةً نحو العصيان وصنعوا عجلاً متجرئين في تعاسة يقولون: "هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا

إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ!'' (خر ٣٢: ٤). بسبب هذه التجاوزات الخطيرة، غضب موسى وكسر لوحي الشريعة وأداهم. فأصحاب العقول الضالة هؤلاء لا يستحقون حتى لظلال أو أمثلة، ولا لأية تربية من قِبل الله. فقد نسوا المعجزات الكثيرة التي صنعتها القوة الإلهية لأجلهم، وتذكروا العبادة الوثنية في مصر ونسبوا تقواهم إلى العجل. وقتذاك سُطِّر الناموس بيد الله للأقدمين على ألواح حجرية كما هو مكتوب، وهذه الأمور كانت مثالاً لكل ما يحدث لنا نحن الذين نؤمن بالمسيح. كأن الله قد كتب داخلنا معرفة إرادته بواسطة الابن بنعمة الروح. لأنه هكذا يدعوه على فم داود قائلاً: ''لساني قلم كاتب ماهر'' (مز ٤٥: ١)، أي أن قلم الآب، أي الابن، كَتَبَ داخل قلوب الجميع معرفة كل صلاح، وذلك بأصبع الله وبواسطة روح الآب، وقد دعا (المسيحُ) روح الله ''أُصبعاً'' قائلاً: ''إن كنت بروح الله أخرج الشياطين '' (مت ١٢:٢٧)، وفي مكان آخر: ''إن كنت بأصبع الله أخرج الشياطين'' (لو ١١:٢٠). وقد دعانا بولس في رسالته الروحية قائلاً: ''أَنْتُمْ رِسَالَتُنَا، مَكْتُوبَةً فِي قُلُوبِنَا، مَعْرُوفَةً وَمَقْرُوءَةً مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ. ظَاهِرِينَ أَنَّكُمْ رِسَالَةُ الْمَسِيحِ، مَخْدُومَةً مِنَّا، مَكْتُوبَةًلاَ بِحِبْرٍ بَلْ بِرُوحِ اللهِ الْحَيِّ، لاَ فِي أَلْوَاحٍ حَجَرِيَّةٍ بَلْ فِي أَلْوَاحِ قَلْبٍ لَحْمِيَّةٍ'' (٢ كو ٣: ٢ – ٣).

بلاديوس: أوافق تماماً على أن كل ما يخص الناموس هو نماذج وظلال. فلنكمل حديثنا إذاً، علَّنا ندرك بالتفصيل وبكل دقة كل ما سبق أن شُرِّعَ في شكل مثال، ودعنا نفحص بحرص شديد كل جانب من جوانب هذه الحقيقة البديعة، لأنه حينئذٍ فقط، يزول كل غموض حول أسرار العبادة الروحية.

كيرلس: ولكنى أصرح لك يا صديقي المتفكر في هذه الأمور، لقد تملكني خوفٌ بالغ، وإني أتردد كثيراً جداً تجاه هذا العمل، لأني أعتقد أن هذه الأمور السامية تعلو على أفهامنا؛ لأنها تفوق أفكار البشر. لذا يجب علينا ونحن نُفسر مفاهيم الناموس العميقة، أن نقول: ''مَن هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور وفهيم حتى يعرفها'' (هوشع ١٤: ١٠).

بلاديوس: يا عزيزى، صحيحٌ أن هذا العمل ليس سهلاً، لكن المسيح يقول: ''اسْأَلُوا تُعْطَوْا. اطْلُبُوا تَجِدُوا. اقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ'' (مت ٧: ٧).



الخلق والسقوط والخلاص

كيرلس: إذن دعنا نلتزم بما قلناه، ونتقدم لنفحص كل هذه الأمور التي تفيدنا، وقبل كل شيء فلنوجّه صلاتنا نحو الله قائلين: "اكشف عن عينى فأرى عجائب من شريعتك" (مز ١١٩: ١٨). ولنبدأ حديثنا أولاً بأن نتكلم عن انحراف الإنسان وسقوطه في الخطية، وعبوديته وأسره بواسطة عدو الخير، وكيف حدث هذا، وبأية طريقة تمت هذه الأمور ممن كانوا قبلنا، وكيف تسللت إلينا؟ وختاماً يجب أن نتساءل كيف يمكن أن نبتعد عن الشر، حتى يتحرر كاهلنا من نير العبودية ونصعد ثانيةً إلى رتبتنا الأولى، ونتمتع بخلاص الله وقوته. لأن حديثنا بهذه الطريقة المناسبة سوف يساعدنا فيما نتحدث عنه فيما بعد.

بلاديوس: حسناً تفكر.

كيرلس: وهكذا نستطيع أن نثمر لله ونقدم ذبائح روحية، بمعنى أن نجاهد بشجاعة مشتهين حياة الفضيلة، وهذا بالتأكيد لا يمكن أن يتوافق مع أولئك الذين لم يتخلصوا بعد من العبودية والانسياق إلى الشهوات، لكنه يتوافق مع هؤلاء الذين تحلّق عقولهم نحو الحرية، رافضين حيل الشيطان وخداعه.

بلاديوس: أتفق معك. أنت تفكر بالصواب.

الخلق والسقوط

كيرلس: لقد قبِلنَا، أن الإنسان خُلِق، وكان فكره منذ البداية يسمو فوق الخطايا والشهوات، لكنه لم يكن مُحصَّناً تماماً من الانحراف في اختياراته[١]. لأن

١- سبق للقديس إيرينيوس التأكيد على هذا المعنى، قائلاً: "وإذ جعل الإنسان (آدم) سيداً على الأرض وكل شيء فيها، فإنه جعله كذلك سيداً على الكائنات التي كان ينبغى أن تخدمه. ولكن بينما كانت هذه الكائنات الأخيرة في قمة قوتها، كان سيدها أى الإنسان لا يزال صغيراً، كان طفلاً عليه أن ينمو لكي يحقق كماله" الكرازة الرسولية ١٢: ٧٨. هذا التعليم بأن الإنسان الأول كان طفلاً من جهة النضوج فى الإيمان، سبق إبرازه عن طريق القديس إيرينيوس الذى أراد أن يشدّد على أن الإنسان الأول كان مدعواً لمسيرة نحو الكمال. والجدير بالذكر أن هذه الدعوة تحدث عنها القديس باسيليوس الكبير الذى نادى بأن الهبات الإلهية ترمى إلى إصعاد الإنسان إلى حالة الكمال، أى الصعود من الخلق بـ"حسب الصورة" إلى "حسب المثال"، بمعنى تحقيق كل إمكانيات الصورة. وهذا الصعود مستمر ودائم مثل عطايا الله التى هي دائمة ومتجدّدة بالروح القدس (انظر القديس باسيليوس الكبير، الله ليس مسبباً للشرور، PG31. 345، لاحظ نفسك .PG31 212B - 213A، أيضاً عن الروح القدس PG32: 109BC. وفى موضع آخر يقول القديس كيرلس: "لا ينبغى أن يشك أحد فى أن الإنسان قد جاء إلى الوجود ليس لأجل أعمال مخزية بل لأجل عمل كل ما هو ممدوح، بما أنه ثمرة إبداع الله الصالح. ولكن تظل الحقيقة قائمة أنه خُلق سيداً لنفسه وحراً، وقادراً على التحرك بواسطة قوة إرادته الخاصة نحو أي اتجاه يختاره سواء كان خيراً أو شراً" ضد يوليانوس الجاحد (PG76, 925). راجع أيضاً: Θεοφιλου Αντιοχειας, προς Αυτολυκον2,27

الخالق الأعظم للجميع، قد رأى حسناً أن يترك الإنسان لإرادته المستنيرة سامحاً له أن يصنع ما يفكر فيه بدافعٍ من نفسه فقط. بمعنى أنه كان عليه أن يتمم الفضيلة بمحض اختياره وليس كأمر إجباري، ذلك لأن الفضيلة ليست إحدى الصفات الثابتة للطبيعة البشرية؛ لأن الثبات هو خاصية الجوهر الإلهي الذي هو فوق الكل، ويفوق كل الأشياء. فالله، إذن، خلق الإنسان، ذلك الكائن الحي بطبيعة خاصة به كإنسان، مانحاً إياه غنى التشبُّه به[1]؛ لأن صورة الطبيعة الإلهية رُسمت في الطبيعة البشرية بنفخة الروح القدس. وبما إن الله هو الحياة –بحسب الطبيعة– لذلك فهو يعطي نسمة الحياة[2].

بلاديوس: إذن، بناءً على ذلك، فقد صارت نفسُ الإنسان روحاً إلهية!!

كيرلس: ألا يكون التفكير بهذه الطريقة غير منطقي بالمرة؟! لأن النفس –حسب هذا التفكير– ستكون غير متغيرة، والواقع أنها متغيرة، أمّا الروح، فمن المؤكد أنه لا يتغير. وإذا كانت النفس قابلة للتغيير، فحينئذ يمكن أن يوجَّه الاتهام بالتغيُّر إلى الطبيعة الإلهية نفسها، لأن الروح هو من طبيعة الله الآب والابن، وهو واحدٌ معهما في الجوهر، وهو يُعطى من الآب بالابن. وبالتالى فإنه من غير الصواب أن يعتقد المرء أن الروح قد تغيَّر إلى نفسٍ، ووُضِع في طبيعة الإنسان. بل على العكس، فقد أخذت نفس الإنسان قوةً فائقة الوصف وزُيِّنت منذ اللحظة الأولى بعطية الروح. لأنه لا توجد طريقة أخرى نستطيع بها أن نكتسب جمال الصورة الإلهية.

بلاديوس: حسناً تتكلم.

كيرلس: وطالما زيَّن اللهُ الإنسانَ الذي خلقه بهذه الطريقة، فقد منحه القدرة

١- يقول أيضاً القديس إيرينيوس موضحاً مفهوم "الصورة" و"الشبه": "الصورة" تتضمن المواهب الطبيعية، وعلى الأخص العقل وحرية الإرادة، وهذه لا يمكن أن تُفقد. و"الشبه" فائق للطبيعة وهو اقتناء الكلمة وشركة الروح، وهذا فقده آدم واسترجعه المسيح" (AH5:6:1).

٢- يتحدث القديس كيرلس الأسكندرى -في موضع آخر- عن تميّز خلقة الإنسان عن سائر المخلوقات قائلاً: "فقد مضى في خلق الإنسان وجعل خلقته أسمى منها جميعاً، على الرغم من أن كل المخلوقات الأخرى صنعها بكلمته. ولأن الإنسان يعتبر وجوداً حياً وعبقرياً بالحقيقة وشبيهاً جداً بالله، وحتى لا يُعتبر أن هذا الذى كان شبيهاً جداً بالمجد السماوي خُلِق بنفس الطريقة التى خُلِقت بها المخلوقات الأخرى التى لم تكن هكذا، كرّم خلقته وذلك بإرادته الإلهية فقط، وعلى الرغم من أنه قد خلقه من الطين، إلا أنه كائن حى عاقل ونفخ فيه مباشرة روح خالدة ومحيية، لأنه مكتوب: "ونفخ فى وجهه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية" (تك٢:٧)" جلافيرا، الكتاب الشهري، نوفمبر ٢٠٠٣، ص ١٣.

على أن يعيش في الفردوس. لكن، ولأنه كان يليق بهذا الإنسان المزيَّن والمتوَّج بالخيرات السماوية الوفيرة أن لا يُترك فيُخدع بسهولة ويسقط في الكبرياء، متجاهلاً أسلوب الخضوع للأوامر، وأن هناك ضابطاً للعبيد (لأن اقتناء المجد بسهولة كبيرة، والحرية التي بغير ضابط تقود نحو شهوة الكبرياء الملعونة)، لذلك أُعطى (للإنسان) قانونٌ لضبط النفس (الإمساك) كوسيلة أمان[1]، حتى لا يُقاد إلى تجاهل السيد، بل يكون مدعواً دائماً لتذكر ذاك الذي أعطاه الوصايا، كسيدٍ له، هكذا يعرف بكل وضوح أنه كان خاضعاً لنواميس سيده. لكن ذاك الوحش الشرير والمحارب لله، لم يهدأ.

بلاديوس: أظن أنك تقصد الشيطان الذي سقط كالبرق من أعلى السموات (لو ١٠: ١٨)، لأنه اختار التفكير الطفولي إذ أراد أن يكون إلهاً، وتخيل أنه كان يملك كل ما هو فوق طبيعته؟

كيرلس: بالصواب تكلمت. لأنه في الحقيقة، إذ هو مُبتدعٌ وأبٌ للخطية والفساد[2]، لم يُرد أن يترك الإنسان بلا منغصات، ساعياً فيما بعد بتغريراتٍ وحيل ليدفعه نحو العصيان، مستخدماً في خداعه المرأة كأداةٍ له، وهو دائماً ما يدفعنا نحو الخطية مستخدماً اللذات التي تصاحبنا وتسكن في داخلنا، والتي من بينها لذة اشتهاء المرأة. وكثيراً ما يسرع العقل -بتأثير اللذات- نحو الأمر الذي لا يريده. إذن، فما حدث مع آدم بطريقة مادية ومحسوسة، يمكن أن يحدث ذهنياً وبطريقة غير محسوسة مع كل واحد منا، حيث تظهر أمام العقل، شهوةٌ تبهره وتجذبه تدريجياً نحو الاعتقاد بأن مخالفة

١- يقول القديس إيرينيوس: "لكن لكي لا يتعاظم الإنسان ولا يهاجمه الغرور، كأن لا رب له، ولكي لا يتصور تصورات خاطئة في علاقاته مع الله، خالقه، بسبب القوة والحرية المحيطين به ويتجاوز حدوده المعينة له، ولكي لا ينزلق بسبب أفكار التعالي ويتمرد على الله، أعطى إليه ناموسٌ من الله، لكي يعلّمه أن سيده وربه، هو رب الكل. الله وضع له حدوداً معينة، حتى يمكنه أن يظل دائماً في هذه الحالة، أى غير مائت، لو حفظ وصايا الله، بينما لو ظل غير مؤمن، فسيدركه الموت وسيرجع إلى الأرض التي أخذ منها. وكانت الوصية هى: "من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت" تك ١٦:٢ - ١٧". نفس هذا التعليم نجده -في موضع آخر- عند القديس كيرلس: "ولأن هذا الإنسان الذى وصل الى مثل هذه الدرجة من المجد والسعادة، كان يجب عليه أن يعرف جيداً إن سلطان الله الملك والرب يفوق كل ما يمتلكه، وحتى لا ينزلق سريعاً بسبب امتيازاته الكثيرة إلى الاعتقاد بأنه صار حراً من سلطان الله وسموه، أعطاه الله على الفور وصية". تعليقات لامعة (جلافيرا) المرجع السابق، نوفمبر ٢٠٠٣، ص ١٣.

٢- يصف أيضاً القديس إيرينيوس هذا المخادع، قائلاً: "ولكن الإنسان لم يحفظ هذه الوصية، ولا أطاع الله، لكن خُدع من الملاك (الساقط) الذي حسده بسبب العطايا الكثيرة التي أعطاها الله للإنسان، وجلب له الدمار وجعله خاطئاً، مقنعاً إياه أن يخالف وصية الله. بنفس الطريقة، إذ صار الملاك (الساقط) بواسطة الأكاذيب أباً ومدبراً للخطية، فإنه طُرد لأنه كان مضاداً لله وصار سبباً في طرد الإنسان من الفردوس". الكرازة الرسولية ٨١:١٦.

الناموس ليست أمراً خطيراً على الإطلاق. ويؤكد على هذا تلميذ المسيح حين يقول: "لاَ يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، لأَنَّ اللَّهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ وَهُوَ لاَ يُجَرِّبُ أَحَداً. وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا انْجَذَبَ وَانْخَدَعَ مِنْ شَهْوَتِهِ. ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبِلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً، وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمُلَتْ تُنْتِجُ مَوْتاً" (يع ١: ١٣ - ١٥).

بلاديوس: وأنا أعتقد أن الافتقار إلى مواهب الله ليس شيئاً آخر إلَّا البُعد عن كل صلاح. بحيث يمكن للطبيعة البشرية أن تسقط بسهولة ويسر في مرض الانحراف والأمور غير اللائقة، إن لم تسمُ بالفضيلة وبنعمة مخلصها، وإن لم تهتم بالصالحات التي من السماء، وأيضاً بالصلاح الذي من داخل النفس ذاتها.

كيرلس: حسناً تكلمت، وأنا أتفق معك بالطبع فيما تقول. لأن الخبز الحى، أي كلمة الله يُشبعنا روحياً. لأنه مكتوب: "الخبز الحى يسند قلب الإنسان" (مز ١٠٤: ١٥). هذا (الخبز) يُحررنا من العبودية والشهوات، ويُزين نفوسنا ببهاء الحرية. لكن إن كفَّ الله يده أو توقف عن أن يمنحنا هذا الصلاح، فسوف نسقط بالضرورة في الشرور غير المرغوبة، ونفتقر إلى الفضيلة، متحملين كل ما يقع على عاتقنا بسبب فعل كل ما هو ضد الفضيلة. ونصل إلى مستوى من الشرور والطمع، للدرجة التي فيها نخاطر بفقدان الضمير الذي يعضدنا في اكتساب كل صلاح. عندئذٍ يتضح لنا أن قلب ذاك الذي سقط كان فارغاً تماماً من الحكمة الإلهية، ومُنقاداً إلى الهوان من قِبل الشيطان، خاضعاً بسهولة لوضاعته وعصيانه.

بلاديوس: هل يمكنك أن تستعرض كيف حدث كل هذا، أم أنك سوف تترك هذه الأمور تتأرجح وسط أفكار هائمة؟

تغرُّب أبرام كنموذج لانحدار الإنسان

كيرلس: بالطبع لا؛ لأني سوف أدلل على ذلك بقدر الاستطاعة، من خلال كل ما حدث للأقدمين وأعرضه بشكل مفهوم. ذلك؛ لأن كل ما سوف نتعرض له بالتأمل الدقيق من أمور هامة محسوسة ومنظورة، سوف يصبح بالنسبة لنا صوراً صافيةً وواضحةً. إذ أنه مكتوب عن أبينا إبراهيم "وَحَدَثَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ لأَنَّ الْجُوعَ فِي الأَرْضِ كَانَ شَدِيداً"



(تك ١٢: ١٠)، إبراهيم ترك أرضه المحبوبة والمولود فيها، وهاجر إلى أخرى أظهرها له الله. لأنه يقول: "اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ" (تك ١٢: ١). وعندما تفاقم الجوع مسبباً أضراراً، وكان من المستحيل أن يتجنبه، اضطر بدون إرادته، أن يذهب إلى مصر. ولم يذهب إلى هناك ليسكن على الدوام، لكنه ذهب إليها كغريب.

بلاديوس: لكن ما معنى هذا؟

كيرلس: هذا الحدثُ يُعبِّر بطريقةٍ رائعةٍ عن الأمور غير الواضحة.

بلاديوس: كيف ذلك؟

كيرلس: لقد اشتكى الله عصيان اليهود قائلاً: "هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ أُرْسِلُ جُوعاً فِي الأَرْضِ لاَ جُوعاً لِلْخُبْزِ وَلاَ عَطَشاً لِلْمَاءِ بَلْ لاِسْتِمَاعِ كَلِمَاتِ الرَّبِّ. فَيَجُولُونَ مِنْ بَحْرٍ إِلَى بَحْرٍ وَمِنَ الشِّمَالِ إِلَى الْمَشْرِقِ يَتَطَوَّحُونَ لِيَطْلُبُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ فَلاَ يَجِدُونَهَا" (عاموس ٨: ١١ - ١٢).

إذن يا صديقى، فهؤلاء الذين عانوا مثل هذا الجوع، وفقدوا نعمة الحياة في الفضيلة ولم يكن لديهم أطعمة من السماء، من فوق، هم الذين اضطروا إلى أن يُغيِّروا طريقة تفكيرهم إلى نوع من الترحال والتجوال، حيث اللهاث وراء السيئات، وإبعاد الذهن بطريقة ما عن الثبات على الدوام في الفضيلة، إذ ينحدر (الذهن) إلى نيةٍ وإرادةٍ أخرى لا تخضع لله، لكن لإرادة الشيطان. وأنا أعتقد -وهذا ما يستطيع المرء أن يدركه- أن فرعون رئيس المصريين هو صورةٌ ومثالٌ لأبي الخطية وملكها -الشيطان- الذي هو أول مَن أدخلها إلى العالم. ولم يترك طريقة لم يستخدمها ليضلل بها الناس.

بلاديوس: وما هو الأمر الذي جلب الحزن لأبرام الطوباوى، من بداية وصوله في أرض مصر؟

كيرلس: لقد حزن حزناً شديداً جداً، عندما كان على وشك أن يتعرض لأعظم شر. يمكنك أن تعرف ذلك الأمر بسهولة من الكتاب المقدس الذي يقول: "فَحَدَثَ لَمَّا دَخَلَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ رَأَوْا الْمَرْأَةَ أَنَّهَا حَسَنَةٌ جِدّاً. وَرَآهَا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ وَمَدَحُوهَا لَدَى فِرْعَوْنَ فَأُخِذَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ" (تك ١٢: ١٤ - ١٥). انتبه إذن يا صديقي كيف أنه كان على وشك أن يفقد امرأته.



بلاديوس: أمرٌ مؤسفٌ حقاً ويجلب حزناً عميقاً.

كيرلس: هذا يمكن أن يحدث لنا روحياً. كما أنه يحدث لهؤلاء الذين يتركون مسكنهم وعالمهم المحبوب جداً، وهكذا فإنهم ينحدرون إلى السيئات، خاضعين لإرادة الشيطان والقوات المضادة الشريرة التي تحاصرهم بالخوف من كل جانب وبكل طريقة، هكذا يبتعدون عن الفضيلة. لأن هذه القوات الشيطانية لو رأت شخصاً من الخاضعين لها لديه مفاهيم ثابتة وقوية، فإنها تحاول ربطه وقيده بأفكارهم، لكي يتكبل في شراكها، وبدلاً من أن يثمر لله، يزرع حسكاً للشيطان. لأنه مكتوب: "وطعامها مُسمن" (حب ١٦:١)، وكأنهم قد فتنوا عقل مَن صار أسيراً لهم، ولذلك نراه ينزلق نحو هذه الأمور الشريرة، فلا يصبو بهمة نحو الحرية، ولا يحاول تحطيم قيود العبودية.

أحياناً أخرى يجلبون للبشر ملذاتٍ أرضية ويشبعونهم من كثرة الرغبات العديمة النفع، كما حدث تماماً لأبرام الطوباوي مع رؤساء المصريين، الذين لاطفوه بكرمٍ مقدِّمين له الهدايا، قاصدين أن يبعدوا عنه الحزن العظيم، بسبب فقده رفيقة حياته، إذ أنه واضح جداً أن ما قدموه له كان بسبب سارة: "فَصَنَعَ إِلَى أَبْرَامَ خَيْراً بِسَبَبِهَا وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَالٌ" (تك ١٢:١٦). أي أن الشيطان يغرينا بالأمور الوقتية، ويحرمنا من حرية الثمر والتجديد، وبقوته الشريرة وجشعه وإباحيته ووضاعته يغوي عقولنا ويخدعنا بالتمتع بالأرضيات. وقد وصل الشيطان لدرجة من الجنون حتى أنه جرَّب المسيح نفسه. لأنه يقول: "ثُمَّ أَصْعَدَهُ إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْمَسْكُونَةِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَانِ. وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: «لَكَ أُعْطِي هَذَا السُّلْطَانَ كُلَّهُ وَمَجْدَهُنَّ لأَنَّهُ إِلَيَّ قَدْ دُفِعَ وَأَنَا أُعْطِيهِ لِمَنْ أُرِيدُ. فَإِنْ سَجَدْتَ أَمَامِي يَكُونُ لَكَ الْجَمِيعُ" (لو ٤: ٥ – ٧).

بلاديوس: معك الحق، لكن اخبرني من فضلك، هل يخرج مَن تحدث لهم مثل هذه الأمور، بفائدة ما؟

مدى مسئولية الله عن سقوط الإنسان

كيرلس: يا عزيزى إن نعمة الله لا تتخلَّى عن الذهن المصاب بالمرض جراء خداع الشيطان، لكنها تدافع عن ذاك الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه وتحرره. وهذا هو ما صار لأبي الآباء، أبرام. فعندما ضجَر البار، ولم يستطع أن يفعل شيئاً بالمرة، تدخل الله في الوسط وحرّر المرأة من إباحية المصريين؛ لأنه يقول: ”فَضَرَبَ الرَّبُّ فِرْعَوْنَ وَبَيْتَهُ ضَرَبَاتٍ عَظِيمَةً بِسَبَبِ سَارَايَ امْرَأَةِ أَبْرَامَ“ (تك ١٢: ١٧). وهكذا حَفِظَ فوراً زوجة البار من الإهانة. وبالمثل فإن الله وحده يستطيع أن يُحرر الذهن من قبضة الشيطان، بعد أن كان الشيطان قد صيّره أسيراً، ويرد الإنسان مرةً أخرى إلى كرامته ورتبته الأولى.

بلاديوس: أي أننا عندما نُحرم من الخيرات السماوية، ننحدر مرات كثيرة إلى السيئات والأمور القبيحة.

كيرلس: هذا ما أراه أنا أيضاً.

بلاديوس: لكن على أية حال، فإن الله بمحبته للبشر، لا يتركنا نسقط في أيٍّ من هذه الأمور الشريرة.

كيرلس: يا صديقي إن الله بمحبته للبشر يريد هذا ويفعله. لأن صلاحه يكون قليلاً، ومحبته للفضيلة لا تكون كثيرة، لو لم تكن هذه هي مبادرته لأجلنا. ونحن المستعبَدون لشهواتنا، نثير غضب الرب علينا، بسبب وجود فكر ضعيف في داخلنا. ألا تسمع ما نادى به بواسطة الأنبياء القديسين: ”لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَئَنَذَا جَاعِلٌ لِهَذَا الشَّعْبِ مَعْثَرَاتٍ فَيَعْثُرُ بِهَا الآبَاءُ وَالأَبْنَاءُ مَعاً. الْجَارُ وَصَاحِبُهُ يَبِيدَانِ“ (إرميا ٦: ٢١). وبولس الحكيم أيضاً يقول: ”وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ“ (رو ١: ٢٨). وهذا يقوله إشعياء العظيم بكل وضوح نائباً عن الإسرائيليين، أي الذين انزلقوا في خطاياهم: ”هَا أَنْتَ سَخَطْتَ إِذْ أَخْطَأْنَا“ (إش ٦٤: ٥).

بلاديوس: إذن، هل عندما نهمل وصايا الله الواجبة ونصير أسرى للخطية، نلقي اللوم على الله، ونشتكى من غضبه، وندّعي أننا بسبب هذا الغضب أخطأنا؟

كيرلس: بالطبع لا يمكن أن يكون الله هو المتسبب في هذا؛ وإلَّا كان ذلك غير



منطقي. لكن عندما نقول: "أَنْتَ سَخِطْتَ إِذْ أَخْطَأْنَا"، نقصد أنه إن لم يشملنا عطف الرب، فلن يكُن أمام الخطية أيُ عائقٍ يمنعها عن تعذيبنا، وذلك بسبب ضعف طبيعتنا، مما يقود إلى سيادة الشر علينا.

بلاديوس: لقد فهمت ماذا تعني.

كيرلس: إذن، عندما لا نهتم بأنفسنا، وفي نفس الوقت تغيب عنا الرحمة السماوية ونُعاقب من أجل جهلنا، وانحصارنا التام في الوضاعة، ألا يتضح لنا أننا سقماء وضعفاء؟ لأنه أيُ مرضٍ من هذه الأمراض لا نعاني منه؟ يمكنك أن ترى ذلك بسهولة وأنت تقرأ كلمات إرميا النبي. فإن شعب اليهود المتوحش، حينما أسرف بكثرة وافتخر بمكانته عند الله، وانتصر على أعدائه ووصل في النهاية إلى درجةٍ عُظمى من المجد البشرى، عصى الله جداً. وبالرغم من ادعائهم بأنهم قد صاروا أقوياء بوصايا موسى، إلَّا أن تقديرهم للناموس وصل إلى أدنى حد، مسلِّمين أنفسهم بغريزة جامحة للهلاك والدمار. فقد بنوا –أسفل شجر الظلال– مذابح، وأسَّسوا هياكل للشياطين داخل حديقة مزروعة من الأشجار، مدّعين أن هذه الأمكنة تستحق التكريم، بتقديم ذبائح حيوانية وبخور معتبرين أنها تستطيع أن تخلصهم. فأي من هذه الأمور المزيفة التي نتكلم عنها، لا تسبب الخجل؟! وإذ انحدروا إلى مثل هذه الدرجة من الجهل، اعتبروا الذبائح (المضادة لله)، فخراً لهم أمام أولادهم، ظانين أنهم بذلك يقدمون ذبائح ثمينة. غير أن عدم تقوى الإسرائيليين لم يتوقف هنا. بل تمادوا باستمرار في تهوراتهم هذه، بانزلاقاتهم المضلة نحو الأمور الغير المعقولة. ولذا فإن موسى المملوء بالصلاح قد غضب عليهم.

إذن، فبسبب محاولاتهم المارقة للتحرر من عبوديتهم لله، جَعَلَ الأعداء يتفوقون عليهم ويقودونهم إلى أسرٍ لا مناص منه، أعنى أسر البابليين والكلدانيين. فقد أتى هؤلاء من وطنهم لكي يستعبدونهم ثانيةً. وحين أشعلوا المدينة المقدسة، خَطَرَ على بال المحاربين منهم أن يسألوا النبي إرميا: أين سينتهى هذا الشر الذي يحدث؟ فقال لهما إرميا: "هَكَذَا تَقُولاَنِ لِصِدْقِيَّا: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: هَئَنَذَا أَرُدُّ أَدَوَاتِ الْحَرْبِ الَّتِي بِيَدِكُمُ الَّتِي أَنْتُمْ

مُحَارِبُونَ بِهَا مَلِكَ بَابِلَ وَالْكِلْدَانِيِّينَ الَّذِينَ يُحَاصِرُونَكُمْ خَارِجَ السُّورِ وَأَجْمَعُهُمْ فِي وَسَطِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ. وَأَنَا أُحَارِبُكُمْ بِيَدٍ مَمْدُودَةٍ وَبِذِرَاعٍ شَدِيدَةٍ وَبِغَضَبٍ وَحُمُوٍّ وَغَيْظٍ عَظِيمٍ. وَأَضْرِبُ سُكَّانَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ النَّاسَ وَالْبَهَائِمَ مَعاً. بِوَبَأٍ عَظِيمٍ يَمُوتُونَ" (إرميا ٢١: ٣ – ٦). بعد ذلك يقول: "وَتَقُولُ لِهَذَا الشَّعْبِ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ. هَئَنَذَا أَجْعَلُ أَمَامَكُمْ طَرِيقَ الْحَيَاةِ وَطَرِيقَ الْمَوْتِ. الَّذِي يُقِيمُ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ يَمُوتُ بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَإِ. وَالَّذِي يَخْرُجُ وَيَسْقُطُ إِلَى الْكِلْدَانِيِّينَ الَّذِينَ يُحَاصِرُونَكُمْ يَحْيَا وَتَصِيرُ نَفْسُهُ لَهُ غَنِيمَةً. لأَنِّي قَدْ جَعَلْتُ وَجْهِي عَلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ لِلشَّرِّ لاَ لِلْخَيْرِ يَقُولُ الرَّبُّ. لِيَدِ مَلِكِ بَابِلَ تُدْفَعُ فَيُحْرِقُهَا بِالنَّارِ" (إرميا ٢١: ٨ – ١٠). فهل أدركت إذاً، إننا عندما نُحزن الله، بمحبتنا للمجد الباطل، لا نستطيع الوقوف في مواجهة قوة الأعداء العاتية، وطالما أن الغضب الإلهي يُحاصرنا، سنصير عبيداً بدلاً من أن نكون أحراراً، وسنعيش حياة محتقرة بلا مجد.

بلاديوس: أنت تتكلم بالصواب.

ضرورة الناموس

كيرلس: إن ناموس الله يقود الإنسان المطيع إلى طريق الحياة بلا لوم، إذ يصير الناموس له نوراً، إذ يُظهر الأمور المثمرة والضرورية ويحفظه في التقوى. ويعيش –على ما أعتقد– بطريقة مَرْضية، وكأنه يسكن في مدينة مقدسة، في ثبات الفضيلة وفي يقين التقوى. لكن من يُفضّل حياة التهور، ويندفع إلى ملذات العالم ومسراته، وينغمس فيها بكل شهوته ومقدماً كل كيانه للشياطين، عندئذٍ تتركه العناية السماوية ويصير صيداً سهلاً لأولئك الذين يريدون اقتناصه. وهكذا، إذ يصير مطروداً من المدينة المقدسة، أي من فضيلته الأولى، ينقادُ –كأمرٍ لا مفر منه– لإرادة هؤلاء الأقوياء. وتتركه العناية الإلهية، متحملاً الرحيل إلى بابل، أي بعيداً عن حدود المدينة المقدسة التي يمجّد فيها اسم الله. لذلك كل مَن عانى هذا المصير القاسي، كان يصرخ صرخات عظيمة، لأنه سقط في أيدي الأعداء. ولم يتحمل الحياة بالقرب منهم، إذ كانت حياة عبيد: "على أنهار بابل هناك جلسنا بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون" (مز ١٣٦: ١). وأعتقد –بالحق– أن العقل البشرى يُعاني مثل هذا الأمر.

بلاديوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: مع أن الإنسان يميل دائماً للكسل، مع رغبته المستمرة في طلب الخيرات التي في متناول يديه، إلَّا أنه لا يرغب كثيراً في تلك الأمور التي يمكن أن تستعبده. ولكن إن حدث أن جذبته أيٌّ من تلك الأمور وهُزم من بريقها، فإنه سوف يشعر تلقائياً بالمعاناة مما كان يجب عليه أن يقاومه بكل قوة، حتى لو افترضنا أنه أثناء مقاومة هذا الهجوم لم تكن له الخبرة العملية في هذا الأمر.

بلاديوس: هذا حقيقى.

كيرلس: إذاً هو أمرٌ ضرورى ومثال للحكمة، ومن الأمور الأكثر فاعلية، أن تُمنَع بالحري دوافع الشر، وكل ما يؤدي إلى تلك العبودية المسيطرة، ونحاول أن نَصُدَّ في الحال كل هذه الأمور التي إن سقطنا فيها، فسوف تحاصرنا كل أنواع الشرور.

بلاديوس: هذا صحيح.

كيرلس: ولو لم يكن نير العبودية القاسي قد وُضع علينا كغضب من الله (على عصياننا)، ولو لم يكن لذهننا أية خبرة، لما كان من السهل (فى هذه الحالة) أن يكون لنا قدرة على المقاومة. وكان من المفيد لنا –ولو في ذاكرتنا فقط– أن نتساءل: ما هي الحالة التي كنّا عليها، وإلى أية حالة تحولنا، ولكننا سنحزن بمرارة لعدم تيقظنا وغياب المعونة السماوية "لأَنَّ الْحُزْنَ الَّذِي بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يُنْشِئُ تَوْبَةًلِخَلاَصٍ بِلاَ نَدَامَةٍ، وَأَمَّا حُزْنُ الْعَالَمِ فَيُنْشِئُ مَوْتاً" (٢ كو ٧: ١٠). لكن عندما لا يكون الغضب الإلهي محلقاً فوقنا، ويكون لدينا إمكانية اختيار أن نفعل ما يروق لنا، وتكون لدينا أيضاً القدرة على الميل تجاه الاثنين، أقصد تجاه الشر وتجاه الصلاح بكل حرية تامة خلواً من القهر والاجبار، يجب علينا أن نتحاشى بكل شجاعة حياة الترف كما يجب، وأن يستمر رفضنا للملذات التي يغرينا بها الأعداء، وبالتالى يمكننا أن نهرب من قبضة أولئك الذين يقولون إنهم رؤساء هذا العالم. أمَّا مَن يتمسك بأمور هذا العالم الحاضر، فسوف ينتهى حتماً إلى نهاية رديئة وسيئة.

بلاديوس: كيف تقول هذا؟



كيرلس: أتريد أن ندعِّم حديثنا بأمثلة من القدماء؟

بلاديوس: نعم ويا حبذا.

نزول أبناء يعقوب إلى مصر كنموذج للسقوط

كيرلس: عندما عانى سكان الأرض من الجوع كما هو مكتوب، فكر أبناء يعقوب في النزول إلى مصر، كان عددهم عشرة شباب وكان هدفهم شراء طعام فقط. ولكن بعد وصولهم إلى أرض مصر، تعرَّفوا على أخيهم (يوسف): كان يوسف حينئذاك هو المسئول عن الأطعمة ومدبِّراً لمصر. وعندما علم فرعون ذلك قال ليوسف: ''قُلْ لإِخْوَتِكَ: افْعَلُوا هَذَا. حَمِّلُوا دَوَابَّكُمْ وَانْطَلِقُوا اذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. وَخُذُوا أَبَاكُمْ وَبُيُوتَكُمْ وَتعَالُوا إِلَيَّ. فَأُعْطِيَكُمْ خَيْرَاتِ أَرْضِ مِصْرَ وَتَأْكُلُوا دَسَمَ الأَرْضِ. فَأَنْتَ قَدْ أُمِرْتَ. افْعَلُوا هَذَا. خُذُوا لَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ عَجَلاَتٍ لأَوْلاَدِكُمْ وَنِسَائِكُمْ وَاحْمِلُوا أَبَاكُمْ وَتعَالُوا. وَلاَ تَحْزَنْ عُيُونُكُمْ عَلَى أَثَاثِكُمْ لأَنَّ خَيْرَاتِ جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ لَكُمْ'' (تك ٤٥: ١٧ – ٢٠). لقد وعدهم رئيس مصر بالراحة والخيرات العظيمة الوفيرة. لقد منحهم مركبات، جاعلاً بذلك النزول إلى مصر أمراً جذاباً حتى للمترددين منهم. فنزل هؤلاء فوراً بكل عائلاتهم مفضّلين الاستمتاع الوقتى بالأطعمة على الوطن والأرض التي منحها الله لهم. لأنه بالتأكيد كان من الأفضل أن تُستغل تلك الأرض بدلاً من الحصول على خيرات من أرض مصر بمشقة قليلة. وعند وصولهم إلى مصر، ظنوا أنهم سوف يتخلصون من متاعب الوطن، لذا كانت سعادتهم فقط في التمتع بالمباهج الوقتية. وبمرور الوقت ومع المعاناة من العبودية، بدأت هذه الجماعة النبيلة الحرة منذ القِدم، تتأوه تحت هذا النير. إذاً، إن كانت الرفاهية الدنيوية سوف تقودك إلى السيئات فيجب عليك أن تتجنبها يا صديقي؛ إذ أن الحياة في الحرية تتوقف على اختيارنا، بينما العبودية لها متاعبها في العمل والسلوك.

بلاديوس: لقد أحسنت القول.

كيرلس: أشكرك، لكن علينا أن نتحدث –بجانب كل ما ذكرته– عن ذلك، الذي يبدو لي ذو فائدة عظيمة.

بلاديوس: تُرى ما هو؟

كيرلس: إن ربشاقي البابلى، جندي الأشوريين، قاد جماعة جنود لا تحصى، وذهب لكي يحاصر المدينة المقدسة، متوقعاً أنه بسهولة سوف يحرق المدينة من أساسها، وقبل أن يستخدم أسلحته عاب في الذات الإلهية كما اعتاد دائماً، وهذا أمر معتاد بالنسبة له. وأعلن للمرة الأخيرة لسكان المدينة المقدسة: كل هذه الأمور يقولها ملك الأشوريين: ”اعْقِدُوا مَعِي صُلْحاً وَاخْرُجُوا إِلَيَّ، وَكُلُوا كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْ جَفْنَتِهِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ تِينَتِهِ وَاشْرَبُوا كُلٌّ وَاحِدٍ مَاءَ بِئْرِهِ. حَتَّى آتِيَ وَآخُذَكُمْ إِلَى أَرْضٍ كَأَرْضِكُمْ، أَرْضَ حِنْطَةٍ وَخَمْرٍ، أَرْضَ خُبْزٍ وَكُرُومٍ، أَرْضَ زَيْتُونٍ وَعَسَلٍ وَاحْيُوا وَلاَ تَمُوتُوا. وَلاَ تَسْمَعُوا لِحَزَقِيَّا لأَنَّهُ يَغُرُّكُمْ قَائِلاً: الرَّبُّ يُنْقِذُنَا“ (٢ ملوك ١٨: ٣١ – ٣٢). لاحظ أنه يَعِد بالملاطفة في المعاملة والتمتع بالكَرْمِ والتين ويضيف ”وستشربون ماءً من بئركم“.

بلاديوس: لكن لو فحصنا هذه الأمور بالمفهوم الروحى، ماذا تعني بالنسبة لنا؟

كيف تتمكن منا قوى الشَّر؟

كيرلس: أعتقد أن قوة الشر تتمكن منا بطريقتين: إمَّا بالملذات الخارجية، أو بالغرائز المغروسة فينا. المتساهلون مع الخطية مقتنعون بها من ذواتهم. أمَّا الذين تغويهم من الخارج، فإنهم ينقادون إلى المتعة فيُقبض عليهم منزلقين إلى أمورٍ أكثر سوء. وعن ذلك يتحدث تلميذ المخلص حين يقول: ”لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ“ (١ يو ٢: ١٦)، ولأن شهوة الجسد هي شهوة فطرية ومتجذرة داخلنا ودائمة، لهذا فإن بولس العظيم يسميها ”ناموس الخطية“ (رو ٧: ٢٣)، الذي يسكن في أعضائنا. أمَّا شهوة العيون، فهى المباهج والملذات الخارجية وكل ما يُرى بالعين. أي أن الناس تُعجب بالغنى الذي تراه بالعيون والملابس الحسنة والأشياء الأخرى التي يتمسك بها البعض، بسبب جلبها للسرور العظيم المزيَّف الذي يهتمون به اهتماماً كبيراً. لذلك فإن أوراق الكرمة والتين هي مثالٌ للمباهج الخارجية والمكتسبة والاستمتاع بكل الأشياء التي في العالم، وهى تعطي بطبيعتها دليلاً قاطعاً على أنها لذة وقتية

وقصيرة الأجل. والأمر الذي يبدو حلواً، يصاحبه أمرٌ آخر يجلب عادةً ظلمةً للنفس. ذلك لأن الاستمتاع بالعالم -عموماً- يكون له مذاق وقتى حلو، لكنه يُخيِّم بظلامه المخيف وسطوته المميتة على النفس التي تمارسه.
"المنبع" -في هذا النص- يشير إلى غرائزنا وأهوائنا الداخلية، التي لا تحدث من الخارج، مثل شهوة العين، لكنها تصدر من داخلنا، وتنساب من جسدنا نفسه. إذاً الأهواء الجسدية والأهواء التي تأتي من الخارج، تجلبان علينا حروب القوات الشريرة، وذلك بمشاركتنا الإرادية لها والاستمتاع بها. وعلى ذلك، فلو هجرنا فضيلة ضبط النفس والتى هي كالمدينة المقدسة، وذهبنا إلى ربشاقى ملك بابل الذي وعدهم بالسعادة لهم، وهو مثالٌ للشيطان، الذي يَعِد بإعطاء السعادة أيضاً، لَسقطنا حتماً في العبودية، مثل أولئك الذين رفضوا التفكير بطريقة حسنة، وأدركوا أن اختيار الشهوات العالمية سيتبعه على كل حال سقوط في تلك العبودية الحتمية، وبالتالى البقاء في زمرة المستعبدين.

بلاديوس: لقد أصبت. لكن ما هو الحل المقبول؟ أجبني بوضوح بقدر ما تستطيع.

كيرلس: هل هناك حلٌّ آخر سوى ذاك الحل المغاير للأول؟ لأننا؛ إذ انزلقنا إلى شهوة الحياة في الرذيلة بميل إرادتنا الخاصة، واضعين جانباً كرامة المدينة التي بلا لوم، وسقطنا في الذهن المبتذَل والمستعبَد، واضعين أفكارنا في الأرضيات فقط، وملتصقين بالكامل بملذات الجسد؛ لذلك سمح الله بسقوطنا، وأسلمنا إلى ذهن مرفوض.

بلاديوس: بناءً على ذلك، فإنه من الضرورى أن نرجع ثانيةً إلى الفضيلة.

كيرلس: بدون إبطاء يا صديقى، غير مشتهين بعد حياة العالم، كما قال بولس الرسول: "لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ" (كو ٣:٣). لأننا متعطشون لكتابة أسمائنا في السماء، جاعلين وطننا ومدينتنا في السماوات، صارخين بقوة إلى الله: "لا تعاقبني لأني غريب في الأرض مثل كل آبائي" (أنظر مز ٣٨: ١٤ - ١٥). لأن هذا الذي يعيش هنا على الأرض، وله مدينة ذات بهاء في السموات، يبدو غريباً ونزيلاً بالنسبة لأهل العالم. لذلك فإن تلميذ المخلص، بطرس يعلِّمنا أن نسلك في هذا الأمر هكذا،

إذ يقول لنا: ''أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ كَغُرَبَاءَ وَنُزَلاَءَ أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الشَّهَوَاتِ الْجَسَدِيَّةِ الَّتِي تُحَارِبُ النَّفْسَ'' (١ بط ٢: ١١).

بلاديوس: بالتالى، فإن مثل هذا النوع من الاستعداد كافٍ لاقتناء الفضيلة، أعني صد الشهوات الجسدية.

كيرلس: نعم، إن كان هذا الاستعداد يُكتسب بالحكمة والعمل الروحى. لأنه مكتوب ''أمَّا وصيتك فواسعة جداً'' (مز ١١٩: ٩٦). لذا فإني أتصور أنه كان باستطاعتي أن أتحدث في الأمور التي تطهِّر النفس والجسد، بدلاً من تلك الأمور التي تلوثهما، وذلك بنفس القوة والفاعلية.

بلاديوس: بالصواب تتكلم.

كيرلس: تماماً، فكما أن التلوث يصيب كلاً من النفس والجسد، هكذا يكون التطهير شيئاً سهلاً لكل من النفس والجسد أيضاً. أمَّا أن يكون حب الحياة العالمية غريباً بالنسبة لهؤلاء الأتقياء الذين يشعرون بغربتهم تجاهه، فمن المفيد لهم ألَّا يواجهوا هذا الحب برخاوة. ولو طلب أحدٌ مثالاً، فليأخذ إبراهيم مثالاً لهذا الأمر، إذ قال الله له: ''اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ'' (تك ١٢: ١ – ٣). هل انتبهت إلى إنه لم يأمره بأن يرحل عن الأرض والوطن فقط، ولكن عن أهله وعشيرته وعن بيت أبيه، ويذهب إلى الأرض التي سوف يريه إياها؟

بلاديوس: ماذا يعنى هذا؟

كيرلس: بعد كل ما سبق إيضاحه، هل يمكن أن يكون من غير الواضح أن الله عندما يدعو أناساً لكي يتبعوه روحياً، فإنه يريد أن يبعدهم عن حياة العالم، وعن حياة الملذات وحُب الجسد؟ هؤلاء أراد الله أن يكرمهم، فهل هناك شيء أفضل من هذا؟ فليتصاغر إذاً أمام عيوننا، الوطن والعشيرة والبيت العائلى والتكالب على الخيرات الأرضية. لذلك دعانا مخلصنا نفسه أن نُظهر صلابةً مماثلةً قائلاً: ''مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمّاً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي وَمَنْ أَحَبَّ ابْناً أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي. وَمَنْ لاَ يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي فَلاَ



يَسْتَحِقُّنِي'' (مت ١: ٣٧ - ٣٨)، ويضيف قائلاً: ''وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَباً أَوْ أُمّاً أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَداً أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ'' (مت ١٩:٢٩). هل تماريءَ في أن هذا الأمر هو نتيجة فاعلية قوة المسيح، لا نتيجة الصلابة الفائقة؟ أَوَلا تعتقد أن حب الأب والأم والوطن أمرٌ عديم النفع، بينما تبعية المسيح هي أمرٌ واجبٌ وضروري؟

بلاديوس: بالتأكيد أقبل هذا، لأن أولئك الذين دُعوا إلى الاحتفال بالعرس بالفعل ابتعدوا عن الرجاء الحسن وعن نعمة المسيح، إذ رفضوا الذهاب، فقد قال واحد من هؤلاء: ''تزوجت امرأةً ولم أستطع أن آتي'' (لو ١٤:٢٠)، والآخر قال: ''اشتريت حقلاً'' (مت ١٩:١٨). وهكذا أُعتبرت الأمور الوقتية أسمى من الدعوة إلى العرس.

تدبير الخلاص

كيرلس: حسناً يا بلاديوس، لقد أسعدتني إذ قلت الصواب. بسبب عطشك للتعلم تتقدم كثيراً وبنجاح في فهم مغزى كلامي. انتبه، فإن أولئك الذين يتبعون الله بكافة الطرق، واضعين الجسديات والاستمتاع العالمي (في مرتبة) بعد الرجاء في المسيح، هؤلاء سوف ينالون التمتع بالنعم والبركات السماوية. واسمع ماذا يقول لابرآم؟ ''سأجعلك أمة عظيمة وسأباركك'' (تك ١٢:٢)، معطياً إياه كل ما يتعلق بهذا الوعد.

أرأيت إذاً كم هو مقدار الخيرات الروحية المذخّرة له؟ أليس من الجدير أن نرى ونعرف بأية طريقة خرج أبرام من الأرض التي وُلد فيها؟ إذ يقول: ''فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ امْرَأَتَهُ وَلُوطاً ابْنَ أَخِيهِ وَكُلَّ مُقْتَنَيَاتِهِمَا الَّتِي اقْتَنَيَا وَالنُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ. وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. وَاجْتَازَ أَبْرَامُ فِي الأَرْضِ إِلَى مَكَانِ شَكِيمَ إِلَى بَلُّوطَةِ مُورَةَ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الأَرْضِ'' (تك ١٢: ٥ - ٦). لقد خرج من حاران دون أن يترك أثراً خلفه، ومعه كل عشيرته وأهل بيته. انتقل مستعداً ومُجهزاً للرحيل إلى أرض كنعان التي أراها الله له. ثم بعد ذلك اخترق الأرض بطولها وأتى إلى أرض جبلية عالية. وهكذا فإن مَن أراد أن يتبع التعاليم الإلهية بإيمان ويكون مستحقاً

للدعوة السماوية، متمتعاً بعناية الله الفائقة، فليخرج تماماً من حياة الملذات العالمية، كأنه يخرج مع كل عشيرته دون أن يترك أية بقية من الاهتمام الذي كان لديه من قبل. إذ بهذه الطريقة يكون هروبه هروباً حسناً، إذ قد دُعي من الله. وكما كتب بولس الطوباوى، يمكنه أن يدرك، مع كل القديسين ما هو العرض والطول والعلو والعمق لسر المسيح. وعندئذٍ سوف يُسرع جداً نحو الأرض العالية المرتفعة، أي المؤسَّسة على الفضائل، إذ لا شيء يسقطها في محبة الجسد. ولكن عندما وصل أبرام إلى هذا المكان، ماذا وجد من صالحات؟ هذا ما سوف نعرفه من نفس الكتب المقدسة؛ لأنه يقول: ''وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ: ''لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الأَرْضَ''. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ'' (تك ١٢: ٧). ففي وطنه أُعطِيَ له الأمر النافع الوحيد، أنه يجب أن ينتقل إلى أرضٍ أخرى، مهاجراً من وطنه. لكن عندما وصل إلى أرض كنعان ومعه كل عائلته واحتياجاته، وصعد إلى الأرض المقدسة، أُعطيت له نعمة الرؤية الإلهية وثقة الرجاء في الحرية الثابتة، ثم التصريح له بعد ذلك ببناء مذبح.

ونحن أيضاً، وللسبب نفسه، لن تكون لنا أية نعمة من الله لو بقينا داخل العالم وفي ملذاته المقزِّزة. أمَّا عندما نُدعى من الله ونطيع الأوامر الإلهية، صاعدين كأنما إلى أرضٍ عاليةٍ، إلى الشوق والرغبة في كل صلاح، يضع الله داخلنا معرفة المجد ذاته الذي له، ويَعِدنا بالرجاء الثابت. هكذا يجعل ذهننا مهيئاً لكي نستطيع أن نقدم ذبائح روحية (١ بط ٣:٥)، ونصير رائحة المسيح الذكية لله الآب بحسب المكتوب (٢ كو ٢:١٥)، وهكذا نقدم له جسدنا ذبيحةً حيةً ومرضية إلى الله، العبادة العقلية والروحية؛ لأنه يقبل بفرح كل صور عبادتنا الروحية معتبراً إياها ذبائح روحية (رو ١٢:١).

بلاديوس: إذاً يجب أن ننتقل إلى حياة أفضل تاركين الحياة السيئة، ونقبل الدعوة السماوية بفرحٍ فائقٍ على قدر ما نستطيع، لتتميم كل ما هو مُكَرَّم في الناموس، لأنه سيكون من الخطأ تماماً، أن نسعى ونسلك نحو السماويات ثم نعود ثانيةً إلى الأمور الشريرة المعتادة.

كيرلس: بالتأكيد يا صديقي؛ لأنه رهيبٌ جداً أن يخضع المرء ثانيةً بإرادته للمرض



الذي تخلَّص منه. لأن أولئك الذين ابتعدوا مرةً، يتعرضون للخطر بمجرد التفاهم نحو هذه الحياة، متذكرين ثانيةً أخطاءهم فيها ومحولين أذهاهم إلى تلك الأمور التي كانوا يحبونها من قبل. لذلك يتوسل صاحب المزمور قائلاً: "حوّل عينيَّ عن النظر إلى الباطل وفي طريقك أحيني" (مز ١٣٩: ٣٧). وفي الحقيقة إن التمسك بشدة بشكل من أشكال هذه الحياة، والاستمتاع بالأمور الوقتية لَهو أمرٌ باطلٌ، ويجب أن نكون منفصلين عنه ونتجنبه، ومَن اتخذ قراراً بالفعل للسلوك في الطريق المستقيم-الأمر الذي يستطيع المرء أن يتعلمه- عليه أن يتجنب شهوة الأمور العالمية، حتى ولو بالذهن.

بلاديوس: مِمَّ على وجه التحديد؟

لوط كنموذج لعناية الله بالقديسين

كيرلس: إن سكان سدوم وهم منجرفون بعنف جنوني نحو الملذات الغير طبيعية، أهانوا ناموس الجماع (التزاوج) الذي حددته الطبيعة كطريقة لإنجاب البنين، وصاروا منجذبين إلى جمال الصبيان. وبعملهم هذا، أتظن أن هناك أمراً غير شرعي لم يفعلوه؟ لقد جلبوا الغضب على أنفسهم، وبطريقةٍ ما، دفعوا الخالق ليُسرع في إدانتهم، بالرغم من كونه بالطبع محباً للبشر. وعندما جاءت اللحظة التي كان يجب فيها أن يعاقَبوا، بعدما صبر الله عليهم صبراً عظيماً، دخل إلى سدوم أولئك الذين كُلِّفوا أن يتمموا مهمة العقاب. إذ مكتوب: "فَجَاءَ الْمَلاَكَانِ إِلَى سَدُومَ مَسَاءً وَكَانَ لُوطٌ جَالِساً فِي بَابِ سَدُومَ. فَلَمَّا رَآهُمَا لُوطٌ قَامَ لِاسْتِقْبَالِهِمَا وَسَجَدَ بِوَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ. وَقَالَ: "يَا سَيِّدَيَّ مِيلاَ إِلَى بَيْتِ عَبْدِكُمَا وَبِيتَا وَاغْسِلاَ أَرْجُلَكُمَا ثُمَّ تُبَكِّرَانِ وَتَذْهَبَانِ فِي طَرِيقِكُمَا". فَقَالاَ: "لاَ بَلْ فِي السَّاحَةِ نَبِيتُ". فَأَلَحَّ عَلَيْهِمَا جِدّاً فَمَالاَ إِلَيْهِ وَدَخَلاَ بَيْتَهُ فَصَنَعَ لَهُمَا ضِيَافَةً وَخَبَزَ فَطِيراً فَأَكَلاَ" (تك ١٩: ١ – ٣). وهنا نجد أن لوطاً الذي كان قريباً لإبراهيم، وقد تغذَّى بالنواميس السليمة، تمم -بغيرةٍ عظيمةٍ- واجب التقوى نحو الله، ومع أنه سكن في سدوم، كان بالنسبة لهم غريباً، فهو من حيث المولد من أُمٍّ أخرى، وهو أيضاً مختلفٌ عنهم من حيث أسلوب الحياة. وفق ما كُتب: "وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟ وَأَيُّ



اتِّفَاقٍ لِلْمَسِيحِ مَعَ بَلِيعَالَ؟ وَأَيُّ نَصِيبٍ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ؟'' (٢ كو ٦: ١٤ - ١٥). لقد تغلب لوط على عيوب ذلك المكان الذي كانت تسرى فيه حياة العالم المعتادة، وأعطى مثالاً لحفظ ناموس إضافة الغرباء، إذ أكرم الكل، واستقبل وهو في مدخل المدينة أولئك الذين قَدِموا نحوه متيقناً أن الله سَيُسرّ بعمله هذا. إذاً عندما أتى الملاكان اللذان جاءا لعقاب أولئك الذين كانوا يمارسون الإباحية مثل الكلاب المسعورة، خرج مسرعاً لاستقبالهم، معبّراً بذلك بكل وضوح عن المودة التي بداخله، فسجد أمامهم حتى الأرض، ودعاهم للذهاب إلى البيت حتى يعتني بهما وفق نواميس المحبة. وعندما قالا له: ''لاَ بَلْ فِي السَّاحَةِ نَبِيتُ''، أفصحا بهذا أنهما كانا غريبين بلا مأوى، وبهذا شجعا لوط على استضافتهما. وبذلك أعلنا أيضاً وبطريقة حسنة أنه لا يجب أن يتركهما طالما لم يكن لديهما مأوى، بل كانا في العراء. هذا ما قد فهمه هذا البار، ولأجل ذلك، تمسَّك بدعوته لهما وبإلحاح، ولم يجد مبرراً لرفضهما وما أبدياه من نية عدم الاستعداد للمبيت. أخذهما إذاً إلى بيته، وقدم لهما فطيراً وأعدَّ مائدةً لكي يأكلا ويشربا. هذا بالتأكيد ما فعله البار، لكن أهل سدوم الذين طغت عليهم اللا إنسانية واللذة المقزِّزة، أخذوا يحومون -برغبات دنيئة- حول بيت البار، متجاوزين أقصى حدود الشر، إذا طلبوا السماح لهم بأن يفعلوا معهما حسب عاداتهم الشريرة. وبينما كان يجب أن يختاروا فضيلة محبة الغرباء، أرادوا أن يفعلوا بهما شراً بسفاهةٍ تتخطى الحدود الطبيعية. وإذ حاول لوط أن يثنيهم عن مقاصدهم البشعة، أرادوا أن يجردوه ويقتلوه فوراً، لولا أنه كان هناك مَن أنقذه. لأنه مكتوب: ''فَقَالُوا: ''ابْعُدْ إِلَى هُنَاكَ''. ثُمَّ قَالُوا: ''جَاءَ هَذَا الإِنْسَانُ لِيَتَغَرَّبَ وَهُوَ يَحْكُمُ حُكْماً. الآنَ نَفْعَلُ بِكَ شَرّاً أَكْثَرَ مِنْهُمَا''. فَأَلَحُّوا عَلَى لُوطٍ جِدّاً وَتَقَدَّمُوا لِيُكَسِّرُوا الْبَابَ. فَمَدَّ الرَّجُلاَنِ أَيْدِيَهُمَا وَأَدْخَلاَ لُوطاً إِلَيْهِمَا إِلَى الْبَيْتِ وَأَغْلَقَا الْبَابَ. وَأَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ فَضَرَبَاهُمْ بِالْعَمَى مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ فَعَجِزُوا عَنْ أَنْ يَجِدُوا الْبَابَ'' (تك ١٩: ٩ - ١١). غير أن مساعدتهما له لم تقتصر فقط على هذا؛ لأنه مكتوب بعد ذلك: ''وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ كَانَ الْمَلاَكَانِ يُعَجِّلاَنِ لُوطاً قَائِلَيْنِ: ''قُمْ خُذِ امْرَأَتَكَ وَابْنَتَيْكَ الْمَوْجُودَتَيْنِ لِئَلَّا تَهْلَكَ بِإِثْمِ الْمَدِينَةِ''. وَلَمَّا تَوَانَى أَمْسَكَ الرَّجُلاَنِ بِيَدِهِ وَبِيَدِ



امْرَأَتِهِ وَبِيَدِ ابْنَتَيْهِ لِشَفَقَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ وَأَخْرَجَاهُ وَوَضَعَاهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ'' (تك ١٩: ١٥ - ١٦). وما حدث هو دليل واضح جداً لك، إذ أن الله لا يشجعنا بالكلام فقط. وعندما نتوسل إليه لكي نتجنب الخطية، فإن مخلص الجميع يصل إلى هذه الدرجة من الجود والطيبة والكرم تجاهنا، لدرجة أنه يُعطينا يده الممدودة إلينا حسب ما تقول الآية: ''ولكنى دائماً معك. أمسكت بيدي اليُمنى'' (مز ٧٣:٢٣). فبسبب أن الطبيعة الإنسانية ليست قوية بالكفاية، ولا تملك قدرات كافية تمكِّنها من أن تتجنب الشر، فقد صار الله شريكاً معها في الجهاد. ونرى أنه يمنحنا نعمةً مزدوجةً، فيحاول أن يقنع النفس بالشرائع، ويمهد لها الطرق التي تساعدها، مانحاً إياها المقدرة على الانتصار على الشر الذي يعطلها ويميتها. ويمكنك أن ترى مدى واقعية هذا الأمر؛ لأن أولئك العاملين بالبر، هم قليلون، وأن الرجال الصالحين نادرون في هذه الحياة. لأنه مكتوب: ''أما الرجل الأمين فمن يجده'' (أمثال ٢٠: ٦). لكن هذا الإنسان الأمين هو مختار وجدير بكل رعاية. وبالرغم من أنه يحيا داخل العالم مع الآخرين، لكنه لا يُصاب بضرر من هذا العالم. فهو يُختطف من داخل الأشواك مثل السوسن. وبحسب شهادة القديسين، فإن البار لا يمكن أن يهلك مع الأثمة.

بلاديوس: بناءً على ذلك، فإن الله يشفق علينا، والملائكة والقديسون يُسرعون نحونا. وسوف نتخلص من شهواتنا الدنيئة، وسوف ننجح ولن نقع أسرى لانتقام الأشرار بأية حال من الأحوال، إذ نؤمن بالله الذي ينادى بفم نبيه: ''لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الْمُمْسِكُ بِيَمِينِكَ الْقَائِلُ لَكَ: لاَ تَخَفْ. أَنَا أُعِينُكَ». لاَ تَخَفْ يَا دُودَةَ يَعْقُوبَ يَا شِرْذِمَةَ إِسْرَائِيلَ. أَنَا أُعِينُكَ يَقُولُ الرَّبُّ وَفَادِيكَ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ'' (أش ٤١: ١٣ - ١٤).

كيرلس: ألا تكفي يد الملاك التي سندت لوط، لتبرهن على أن الله ضابط الكل هو معين القديسين؟ من الممكن اعتبار الملائكة مثالاً لله. فأولئك الذين اقتربوا من إبراهيم قديماً عند بلوطات ممرا كانوا ثلاثة، واللذان زارا سدوم كانا اثنين[1]. ومن كلام المخلص نفسه نعلم أن ''الآب لا يدين أحداً''، بل ''أعطى كل الدينونة إلى الابن''، فواضح أن الابن كائنٌ مع الآب،

١- الثلاثة يشيرون إلى الآب والابن والروح القدس، والملاكان يشيران إلى الآب والابن.

ومن الطبيعي أن الروح القدس كائنٌ معهما.

بلاديوس: إن تفكيرك في هذا الأمر حسنٌ جداً، دعنا نستكمل، لو وافقتني، بقية الحديث.

كيرلس: لا توجد أية مشقة. سأقول لك فوراً. مكتوب أنه ''وَكَانَ لَمَّا أَخْرَجَاهُمْ إِلَى خَارِجٍ أَنَّهُ قَالَ: ''اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ. لاَ تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ وَلاَ تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ. اهْرُبْ إِلَى الْجَبَلِ لِئَلاَّ تَهْلِكَ'' (تك ١٩:١٧). عندما يقول الكتاب: ''اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ''، فإنه يقصد على ما أعتقد، تماماً هذا الذي يقال: ''احْفَظْ نَفْسَكَ طَاهِراً وَلاَ تَشْتَرِكْ فِي خَطَايَا الآخَرِينَ'' (١ تيمو ٥:٢٢). وانتصر على كل معوقات العالم لأنه ولا كل العالم يمكن أن يُعطى بدلاً عن النفس؛ ''لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟'' (مت ١٦:٢٦). هذا، وما يقال إن خطواتنا يجب ألَّا ترجع إلى الوراء، ربما يعني أن لا نرجع إلى الدناءة وألَّا يكون لنا فكر أولئك الذين سيُدانون بالنار، بسبب ضعفهم في ضبط النفس، لأنه يقول: ''لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ'' (لو ٩:٦٢). يجب أن نُصِرّ على السلوك في طريق الخلاص، ولا ننشغل بأي شيء آخر بإرادتنا، ولا يتملكنا عقلٌ هوائيٌّ مندفعٌ نحو شهوات عالمية خيالية تافهة، بل عقلٌ راجحٌ متيقظٌ يهتم دائماً بالنظر إلى الأمام. وأقول ما هو أعظم، لم يقل له الملاك يجب أن تسير دون أن تلتفت للوراء فقط، لكنه أضاف نصيحة مفيدة بقوله: ''لاَ تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ. اهْرُبْ إِلَى الْجَبَلِ لِئَلاَّ تَهْلِكَ''.

بلاديوس: وماذا يقصد بقوله: ''لا تقف في كل الدائرة''؟

كيرلس: أعتقد أنه أراد أن يبين الخمول والكسل نحو الالتزام بتجنب الشر، الشر الذي هو بالتأكيد اختيار خاطئ وقاتل للنفس.

بلاديوس: اخبرني كيف؟

حرية الاختيار ومصير الإنسان

كيرلس: تقول الكلمة النبوية: ''مَلْعُونٌ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلَ الرَّبِّ بِرِخَاوَة'' (إرميا ٤٨:١٠). ويقول بولس العظيم في موضع ما: ''أركضوا لكي تنالوا'' (١ كو ٩:٢٤).

فكوننا لا نريد أن نُظهر بأساً شديداً، أو أن نكون غير مهتمين بالابتعاد عن السيئات، وكون أن العقل لا يريد أن ينقطع عن الأشياء العتيقة، أو يبتعد بطريقة ما عن كل دناءة، أو يتردد في فعل ما هو نافع، كل هذا لا يعني شيئاً آخر سوى أن الشخص يتوقف بإرادته في دائرة الشر، في الوقت الذي كان يجب عليه فيه أن يخرج مُسرعاً. وهناك أمرٌ آخر يمكن أن يحدث، وهو أنه قبل أن نخرج من دائرة الشر، وبينما نحن نفكر فيما نفعله بخصوص خروجنا من هذه الدائرة، فإننا نؤجِّل خروجنا هذا، وبذلك نسبب لأنفسنا الإدانة، إذ أننا لم نُطهِّر أنفسنا، ولم نتطهَّر من التلوث الذي أصاب نفوسنا بسبب رخاوتنا القديمة، ولم نُلقِ عن كاهلنا انحلالنا وثقل جرائمنا، ولم ندخل تحت النير الخلاصي لكي يريحنا المسيح. إذاً فهذه النصيحة "لا تقف في أي مكان في الدائرة" هي نصيحةٌ حسنةٌ جداً، وهى تعني ألَّا تبقى في أية حالة دنيئة، أو أي موقف يجعلك أسيراً، لكن بالحري اصعد إلى حياة فائقة مشرقة، وكأنك صاعدٌ إلى جبل عالٍ، فتلك الحياة ليس بها أية وضاعة، بل تتميز بالفضائل السامية والفائقة، وبهذا تتخلص من السلوك المشين، أي الأرضي والجسدي. لأنه يقول: "أقوياء الله يرتفعون في الأعالي عن تدبير الذين على الأرض" (مز ٤٦: ١٠). لأن السلوك اللائق بالقديسين هو سلوكٌ سامٍ جداً عن الأرضيات "النسور تطير في الأعالي" (أيوب ٣٨: ٤). وبحسب المكتوب، فإن حياتهم تنمو، وكأنها على "الجبل" في السماء، ويعتبرون وطنهم السماوي مِلكاً لهم. ويكتب أيضاً بولس في موضع ما "أطلبوا السماويات وليس الأرضيات" (أنظر كولوسى ٣: ٢).

بلاديوس: إذاً يمكننا أن نفهم أن كلمة "الجبل" إنما تعبِّر عن حياة القداسة، والارتقاء نحو سماويات الحياة العظيمة، بينما كلمة "أسفل" تعني طريقة الحياة الغير الطاهرة التي تميل إلى الخطية والأمور الأرضية.

كيرلس: حسناً تقول، لأن هذا هو بالضبط ما قصدته من حديثنا. غير أن ما سوف أقوله لك الآن، هو أمرٌ جدير بالاعتبار.

بلاديوس: ما هو؟

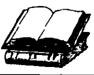
كيرلس: قال الملاك الطوباوي إن لوطاً كان عليه أن يصعد إلى الجبل مُسرعاً دون أن يتأخر ودون أن ينظر إلى الوراء. لكن لوطاً توسل إليه قائلاً: ''هُوَذَا عَبْدُكَ قَدْ وَجَدَ نِعْمَةًفِي عَيْنَيْكَ وَعَظَّمْتَ لُطْفَكَ الَّذِي صَنَعْتَ إِلَيَّ بِاسْتِبْقَاءِ نَفْسِي وَأَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَهْرُبَ إِلَى الْجَبَلِ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدْرِكُنِي فَأَمُوتَ. هُوَذَا الْمَدِينَةُ هَذِهِ قَرِيبَةٌ لِلْهَرَبِ إِلَيْهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ. أَهْرُبُ إِلَى هُنَاكَ. فَتَحْيَا نَفْسِي''. فَقَالَ لَهُ: ''إِنِّي قَدْ رَفَعْتُ وَجْهَكَ فِي هَذَا الأَمْرِ أَيْضاً أَنْ لاَ أَقْلِبَ الْمَدِينَةَ الَّتِي تَكَلَّمْتَ عَنْهَا. أَسْرِعِ اهْرُبْ إِلَى هُنَاكَ لأَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئاً حَتَّى تَجِيءَ إِلَى هُنَاكَ''. لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُ الْمَدِينَةِ ''صُوغَرَ'' وَإِذْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَلَى الأَرْضِ دَخَلَ لُوطٌ إِلَى صُوغَرَ'' (تك ١٩: ١٨ - ٢٣).

بلاديوس: وما النفع الذي سوف يعود علينا من كل هذا، لأنك تعلم جيداً إني أريد أن أتعلم وأستفيد.

الوصول إلى الكمال يمر بكثير من المتاعب

كيرلس: ألا تعرف –مع أن لديك ميل عظيم للتعلّم– إن على أولئك الذين هجروا الأعمال الدنيئة إلّا يظنوا أنهم سوف يسلكون مباشرة في طريق الخلاص، ولا أنهم –بمحاولاتهم الأولى– سوف يقتنون الفضيلة، ولا يظنون أن قراراتهم سوف تكون قاطعة؟ وأن المرء لن يسلك بسهولة إلى المدينة الفاضلة، ولن يبتعد عن الشهوات التي قد تعوّد عليها، لكنه سوف يبتعد عن كل هذا بهدوء حسب استعداده ورغبته في حياة أفضل؟ وأنه لن يكون بعيداً أو أعلى كثيراً، بل سيكون كما لو كان قد وُجد في أرض أخرى، في حياة تستحق بالتأكيد المدح والثناء، لكنه لم يصل بعد إلى مجدٍ أسمى وأبهى، وذلك كما تُرفع النفوس بالتربية بحسب الناموس، إلى مبادئ حسنة وحياة صالحة؟ لأنه مكتوب: ''بداية طريق الصلاح هي فعل البر'' (أم ١٦: ٧).

أي أن الذين يرغبون المعرفة ويشتهون الرؤية السرية، تلائمهم كلمة الوعظ في البدايات، بينما أولئك الذين قطعوا شوطاً أكبر إلى ''الإنسان'' الناضج وإلى الكمال حيث المسيح هو مقياس له (أنظر أفسس ٤: ١٣)، فيناسبهم كثيراً الطعام القوى، أي الكلام عن الأسمى، وبعد ذلك طريق معرفة



الإلهيات. هكذا أقول هنا، أي فيما يخص تصحيح السلوكيات والمناهج الأخلاقية، أنه لا ينبغى أن نتوقع وصول البعض للعلو فوراً نحو الكمال، أي إلى ما هو فوق الطبيعي، إلى ما يناسب المدينة الفائقة السمو. فيجب على ما أعتقد أن نبدأ خطوةً خطوة من الأمور الصغيرة والتى تتناسب مع قراراتنا في التقدم نحو الكمال. وبطريقةٍ ما، نُسرع في الدخول، وكأنه إلى مدينة صغيرة مجاورة إلى الجبل العالي، كما إلى مدينة غير مرتفعة كبداية للحياة السامية والفائقة. هكذا، فالبار لوط يمكن أن يكون مثالاً لهؤلاء الذين في هذه الحالة، والذين لم يجدوا لهم مأوى يناسبهم، في الجبل مباشرةً، ولكن في المدينة الصغيرة صوغر. ألا نجد في العظات الإنجيلية مرات كثيرة تطبيقاً لمثل هذه التدابير في حياة المؤمنين؟ حقيقةً يكتب بولس الطوباوي في رسالته: ''وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الأُمُورِ الَّتِي كَتَبْتُمْ لِي عَنْهَا فَحَسَنٌ لِلرَّجُلِ أَنْ لاَ يَمَسَّ امْرَأَةً ... وَلَكِنْ أَقُولُ هَذَا عَلَى سَبِيلِ الإِذْنِ لاَ عَلَى سَبِيلِ الأَمْرِ. لأَنِّي أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ النَّاسِ كَمَا أَنَا. لَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ لَهُ مَوْهِبَتُهُ الْخَاصَّةُ مِنَ اللهِ. الْوَاحِدُ هَكَذَا وَالآخَرُ هَكَذَا'' (١كو ٧: ١، ٦، ٧). أرأيت كيف أن العمل السامي الفائق في ضبط النفس أظهره مثل جبلٍ بقوله أنه: ''حَسَنٌ لِلرَّجُلِ أَنْ لاَ يَمَسَّ امْرَأَةً''. وسمح لنا أن ننزل إلى صوغر، أي إلى حياةٍ ما زالت بعيدة عن مستوى الكمال، وأقصد التصريح بأن يكون المرء في اتصال مع امرأته فقط؟ وقول المخلص: إن الأرض الحسنة جداً، ستُعطي مائة وأخرى ستون وأخرى ثلاثون. وإن المواهب التي يوزعها ليست بمقياس متساوٍ، لكن الواحد خمسة والآخر اثنين والثالث واحد. بيّن بذلك -على ما أعتقد- أن قدرات الإثمار غير متساوية، ولهذا فقد وهب بمقدارٍ، ما يتناسب مع مقدرة كل واحد ومع معرفته. لأنه سبق أن قُلنا إن لكل واحد موهبته الخاصة من الله، الواحد هكذا والآخر هكذا.

بلاديوس: بالصواب تتكلم.

كيرلس: إذن فقد سمح لهم الملاك الطوباوي أن ينزلوا إلى صوغر. لأنه يقول تعجبت حقيقةً لشجاعتك ولكلمتك هذه، لن أدمر المدينة التي تكلمت عنها معي، أسرع إذاً لتخلص هناك (أنظر تك ١٩: ٢١ - ٢٣). ثم بعد ذلك يقول تعجبت لطلبك الجرئ أن لا أدمر المدينة التي قلت لي عنها، لأن

الله –حقيقةً– لا يريد حياةً لا تتفق تماماً مع الفضيلة، كما أنه غير مقبول لديه مجرد التهاون البسيط مع مثل هذه الرغبات، فهذا الأمر لابد أن يُلام المرء عليه. ومن ناحية أخرى فإن الله يسمح –بسبب محبته للبشر– بأن يعمل المرء في البداية ما يناسب قدرته. فالله يسمح بخلاص هؤلاء الذين مايزالون يبحثون عن الفضيلة، ومع ذلك لم يبتعدوا تماماً عن الحياة المثقلة بالهموم. إن الوصول إلى هذه الدرجة وهذه الحالة، لا يتحقق بدون النور الإلهي وضياء المصابيح السماوية؛ لأنه يقول: "أشرقت الشمس ولوط دخل إلى صوغر".

بلاديوس: كم هو دقيق ما تقوله!

امرأة لوط كنموذج للذهن الضعيف

كيرلس: إذاً، فإن لوط العظيم دخل بسرعة إلى المدينة الصغيرة بإذن من الله. وفي فعله هذا أظهر أن المرأة التي تبعته في الرحيل كانت ضعيفة، لأنه يقول: "وَنَظَرَتِ امْرَأَتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ!" (تك ١٩:٢٦).

لاحظ أن العقل الشجاع والسلوك الطيب –حتى وإن لم يصل إلى الكمال الذي يُسر به الله– يبدأ في تحقيق النجاح في طريق الفضيلة، إلى أن يبتعد تماماً عن الشهوات سائراً نحو الأفضل. أمَّا العقل الضعيف الواهن الذي ترمز إليه هذه المرأة، فإنه بخضوعه المستمر للأفكار الدنيئة ينتهي الحال به إلى الفساد. وهذا في اعتقادي، ما يقصده هنا بأنها قد صارت عمود ملح. وهذا يمكن أن يرمز أيضاً للنفس التي بلا حياة، وللعقل الذي يميل للسقوط في الحماقة، والذي قد يصل إلى قمة البلادة. فالملح إذا فسد لا يكون له أية صلاحية، فقد قال المخلص إنه لا يصلح مطلقاً بل يُلقى خارجاً ويداس من الناس (أنظر مت ٥:١٣). المرأة تحجَّرت إذاً. غير أن لوط لم يكتفِ بهذا إذ يقول الكتاب: "وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ وَابْنَتَاهُ مَعَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ" (تك ١٩:٣٠). إن العقل يتقدم بالتدريج نحو الكمال، ويُرفع ببطء إلى مستوى أرقى، ويتقدم ويسمو إلى الأفضل، مستنداً على النضج والسمو الروحى،

مثلما فعلت ابنتاه، حيث تركتا الميل لحب الجسديات والرخاوة التي يُرمز لها بامرأة لوط. ويسكن لوط بعد ذلك كما في جبل ومغارة.

رمزية الجبل والمغارة

وللجبل والمغارة دلالات واضحة جداً، فالجبل، يشير إلى العظمة وسمو القوة الروحية، بينما المغارة تشير إلى الثبات والاستقرار في الفضيلة. لأنه مكتوب عن الرجال الصالحين ما يأتي: "السَّالِكُ بِالْحَقِّ وَالْمُتَكَلِّمُ بِالاِسْتِقَامَةِ الرَّاذِلُ مَكْسَبَ الْمَظَالِمِ النَّافِضُ يَدَيْهِ مِنْ قَبْضِ الرَّشْوَةِ الَّذِي يَسُدُّ أُذُنَيْهِ عَنْ سَمْعِ الدِّمَاءِ وَيُغَمِّضُ عَيْنَيْهِ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الشَّرِّ. هُوَ فِي الأَعَالِي يَسْكُنُ. حُصُونُ الصُّخُورِ مَلْجَأُهُ. يُعْطَى خُبْزَهُ وَمِيَاهُهُ مَأْمُونَةٌ" (أش ٣٣: ١٥ – ١٦). ويمكننا أن نفسر هذا الكلام بطريقة أخرى، بمعنى أن الصخرة هي المسيح، بسبب أن طبيعته الإلهية تقوّم طبيعتنا، فهو كلّي القدرة وغير قابل للتغيير. بينما الحصن يمكن أن يُفسر روحياً ويعني الكنيسة، إذ هي غطاءٌ للأنقياء حيث يسكن الأبرار والذين يخافون دينونة النار.

بلاديوس: إن حديثنا –يا صديقي– حسنٌ جداً، غير إني أريد أن نتقدم في البحث مستشهدين ببراهين أخرى على ما تقول، لأنه في معرفة المرء كيف يحب بلا حدود، لهو أمر نافع جداً ويستحق كل جهد وتقدير.

نزوح أبرام وخروج الإسرائيليين نموذجان للارتقاء نحو الفضيلة

كيرلس: بالحقيقة أنت تتكلم، يا بلاديوس، كما يليق، لأن كلامك هو ثمرة ذهن محب للتعلُّم، وبالحديث معك، سوف ننتصر على التردد، ولا أكون متردداً في ألَّا أمارس الصمت معك، فالحديث معك بمثل هذه الأمور المشرقة والمحببة، أفضل من الصمت. وهنا يلزمنا أن نقول إنه يجب على المرء أن يبتعد نهائياً وبكافة الطرق وعلى قدر طاقته، عن الدناءات وكل ما يتصل بها. وهذا هو الطريق نحو الارتقاء للفضيلة، وليس هناك طريقٌ آخر. ويمكننا أن ندرك هذا بدون مشقة، لو وجَّهنا أعين الذهن –باهتمام شديد– إلى تلك الأمور التي حدثت مع ابرآم العظيم، والأمور التي حدثت



مع الإسرائيليين في خروجهم من تحت نير المصريين وتكسير قيودهم.

بلاديوس: تحدّث إذن بالتفصيل وأنت تعرف كم ستسعدني، لو فعلت ذلك؟!

كيرلس: لقد قلنا إذن، إن ابرآم العظيم الذي كان يعاني من الجوع غير المحتمل، ومن غياب ضروريات الحياة في ذلك الوقت، لم ينزل بإرادته، لكنه فعل ذلك مضطراً أمام هذه الضروريات، وبينما كان في ضيافة أُمةٍ أخرى، فعل به فرعون شراً، بظلمٍ وألم، إذ أراد فرعون أن يفتن امرأة إبراهيم لتسقط في شهوة الأعمال الدنيئة، مشتعلاً بمحبة اللذة المنحلة. لكن الله لم يسمح بذلك. لأنه مكتوب: ''فَضَرَبَ الرَّبُّ فِرْعَوْنَ وَبَيْتَهُ ضَرَبَاتٍ عَظِيمَةً بِسَبَبِ سَارَايَ امْرَأَةِ أَبْرَامَ'' (تك ١٢: ١٧). إن فرعون هو مثالٌ ورمزٌ للاندفاع الشيطاني الذي كان لديه هدفٌ شريرٌ ويسعى لتنفيذه بكل الطرق.

فهو (أي الشيطان) يلقي بذاره الشريرة في نفوس القديسين، حتى يجنوا كل الثمار المشتهاة وما تجلبه عليهم لذاتهم -هكذا أظن أن أهوال الخطية تتحقق بطرق كثيرة- فيقبض الشيطان على كل واحد ويخضعه رغم إرادته إلى مقاصده الشريرة. الطبيعة البشرية مصابةٌ بعلة الضعف، لكن الله لا يسمح بهذا، بل هو يبطل كل حيل ودسائس الشرير التي يصنعها ضد القديسين. وهكذا أبطل الله مكائد الشيطان عن ابرآم، وتجنب بذلك الإهانات الشيطانية؛ إذ في رجوعه من مصر (برهن على أنه قديس) وذهب إلى المكان الذي أعطاه له الرب وأسند له فيه أعمالاً هامة. لأن الكتاب يقول: ''فَصَعِدَ أَبْرَامُ مِنْ مِصْرَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ وَلُوطٌ مَعَهُ إِلَى الْجَنُوبِ. وَكَانَ أَبْرَامُ غَنِيّاً جِدّاً فِي الْمَوَاشِي وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ. وَسَارَ فِي رِحْلاَتِهِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى بَيْتِ إِيلَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ خَيْمَتُهُ فِيهِ فِي الْبَدَاءَةِ بَيْنَ بَيْتِ إِيلَ وَعَايَ. إِلَى مَكَانِ الْمَذْبَحِ الَّذِي عَمِلَهُ هُنَاكَ أَوَّلاً. وَدَعَا هُنَاكَ أَبْرَامُ بِاسْمِ الرَّبِّ'' (تك ١٣: ١ - ٤). فهل أدركت إذن أنه من الضروري لمن يهرب من شهوات العالم إلى الحياة المقدسة، أن يأخذ معه كل ما له؟ لأنه بكل العائلة والأهل -وسأُضيف وبكل المؤن- رحل عن مصر أبو الآباء ابرآم. أي يجب بكل الطرق أن يبتعد المرء بإرادته مع كل عائلته وينتقل إلى الصحراء، أي إلى حالة روحية طاهرة بدون مضايقات، ينتقل إلى تلك الحالة التي كانت فيها



الطبيعة البشرية منذ البداية قبل سقوطها، وأُغلق عليها لتُحرم من الخيرات السماوية، فاتجهت نحو الشر. هذا يمكن أن يُفسَّر رمزياً بنزول ابرآم إلى أمم أخرى، أي نزوله من الأرض والخيمة الأولى المحبوبة جداً، حيث كان المذبح. وهكذا في المسيرة الدائمة إلى الأمام، إلى أن نصل إلى أرض وموضع المذبح الذي تعيَّن في البداية، أي إلى حالة القداسة الأولى، وهناك نتضرع إلى إله الكل، مكررين كلمة النبي: "يا رب نحن لا نعرف آخر سواك. أسمك القدوس هو الذي دُعي علينا"[1].

بلاديوس: لقد تحدثت حسناً جداً.

كيرلس: لو فحصت جيداً كل ما صار لأبناء إسرائيل عبر الزمان، عندما استحوذ المصريون على هؤلاء المنحدرين من نسل القديسين الأحرار، بسبب معاناتهم من الجوع في البداية، لوجدت أنهم وضعوهم تحت نير العبودية المرة، متعاملين معهم بوحشية، إذ يصف هذه القسوة هكذا: "ثُمَّ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ. فَقَالَ لِشَعْبِهِ: «هُوَذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ شَعْبٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَّا. هَلُمَّ نَحْتَالُ لَهُمْ لِئَلاَّ يَنْمُوا فَيَكُونَ إِذَا حَدَثَتْ حَرْبٌ أَنَّهُمْ يَنْضَمُّونَ إِلَى أَعْدَائِنَا وَيُحَارِبُونَنَا وَيَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ" (خر ١: ٨ – ١٠). لقد تضايق –على ما اعتقد– رئيس مصر، من أن أولئك الذين وُضِعت عليهم قيودٌ إجبارية، قد اختاروا طريق الحرية، (لذلك تقرأ): "فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءَ تَسْخِيرٍ لِكَيْ يُذِلُّوهُمْ بِأَثْقَالِهِمْ فَبَنُوا لِفِرْعَوْنَ مَدِينَتَيْ مَخَازِنَ: فِيثُومَ وَرَعَمْسِيسَ" (خر ١:١١). فتحمل بنو إسرائيل نتائج إفراط المصريين في حب الاستعباد: من

١- ليس هناك نصّ ينسب لأحد الأنبياء في العهد القديم بهذا الترتيب، ولكن درج الآباء على استخدام عناصر مختلفة من نصوص متعددة وجمعها معاً كما لو كانت تشكل نصاً واحدا. ويظهر هذا المنهج جلياً في الصلوات الليتورجيات كما في اوشية السلامة الكبيره: "يا ملك السلام أعطنا سلامك. لأن كل شيء قد أعطيتنا أقتننا لك يا الله لأننا لانعرف آخر سواك. أسمك القدوس هو الذي نقوله، فلتحيا نفوسنا بروحك القدوس"، فهذا النص الليتورجي يُدمج معاً عناصر من نصوص أش ٢٦: ١٢، يو ١٤: ٢٧، هو ١٣: ٤، أش ٤٥: ٥، ٦، ٢١، ٢٢، ١كو ٨: ٤ ـ ٦ (راجع في ذلك كتاب الخولاجي المقدس: كتاب الثلاثة القداسات). ويبدو هنا أن القديس كيرلس قد اقتبس هذا النص من الليتورجية. ومن الجدير بالذكر ان هذا المنهج يظهر أيضاً في المزمور الذي يُقرأ قبل إنجيل القداس، فهناك بعضٌ من هذه المزامير تحتوي أيات لا تلتزم بالترتيب التتابعي للأعداد كما وردت في نص المزمور، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن مزمور إنجيل قداس يوم الخميس من الأسبوع الأول من الصوم الكبير يتكون من المزمور ١١٧، الأعداد ١٣، ١٨. وأحياناً تستخدم القراءة أعدادا من مزامير متعددة، بحيث تبدو وكأنها نصاً واحداً، ومثال ذلك مزمور باكر يوم الاثنين من الأسبوع الرابع من الصوم الكبير، فهو يتكون من مزمور ٥٤: ١، ومزمور ٢٦: ١١، وهذا يبين مدى الحرية التي كانت للآباء في استخدام نصوص الكتاب المقدس بحيث تصل الرسالة المطلوبة واضحة جلية، دون التقيد بحرفيه النص، ودون أن يعني ذلك اختراع نصوص جديدة تخرج عن الخط العام للكتاب، بحيث تؤدي رسالة مغايرة. من ذلك يتبين لنا أن هذا النهج يعبِّر عن حرفية فنية تلتزم الحق المعلن في الكتاب، في الوقت الذي تسمح فيه بحرية الاقتباس، دون أن يعني ذلك افتئاتا على النص.

عذابات لا تنتهي في عمل الطوب، وقطع الأحجار، وبناء مدن بحوائط وأبراج، واستصلاح الأراضى، وعرق متواصل في إنهاء عمل بعد آخر، وكل هذا كان يتم بدون أجر؛ إذ كان رؤساء تلك العصور يُخضِعون هذه النفوس المقهورة بأعمال الطين والحجارة من مبانٍ وأسوار، لقد عذّبوهم بإجبارهم على ذلك في عبودية مُرة وبدون مقابل (لأنه هكذا تكون أعمال الجسد وكل ما يتصل به)، أجبروهم إذن على قبول حياة قاسية ومليئة بالعناء، والتى لا تُقدم بأية حال أيَّ نفعٍ للمرغمين على ممارستها.

حقيقةً، ماذا تنفعنا الأعمال الجسدية وشهوات نفوسنا الضعيفة؟ إن فعلنا هذا، فسوف نعطي مكاسب لإبليس والشياطين، إذ يكون لهم غنى وفخر، مثلما كان لفرعون تماماً، الذي اِعتقد أنه مجدٌ عظيمٌ له أن يبني الإسرائيليون المدن بدون أجر أو قوت، وفى هذا كانوا مجبرين على تحمل هذه الحالة.

بلاديوس: حديثك في الحقيقة، شيق جداً.

كيرلس: إن مشقة الإسرائيليين تمثل الصورة الواضحة المتكررة لأطماعنا الباطلة الدنسة هنا على الأرض، كما أن الشيطان وقواته الشريرة يمارسون ضغوطاً وهجوماً علينا. يمكنني أن أقول عن التجارب الشريرة: إنها غارقة في بحار الألم والتعب، وموحلة في الملذات الطائشة. لكن الله أظهر حينذاك رحمته لهؤلاء الذين أصابهم شرٌّ بواسطة مقاصد المصريين الشريرة، لأن الله أعد موسى العظيم ليكون خادماً لإحسانه نحوهم.

ألا نجد أن الله يفعل نفس الشيء معنا؟ لأنه بينما ننزلق في الخطايا، يمنحنا من مراحمه، ويُدخل في قلوبنا جميعاً ناموسه الخاص، كوسيط يرفعنا إلى حياة الحرية.

بلاديوس: أنا أفهم هذا الذي تقوله.

العيد الحقيقي

كيرلس: أتريد أن نركز حديثنا في الأمور التاريخية ونذكر بقدر استطاعتنا كل ما يناسبنا؟

بلاديوس: حسنٌ جداً.

كيرلس: لقد كُتب الآتي: "وَبَعْدَ ذَلِكَ دَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ وَقَالاَ لِفِرْعَوْنَ: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيُعَيِّدُوا لِي فِي الْبَرِّيَّةِ». فَقَالَ فِرْعَوْنُ: «مَنْ هُوَ الرَّبُّ حَتَّى أَسْمَعَ لِقَوْلِهِ فَأُطْلِقَ إِسْرَائِيلَ؟ لاَ أَعْرِفُ الرَّبَّ وَإِسْرَائِيلَ لاَ أُطْلِقُهُ" (خر ٥: ١ - ٢). وهؤلاء أيضاً الذين كانوا مع موسى وهارون أكَّدوا أن الإسرائيليين يجب أن يرحلوا عن مملكة وأرض مصر؛ لأن الله دعاهم إلى عيدٍ. لأنه في الحقيقة هو عيدٌ حقيقي أن ينحل ثقل العبودية المرة ويُوجد المرء في حضور الله، ويتمم كل ما يفرحه دون أن يُستعبَد من أحد، أي بدون أن يجبره أحد على فعل شيء. لقد تفوَّه فرعون بثرثرة شديدة وأظهر وقاحةً عظيمةً منكراً مجد الرب، قائلاً: إنه لا يعرف الرب وأنه لن يُطلق الإسرائيليين. ولكن موسى العظيم لم يستسلم بتاتاً، بل أصرَّ على أن يحقق الأمر الذي يُسرّ به الله، بمعنى أنه عندما يعوِّق (فرعون) خروج أولئك الذين سقطوا تحت سطوته، إلى الحرية، فهؤلاء يجب عليهم أن يُظهروا رجولةً وأن ينتصروا على كل شيء وبدون تأخير، أو على الأقل بدون أدنى خوف. بل ويصرِّون قائلين: "إِلَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ قَدِ الْتَقَانَا فَنَذْهَبُ سَفَرَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ إِلَهِنَا لِئَلاَّ يُصِيبَنَا بِالْوَبَإِ أَوْ بِالسَّيْفِ" (خر ٥: ٣)، هكذا صرخ موسى الحكيم: نحن -العبرانيون- لا نشبهكم أيها المصريون في توقيركم للعجول والخنازير أو الماعز أو منحوتات الإنسان أو أشكال الطيور والزواحف التي تضعونها على المذابح. نحن دعانا الله ربنا الذي أبدع هذا الكون. إنه العظيم الذي لا يُحصى مع إله المصريين وهو فوق كل خليقة. إنه إله العبرانيين الذي يدعونا إلى الصحراء، لكي نقدم هناك الذبيحة التي تسره. وهكذا أظلمت مصر روحياً.

ويجب علينا نحن الروحيون أن نفهم روحياً -على ما أعتقد- كل ما أُعطي لنا بتعاليم وأمثلة. يجب إذن أن نهرب من كل شيء يسبب لنا ظلمةً، وهكذا نكون قد خرجنا من أرضٍ ما. نهرب من سطوة الخطية التي تتسلط علينا بواسطة الطاغية، الذي هو الشيطان، ولنسرع نهائياً نحو حياة الحرية والطهارة ونسلك في طريق الحياة حسب الناموس الإلهى، تلك الحياة التي لا تخضع للشياطين. لأنه يمكننا عندئذٍ أن نقدم ثمار تبريرنا -كذبيحةٍ- إلى الله. ويؤكد موسى أنه يجب على الإسرائيليين السير ثلاثة أيام داخل

الصحراء، مُعلناً بهذا أنه يجب ألَّا يكون المرء قريباً من دائرة الدناءة والحياة المليئة بالقهر. وقد استخدم موسى العظيم أسلوباً فنياً حكيماً عندما قال إنه يجب على المدعوين من الله أن يبتعدوا عن الظلمة، ويورد لهذا سبباً حسناً جداً لأنه يقول: ربما يقابلنا الموت أو القتل أو ”لِئَلاَّ يُصِيبَنَا بِالْوَبَإِ أَوْ بِالسَّيْفِ“ (خر ٥:٣).

بلاديوس: ماذا يعني هذا بالضبط؟ لأنه ليس من السهل على المرء أن يفهم ذلك بوضوح.

كيرلس: سأخبرك عما تريد: هناك عادةٌ عند العبرانيين، مازالت أيضاً عند أولئك الذين يسجدون للأصنام، فكل مَن يدخل إلى الهيكل يجب أن يتجنب المرور بجانب جسد ميت. لأنهم يقولون إن المرء يتنجس جداً ليس فقط باللمس، ولكن أيضاً بمجرد النظر لجسد ميت. فإن حدث هذا، فبسبب تلك العادات يعتقدون أن ذبائحهم لن تكون طاهرة، أي عندما يقدِّمون ذبيحة، ويتصادف وجود مشهد ميت أو قتيل، لأن موسى قال: أنتم (المصريون) لديكم مقدسات وهياكل بأبواب وأقفال، يمكنكم الدخول إليها وتقديم ذبائحكم فيها حسب معتقداتكم الخاصة بكم، بينما نحن (العبرانيون) مجبرون أن نُقدم ذبائحنا في أماكن مكشوفة في وسط المدينة، وفي تقاطع الطرق، وبين الحقول، ونتنجس بمشاهد الموتى، إذ لا يوجد ما يحجب إطلاقاً عنا هذه المشاهد. إن ما جاء في التاريخ المقدس بخصوص عادات المصريين هو أمر مؤكد، وإن ما قاله موسى الحكيم هو صواب ويمكن لنا نحن أيضاً أن نفهمه روحياً. أي يجب علينا نحن أن نقدم ذبائحنا كما في صحراء ونتمم عيداً مقدساً لله، مرتحلين من أرض المصريين، متجنبين رؤية مشاهد الموت. لأنه بذهن هادئ مبتعد عن الظلمات العالمية، وبأعين متجنبة لرؤية كل ما هو ميت وفاسد، نقدِّم ذبيحةً طاهرةً إلى الله ضابط الكل. فالأعمال الميتة هي أعمال الجسد، بينما الظلمة العالمية هي الغشاوة التي يسببها الأشرار، والزيغان الباطل، والأمور التي تلوث شفافية الذهن النقى. هذه الأمور يجب الابتعاد عنها ممن يريدون أن يعبدوا الله بالحق. والتاريخ المقدس شاهدٌ على كل هذا.

بلاديوس: بالتأكيد، هذا ليس بالأمر الغامض. ولكن ماذا بعد؟

كيرلس: لقد استحوذ على الإسرائيليين الشوق الشديد الذي لا مفر منه لحريتهم الأولى. ولأنهم أعلنوا نيتهم هذه أمام فرعون، فقد أثاروه بإلحاح مما أثار غضبه، وهو الذي قيَّدهم في نير العبودية. ولأنه رأى أن هذه الاشتياقات كانت نتيجة لتكاسلهم وعدم انشغالهم بعمل، فلهذا أمر بأن يُثقَّل عليهم في العمل. وبالرغم من مطالبتهم بتكميل أعمالهم المعتادة دون تأجيل، منع عنهم على غير العادة حصة التبن اللازمة لعمل الطوب اللبِن لأنه قال لهم: ''مُتَكَاسِلُونَ أَنْتُمْ مُتَكَاسِلُونَ. لِذَلِكَ تقُولُونَ: نَذْهَبُ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ. فَالآنَ اذْهَبُوا اعْمَلُوا. وَتِبْنٌ لاَ يُعْطَى لَكُمْ وَمِقْدَارَ اللِّبْنِ تُقَدِّمُونَهُ». فَرَأَى مُدَبِّرُو بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْفُسَهُمْ فِي بَلِيَّةٍ إِذْ قِيلَ لَهُمْ لاَ تُنَقِّصُوا مِنْ لِبْنِكُمْ أَمْرَ كُلِّ يَوْمٍ بِيَوْمِهِ'' (خر ٥: ١٧ - ١٩). أم ستقول يا عزيزى إنه أليس حقيقاً -عندما يريد أي شخص منا أن يتحرر من ثقل عبودية الشيطان بعبادة الله المشرقة والبهية، في سكينة القلب، ويعرف الرب الحقيقى وفق كلمات المزمور: ''تخلَّصوا من كل زيغان واعلموا أني أنا هو الرب الإله'' (مز ٤٥: ١١)- أن يشتكي علينا عدو الجميع بأننا لا نعمل معه بجد، معتبراً أن ما تشتهيه قلوبنا أمرٌ لا يناسبه؟ وهل هناك شك في أنه سيثور علينا مع كل الأرواح الشريرة والنجسة، ويحاول أن يجبرنا بقوة على الانزلاق المستمر في النجاسة الجسدية وأمور العالم الأرضية، التي كان كل واحد معتاداً أن يمارسها؟ وعندما نحاول الابتعاد عن الأمور الوضيعة، ألا يعيق هذه المحاولة بشتى الطرق ويُزيِّن لنا طريق الشر حتى تتمتع نفوسنا به؟ إن هذا هو ما كان يُقصَد به -على ما أعتقد- أن يُطلَب من العبرانيين صناعة الطوب بلا توقف، ومن ناحية أخرى يمنع عنهم التبن اللازم لهذه الصناعة. وهذا ينطبق علينا نحن أيضاً، إذ نطلب دائماً الأمور التي قد تعودنا عليها ونشتهيها، ونتحرق شوقاً لها، وبالأكثر عندما نتبين أن هناك أمراً يعوق تحقيق ما نرغبه. وعندما يُبعِد الناموس الإلهي أذهاننا البشرية عن فعل ما تعودنا عليه من سيئات، عندئذٍ يستيقظ داخلنا شوقٌ مستمر نحو هذه العادات، منتهياً بنا إلى الشكوى ضد مشرع هذا الناموس. والبرهان على ما نقول هو ما حدث لبني إسرائيل الذين كانوا يعانون من أعمال قاسية فُرِضْت عليهم، في الوقت الذي حُرموا فيه من التبن. ولهذا اشتكوا على موسى وهارون بشدة متهمين إياهما بأنهما

السبب فيما يعانون من ضيق بسبب المتسلطين عليهم. في حين أن هذا لم يكن بسببٍ آخر سوى أن موسى وهارون كان لديهما رغبةٌ قوية في تحرير الشعب، وكانا يصدقان دائماً وعود فرعون بذلك.

بلاديوس: ألا تعتقد أن موسى وهارون قد تكلما بكل الحقائق وبكل ما يليق؟

كيرلس: بالتأكيد يا بلاديوس، لأن شهوة الصلاح والفكر الخيِّر قد تدفعنا إلى ما يرضي الله، وفي نفس الوقت نتذكر ناموس التقوى. غير أنه من جانبٍ آخر، فإنه من المحزن أن نعرف أن عدو الخير بسبب طبيعته الشريرة، يريد دائماً أن يحطِّمنا. غير أن الرب يتدخل دائماً لإنقاذنا. إذ قال لموسى: "لِذَلِكَ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَا الرَّبُّ. وَأَنَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ وَأُخَلِّصُكُمْ بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَبِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ. وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْباً وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهاً. فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمُ الَّذِي يُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ" (خر ٦: ٦ – ٧). أي أنه في الوقت الذي يُعيقنا الشيطان محاولاً أن ينزع منا كل شهوة صالحة، ويستميت في إبعادنا بكل الطرق الممكنة، بعيداً عن كل فكر صالح، فإن الناموس الإلهي يحضنا على فعل إرادة الله، وإذ يعرِّفنا بذلك ويستنهض فينا الرجاء الثابت، يقوينا بالإيمان وينسب كل شيء إلى الله، الذي هو بالحقيقة مخلصنا وفادينا[1].

أعمال الإيمان وأعمال السحر

بلاديوس: إن الإيمان وتبعية المرء لله بفهم وشوق شديد، هو من الأمور الحسنة جداً والمنقِذة للنفس.

كيرلس: لقد قُلت الصواب. وسوف تعلم جيداً عندما نصل إلى نهاية حديثنا أن الإيمان يقود إلى كل صلاح. فعندما ذهب موسى ورفاقه ليتحدثوا مع فرعون ثانيةً محاولين إقناعه بأن يتركهم لكي يرحلوا من مصر ويُحرّر بني

١- انظر فصل ٧:١٣ من كتاب تجسد الكلمة حيث يشرح القديس أثناسيوس أيضاً ضرورة تدخل الله مخلصنا بعد سقوط الإنسان "إذن فما هو الذى كان ممكناً أن يفعله الله؟ وماذا كان يمكن أن يتم سوى تجديد الخليقة التي وُجدت على صورة الله، مرة أخرى، ولكي يستطيع البشر أن يعرفوه مرة أخرى؟ ولكن كيف كان ممكناً لهذا الأمر أن يحدث إلَّا بحضور نفس صورة الله ـ مخلصنا يسوع المسيح؟ كان ذلك الأمر مستحيلاً أن يتم بواسطة البشر لأنهم هم أيضاً خُلِقوا على مثال تلك الصورة. (وليس هم الصورة نفسها)، ولا أيضاً بواسطة الملائكة لأنهم ليسوا صوراً (لله) ولهذا أتى كلمة الله بذاته لكي يستطيع -وهو صورة الآب- أن يجدّد خلقة الإنسان، على مثال الصورة".



إسرائيل من قيودهم، فلكي يقنعوه، عملوا أعمالاً معجزية تُذهل العقل. فقد غيَّر موسى شكل العصا إلى حيَّةٍ، مؤكدين بوضوح أنهم بمعونة الله يستطيعون بسهولة، إنجاز أشياء أعظم من هذه. لكن فرعون أعطى أمراً للسحرة المصريين أن يفعلوا نفس الأشياء. وكأن فرعون أراد بهذا الأمر أن يقول لهم، نحن لسنا غير قادرين على مثل هذه الأعمال، وأن مَن يفعل هذا من بين المصريين هم أكثر ممن عندكم. فإن أعمال السحر هي أعمالٌ مدهشة وأنتم أيضاً تقومون بها. غير أنه بسبب أن موقف فرعون قد تقسى جداً لأنه لم يترك بني إسرائيل يرحلون، فقد تعرض لضربات أربع، الواحدة أسوأ من الأخرى، إذ تغيَّرت المياه إلى دم، وظهرت ضفادع وصار بعوض وامتلأت بيوت المصريين ذباباً، الأمر الذي جعل فرعون أكثر جُبناً، إذ دعا أصحاب موسى: ”وَقَالَ: «اذْهَبُوا اذْبَحُوا لإِلَهِكُمْ فِي هَذِهِ الأَرْضِ». فَقَالَ مُوسَى: «لاَ يَصْلُحُ أَنْ نَفْعَلَ هَكَذَا لأَنَّنَا إِنَّمَا نَذْبَحُ رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ لِلرَّبِّ إِلَهِنَا. إِنْ ذَبَحْنَا رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ أَمَامَ عُيُونِهِمْ أَفَلاَ يَرْجُمُونَنَا؟. نَذْهَبُ سَفَرَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ إِلَهِنَا كَمَا يَقُولُ لَنَا». فَقَالَ فِرْعَوْنُ: «أَنَا أُطْلِقُكُمْ لِتَذْبَحُوا لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ. وَلَكِنْ لاَ تَذْهَبُوا بَعِيداً“ (خر ٨: ٢٥ – ٢٨)، بمعنى أن الشيطان عندما يحاربنا ويقاوم بعنف وبغضة استعدادنا لعمل الصلاح، فإن الله يقف في مواجهته، وبالرغم من وقاحته، فإن الله يذله بالضربات، وعندئذٍ لا يكون أمام الشيطان مفراً إلَّا أن يتركنا رغم إرادته، لكن في الوقت نفسه يحاول أن يقنعنا كي لا نتمم بدقة عبادتنا نحو الله، أو أن نتحرر تماماً من عبوديتنا له. لأن فرعون أمر اليهود أن يذبحوا ليس خارج أرض مصر ولكن داخلها. غير أن موسى بحكمته الشديدة قال: إن هذا لا يمكن أن يكون. إن الشيطان وهو مبدع الخطية يصير دائماً مبتكراً للدناءات، لهذا يرفضها الناموس الإلهي، ويدين كل مَن يعمل ما يرضي الشيطان. يجب إذن أن يتيقظ أولئك الذين يريدون أن يحيوا باستقامة، وألَّا يخضعوا للأفكار التي يمليها عليهم الشرير، بل يجب أن يخضعوا للأمور التي بشَّرت بها الكلمة الإلهية. لأنه يقول: ”سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى“ (مز ١١٨: ١٠٥).

بلاديوس: حقاً. بالصواب تتكلم.

كيرلس: إذن، فبسبب تربُّص الشرير بنا في كل مكان، محاولاً أن يوقعنا تحت



سلطانه، يجب علينا أن نعبد فقط مَن هو الله بالطبيعة، ولنهرب –بقدر الإمكان– بعيداً عن الازدواجية، ولهذا يمكننا القول: ”«لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ“ (مت ٦: ٢٤). وأيضاً كما هو مكتوب: ”ويل للقلوب الهيابة وللأيدي المتراخية وللخاطئ الذي يمشي في طريقين“ (حكمة ابن سيراخ ٢:١٤). وأؤكد على ضرورة الحاجة إلى تقديم عبادة طاهرة وبلا لوم لله ضابط الكل، مبتعدين تماماً عن عبادة الشرير. وكما سبق أن ذكرنا أن موسى قال أمام فرعون: ”لاَ يَصْلُحُ أَنْ نَفْعَلَ هَكَذَا لأَنَّنَا إِنَّمَا نَذْبَحُ رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ لِلرَّبِّ إِلَهِنَا. إِنْ ذَبَحْنَا رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ أَمَامَ عُيُونِهِمْ أَفَلاَ يَرْجُمُونَنَا؟ نَذْهَبُ سَفَرَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ إِلَهِنَا كَمَا يَقُولُ لَنَا». فَقَالَ فِرْعَوْنُ: «أَنَا أُطْلِقُكُمْ لِتَذْبَحُوا لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ. وَلَكِنْ لاَ تَذْهَبُوا بَعِيداً. صَلِّيَا لأَجْلِي“ (خر ٨: ٢٥ – ٢٨). إنَّ رفض موسى تقديم ذبائح في أرض مصر أمام المصريين له ما يبرره. فالأشياء الرجسة هنا يقصد بها تلك الأشياء التي يُقدِّرها المصريون ويحترمونها، والتي كان من بينها العجول. فلو قال موسى إنه يمكن تقديم مثل هذه الذبائح لإله العبرانيين، لجَلَبَ عليه وعلى شعب إسرائيل غضب المصريين. هذا الرفض له علاقة بما نتكلم عنه من أمور روحية ومنافع ليست قليلة. لأننا عندما نُميت الأمور التي يُجِلُّها الشياطين إذ تروق لهم، فإننا بذلك نقدم عبادة مرضية أمام الله.

بلاديوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: ألا يكّرم عدو الخير الشهوات الجسدية؟ وليست كل الشهوات سيئة في حد ذاتها، ولكن بسبب عدو الخير، ننساق إلى عبودية مُرّة جداً.

بلاديوس: هذا حق.

ذبائحنا الروحية

كيرلس: إذن، فنحن في إماتتنا لهذه الشهوات الجسدية، وفي ذبحنا لها، نُقدِّم رائحةً ذكيةً إلى الله كما يكتب بولس: ”أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ“ (رو ١٢: ١). وهذا الأمر يتحقق بما يأتي: ”فَأَمِيتُوا

اعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَعَ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ'' (كو ٣:٥). إذن فكل شهوة من شهواتنا، هي صنم كأصنام المصريين، بمعنى أنها أمورٌ مُكرَّمة وموقرة، وقد اعتاد الكتاب أن يدعو الأمور التي لا ترضي الله والتي يعطيها البشر مكانة عظيمة كالأصنام التي يعبدونها ''تمثالاً''، فيقول الله على لسان إرميا من جهة الأمور التي كان يفعلها اليهود: ''حبيبتي داخل بيتي صنعت تمثالاً'' (إر ١١:١٥). ولو أراد أحد أن يدعو الأمور التي كان يكرهها المصريون ولا يقبلونها، أصناماً، لكان على صواب، لأن الأمور التي اعتادت الأرواح النجسة أن تكرهها وتنفر منها، هذه الأشياء هي بالضبط التي يمكن تقديمها كرائحة ذكية إلى الله، وذبيحة روحية، أي إيمان، وداعة، ضبط النفس، عفاف، محبة الآخرين، وكل مفاخر التقوى الحقيقية نحو الله.

بلاديوس: مَن هم أولئك الذين يقدمون ذبائح في أرض الشرير؟ ومَن هم أيضاً الذين يذبحون خارج هذه الأرض؟

كيرلس: الذين لم يخرجوا بعد من أرض المصريين، والذين مازالوا يقدمون ذبائح إلى الله داخل هذه الأرض، كثيرون جداً وبلا حصر، بينما الذين هم خارج مصر، أي داخل الصحراء هم قليلون جداً ومختارون لأنه يقول: ''كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ'' (مت ٢٠: ١٦). فكُلنا دُعينا إلى الحرية بواسطة إيماننا بالمسيح، وقد افتُدينا من الشيطان الطاغية، والمسيح يقودنا إلى هذه الحرية، وقد كان موسى وهارون مثالاً سابقاً للمسيح، حتى تدرك يا بلاديوس أن عمانوئيل حسب التدبير، هو المشرِّع ورئيس الكهنة والرسول. لكن مازالت الأكثرية من المدعوين تعيش في الأمور العتيقة والشريرة مبتعدين بسبب أفكارهم العالمية عن الحق غير عابدين الله في نقاوة وإيمان. هؤلاء هم الذين يمكن أن تقول عنهم إنهم ابتعدوا قليلاً، لكنهم مازالوا يذبحون في مصر، لأن فرعون القاسي القلب قال لهم: ''لا تذهبوا بعيداً''، حتى لو خرجتم من أرض المصريين. أمَّا أولئك الذين يريدون أن يكونوا مرضيين تماماً عند الله بالانتقال التام إلى الصلاح، فهؤلاء يتخلصون مرةً واحدةً ودائماً من ضلال العالم، فيخرجون خارجاً من مصر، ويهربون من يد الطاغية، وكما في صحراء، يقدمون ذبائح لله بطهارة: هؤلاء هم أنقياء

بالفعل ويعيشون في حياة السكينة والهدوء. ويمكنني أن أقول ذلك بطريقة أخرى، وأؤكد على أن هؤلاء الذين يتأهبون للسير في طريق الحق، والذين دُعُوا لمعرفة ذلك الذي هو بالطبيعة الله، هؤلاء يجب أن يرحلوا بعيداً عن أرض العبودية التي فيها تُعبد الخليقة دون الخالق. أي أن الذين لم تَخْلُص أذهانهم تماماً من بقايا الخداع القديم، والبعض منهم لم يخرجوا تماماً من أرض مصر وهم يحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين، هؤلاء بالرغم من أنهم قد دُعُوا بواسطة المسيح إلى الحرية، إلّا أنهم بسبب سكنهم في أرض المصريين، فإنهم لا يذبحون لله، ممسكين بكل الأمور التي تسرُّ الشيطان. أما مَن يخرج تماماً من أرض العبودية وقد تخلّص كليةً من العادات القديمة، فإنه يذبح للرب في الصحراء ويحيا حياةً تستحق كل ثناء.

بلاديوس: أوافقك على كل فكرك الصحيح هذا، ودعنا نستمر في الحديث.

كيرلس: لقد كذب فرعون وتنكّر لوعده أن يترك الإسرائيليين يرحلون. بعد ذلك ضُرِبَ ثلاث ضربات أُخر جعلته يوافق قائلاً: إنه سيتركهم. لكنه أمسكَ ثانيةً يقول الأكاذيب، لأنه وفق كلام المخلص: "إنه كذاب وأبو الكذب" (يو ٨: ٤٤)، وبعد ذلك هدد الله المصريين وألقى عليهم برداً شديداً وجراداً (يدمر الحقول). عندئذٍ رفع موسى وهارون -هؤلاء المدافعون الأشداء ضد شر فرعون- صوتهم قائلين له بقوةٍ: "إِلَى مَتَى يَكُونُ هَذَا لَنَا فَخّاً؟ أَطْلِقِ الرِّجَالَ لِيَعْبُدُوا الرَّبَّ إِلَهَهُمْ. أَلَمْ تَعْلَمْ بَعْدُ أَنَّ مِصْرَ قَدْ خَرِبَتْ؟" (خر ١٠: ٧). من هنا يجول بخاطري، أنه ربما يكون الشيطان في حالات معينة هو الأقوى من بين قوات السلاطين، حيث يتفاخر بنصره، لأن قواته -كما هو ظاهر- صُلبةً وقاسية بما لا يُقارن، وهو لا يقيم وزناً للغضب الإلهي، فوحشيته فائقة وقسوته لا نهاية لها، لأنه مكتوب: "قلبه صلب كالحجر وقاسٍ كالرحى". وحينما علت الأصوات أمام فرعون -مطالبةً بالحرية- قال لأصحاب موسى: "اذْهَبُوا اعْبُدُوا الرَّبَّ إِلَهَكُمْ. وَلَكِنْ مَنْ وَمَنْ هُمُ الَّذِينَ يَذْهَبُونَ؟». فَقَالَ مُوسَى: «نَذْهَبُ بِفِتْيَانِنَا وَشُيُوخِنَا. نَذْهَبُ بِبَنِينَا وَبَنَاتِنَا بِغَنَمِنَا وَبَقَرِنَا. لأَنَّ لَنَا عِيداً لِلرَّبِّ». فَقَالَ لَهُمَا: «يَكُونُ الرَّبُّ مَعَكُمْ هَكَذَا كَمَا أُطْلِقُكُمْ وَأَوْلاَدَكُمْ. انْظُرُوا إِنَّ قُدَّامَ وُجُوهِكُمْ شَرّاً لَيْسَ هَكَذَا. اذْهَبُوا أَنْتُمُ الرِّجَالَ وَاعْبُدُوا الرَّبَّ. لأَنَّكُمْ لِهَذَا طَالِبُونَ" (خر ١٠: ٨ - ١٠). فكِّر إذن يا عزيزي في كم



كان حسنٌ جداً ما قاله موسى، عندما أصّر على الرحيل هو وكل شعبه، وكيف أن فرعون لم يقبل ذلك، لكنه قال إنه يجب أن يُترك البعض كرهائن في مصر حتى يضمن رجوع الذين سيذهبون إلى الصحراء، كما قال إنه يجب أن تظل كل مؤنهم في مصر، وأمر أن يذهب فقط الشباب والرجال. غير أن موسى كليم الله أصرَّ على أن يخرج معه الجميع بدون أن يُترك هناك أحد، وأن يذهب معه كل الشباب والشيوخ، الأبناء والبنات، وقطعان البقر والحيوانات الأخرى. أي يجب على المهتمين بالحصول على الحرية الحقيقية، والخلاص من شرور العالم بإرادتهم، والسلوك في طريق الفضيلة، إلّا يتركوا ولو بقية صغيرة جداً من ذواتهم وأفكارهم دون أن تتحرر، حتى لا يخضعوا ثانيةً بواسطتها تحت سلطان الشرير. والوصايا الإلهية، تدعو الفتيان والفتيات والشيوخ مع الشباب لفعل هذا أيضاً وذلك في المزمور (١٤٨: ١٢).

ويمكننا أن نفهم مراحل العمر بطريقة روحية في المسيح. فلهؤلاء وجَّه يوحنا العظيم قائلاً: ''أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ لأَنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي مِنَ الْبَدْءِ. أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ لأَنَّكُمْ قَدْ غَلَبْتُمُ الشِّرِّيرَ. أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ لأَنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمُ الآبَ. كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ لأَنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي مِنَ الْبَدْءِ. كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ لأَنَّكُمْ أَقْوِيَاءُ، وَكَلِمَةُ اللهِ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَقَدْ غَلَبْتُمُ الشِّرِّيرَ'' (١ يو ٢: ١٣ - ١٤). حيث يمكن أن نفهم مراحل العمر هكذا: الأحداث يرمزون للشهامة والرجولة، الشيوخ للحكمة، والأولاد والبنات يرمزون إلى الفكر البسيط. لأنه بالرجولة والحكمة والبساطة -بحسب الله- ننتقل من الخطية إلى حياة القداسة، لأنه يقول: ''لتتشدد ولتتشجع قلوبكم ياجميع المنتظرين الرب'' (مز ٣١: ٢٤). وأيضاً: ''كُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ'' (مت ١٦:١٠). وعندما يقول موسى أن يأخذوا معهم الأغنام والأبقار، فإني أعتقد أن هذا يشير إلى أنه لا يجب أن نترك للشيطان ولا حتى أعضائنا الجسدية التي لا تشترك في عملية التفكير. إذ أن بولس العظيم يكتب: ''لأَنَّهُ كَمَا قَدَّمْتُمْ أَعْضَاءَكُمْ عَبِيداً لِلنَّجَاسَةِ وَالإِثْمِ لِلإِثْمِ هَكَذَا الآنَ قَدِّمُوا أَعْضَاءَكُمْ عَبِيداً لِلْبِرِّ لِلْقَدَاسَةِ'' (رو ٦:١٩).

بلاديوس: لكن لأي سبب أراد فرعون أن يترك الشباب والناضجين ليرحلوا، بينما

أراد أن يحتفظ بالآخرين؟

كيرلس: وماذا تقصد بالآخرين الذين يبقون في مصر؟

بلاديوس: كانوا -على ما أعتقد- نساءً وأولاداً صغاراً والمرضى والعجائز وحيوانات وممتلكات أخرى.

كيرلس: وكيف لا تفكر مباشرةً في معنى بقاء هؤلاء بالذات في مصر؟

بلاديوس: عمَن تريد أن تتحدث؟

كيرلس: إن (الشيطان) يعتبر أولئك المملوءين حيوية ونشاطاً ولديهم استعدادٌ قوي لحياة التقوى، يعتبرهم مزعجين له، لأنه يريد أن يتخلص ممَن يمكنهم أن يقاوموه، إذ لديهم القدرة على الرد والدفاع عن ذواتهم عندما يقع عليهم الظلم حسب المكتوب: "قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ" (يع ٤: ٧). وعلى العكس من هذا، فإنه أراد أن يُبقي أولئك الذين ليس في طبيعتهم تلك الحيوية وذلك النشاط، بل هم يميلون في سلوكهم للرخاوة والتنعم، الذي ينم عن الضعف والعجز. وتشير الأبقار والأغنام السمينة وغير العاقلة التي أراد فرعون أن يبقيها في مصر إلى هؤلاء الذين ذكرنا أنهم يسلكون في رخاوة وتنعُّمٍ.

بلاديوس: حسناً، بالصواب تتحدث.

كيرلس: غير أن فرعون صاحب الرأس العنيد لم يوفِ بوعوده، إذ أنه بسبب هجوم الجراد الذي -كما تقول الكلمة- أكل كل شيء في الأرض، دعا موسى وهارون وقال لهما: "اذْهَبُوا اعْبُدُوا الرَّبَّ. غَيرُ أَنَّ غَنَمَكُمْ وَبَقَرَكُمْ تبقَى. أَوْلاَدُكُمْ أَيْضاً تَذْهَبُ مَعَكُمْ». فَقَالَ مُوسَى: «أَنْتَ تُعْطِي أَيْضاً فِي أَيْدِينَا ذَبَائِحَ وَمُحْرَقَاتٍ لِنُقَرِّبُهَا لِلرَّبِّ إِلَهِنَا. فَتَذْهَبُ مَوَاشِينَا أَيْضاً مَعَنَا. لاَ يَبْقَى ظِلْفٌ. لأَنَّنَا مِنْهَا نَأْخُذُ لِعِبَادَةِ الرَّبِّ إِلَهِنَا. وَنَحْنُ لاَ نَعْرِفُ بِمَاذَا نَعْبُدُ الرَّبَّ حَتَّى نَأْتِيَ إِلَى هُنَاكَ" (خر ١٠: ٢٦).

بلاديوس: وماذا يمكن أن نفهم من حديث موسى الحكيم؟ أو إلى أي شيء ترمز هذه الأشياء التي ستخرج من مصر ويطلقها فرعون ثم تخصص لله؟

كيرلس: الكلام واضح يا صديقي، إن مَن يقاوم ويحارب أولئك الذين يريدون أن يكونوا أنقياء، يريد أن يحتفظ ولو بجزءٍ بسيطٍ منهم تحت سيطرته، حتى لو ظل الباقي خارج قبضته. وغير ذلك فإن الوصية الإلهية تعلمنا أن الحرية

يجب أن تشمل الإنسان كله، فلا يُترك في قبضة الشيطان ولو جزءٌ صغير جداً من النفس أو حتى أي دافع لأي عمل جسدي. بل بالحري يجب أن نقدم لله كل ما هو حسن وفائق في هذه الحياة. لأن هذا ما تعنيه أن يأخذوا الحيوانات معهم من مصر ويذبحونها لله في الصحراء. ألم يكن هذا هو ما فعله هؤلاء الذين -بحكمة العالم- كانوا يقاومون عقائدنا الإلهية، مستخدمين حكمة الكلام المبهر، والمعرفة التي تسبب مرارة النفس، وهم في ذلك كله يظنون أنهم يقدمون عبادةً عقلية لله؟ ولأن "كل حكمة هي من الله" (حكمة ابن سيراخ ١:١)، كما هو مكتوب، فإننا نقول إن الشعراء والفلاسفة اليونانيين وصلوا لهذه الفصاحة بروح العالم وليس عن طريق الحكمة الإلهية. ولهذا يقول بولس العظيم: "وَنَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ الْعَالَمِ بَلِ الرُّوحَ الَّذِي مِنَ اللهِ لِنَعْرِفَ الأَشْيَاءَ الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللهِ. الَّتِي نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضاًلاَ بِأَقْوَالٍ تُعَلِّمُهَا حِكْمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ" (١كو ٢: ١٢ - ١٣). وفي الحقيقة إن موسى عندما قال إن الإله الحقيقي لا يحتقر ما نقدمه له من أشياء ثمينة من هذا العالم، كان لا يزال تحت ظلال العهد القديم، ولهذا لم يبين ما قاله بوضوح، بل تكلم عنه بالرمز. لأنه عندما أمر الله بأن يسلب الإسرائيليون أشياء من المصريين، قال إنه يجب أن يأخذوا من جيرانهم مصنوعات ذهبية وفضية، ولقد أتم نساؤهم هذا الأمر باقتدار، حيث تميزن بكثرة الكلام المقنع وابتداع الحيل مع النساء المصريات. إن الأوانى الذهبية والفضية التي كانت للمصريين، يمكن أن تمثل، كما قُلت من قبل سبب فخر لبعض الأشخاص، بالرغم من أنهم يعرفون الإله الحقيقى. ويمكنني أن أكرر ثانية ما يأتي: إن نشاط الفكر والنفس والميل نحو كل صلاح، هي عناصر مشتركة لجميع الناس، لكن أولئك الذين يستخدمون هذه المميزات الطبيعية، استخداماً حسناً يحققون حياةً مُشرقةً وفائقة، بينما أولئك الذين لا يستخدمون هذه المميزات ينحرفون تماماً عن جهل إلى كل ما لا يليق، ويُظهِرون -بطريقة ما- كيف أن خيرات الطبيعة يمكن أن تُستخدم بطريقة غير حسنة. فالشجاعة والحكمة هي أشياء حسنة عندما تُستخدم بطريقة سليمة، وهى مُضرة أيضاً عندما لا تستخدم بطريقة جيدة. لأن الشجاعة والحكمة يمكن أن تكونا سبباً لإطراء واستحسان عمل شخص ما، وسبب

استجهان لعمل شخص آخر. إذ أن كل هذه الأمور هي مشتركة بين الجميع، أي لمن لديهم معرفة الله وأيضاً لمن هم في ضلال عدم معرفته.

إذن عندما نستخدم نحن هذه الصفات في عمل يرضي الله، فإن هذا يشبه ما أُخِذَ من المصريين من خيرات مادية، وأصبح مقدَّساً ومقبولاً لدى الله، كالأواني الذهبية التي تبيَّن أن فائدتها عظيمة في صنع وتكميل خيمة الاجتماع. وبعد سلب هذه الأشياء من المصريين وموت الأبكار تحرر الإسرائيليون، وذبحوا الحَمَل كمثال للمسيح. لأنه لم يكن باستطاعتهم أن يحصلوا على الحرية بطريقة أخرى، لأن الفداء يتم فقط بالمسيح، والذى منه تنزل كل موهبة صالحة. عندئذٍ رحلوا من مصر في منتصف الليل وتحرروا من الظلمة والعبودية. لأن عبيد الخطية يحبون دائماً التواجد في الظلمة الذهنية وليس في النور الإلهى، كما يقول المخلص: "كل مَن يعمل السيئات يبغض النور" (يو ٣: ٢٠). فأخذوا عجيناً غير مختمرٍ ورحلوا بدون مؤنٍ. لأنه يقول: "وَأَلَحَّ الْمِصْرِيُّونَ عَلَى الشَّعْبِ لِيُطْلِقُوهُمْ عَاجِلاً مِنَ الأَرْضِ لأَنَّهُمْ قَالُوا: «جَمِيعُنَا أَمْوَاتٌ». فَحَمَلَ الشَّعْبُ عَجِينَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَخْتَمِرَ وَمَعَاجِنُهُمْ مَصْرُورَةٌ فِي ثِيَابِهِمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ" (خر ١٢: ٣٣ - ٣٤). لأنه لا يجب –على ما أعتقد– على كل مَن يريدون أن يُدعوا إلى الله ويبرهنون على أنه يسكن في داخلهم، أن يأخذوا معهم أيَ فتاتٍ من شرور العالم، وألَّا تكون مؤنهم أطعمةً غريبةً ونجسةً. بل خبزاً بلا خميرٍ، مشتهين الخبز الذي يُحيي العالم. هؤلاء يعيشون في نقاوة متممين عبادةً مقبولةً لله، وهكذا يسلكون دائماً حسب إرادته.

بلاديوس: نستنتج من هذا إذن، أنه يجب على محبي الله والصالحين أن يصلوا إلى الأرض المقدسة، أي إلى مملكة المسيح، متحررين من كل عبودية، مُسرعين لكي يذبحوا لله ليس في أرض الأعداء، حيث تستعبدهم محبة الخطية، لكن بالحري يذبحون وهم على استعداد تام لعمل الفضيلة، والسلوك بعيداً عن كل تسلط الشيطان الطاغي.



سبي بابل نموذج لأسر الشيطان

كيرلس: هكذا يكون الأمر يا صديقى، ولا تصدق أن الأمر يمكن أن يتم بطريقة أخرى. لقد أفضنا في الشرح، غير أنه من الممكن -لو أردت- أن نرى الأمر نفسه في موقف آخر، إذ عندما أحزن ساكنو المدينة المقدسة أورشليم مخلص الجميع، إذ كانت لديهم شهوة فعل كل ما هو غير لائق، صاروا مستعبَدين للبابليين، الذين أسروهم وجعلوهم عبيداً رغم إرادتهم. وإذ صاروا عبيداً انتابهم حزن عظيم، وصاروا ينتحبون على مصائرهم. فأخذوا يسبِّحون الله في محاولةٍ لتخفيف الألم الذي أصابهم، والتقليل من الحزن الذي كانوا يعانون منه قائلين مع داود: ''تذكرت الله فامتلأت فرحاً''. فلقد حوّل داود تسبيحه لله إلى عيدٍ روحي، غير أن البعض منهم ظن أنه أمر لا يليق أن يكون هذا التسبيح العذب وتلك الأناشيد الجميلة على مسمع من قومٍ غرباء لا يقدِّرونها، إذ كان البابليون يستهزئون عند سماعهم تلك التسابيح. لذلك قالوا: ''على أنهار بابل هناك جلسنا وبكينا عندما تذكرنا صهيون'' (مز ١٣٦: ١ – ٢). فهناك (في الهيكل) كانت تُقدم صلوات ذبيحةً شكرٍ مصحوبةٍ بآلات وترية ونفخ وموسيقى تخلب عقول هؤلاء الذين يأتون إلى الهيكل المقدس. كل هذا كان يقدَّم وفق نواميس وعادات اليهود، لكن بسبب أنهم كانوا في عبودية غريبة وثقيلة ومقيدين بشدة، كانوا يقولون منتحبين: ''على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا'' (مز ١٣٦: ٢)، معلنين بهذا أنهم توقفوا عن الغناء والتسبيح. فشجرة الصفصاف هي شجرة عقيمة أو بالأحرى شجرة ثمارها ضارة كما قال أحد شعراء اليونان[1].

ظلت إذن آلات الأناشيد بغير استخدام، وفي صراخهم تساءلوا: ''كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة'' (مز ١٣٦: ٤)، وعندما نقل لهم باروخ كلمات إرميا بكوا، إذ يقول: ''فبكوا وصاموا وصلوا أمام الرب. وجمعوا من الفضة قدر ما استطاعت يد كل واحد. وبعثوا إلى أورشليم إلى يواقيم بن حلقيا بن شكوم الكاهن وإلى الكهنة وإلى جميع الشعب الذين معه في أورشليم'' (باروخ ١: ٥ – ٧). وبعد

١- هوميروس: الأوديسا ٢٠.

ذلك يقول: "وقالوا إنّا قد أرسلنا إليكم فضة فابتاعوا بالفضة محرقات وذبائح للخطية ولُباناً واصنعوا تقدمات وقدموها على مذبح الرب إلهنا" (باروخ ١:١٠). لقد ظنوا أنه لا يليق بهم أن يذبحوا، طالما هم خارج الأرض المقدسة ولا هم تحت سلطان الله. حيث كانوا تحت نير وسلطان شخص آخر طاغٍ. لذلك أسندوا العبادة لهؤلاء الذين كانوا يسكنون في أورشليم، إذ كان يليق بهؤلاء مثل هذه العبادات المقدسة، وفي هذا كانوا يفكرون تفكيراً سليماً فيما هو واجب، ويفعلوه.

دانيال الحكيم أيضاً وهو يدرس الكتب المقدسة، مع أنه كان أسيراً معهم، لكنه حاول مع آخرين أن يخفف عنهم هذه الحالة الصعبة. فكيف فعل ذلك؟ لقد صلى ثلاث مرات في اليوم. وإذ كانت الكوة مفتوحة تجاه أورشليم في العلية حيث كان يصلي، كما هو مكتوب (دانيال ٦:١)، حينئذٍ ظن أن صلاته سوف تكون مقبولةً أمام الله، طالما أنه ابتعد عن الأرض الغريبة والمكروهة، وإن كان ليس بالجسد، أي ابتعد على الأقل بذهنه، وبأعين النفس، ناظراً نحو تلك الأرض المحبوبة إلى الله، ومتقدماً –وكأنه بطريقة ما– داخل الهيكل المقدس نفسه، لكي يقدم صلاته.

بلاديوس: في الواقع كان حديثنا ممتعاً للغاية.

المقالة الثانية

من المستحيل أن يهرب أحدٌ من الموت الذي تسبِّبُه الخطية، ولا من سلطان الشيطان الطاغية، سوى بالتقديس بحسب المسيح، وأن التبرير ليس بالناموس، ولكن بالمسيح

من المفيد يا بلاديوس أن يبتعد المرءُ بإرادته، عن الأمر الضار بطبيعته، وأن يقترب من عبادة الله، لقد تبرهن لنا ذلك بحديثٍ مستفيض.

بلاديوس: نعم بالتأكيد.

كيرلس: من ثمَّ يجب علينا ونحن نبتعد عن الأمور المشينة، أن نتطلع وبكافة الطرق إلى الأمور الحسنة والمقبولة، وقد برهنا على ذلك بطريقة فائقة.

بلاديوس: بلا شك.

كيرلس: هكذا، وإذ نحن ننبذ شهوة العالم والاضطرابات والإزعاجات التي تثيرها فينا، علينا أن نسرع في تقديم ذبيحةٍ إلى الله، وباستعداد ذهني يقودنا إلى البرية أي إلى حياة الوحدة والسكينة لنمارس عبادةً نقيةً طاهرةً بلا لوم ومقبولةٍ لديه[1].

بلاديوس: نعم هذا ما قلناه.

كيرلس: ليس هذا فقط، فبينما الشيطان، يستبد بنا ويطغى علينا بسطوته ويأسرنا في سلطانه وتحت قيوده، يدعونا الناموس الإلهي إلى مرتبة الحرية، ويصُدُّ عنا عداوته المضادة، حاثاً إيانا على ممارسة أعمال الفضيلة بآلاف الأمثلة.

بلاديوس: حقيقةً.

١- يُعد البُعد النسكي من ضمن استلزمات التفسير المستقيم.



وساطة موسى نموذجاً لوساطة المسيح

كيرلس: فالله إذن، هو مانح الخلاص وهو سبب سعادتنا، إذ أظهر لنا طريق التقرب إليه بالمسيح الوسيط. أليس من الواضح تماماً أن وساطة موسى تُعتبر نموذجاً ومثالاً لوساطة المسيح؟

بلاديوس: بأية طريقة؟

كيرلس: إن موسى النبي كليم الله قد حرّر الإسرائيليين من العبودية الجسدية، وأعتقهم من متاعب صناعة الطوب ومن مشقات الزراعة، وكان حقاً وسيطاً بين الله والناس، إذ نقل إليهم الأقوال السماوية. هكذا انتشلنا من العبودية العقلية ربنا يسوع المسيح، مكملاً بالحقيقة كل ما كان مثالاً وظلاً، وأبعد عنا الخطية التي فرضت سطوتها علينا قديماً، وسحق مملكة الشيطان، جاعلاً كل الذين يتبعونه تابعين له عن إيمان، تاركين الاهتمامات الأرضية والانشغالات الجسدية، ووضع فينا من جديد محبة الفضيلة، وجعل إرادة إلهنا وأبينا معروفةً وواضحةً لنا، إذ قال: "وَالْكَلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو ١٤:٢٤)، وأيضاً: "لأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي لَكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ" (يو ١٢:٤٩). وموسى، إذ كان هو نفسه صورةً لوساطة المسيح ومثالاً لها، قال للإسرائيليين: " يُقِيمُ لكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيّاًمِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لهُ تَسْمَعُونَ. حَسَبَ كُلِّ مَا طَلَبْتَ مِنَ الرَّبِّ إِلهِكَ فِي حُورِيبَ يَوْمَ الاِجْتِمَاعِ" (تث ١٨: ١٥ – ١٦). وإن كانت قوة وساطة موسى قد أُعلنت بالأمثال والصور، فهذه كانت إشارةً سريةً لقوة وساطة المسيح. فبينما كان موسى خادماً للناموس وللظل، ووسيطاً للشرائع السماوية، كان المسيحُ، كَرَبِّ الشريعة والأنبياء، يشرّع كل ما يراه ضرورياً، وكان الوسيط الذي في شخصه الواحد يتحد اللاهوت والناسوت. إذ هو في الوقت نفسه الإله الكامل والإنسان الكامل معاً. "وَمُوسَى كَانَ أَمِيناً فِي كُلِّ بَيْتِهِ كَخَادِمٍ، شَهَادَةً لِلْعَتِيدِ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِهِ. وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَكَابْنٍ عَلَى بَيْتِهِ. وَبَيْتُهُ نَحْنُ" (عب ٣: ٥ – ٦)، أي نحن الذين بالإيمان به قادنا إلى الحرية الحقيقية. هكذا نصل إلى أن موسى كان وسيطاً للحرية الجسدية، وللحرف وللظل والمفسر للأمور

الإلهية، بينما كان ربنا يسوع المسيح هو المعلّم للأمور الأسمى من الناموس، أي الحرية الروحية. لذا قال بوضوح للإسرائيليين الذين كانوا في الحرية الجسدية: ''إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كَلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تلاَمِيذِي. وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ'' (يو ٨: ٣١ – ٣٢). وأيضاً: ''إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ. وَالْعَبْدُ لاَ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الأَبَدِ أَمَّا الاِبْنُ فَيَبْقَى إِلَى الأَبَدِ. فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الاِبْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَاراً'' (يو ٨: ٣٤ – ٣٦).

بلاديوس: تكلمت بالصواب تماماً.

لماذا يعجز الناموس عن التبرير؟

كيرلس: إن افتخارنا إذن، لا يكون لأجل أمور جسدية برّاقة، بل لأجل أمور روحية وأعمال الفضيلة في المسيح، وليس قط لأعمال الناموس. لأنه طالما ظلَّ المرءُ تحت سلطة الخطية فهو عبدٌ، والناموس لن يبرره مطلقاً، لكنه بالأحرى يدينه بذنبه وعصيانه، إذاً كيف لا يكون واضحاً للجميع أن كل تبرير، يصير بالإيمان بالمسيح، والكمال الروحى يكتمل بالتقديس بواسطته وبه؟!!

لذلك يكتب بولس الكلى الحكمة: ''لأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ لأَنَّهُ قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ. لأَنْ فِيهِ مُعْلَنٌ بِرُّ اللهِ بِإِيمَانٍ لإِيمَانٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ«أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا'' (رو ١٦:١ – ١٧). كذلك أيضاً أعلن ضعف الناموس القديم وعدم وضوحه بقوله: ''لأَنْ لَيْسَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ النَّامُوسَ هُمْ أَبْرَارٌ عِنْدَ اللهِ بَلِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالنَّامُوسِ هُمْ يُبَرَّرُونَ'' (رو ٢: ١٣). لذا، ففي المسيح وحده، نجد التبرير بواسطة الإيمان والتحرر من العبودية الذهنية.

بلاديوس: إذن، هل الناموس عديم الفائدة؟

كيرلس: لا أعني هذا. لأنه لم يُشرَّع عبثاً، بل بالتأكيد أنه قد أُعطي ''للمساعدة'' كما هو مكتوب (إش ٨: ٢٠س). فإن كان الناموس هو للتعليم والتأديب على الخطية وأيضاً من أجل الاحتياج لاستلام الأساسيات عن بداءة أقوال الله، فكيف إذاً لا نعتبره مفيداً؟!! لكنه عاجزٌ من جهة التطهير من



الخطية، ومن جهة تتميم القداسة. لذلك قال بولس العظيم: ''نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَقُولُهُ النَّامُوسُ فَهُوَ يُكَلِّمُ بِهِ الَّذِينَ فِي النَّامُوسِ لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لأَنَّ بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ'' (رو ٣: ١٩ - ٢٠). إذاً الناموس إذ يُظهر الخطية، لا يكون سبباً للافتخار بالفضيلة، بمعنى أنه عندما يقول الناموس: ''لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ'' (خر ٢٠: ١٤ - ١٦)، وأي شيء آخر يرتبط بهذه الوصايا يُظهر لنا فقط أنواع الدناءات ويحذِّرنا من الأمور النجسة، لكنه لا يخبرنا عن الفضيلة ولا يكشف للسامعين معرفة الحياة الحقيقية؛ لأنه في مجال اكتساب الفضائل يكون من الجهل الاكتفاء فقط بالكتابة ضد الأمور الشريرة. وأظن عندئذٍ أنه ينبغي لنا أن نختار بكل يقين كل ما يستحق الثناء بالتأكيد، وهذا منطقي جداً، إذ ونحن نهجر الشر وندفعه بعيداً تاركين كل ما هو ليس نقياً من غشٍّ ودنسٍ مقززٍ؛ فإننا نرتفع إلى الأمور التي هي نفسها الفضيلة الجديرة بالافتخار. لذلك يقول ربنا يسوع المسيح: ''إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ'' (مت ٥: ٢٠). إذاً فإننا نعرف أن المخلص أمرنا أن نُفضِّل البر الذي يزيد على الناموس. ويكتب بولس الحكيم قائلاً إن الوصيةَ فائقةٌ جداً: ''إِنْ ظَنَّ وَاحِدٌ آخَرُ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَى الْجَسَدِ فَأَنَا بِالأَوْلَى. مِنْ جِهَةِ الْخِتَانِ مَخْتُونٌ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ، مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ، عِبْرَانِيٌّ مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ. مِنْ جِهَةِ النَّامُوسِ فَرِّيسِيٌّ. مِنْ جِهَةِ الْغَيْرَةِ مُضْطَهِدُ الْكَنِيسَةِ. مِنْ جِهَةِ الْبِرِّ الَّذِي فِي النَّامُوسِ بِلاَ لَوْمٍ. لَكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحاً فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ. وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ'' (فيلبى ٣: ٤ - ٩).

بلاديوس: لقد أدركت هذا، لأن قولك واضح. ولكن قل لي، ألم يكن حسناً أن يُشرِّع لنا من البداية بتبريرنا بالإيمان وتقديسنا به، طالما أن الناموس القديم لم يكن كافياً لتكميلنا؟



لماذا لم يُشَرَّع التبرير بالإيمان ابتداءً؟

كيرلس: يا صديقي، لا يمكن أن أوافقك على هذا، لأنه الذي كان متسخاً غُسِل، وتطهَّر الذي كان ملوثاً، واستضاء الذي كان مظلماً. فكان يجب وفقاً لقول المخلص أن يُشفى العضو المريض، وأن يُدعى للتوبة ليس كل الذين تقدسوا فقط، بل وأيضاً أولئك الذين اعتُبروا نجسين بسبب خطاياهم (مت ٩:١٢). ألم يكن من الواجب أن يدان أولاً كل الذين وُجِدوا في خطرٍ بسبب ضعفهم، لكي نرى فيما بعد كيف أنهم افتُدُوا بالشفاء من الخطية؟

إذاً كان يجب أن يكون الناموس أولاً، وهو الذي يحدّد هول الخطية ويرصدها، وهو مشتكٍ قاسٍ على ضعفنا البشرى، وذلك حتى لا نخطيء في معرفة عظمة السماحة الإلهية التي أُعطيت لنا بواسطة المسيح. إذ كيف تُعطى عطية الغفران إن لم تكن هناك أعمال شريرة قبلها؟! وإذا كان من الضرورة أن نرجع بإيجاز إلى بعض ما جاء في القديم، أقول إن الله وعد أبرآم بالنعمة بواسطة الإيمان ووُهِبَ له -كأول أولئك الذين رُحِموا- بسبب صلاحه أن يسبق الغفران الناموس. لأن الكتاب يقول: "فآمن إبراهيم بالله فحُسِب له براً" (تك ١٥: ٦، رو ٤: ٣)، ويضيف بولس تأكيده هذا "فَكَيْفَ حُسِبَ؟ أَوَهُوَ فِي الْخِتَانِ أَمْ فِي الْغُرْلَةِ؟ لَيْسَ فِي الْخِتَانِ بَلْ فِي الْغُرْلَةِ!. وَأَخَذَ عَلاَمَةَ الْخِتَانِ خَتْماً لِبِرِّ الإِيمَانِ الَّذِي كَانَ فِي الْغُرْلَةِ" (رو ٤:١٠ - ١١).

استمع إلى الله الذي يقول بوضوح: "وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض" (تك ١٢:٣)، "فيك أو بك". و"فيك" تعني نفس معنى "بك". وهذا ما يعنيه بولس عندما يقول: "وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللهَ بِالإِيمَانِ يُبَرِّرُ الأُمَمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ فِيكَ (بِكَ) تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ. إِذاً الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ يَتَبَارَكُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤْمِنِ" (غلا ٣: ٨ - ٩).

إذاً الختان هو علامة الإيمان، وذلك في الفترة التي كانت قبل الختان، والتي لا يتبرر فيها أحد بأعمال الناموس، وأمجاد الإيمان تظهر أنها أسمى من الختان الجسدى، لأن إبراهيم دُعي خليل الله.

بلاديوس: إذن اسمح لي أن أعرض أفكارى: ما معنى تأخُّر التقديس بواسطة الإيمان، ولأي سبب أعطيت العلامة (الختان) في فترة سابقة، (والإيمان) الأكثر

أهمية في فترة لاحقة؟

كيرلس: ألم نقل من قبل، إنه كان عملاً يستحق الإعجاب، وكل حكيم عليه أن يُعبِّر عن هذا الإعجاب. إن الفترة التي سبقت ظهور الناموس كانت تتميز بالإيمان الذي يبرّر؟ ألا يضئ النور في الظلمة (يو ١:٥)، والقوة ألا تظهر كاملة حيث يوجد الضعف (٢كو ١٢:٩) وفقاً لما هو مكتوب؟

بلاديوس: أنت تنطق بالحق.

كيرلس: إذن، فالناموس أُعطي لكي يظهر الخطأ. لأنه حيث لا يوجد ناموس لا توجد مخالفة. وكيف يستطيع أحدٌ أن يرى الغفران من العصيان واللامبالاة التي تنتج عنه، لو لم يُحكم علينا بالناموس؟ وهذا الذي أقوله هو حق وليس فيه تناقض أو عدم توافق، وهو ما يؤكده بولس حين يقول: ''فَلِمَاذَا النَّامُوسُ؟ قَدْ زِيدَ بِسَبَبِ التَّعَدِّيَاتِ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ النَّسْلُ الَّذِي قَدْ وُعِدَ لَهُ، مُرَتَّباً بِمَلاَئِكَةٍ فِي يَدِ وَسِيطٍ'' (غلا ٣:١٩). حقاً هو حكيم جداً؛ إذ يبرهن مسبقاً لكي يقطع المبررات والشكوك التي سوف يقدمها البعض. لأنه كان من الطبيعي أن يشتكي البعض من تأخر التبرير بالإيمان، وأن يقولوا إن تدخل الناموس صار لكي يُبطل الوعد الأول (القديم). لهذا يقول: ''فَهَلِ النَّامُوسُ ضِدَّ مَوَاعِيدِ اللهِ؟ حَاشَا! لأَنَّهُ لَوْ أُعْطِيَ نَامُوسٌ قَادِرٌ أَنْ يُحْيِيَ، لَكَانَ بِالْحَقِيقَةِ الْبِرُّ بِالنَّامُوسِ. لَكِنَّ الْكِتَابَ أَغْلَقَ عَلَى الْكُلِّ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ، لِيُعْطَى الْمَوْعِدُ مِنْ إِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. وَلَكِنْ قَبْلَمَا جَاءَ الإِيمَانُ كُنَّا مَحْرُوسِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، مُغْلَقاً عَلَيْنَا إِلَى الإِيمَانِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ. إِذاً قَدْ كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِالإِيمَانِ. وَلَكِنْ بَعْدَ مَا جَاءَ الإِيمَانُ لَسْنَا بَعْدُ تَحْتَ مُؤَدِّبٍ. لأَنَّكُمْ جَمِيعاً أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ'' (غلا ٣:٢١ - ٢٦). ولكي يُزيل هذه الحيرة تماماً يضيف ''وَإِنَّمَا أَقُولُ هَذَا: إِنَّ النَّامُوسَ الَّذِي صَارَ بَعْدَ أَرْبَعِمِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً، لاَ يَنْسَخُ عَهْداً قَدْ سَبَقَ فَتَمَكَّنَ مِنَ اللهِ نَحْوَ الْمَسِيحِ حَتَّى يُبَطِّلَ الْمَوْعِدَ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَتِ الْوِرَاثَةُ مِنَ النَّامُوسِ فَلَمْ تَكُنْ أَيْضاً مِنْ مَوْعِدٍ. وَلَكِنَّ اللهَ وَهَبَهَا لإِبْرَاهِيمَ بِمَوْعِدٍ'' (غلا ٣:١٧ - ١٨).

فالناموس نحفظه لنا من الخطية كمُربٍّ يقودنا إلى المسيح، لأن غاية الناموس والأنبياء هي المسيح. لهذا قال لجموع اليهود الذين لم يؤمنوا به:



''لأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي'' (يو ٥: ٤٦). إذن، فإن تبريرنا لم يأتِ من أعمال الناموس، بل من إيماننا بالمسيح. لأنه يقول: ''لأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ». وَلَكِنْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بِالنَّامُوسِ عِنْدَ اللهِ فَظَاهِرٌ، لأَنَّ «الْبَارَّ بِالإِيمَانِ يَحْيَا». وَلَكِنَّ النَّامُوسَ لَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ، بَلِ «الإِنْسَانُ الَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا بِهَا». اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةًلأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ». لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ'' (غلا ٣: ١٠ - ١٤).

بلاديوس: لكن أتريد، يا عزيزي، إذا وافقت، أن نذهب إلى أمر آخر مفيد لإيماننا في المسيح؟ لأن كل ما قُلناه عن الناموس وتدبيره، يكفي.

كيرلس: إذن اخبرنى ماذا ترغب، وإلّا سيكون صعباً عليَّ أن أتكلم.

بلاديوس: ليس صعباً بالمرة، وهو أمر وارد لأن كل ما أطلبه يمكن أن نبلغه بسهولة ويسر عندما يلقي المسيح في داخلنا بغنى نوره الإلهى، ألا نُكرم الله مقدمين له ذبائح غير دموية، نحن الذين قبلنا تبريرنا بالإيمان ورفضنا عبادة الأشكال والظلال؟

كيرلس: تكلمت بالصواب، لأنه مكتوب: ''أكرم الرب من مالك ومن كل باكورات غلتك'' (أم ٣: ٩)، ''لأَنَّهُ بِذَبَائِحَ مِثْلِ هَذِهِ يُسَرُّ اللهُ'' (عب ١٣: ١٦)، وفقاً لكلام القديسين.

لماذا ارتبط نظام العبادة القديم بالذبائح الدموية؟

بلاديوس: من الغباء إذن الاعتناء بذبائح الثيران وإتمام كل ما تطلب الوصية القديمة أن نقدمه، طالما ذبح الخراف وتقديم البخور مع الفطير والدقيق بالزيت، واليمام والحمام، هي من الأمور الخاصة بعبادة ذاك العصر. لكن اخبرني، لماذا لم تكن هذه الأمور (التقدمات الروحية) جديرةً بالقبول من البداية، بينما يُشرِّع الله الآن بوضوح كل ما يسره، ويكشف لنا طرق الذبيحة الروحية؟



كيرلس: هل تظن وتجرؤ إذن أن تقول إن الله لم يفكر بالصواب في البداية، وكان بطريقةٍ ما قد أخفق من جهة الصلاح الكامل، أمَّا الآن فقد استطاع أن يجد الأحسن؟ أم هل تظن أنه فضَّل عندئذ كل ما كان في الظل، لأنه رأى أن تكون هذه الأمور مستمرة وثابتة، ولكنه بقصدٍ أو "بنيَّةٍ" ما (أجرى) هذا التحديث الذي أتى إلينا، إذ حوّل الدعوة فيما بعد لأمور أخرى، ومن ثمَّ أعطانا عبادةً جديدةً، لم تكن -بحسب رأيه- ضروريةً في القديم؟

بلاديوس: لا بالطبع. لأن هذا مجرد ثرثرةٍ، وبالحري لم يخطر على بالي فكرة أن الله يمكن أن يفعل شيئاً ما خطأً، ولو كان صغير جداً، حاشا لله. لكني كنت أُريد أن أعرف الأسباب التي دعت الله أن يشرِّع تلك الأمور في ذلك الوقت للبشر الذين على الأرض، وكذلك الأمور السارية علينا الآن.

كيرلس: قولك هذا يجعلنا مضطرين إلى أن نعود إلى الأمور السابقة. ربما لم أقل لك؛ إن الناموس كان مربِّياً، أي كان المعلِّم لهؤلاء الذين كانوا لا يزالون أطفالاً، وقد أُعلن في لغزٍ لهؤلاء الذين لم يستطيعوا بعد أن يفهموا ما هو الصلاح الحقيقى، وما هي إرادة الله وما هو أيضاً المرضي والكامل عند الله، وكل ما فعله كان واضحاً وبأمثلة محسوسة؟ ستتعلم إذن، نعم ستتعلم، وليس بجهدٍ كثير، لأن طريق العبادة الروحية كان من البداية، ومازال أمراً مرغوباً فيه جداً لدى الله. ولكنه كان صعب المنال على نفوس اليهود ومازال بعيداً عن متناول أيديهم. لأن الحاجة كانت إلى كلمة مناسبة للأطفال وإلى دروس بسيطة، وتدبير تربوي هادف، دون أية صعوبة أو ومشقة، لذلك شرَّع الله لهم قديماً بأمثلة، ولكنه سبق أيضاً وأعلن أن العبادة الحقيقية سوف تأتي في وقتها وتتحقق، ولذا رفض الذبائح الدموية واكتفى بالظلال، وتصدى لها بواسطة النبي عاموس عندما قال: "بَغَضْتُ كَرِهْتُ أَعْيَادَكُمْ وَلَسْتُ أَلْتَذُّ بِاعْتِكَافَاتِكُمْ. إِنِّي إِذَا قَدَّمْتُمْ لِي مُحْرَقَاتِكُمْ وَتَقْدِمَاتِكُمْ لاَ أَرْتَضِي وَذَبَائِحَ السَّلاَمَةِ مِنْ مُسَمَّنَاتِكُمْ لاَ أَلْتَفِتُ إِلَيْهَا. أَبْعِدْ عَنِّي ضَجَّةَ أَغَانِيكَ وَنَغْمَةَ رَبَابِكَ لاَ أَسْمَعُ" (عا ٥: ٢١ – ٢٣). كذلك أعلن بواسطة ميخا النبي أن الرجل الذي يرغب أن يتعلم بأية طريقة، سوف يتحقق من الصلاح إذ يقول: "بِمَ أَتَقَدَّمُ إِلَى الرَّبِّ وَأَنْحَنِي لِلإِلَهِ الْعَلِيِّ؟ هَلْ أَتَقَدَّمُ بِمُحْرَقَاتٍ بِعُجُولٍ أَبْنَاءِ سَنَةٍ؟ هَلْ يُسَرُّ الرَّبُّ بِأُلُوفِ الْكِبَاشِ بِرِبَوَاتِ أَنْهَارِ زَيْتٍ؟ هَلْ أُعْطِي بِكْرِي عَنْ

مَعْصِيَتِي ثَمَرَةَ جَسَدِي عَنْ خَطِيَّةِ نَفْسِي؟" (ميخا ٦:٦ - ٧)، وفيما بعد يضيف الآيات التي ترتبط بما سبق وتعتبر امتداداً لها "قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا هُوَ صَالِحٌ وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ إِلاَّ أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعاً مَعَ إِلَهِكَ" (ميخا ٦:٨).

ثم أليس هذا ما أوضحه المسيح عندما قال: "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي" (مت ١٦:٢٤)، وأيضاً: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي فَلْيَتْبَعْنِي وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضاً يَكُونُ خَادِمِي" (يو ١٢:٢٦). فالعبادة التي بحسب المسيح، ليست ناموسية، بل هي عبادة مقدسة وروحية.

بلاديوس: لقد تكلمت بالصواب حقاً.

كيرلس: وهو أيضاً يوبِّخ الإسرائيليين بواسطة إشعياء بأكثر حدةٍ قائلاً: "اِسْمَعُوا كَلاَمَ الرَّبِّ يَا قُضَاةَ سَدُومَ! أَصْغُوا إِلَى شَرِيعَةِ إِلَهِنَا يَا شَعْبَ عَمُورَةَ:. «لِمَاذَا لِي كَثْرَةُ ذَبَائِحِكُمْ؟» يَقُولُ الرَّبُّ «اتَّخَمْتُ مِنْ مُحْرَقَاتِ كِبَاشٍ وَشَحْمِ مُسَمَّنَاتٍ وَبِدَمِ عُجُولٍ وَخِرْفَانٍ وَتُيُوسٍ مَا أُسَرُّ. حِينَمَا تَأْتُونَ لِتَظْهَرُوا أَمَامِي مَنْ طَلَبَ هَذَا مِنْ أَيْدِيكُمْ أَنْ تَدُوسُوا دِيَارِي؟ لاَ تَعُودُوا تَأْتُونَ بِتَقْدِمَةٍ بَاطِلَةٍ. اَلْبَخُورُ هُوَ مَكْرُهَةٌ لِي. رَأْسُ الشَّهْرِ وَالسَّبْتُ وَنِدَاءُ الْمَحْفَلِ. لَسْتُ أُطِيقُ الإِثْمَ وَالاِعْتِكَافَ. رُؤُوسُ شُهُورِكُمْ وَأَعْيَادُكُمْ بَغَضَتْهَا نَفْسِي. صَارَتْ عَلَيَّ ثِقْلاً" (إش ١:١٠ - ١٤). ومن خلال النبى ملاخي يقول أيضاً نفس الأمر، ولأناس ممقوتين جداً، ويتذكر الأزمنة التي فيها سيقدم له كل سكان الأرض الذبيحة العقلية، وغير الدموية، والفائقة إذ قال أيضاً الآتي: "لَيْسَتْ لِي مَسَرَّةٌ بِكُمْ قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ وَلاَ أَقْبَلُ تَقْدِمَةً مِنْ يَدِكُمْ. لأَنَّهُ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا اسْمِي عَظِيمٌ بَيْنَ الأُمَمِ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ يُقَرَّبُ لاِسْمِي بَخُورٌ وَتَقْدِمَةٌ طَاهِرَةٌ لأَنَّ اسْمِي عَظِيمٌ بَيْنَ الأُمَمِ قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ" (ملا ١:١٠ - ١١). أعرفت إذن أنه يقول كيف سوف يُقدَّم له بخور وذبيحة نقية من كل الأمم. وكما دُعيَ العهد بواسطة المسيح "جديداً"، هكذا ظهر الأول أنه قديم، وهذا ما كتبه لنا بولس العظيم هنا في (عب ٨:١٣) قائلاً: "ذبيحة طاهرة" سوف تُقدَّم في وقتها من كل أمة، تدين القديمة التي لم تُقدَّم هكذا. إذ كيف تكون طاهرةً هذه (الذبيحة القديمة) التي لا تُطهِّر ولا تملك قوة التكميل في الفضيلة؟ لذلك يقول أيضاً الطوباوي

بولس فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب، لما كانت هناك ضرورة لدخول عهد المسيح وطُلب موضع لثانٍ (أنظر عب ٨:٧).

بلاديوس: إذن بناء على ذلك، فالعبادة بالظلال كانت تماماً خارج إرادة الله كُلي القداسة؟

كيرلس: بالتأكيد تماماً. ويمكننا أن نسمع ما يقوله (الله) بوضوح للإسرائيليين بفم إرميا: ''هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: ضُمُّوا مُحْرَقَاتِكُمْ إِلَى ذَبَائِحِكُمْ وَكُلُوا لَحْماً. لأَنِّي لَمْ أُكَلِّمْ آبَاءَكُمْ وَلاَ أَوْصَيْتُهُمْ يَوْمَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ مُحْرَقَةٍ وَذَبِيحَةٍ. بَلْ إِنَّمَا أَوْصَيْتُهُمْ بِهَذَا الأَمْرِ: اسْمَعُوا صَوْتِي فَأَكُونَ لَكُمْ إِلَهاً وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْباً'' (إرميا ٧:٢١ – ٢٣). طبعاً فيما يتعلق، بالإرادة التامة للمشرع، فعلى الرغم من أنه أعطى من البداية ناموس الظل إلَّا أن العبادة الروحية لم تكن غائبة، لكن لأن الأمر عندئذ كان ثقيلاً ولم يكن سهلاً لهؤلاء أن يساعدهم على تحقيق الصلاح الكامل؛ وأقول بل كان قاسياً وغير محتمل، لهذا فُرِضَ الناموس المكتوب كتهذيب مناسب للأطفال، وهو الذي أخذ شكل الحقيقة بحسب التدبير. لكن فضلاً عن ذلك أعلن المشرع (واضع الناموس) لنا بوضوح أن هذا الأمر لم يكن هو الذي فرّح نفسه كثيراً جداً، لكن تطلعاته الكثيرة قد أُعطيت لنا في المسيح فيما بعد. ولهذا قال أيضاً: ''لِذَلِكَ أَقْرِضُهُمْ بالأَنْبِيَاءِ أَقْتُلُهُمْ بِأَقْوَالِ فَمِي. وَالْقَضَاءُ عَلَيْكَ كَنُورٍ قَدْ خَرَجَ. إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً وَمَعْرِفَةَ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحْرَقَاتٍ'' (هوشع ٦: ٥ – ٦). لأن المحبة نحو الاخوة والتى تكمِّل الناموس، وتقود إلى المعرفة الفائقة للمسيح، هي عند الله أفضل بكثير جداً من ذبائح العجول والخراف. بواسطة هذه المحبة أيضاً يمكن أن يصير الآب نفسه معروفاً لنا، وهذا الأمر (معرفة الله الآب) هو سبب الحياة الأبدية. ولا توجد أي وسيلة أخرى لهذه الحياة، وذلك كما يقول المسيح لأبيه السماوى: ''وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ'' (يو ١٧:٣). وحيث إن الحق لا يكذب أبداً بأية طريقة، فهل يكون هناك مجالٌ للشك؟

بلاديوس: بالطبع لا يوجد.



التبرير بالمسيح أبطل فرائض الناموس

كيرلس: ومن حيث إن الإسرائيليين ابتعدوا عنه، إذ رفضوا الإيمان وهكذا لم يعرفوا الإله، لذا يقول بالصواب جداً، إنهم سوف لا يرجعون إلى الحالة الأولى بأية طريقة أخرى، إلَّا فقط بواسطة المسيح الذي أبطل فرائض الناموس. لأنه كتب أيضاً: "لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَيَقْعُدُونَ أَيَّاماً كَثِيرَةً بِلاَ مَلِكٍ وَبِلاَ رَئِيسٍ وَبِلاَ ذَبِيحَةٍ وَبِلاَ تِمْثَالٍ وَبِلاَ أَفُودٍ وَتَرَافِيمَ. بَعْدَ ذَلِكَ يَعُودُ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَيَطْلُبُونَ الرَّبَّ إِلَهَهُمْ وَدَاوُدَ مَلِكَهُمْ وَيَفْزَعُونَ إِلَى الرَّبِّ وَإِلَى جُودِهِ فِي آخِرِ الأَيَّامِ" (هوشع ٣:٤ – ٥). أي عندما تدخل جموع الأمم، عندئذٍ يخلُص الإسرائيليون بواسطة الإيمان بالمسيح. هنا يذكُر أن المسيح يأتي من نسل وسبط داود. ويؤكد بوضوح بفم يوئيل أن ذبائح الناموس سوف تُبطل إذ قال: "تَنَطَّقُوا وَنُوحُوا أَيُّهَا الْكَهَنَةُ. وَلْوِلُوا يَا خُدَّامَ الْمَذْبَحِ. ادْخُلُوا بِيتُوا بِالْمُسُوحِ يَا خُدَّامَ إِلَهِي لأَنَّهُ قَدِ امْتَنَعَ عَنْ بَيْتِ إِلَهِكُمُ التَّقْدِمَةُ وَالسَّكِيبُ" (يوئيل ١:١٣). وأيضاً بواسطة النبي نفسه يقول: "انْقَطَعَتِ التَّقْدِمَةُ وَالسَّكِيبُ عَنْ بَيْتِ الرَّبِّ. نَاحَتِ الْكَهَنَةُ خُدَّامُ الرَّبِّ" (يوئيل ١:٩). وبخلاف ذلك، فقد وعد أن خيمة الشهادة نفسها سوف تختفي من الوسط إذ قال: "وَيَكُونُ إِذْ تَكْثُرُونَ وَتَثْمِرُونَ فِي الأَرْضِ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ يَقُولُ الرَّبُّ أَنَّهُمْ لاَ يَقُولُونَ بَعْدُ: تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ وَلاَ يَخْطُرُ عَلَى بَالٍ وَلاَ يَذْكُرُونَهُ وَلاَ يَتَعَهَّدُونَهُ وَلاَ يُصْنَعُ بَعْدُ" (إرميا ٣:١٦).

فبما أن الذبيحة الشكلية أي الذبيحة الدموية قد تغيَّرت تماماً، كان لابد وأن تُستبعد الخيمة نفسها، لأن الحقيقة، أي الكنيسة بُنيت، وهى التي قال عنها المسيح: "ههنا أسكن لأني اشتهيتها" (مز ١٣٢: ١٤). فطريقة العبادة سوف تتقدم وتتغير نحو الأفضل، أي نحو العبادة الجديدة، عبادة المسيح. وهذا يتضح مما كتبه ملاخي عن الله قائلاً: "فَيَجْلِسُ مُمَحِّصاً وَمُنَقِّياً لِلْفِضَّةِ. فَيُنَقِّي بَنِي لاَوِي وَيُصَفِّيهِمْ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لِيَكُونُوا مُقَرَّبِينَ لِلرَّبِّ تَقْدِمَةً بِالْبِرِّ. فَتَكُونُ تَقْدِمَةُ يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ مَرْضِيَّةً لِلرَّبِّ كَمَا فِي أَيَّامِ الْقِدَمِ وَكَمَا فِي السِّنِينَ الْقَدِيمَةِ" (ملا ٣:٣ – ٤). يمكنك أن تدرك إذن لماذا يقول إنه سوف يكون هناك –بطريقةٍ ما– تنقية وإعادة خلق من جديد للكهنوت وللذبائح معاً[1].

بلاديوس: نعم.

١- تعبير رائع من القديس كيرلس يؤكد فيه أن الكهنوت الجديد هو نتاج إعادة خلق وتجديد الكهنوت القديم في المسيح.



كيرلس: ألا تقود التعبيرات الكتابية: "سوف أصفي" و "سوف أنقي" التي تقال عن الذهب والصائغ، تفكيرنا إلى هذه المفاهيم؟

بلاديوس: بالتأكيد.

كيرلس: هذا الأمر، صار من الممكن تحقيقه -بالطبع- بتأنس الكلمة، وقد أكد لنا الله ذلك عندما قال: "وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ. هُوَذَا يَأْتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟ لأَنَّهُ مِثْلُ نَارِ الْمُمَحِّصِ وَمِثْلُ أَشْنَانِ الْقَصَّارِ. فَيَجْلِسُ مُمَحِّصاً وَمُنَقِّياً لِلْفِضَّةِ" (ملا ٣:١ – ٣). فهو هنا يقول إنه سوف يعيد خلق وتجديد الكهنوت، ويُظهر أن طريقة العبادة، ليست سوى سر المسيح ذاته. قال أيضاً بصوت حزقيال لهؤلاء الذين قد دُعُوا للكهنوت: "يَتَقَدَّمُونَ إِلَيَّ لِيَخْدِمُونِي، وَيَقِفُونَ أَمَامِي لِيُقَرِّبُوا لِي الشَّحْمَ وَالدَّمَ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. هُمْ يَدْخُلُونَ مَقْدِسِي وَيَتَقَدَّمُونَ إِلَى مَائِدَتِي لِيَخْدِمُونِي" (حز ٤٤:١٥ – ١٦)، وبالتالى ألا يمكننا أن نقول إن الشحم والدم وخدمات المائدة تشير إلى سر المسيح؟

بلاديوس: بالصواب تتكلم.

أمثلة العبادة الناموسية التي تشير إلى سر المسيح

كيرلس: لكن الله أعلن لنا أن الطريقة التي سيتم بموجبها التجديد تعبِّر عن مسيرة الكل نحو الأفضل، إذ قال: "يَكُونُ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ فَصَاعِداً أَنَّ الْكَهَنَةَ يَعْمَلُونَ عَلَى الْمَذْبَحِ مُحْرَقَاتِكُمْ وَذَبَائِحَكُمْ السَّلاَمِيَّةَ, فَأَرْضَى عَنْكُمْ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ" (حز ٤٣:٢٧). إنه يدعو اليوم الثامن زمن قيامة المخلص الذى فيه سوف تصير المحرقات أي تقدمة العطايا الروحية مقبولة لدى الله، وأعني التكريس التام والكامل لله من أولئك الذين آمنوا. وهذا ما يُعلّمه بولس العظيم كاتباً: "فَلْنُقَدِّمْ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ لِلَّهِ ذَبِيحَةَ التَّسْبِيحِ، أَيْ ثَمَرَ شِفَاهٍ مُعْتَرِفَةٍ بِاسْمِهِ" (عب ١٣:١٥)، وأيضاً يقول: "وَلَكِنْ لاَ تَنْسُوا فِعْلَ الْخَيْرِ وَالتَّوْزِيعَ، لأَنَّهُ بِذَبَائِحَ مِثْلِ هَذِهِ يُسَرُّ اللهُ" (عب ١٣:١٦). أيُ ثمارٍ إذن يمكن أن نقدِّمها لله، نحن الذين قد تبررنا بالإيمان إلَّا التمجيد الدائم والتسبيح المتواصل؟ وأية تقدمة أخرى نقية نقدمها إلَّا الرائحة الذكية الفائقة للحياة التي بلا لوم؟

بلاديوس: إن هذا القول حسن جداً، وحقاً لا يمكن أن يتبرر شخصٌ ما بالناموس، لكن بالحري بالإيمان بالمسيح والسرائر الإنجيلية. لكنني رغبت أن يتقدم نقاشنا بأمثلة واضحة، وأن نتعلّم من التعاليم المقدسة نفسها.

كيرلس: إذن، يا عزيزي، سوف أتقدم لهذا باستعداد جيد، طالما أنت تريد ذلك، وافحص أنت أيضاً المعنى الدقيق لأي قول أقوله ولو شككت أن شيئاً ما لم أقصده أو لم أقله بالصواب، فلتصححه بانتباه وتحدده بوضوح، متشبهاً بالبنائين الحكماء، الذين إذا انحرفوا عن خطتهم يعدِّلونها بإتقان، لتصل إلى ما يعتبرونه حسناً جداً. وكبداية لكلامنا سنشرع في تفسير موسى القديس، عارضين بإيجاز قصته، وسأحاول أن أخبرك وأُظهِر لك بوضوح أن الناموس لم يُكمِّل أحداً إطلاقاً، ولا كان كافياً للخلاص، لأن المسيح هو فادي الجميع ومخلصهم.

بلاديوس: ما تقدمه ليس قليل النفع، إذ أظهرت أنك تعلو على أية بلادة أو خمول، لأن هذه الأمور التي تشغلنا، تُفهم بصعوبة شديدة، وبصعوبة أيضاً نستطيع أن نصل إلى معرفة كل ما نناقشه، لكن الله الغني سوف يكشفها لنا.

العليقة التي رأها موسى النبي في البرية

كيرلس: بالصواب تتكلم والحديث الآن يقودني -تشبُّهاً بالكائنات ذوات حاسة الشم القوية- إلى أن أتتبع آثار المعاني العميقة وغير الظاهرة[1]. ففي وقتٍ ما في البرية، في أرض مديان، بينما كان الطوباوي موسى يرعى قطيعاً من الأغنام على سفوح جبل حوريب، أظهر الله أمامه أمراً غريباً وعجيباً جداً لأنه مكتوب: "وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُلَّيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ وَالْعُلَّيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ!. فَقَالَ مُوسَى: «أَمِيلُ الآنَ لأَنْظُرَ هَذَا الْمَنْظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لاَ تَحْتَرِقُ الْعُلَّيْقَةُ؟" (خر ٣: ٢ - ٣).

العُليقة ليست نباتاً من الأنواع المألوفة، ولكن هي على الأغلب نوع من الأشواك والجذور (الوعرة) التي تنبت على الجبل، حيث تمت المعجزة الرهيبة والتي تشير -كمثالٍ- حقاً إلى السر. والمعجزة رهيبة لأن الملاك الذي كان

١- هنا يبدأ القديس كيرلس تفسير رؤية العليقة في السياق التاريخي لها.

في شكل نار قد ألهب كل العليقة. ولكن فعل النار لم يُصِب النبات بأي ضرر، كما لو كانت النار غير موجودة، ولا يستطيع أحد أن يدّعي أن العليقة قد تأثرت بفعل النار على الإطلاق.

بلاديوس: ماذا يعني هذا الذي حدث؟

كيرلس: لقد صار الإسرائيليون مثل شجرةٍ بريةٍ لم يكن بها ثمار البر الأليفة؛ لأنهم قد تغذُّوا بنواميس المصريين. فالناموس الذي كان من المنتظر أن يُعطى لهم بواسطة الملائكة، كان يمكن بالتأكيد أن يضيء لهم، لو تم التعامل معه روحياً، وأن يطرد ظلمة العقل؛ لأن هذا هو أيضاً فعل النار. لكن على عكس ذلك، كان عديم النفع لأولئك الذين قبلوه. ولم تكن هذه هي مسئولية الناموس بأية حال من الأحوال، لكن هي مسئولية أولئك الذين لم يقبلوا النور في عقولهم وقلوبهم؛ إذ اكتفوا خارجياً بحروف الناموس، معتبرين إياها استنارةً، ولذلك ظنوا أنهم أخذوا ما في الناموس، بينما في الحقيقة لم يأخذوا شيئاً. ولهذا أعتقد أن النار التي أشعلت العليقة، ولم تؤثر عليها أي تأثير حراري، إنما تعلِن لنا شيئاً مثل هذا الذي أقوله. وكون أن النور قد صار عديم النفع لليهود، فهذا ما يوضحه المخلِّص بنفسه عندما يقول: ''فَتِّشُوا الْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةًأَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي. ولاَ تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ'' (يو ٥: ٣٩ – ٤٠). وبعد ذلك بقليل يقول أيضاً لمعلمي اليهود ولكل الشعب: ''لاَ تَظُنُّوا أَنِّي أَشْكُوكُمْ إِلَى الآبِ. يُوجَدُ الَّذِي يَشْكُوكُمْ وَهُوَ مُوسَى الَّذِي عَلَيْهِ رَجَاؤُكُمْ. لأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي. فَإِنْ كُنْتُمْ لَسْتُمْ تُصَدِّقُونَ كُتُبَ ذَاكَ فَكَيْفَ تُصَدِّقُونَ كلاَمِي؟'' (يو ٥: ٤٥ – ٤٧). فهؤلاء الذين قاوموا بشدة التعاليم التي يحتويها الناموس عن جهلٍ تام، كيف يتقبّلون داخلهم معرفة الصلاح الكامل الذي يقدمه المسيح لهم؟ لقد امتلأ موسى العظيم دهشةً، وهو يرى كيف أن العليقة تلتهب بالنار، لكنها لا تحترق ولا حتى تأثَّرت بالنار. بالطبع كان يمكن أن يتعجب أحدٌ من عدم الإحساس لدى الإسرائيليين الذين بالرغم من أنهم قبلوا الناموس من الله كمساعد ومعين لهم واغتنوا بنوره، إلَّا أنهم ظلوا غير مستفيدين منه، بسبب عدم إعطائهم أية أهمية مطلقاً لمثل هذا الأمر. ولم يحفظوا هذه العطية في فكرهم وقلوبهم. لأن ذهنهم بقي ميتاً ومتجمداً.



ومن الممكن أن يتساءل أحد بالصواب عن هؤلاء: لماذا ظلت عقولهم ميتةً ومتجمدةً دون فهم؟ وماذا أيضاً عن عدم احتراق العليقة؟ أَوَلن يصيروا مثلنا ملتهبين بالروح؟

بلاديوس: رائعٌ ما تقوله.

كيرلس: يبدو أن حدث العليقة المشتعلة يُعلن عن معرفة مفاهيم أخرى، فقد كان الإسرائيليون ينظرون الخروج من أرض المصريين وهم يظنون أنهم لن يُلقوا أبداً عن كاهلهم ثقل العبودية الإجبارية، لهذا السبب -إضافةً إلى أنهم كانوا سوف يصطدمون بغضب فرعون- أعطاهم الله هذه العلامة التي حدثت في العليقة، أي أنهم سوف يصيرون أقوياء جداً، بل وأقوى أيضاً من هذه النار، ولن يخضعوا لأولئك الذين كانوا يملكون قوة التسلط على الآخرين. وهذا -كما أعتقد- يتوافق مع الكلمة الإلهية: "لا تخف لأني أنا معك، اللهيب لا يحرقك والأنهار لا تغمرك" (إش ٤٣:٢، ٥).

بلاديوس: قولك هذا في غاية الذكاء.

كيرلس: لقد اندهش موسى من هذا الذي حدث، وفي نفس الوقت أسرع باشتياقٍ للوصول بالقرب من العليقة. ويقول الكتاب: "فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ نَادَاهُ اللهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَّيْقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى مُوسَى». فَقَالَ: «هَئَنَذَا». فَقَالَ: «لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى هَهُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ" (خر ٣:٤ – ٥). إن موسى الطوباوي سيكون مثالاً للناموس، لأن إبراهيم الطوباوي يقول بحسب أحد الإنجيليين: "عندهم موسى والأنبياء" (لو ١٦:٢٩) ربما يبدو هذا الكلام غير مقبول بالنسبة لك؟

بلاديوس: لا بالطبع. فموسى يمثل الناموس.

كيرلس: كان الشعب الإسرائيلي، ذاك القطيع الذي عاش وفقاً للناموس وتحت الناموس، مدعواً، لأنه مكتوب: "السيد الرب إله العبرانيين دعانا" (خر ٣:١٨). وأطاع العبرانيون الله الذي دعاهم مثل موسى. لأنه مكتوب: "كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل" (خر ٢٤:٣). لكن، ولأن حتى قوة الطاعة حسب الناموس لم تكن لها القدرة على التطهير، إذ يقول: "لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا" (عب ١٠:٤)، لذلك أُعيق موسى من



أن يقترب إلى الله، الذي قال له: ”لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى هَهُنَا“ (خر ٣:٥). لأنه لا يمكن الاقتراب من الصلاح بواسطة الناموس[١]، كما أن قوة التعليم بحسب موسى لم تكن قادرة على أن تحضرنا بالقرب من الله. المسيح وحده هو الذي يحضرنا إلى الله، وذلك بالتقديس. لأن كل الذين يتوقون إلى الاتحاد بالله القدوس يجب أن يكونوا قديسين إذ يقول: ”كونوا قديسين لأني أنا قدوس“ (راجع ١ بط ١:١٦). ولأن طريقة التعليم حسب الناموس ليست بلا لوم كما يتضح من قوله: ”اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ“ (خر ٣: ٥)، لذلك أمر الله موسى مُفسر الإلهيات أن يخلع حذاءه، لكي يُبين أن طريقة الحياة حسب الناموس لم تكن طاهرة بعد، ولا هي حرة من أعمال الفساد والموت. لكن موسى العظيم كان قد تعلم من العرف اليوناني أنه لا يُسمح للمرء الذي يحمل فوقه رفات ميتة وفاسدة أن يقترب من الله. لأنهم لم يكونوا يدخلون إلى المقدسات عندما كانوا يلبسون في أرجلهم أحذية من جلد حيوانات ميتة.

يا صديقي، لا الناموس يحررنا من الموت والفساد وكل ما يتعلق بالنجاسة، ولا طريقة الحياة حسب الناموس الموسوي تستطيع أن تحررنا، بل بالحري، الإيمان بالمسيح والتطهير الكامل للحياة حسب تعليم الإنجيل هو الذي يحررنا. أليس ما أقوله حقيقة؟

بلاديوس: كيف لا يكون كذلك؟!!

كيرلس: وعندما خلع موسى الحذاء من رجليه ثم أسرع واقترب من هناك قال له الله: ”أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب، أدار عندئذٍ موسى وجهه لأنه تردد في أن يرى الله وجهاً لوجه“ (خر ٣:٦)[٢]. ونحن إذا خلعنا التدبير المميت، وسلكنا طريقنا بأقدامٍ طاهرة وحُرة وفق تعاليم المسيح، فسوف نقترب من الله، في علاقة روحية وليس اقتراباً مكانياً. لأن كل ما حدث لموسى هو أمثلة وظلال. إذن فلنغتنِ بالكلمات الخاصة بالسرائر الإلهية، ونركِّز معرفة الله في داخلنا؛ إذ أظهر الله ذاته لنا في شخص الابن. وهكذا سنراه أفضل بكثير وبلا مقارنة من كل ما رأى الشعب القديم في شخص موسى. طالما

١- تعبير الصلاح هنا يتطابق مع الله، لا مع السلوك، وباقي عبارة القديس كيرلس توضح ذلك وتعنيه تماماً.

٢- (أخذت حرفياً من نص ق.كيرلس).

قد أدار وجهه لأنه تردد في أن يرى الله وجهاً لوجه. وهذا يُظهر الضعف الذهني عند أولئك الذين تربُّوا بالناموس، هذا الضعف الذي لم يستطع أن يحتمل الله ولا كان في وضع يمكِّنه من أن يرى مجده، حسب ما قيل في المزامير ''لتظلم عيوهم عن البصر'' (مز ٦٩:٢٣)، وهذا ما قاله إرميا: ''اِسْمَعْ هَذَا أَيُّهَا الشَّعْبُ الْجَاهِلُ وَالْعَدِيمُ الْفَهْمِ الَّذِينَ لَهُمْ أَعْيُنٌ وَلاَ يُبْصِرُونَ'' (إرميا ٥:٢١).

نموذج ابنتي لابان ليئة وراحيل

أمَّا نحن الذين قبِلنا الكلمات عن الطبيعة الفائقة الوصف، فإننا بأعين طاهرة مستنيرة نرى جمال الله الآب يلمع في وجه الابن. وقد قال المسيح بحكمةٍ لليهود الذين اعتقدوا أنهم قد رأوا الآب: ''لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ وَلاَ أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ'' (يو ٥:٣٧). وفيلبس الذي سأل بإصرار وبطريقة محسوسة لا تليق، وإن كان سؤاله برغبة فضولية: ''يَا سَيِّدُ أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا'' (يو ١٤:٨)، أجابه المسيح: ''أَنَا مَعَكُمْ زَمَاناًهَذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ أَرِنَا الآبَ؟'' (يو ١٤:٩). وسوف نرى في مثال ابنتي لابان أن التربية بحسب وصية الناموس لم تكن ثابتة ولم تكن قادرة على أن تُظهر الله بدقة وبلا لوم؛ لأنها أُعطيت في ظلال وألغاز. لأنه مكتوب أن لابان كان لديه ابنتان، الكبرى اسمها ليئة والصغرى اسمها راحيل. وكانت عينا ليئة ضعيفة البصر، أما راحيل فكانت حسنة الصورة والمنظر. ويعقوب البطريرك (أبو الآباء) أحب راحيل. ولكن قبل راحيل أُعطيت له ليئة زوجة (تك ٢٤:١٦). وإذا طبَّقنا المثل على الواقع، فسوف نرى سر المسيح. فهما -في الواقع- امرأتان قد دُعيتا وارتبطتا به بزواج روحى. الكبرى أو الأولى تمثل المجمع (اليهودى) الذي تكوّن بواسطة موسى، إذ قال الله بواسطة الأنبياء: ''لأَنَّ عَيْنَيْكَ وَقَلْبَكَ لَيْسَتْ إِلاَّ عَلَى خَطْفِكَ وَعَلَى الدَّمِ الزَّكِيِّ لِتَسْفُكَهُ وَعَلَى الاِغْتِصَابِ وَالظُّلْمِ لِتَعْمَلَهُمَا'' (إرميا ٢٢:١٧). والثانية كانت شابة صغيرة وجميلة جداً، أي الكنيسة التي من الأمم، والتى قال لها داود العظيم: ''اِسْمَعِي يَا بِنْتُ وَانْظُرِي وَأَمِيلِي أُذْنَكِ وَانْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ. فَيَشْتَهِيَ الْمَلِكُ حُسْنَكِ لأَنَّهُ هُوَ سَيِّدُكِ فَاسْجُدِي لَهُ'' (مز ٤٥:١٠ - ١١)، وقد قيل لها في موضع آخر: ''عيناك كالحمام'' (نش ٥:١٢). إن جمال الكنيسة

هو بالتأكيد جمال غير عالمي، وهو عقلي وحقيقي لأنه مكتوب: ''كل مجد ابنة الملك في خدرها''، كلمة ''خدرها'' تعني في العبرية ''داخلياً''، لأنه لا يمكن أن تدركها العيون، بينما من السهل أن نراها بالعقل النقي. أليس كذلك؟

بلاديوس: ليس هناك أفضل من هذا.

كيرلس: لا يستطيع أحدٌ إذن أن يرى الجمال الإلهي وغير الفاسد بتربية الناموس، لكنه يراه بالإيمان بالمسيح والتربية التي تعطيها وصاياه.

بلاديوس: هذا حقيقي.

كيرلس: يا بلاديوس، إن الذي يقدر أن يُفدينا ويخرجنا من أيدي الشيطان وسلطانه الطاغي ليس هو موسى أو الناموس، بل هو رب موسى، أي المسيح وقوة سره. ويقول الرب: ''إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ. فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَناً وَعَسَلاً'' (خر ٣:٧ – ٨). ويضيف مباشرةً: ''وَالآنَ هُوَذَا صُرَاخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَتَى إِلَيَّ وَرَأَيْتُ أَيْضاً الضِّيقَةَ الَّتِي يُضَايِقُهُمْ بِهَا الْمِصْرِيُّونَ. فَالآنَ هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ'' (خر ٣:٩ – ١٠)، عندئذٍ صرخ موسى: ''مَنْ أَنَا حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَحَتَّى أُخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ؟'' (خر ٣:١١). أليست هذه الصياغة واضحة. هذا الرفض الذي لم يُذكر عن ذاك الذي هو الأعظم والذى هو فوق الكل الذي هو المسيح؟! لأن القول: ''من أنا'' هو قولٌ غير مناسب للمسيح الذي يملك تحرير الشعوب، ويستطيع أن يخلِّص الأمم ويقودها إلى الحرية؛ لأنه كان قد سحق ذاك الذي قبض عليهم في العبودية، أي الشيطان.

بلاديوس: تكلمت بالصواب.

كيرلس: لكن ماذا؟ أليس سهلاً تماماً أن نرى من هذا أن الوحيد الجنس قد صار رئيس خلاص الجميع؟ لأن بواسطته نلنا الفداء، كما يقول النبي: ''لم يخلصنا رسول ولا ملاك ولكن خلصنا الرب نفسه'' (إش ٦٣:٩س).

بلاديوس: من أين قولك هذا؟



دلالة تحول عصا موسى

كيرلس: إن إله الجميع أمر موسى بكل وضوح أن ينتقل بسرعة إلى أبناء إسرائيل، وأن يقول لهم بلا تحفظ، إنهم اتخذوا الله الكلي القدرة معيناً ومساعداً لهم وسيُلقُون عن كاهلهم نير العبودية المصرية، ثم يرحلون ثانيةً إلى وطنهم عائدين إلى حرية الآباء، وسيسكنون الأرض المقدسة، وهناك سوف يتمتعون بالخيرات الكثيرة التي سوف يعطيها لهم. أجاب موسى وقال: "فَأَجَابَ مُوسَى: «وَلَكِنْ هَا هُمْ لاَ يُصَدِّقُونَنِي وَلاَ يَسْمَعُونَ لِقَوْلِي بَلْ يَقُولُونَ لَمْ يَظْهَرْ لَكَ الرَّبُّ». فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَا هَذِهِ فِي يَدِكَ؟» فَقَالَ: «عَصاً». فَقَالَ: «اطْرَحْهَا إِلَى الأَرْضِ». فَطَرَحَهَا إِلَى الأَرْضِ فَصَارَتْ حَيَّةً فَهَرَبَ مُوسَى مِنْهَا. ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ وَأَمْسِكْ بِذَنَبِهَا». فمد يده وأمسك به فصارت عصا في يده" (خر ٤: ١ - ٤).

بلاديوس: إنها عجيبة جداً يا صديقي هذه المعجزة، قل لي أيضاً، ماذا يريد أن يُظهِر بها؟

كيرلس: سأقول لك. لأن الإسرائيليين عاشوا مع المصريين سنوات عديدة وأخذوا في الانزلاق إلى كل نوع من الخطية واستمتعوا باللذات المصرية، لم يجهل موسى أنهم سيكونوا مترددين، وأنه سيكون من الصعب جداً أن ينتقلوا إلى اللياقة والترتيب. ولكنه افترض بحكمة، أن المشقة ستدفعهم -رغماً عن إرادتهم- إلى الطاعة، خاصةً لو رأوه يصنع معجزات. لأن اللذة في الواقع أمرٌ يصعب تجنبه، وتوحُّش الشهوات داخلنا لا يُرَوَّض بسهولة. لكن عندما نكون في حالة مجهدة ومتعبة، عندئذٍ من السهل أن يقنعك ذاك الذي يَعِدك بالخلاص، ويمكنك أن تزدري بالمسرات العظيمة. وأعتقد أن الله الذي يعرف كل صلاح -بتدبير عظيم- سمح في ذاك الوقت أن يكون التسلط الطاغي للمصريين ثقيلاً ومؤلماً على الإسرائيليين، وذلك لكي يكونوا مهيئين للخروج، الذي ما كان يمكن أن يحدث بسبب تقيُّدهم بشهواتهم المعتادة، فقد كانوا قساةً ومنحلين بإفراط وكانوا يحتقرون تلك النعمة التي دعتهم إلى الحرية، وجعلوا أنفسهم بإرادتهم عبيداً في مصر، مفضِّلين اللذة الوقتية مع المشقات القليلة الموجودة، أو بالأحرى معتبرين

(العبودية) أفضل من إحسانات الله نفسها. ولهذا، بينما تخلصوا بفرح عظيم من التسلط الثقيل للمستبدين القدماء، وقضوا لياليهم في البرية مُستلمين طعامهم من فوق من السماء، أعني إمدادهم بالمن، تذكروا بدموع (للأسف بحسب وجهة نظرهم الخاطئة) حياتهم السعيدة في مصر. وأيضاً زعموا أنهم يفضِّلون أن يموتوا في مصر مستمتعين بالموائد الغنية، فهذا كان (في نظرهم) أفضل كثيراً وأنفع جداً لهم، وصرخوا كأولاد غير ناضجين: "لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزاً لِلشَّبَعِ" (خر ١٦:٣).

بلاديوس: تتكلم بالصواب.

كيرلس: وإذ عرف موسى إنه كان أمراً ضرورياً أن يطيعوا حتى يمكن أن تتم المعجزات. لهذا يسأل: "إن لم يسمعوا فماذا أقول لهم" (خر ٤:١). وإله الجميع أمر فوراً أن تحدث المعجزة كتطبيق عملي، ووسيلة إقناع مسبقة عملياً، لخادمه وهذا سيكون للآخرين -كما له تماماً- دليلاً يبيّن أنهم مدعوون من الله، وأن هذا الأمر الذي حدث سوف يكون مستمراً معهم. وأن أحداً لا يستطيع أن يغيّر طبائع الكائنات إلى طبيعة أخرى، إلّا خالق الكل. وهكذا تمت الإشارة إلى رسالة الخلاص بالإيمان بالمسيح بواسطة حدث عجيب وبطريقة رمزية حسنة جداً. لأننا سوف نرى فيه (في المسيح) تجديد الطبيعة البشرية إلى حالتها الأولى، أي إلى تلك الحالة التي كُنا عليها في طبيعة آدم، بمجرد أن أتينا إلى الوجود، ولم يكن ينقصنا بعد، المجد السماوي والقداسة.

بلاديوس: ماذا تعني بهذا؟ لأن قولك ليس واضحاً.

كيرلس: أليست العصا تشير إلى الصولجان، رمز المُلك يا بلاديوس؟

بلاديوس: بكل تأكيد، طالما يقولون إن بعض القدامى كانوا يقسمون عليها، مثل كل الذين اعتادوا أن يمدحوا الأمور الموقرة، أي اليونانيين.

كيرلس: لكن ماذا؟ أليست هي نبات من الحقل، نما فيه قبل أن يقطع؟

بلاديوس: إني اتفق معك.

كيرلس: انطلق إذن بفكرك إلى آدم الأول، وانظر فيه كل البشرية، أي بداية وأصل الجنس البشرى. وفكر أيضاً في أنه خُلق بحسب صورة خالقه، وأنه عُيِّن

ليكون رئيساً لكل ما في الأرض، وكان في يد الله متمتعاً بحياة القداسة التي عاشها. وكان كنبات الفردوس، كزهور جميلة ولطيفة جداً، ولكن بسبب انخداعه من حيل الحية المعادية، ابتعد عن الحالة الأولى، وبعد ذلك وصل به الأمر أن يزدري بالوصية الإلهية، وعندئذٍ بالضبط فَقَدَ مكانته وأصله الأول، وانزلق من يد ذاك الذي كان يحفظه في القداسة وهوى على الأرض، أي من علو الفضيلة، ووُجِدَ غير منضبط إرادياً في تفضيله للجسديات. وقد تملَّك داء الخبث عليه بدرجة كبيرة، آخذاً إياه من الحية. وهكذا تعرَّى من الملك والمجد الذين كانا له من البداية وطُرد من الفردوس والنعيم. ألم يقل لنا موسى العظيم ذلك؟[1]

بلاديوس: قال هذا طبعاً.

كيرلس: لقد رأى المشرِّعُ أن الإنسان قد أخذ في الانحدار إلى هذا الحد من الدناءة، ولذا ابتعد عنه وشعر بنفور تجاهه بسبب الخبث الذي أصابه. لذا يقول الكتاب هرب موسى تاركاً الحية. ومكتوب أيضاً: "الروح القدس المؤدِّب يهرب من الخداع، ويبتعد عن الأفكار الغبية، وينسحب إذا حضر الإثم" (سفر الحكمة ١: ٥). لأنه أي اتفاق بين القداسة والنجاسة، وبين النور والظلمة، وبين العدل والظُلم.

بلاديوس: هذا بالحق.

كيرلس: إذن أن تقع العصا من يد موسى يمكن أن يعني، أن هذا الذي خُلق بحسب صورة الخالق كان نبات الفردوس، وأنه وُجد داخل مجد الملكوت وفي يد الخالق، لكن بسبب رغبته في اختيار الجسديات سقط على الأرض، وبفعل هذه العداوة، صار مثل حيةٍ في نظر الله. لكن تلقى موسى الأمر أن يمد يده ويمسك ذيل الحية، وفي الحال عادت العصا إلى شكلها الأول. أي لم تعد بعدُ حيَّةً، بل عادت ثانية عصا ونبات الفردوس. وعندما أراد الله الآب أن يجمع كل الأشياء في المسيح وأن يجدد خليقته مرةً أخرى على شكلها الأول، أرسل لنا من السماء ابنه الوحيد الجنس، أي يده اليمنى الذي هو بالحقيقة خالق كل الأشياء ومخلص الجميع[2]، كما هو

١- هنا يكرر القديس كيرلس مسألة خلق الإنسان والسقوط والفداء والخلاص بالمسيح

٢- سبق للقديس أثناسيوس أن شرح هذا الأمر بكل وضوح، إذ قال: "فإله الجميع إذن، عندما خلقنا بكلمته الذاتي ولأنه

مكتوب: "يمين الرب صانعة ببأس يمين الرب مرتفعة" (مز ١١٨: ١٦)، وعندما أمسك البشرية في يده، وخلصنا من عداوة الوحش التي يُعبَّر عنها بالدناءة والخطايا، أعادنا مرةً أخرى إلى القداسة والكرامة الملوكية وأُلفة الفضيلة، وأعطى للمؤمنين المسكن الأول، وكان أولهم اللص الذي صُلب معه. لأنه يقول: "الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ" (لو ٢٣:٤٣).

بلاديوس: إن نقاشنا صار حسناً وصحيحاً. لكن أخبرني لماذا أمر الله موسى بأن يمسك ذيل الحية وليس الرأس أو الوسط؟

كيرلس: لأنه هكذا كان يجب أن يصير يا عزيزي، لأنه نافع للسر أن يَمسِك من الذيل وليس من الوسط أو الرأس.

بلاديوس: بأية طريقة هو نافع للسر؟

كيرلس: من المعروف أن بداية أي حيوان تعتبر الرأس، بينما الذيل هو نهايته. دعنا نعتبر الجنس البشرى في مجموعه كحيوان. المسيح أمسك الذيل، أي النهاية والأجزاء الأخيرة لأنه أتى في الأزمنة الأخيرة لهذا الدهر. لكن، بالرغم من أن موسى أمسك بالذيل، إلّا أن التجديد وصل حتى الرأس (لأن الحية تغيرت بالكامل إلى عصا). بنفس الطريقة، بالرغم من أن المسيح أمسك بالأجزاء الأخيرة، لكن التجديد بالنعمة[1] سَرْى في كل الجنس البشري ووصل حتى الرأس نفسه، أي حتى آدم. لأنه مكتوب: "لأَنَّهُ لِهَذَا مَاتَ الْمَسِيحُ وَقَامَ وَعَاشَ لِكَيْ يَسُودَ عَلَى الأَحْيَاءِ وَ الأَمْوَاتِ" (رو ١٤:٩)، وبالتالى الفداء الذي تحقق للذين في أواخر الأيام، سَرْى مفعوله أيضاً لأولئك الذين كانوا مستعبدين في البدء.

بلاديوس: إن شرحك جيد والرواية ليست بعيدة عن المقصود.

كان يعرف أمورنا أكثر منا ويعرف مقدماً أننا رغم أنه قد خلقنا صالحين إلا أننا سنكون فيما بعد مخالفين للوصية، وأننا سنُطرد من الجنة بسبب العصيان. ولأنه هو محب البشر وصالح فقد أعد من قبل تدبير خلاصنا بكلمته الذاتي الذي به أيضاً خلقنا. لأننا حتى إن كنا قد خُدعنا بواسطة الحيّة وسقطنا فلا نبقى أمواتاً كليةً بل يصير لنا بالكلمة الفداء والخلاص لذي سبق إعداده لنا لكي نقوم من جديد ونظل غير مائتين، وذلك عندما "خُلِق" هو من أجلنا "بدء الطرق" وصار "بكر الخليقة" و "بكر إخوة" وقام "باكورة الأموات". ضد الأريوسيين ٢: ٧٥، ص ١٣٩.

١- يشبِّه القديس كيرلس عملية تجديدنا بواسطة الكلمة المتأنس بالطبيعة التي تزدهر في الربيع، فالطبيعة البشرية مثل نبات يزدهر بالمسيح، إذ يقول: "هكذا ازدِهرت طبيعة الإنسان مرةً أخرى مثل النبات، بعدما أصابها الذبول من جرَّاء الموت بسبب مخالفة آدم والخطية التي تملّكت علينا. اسمع ما يقوله المسيح بفم واحد من الأنبياء القديسين: "أنا هو الذي أتحدث إليك مثل الربيع على الجبال" (إش ٥٢: ٦س). فكما أنَّ الربيع يتوِّجُ الجبال والغابات بنباتات وزروع جديدة، هكذا فإن حضور المسيح يحقق لنا نفس الأمر". أنظر المقالة العاشرة في هذا الكتاب.



يد موسى في عبِّه، معجزتان ودلالتان

كيرلس: لقد ثبّت الرب إيمان موسى بمعجزتين إلهيتين أخريين. لأنه كتب مباشرةً بعد ذلك: ''ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّبُّ أَيْضاً: «أَدْخِلْ يَدَكَ فِي عُبِّكَ» فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي عُبِّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا وَإِذَا يَدُهُ بَرْصَاءُ مِثْلَ الثَّلْجِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: «رُدَّ يَدَكَ إِلَى عُبِّكَ» (فَرَدَّ يَدَهُ إِلَى عُبِّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا مِنْ عُبِّهِ وَإِذَا هِيَ قَدْ عَادَتْ مِثْلَ جَسَدِهِ)'' (خر ٤: ٦ - ٧). انتبه إذن إلى هذا العمل الذي صار، وأنظر كم هو إلهي وكم ينتمي إلى دائرة المعجزات، التي تحمل بطريقةٍ ما مع المعجزة الأولى (تحويل العصا إلى حية) استعلان سر المسيح.

بلاديوس: أرجو مزيداً من التوضيح لأني لم أفهم بعد.

كيرلس: البَرَصُ هو مرضٌ جسدي، والأطباء يعجزن عن علاجه، وهو مرض لا يُهزم وذلك من خبرتهم. والأبرص يعد ذميماً ونجساً وذلك وفقاً للوصية القديمة لموسى، وهو مقززٌ جداً لهؤلاء الذين يُقدِّرون العادات اليونانية، ومن يُبتلى بالبرص هو ما بين حيٍّ وميت. والميت مقززٌ ونجسٌ. وإمكانية شفاء الأبرص، أمرٌ فوق الطبيعة وفوق إمكانيات مقاييسنا الطبيعية، ويتوقف فقط على فعل الطبيعة الإلهية الفائقة الوصف. لذلك اندهشوا من المسيح عندما قال للأبرص بسلطان: ''أُريد فاطهر'' (مت ٨: ٣). لأن صوت خالق الجميع، الذي يقيم حتى الأموات من القبور، والأقوى من الفساد والموت، هو الذي صنع المعجزة مع ذاك الأبرص. الله يأمره أن يُدخِل يده في عبه وبعد ذلك يخرجها، فصارت كلها برصاء وأيضاً أن يدخلها ويخرجها مرةً ثانيةً، فصارت خاليةً مما حدث لها، حتى يفهم الإسرائيليون من هذا، أن موسى -بقوةٍ فائقة الوصف والتعبير- سوف يصير رئيساً للمظلومين المستعبدين تحت نير المصريين. هذا القول بالطبع ليس عميقاً لكنه نافع للرواية، ويجب كما أعتقد أن نفحص بانتباه شديد، معنى هذه الرواية، أي نبحث تلك المعجزة هكذا: ماذا يعني إدخال اليد في العب؟ وما هو هذا البرص المخيف الذي أصابها؟ وأيضاً طريقة تطهيرها، لأنه عندما أُدخلت اليد في العب شُفيت من المرض.

بلاديوس: تتكلم بالصواب. لأنه لن ينفعنا ولو بقليل فحص كل أمر على حدة.



كيرلس: في رأيي أن هذا الأمر العجيب يعلن شيئاً ما وسط الظلال. فبقدر ما كان الإنسان الذي خُلق على صورة الله وشبهه مستقراً في داخل حضن الله ولم يخالف بعد الوصية التي أُعطيت له، وكان محاطاً بعناية الله ورعايته، بقدر ما كان يعيش في طهارة وقداسة دون أن يعرف الموت. لكن عندما تعدَّى طاعة الله خرج من حماية الله ومحبته، بسبب انحرافاته إلى الأمور الدنيئة. عندئذٍ ظهر بوضوح أنه ذميم ومقزز ومريض بالموت ونجاسته. ثم بعد ذلك، عندما قبلنا الله الآب بواسطة المسيح وأحاطنا بالنعمة الإلهية، وأخَذَنا مرةً أخرى إلى حضنه متبنياً ومنقذاً إيانا من نجاسات الموت القديم ولعنته، رجعنا إلى حالتنا الأولى[1]، لأنه مكتوب عن يد موسى: "وَإِذَا هِيَ قَدْ عَادَتْ مِثْلَ جَسَدِهِ" (خر ٤:٧).

بلاديوس: ما قلته رائع جداً.

العلامة الأخيرة: التطهير بالماء والدم

كيرلس: إن الفعل المعجزى الثالث المرتبط بهذا، يعلن بكل وضوح وبكل سهولة، سر المسيح. لأن الله قال أيضاً لموسى: "فَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوكَ وَلَمْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِ الآيَةِ الأُولَى أَنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ صَوْتَ الآيَةِ الأَخِيرَةِ" (خر ٤:٨). ويوضح ماذا يعني بهذا قائلاً: "وَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوا هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ وَلَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِكَ

١- هناك تفسير آخر عند القديس كيرلس في كتابه الجيلافيرا أثناء حديثة عن معجزة موسى الخاصة باليد التي تصير برصاء وتشفى حين يضعها في عبه يعتبر الابن هو يد الآب، إذ يقول: "اعتاد -إذن- الكتاب المقدس أن يسمي الابن "يداً". إذن، لاحظ يد موسى التي اختبئت في عِبه، ثم عندما خرجت كانت برصاء، وأيضاً عندما دخلت مرة ثانية في عِبه صارت مباشرةً سليمة من البرص. حين نفكر في سر التأنس وبأي طريقة صار ونفحص اين وكيف حدث هذا الأمر سوف نجد مثل هذا الحدث المعجزي (شفاء اليد البرصاء). بمعنى، لقد كان الابن موجوداً في حضن الله الآب وبواسطته خلق الآب كل شيء. لأنه هو القبضة العُليا واليد التي تستطيع أن تصنع كل شيء، إنه اليد العُظمى الجديرة بالإعجاب. لكن بسبب أنه خرج من مكانه، بأن صار إنساناً وأخذ ضعفاتنا، وفقاً لأقوال النبي، وُجِد مرذولاً ومحتقراً. لأن الطبيعة البشرية هي دنسة أمام الله، طبقاً لقول أشعياء النبي: "وقد صرنا كلنا كنجس وكثوب عِدة كل أعمال برنا وقد ذبلنا كورقة وآثامنا كريح تحملنا" (إش ٦٤:٦). بالتالي كل ما يخص الطبيعة البشرية وُجِد ظاهرياً في دنس، أما كلّي الطُهر فهو يسكن في نور لا يُدنى منه. بسبب هذا ضل اليهود التُعساء ولأجل هذا سموه سامرياً ومولوداً من زانية، وأيضاً خاطئاً. لأنهم قالوا للذي كان مولوداً أعمى وشُفيَّ: (يو ٩:٤٢) "أعط مجداً لله. نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطئ". لكن أعتقد كيف أنهم لن يصلوا أبداً إلى هذه الدرجة من الجهل حتي يقولوا عليه هذا ويفتحون أفواههم الثرثارة ضده، لو كانوا يعرفون أنه هو الله بحسب الطبيعة. لكن هذا الذي بكونه إنساناً وُجِد في دنس ظاهري، طالما أنه تمم بحكمة خطة التدبير الإلهي بهيئة مثل هيئتنا. في النهاية عندما صعد إلى الآب وجلس في حضنه، عندئذٍ أعطى انطباعاً أنه قد وُجِد معنا في حالة الكمال والطهارة. وهكذا يُمجَّد بكونه إلهاً، يُمجَّد من الكل بكونه رباً، وقدوس القديسين وبكونه ذاك الذي يعطي النور للخليقة والحياة للبشر، ويعطي القوة لكل الكائنات لكي ينتصروا على أي شيء يمكن أن يهينهم". جيلافيرا، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم، مراجعة د. نصحي عبد الشهيد، الكتاب الشهري عدد أغسطس ٢٠١٠.

أَنَّكَ تَأْخُذُ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ وَتَسْكُبُ عَلَى الْيَابِسَةِ فَيَصِيرُ الْمَاءُ الَّذِي تَأْخُذُهُ مِنَ النَّهْرِ دَماً عَلَى الْيَابِسَةِ" (خر ٤:٩). فالعلامة الأخيرة للعالم كانت هي موت المسيح والتطهير بالماء والدم، باشتراك، الجسد المقدس الذي أشير إليه باليابسة، كما هو واضح. وإذ كان الدم قد سال لأجلنا من جنبه المقدس الذي طُعن[1]، فهذا لن أذكره لأنه معروفٌ جيداً للجميع. ولكن كون أن موت المخلص سُميَّ معجزةً، فهو ما يمكن لأي أحدٍ أن يتعلمه بوضوح من الكتب المقدسة؛ لأن الفريسيين المتهورين رأوا معجزات كثيرة صنعها المسيح، إلَّا أنهم أتوا إليه، وكأنه لم تحدث آية واحدة وطلبوا منه قائلين: "يَا مُعَلِّمُ نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً" (مت ١٢:٣٨). فقال لهم: "جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ" (مت ١٢:٣٩ - ٤٠). إن أول مساعدة أُعطيت لنا بواسطة الناموس الموسوي، لأنه؛ بحسب قول النبي "أعطانا الناموس معيناً لنا" (إش ٨: ٢٠ س)، إذ أمسك موسى بالذيل. والتطهير الثاني أيضاً في اسم المسيح صار بواسطة الأنبياء القديسين بإرسالية وكرازة يوحنا المعمدان، لأن الأنبياء قالوا: "اغتسلوا وتنقوا" (إش ١:١٦)، بينما يوحنا دعا الناس إلى معمودية التوبة. والعلامة الثالثة، التي يُقال عنها إنها الأخيرة؛ هي موت المسيح، والإيمان الذي يتبعه، لأنه يقول: "فَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوكَ وَلَمْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِ الآيَةِ الأُولَى أَنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ صَوْتَ الآيَةِ الأَخِيرَةِ" (خر ٤:٨). ترى إذاً أنه يقول حسناً جداً أن الإيمان سوف لا يكون بعد العلامة الأولى، أي ليس بعد معونة الناموس، ولا أيضاً بعد حالة التطهير غير الكاملة، أي بعد المساعدة

١ـ هذا ما شرحه القديس كيرلس -في سياق حديثة عن يعقوب حين قرَّب إلية ابنيّ يوسف واحتضنهما وقبلهما- بأننا صِرنا معروفين لله بفضل دم المسيح، إذ يقول: "إذاً عليك أن تدرك بأننا حقاً كُنا أناساً مجهولين عند الله الآب وصِرنا معروفين واقتربنا منه بالمسيح. لقد قبلنا الآب بفرح عظيم وأظهر لنا محبته لابنه، وبسبب هذه المحبة جعلنا مستحقين لمحبته ودعانا للإتحاد به ذهنياً وبالطبع روحياً. وتُعتبر قُبلة المحبة والأحضان هي مثالٌ لإتحادنا به. لأجل هذا كتب بولس الحكيم لهؤلاء الذين آمنوا بالمسيح، قائلاً: "ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح " (أف ٢:١٣)، بمعنى أن المسيح قد جعلنا قريبين من الآب، ولقد قال أيضاً بولس الرسول: "أما الآن إذ عَرفتم الله بل بالحري عُرفتم من الله" (غلا ٤:٩). أي أن الله الآب جعلهم مستحقين أن يروه ويعرف فقط هؤلاء الذين لديهم شركة روحية مع الابن وحصلوا -بغنى حقيقي- على الولادة الثانية في اسمه وبواسطته. هكذا مثل أولئك الذين مُسحوا بدم الحمل جعلهم معروفين له، قائلاً: "ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها. فأرى الدم وأعبر عنكم. فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر" (خر ١٢:١٣). حسناً لقد امتلأ يعقوب بالفرح حين قال لابنه يوسف: "لم أكن أظن أني أرى وجهك وهوذا الله قد أراني نسلك أيضاً" (تك ٤٨:١٢)". جيلافيرا، ترجمة د. جورج عوض، مراجعة د. نصحي عبد الشهيد، الكتاب الشهري عدد يونيه ٢٠٠٨.

بواسطة الأنبياء ويوحنا، بل سيكون (الإيمان) فقط بعد شهادة العلامة الأخيرة، لأن سر المسيح ليس بدون شهادة، إذ هو يدعو الجميع، كل من كانوا مشتتين على الأرض بالعظة السامية والمعلِنة بقوة عن التطهير بالماء والدم، وبالطبع عن هبة الحياة التي تصير بالتناول من الجسد المقدس[١]. إذن فقد خدم الناموس الأمور المتعلقة بالمسيح بالإنباء عنها، لكنه هو نفسه (الناموس) لم يكن في وضع يمكّنه من أن يخلِّص الحافظين له[٢]. وأعتقد أن أحداً ما يمكنه -بالتأكيد- أن يبين أن هذا هو ما يعترف به موسى بوضوح في كتاباته. فعلى الرغم من أن الله قال له: "سأكون معك"، وحاول أن يقنعه مسبقاً بعمل المعجزات، إلَّا أن موسى توسل إليه وقال: "اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ لَسْتُ أَنَا صَاحِبَ كَلاَمٍ مُنْذُ أَمْسِ وَلاَ أَوَّلِ مِنْ أَمْسِ وَلاَ مِنْ حِينِ كَلَّمْتَ عَبْدَكَ بَلْ أَنَا ثَقِيلُ الْفَمِ وَاللِّسَانِ». فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَنْ صَنَعَ لِلْإِنْسَانِ فَماً أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيراً أَوْ أَعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟ فَالآنَ اذْهَبْ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَأُعَلِّمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ». فَقَالَ: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ أَرْسِلْ بِيَدِ مَنْ تُرْسِلُ" (خر ٤: ١٠ - ١٣). أي أن الناموس ليس بقادرٍ على أن يبرر ولا يستطيع أن يخلص كل الأرض ويحرر الإنسان من سلطة الشيطان الطاغية. وموسى لم يجهل بالطبع أنه كان ثقيل اللسان وكان له

١- يقول القس عزرا جبريمدهين الأستاذ بجامعة أوبسالا بالسويد: "إن القديس كيرلس هو اللاهوتى السكندرى الذى يتميز بأنه يستعمل مفهوم الحياة (Zoé) بالتحديد على أنها الحياة الإلهية، الحياة الفائقة للطبيعة، وفعل "إعطاء الحياة" أو "إحياء" يُستعمل كثيراً جداً فيما يتصل بالتجسد وبالإفخارستيا. المسيح هو معطى الحياة ليس فقط على مستوى طبيعى وفيزيقى بل أيضاً على المستوى فوق الطبيعى. وفى أكبر كتاباته (شرح إنجيل يوحنا)، يؤكد القديس كيرلس بقوة على الناحية الفائقة للطبيعة للحياة التى تُنقل بواسطة المعمودية والإفخارستيا. فمن خلال الإفخارستيا يُمنح(الخلود) أو عدم الفساد للإنسان المائت.عبارات "محيي" و"حياة" يستعملها القديس كيرلس فى كل تسمياته تقريباً عن الإفخارستيا. و هكذا نجد تعبيرات "اللحم معطى الحياة" أو "لحم الحياة". الجسد المعطى الحياة، "جسد الحياة". وتوجد عند القديس كيرلس تسمية سائغة جداً للإفخارستيا، وهى "البركة المعطية الحياة" (ευλογια Ζοοριον) كما أنه يتحدث أيضاً عن "ذبيحة معطية الحياة"، "تقدمات محيية"، أو حتى "بذرة معطية الحياة"، "سر البركة المحيية"، دراسات آبائية ولاهوتية، السنة الثالثة، العدد السادس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، يوليو ٢٠٠٠م، ص ٣٠ ـ ٣١.

٢- إن غاية الناموس والأنبياء هو المسيح، أما العبادة الناموسية فقد أبطلها المسيح، ويؤكد هذا الأمر القديس كيرلس أثناء حديثة عن عرض شقق المسكن للخيمة، قائلاً: "عرض الشُقة الواحدة هو أربعة أذرع، بينما طولها ثمان وعشرون ذراعاً. الرمزُ دقيقٌ وعجيب، لكني أعتقد أنه يُظهر أن العيش بالناموس بالنسبة للكنيسة، صعبٌ جداً لأن الحرفَ مظلمٌ. إذ أن تربية الناموس ـ بمرور الزمن ـ وصلت إلى نهايتها في سر المسيح، أي في اليوم الثامن الذي حدثت فيه قيامة المسيح. لأن غاية الناموس والأنبياء هو المسيح الذي إليه صرخ داود العظيم " أمَّا وصيتك فواسعة جداً" (مز ١١٩: ٩٦). وبولس العظيم يكتب لأولئك الذين فضَّلوا العبادة الناموسية عن الإيمان بالمسيح قائلاً: "فمنا مفتوح إليكم أيها الكورنثيون قلبنا متسع. لستم متضيقين فينا بل متضيقين في أحشائكم. فجزاء لذلك أقول كما لأولادي كونوا أنتم أيضا متسعين. لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين لأنه أية خلطة للبر والإثم وأية شركة للنور مع الظلمة" (٢ كو ٦: ١١ ـ ١٤). هل أدركت أن المرء الذي يريد أن يرتبط باليهود الذين أظهروا عدم إيمان، ومازالوا يتحدثون عن ضرورة التزام حرف الناموس بعد الإيمان بالمسيح يجعل القلوب تتنافر؟". المقالة التاسعة من هذا الكتاب، ص ٩٨.

صوتٌ ضعيف، عندما بدأ الله يكلمه ويأمره بالتحدث عنه، إذ قال له: ''هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهْوَهْ إِلَهُ آبَائِكُمْ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. هَذَا اسْمِي إِلَى الأَبَدِ'' (خر ٣:١٥). أي أن الناموس كان ثقيل اللسان في أن يصحح جيداً الكلام عن الله الكائن، ولا يمكنه أن يدخل في سر الطبيعة المكرمة والفائقة الوصف للثالوث القدوس المسجود له. وله (أي للناموس) صوتٌ ضعيف[1] فيما يتعلق بهذا أيضاً، فإن موسى كان يتحدث إلى الإسرائيليين فقط وكان صوته يُسمع في اليهودية فقط، بينما لم تستطع كرازته أن تصل للشعوب الأخرى. لهذا أدرك موسى الكليم مسبقاً ذاك الذي يمكن أن يُبلغ لسامعيه أقوال الله بدقة وبلاغة وأن يُبشر به بسهولة في كل الأرض، أي المسيح، لذا يقول: ''اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ أَرْسِلْ بِيَدِ مَنْ تُرْسِلْ'' (خر ٤:١٣). وهذا المرسل بالحقيقة هو المسيح. وأنه عندما يأتي الوقت بإرادة الله الآب سيُعيَّن (أي المسيح) لهذا العمل، لأن الناموس سبق وأخبر عنه بالتأكيد.

استعفاء موسى ودلالته

لكن رفض موسى من بعد الوعد الإلهى، وبراهين العلامات الكثيرة، يمكن أن يكون مثالاً لإسرائيل الذي لم يبال بالخدمة الإلهية والإنجيلية والطاعة للمسيح رافضاً إياها، وهو بعد عشرات الآلاف من الكلمات عن الإيمان، ومن بعد براهين عديدة من المعجزات تمسَّك بعصيانه، وظل غير مؤمن.

ورفض موسى هو رفضٌ ثنائيٌ بالتأكيد، أي على فترتين: الفترة التي كان فيها إسرائيل مشتتاً ومتوحشاً في عصر موسى، ويشوع بن نون والقضاة، ثم (الفترة الثانية) بعد هذه مباشرةً، عصر الأنبياء ويوحنا (المعمدان)، الذي

١- يشرح القديس كيرلس صوت الناموس الضعيف حين يبرز التبرير بالمسيح مقارنةً بالناموس في شرحه لما جاء في يو ١:١٧ قائلاً: ''كل مَنْ يريد أن يتعلّم أن يدرس النعمة الإنجيلية التي وُهِبَتْ لنا بواسطة المخلّص ويقارنها بنعمة الناموس التي أعطيت بواسطة موسى، فسوف يرى أن الابن أسمى بكثير، لأنه هو واضع الناموس الذي يهب خيرات أفضل من الناموس الموسوي. ولذلك يقول الإنجيلي ''النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا''. وما هو الفرق بين الناموس والنعمة التي صارت بواسطة المخلّص؟ لقد أدان الناموس الخليقة، لأنه بالناموس أغلق الله على الكل تحت الخطية (غلا ٣:٢٢) وأظهر أننا تحت العقاب، أما المخلّص فقد أعطى الحرِّية للإنسان ''لأنه لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ'' (انظر يو ١٢:٤٧). ومع أن الناموس أعطي نعمة معرفة الله للإنسان وجذبه من عبادة الأصنام التي أضلّت الإنسان، وبالإضافة إلى ذلك أشار إلى الشرّ وعلّم الخير، وإن كان بطريقة غير كاملة، لكنه كان كمعلّم نافع، أما النعمة والحق اللذان بالابن الوحيد، الذي لم يقدّم لنا الخيرات في رموز، ولا رسم الأمور النافعة في ظلال، بل بوصايا مجيدة ونقيّة، يقودنا بيده، لكي ننال معرفة كاملة للإيمان'' شرح يوحنا، المجلد الأول، ص ١١٨.



جاء بين الأنبياء والرسل، لأنه كان يمثل نهاية العمل النبوي وبداية الازدهار للعمل الرسولي. لكن رفض موسى أثار غضب الله، لهذا حوّل الأمر بعد ذلك إلى نوع آخر من التدبير، الذي به كان يجب أن يخلِّص أولئك الذين تألموا من سلطة المصريين الطاغية ''فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى مُوسَى وَقَالَ: «أَلَيْسَ هَارُونُ اللاَّوِيُّ أَخَاكَ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ يَتَكَلَّمُ وَأَيْضاً هَا هُوَ خَارِجٌ لاِسْتِقْبَالِكَ. فَحِينَمَا يَرَاكَ يَفْرَحُ بِقَلْبِهِ. فَتُكَلِّمُهُ وَتَضَعُ الْكَلِمَاتِ فِي فَمِهِ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَمَعَ فَمِهِ وَأُعْلِمُكُمَا مَاذَا تَصْنَعَانِ. وَهُوَ يُكَلِّمُ الشَّعْبَ عَنْكَ. وَهُوَ يَكُونُ لَكَ فَماً وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلَهاً'' (خر ٤: ١٤ – ١٦). فبسبب ضعف الناموس واصطدامه بالإسرائيليين، وعدم طاعتهم له، أتى المسيح اللاوي الحقيقي، رئيس الكهنة الأعظم، المعيَّن لأولئك الذين وُجدوا تحت الناموس، وبكونه أخاً بسبب أخذه طبيعتنا البشرية، كان هو الذي تكلم مع موسى بالتأكيد كإله، وبكونه استلم الوصايا من الآب وذلك بحسب خاصيته النبوية، إلّا أنه بالطبع هو الرب، لأنه يقول: ''أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيّاً مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلكَ وَأَجْعَلُ كَلامِي فِي فَمِهِ فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ'' (تث ١٨: ١٨)، والمسيح نفسه قال: ''لأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي لَكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ'' (يو ١٢:٤٩).

وبناءً عليه، فقد تكلم المسيح إلى الشعب، وإلى موسى، وصار فماً شارحاً لنا الناموس روحياً بوضوح، بينما موسى نقل فقط للشعب كل حالته. وعلى ذلك يتضح –بطريقةٍ ما– أن موسى هو الأكثر (من بين الأنبياء) قرباً من الله، لأن عمانوئيل خضع للناموس، ووعد أنه سيحفظ كل ما أمر به بواسطة موسى الحكيم قائلاً: ''لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ'' (مت ٥:١٧). إذن فقد بات واضحاً أن المسيح هو خادم الأسرار، الذي حوّل ثقل لسان الناموس إلى طلاقة، وأعاد تشكيل ضعف الحرف إلى شرحٍ قوي التأثير. لأن ناموس المسيح هو ناموسٌ روحيٌ وتعاليمه لها علاقة قُربى بالقديم، لأن هارون كان أخاً لموسى.

بلاديوس: إذن الناموس ضعيف من حيث إمكانياته، لأنه لم يُكَمِّل شيئاً.

كيرلس: هذا ما أقوله. لأن السلوك غير الكامل بحسب تعليم الناموس يمكن أن نلاحظه من الأمور التالية إذ مكتوب: ''فَمَضَى مُوسَى وَرَجَعَ إِلَى يَثْرُونَ حَمِيهِ

وَقَالَ لَهُ: «أَنَا أَذْهَبُ وَأَرْجِعُ إِلَى إِخْوَتِي الَّذِينَ فِي مِصْرَ لأَرَى هَلْ هُمْ بَعْدُ أَحْيَاءٌ». فَقَالَ يَثْرُونُ لِمُوسَى: «اذْهَبْ بِسَلاَمٍ». وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى فِي مِدْيَانَ: «اذْهَبِ ارْجِعْ إِلَى مِصْرَ لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ جَمِيعُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَكَ». فَأَخَذَ مُوسَى امْرَأَتَهُ وَبَنِيهِ وَأَرْكَبَهُمْ عَلَى الْحَمِيرِ وَرَجَعَ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ. وَأَخَذَ مُوسَى عَصَا اللهِ فِي يَدِهِ" (خر ٤:١٨ - ٢٠).

طبيعة الحياة بحسب الناموس

بلاديوس: ماذا يعني كل هذا؟ لأني لا أستطيع أن أفهم، ولا أن أرد على كل من ينتقد الحياة بحسب الناموس.

كيرلس: على الرغم من أن الأمر مملوءٌ بالتساؤلات، يا بلاديوس، إلَّا أنه يمكن للمرء أن يفهمه عندما يلاحظ المعاني محل الفحص بتبصر عظيم جداً. لقد عُيِّن موسى كليم الله لهذه الرسالة، ولكنه لم يتقدم فوراً نحو هذه الرسالة تاركاً أمور العالم، ولم يقطع اهتمامه بالجسديات، بل سبق وأعلن لأتباعه عن الرحيل. ولم يرحل من بلاد المديانيين، إلَّا بعد أن عَلِمَ أن طاغية المصريين قد مات أخيراً؛ إذ خاف جداً منه ربما يقتله. لكن عندما تخلص من مخاوفه هذه بعد إعلان الله المسبق له، أخيراً أخذ امرأته وأولاده ونزل إلى مصر، مقدِّماً أكثر مما أُمِرَ به، وهذا يمكن أن يكون مثالاً للحياة تحت الناموس، التي هي مجزَّأةٌ بطريقةٍ مَا، وتتطلع إلى الاتجاهين، أقصد نحو ما هو للإلهيات وما هو للبشر. وبالطبع ليست الحياة حسب الناموس حُرة من الاهتمامات الأرضية والعالمية، ولا هي مقدسة تماماً، بالرغم أنه بحسب السلوك الملائكي، لا يوجد بتاتاً انقسامٌ داخلي نحو الجسديات، أي نحو أمور العالم، لكن بكل الطرق تكرس لله هؤلاء الذين يحيون بحسب وصايا المسيح. إذ يقول: "وَلكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ" (غلا ٥:٢٤). فعندما ذهب واحد من التلاميذ إلى المسيح وقال له: "يَا سَيِّدُ ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلاً وَأَدْفِنَ أَبِي" (مت ٨:٢١). عرَّفه السلوك المقدس بكل جوانبه، إذ قال له مباشرة: "اتْبَعْنِي وَدَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ" (مت ٨:٢٢). وفي هذا يكتب بولس العجيب لأهل غلاطية: "وَلكِنْ لَمَّا

سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ. أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْماً وَدَماً" (غلا ١: ١٥ - ١٦).

لكن موسى كان له عذرٌ في موقفه هذا؛ لأن الحياة بحسب الناموس -كما قلت- منقسمة، وكانت وما تزال توجد تحت خوف الموت. فلقد خاف موسى أن ينزل إلى مصر، مُريداً أن يهرب من الموت. لكن في المسيح أُبطِلَ الموت، وهو ما سوف يؤكده لنا بولس القديس عندما يقول عن المسيح وعنا: "فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ" (عب ٢: ١٤ - ١٥). وبناء على ذلك نجد أن ذهن القديسين قد انتصب بشجاعة فائقة أمام الموت. فبولس يقول في مكان آخر: "لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ" (في ١: ٢١). وأيضاً: "مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيْقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟" (رو ٨: ٣٥). وكون أن الخوف من الموت يسيطر على الحياة بحسب الناموس، بينما يتلاشى هذا الخوف من الموت بتأثير نور الحياة في المسيح، فهذا ما يمكن أن يكون واضحاً جداً، طالما يعلن الكتاب أن الموت قد ملك من آدم إلى موسى. لكن ذاك الذي أبطل الموت وزعزع قوة الفساد، لا يمكن أن يكون إلّا ربنا يسوع المسيح وحده (أنظر ١ كو ١٥: ٢٤ - ٢٦)، وهو الذي خلّص المؤمنين[1]، ومعهم خلّص

١ـ هناك فرقٌ شاسعٌ بين موسى الخادم، الذي تسلم الوصايا من الله بواسطة الملائكة، وبين المسيح الرب والمشرع والمخلص والفادي، وهذا ما يؤكده القديس كيرلس في شرحه لنص يو ١: ١٧ قائلاً: "رئيس الأنبياء موسى نفسه يَقل عن الربِّ في المجد. وعلى كل مَنْ يريد أن يتعلّم أن يدرس النعمة الإنجيلية التي وُهِبَتْ لنا بواسطة المخلّص ويقارنها بنعمة الناموس التي أعطيت بواسطة موسى، فسوف يرى أن الابن أسمى بكثير، لأنه هو واضع الناموس الذي يهب خيرات أفضل من الناموس الموسوي. ولذلك يقول الإنجيلي "النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا". وما هو الفرق بين الناموس والنعمة التي صارت بواسطة المخلّص؟ لقد أدان الناموس الخليقة، لأنه بالناموس أغلق الله على الكل تحت الخطية (غلا ٣: ٢٢) وأظهر أننا تحت العقاب، أما المخلّص فقد أعطى الحرّية للإنسان "لأنه لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ" (انظر يو ١٢: ٤٧). ومع أن الناموس أعطي نعمة معرفة الله للإنسان وجذبه من عبادة الأصنام التي أضلّت الإنسان، وبالإضافة إلى ذلك أشار إلى الشرّ وعلّم الخير، وإن كان بطريقة غير كاملة، لكنه كان كمعلّم نافع، أما النعمة والحق اللذان بالابن الوحيد، الذي لم يقدّم لنا الخيرات في رموز، ولا رسم الأمور النافعة في ظلال، بل بوصايا مجيدة ونقيّة، يقودنا بيده، لكي ننال معرفة كاملة للإيمان. كان الناموس يعطي "رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضاً لِلْخَوْفِ" أما المسيح فقد أعطي "رُوحَ التَّبَنِّي" للحرية (رو ٨: ١٥). كان الناموس يختن اللحم وهو لا شيء (لان ختان اللحم ليس شيئاً) كما يقول بولس (١ كور ٧: ١٩)، أما ربنا يسوع المسيح فهو مانح "خِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ" (رو ٢: ٢٩). الناموس يغسل الذي تدنّس بمياه، أما المخلّص فهو يعمّد بالروح القدس ونار (مت ٢: ١١)، الناموس يأتي بخيمة كرمز للأشياء الحقيقية، أما المخلّص فيدخل إلى السماء نفسها (عب ٩: ٢٤)، ويقدّمنا إلى المسكن الحقيقي الذي نصبه الربُّ لا إنسان (عب ٨: ٢). وليس صعباً أن نضع فروقاً أخرى أكثر مما ذكرناه، ولكن علينا أن نقبل الحدود التي نتحرّك فيها". شرح إنجيل يوحنا،

أيضاً أولئك الذين تهذبوا بالناموس. لأن الكلمة النبوية تقول: "لا رسول ولا ملاك لكن الرب نفسه خلصهم" (إش ٦٣: ٩س). وسوف ترى بوضوح السر الخاص بهذا كمثالٍ في كل ما حدث لموسى الطوباوى. فعندما خرج من بلاد المديانيين وتوجّه نحو مصر، قال الله له: "عِنْدَمَا تَذْهَبُ لِتَرْجِعَ إِلَى مِصْرَ انْظُرْ جَمِيعَ الْعَجَائِبِ الَّتِي جَعَلْتُهَا فِي يَدِكَ وَاصْنَعْهَا قُدَّامَ فِرْعَوْنَ" (خر ٤: ٢١). وبعد ذلك بقليل يقول: "وَحَدَثَ فِي الطَّرِيقِ فِي الْمَنْزِلِ أَنَّ الرَّبَّ الْتَقَاهُ وَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَهُ. فَأَخَذَتْ صَفُّورَةُ صَوَّانَةً وَقَطَعَتْ غُرْلَةَ ابْنِهَا وَمَسَّتْ رِجْلَيْهِ. فَقَالَتْ: «إِنَّكَ عَرِيسُ دَمٍ لِي». فَانْفَكَّ عَنْهُ. حِينَئِذٍ قَالَتْ: «عَرِيسُ دَمٍ مِنْ أَجْلِ الْخِتَانِ" (خر ٤: ٢٤ - ٢٦). ربما يحتاج الأمر إلى كلمة مُطوّلة لكي يصير واضحاً جداً؟ هل شرحي واضح؟

بلاديوس: بالطبع لا: لأني على أية حال، لم أفهم بتاتاً ما الذي يشار إليه من هذا الذي حدث لموسى.

كيرلس: أي ألا تقبل، يا عزيزى، أن الطبيعة البشرية قد صارت مذنبة للموت بسبب تلك اللعنة القديمة؟ لأنه سبق أن قِيل لنا في بداية جنسنا وفي أصلنا الأول أي في آدم: "لأنك تراب وإلى تراب تعود" (تك ٣: ١٩).

بلاديوس: هذا أقبله بالتأكيد.

صفورة تتوسل للملاك المهلك

كيرلس: إذن، لأن بداية الجنس البشري بسبب الخطية انتهت إلى مرض الموت، وهذا الموت اجتاز إجبارياً إلينا، فمن الجذر امتد إلى الفروع التي تفرعت منه. لأن الثمر الفاسد هو من الأصل الفاسد. هكذا ملك الموت على الجميع[1]، وحتى على موسى نفسه، أي حتى ذاك العصر الذي كان

المجلد الأول، الإصحاح الأول ص ١٤٠ ـ ١٤١.

١ـ يسرد لنا القديس كيرلس خلق الإنسان ونتائج السقوط في سياق شرحه لما جاء في إنجيل يوحنا عن معمودية المسيح، فيقول: "إن الأسفار الإلهية تعلّمنا أن الإنسان خُلِقَ علي صورة ومثال الله الذي هو فوق الكل، وموسي الذي كتب لنا الأسفار الخمسة الأولي الذي شهد الله عنه أنه عرفه فوق الكل (خر ١٧: ٣٣ س) يقول "فخلق الله الإنسان علي صورته، علي صورة الله خلقه" (تك ١: ٢٧)، ولكنه بالروح خُتم بالصورة الإلهية وموسي يعلّمنا من هذا أيضاً قائلاً: "ونفخ في أنفه نسمة حياة" (تك ٢: ٧). لأن الروح وضع حياة في تكوين الإنسان منذ خلقته وبطريقة إلهية طبع صورته في الإنسان وهكذا فإن الله الصانع الحكيم، إذ صنع المخلوق العاقل الحي علي الأرض. أعطاه الوصيّة المخلّصة. وكان الإنسان في الفردوس كما هو مكتوب (تك ٢: ٨) حافظاً للعطيّة، مالكاً الصورة الإلهية الروح القدس الذي سكن فيه. ولكن عندما

فيه الناموس سارياً. وبناء عليه، فتصرُّف الملاك ضد موسى وقتئذ، كان مثالاً واضحاً وظاهراً على أن الموت قد سرى حتى على موسى وعلى كل إنسان وُجد تحت سلطان الفساد. لكن زوجة موسى صفورة الساكنة معه في الخيمة توسلت للملاك المهلك ومنعته عن زوجها، إذ قطعت بحجر غرلة ابنها وطلبت إليه قائلةً: "أوقف الدم من ختان ابني". وتعبير "أوقف الدم" قالته، ليس لأن تدفق الدم قد انقطع، ولا كما أظن أنها قد غيَّرت رأيها إطلاقاً وأرادت ترهيب المهلك، ولكن كأنها قالت: "تمت إرادة الله وتحققت، أي ختان الولد". مثلما يقول الواحد: "أنه بدلاً من القول بأن الأمر قد وصل إلى نهايته وصار مقبولاً"، يقال توقف الحديث عند النموذج أو المثال.

بلاديوس: بعد ذلك، إلَامَ تشير صفورة؟ وماذا يعني الحجر والختان الذي صار به؟ وماذا يعني توسلها لملاك الله، وإنقاذ موسى من تهديد الملاك والموت المحقق، بختان الولد؟

كيرلس: في الحقيقة يُعد الحديث في هذه الأمور التي نفحصها حديثٌ غامضٌ وصعب الفهم. لكن لدينا ثقة في الله، وسأسرع ثانية لشرح هذا الأمر بقدر ما أستطيع. صفورة التي كانت ابنة كاهن مديان (هذا كان من أمة أخرى وليس من دم إسرائيل) تُصوِّر وتشير إلى الكنيسة التي أتت من الأمم[1] والتى دُعيت من العبادة الدنيوية إلى عبادة الله. لأنه قيل عنها في موضع ما بفم داود: "اِسْمَعِي يَا بِنْتُ وَانْظُرِي وَأَمِيلِي أُذْنَكِ وَانْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ.

انحرف بغواية الشيطان، وبدأ يحتقر خالقه، ويدوس الناموس الذي أعطاه الله إياه، ويُحزن المُحسن إليه، نزع الله النعمة التي أعطيت له، وذلك الذي خُلِقَ للحياة سمع لأول مرَّة لأنك "تراب وإلي تراب تعود" (تك ٣:١٩)". شرح إنجيل يوحنا، المجلد الأول، ٢٠٠٩، ص ١٦١.

١- أيضاً يشبه القديس كيرلس كنيسة الأمم بالأرض التي كان واقفاً عليها موسى وهو يرى العليقة المحترقة، إذ يقول: "حسناً لم تحترق العليقة، بالرغم من أنها كانت محاطة بالنيران ومتقدة. هكذا لم نُعاقب بسبب خطايانا، كما قلنا سابقاً، لكن أحاطنا المسيح ببهاء الروح القدس وسكن فينا الروح الذي به نصرخ "يا أباً الآب" (رو ٨: ١٥). حين رأى موسي تلك الرؤية قال: "أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة" (خر ٣: ٣). الملاك الطوباوي هو الذي أعاق النيران من أن تحرق العليقة، وقال نائباً عن الله لموسي: "لا تقترب إلى ههنا. اخلع حذائك من رجليك. لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة" (خر ٣: ٥). لقد دعا الصحراء الجرداء، التي تنبت شوكاً والتي فيها العليقة أرضاً مقدسة، هذا يرمز إلى الكنيسة التي من الأمم والتي يقول لها الكتاب المقدس: "ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد أشيدي بالترنم أيتها التي لم تتمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب" (أش ٥٤:١). أيضاً وعد الله بأن يجعل القفر غدير ماء. لأنه أغدق علينا نحن الذين دُعينا من الأمم بنعمة المخلص وكنهر غمرنا بالمواهب السماوية وأسكرنا بغناه الوفير. هذا ما قاله داود العظيم: "يجعل القفر غدير مياه وأرضاً يبساً ينابيع مياه" (مز ١٠٧:٣٥)". جيلافيرا، ترجمة د. جورج عوض، الكتاب الشهري لبيت التكريس، عدد سبتمبر ٢٠٠٩.

فَيَشْتَهِيَ الْمَلِكُ حُسْنَكِ لأَنَّهُ هُوَ سَيِّدُكِ فَاسْجُدِي لَهُ" (مز ٤٥: ١٠ – ١١). فقد دُعيت (صفورة) بينما كانت تتبع الناموس، وكانت بطريقة ما مرتبطة (كزوجة) بالمؤدِّب موسى وانقادت بالصواب نحو سر المسيح (أنظر عب ٥)، لأن الناموس هو مُعلم البدائيات، ويقودنا إلى أساسيات أقوال الله ويلقى داخلنا -بألغازٍ وظلال- بذرة معرفة سر المسيح. ولذا قال المسيح لليهود، الذين لم يكن عندهم وفاء لموسى القديس: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي أَشْكُوكُمْ إِلَى الآبِ. يُوجَدُ الَّذِي يَشْكُوكُمْ وَهُوَ مُوسَى الَّذِي عَلَيْهِ رَجَاؤُكُمْ. لأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي" (يو ٥: ٤٥ – ٤٦).

إذن، فطالما قبلنا أن تمثل صفورة الكنيسة التي من الأمم، فإن ابنها سيكون على أية حال مثالاً للشعب الجديد، إذ أن كل الذين آمنوا قد قبلوا الطفولة الروحية للمسيح وميلادهم الثاني الإلهي، وهم الذين يدعوهم داود في موضع ما "وشعبٌ سوف يُخلق" (مز ١٠٢: ١٨). فالطفل حديث الولادة في الإيمان بالمسيح، أي الشعب الجديد، بختان الإيمان أُبعد عنه الموت. لأن الحجر هو رمزٌ للطبيعة التي لا تنكسر، وقساوته تشير إلى قوتها وترابطها. ويشوع بن نون حيث إنه عبر بالإسرائيليين من الأردن، ختَّنهم أيضاً بسكاكين من الحجارة، كمثال للختان الذي سوف يصير بالروح باسم المسيح. لأن المسيح هو صخر (أي حجر)، والحجر الذي به عملت صفورة ختان الطفل، يعلن مسبقاً ما قلته الآن كمثال. وعندما هرب الموت الذي طلب أن يقتل موسى وابتعد عنه، عندئذ كُرِّم -كسرٍّ- الختانُ بالمسيح مُعلناً لنا هذا الأمر بطريقة رمزية، إن الموت لم يترك فقط كل الذين استحقوا الختان باسم المسيح، بل أن هذا الحدث، أقصد سر المسيح، قد أعان الأجداد أنفسهم. فكما متنا في آدم، هكذا امتدت (ملكت) نعمة المسيح لنا كلنا، لأنه مات لأجل هذا السبب، أي لكي يصير رباً على الأحياء والأموات[1]. وبناءً على ذلك في وقت ختان الشعب الجديد، صارت حياة الآباء صالحة لأنهم عاشوا مع الله، وتخبرنا الكتب المقدسة عن

١- بإنتصار المسيح على الشيطان وإنقاذه للذين في الهاوية صار رباً على الأحياء والأموات، وهذا ما أكده القديس كيرلس في موضع آخر: "بينما كنا مأسورين حررنا منتصراً على رئيس هذا العالم وأنقذ الأموات من أحضان الهاوية. وبما إنه أسس الكنيسة وعين رئيساً لنا فقد عبر بنا، بالإيمان به، من الأرض، وإذ أعطانا الختان الروحي فقد أدخلنا إلى ملكوت السموات". جيلافيرا، ترجمة د. جورج عوض، الكتاب الشهري لبيت التكريس، عدد سبتمبر ٢٠٠٤.

أهمية عيشهم مع الله. إن زمن الختان الروحي هو حضور المسيح، لأنه هو أكثر شفاعة من موسى لكونه الله، لكنه هو الثاني بعده بسبب أنه ظهر كإنسان ليخدمنا.

دعوة هارون

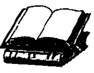
انتبه إذن، فقد عيَّن الله موسى أولاً، ثم بعد ذلك دعا هارون، وتمثل الدعوة الثانية –أي التي تمت بعد إرسالية وخدمة موسى– زمنياً، حضور المسيح الذي كان إنساناً مثل موسى، ولكن تفوق عليه بالإلوهية الفائقة التي لا تقارن لأن أباه هو الله. وتستطيع أيضاً، لو أردت أن تتيقن من هذا من الكتابات المقدسة نفسها، لأنها تقول: "فَفَعَلَ مُوسَى وَهَارُونُ كَمَا أَمَرَهُمَا الرَّبُّ. هَكَذَا فَعَلاَ. وَكَانَ مُوسَى ابْنَ ثَمَانِينَ سَنَةً وَهَارُونُ ابْنَ ثَلاَثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً حِينَ كَلَّمَا فِرْعَوْنَ" (خر ٧: ٦ – ٧). أسمعت إذن أن الاثنين كانا متساويين لأنهما كانا في الثمانينيات، بالرغم من أنه من جهة الخدمة كان هرون بالطبع بعد موسى؟ هكذا المسيح كان مساوياً لموسى من الجانب الإنساني، لكنه من جهة التدبير كان بعد موسى بالرغم من أنه الأسمى والأعظم من جهة الإلوهية ومجد الثالوث القدوس.

بلاديوس: إن كلامك واضح جداً.

كيرلس: لكن ماذا؟ ألا يستحق أن نرى شيئاً آخر إضافة لكل هذا؟

بلاديوس: ما هو؟

كيرلس: إن الإسرائيليين لم يخرجوا من أرض المصريين، ولا تحرروا من العبودية القاسية والممقوتة لهم، وأقول بالصواب إنه لم يكن في إمكانهم تجنب الموت الذي قضى على أبكار المصريين، ولا تفادي قبضة الملاك المهلك القوية، لو لم يذبحوا الحمل كمثال للمسيح الذي يرفع خطايا العالم. لقد دهنوا الأبواب بالدم بحسب وصية موسى التي أعطيت لهم، وسر المسيح جعلوه سلاحاً لهم وحصناً لنفوسهم. فموت المسيح يقف وراء بطلان الموت. والذين يشاركون في هذه البركة السرية، لا يمسهم الفساد وفقاً للقول: "«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ .. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ" (يو ٦: ٥٣



- ٥٤). لقد أكلوا الحمل، ومعه خبزاً غير مختمر (فطير). بهذا المثال يُعلن -بطريقةٍ غير مباشرة- جمال ونقاء التعاليم الإنجيلية بالخبز غير المختمر، والتى لن تنفذ بدون مشقات ومرارة الأحزان، لذلك كان يجب أن يأكلوا أعشاباً مرةً مع الخبز غير المختمر. وبناء على ذلك مع الطعام غير المختمر، يجب أن يكون لدينا المرارة (الآلام). لأنه يقول: ”وَجَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ انْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهَدُونَ“ (٢ تي ٣:١٢). لكن كل الذين سيتألمون بهذا سيُطوبون. لأنه بحسب الكتاب: ”إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضاً مَعَهُ“ (رو ٨:١٧). هل خرج كلامي عن الموضوع؟

بلاديوس: إطلاقاً.

المقالة الثالثة

يستحيل -بدون تقديس- أن نتجنب الموت من الخطية وسلطان الشيطان،
وأن التبرير لا يصير بالناموس، ولكن بالمسيح.

التيه الكبير

كيرلس: حسناً. أتم الإسرائيليون تقديم الذبيحة، وهلك أبكار المصريين، وأبعَدَ المسيحُ -رمزياً- الملاك المهلك عن المقدَّسين. وعندئذٍ، بمجرد خروجهم من أرض المستبدين، أسرعوا لكي يصلوا إلى الأرض التي وعدهم الله بها، لكنهم لم يسيروا إليها مباشرة، إذ ذهبوا تائهين مرةً إلى يسار طريقهم ومرةً إلى يمينه. لأنه مكتوب أيضاً: "وَكَانَ لَمَّا أَطْلَقَ فِرْعَوْنُ الشَّعْبَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَهْدِهِمْ فِي طَرِيقِ أَرْضِ الْفَلَسْطِينِيِّينَ مَعَ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ لأَنَّ اللهَ قَالَ: «لِئَلاَّ يَنْدَمَ الشَّعْبُ إِذَا رَأَوْا حَرْباً وَيَرْجِعُوا إِلَى مِصْرَ». فَأَدَارَ اللهُ الشَّعْبَ فِي طَرِيقِ بَرِّيَّةِ بَحْرِ سُوفٍ" (خر ١٣: ١٧ - ١٨).

بلاديوس: أي سِرٍّ مُستتر هنا؟

كيرلس: فلنفحصه إذا أردت. لقد أدركت أنه رغم أن الطريق الذي يقودهم مباشرةً إلى مقصدهم، كان أمامهم وكان في استطاعتهم أن يصلوا بسرعة سيراً على الأقدام. لأنه يقول كانت أرض الموعد قريبة إلَّا أنه قد ذهب بهم من طريق أخرى والذي ترتب عليه تيهٌ كبير، إذ توقع الخالق استعدادهم للعصيان والميل الزائد للجبن الذي لازم الأقدمين منهم.

بلاديوس: الكلام ليس واضحاً.

كيرلس: دعنا إذن نأتي إلى الرؤية الروحية للأمر. كل الذين يخرجون من الحياة العالمية ومن طغيان الأرواح النجسة، كما لو كان من أرض مصر، فالطريق المباشر

تماماً والقصير الذي يقود إلى القداسة وإلى الرجاء بالقرب من الله، هو الإيمان بالمسيح والتبرير الذي يهبه لنا[١]. وهذا يوافق ما قاله بولس بحكمة: "لَكِنْ مَاذَا يَقُولُ؟ «اَلْكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ فِي فَمِكَ وَفِي قَلْبِكَ» (أَيْ كَلِمَةُ الإِيمَانِ الَّتِي نَكْرِزُ بِهَا). لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ خَلَصْتَ. لأَنَّ الْقَلْبَ يُؤْمَنُ بِهِ لِلْبِرِّ وَ الْفَمَ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلاَصِ" (رو ٨:١٠ - ١٠). إذن لم يترك الله للأقدمين الطريق القريب جداً والسريع لكي يسلكوا فيه، لكنه ابتدع طريقاً دائرياً، لم يكن فيه بتاتاً مسارٌ مستقيم، وأعطاهم كلمات تحمل معاني كثيرةٍ وناموساً مليئاً بالإشارات، يهدف إلى تربية طويلة المدى وشاقة[٢]. لدرجة أنهم حصلوا -بطريقةٍ ما- على نوعٍ من دراسةٍ للأمور الكاملة من كل ما هو موجود في الظل حتى يتعلّمون -مسبقاً- السر، ولا يسقطون في المخاوف التي يمكن أن تحدث في العصيان والابتعاد عن المسيح. ولذلك صاروا حقاً بطريقةٍ ما متعلمين ومتدربين على المنفعة الحقيقية، ولذلك يكون لديهم استعداد أكثر للرغبة والتهيئة للحق، آخذين المحبة لله كسند غير متزعزع. إذاً كان الناموس مربّياً بطريقٍ طويلةٍ وليس مستقيمة، أي طريق عبادة الحرف. لكن الأمر ليس هكذا مع المسيح. لأنه أظهر لنا الطريق المستقيم والسريع، أي طريق الإيمان محولاً إيّاه إلى جرأة وإلى ضرورة الوقوف بشهامة في مواجهة كل ما يحاربنا. فلنحب المخاطرة من أجل الصلاح ونواجه حيل الشيطان بثبات، مرددين هذا الذي قاله النبي: "هُوَذَا السَّيِّدُ الرَّبُّ يُعِينُنِي. مَنْ هُوَ الَّذِي يَحْكُمُ عَلَيَّ؟" (إش ٥٠:٩). وهذا بالتأكيد هو ما يثير فينا الجُرأة التي تستحق كل إعجاب:

١- يوضح القديس كيرلس سهولة الطريق للمؤمنين بواسطة البر والإيمان، على عكس غير المؤمنين حيث يكون طريقهم وعر وصعب في سياق ذِكره لآية يو٧:٣٤: "سَتَطْلُبُونَنِي وَلاَ تَجِدُونَنِي، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا" (يو ٧:٣٤). لأن طريق البرّ بالنسبة للذين يذهبون إليه بالإيمان، إنما هو طريق مُمهّد للغاية وسهل جداً، خالٍ من الوعورة، لكنه وَعِرْ وشاق، ومستحيل السير فيه أمام الذين يقاومونه، كما قال أحد الأنبياء القديسين: "فَإِنَّ طُرُقَ الرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ، وَالأَبْرَارَ يَسْلُكُونَ فِيهَا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَيَعْثُرُونَ فِيهَا" (هو ١٤:٩). لهذا فإن "عَبر" البحر الذي يفصل بين الجانبين يشير إلى مشقة عبور اليهود، بل بالحري إلى إستحالة سيرهم في الطريق المؤدية إليه، إذ يعلن الله أنه يسيِّج طرق النفس الشريرة، قائلاً في الأنبياء "هأَنَذَا أُسَيِّجُ طَرِيقَكِ بِالشَّوْكِ، وَأَبْنِي حَائِطَهَا حَتَّى لاَ تَجِدَ مَسَالِكَهَا" (هو ٢:٦)" شرح إنجيل يوحنا، المجلد الأول، الأصحاح السادس، ص ٣١٧

٢- دور الناموس كان مثل دور المربى، وهذا ما أكده القديس كيرلس، في موضع آخر، حين قال: "يتميز الكتاب المقدس بالدقة، ولا يوجد فيه شيءٌ بلا فائدة. بل لعلك تلاحظ كيف أنَّ الرمزَ يُظهر لنا أنَّ الناموسَ إنما يعمل كمربي يقودنا إلى المسيح. ويتضح لنا هذا من أنَّ مذبحَ العبادة الناموسية قد وُضع بالقرب من المداخل التي تؤدي إلى قدس الأقداس. أي أنَّ الناموس يقودنا إلى بداية أسرار المسيح، وإلى مبادئ الدخول لمعرفته الدقيقة. لكن لا يقودنا أبداً إلى قدس الأقداس، أي إلى الخيمة الداخلية حيث يوجد المسيحُ الفائق الجمال، كلمة الله، والنور، والخبز الحي، والرائحة الذكية لله الآب". أنظر المقالة العاشرة في هذا الكتاب.

ليس شيئاً آخر من كل الأشياء الأخرى إلّا القوة من السماء، أي الاتحاد وشركة الروح القدس.

بلاديوس: لقد فهمت هذا الذي تقوله ومعجب جداً بذكاء روحك.

كيرلس: بالتأكيد يمكن أن يُعلَن وقت الخلاص بواسطة المسيح مباشرة، هذا الذي يُذكر مرتبطاً بما سبق لأنه يقول: "في الجيل الخامس خرج الإسرائيليون من مصر" (خر ١٣: ٣ س). لأنه يحررنا من العبودية[١] ومن الآلام الناتجة عن التيه الباطل، وبالأكثر من مشقة العمل في الأرض والطين (أتفهم ما أقوله؟)، في الجيل الخامس، أي التعاقب الخامس للسنين وفقاً للمقطع الإنجيلي لأنه يقول: "فَإِنَّ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ يُشْبِهُ رَجُلاً رَبَّ بَيْتٍ خَرَجَ مَعَ الصُّبْحِ لِيَسْتَأْجِرَ فَعَلَةً لِكَرْمِهِ. فَاتَّفَقَ مَعَ الْفَعَلَةِ عَلَى دِينَارٍ فِي الْيَوْمِ وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى كَرْمِهِ. ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ وَرَأَى آخَرِينَ قِيَاماً فِي السُّوقِ بَطَّالِينَ. فَقَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضاً إِلَى الْكَرْمِ فَأُعْطِيَكُمْ مَا يَحِقُّ لَكُمْ. فَمَضَوْا. وَخَرَجَ أَيْضاً نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ وَالتَّاسِعَةِ وَفَعَلَ كَذَلِكَ. ثُمَّ نَحْوَ السَّاعَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ خَرَجَ وَوَجَدَ آخَرِينَ قِيَاماً بَطَّالِينَ فَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا وَقَفْتُمْ هَهُنَا كُلَّ النَّهَارِ بَطَّالِينَ؟ قَالُوا لَهُ: لأَنَّهُ لَمْ يَسْتَأْجِرْنَا أَحَدٌ. قَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضاً إِلَى الْكَرْمِ فَتَأْخُذُوا مَا يَحِقُّ لَكُمْ" (مت ٢٠: ١ – ٧).

انتبه إذن، الأخيرين الذين أُرسلوا إلى الكرم بطريقةٍ ما هم الجيل الخامس وفي الأوقات الأخيرة، وذلك عندما صار الوحيد الجنس إنساناً، وعزم أن يُذبح من أجل حياة الجميع[٢]. لذلك حدَّد الناموس الموسوي أن يأخذوا الخروف من اليوم العاشر للشهر الأول وأن يذبحوه نحو المساء في اليوم الرابع عشر لنفس الشهر، حتى في نفس الوقت والتعاقب الخامس للسنين بعبارة

١- يؤكد القديس كيرلس في سياق حديثه عن رفقة هارون لموسى أثناء ذهابهما إلى فرعون، أن المحرر الحقيقي هو المسيح، إذ يقول: " أن الناموس لم يكن قادراً علي أن يحرر من العبودية أولئك الذين كانوا مستعبدين لفرعون، الذي يرمز للشيطان، ولا موسي كان قادراً علي أن يفيد الأرض في شئ، بدون أن يكون معه المسيح لكي يعضده، بالرغم من أنه كان يتحلي بمجد الفضائل. وكلامنا هذا هو صائب وسوف تعلم ذلك من مكانة هارون (الذي هو رمز للمسيح) بجوار موسي " جيلافيرا، المقالة الثانية على سفر الخروج، الكتاب الشهري سبتمبر ٢٠١٠.

٢- يشرح القديس كيرلس سبب تقديم المسيح ذاته ذبيحة -في موضع آخر- حين يستشهد بما قاله بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين: "فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ" (عب٢: ١٤)، إذ يقول: "لأنه لم يكن من طريق آخر به يمكن أن ذاك الذي له سلطان الموت يمكن أن يُباد، وكذا الموت أيضاً، لو لم يبذل المسيح نفسه فديةً لأجلنا، الواحد لأجل الجميع، لأنه كان نائباً عن الجميع. لهذا يقول في المزامير أيضاً، مقدماً ذاته كذبيحة بلا عيب لله الآب، "بذبيحةٍ وتقدِّمة لم تُسَر، لكن هيأتَ لي جسداً، محرقة وذبيحة خطية لم تطلب. حينئذ قلت: هاأنذا جئتُ. بدرج الكتاب مكتوب عني. أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت". (مز٤٠: ٦-٨س). لأنه لما كان "دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ" (عب٩: ١٣) لم يكفِ لتطهير الخطية ولا كان حتى ذبح البهائم العجماء كافياً بالمرّة أن يبيد قوّة الموت" شرح إنجيل يوحنا: ٦، المجلد الأول، ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤

"نحو المساء"، أي الجيل الخامس الذي صار فيه ذبح المخلص.

بلاديوس: إذن، فكل هدف الكتب الملهمة بروح الله، كما يبدو، هو التطلع إلى سر المسيح (٢ تيمو ٣: ١٦).

كيرلس: بالطبع بكل الطرق، لأن غاية الناموس والأنبياء هو المسيح[١]. لأنه "لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ" (أع ٤: ١٢). هذا ما قاله تلميذ المخلص. ويسهُل أن نبرهن على هذا الأمر، لو فحصنا كل ما يتبع ذلك. لأنه يقول: "وَارْتَحَلُوا مِنْ سُكُّوتَ وَنَزَلُوا فِي إِيثَامَ فِي طَرَفِ الْبَرِّيَّةِ. وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَاراً فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ - لِكَيْ يَمْشُوا نَهَاراً وَلَيْلاً. لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَاراً وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلاً مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ" (خر ١٣: ٢٠ - ٢٢).

أرأيت كيف أنه عندما ارتحل الإسرائيليون من أرض المصريين كان الله قائداً لهم بشكل عمودى السحاب والنار؟! وبالاثنين قد صُوِّرَ المسيح مسبقاً.

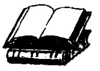
عمودي السحاب والنار

بلاديوس: بأية طريقة؟

كيرلس: أولاً، بسبب أنه عمودٌ وسندٌ للحق[٢]، غير متزعزع تماماً وغير قابل للسحق، بل هو مرتفعٌ عالياً عن الأرض. لأننا بنور المسيح تخلَّصنا من اهتمام الجسد ومن الالتفاف حول الشرور الأرضية، ونسمو عالياً بواسطته، جاعلين اهتمامنا بالسماويات وطننا الحقيقي، لأنه مكتوب: "أقوياء الرب يرتفعون كثيراً فوق الأرض" (مز ٤٦: ١٠س). والمسيح يقول في موضع ما بفم داود عن الأرض والرسل القديسين: "أنا ثبَّت أعمدتها" (مز ٤٧: ٤س). وقد ثبَّت التلاميذ القديسون (بالمسيح) الذين يسندون الأرض، بقوة من الأعالي أي حاملين نعمة الروح القدس. وكانوا أعمدةً بسبب طاعتهم للمسيح

١- يقول القديس كيرلس -في موضع آخر- بكل وضوح: "كل أقوال الأنبياء ومن بينهم موسى النبي، تقودنا إلى سر المسيح. لذلك قال بولس الرسول "لأن غاية الناموس هي المسيح " (رو ١٠: ٤)". جيلافيرا على سفر التكوين، المقالة الثالثة، الكتاب الشهري يناير ٢٠٠٧

٢- يقول القديس كيرلس الأسكندرى: "قد صار الابن حقاً هو الخلاص والبر من الله الآب لأجلنا، إذ هو الحق، وهو الذى تبرّرنا به لأنه انتصر على الموت الذى كان متملكاً علينا منذ القديم، وأعادنا إلى عدم الموت، وأعاد تشكيلنا إلى الحالة التى كانت عليها طبيعتنا منذ البداية" (جلافيرا)، المرجع السابق، الكتاب الشهرى أبريل٢٠٠٥، ص٢٠.



وتشبههم به بنعمة الروح القدس. إذن يمكنك أن تقبل أن يُسمَّى المسيح عموداً ليس لأي سبب آخر، إلَّا ما قلناه من قبل. لأنه قادهم، عندما كان نهاراً بعمود سحاب، وبالليل بعمود نار لكي يُظهر لهم الطريق. وقد اعتاد الكتاب المقدس أن يدعو زمن ما قبل مجئ المسيح بالليل، والزمن الذي فيه ساد الشيطان بسلطته على البشر بظلمة الجهل. ويقول أيضاً عن النهار إنه زمن ظهور المخلص، والذي فيه قد استنرنا إذ قد قبلنا في عقلنا بهاء المعرفة الإلهية الحقيقية، ونرى بأعين النفس شمس البر. وسوف يؤكد هذا بولس عندما يقول عن زمن ما قبل المجيء وزمن المجيء: "قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ. لِنَسْلُكْ بِلِيَاقَةٍ كَمَا فِي النَّهَارِ" (رو ١٣ : ١٢ – ١٣)، قاصداً إذن الزمن القديم بأنه ليل، والزمن الذي صار فيه وحيد الجنس إنساناً، بأنه نهار، نقول إنه تقدم أمام الإسرائيليين بشكل نار، أي بما يتناسب مع الناموس الذي يُدين ويعاقِب (لأن النار هي علامة العقاب)، بينما يتقدم أمامنا بشكل السحابة، والتي هي مثال للمعمودية المقدسة لخلاصنا بالماء. أليست السحابةُ ماءً؟

بلاديوس: وكيف لا تكون؟

كيرلس: وعندما ارتحل الإسرائيليون من مصر، استشاط غضباً سيدهم القديم، أي فرعون، وشرع في مطاردتهم. إذ يقول: "فَشَدَّ مَرْكَبَتَهُ وَأَخَذَ قَوْمَهُ مَعَهُ. وَأَخَذَ سِتَّ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ مُنْتَخَبَةٍ وَسَائِرَ مَرْكَبَاتِ مِصْرَ وَجُنُوداً مَرْكَبِيَّةً عَلَى جَمِيعِهَا" (خر ١٤ : ٦ – ٧). وأيضاً بعد ذلك بقليل يقول: "فَلَمَّا اقْتَرَبَ فِرْعَوْنُ رَفَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عُيُونَهُمْ وَإِذَا الْمِصْرِيُّونَ رَاحِلُونَ وَرَاءَهُمْ فَفَزِعُوا جِدّاً. وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ. وَقَالُوا لِمُوسَى: «هَلْ لأَنَّهُ لَيْسَتْ قُبُورٌ فِي مِصْرَ أَخَذْتَنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا حَتَّى أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ؟ أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْنَاكَ بِهِ فِي مِصْرَ قَائِلِينَ: كُفَّ عَنَّا فَنَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ أَنْ نَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ" (خر ١٤ : ١٠ – ١٢). فأجاب موسى على هذا: "لاَ تَخَافُوا. قِفُوا وَانْظُرُوا خَلاَصَ الرَّبِّ الَّذِي يَصْنَعُهُ لَكُمُ الْيَوْمَ. فَإِنَّهُ كَمَا رَأَيْتُمُ الْمِصْرِيِّينَ الْيَوْمَ لاَ تَعُودُونَ تَرُونَهُمْ أَيْضاً إِلَى الأَبَدِ. الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ». فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مَا لَكَ تَصْرُخُ إِلَيَّ؟ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْحَلُوا. وَارْفَعْ أَنْتَ عَصَاكَ وَمُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ وَشُقَّهُ فَيَدْخُلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ" (خر ١٤ : ١٣ –



١٦). لقد جعل الله طريقة المعونة واضحة إذ ''انْتَقَلَ مَلاَكُ اللهِ السَّائِرُ أَمَامَ عَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ وَسَارَ وَرَاءَهُمْ وَانْتَقَلَ عَمُودُ السَّحَابِ مِنْ أَمَامِهِمْ وَوَقَفَ وَرَاءَهُمْ. فَدَخَلَ بَيْنَ عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ وَعَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ وَصَارَ السَّحَابُ وَالظَّلاَمُ وَأَضَاءَ اللَّيْلَ. فَلَمْ يَقْتَرِبْ هَذَا إِلَى ذَاكَ كُلَّ اللَّيْلِ'' (خر ١٤: ١٩ - ٢٠). إن رواية التاريخ المقدس تخبرنا بكل هذه الأحداث. لكن يجب علينا، على ما أظن، أن نفتش ثانيةً عن دقة المعاني، محللين بالتفصيل كل ما كُتب بعقولنا.

بلاديوس: بكل تأكيد

كيرلس: يرتحل إذن الإسرائيليون، مُسرعين إلى الأرض المقدسة آخذين الله مرشداً لهم وقائداً لمسيرتهم في شكل النار والسحابة. لأنه لن يكون ممكناً بأية طريقة أن نصل إلى المدينة السماوية المقدسة، إن لم يكن المسيح قائدنا لكي يُظهر لنا طريق الخلاص[1]. وأعداء هذا العالم يصرون على أسنانهم أمام هؤلاء الذين يفضلون طريقة العمل هذه، إذ الناموس يحثهم على أن يُظهروا الجرأة ويشجعهم في خوفهم. وكون أن جميع خصومهم سوف يسقطون، فهذا ما يعلنه (الكتاب) بأكثر وضوح. لأن القول بأن المصريين قد خرجوا من الوسط يشير على أية حال لهذا الأمر، والذين يخافون ربما يصابون بشيءٍ ما، خلَّصهم الله مستخدماً المعمودية المقدسة كمثال. فهو يقول: ''قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْحَلُوا. وَارْفَعْ أَنْتَ عَصَاكَ وَمُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ وَشُقَّهُ فَيَدْخُلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ''.(خر ١٤: ١٥ - ١٦). ألم يكتب إذن بولس العظيم عن الإسرائيليين، أن الكل بثقة في موسى قد نالوا المعمودية داخل السحابة والبحر (١ كو ١٠: ٢)؟

بلاديوس: أوافقك على هذا.

كيرلس: يجب إذن على كل الذين يريدون أن يتبعوا المسيح مسرعين نحو المدينة

١- أيضاً يدعو القديس كيرلس الأمم للفرح بخلاص الرب وهو يشرح نص لقاء المرأة الخاطئة بالمسيح الوارد في لو ٧: ٣٦ - ٥٠ موضحاً الفرق بين بر الناموس والبر بالمسيح، إذ يقول: ''يا جميع الأمم صفقوا بأيديكم، اهتفوا لله بصوت الابتهاج والشكر'' (مز ٤٧: ١س). وما هو سبب هذا الابتهاج؟ إنه بسبب أن المخلص هنا أنشأ لنا طريقاً للخلاص لم يَسِر فيه الذين في القديم. لأن الناموس الذي وضعه موسى الحكيم كان لتوبيخ الخطية لإدانة التعديات، ولكنه لم يبرر مطلقاً أي أحد. لأن بولس الحكيم يكتب ويقول '' مَن خالف ناموس موسى فعلى فم شاهدين أو ثلاث شهود يموت بدون رأفة'' (عب ١٠: ٢٨). أما ربنا يسوع المسيح فإذ قد أبطل لعنة الناموس وجعل الوصية التي تدين بلا قوة وغير فعَّالة، ''صار رئيس كهنتنا الرحيم'' بحسب كلمات بولس المبارك (عب ٢: ١٧)، لأنه يبرِّر الخطاة بالإيمان، ويطلق المأسورين بالخطية أحراراً''. تفسير إنجيل لوقا، المرجع السابق، عظة ٤٠، ص ١٨١.

السماوية، ألَّا يتوقفوا عند الناموس، وألَّا يظلوا متمسكين بوصايا موسى، مصرين على الحياة داخل الظلال والأمثلة، لكن بالأحرى عليهم أن يرتحلوا متقدمين إلى المعمودية المقدسة[1]. هذا ما فعله القدماء بأمر من الله سائرين بين الأمواج، وكما يقول بولس: "معتمدين في البحر". إذ عندئذٍ فقط يكون لديهم مُعينٌ، يسوع المسيح الوسيط بين الله والناس[2]. إذ أن الكلمة الذي هو الله، قد صار إنساناً. ومن وجهة نظر أخرى، سيتخذونه وسيطاً بحسب التدبير، لأنه دائماً ما يفصل بين هؤلاء الذين يتقونه، وأولئك الذين يطاردونهم، ولا يتركهم يتشابكون، إذ يعيق هجمات الأعداء حيث يقول: "فَانْتَقَلَ مَلاَكُ اللهِ السَّائِرُ أَمَامَ عَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ وَسَارَ وَرَاءَهُمْ وَانْتَقَلَ عَمُودُ السَّحَابِ مِنْ أَمَامِهِمْ وَوَقَفَ وَرَاءَهُمْ. فَدَخَلَ بَيْنَ عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ وَعَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ وَصَارَ السَّحَابُ وَالظَّلاَمُ وَأَضَاءَ اللَّيْلَ. فَلَمْ يَقْتَرِبْ هَذَا إِلَى ذَاكَ كُلَّ اللَّيْلِ" (خر ١٤: ١٩ – ٢٠). قاصداً بالملاك وبعمود السحاب أيضاً المسيح؛ لأن اسمه "ملاك المشورة العظمى" (إش ٩:٦).

بلاديوس: أي عندما يتوسط المسيح، لن نصطدم بهؤلاء الذين يريدون أن يحاربوننا؟

كيرلس: هكذا يكون الأمر وقد استوعبته أنت بشكل سليم. أمَّا ما هو غير ذلك، فإن وجهة نظري لن تنحرف عن هدفنا. فلو فضَّلنا الآن أن نتخلص من محبة اللذة والحياة العالمية[3]، وأن نهتم بأن نتبع نواميس الله بأكثر

١ - إن سُكنى الله فينا يتم بالروح القدس بواسطة طقس المعمودية، إذ يقول القديس أثناسيوس: "إن التكميل (المعمودية) الذي تحسبون أنكم تمارسونه ليس انضماماً تاماً إلى اللاهوت لأنكم تمزجون المخلوق باللاهوت وتضعون الخليقة مع الله الذي خلقها بكلمته الذاتي. فمن هو الذي يوحّدكم بالله إن لم يكن لكم روح الله بل الروح الذي من الخليقة؟ لأنه إن كان الروح -كما تقولون- هو ملاك ومخلوق وفي نفس الوقت يحسب مع الثالوث، إذاً يكون ضرورياً، ليس لواحد فقط من الملائكة الذين خلقوا، أن يحسبوا مع اللاهوت، وبذلك لا يعود هناك فيما بعد ثالوث بل عدد لا يحصى في اللاهوت. وهكذا فإن طقس الانضمام (المعمودية) الذي نكرر أنه يظهر أن طقسكم، هو منقسم بين هنا وهناك وصار غير أكيد بسبب تقلبه". الرسالة الأولى إلى سرابيون عن الروح القدس: ٢٩.

٢- يبرز القديس كيرلس هذه الحقيقة في سياق مقارنته بين وساطة موسى ووساطة المسيح، إذ يقول: "وساطة موسى كانت وساطة خادم، أما وساطة المسيح فهي حرّة وأكثر سرّية، فهو يمسك بطبيعة الأشياء التي يتوسط بينها، ويجمع بين الاثنين، أعني البشرّية التي هو وسيط لها والله الآب. لأنه هو الله بالطبيعة، الابن الوحيد الجنس من الله، وهو لا ينفصل عن جوهر ذلك، الذي ولده، وهو كائن فيه، كما يُدرك أيضاً أنه من نفس الجوهر. لكنه كان إنساناً أيضاً، لأنه صار جسداً، جاعلاً نفسه مثلنا، حتى أن ما هو بالطبيعة منفصل تماماً عن الله، يمكن أن يرتبط بواسطته بالله". شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق، المجلد الأول، الإصحاح الخامس ص ٣١٢.

٣- يمدح القديس كيرلس يعقوب الذي لم يهتم مثل عيسو باللذة الأرضية، إذ يقول: "عيسو فضّل أن يقضى وقته فى الحقول وفى الصيد، بينما يعقوب كان من أهل المدينة أى كان اجتماعياً ورجلاً طيباً لا يعرف المكر ويفضّل العيش فى المنزل. وكان عيسو مستبيحاً من جهة الشهوات الجسدية. إذ ترك ما يخصه من امتياز حسن، وأخذ يلهث وراء الرخيص، واشترى ما هو زهيد ورخيص مضحياً بالأشياء الضرورية والتى كان فى أمس الحاجة إليها. بالعكس، كان

غيرة ممكنة، دون أن نكون بعد أغنياء بالنعمة الإلهية، بواسطة المعمودية المقدسة، فلن نكون أقوياء ولائقين عند الضرورة لتحمُّل الآلام والصبر عليها من أجل الفضيلة، ولن نستطيع أن نتحمل محنة الحروب. ومثل النباتات التي بمجرد أن تبدأ في الإنبات، لا يمكنها أن تحتمل ضرر التعرض لأشعة الشمس القوية، ولا أن تعاني من أي تلف صغير حتى لو زعزعتها هبوب رياح شديدة، إذ هي في حاجة شديدة على أية حال لمعونة فنية ورباط يربطها بعضها ببعض. بنفس الطريقة على ما أعتقد، فإن نفس الإنسان المتحررة حديثاً من عبودية الشهوات والتى تسير نحو الأفضل وترغب في اتباع الناموس الإلهى، تكون غضَّةً وطرية، ومن السهولة أن تنثني وتتقهقر للخلف، وهى تشاهد أمامها المشقة ومتاعب الجهاد، وهكذا تعتبر أنه من الأفضل أن ترجع إلى ما كانت عليه. هكذا الإسرائيليون عندما رأوا عُدة المصريين، ارتعبوا فقط من منظر الحرب، وتشاحنوا مع موسى كليم الله وقالوا له: ”أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْنَاكَ بِهِ فِي مِصْرَ قَائِلِينَ: كُفَّ عَنَّا فَنَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ أَنْ نَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ“ (خر ١٤:١٢). إذن فنفس الإنسان ضعيفة في الجهاد ومهيئة تماماً لقبول العبودية ومتخوفة جداً من المعمودية المقدسة، لكن لو أُحيطت بالقوة السماوية ونالت النعمة[1]، فسوف تواجه أولئك الذين يريدون أن يلاحقونها بقوة، وسوف تحارِب ببسالة، وبسهولة كبيرة يمكنها أن تصد ثورات الخصوم، وذلك بالمسيح قائدها والمحارِب عنها. لأنه ليس ممكناً أن ننتصر بطريقة أخرى، سوى هذه الطريقة.

بلاديوس: إذن فَكِر بأية أمثلة تعرض لنا هذا، لأن هذا الأمر لا يغيب عنك بالطبع.

يعقوب يهوى الأمور الحسنة ولا يعرف الاكتفاء منها، إذ طلب هذه الأمور بكافة الطرق، تلك الأمور التى ستمجده فيما بعد. هكذا اشترى البكورية التى احتقرها عيسو الذى فضّل أن يُشبع بطنه غير مبالٍ تماماً بامتيازاته، لذلك دُعىّ ”أدوم“ أى ”الأرضى“. لأنه حقاً كان مثالاً صارخاً للتصرف الوضيع باحتقاره المجد الذى كان له مفضلاً بالأحرى اللذة الوقتية والسعادة العابرة متخذاً قراراً خطيراً (أى بيع البكورية)، بالرغم من أنه أصابه ضرر كبير من جراء هذا القرار. لذلك كان بولس على صواب عندما اعتبر الزانى الدنس الذى اختار حياة الفحشاء مثالاً لأولئك الذين انزلقوا وانحدروا إلى مثل هذا الفجور الذى كان يحياه عيسو من جهة الشهوات الجسدية والأرضية، قائلاً: ”لئلا يكون أحد زانياً أو مستبيحاً كعيسو الذى لأجل أكلة واحدة باع بكوريته“ (عب١٢:١٦، تك٢٥:٣٣) ” جيلافيرا على سفر التكوين، المقالة الثالثة، الكتاب الشهري، سبتمبر ٢٠٠٥.

١- سبق للقديس أثناسيوس الرسولي شرح طريقة ثبات العطايا الإلهية المعطاة للطبيعة البشرية مؤكداً على أنه كان لابد أن يأخذها الكلمة بكونه إنساناً لكي تُعطى للبشرية بدون أن تُنزع منها، هكذا أكد القديس أثناسيوس على هذه الحقيقة، قائلاً :”لكي تبقى النعمة غير متغيرة وغير قابلة للضياع وتظل محفوظة للبشر بشكل أكيد، فهو يمتلك العطية لنفسه ولهذا يقول إنه أخذ سلطاناً كإنسان، وهو السلطان الذي كان له دائماً كإله“. ضد الأريوسيين، المقالة الثالثة، ص ٧٥.



يشوع وعماليق: الانتصار فقط بالمسيح

كيرلس: نستطيع بسهولة أن نظهر هذا بأمثلةٍ كثيرة، وأولاً من الأمثلة الغريبة التي كتبها موسى نفسه. أولئك الذين ارتعبوا بشدة فقط من منظر المصريين، عندما عبروا البحر الأحمر وحققوا مثال المعمودية المقدسة[١]، (لأنه وكما يكتب بولس الحكيم "اعتمدوا لموسى في السحاب وفي البحر")، برهنوا على أنهم محاربين ومرهِبين أكثر في مواجهة الأعداء، بمعونة المسيح. فقد كُتب الآتي: "وَأَتَى عَمَالِيقُ وَحَارَبَ إِسْرَائِيلَ فِي رَفِيدِيمَ. فَقَالَ مُوسَى لِيَشُوعَ: «انْتَخِبْ لَنَا رِجَالاً وَاخْرُجْ حَارِبْ عَمَالِيقَ. وَغَداً أَقِفُ أَنَا عَلَى رَأْسِ التَّلَّةِ وَعَصَا اللهِ فِي يَدِي». فَفَعَلَ يَشُوعُ كَمَا قَالَ لَهُ مُوسَى لِيُحَارِبَ عَمَالِيقَ. وَأَمَّا مُوسَى وَهَارُونُ وَحُورُ فَصَعِدُوا عَلَى رَأْسِ التَّلَّةِ. وَكَانَ إِذَا رَفَعَ مُوسَى يَدَهُ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَغْلِبُ وَإِذَا خَفَضَ يَدَهُ أَنَّ عَمَالِيقَ يَغْلِبُ. فَلَمَّا صَارَتْ يَدَا مُوسَى ثَقِيلَتَيْنِ أَخَذَا حَجَراً وَوَضَعَاهُ تَحْتَهُ فَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَدَعَمَ هَارُونُ وَحُورُ يَدَيْهِ الْوَاحِدُ مِنْ هُنَا وَالآخَرُ مِنْ هُنَاكَ. فَكَانَتْ يَدَاهُ ثَابِتَتَيْنِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ. فَهَزَمَ يَشُوعُ عَمَالِيقَ وَقَوْمَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اكْتُبْ هَذَا تِذْكَاراً فِي الْكِتَابِ وَضَعْهُ فِي مَسَامِعِ يَشُوعَ. فَإِنِّي سَوْفَ أَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ». فَبَنَى مُوسَى مَذْبَحاً وَدَعَا اسْمَهُ «يَهْوَهْ نِسِّي». وَقَالَ: «إِنَّ الْيَدَ عَلَى كُرْسِيِّ الرَّبِّ. لِلرَّبِّ حَرْبٌ مَعَ عَمَالِيقَ مِنْ دَوْرٍ إِلَى دَوْرٍ" (خر ١٧: ٨ – ١٦).

بلاديوس: وأيُ معنى يمكن أن يكون لكل هذا الذي كُتب؟ إني لا أفهم كثيراً.

كيرلس: لا توجد أية صعوبة، على ما أعتقد، لكل مَن يريد أن يفحص هذا الأمر بانتباه. لأن أحداً لا يفترض أن يشوع عندما قبل الأمر من موسى، أن هذا لا يعني بالتأكيد إلَّا أن الكلمة[٢] الذي هو إلهٌ بالحقيقة قد خضع

١- العهد الجديد يؤكد على ان عبور البحر الأحمر يتحقق عن طريق العماد أى بعبور ماء جرن المعمودية. وغير ذلك في النص المعروف في رسالة كورنثوس الأولى لبولس الرسول من (١٠: ١ – ٦) " فإنى لست أريد أيها الاخوة أن تجهلوا أن أباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر. وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفى البحر". هنا نجد العلاقة الشديدة والواضحة بين عبور البحر الأحمر والمعمودية، فالخروج من مصر هو المعمودية، التي هي خروج من عبودية الخطية، إلى الدخول في الحياة الجديدة. القديس باسيليوس يؤكد على أن كل ما يخص خروج إسرائيل يذكر لاعلان خلاص هؤلاء الذين يعتمدون: "البحر هو مثال للمعمودية والتي تحرر من فرعون ... البحر قتل العدو هكذا في المعمودية أعدائنا (الشيطان وأعوانه) يدمرون بمعونة الله. الشعب خرج من البحر مخلصا بلا ضرر ونحن نصعد من الماء كالأحياء من الأموات" Περί Άγ. Πνεύματος, 14.

2 يشوع بن نون هو في الحقيقة، مثال للمسيح وهذه الرمزية لا نجدها في العهد القديم ولا عند اليهودية وهذا يرجع إلى أن مثل هذا النموذج يقلل من شأن موسى عند اليهود. ولكن هذا النموذج نجده في العهد الجديد، حيث يشوع بن نون دخل أرض الموعد كمثال للمسيح، لذلك عند القديس كيرلس الاورشليمي نجد أن "يشوع بن نون كان في أشياء كثيرة مثالاً للمسيح. من الأردن بدأ يمارس سلطته على الشعب. والمسيح أيضا بدأ حياته العلانية بعد عماده في الأردن. بن نون حدد

للناموس، من جهة أنه أخذ شكل الإنسان، وأنه خضع بطرق مختلفة للوصايا التي أُعطيت بواسطة موسى، مرةً محتملاً ختان الجسد، ومرةً أخرى دافعاً الدرهمين للضرائب وأُحصيَ كواحد من ضمن المحسوبين في الناموس، ولذلك قال بوضوح: ''«لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ'' (مت ١٧:٥). لكن على الرغم من أنه خضع للناموس بسبب طبيعته الإنسانية، إلَّا إنه هو الإله والمخلص والفادى لكل الشعب. حيث إنه اختار من كل شعب الإسرائيليين، ومن كل جنس، رجالاً أقوياء، وأقصد الرسل القديسين وكل الذين دُعُوا بالإيمان، الذين ينطبق عليهم القول ''وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاء'' (١ بط ٢:٩). وقد وقف معهم رب الجميع وغالب الكل (المسيح)، أمام رئيس هذا العالم عندما قال: ''اَلآنَ دَيْنُونَةُ هَذَا الْعَالَمِ. اَلآنَ يُطْرَحُ رَئِيسُ هَذَا الْعَالَمِ خَارِجاً'' (يو ١٢: ٣١). ويُتوج العظيم يوحنا بصوتٍ مبهجٍ كل مَن هم معه (مع المسيح) وبواسطته خرجوا منتصرين. لأنه يقول: ''كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ لأَنَّكُمْ أَقْوِيَاءُ، وَكَلِمَةُ اللهِ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَقَدْ غَلَبْتُمُ الشِّرِّيرَ'' (١ يو ٢:١٤). أليس ما أقوله حقيقة؟

بلاديوس: بالتأكيد.

كيرلس: قال موسى إن الاصطفاف يجب أن يصير في اليوم التالى. لأن منجزات المسيح لم تُستَعرض في عصره الخاص به (عصر موسى)، لكنها صارت على الأغلب في (العصر) اللاحق، أي بعد موسى والناموس. بعد ذلك يصعد موسى على الجبل وعلى قمة تل ما، لكي يستطيع أن يتابع المعركة وانتصارات يشوع فيها. لأن تعليم الناموس[1] يصعد تدريجياً لكي نستطيع أن نلاحظ من بُعد خطط المسيح القيادية. فعندما رفع موسى يديه انتصر الإسرائيليون، بينما عندما أنزلها صاروا ضعفاء وانتصر عليهم عماليق.

إثنا عشر إنسان لكي يوزع الإرث. والمسيح أرسل إلى كل العالم إثنا عشر رسولا كمبشرين للحق. ذاك الذي هو مثال أنقذ راحاب الزانية لانها آمنت. وذاك الذي هو الحقيقي (المسيح) قال ''الزناة والعشارون سيسبقونكم إلى ملكوت السموات'' أسوار أريحا سقطت بصوت التهليل في زمن المثال (يشوع)، وأيضاً بكلام المسيح ''سوف لا يبقى حجر الا وينقض'' وسقط هيكل أورشليم أمامنا ''.PG. 33, 676D - 677A

١ - لقد وضع القديس كيرلس أساس التفسير وهو التفتيش على ''المعنى الروحي'' وراء الحرف. والقديس كيرلس مُحِّق في تطبيقه هذه الطريقة في التفسير للعهد القديم لأن الناموس يعطى فقط صور ورموز للحقيقة، هو الظلال، لذلك قد أُلغى، ولكن القديس كيرلس يشدّد على أن الإلغاء تم بحسب الحرف وليس بحسب محتواه الروحي وأهميته الروحية، ومن هنا نرى أن الناموس - كما يعلن القديس كيرلس - حفظ فاعليته حتى اليوم ولكن بحسب مفهومه الروحي.



ذلك لأنه صار حصناً منيعاً من الشيطان نفسه، ومن أي عدوٍ كان، أراد ببغضه أن يفترسه، ليس بالطبع كل الشعب الإسرائيلي، لكن كل مَن فضَّلوا أن يتبعوا المسيح بأن يحملوا عاره، أي الصليب المكرم. لأن الأيدي المرفوعة هكذا في الهواء، رَسَمَت بوضوح شكل الصليب. لكن كل الذين لم يقبلوا الصليب صاروا صيداً سهلاً لهجوم الأعداء. إذ لم يأخذوا المعين معهم. فعندما يرفع موسى يديه لأجلنا مُظهراً شكل الصليب، يسقط عماليق منهك القوى، هذا يشير لنا على أية حال، على هؤلاء الذين يغلبون الشيطان ويتفوقون أمام أعدائهم بالصليب المكرم. وعندما تراه يُنزل الأيدي، فينتصر عماليق، فهذا يشير إلى هؤلاء الذين خضعوا للشيطان وقد هُزموا، لأنهم لم يروا أن قبول المسيح أمرٌ ضروري، والذين إليهم توجَّه المسيحُ بالقول: ''لأَنَّكُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي أَنَا هُوَ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ'' (يو ٨:٢٤). وأمَّا أن تثقُل يدي موسى ويصعب رفعهما ويشتد عبء مَدّهما، حتى تُظهر الشكل المكرم للصليب، فيبدو لي أن ذاك يُعلن بطريقة خفية، أن الإسرائيليين لم يكونوا مهيئين تماماً لقبول الإيمان؛ لذا تقدموا بتردد وصعوبة لحمل عار المسيح. ولهذا، بالصواب دعا بولس العظيم الصليب عثرة لليهود لأنه مكتوب: ''فَلَمَّا صَارَتْ يَدَا مُوسَى ثَقِيلَتَيْنِ أَخَذَا حَجَراً وَوَضَعَاهُ تَحْتَهُ فَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَدَعَمَ هَارُونُ وَحُورُ يَدَيْهِ الْوَاحِدُ مِنْ هُنَا وَالآخَرُ مِنْ هُنَاكَ. فَكَانَتْ يَدَاهُ ثَابِتَتَيْنِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ'' (خر ١٧:١٢). المسيح هو حجرٌ غالٍ، ومختار، وحجرُ زاوية ثمين، يستريح فوقه (لأن الجلوس يشير إلى الراحة) الموقرون والمستنيرون من الإسرائيليين، أولئك الذين غيَّرتهم النعمة لحسابها. ويرفعون الأيدي، أي يقبلون الصليب، والمسيح[1] يعضدهم ويحفظهم لأجل هذا الأمر، كما دلّ على ذلك بـ ''حور وهرون''، إذ يعني في نفس الوقت القاضي (الديان) ورئيس الكهنة. لأن حور كان قاضياً نزيهاً، بينما هرون رئيس كهنة، الذي جمع كل الذين اختارتهم النعمة من الإسرائيليين

١ - يؤكد القديس أغناطيوس الأنطاكي على أن احتمال الصليب والآلام يقربنا من المسيح، إذ يقول: ''أتوسَّل إليكم أن لا تقدِّموا لي شفقة في غير حينها، دعوني أصير مأكلاً للوحوش حتى بواسطتها أصل إلى الله. أنا حنطة الله، دعوني أطحن بأضراس الوحوش حتى أصير خبزاً نقياً للمسيح .. حينئذ أكون تلميذاً حقيقياً ليسوع المسيح! تضرَّعوا إلى المسيح من أجلي كي ما أصير بوسيلة هذه الوحوش ذبيحة لله! أنا أعلم ما هو خير لي، الآن أبدأ أن أكون تلميذاً. ليت لا يوجد شيء من الأمور المنظورة أو من غير المنظورة يمنعني من أن أصل إلى يسوع المسيح. لتأتِ عليَّ النار والصليب وزمرة من الوحوش، البتر والتمزيق وتحطيم العظام وتقطيع الأعضاء، سحق الجسد كله وأشر تعاذيب الشيطان في سبيل فقط أن أصل إلى يسوع المسيح!''. الرسالة إلى الرومانيين ٤، ٥

لحسابها ولخلاصهم بالإيمان. أعتقد أن هذا ما يعلنه ذاك الذي قيل نبوياً بإشعياء: ''لَوْلاَ أَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ أَبْقَى لَنَا بَقِيَّةً صَغِيرَةً لَصِرْنَا مِثْلَ سَدُومَ وَشَابَهْنَا عَمُورَةَ'' (إش ١: ٩). وعندما سقط ذاك الذي قاومهم، أي عماليق يقول: ''اكْتُبْ هَذَا تِذْكَاراً فِي الْكِتَابِ وَضَعْهُ فِي مَسَامِعِ يَشُوعَ'' (خر ١٧: ١٤). فقد كان يأمل بكتابة الإنجيليين القديسين أن تستمر ذكرى إنجازات المسيح المعجزية بلا نهاية وبلا حدود. ولكى تصير معروفة أمر أن يضعها في مسامع يشوع. إذ أن كتابات القديسين هي بمثابة إهداء للمسيح، كمدائح تمجيدٍ له. وعندما سقط وانهزم عماليق، بنى موسى مذبحاً للرب وكتب عليه اسم ''ربي هو ملجأي''. وهذا يمكن أن يكون مثالاً للمسيح، لأنه صار ربنا وملجأنا عندما هزم رئيس هذا الدهر وداس سلطان الموت[1]، وقدم نفسه ذبيحة كاملة لأجلنا، لكي يصير رائحة ذكية لله الآب[2]. وبالتالي فإن المذبح هو مثال للمسيح، الذي فيه الاسم ''ربي هو ملجأي'' هو لائق به وحقيقي.

بلاديوس: أوافقك لأنك تفكر بالصواب.

كيرلس: طالما أن المسيح -بيدٍ غير منظورة- حارب عماليق الذهني وهزمه وأخضع الأمم ونهب أمتعتهم (أنظر مت١٢: ٢٩)، كما يقول هو نفسه إنه ربط القوي بالقيود. لأن القطيع الذي كان في وقتٍ ما تحت سلطانه (أي عماليق)، أعني الأمم، وحّدهم برعيته القديمة، ولهذا قال: ''لِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضاً فَتَسْمَعُ صَوْتِي وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ'' (يو ١٠: ١٦). المسيح هو سلامنا[3]، وفقاً للكتب، الذي

١- هذا هو إيمان الكنيسة في أن المسيح مات بالجسد علي الصليب لكي يدوس سلطان الموت، وقد سبق أن عبرّ القديس أثناسيوس عن الإيمان عينه بقوله: ''طالما أن الكلمة كان من غير الممكن أن يموت، إذ أنه غير مائت. فقد أخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت حتي يمكن أن يقدّمه، كجسده الخاص نيابه عن الجميع، حتى إذا ما تألم عن الكل بإتحاده بالجسد فإنه .. يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية (عب٢: ١٤)''. تجسد الكلمة ـ المرجع السابق، فصل ٢٠: ٦، ص٦٣.

٢- وفي موضع آخر حين يتحدث القديس كيرلس عن ذبيحة الحمل حيث مكتوبٌ أيضاً يأخذون الشاة من الخراف أو الماعز، يبرز المسيح بكونه الرائحة الذكية لله أبيه فيقول: '' والخروف بسبب أنه طاهرٌ وبرئٌ يعتبر ذبيحة بحسب الناموس، بينما يُقدَّم الماعز على المذبح لأجل خطايانا. وهذا هو ما سوف تجده بالتأكيد في المسيح، فهو نفسه كان ذبيحة بلا عيب إذ قدَّم ذاته لله أبيه كرائحةٍ ذكيةٍ، وكشاةٍ، ذُبِحَ بسبب خطايانا'' جيلافيرا، المقالة الثانية على سفر الخروج، الكتاب الشهري ديسمبر ٢٠٠٩.

٣- وفي موضع آخر يؤكد القديس كيرلس على حقيقة ان المسيح سلامنا، قائلاً: ''لما رُفعت الراية أي الصليب المكرَّم، وصارت ظاهرة لجميع الأمم والشعوب على وجه الأرض؛ قد تمت مصالحة الذين في السبي (أعني السبي الروحي)، والذين كانوا في الماضي منقسمين، صاروا يسعون معاً نحو وحدانية القلب، ويسرعون نحو وحدة الرأي والإيمان ... إن



جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط، أي العداوة مبطلاً في جسده، ناموس الوصايا والفرائض اليهودي. وخلق الاثنين أي كل الذين كانوا مختونين وكل الذين هم من خارج الناموس في إنسان واحدٍ جديد (أنظر أف ٢: ١٤ – ١٥). انتبه أيضاً لهذا السر العظيم الذي يرتبط بكل ما قلناه من قبل، كما بظلال ورموز. لأنه يقول: "فَسَمِعَ يَثْرُونُ كَاهِنُ مِدْيَانَ حَمُو مُوسَى كُلَّ مَا صَنَعَ اللهُ إِلَى مُوسَى وَإِلَى إِسْرَائِيلَ شَعْبِهِ: أَنَّ الرَّبَّ أَخْرَجَ إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ. فَأَخَذَ يَثْرُونُ حَمُو مُوسَى صَفُّورَةَ امْرَأَةَ مُوسَى بَعْدَ صَرْفِهَا. وَابْنَيْهَا اللَّذَيْنِ اسْمُ أَحَدِهِمَا جَرْشُومُ. وَاسْمُ الآخَرِ أَلِيعَازَرُ (لأَنَّهُ قَالَ: «إِلَهُ أَبِي كَانَ عَوْنِي) ... فَسَمِعَ مُوسَى لِصَوْتِ حَمِيهِ وَفَعَلَ كُلَّ مَا قَالَ" (خر ١٨: ١ – ٢٢).

بلاديوس: تعال إذن ثانيةً وخذ هذه الأمور واحدة واحدة، وأوضحها.

يثرون المدياني، نموذج دعوة الأمم للرجوع إلى الله

كيرلس: ألا توافق على أن المدياني ينتمي إلى جنس آخر ومن الأمم؟ فهو بالتأكيد لم يخرج من صلب إبراهيم. ومن جانب آخر هو كاهن وثني، يؤمن بمحض إرادته بالعبادة السائدة في الأرض في ذاك الوقت كما يقال، فقد سجدوا لله العلي وقبلوه بطريقتهم الخاصة مثل ملكي صادق بالتأكيد، لكنهم قبلوا أيضاً بعض الآلهة الأخرى، محصين معه بعض المخلوقات الكاملة مثل الأرض، والسماء، والشمس، والقمر، والنجوم اللامعة جداً. وهذا الاعتقاد الفاسد والفهم المضل هو خطأٌ قديم ومستمر حتى اليوم. وهكذا يؤمن بعض المخرفين من فينيقية وفلسطين حتى الآن، حيث يدعون من أنفسهم لعبادة آلهة[1]، ويسلكون طريقاً وسطاً للديانة دون أن يتفقوا تماماً

راية المسيح أي الصليب المكرم قد صار دافعاً لجميع الذين على وجه الأرض للسعي معاً نحو وحدة الإيمان، والدخول به (بالصليب) في علاقة قُربى مع الآب القدوس. وهذا يتضح مما كتبه القديس يوحنا الإنجيلي إنه (أي قيافا)، «تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة، وليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد.» (يو ١١: ٥١ و٥٢) فقد صار المسيح سلامنا، ونقض كالمكتوب حائط السياج المتوسط، وأبطل ناموس الوصايا في فرائض، وخلق الشعبين إنساناً واحداً جديداً، وصالحهما كليهما في نفسه مع الله الآب (أف٢: ١٤ - ١٦)" تفسير سفر أشعياء ص ١١: ١٢ - ١٣ PG. 70, 329 - 333.

١- يتحدث القديس كيرلس عن الأمم الذين يعبدون الأوثان في سياق حديثه عن لابان، إذ يقارن بين اليهود والأمم، قائلاً: "فإن كان شعب اليهود الذين أعطى لهم الناموس كمربي قد أدينوا بسبب جهلهم الرهيب، فماذا يمكن أن يقال عن الأمم الذين سقطوا في ظلام ضلال الأوثان الدامس؟ لقد كانوا حقاً منجذبين إلى الأمور الدنيئة ومنشغلين دائماً بشهوات الجسد، والشيء الوحيد الذي اهتموا به كان التفكير الدائم في الأرضيات، ولم يقدروا أن يرفعوا عيون أذهانهم إلى مفاخر المحبة

لا مع عادات اليهود ولا مع اليونانيين، لكنهم مشتتون ومنفصلون عن الاثنين. وعندما اختار الإسرائيليون في وقت ما هذا الاعتقاد، وبخهم إيليا النبي قائلاً: "حَتَّى مَتَى تَعْرُجُونَ بَيْنَ الْفِرْقَتَيْنِ؟ إِنْ كَانَ الرَّبُّ هُوَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوهُ، وَإِنْ كَانَ الْبَعْلُ فَاتَّبِعُوهُ" (١ مل ٢١:١٨). إذن، فيثرون، بشكل طبيعي، اتبع طريقة عبادة مثل هذه، لكن عندما سمع بنفسه كل ما فعله الله لأجل خلاص الإسرائيليين، منبهراً من الروايات الموقرة والمستحقة كل إعجاب، ذهب إلى موسى ومعه كل أهل بيته وعشيرته. وعندما رآه موسى قبله بفرح وأخذه إلى خيمته وحكى له بالتفصيل الإنجازات الباهرة للقوة الإلهية والأعمال المعجزية التي تفوق كل منطق وكل قول. إن ذاك الجمع الذي وُجد في الضلال، أي الأمم هم مدعوون لكي يغيِّروا آرائهم ويرجعوا إلى الله، أولاً عن التعاليم الخاطئة التي ينادون بها عن الله وعن ذواتهم، وبعد ذلك يتقدمون إلى الناموس الإلهي، أي إلى التعليم الذي يقدمه الكتاب المقدس. حتى أن الأمم تسرع إلى الخيمة الأولى، لأن الناموس هو المدخل. ومن ثمَّ فبالروايات (الكتابية) القديمة غيَّروا اعتقادهم وبدأوا في التقدم نحو إدراك أن الله واحد ويجب أن يقدموا له التقدمات. فعندما سمع المدياني رواية موسى، قال: "الآنَ عَلِمْتُ أَنَّ الرَّبَّ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ الآلِهَةِ لأَنَّهُ فِي الشَّيْءِ الَّذِي بَغَوْا بِهِ كَانَ عَلَيْهِمْ. فَأَخَذَ يَثْرُونُ حَمُو مُوسَى مُحْرَقَةً وَذَبَائِحَ لِلَّهِ. وَجَاءَ هَارُونُ وَجَمِيعُ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ لِيَأْكُلُوا طَعَاماً مَعَ حَمِي مُوسَى أَمَامَ اللهِ" (خر ١٨:١١ – ١٢). يتضح لنا من ذلك أن الناموس هو مُعلّمٌ لبدايات أقوال الله[1]، وموسى يقودنا إلى المرحلة الأولى للمعرفة الإلهية الحقيقية، أي بالمقدمة التعليمية عن الكتب المقدسة القديمة.

الإلهية" جيلافيرا على سفر التكوين، المقالة الخامسة، الكتاب الشهري يناير ٢٠٠٦.

١ يوضح لنا القديس كيرلس مهمة الناموس في سياق حديثه عن إبراهيم والوعد بإسحق وأن من خلالهما صُوِّر سر الإيمان، قائلاً: "لا يستطيع أحد أن يتشكك فى أن الناموس أظهر مدى ضعف الخاضعين له وكشف تعدياتهم وخطاياهم. لأنه يقول: "لأَنَّ النَّامُوسَ يُنْشِئُ غَضَباً إِذْ حَيْثُ لَيْسَ نَامُوسٌ لَيْسَ أَيْضاً تَعَدٍّ" (رو٤:١٥). وأيضاً: "أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ بِدُونِ النَّامُوسِ عَائِشاً قَبْلاً. وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَتِ الْوَصِيَّةُ عَاشَتِ الْخَطِيَّةُ فَمُتُّ أَنَا" (رو٧:٩). وأيضاً: "فَإِنَّهُ حَتَّى النَّامُوسِ كَانَتِ الْخَطِيَّةُ فِي الْعَالَمِ. عَلَى أَنَّ الْخَطِيَّةَ لاَ تُحْسَبُ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَامُوسٌ. لأَنَّ النَّامُوسَ يُنْشِئُ غَضَباً إِذْ حَيْثُ لَيْسَ نَامُوسٌ لَيْسَ أَيْضاً تَعَدٍّ" (رو٥:١٣و ٤:١٥). إذن، الناموس يقود تربوياً إلى المسيح كاشفاً ضعف أولئك الذين يخالفونه، ومعلماً الناس أنه من السهل أن يقع الإنسان المريض فى الخطية ويستحيل أن يتجنب الإنسان عقاب الناموس. وهكذا فإنه يكون فى أشد الاحتياج للخلاص بواسطة المسيح الذى يبرر بالإيمان بمقتضى رحمته (انظر تى٣:٥). فمن الواضح ـ بحسب التدبير ـ أن الوصية التى أعطيت من الله بواسطة موسى كانت ضرورية (فى حينها)، إذ كانت إشارة مسبقة للنعمة التى تحققت فعلاً بالمسيح الذى هو أساس النسل الذى أشار إليه وعد الله لإبراهيم، أى هؤلاء الذين آمنوا بالمسيح". جيلافيرا، المقالة الثالثة على سفر التكوين، الكتاب الشهري يونيو ٢٠٠٥



بلاديوس: هذا بالتأكيد

كيرلس: لكن المسيح يقود أولئك الذي تعلموا من الناموس إلى الكمال التام[1]. وعندما أقول الناموس، أعني العهد القديم. وموسى باستخدامه فقط الروايات عن الله في حديثه مع يثرون عَبَّر له عن معتقده حتى اعترف يثرون بصورة صريحة وقاطعة أنه لا يوجد إله آخر غير الواحد الذي هو بالطبيعة إله حقيقي. وهذا هو الإيمان الأول للمبتدئين (للموعوظين)، أي أن يتحرروا من الاعتقاد بتعدد الآلهة وأن يقبلوا الإله الواحد الحقيقي. وهرون أعد مائدةً ليثرون ودعاه ليأكل معهم، إذ يقول: "وَجَاءَ هَارُونُ وَجَمِيعُ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ لِيَأْكُلُوا طَعَاماً مَعَ حَمِي مُوسَى أَمَامَ اللهِ" (خر ١٨: ١٢).

المسيح حقاً هو هرون الحقيقي، الذي جعلنا كاملين بالخبز الحي، وقد صيَّر ليس فقط كل الذين قد جاءوا من الأمم، ولكن أيضاً هؤلاء الذين أُختيروا من دم إسرائيل، فكل هؤلاء صيّرهم كاملين، الذين يُقال لهم الشيوخ. وأمَّا كونهم يجب أن يأكلوا خبزاً أمام الله، فهي إشارة –ليست بقليلة الأهمية– للتقديس، لأن هذا الذي يصير أمام أعين الله، ماذا يمكن أن يكون إن لم يكن هو المائدة السرية والذبيحة والمشاركين فيها؟

بلاديوس: بالصواب تتكلم.

كيرلس: وإذ نصير كاملين بواسطة المسيح نرتفع إلى فهمٍ أعظم من تربية الناموس، ويمكن أن نتحقق من هذا بدون مشقة لو وافقنا على أن موسى وهرون هما صورةٌ نقية لهذا الأمر، لأنه يقول: "أَنَّ مُوسَى جَلَسَ لِيَقْضِيَ لِلشَّعْبِ. فَوَقَفَ الشَّعْبُ عِنْدَ مُوسَى مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ" (خر ١٨: ١٣). ويثرون اقترح عليه رأياً، وموسى قدّره وقبله ورآه أنه حسن جداً. إذ يقول: "فَسَمِعَ مُوسَى لِصَوْتِ حَمِيهِ وَفَعَلَ كُلَّ مَا قَالَ" (خر ١٨: ٢٤). ألا يُعتَبَر ذو تعقُّلٍ حسن من يستطيع –على أية حال من الأحوال– أن يصيغ فكرةً أو رأياً أفضل؟

١- الناموس لا يقود إلى الكمال بل المسيح، وهذا ما أكد عليه القديس كيرلس، قائلاً: "إن الله لا يُقترَب إليه بعبادة الناموس، ويمكن أن نقترب إليه فقط بواسطة المسيح. لأنه لأجل هذا حصلنا على نعمة قدومنا بروح واحد إلى الآب (انظر أف ٢: ١٨)، أي في اليوم الثامن حيث إنقضى بالفعل ناموس السبت وأتينا إلى اليوم الثامن الأشمل والأكمل بالمقارنة بالناموس. لأن الناموس لم يُحضِر أحداً إلى الكمال (انظر عب ٧: ١٩) بل المسيح قادنا إلى الكمال. لأن هؤلاء الذين قد آمنوا هم كاملون في الفضيلة ولديهم معرفة كاملة بنعمة المسيح" جيلافيرا على سفر الخروج، المقالة الثانية، الكتاب الشهري فبراير ٢٠١٠ .

بلاديوس: أتفق معك في هذا.

كيرلس: كما إن كمالنا بواسطة المسيح هو الأعظم ويفوق كثيراً تعاليم الناموس، فالمسيح يرفعنا إلى معرفة فائقة وسامية[١]، وهذا ما يظهره لنا القديس بولس الذي -بسبب تفوق معرفة المسيح، كما قال هو بنفسه- قَبِلَ باستعداد هائل أن يحسب كل مكاسب الناموس خسارةً، معتبراً إياها نفايةً لكي يربح المسيح (في ٣: ٧ - ٨). وأولئك الذين يقدِّرون فقط كل ما سلّمه موسى، لكنهم لا يقبلون الكمال الذي يقدمه المسيح، يقول لهم النبي إرميا: "كَيْفَ تَقُولُونَ: نَحْنُ حُكَمَاءُ وَشَرِيعَةُ الرَّبِّ مَعَنَا؟ حَقّاً إِنَّهُ إِلَى الْكَذِبِ حَوَّلَهَا قَلَمُ الْكَتَبَةِ الْكَاذِبُ. خَزِيَ الْحُكَمَاءُ. ارْتَاعُوا وَأُخِذُوا. هَا قَدْ رَفَضُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ فَأَيَّةُ حِكْمَةٍ لَهُمْ؟" (أر ٨: ٨ - ٩). أمّا نحن الذين لم نرفض الكلمة المخلِّصة "لأنه قد قبلنا بفرح تعليم المسيح"، فقد صار لنا هو نفسه حكمةً مرسلةً من الله[٢]. إذن نحن أكثر غنى من جهة الفهم البشري للناموس ومتعظين من وصايا الناموس ومتغذين بالخبز (كلمة الله) أمام الله، تعلَّمنا أن نقول ونؤمن بالأمور الفُضلى. لأن يثرون يعطي مشورةً وموسى يقبلها حسناً. إذن يمكن أن يعتبر يثرون ممثلاً عن الأمم، وموسى عن المؤمنين بالناموس.

بلاديوس: ما قلته صحيح.

كيرلس: إذن، فالكمال بواسطة المسيح[٣]، وقوة أسراره تجعلنا حكماء وأقوى من

١- الطريق إلى المعرفة الفائقة يحتاج إلى تحمل المشقة النافعة، إذ يقول القديس كيرلس: "كوننا ندرس سر المسيح ونحبه فهذا يضمن لنا الحياة الأبدية وكل طريق البهجة والسعادة. فلنتقدم حسناً متحملين المشقة النافعة. وستظهر لنا جيداً -أكثر من غيرنا- تلك الأمور التى بها نستطيع أن نشرح سر المسيح، وسوف يعيننا فى نفس الوقت، حتى نحاول شرح مفاهيم كل عنصر على حدة. إن هذه المفاهيم تعتبر دقيقة، والرؤية الحقيقية تستطيع أن تصير دافعاً جيداً لهؤلاء الذين يتعلمون بسهولة، وتكون بمثابة الدرجات التى يصعدون بها نحو المعرفة الفائقة" جيلافيرا على سفر التكوين، المقالة الأولى، الكتاب الشهري، نوفمبر ٢٠٠٣.

٢- شرح أيضاً القديس كيرلس في موضع آخر مفهوم أن يكون الابن هو حكمة وقوة الآب في إطار إيماننا بالثالوث القدوس بطريقة واضحة، إذ يقول: "الابن هو الكلمة والحكمة، لأنه هو كذلك بدون وسيط بينه وبين الآب، فهو من العقل وفي العقل، وبسبب قبول كل أقنوم للآخر وحضوره في الآخر، وبسبب وحدة الجوهر، يمكن أن نرى العقل في الكلمة والحكمة، وكذلك الكلمة في العقل، دون أن توجد قوّة متوسطة قادرة على أن تفصل بين الاثنين. ويدعى الابن قوّة الآب، لأنه القوّة الكائنة في الآب، بدون انفصال أو وساطة، حتى أننا لا نستطيع أن نفصل بين القوّة والآب مثلما لا نستطيع أن نفصل بين الإنسان وقوّته إلا إذا دمرّنا أحدهما. ورسم الجوهر أيضاً خاص بالابن، لأنه مثل الآب تماماً، لا يمكن أن ينفصل عن الجوهر الذي يعلنه أي الذي صار رسمه. كل هذا يقودنا إلى الإيمان أن كل أقنوم في الآخر بشكل طبيعي، يعتمد على وحدة الجوهر، فعندما يعمل الآب، يعمل الابن، لأن الابن هو قوّة أقنوم الآب، الخاصة به وبجوهره. وأيضاً عندما يعمل الابن، يعمل الآب أيضاً، فالآب أصل الكلمة، الخالق، وطبيعياً هو كائن في الابن مثل النار في الحرارة الصادرة منها". شرح إنجيل يوحنا، المجلد الأول، الإصحاح الأول ص ٨٠.

٣- يؤكد لنا القديس أثناسيوس بأن كمالنا هو في حلول كلمة الله فينا، إذ يكرر بشرحٍ واضح ما قاله المسيح في يو١٧: ٤:

الموت، ونسحق عماليق العقلي، أي الشيطان[1]. وهكذا يكون صحيحاً ما قاله المزمور: "بالله تصنع بأس وهو يدوس أعدائنا" (مز ٦٠: ١٢). أمَّا بالنسبة لنا نحن الذين حصُلنا على بهاء الإيمان، نادى أيضاً إليه: "لأنك أنت فخر قوتهم وبرضاك ينتصب قرننا. لأن الرب مجننا وقدوس إسرائيل" (مز ٨٩: ١٧ - ١٨س). لأننا نحن الذين خلُصنا، نفتخر بقوة المسيح[2]، ولدينا هذا "كَأْسٍ للمسرة" (مز ٥: ١٢س) بحسب الكتاب.

بيدر أرونة اليبوسي مثالٌ لكنيسة العهد الجديد

هناك أيضاً مثال وصورة نقية يمكن أيضاً أن تتحقق فينا، وهو ما كُتب في نهاية الكتاب الثاني للملوك (صموئيل الثاني) وهو كالآتي: "وَلَمَّا قَامَ دَاوُدُ صَبَاحاً كَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى جَادٍ النَّبِيِّ رَائِي دَاوُدَ: «اذْهَبْ وَقُلْ لِدَاوُدَ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: ثَلاَثَةً أَنَا عَارِضٌ عَلَيْكَ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ وَاحِداً مِنْهَا فَأَفْعَلَهُ بِكَ». فَأَتَى جَادُ إِلَى دَاوُدَ وَقَالَ لَهُ: «أَتَأْتِي عَلَيْكَ سَبْعُ سِنِي جُوعٍ فِي أَرْضِكَ، أَمْ تَهْرُبُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ أَمَامَ أَعْدَائِكَ وَهُمْ يَتْبَعُونَكَ، أَمْ يَكُونُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَبَأٌ فِي أَرْضِكَ؟ فَالآنَ اعْرِفْ وَانْظُرْ مَاذَا أَرُدُّ جَوَاباً عَلَى مُرْسِلِي». فَقَالَ دَاوُدُ لِجَادٍ: «قَدْ ضَاقَ بِيَ الأَمْرُ جِدّاً. فَلْنَسْقُطْ فِي يَدِ الرَّبِّ لأَنَّ مَرَاحِمَهُ

"أيها الآب، كما أعطيتني أن ألبس هذا الجسد، أعطِهم روحك القدوس حتى يصيروا هم أيضاً واحداً فيه، فيكونون مُكمَّلين فيَّ. لأن كمالهم يُظهر حلول كلمتك فيهم، والعالم حينما يراهم كاملين ولابسين الإله، سيؤمن بالتأكيد أنك أنت أرسلتني وأني حللتُ فيهم. لأنه من أين جاء كمال هؤلاء؟ إلا لأني أنا كلمتك الخاص قد أخذتُ جسد هؤلاء وصرتُ إنساناً، وأكملتُ العمل الذي أعطيتني أيها الآب (يو ١٧: ٤)! فقد أكمل العمل، لأن البشر بعدما يُفتدون من الخطية لا يعودون بعد أمواتاً، ولكنهم يتألهون أيضاً، فيصير لهم - حينما ينظرون إلينا - رباط المحبة بين بعضهم البعض":

Against the Arians, Discourse III, 23 NPNF, 2nd Ser., Vol. IV, p. 406.

١- يؤكد القديس كيرلس في موضع آخر على أننا في المسيح وبه ننتصر كما إنتصر المسيح على الشيطان وسحقه "لقد أخذ الرب شكل العبد وصار في شِبه الناس، لكي بكونه كواحد منا يستطيع أن يقف كمنتقم لنا ضد الثعبان عدوّنا القاتل الذي جلب علينا الخطية ... فقد جاء لكي يجعلنا به وفيه ننال النصرة في نفس المعركة التي فيها انهزمنا وسقطنا قديماً في آدم. فتأمَّل معي كيف أن طبيعة الإنسان في المسيح تنفض عنها وصمة الشرَّه التي أصابتها في آدم. فإننا بالأكل انهزمنا في آدم، وبالإمساك (عن الأكل) انتصرنا في المسيح ... نعم، لقد انتصرنا في المسيح، والذي ساد قديماً على آدم قد مضى خائباً، لندوسه تحت أقدامنا، لأن المسيح لما انتصر عليه، كان بذلك يُعطينا القدرة على أن ننتصر عليه؛ ولذلك قال: «ها أنا قد أعطيتكم أن تدوسوا على الحيات والعقارب وعلى كل قوات العدو» (لو ١٠: ١٩)"

On Luke 4:1 - 14; Payne Smith، I، 49، 54، 56.

٢- يؤكد القديس أثناسيوس على أن قوة المسيح تنتقل إلينا، إذ يقول: "حيث إن الإنسان الأول آدم قد تغيَّر (إلى الفساد) وبالخطية دخل الموت إلى العالم، لذلك كان يليق بآدم الثاني أن يكون عديم التغيير، حتى إذا ما هجمت الحية مرة أخرى تكون غوايتها في منتهى الضعف، بل وتصير الحية ضعيفة أيضاً في هجومها على الجميع بسبب أن الرب غير قابل للتغيير أو التحوُّل. فكما أنه لما أخطأ آدم امتدت الخطية إلى جميع الناس هكذا أيضاً لما صار الرب إنساناً ورفس الحية، فإن مثل هذه القوة تنتقل منه إلى جميع الناس، حتى يستطيع كل منَّا أن يقول (عن الشيطان): «لأننا لا نجهل أفكاره» (٢كو ٢: ١١)" ضد الآريوسيين ١: ٥١.



كَثِيرَةٌ وَلاَ أَسْقُطْ فِي يَدِ إِنْسَانٍ». فَجَعَلَ الرَّبُّ وَبَأً فِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمِيعَادِ، فَمَاتَ مِنَ الشَّعْبِ مِنْ دَانٍ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ سَبْعُونَ أَلْفَ رَجُلٍ. وَبَسَطَ الْمَلاَكُ يَدَهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِيُهْلِكَهَا، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ الشَّعْبَ: «كَفَى! الآنَ رُدَّ يَدَكَ». وَكَانَ مَلاَكُ الرَّبِّ عِنْدَ بَيْدَرِ أَرُونَةَ الْيَبُوسِيِّ. فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّبِّ عِنْدَمَا رَأَى الْمَلاَكَ الضَّارِبَ الشَّعْبَ: «هَا أَنَا أَخْطَأْتُ وَأَنَا أَذْنَبْتُ، وَأَمَّا هؤُلاَءِ الْخِرَافُ فَمَاذَا فَعَلُوا؟ فَلْتَكُنْ يَدُكَ عَلَيَّ وَعَلَى بَيْتِ أَبِي». فَجَاءَ جَادُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ إِلَى دَاوُدَ وَقَالَ لَهُ: «اصْعَدْ وَأَقِمْ لِلرَّبِّ مَذْبَحاًفِي بَيْدَرِ أَرُونَةَ الْيَبُوسِيِّ». فَصَعِدَ دَاوُدُ حَسَبَ كَلاَمِ جَادَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ. فَتَطَلَّعَ أَرُونَةُ وَرَأَى الْمَلِكَ وَعَبِيدَهُ يُقْبِلُونَ إِلَيْهِ، فَخَرَجَ أَرُونَةُ وَسَجَدَ لِلْمَلِكِ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ. وَقَالَ أَرُونَةُ: «لِمَاذَا جَاءَ سَيِّدِي الْمَلِكُ إِلَى عَبْدِهِ؟» فَقَالَ دَاوُدُ: «لأَشْتَرِيَ مِنْكَ الْبَيْدَرَ لأَبْنِيَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ فَتَكُفَّ الضَّرْبَةُ عَنِ الشَّعْبِ». فَقَالَ أَرُونَةُ لِدَاوُدَ: «فَلْيَأْخُذْهُ سَيِّدِي الْمَلِكُ وَيُصْعِدْ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْهِ. انْظُرْ. الْبَقَرُ لِلْمُحْرَقَةِ، وَالنَّوَارِجُ وَأَدَوَاتُ الْبَقَرِ حَطَباً». اَلْكُلُّ دَفَعَهُ أَرُونَةُ الْمَالِكُ إِلَى الْمَلِكِ. وَقَالَ أَرُونَةُ لِلْمَلِكِ: «الرَّبُّ إِلهُكَ يَرْضَى عَنْكَ». فَقَالَ الْمَلِكُ لأَرُونَةَ: «لاَ. بَلْ أَشْتَرِي مِنْكَ بِثَمَنٍ وَلاَ أُصْعِدُ لِلرَّبِّ إِلهِي مُحْرَقَاتٍ مَجَّانِيَّةً». فَاشْتَرَى دَاوُدُ الْبَيْدَرَ وَالْبَقَرَ بِخَمْسِينَ شَاقِلاًمِنَ الْفِضَّةِ. وَبَنَى دَاوُدُ هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَاسْتَجَابَ الرَّبُّ مِنْ أَجْلِ الأَرْضِ، فَكَفَّتِ الضَّرْبَةُ عَنْ إِسْرَائِيلَ" (٢ صم ٢٤: ١١ – ٢٥).

بلاديوس: أيُ معنى يمكن أن يكون لهذه الأمور لأنه من الصعب جداً أن يُفهم هذا الكلام.

كيرلس: اعترف أنه صعب الفهم، وحقاً هو صعب الإدراك. ولكن سوف أعرض المعنى الخارجي لهذا الجزء الذي قرأناه، ملخّصين إياه في كلمات قليلة جداً ومتعمقين فيه ذهنياً. انتبه إذن يا بلاديوس، (لأننا نفهم) سر المسيح وطريقة تدبير الله لأجلنا كما في مرآةٍ[1] وبتصورات ضعيفة.

بلاديوس: هذا ما سوف تفعله أنت بطريقةٍ حسنةٍ جداً، فأنت يمكنك أن تفهم هذا الأمر بمعونة الله.

١- يوضح لنا أيضاً القديس كيرلس هذه الحقيقة في موضع آخر، إذ يقول: " إننا نرى الأسرار الإلهيه الآن رؤية غير واضحة أى كما فى مرآة وفى لغز (انظر ١كو١٣: ١٢). أى بسبب أننا لا نستطيع أن نجعل هذه الأحداث تعبر تعبيراً كاملاً عن الطبيعة الإلهية غير الموصوفة. فإننا نجمع آلاف الأمثلة حتى يمكننا باعتدال أن نقول شيئاً الطبيعة الإلهية. وسر المسيح جدير بأن نتحدث عنه باستفاضة، إذ أن سبب تأنسه يفوق فهم أى شخص. بمعنى أن سبب التدبير هو عميق جداً، إذ أن الوحيد الجنس هو الله ومولود من الله بحسب الطبيعة وصار انسانا وحل بيننا (يو١: ١٤) وصار رسولنا ورئيس كهنتنا وحررنا من ثقل لسان الناموس " جيلافيرا على سفر التكوين، الكتاب الشهري سبتمبر ٢٠٠٤.

كيرلس: اسمع إذن. لأني أتقدم بالفعل في هذا الذي يجب أن أقوله. لقد أهلك الموت شعب الرب من الغضب الإلهي وحتى ساعة الغذاء سيطر المهلك دون أن يعوقه أحد. وعندما كان يضع يده على أورشليم أعاقه الله. وعندما رأى داود الملاك (الضارب) ترجّى الرب بحرارة قائلاً إنه أخطأ، وأنه من الأفضل ومن الأحق أن يموت الراعي والرئيس لا الخراف، الذين لا يعرفون شيئاً. بعد ذلك بإعلان الله يبني مذبحاً في بيدر أرونة، حيث اشتراه مع العجول التي كانت تدرس الغلال بخمسون شاقلاً من الفضة. ومن بعد أن بنى المذبح الإلهي بطريقة حسنة جداً، وقدَّم عليه ذبائح محرقات وذبائح السلامة، عندئذٍ توقف الشر وأُبطل الموت السابق الرهيب. وأقر الكتاب المقدس أن المذبح كان في البداية صغيراً، وبعد ذلك أضاف عليه سليمان. ألا تعتقد أنه في الإمكان الوصف السريع لهذا المقطع؟

بلاديوس: نعم يمكن. والآن وضح كيف يصير المعنى مفهوماً.

كيرلس: ألا تعرف، إننا نقرّ بأن طبيعة الإنسان قد انزلقت إلى الموت والفساد، وجلبت هكذا غضب الخالق، كما حدث في بداية جنسنا، أي آدم الذي خالف الوصية الإلهية الأولى وسمع الحكم: "أنت تراب وإلى تراب تعود" (تك ٣: ١٩).

بلاديوس: هذه حقيقة.

كيرلس: إذن من الصباح، أي من السنوات الأولى لعصرنا، والموت يأكل الساكنين على الأرض، حتى ساعة الغذاء، أي حتى وقت افتراش المائدة. وذلك عندما أتى وقت المائدة المقدسة، والواضح من هذا أنه يقصد المائدة السرية للمسيح، حيث نأكل الخبز الحي السماوي. إذ أن الموت السابق والمرعب والذى يصعب مواجهته قد أُبطل، فالله برحمته تعطَّف علينا[1]، وإذ أوقف الملاك المهلك مباشرة الذي كان يريد أن يمد يده المدمرة على أولئك الذين

١- تعطف الله برحمته وصار مثلنا وأخذ على عاتقه إبطال الموت الذي كان متسلطاً علينا، كما يقول القديس كيرلس الأورشليمي: "لا تعجبنَّ من القول بأن العالم أجمع قد افتُديَ! لأن الذي مات عن العالم لم يكن مجرد إنسان، بل هو ابن الله الوحيد. لقد استطاعت خطية إنسان واحد، هو آدم، أن تدخل الموت إلى العالم. فإن كان بسقطة إنسانٍ واحدٍ قد ملك الموت على العالم، فكيف لا تملك الحياة بالأحرى ببرِّ إنسانٍ واحدٍ (رو ٥: ١٧)؟ وإن كانا حينذاك قد طُرِداً من الفردوس بسبب شجرةٍ أكلا منها، أليس من الأسهل أن يدخل المؤمنونَ الآن الفردوس بسبب شجرة يسوع؟ وإن كانَ الإنسان الأول، المجبول من التراب، أتى بالموت الشامل، فالذي خلقه من التراب ألا يأتي بالحياة الأبدية، إذ أنه هو نفسه الحياة؟ وإن كان فِينحاس بغيرته على قتل فاعلي الإثم قد أوقف غضب الله (راجع سفر العدد ٢٥: ٥ - ١١)، فيسوع الذي لم يقدِم إنساناً آخر ذبيحة «بل بذل نفسه فدية عن كثيرين» (١تي ٢: ٦) أفلا يصرف غضب الله (دينونة الله) عن الإنسان؟" عظة للموعظين ١٣: ٢

سكنوا المدينة المقدسة، أي أورشليم الذهنية، لكنه أعيق (عن التقدم) عندما تعطف الله برحمته. لأنه يقول: "قف، كفى". المدينة المقدسة هي بالتأكيد الكنيسة، التي سكانها هم هؤلاء الذين صاروا كاملين من جهة القداسة بالخبز الحي. هذه المدينة الموقرة كثيراً والمستحقة الإعجاب يذكرها داود العظيم عندما يقول: "قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله" (مز ٨٧:٣). لأن المسيح الذي هو الحياة ومعطي الحياة سكن داخلنا. لهذا يعيق الله المهلك عن القديسين، لأنه لا يجب أن ينتصر بعد مجيء ساعة افتراش المائدة المقدسة، التي يشار إليها بعبارة وقت الغذاء. المسيح فدانا إذن، الذي يُشار إليه في شخص داود، لأنه إذ رأى الموت يُبيد البشر، صار لأجلنا شفيعاً لدى الآب[١] وقدم نفسه لأجلنا وخضع بإرادته للموت وأوقف الملاك المهلك عن عمله إذ اعتبر نفسه أنه خطية لأجلنا[٢]، ليس بمعنى أنه أخطأ، لكن بحسب الكتب "أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولاً ... وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ" (إش ٥٣: ٤، ١٢). وبالطبع، رغم أنه لم يعرف خطية "صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا" (غلا ٣:١٣) إذ يقول، يجب أن يتألم الراعي بالأحرى، وليس الخراف كراعٍ صالح أعطى حياته لأجل الخراف[٣]. ومن ثم بالإعلان الإلهي رأى داود العظيم الملاك المهلك

١- يشرح لنا القديس كيرلس -في سياق حديثه عن يعقوب في خدمته في بيت لابان والبركة التي نالها عند خروجه من عند لابان- بأن يعقوب كان يرمز للمسيح الوسيط والشفيع، إذ يقول: " المسيح له الوساطة والشفاعة إذ هو البكر بين إخوة كثيرين، وهو وحيد الجنس. هذا هو الذي بورك من الآب بقمح وخمر وفير. وله خضعت الأمم وسجد الرؤساء. وبحسب بركة اسحق « ليكن لاعنوك ملعونين. ومباركوك مباركين » (لا ٢٧:٢٩)" جيلافيرا على سفر التكوين، المقالة الخامسة، الكتاب الشهري نوفمبر ٢٠٠٦.

٢ - الابن هو الحمل الذي بلا عيب البار والقدوس، ومع ذلك صار خطية لأجلنا، وهذا ما أكده القديس كيرلس أثناء حديثة عن التيس المرسل إلى البرية، قائلاً: "لهذا صار المسيح ذبيحة عن خطايانا حسب الكتب المقدسة (أنظر ١ كو ١٥: ٣)، ولهذا السبب نقول إنه دُعي خطية، وهكذا يكتب بولس الحكيم جداً: "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطيةً لأجلنا" (٢ كو ٥: ٢١). والمقصود هنا هو الآب (فهو الذي جعله خطية). لأننا لا نقول إن المسيح صار خاطئاً -حاشا- بل لكونه باراً، وبالحري هو البر نفسه، لأنه لم يعرف خطية، فالآب جعله ذبيحة عن خطايا العالم". راجع: رسائل القديس كيرلس، الجزء الثالث، نصوص الآباء: ٣٤، ديسمبر ١٩٩٥ ص ٦٥ وما بعدها.

٣- عندما يشرح القديس كيرلس يو ١٠:١١ - ١٣ حيث يُوصف المسيح كراع صالح، يقول: "حينما أُعلِن المسيح كالراعي الصالح على الكلّ، ففي صراعه مع هذين الوحشين المرعبين، فإنه بذّل حياته لأجلنا، فهو احتمل الصليب لأجلنا، لكي بالموت يبيد الموت، وقد أدين من أجلنا لكي يخلص كل البشر من الدينونة التي بسبب الخطية، وقد أبطل طغيان الخطية بواسطة الإيمان، وسَمَّرَ في صليبه الصك الذي كان ضداً لنا كما هو مكتوب (انظر كو ٢:١٤). وتبعاً لذلك فإن أب الخطية اعتاد أن يضعنا في الهاوية مثل الخراف مسلّما إيانا للموت كراع لنا حسب ما قيل في المزامير (انظر مز ٤٨:١٥س). أمّا الراعي الصالح بالحق، فقد مات من أجلنا، لكي يخرجنا من حُفرة الموت المعتمة ويهيئنا لكي يجعلنا بين صحبة السمائيين، ويعطينا منازل في الأعالي، مع الآب، بدلاً من الأوكار التي في أعماق الهاوية أو في تجاويف البحار" شرح إنجيل يوحنا، الأصحاح العاشر، المجلد الأول ص ٧١٨.



يهدأ ويتوقف إذ رآه يقول: "بالقرب من البيدر"، وهناك بنى داود مذبحاً وقدم لله محرقات مع ذبائح سلامة (أنواع الذبائح وطرق تقديمها كانت وفقاً للناموس) بالبيدر الذي يعني الكنيسة، التي عندما وصل إليها، توقف (المهلك) أخيراً وأُبطل الموت[1] ورَدَّ يده التي كانت سابقاً مرعبة ومدمرة؛ لأن الكنيسة هي بيت الحياة بحسب الطبيعة[2]، وهى بيت المسيح. نقول إن الكنيسة هي البيدر (الجُرن) بالشبه والصورة؛ إذ فيها يُجمع كحزمٍ، أي كسنابل، كل ما يُحصد من الحياة العالمية بواسطة الحصادين القديسين، أي الرسل والإنجيليين لكي يصير حصادهم في البيادر السماوية، وكمثل مخزن للرب في أورشليم السماوية[3]، إذ يُجمعون كقمحٍ بعد نزع المواد عديمة الصلاح والأشياء الزائدة التي يُشار إليها بالتبن. فقد قال المسيح مرةً في موضع ما للرسل القديسين: "أَمَا تَقُولُونَ إِنَّهُ يَكُونُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ ثُمَّ يَأْتِي الْحَصَادُ؟ هَا أَنَا أَقُولُ لَكُمْ: ارْفَعُوا أَعْيُنَكُمْ وَانْظُرُوا الْحُقُولَ إِنَّهَا قَدِ ابْيَضَّتْ لِلْحَصَادِ. وَالْحَاصِدُ يَأْخُذُ أُجْرَةً وَيَجْمَعُ ثَمَراً لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ لِكَيْ يَفْرَحَ الزَّارِعُ وَالْحَاصِدُ مَعاً" (يو ٤: ٣٥ – ٣٦) وأيضاً: "اَلْحَصَادُ كَثِيرٌ وَلَكِنَّ الْفَعَلَةَ قَلِيلُونَ. فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ فَعَلَةً إِلَى حَصَادِهِ" (مت ٩:٣٧ – ٣٨).

١- يقول القديس ميليتوس أسقف ساردس (القرن الثانى): "الإله لبس جسداً واتخذ صورة الإنسان. قَبِل الآلام عن كل متألم وحُوكم من أجل كل محكوم عليه. ودُفِن فى القبر من أجل كل المدفونين، ولكنه قام حياً من بين الأموات (بقوة لاهوته) وأعلن قائلاً: مَنْ ذا الذى يمكنه أن يقاضينى؟ لقد خلّصت المديونين، وأعَدتُ الحياة للذين ماتوا، وأخرجتهم من قبورهم (بكامل قواهم)؛ مَنْ هو الذى سيحاججنى؟ لقد أبطلتُ الموت؛ وسحقتُ الهاوية، ثم رفعت البشرية إلى أعلى السموات، نعم، أنا هو المسيح، أنا هو ذبيحة كفارة غفرانكم، أنا هو فصح خلاصكم، أنا هو نوركم، أنا هو قيامتكم" (SC.123, p. 116, 120, 122). وكما يقول ق. أثناسيوس، صار الموت مداساً بالأقدام، تجسد الكلمة ١:٢٩ ـ ٣

٢- الكنيسة بحسب القديس كيرلس هي بيت لحم أي بيت الخبز الواهب حياة، إذ يقول: " «لنذهب الآن إلى بيت لحم»: حيث أن بيت لحم تُفسَّر أنها «بيت الخبز»، فإلى أين كان الرعاة مزمعين أن ينطلقوا بعد أن سمعوا بشارة السلام، إلا إلى البيت الروحي الذي للخبز السماوي، أعني الكنيسة التي فيها يقدَّم كل يوم بالسر الخبز النازل من السماء الواهب حياة للعالم؟!" تفسير لوقا٢:١٥

٣- هو إذن رب الحصاد لأنه اختار بنفسه التلاميذ والرسل السبعين، وهذا ما يؤكده القديس كيرلس في شرحه لإنجيل لوقا وبالتحديد لو ١:١٠ ـ ٣، إذ يقول: "ولاحظوا أنه بينما يقول المسيح "اطلبوا من رب الحصاد أن يُرسِل فعلة إلى حصاده"، فهو يفعل هذا بنفسه، ورغم أنَّ الذي مَعَنا الآن هو رب الحصاد، أي رب سكان الأرض، إلا أنه هو نفسه بالطبيعة وبالحق، "الله"، لأنه كما يقول الكتاب "له الأرض وملؤها" (مز ٢٤: ١)، وهو خالق الكل ومصوِّرهم، ولكن إن كان من اختصاص الله العلي وحده أن يُرسِل فعلة " فكيف حدث أنَّ المسيح هو الذي عيَّنهم ؟ أفليس هو إذن رب الحصاد، والله الآب، معه، هو رب كل شيء. كل شيء إذن له، ولا يوجد شيء مِمَّا يُسمَّى، يخص الآب إلَّا ويخص الابن أيضاً. فهو نفسه قال للآب: "أولئك الذين أعطيتني من العالم، كانوا لك وأعطيتهم لي" (يو ١٧: ٦) فكما قلت، إن كل ما يخص الآب واضح أنه يخص الابن، وهو يشع بأمجاد أبيه، فمجد الإلوهية يخصه، لا كشيء موهوب له من آخر، ولكن قائم في كرامة تخصه بالطبيعة ". تفسير إنجيل لوقا، الإصحاح العاشر، ص ٢٩٥.

يسمي جموع المؤمنين العتيدين والحاصدين القديسين بالحصاد العقلي[1]؛ إذ يقول إن كل واحد منهم له في عقله ولسانه الكلمة الإلهية التي هي "حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ" (عب ٤:١٢)، هكذا أظهر المعمدان الطوباوي الكنيسة باسم البيدر (أو الجرن) قائلاً عن المسيح: "أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ وَلَكِنْ يَأْتِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ. الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ وَيَجْمَعُ الْقَمْحَ إِلَى مَخْزَنِهِ وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تُطْفَأُ" (لو ٣:١٦ - ١٧).

هذا البيدر العقلي، أعني الكنيسة، اشتراه المسيح بخمسين شاقل، أي بثمنٍ ليس رخيصاً. لأنه لأجلها قدَّم نفسه ذبيحةً وأقام فيها مذبحه. وحيث هو المقدِّم للذبيحة "لأنه صار رئيس كهنة" (عب ٦:٢٠)، قدَّم ذاته كذبيحة على شكل ومثال الثور الذي يدرس (الغلال)، وصار ذبيحةَ محرقةٍ وسلامة. لأن الحاجز المتوسط نُقض بواسطة المسيح، ونحن الذين كنا قديماً بعيدين ومنفصلين بسبب الخطية، دخلنا بواسطته، إلى الله الآب نفسه، ناقضاً تلك العداوة القديمة[2]. لأنه "هو سلامنا" (أف ٢:١٤) بحسب الكتب.

بلاديوس: إذن، فنحن نعني بالثور الدارس، المسيح؟ كيف يمكن هذا؟

١- يدعو أيضاً القديس كيرلس المؤمنيين العتيديين أن يأتوا، بواسطة الرسل والتلاميذ، بالخراف العقلية، إذ يقول: "هل سمعت أنه أظهر للرعاة كيف يرعون الغنم؟ هذا بالضبط ما أعلنه التلميذ الحكيم لشيوخ الشعب، أقصد للأساقفة، لأنه يقول "أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يعلن. ارعوا رعية الله التي بينكم نُظاراً لا عن اضطرار بل بالاختيار ولا لربح قبيح بل بنشاط" (١بط٥:١-٢). وكذلك ذهبوا إلى كل بلدة ومدينة، مقنعين الجموع بأن يقيموا رُعاة كثيرين آخرين، لكي يعتنوا بالخراف العقلية، ويرعونها مثل الراعي الصالح في مكان خصبٍ، ويقودوها - إلى مراعي خضر مليئة بالورود، أى إلى الكتاب المقدس. لأن كلمة الله هي غذاء كافٍ لحياة النفس. إذاً يجب أن يُقال للرعاة الروحيين احرص بأن تكون السهول خصبة وبها خضرة، اهتم بالخضرة واجمع العشب في ساعته المناسبة لكي يكون لك غنم حقلك" جيلافيرا على التكوين، الكتاب الشهري مارس ٢٠٠٦

٢- ميلاد المسيح هو سلامنا، إذ أبطل العداوة القديمة، كما يقول القديس كيرلس: "ما أسماها تسبحة: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة» (لو ٢: ١٤). فإننا نحن الأشقياء لما فضَّلنا شهواتنا على إرادة الرب، قد صرنا في وضع الأعداء بالنسبة له، ولكن هذه (العداوة) قد نُقِضَت بواسطة المسيح، فإنه هو سلامنا (أف ٢: ١٥)، وقد وحَّدنا بواسطة نفسه مع الله الآب، ورفع من الوسط الخطية المنشئة العداوة، وبرَّرنا بالإيمان، ودعا الذين كانوا بعيدين ليصيروا قريبين، وبالإضافة إلى ذلك قد خلق الشعبين ليصيرا إنساناً واحداً جديداً، وصنع السلام وصالح الاثنين في جسد واحد مع الآب (أف ٢: ١٤ - ١٦)، فإن الله الآب قد سُرَّ أن يجمع فيه الجميع (أف ١: ١٠)، ويربط معاً العلويين مع السفليين، ويجعل الذين في السماء مع الذين على الأرض قطيعاً واحداً. فالمسيح قد صار لنا سلاماً ومسرَّة". تفسير لوقا ٢:٨ - ١٨



تقدمة داوود وذبيحة المسيح

كيرلس: ألم يُشِر الناموس الموسوي إلى التلاميذ القديسين على أنهم ثيران دارسة؟ فهو يقول بطريقة مبهمة: "لا تكم الثور في دراسه" (تث ٢٥:٤). وهذا ما يقصده بولس الطوباوي بوضوح شديد عندما يقول: "فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ مُوسَى: «لاَ تَكُمَّ ثَوْراً دَارِساً». أَلَعَلَّ اللهَ تُهِمُّهُ الثِّيرَانُ؟ أَمْ يَقُولُ مُطْلَقاً مِنْ أَجْلِنَا؟ إِنَّهُ مِنْ أَجْلِنَا مَكْتُوبٌ. لأَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْحَرَّاثِ أَنْ يَحْرُثَ عَلَى رَجَاءٍ وَلِلدَّارِسِ عَلَى الرَّجَاءِ أَنْ يَكُونَ شَرِيكاً فِي رَجَائِهِ" (١كو ٩:٩ - ١٠). الثيران إذن تعني صورة الأول، أي المسيح، كما تعني أيضاً التلاميذ الطوباويون. وبتفسير آخر، الثور الذي يدرس هو المسيح[1]؛ لأن عملية التنقية وإخراج المواد غير اللازمة تحدث بواسطته، أقصد الاهتمامات الجسدية العالمية والمضلّلة، والتي صارت وقوداً للهيب مثل التبن. لكن عندما أقيم المذبح وقُدِّمت عليه ذبيحة السلامة والمحرقة، بَطُل الحزن. لأن السيد سمع توسل الأرض وتوقف الملاك المهلك. لأنه عندما قدَّم المسيح ذاته ذبيحةً لأجلنا، أُبطل الموت والفساد وتحول الفساد إلى عدم فساد[2]، ووعد الله ضابط الكل بأنه سيكون مستعداً لسماع صلوات الجميع. إذ يقول: "وَيَكُونُ أَنِّي قَبْلَمَا يَدْعُونَ أَنَا أُجِيبُ وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بَعْدُ أَنَا أَسْمَعُ" (إش ٦٥: ٢٤). كذلك

١- أيضاً في سياق تفسير بركة يعقوب لشمعون ولاوي: "شمعون ولاوي أخوان. آلات ظُلم سيوفهما. في مجلسهما لا تدخل نفسي. بمجمعهما لا تتحد كرامتي. لأنهما في غضبهما قتلا إنساناً وفي رضاهما عرقبا ثوراً. ملعون غضبهما فإنه شديد وسخطهما فإنه قاس. أقسّمهما في يعقوب وأفرقهما في إسرائيل" (تك٤٩: ٥-٧). يقر هنا القديس كيرلس بأن الثور يرمز للمسيح، إذ يقول: "إنتبه إذن، إلى المفهوم العميق لهذا الحديث. لأنه يقول، قتلوا البشر وعرقبوا الثور. قتلوا -إذن- القديسين الذين ماتوا على رجاء القيامة المنتظرة. لكنه كمثل ثورٍ قد عرقبه نِسر، فقد أنهك المسيح ووقع على الأرض محتملاً بإرادته موت جسده لكنه لم يُمسَك في قبضة الموت بل ظلّ حياً بلاهوته. وُصِف المسيح بالثور لأن هذا الحيوان قوي جداً وطاهر ومقدس. والابن هو رب القوات الذي لم يرتكب خطية (انظر ١بط٢: ٢٢)، بل بالحري قدَّم ذاته لأجلنا لله الآب رائحة طيبة (انظر أفسس ٥: ٢). ليت الذين عرقبوا الثور يسمعون الآتي: "ملعون غضبهما فإنه شديد وسخطهما فإنه قاس" (تك ٤٩: ٧). ما الذي أصابهم؟ رحلوا من بلادهم وهجروا أرضهم وتشتتوا وصاروا غرباء ونزلاء وامتلئوا مِن الخوف. لأنه حقاً مثلما يشعر الطائر الذي يطير خارج عِشه، هكذا يشعر أيضاً الإنسان عندما يبتعد عن موطنه. أيضاً، بالنسبة لأولئك الذين عرقبوا الثور فإن أعمالهم تستحق اللعنة، بينما بالنسبة لهؤلاء الذين تألموا ألماً رهيباً سيكون لهم هذا الثور فِدية وطهارة وغفران للخطايا" جيلافيرا، على سفر التكوين، الكتاب الشهري سبتمبر ٢٠٠٨.

٢- يعتبر القديس إيرينيوس أن غاية التجسد هو استعادتنا لنعمة عدم الفساد، إذ يقول: "الذين ينكرون عمانوئيل المولود مِن العذراء، يحرمون أنفسهم من عطيته التي هي الحياة الأبدية، لأنهم بعدم قبولهم الكلمة أصل عدم الفساد يبقون في الجسد الميِّت، ويكونون مديونين للموت بسبب عدم قبولهم ترياق الحياة... فإنه لهذه الغاية قد صار الكلمة إنساناً، وصار ابن الله ابناً للإنسان لكي يتَّحد الإنسان بالكلمة، فينال التبنِّي ويصير ابناً لله. فإننا لم نكن نستطيع بوسيلة أخرى أن نحصل على عدم الفساد والخلود، إلّا باتحادنا بالذي هو عدم الفساد والخلود. وكيف كان يمكن أن نتّحد بالذي هو عدم الفساد والخلود، لو لم يكن هو نفسه أولاً قد صار على حالنا، حتى يُبتلع الفاسد من عدم الفساد، ويُبتلع المائت من عدم الموت، فننال التبنِّي؟!" ضد الهرطقات 3: 19 SC 211 pp 373 - 375

تعلن التوسعات اللاحقة للمذبح الأول الصغير عن تقدُّم الإنجيل في الوقت المعيَّن، كما تشير أيضاً إلى الانتشار الكبير للكنائس بعد الانتشار الأول المحدود. لأن المذابح قد إزدادت بإضافة كنائس أخرى غير تلك التي كانت في البدايات، وذلك بتضاعف العدد غير المحصى للشعوب التي نالت الفداء بذبيحة المسيح، آخذين نفس المقدِّم والذبيحة المقدسة، وذات الرائحة الذكية النقية، وآخذين في شكل البيدر، المذبح الذي يستحق كل إعجاب، والسيد رب الكنيسة.

بلاديوس: قولك واضح جداً؛ لأنك تكلمت بمهارة عظيمة.

تدبير الواحد لأجل الجميع

كيرلس: ودون أن تتردد إطلاقاً، ألا تقول إن المسيح هو الحياة والفداء للجميع؟

بلاديوس: أعلم أنني كنت سأقول هذا لأني عندي نفس الرأي.

كيرلس: لقد مات الواحد لأجل الجميع[1]، وهو الوحيد المناسب جداً للقيام بهذا العمل[2]. فقد أعطى حياته عوضاً عن حياتنا، وأبطل طرق الشيطان الشريرة، وأوقف شكاية الخطية التي تسلطت علينا وثرثرتها أيضاً عن جرائم الجميع.

بلاديوس: بأي طريقة تعني هذا؟

كيرلس: لأن الخطية ملكت على كل مَن على الأرض، لذا انجذب كثيرون من الأحداث إلى الشرور كما هو مكتوب (تك ٦:٥)، وقد أصرَّ الجميع تماماً على تحقيق كل ما يريدونه، وهكذا وجدنا أنفسنا حتماً محسوبين لقضاء

١- يؤكد القديس كيرلس على هذه الحقيقة في سياق حديثه عن شهادة المعمدان: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" يو ١:٢٩، إذ يقول: "لقد مات حملٍ واحد عن القطيع كله لكي يخلّص القطيع كله لله الآب، واحد عن الكل لكي يُخضِع الكلّ لله، واحد عن الكل لكي يربح الكلّ: وذلك "كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ" (٢ كور ٥:١٥). لقد كنا مستعبدين لخطايا كثيرةٍ، خاضعين للفسادِ والموت، فأعطانا الآب ابنه فداء عنا. الواحد عن الكلّ، لأن الكل فيه، وهو فوق الكلّ. واحد ماتٍ عن الكل، لكي يحيا الكلّ فيه. لقد ابتلع الموت "الحمل" الذي كان ذبيحة خطيّة للكلّ، ولكن الموت تقيأ الحمل ومعه الكلّ الذين فيه. لأننا جميعاً في المسيح الذي بسببنا ولأجلنا مات وقام. لقد أبيدت الخطيّة، فكيف يبقى الموت الذي نتج عنها وبسببها، ألا يتلاشى هو أيضاً وينتهي إلى لا شيء. لقد ماتِ الجذر، فكيف تعيش الأغصان أو تبقى؟ وكيف نموت نحن، بعد أن أبيدت الخطيّة؟ لذلك نُسرّ بذبيحة حمل الله ونقول "أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟" (١ كور ١٥: ٥٥ - هوشع ١٣:١٤)" شرح إنجيل يوحنا، المجلد الأول ص ١٢٨.

٢- تصلي الكنيسة في القداس الغريغوري قائلةً: "لا ملاك ولا رئيس ملائكةٍ ولا نبياً ائتمنته على خلاصنا، بل أنت بغير استحالةٍ تجسَّدت وتأنَّست".

الموت. لأن حكم الموت كان نتيجة مخالفة الناموس الإلهي وعدم الطاعة للإرادة الإلهية. ولذا حزن الخالق على طبيعة الإنسان التي فسدت؛ وصار الوحيد الجنس إنساناً وجعل جسده يحتمل الموت لأجلنا، ذلك الذي تسلل إلينا بسبب الخطية؛ لكي بموته[1] يُبطل الخطية ويوقف اتهامات الشيطان نحونا، لأننا سددنا في شخص المسيح نفسه جزاء اتهاماتنا بسبب الخطية؛ لأنه وفقاً لكلمات النبي: ''هُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ'' (إش ٥٣: ١٢ أنظر يو ١: ٢٩). أَوَلم نُشفَ نحن بآلام ذاك؟

بلاديوس: هذا صحيح؛ لأنه ''مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا'' (إش ٥٣: ٤ – ٥).

أيفة زكريا النبي ووزنة الرصاص

كيرلس: إذن، فقد أُبطلت الخطية بآلام المسيح لأجلنا[2]، ولم يعُد لها غلبةٌ على المقدَّسين بواسطة المسيح. وهذا ما يُظهره لنا بوضوح النبي زكريا حين قال وهو يشاهد رؤيا: ''ثُمَّ خَرَجَ الْمَلاَكُ الَّذِي كَلَّمَنِي وَقَالَ لِي: ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مَا هَذَا الْخَارِجُ. فَقُلْتُ: مَا هُوَ؟ فَقَالَ: هَذِهِ هِيَ الإِيفَةُ الْخَارِجَةُ. وَقَالَ: هَذِهِ عَيْنُهُمْ فِي كُلِّ الأَرْضِ (هذا هو ظلم البشر على كل الأرض). وَإِذَا بِوَزْنَةِ رَصَاصٍ رُفِعَتْ. وَكَانَتِ امْرَأَةٌ جَالِسَةٌ فِي وَسَطِ الإِيفَةِ. فَقَالَ: هَذِهِ هِيَ الشَّرُّ. فَطَرَحَهَا إِلَى وَسَطِ الإِيفَةِ وَطَرَحَ ثِقْلَ الرَّصَاصِ عَلَى فَمِهَا. وَرَفَعْتُ عَيْنَيَّ وَنَظَرْتُ وَإِذَا بِامْرَأَتَيْنِ خَرَجَتَا وَالرِّيحُ فِي أَجْنِحَتِهِمَا. وَلَهُمَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ اللَّقْلَقِ فَرَفَعَتَا الإِيفَةَ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ. فَقُلْتُ لِلْمَلاَكِ الَّذِي كَلَّمَنِي: إِلَى أَيْنَ هُمَا ذَاهِبَتَانِ بِالإِيفَةِ؟ فَقَالَ لِي: لِتَبْنِيَا لَهَا بَيْتاً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ. وَإِذَا تَهَيَّأَ تَقِرُّ هُنَاكَ عَلَى قَاعِدَتِهَا'' (زك ٥: ٥ – ١١). أتريد أن نشرح أيضاً الكل واحدة

١- بحسب القديس كيرلس لم يكن هناك حلٌ لمسألة خضوع البشر للموت إلا عن طريق المسيح، إذ يقول: ''الطبيعة البشرية خضعت للموت والخطية بآدم، كرئيس للجنس البشرى، ولم تُفتدى بأية طريقة سوى بالمسيح فقط. لأنه كما كتب تلميذه: ''لأن ليس اسم آخر تحت السماء أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص'' (أع ٤: ١٢). أى كان يلزم أن هذا، الذى خُلِقَ بواسطته كل شئ، أن يصير هو نفسه الذى يجدِّد كل ما قد فسد ويشفى جرح الخطية، ويبطل الحزن ويمنح السعادة بغنى مرة ثانية لأولئك الذين خلقهم'' جيلافيرا على التكوين، الكتاب الشهري فبراير ٢٠٠٤.

٢- لقد أراد الابن أن يحرر البشر من أوجاعهم لذلك اجتاز -بكونه إنساناً- كل الآلام والإنفعالات التي سببتها الخطية للطبيعة البشرية، وهذا ما سبق إن ذكره القديس كيرلس في نفس السياق، إذ يقول: ''كما أن إبادة الموت لم تتم بطريقة أخرى غير موت المخلِّص، هكذا أيضاً من جهة كل ألم من آلام الجسد: فلو لم يشعر بالخوف، لما أمكن للطبيعة البشرية أن تتحرر من الخوف، ولو لم يكن قد اختبر الحزن، لما كان هناك تحرر من الحزن على الإطلاق؛ ولو لم يكن قد اضطرب وانزعج، لما وُجِدَ أي مهرب من هذه المشاعر. ومن جهة كل انفعال من الانفعالات التي تتعرض لها الطبيعة البشرية، فإنك ستجد المقابل لها بالضبط في المسيح''. شرح إنجيل يوحنا، الجزء السابع، ص ٣٨.



واحدة، وأن نحللهما بقدر ما نستطيع؟

بلاديوس: أريد جداً بالتأكيد.

كيرلس: رأى النبي وعاءَ مكيالٍ خرج من أورشليم، وعندما سأل ماذا يكون هذا، قال له الملاك: "هذا هو ظلم البشر على كل الأرض" (زك ٥: ٦). كما لو قال إنه بهذا المقياس تقاس الخطايا عبر الأزمنة لكل من يخطئون على كل الأرض. فعندما تصل خطيئتنا إلى كمٍ ظاهرٍ، عندئذٍ يفرض المشرع الإدانة وهو حزين. فهو باستمرار يُظهر صبراً من محبته الطبيعية للبشر[1] ويحتمل كل مَن يخطئون ولا يغضب قبلما تكتمل الخطية، فهو من جانب آخر قال لإبراهيم القديس: "لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً" (تك ١٥: ١٦) وإلى الفريسيين الذين تفوهوا كثيراً بغير انضباط. قال المسيح: "فاملأوا أنتم مكيال آبائكم" (مت ٢٣: ٣٢). إذن عندما خرجت إيفة القياس وطُرحت وزنة الرصاص وأُلقيت المرأة التي ملئته في وسط هذا المقياس، وقبِلَت في فمها وزنة الرصاص، قال الملاك: "هذه هي آثامهم".

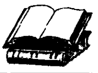
بلاديوس: كلامك ليس واضحاً بعد.

كيرلس: سيتضح حالاً. إن وزنة الرصاص هي المسيح نفسه، الذي رُفع بالصليب ونراه يشع بمجد الألوهية. لأن الله رفَّعه عالياً وأعطاه اسماً فوق كل اسم (راجع فيلبى ٢: ٩)، وأغلق فم الخطية وفقاً لما قِيل في المزامير: "وكل إثم يُسد فاه" (مز ١٠٧: ٤٢)، فالخطية لا يمكنها أن تشتكي هؤلاء الذين أخطاوا عن ضعفٍ، وقد تبرروا بالإيمان. لأنه يقول: "اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ! مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟" (رو ٨: ٣٣ - ٣٤). **وبما أن المسيح تألم لأجلنا، فكيف نظل –تبعاً لهذا– نأخذ لأنفسنا العقوبة عن خطايانا؟**

بلاديوس: تكلمت بالصواب. إذ قد تبررنا بإيماننا بالمسيح[2]، والشكوى التي ضدنا

١- إن الذي لا يؤمن بأن الابن هو الله لن يتبرر ويطعن في محبة الله للبشر، وهذا ما أكده القديس كيرلس في شرحه لنص يو ٣: ١٦، إذ يقول: "أعجوبة المحبة تُرى في بذله ابنه لأجلنا، وهذا الابن هو الابن الوحيد. ولكي يبقى إذاً حب الله الآب، هذا الحب العظيم، ويظلّ محفوظاً فلنؤمن أنه هو الابن وليس مخلوقاً، أعنى أنه الابن من جوهر الآب، أي واحد في الجوهر مع الذي وَلَدَه، وهو الله بالفعل وبالحق. لكن إن كان، بحسب زعمك، ليس من نفس جوهر الله الآب، فإنه عندئذٍ لن يكون بالطبيعة ابناً وإلهاً، وسوف تصبح أعجوبة محبة الله العظيمة في النهاية كأنها لم تكن: لأنه يكون قد بَذَلَ مخلوقاً لأجل مخلوقات، ولم يبذل ابنه الحقيقي" شرح إنجيل يوحنا، المجلد الأول، ص ١٩٣.

٢- يؤكد القديس كيرلس على إن التبرير بالإيمان يسبق الختان في حديثه عن إبراهيم أبو الآباء، إذ يقول: "الأمور المختصة بالمسيح هي أكثر قِدماً من كل ما أشار إليه الناموس، والتبرير بواسطة الإيمان هو أقدم من الختان الجسدى.



بسبب الخطية قد تصدّينا لها بأكثر فاعلية. لكني أكون شاكراً جداً لو علمت منك السبب الذي من أجله يُشار إلى المسيح بكتلة الرصاص، وتُعرض الخطية في شخص المرأة؟

كيرلس: من السهل أن نتعلم ذلك من الكتاب المقدس. لأنه يقدم المسيح، وحتى الآن بأمور أخرى كثيرة والتي تفهم عنه بحسب النوعية التي تعلنها هذه الأمور.

بلاديوس: ماذا تعني بهذا؟

كيرلس: صار (المسيح) لأجلنا الأساس والأمان، ودعامةً ثابتةً، وحجرَ الأساس غير المتصدع[1]. لهذا سُميَ حجراً؛ إذ يقول: ”هَئَنَذَا أُؤَسِّسُ فِي صِهْيَوْنَ حَجَرَ امْتِحَانٍ حَجَرَ زَاوِيَةٍ كَرِيماً أَسَاساً مُؤَسَّساً. مَنْ آمَنَ لاَ يَهْرُبُ“ (إش ٢٨:١٦). وفي موضع آخر يسمى أيضاً جوهرة الكنيسة اللامعة والمستحقة كل إعجاب، غنانا الروحي. وقد دُعيَ اللؤلؤة لأنه يقول: ”أَيْضاً يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَاناً تَاجِراً يَطْلُبُ لَآلِئَ حَسَنَةً. فَلَمَّا وَجَدَ لُؤْلُؤَةً وَاحِدَةً كَثِيرَةَ الثَّمَنِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَاهَا“ (مت ١٣: ٤٥ – ٤٦). لقد وحَّدنا بذاته مع الله الآب مبطلاً العداوة بجسده كما هو مكتوب (أف ٢:١٥ – ١٦). وحقاً قال لأبيه السماوي عن كل الذين تبرروا بإيمانهم فيه: ”أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا“ (يو ١٧:٢١). من وجهة النظر هذه سُميَ حجراً من القصدير؛ لأن القصدير يلصق كل ما يقبل اللصق، ويقول الله في موضع آخر بصوت زكريا، مُظهراً لنا ابنه نفسه الذي سوف يصل ويأتي في وقته ”فَتَفْرَحُ أُولَئِكَ السَّبْعُ وَيَرُونَ الزِّيجَ (حجر القصدير) بِيَدِ زَرُبَّابِلَ“ (زك ٤: ١٠).

لأن الختان -وفق كلمات بولس الحكيم- قد أعطى لإبراهيم كعلامة للإيمان الذى كان له قبل الختان“ جيلافيرا على سفر التكوين، المقالة الثالثة، الكتاب الشهري مارس ٢٠٠٥ .

١- يؤكد لنا القديس كيرلس ان المسيح هو الحجر الكريم في سياق حديثه عن رؤيا يعقوب الخائف من أخيه عيسو، إذ يقول: ”إن الشعب الجديد ـ أى الرسل القديسين ـ هرب من غضب القتلة، أقصد اليهود، وأجبر أن يهرب سراً (متخفيا) ويهجر أرضه متنقلاً من مدينة إلى مدينة، لكي يصنع شركة مع حشد الأمم راغباً في أن يكون الأمم معهم في شركة روحية وعبادة عقلية. كما أسرع يعقوب في الذهاب إلى بنات لابان لأن عيسو قد هدّده وشرع في قتله بطريقة وحشية. أيضاً لأن الشعب المؤمن استند على المسيح الذي هو الحجر المختار، حجر الزاوية الكريم وهذا ما أشير إليه بقوله ”وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه“، تعلّمنا إذاً أن الله لا يترك شعبه وحده في الأرض، بل يرسل إليهم معاونين ومساعدين من الملائكة القديسين الذي يسرعون نزولاً وصعوداً. إذ قال المسيح ” الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان“ (يو ١:٥١). هذا يعني ما أشار إليه السُلّم ونزول وصعود الأرواح المقدسة عليه ” المرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص“ (عب ١:١٤)“ جيلافيرا على سفر التكوين، المقالة الرابعة، الكتاب الشهري فبراير ٢٠٠٦.

إذن وهكذا هنا يسميه بالرصاص المفيد، وسأقول لك أيضاً لماذا تنقي الفضة الخام عندما تختلط بالرصاص حسناً جداً؛ لأن الرصاص يجذب إليه وبطريقة طبيعية شوائب الفضة التي تحترق معاً. شيءٌ من مثل هذا حققه المسيح لنا نحن أنفسنا. فبينما كُنا غير أنقياء ومرفوضين، اتحد بنا جسدياً وروحياً[1]، وهكذا طهَّرنا من القذارة العالقة بداخلنا. لقد نزع خطايانا لكي نصير أنقياء ولامعين له وبواسطته. والشعب اليهودى الذي لم يقبل التطهير بواسطة المسيح يرثيه النبي إرميا قائلاً: "اِحْتَرَقَ الْمِنْفَاخُ مِنَ النَّارِ. فَنِيَ الرِّصَاصُ. بَاطِلاً صَاغَ الصَّائِغُ وَالأَشْرَارُ لاَ يُفْرَزُونَ. فِضَّةً مَرْفُوضَةً يُدْعَوْنَ. لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ رَفَضَهُمْ" (إر ٦: ٢٩ – ٣٠). هل أدركت إذن أن الكتاب المقدس لم يجهل أن نقاوة الفضة لا يمكن أن تصير بدون الرصاص. فلأن المسيح نقَّانا عندما كنا غير أنقياء؛ لهذا شبَّهه بالرصاص، وهو الذي سَدَّ فم الخطية التي أخذت شكل المرأة. والمرأة ترمز للضعف، وللذة أيضاً، (وبالضعف واللذة) يتم كل إثم. لأنه بقبول لذةٍ مثل هذه أو أخرى يفسد العقل، ويُقطع الحس وهكذا تهرب نفس الإنسان من الآلام التي تقود إلى الفضيلة، وهكذا تسقط النفس في الخطية. لهذا يُدعى البعض بالحرى محبي اللذة لا محبي الله (أنظر ٢ تيمو ٣:٢) ويُضيف النبي عن أولئك الذين أخذوا عِلة الخطية من المرض النفسي وأخطوا في الدناءة قائلاً: "شَدِّدُوا الأَيَادِيَ الْمُسْتَرْخِيَةَ وَالرُّكَبَ الْمُرْتَعِشَةَ ثَبِّتُوهَا" (إش ٣٥:٣).

بلاديوس: حسناً، هذا يُشرح هكذا. اخبرني الآن عن المرأتين اللتين نقلتا مكيال القياس والإثم إلى أرض البابليين؟ ماذا يُريد أن يُعلمنا بهما؟

كيرلس: المسيح، يا عزيزي، سدّ فم الإثم. لأننا تبررنا به، وعتقَنَا من كل اتهام وأوقف

١- يصف القديس غريغوريوس اللاهوتي هذا الإتحاد قائلاً: "يا له من اتحاد من نوع جديد! يا له من التحام إعجازي! الكائن بذاته يشترك في الصيرورة (قد صار جسداً)، غير المخلوق يجعل نفسه مخلوقاً، غير المحوَى يصير محوياً، وذلك بتوسُّط نفس عاقلة تتوسط بين لاهوته وكثافة الجسد. الذي يُغني الجميع يجعل نفسه مفتقراً، فقد افتقر بأخذ جسدي لكي أغتني أنا بلاهوته. الذي هو "الملء" قد أفرغ نفسه، أفرغ نفسه من مجده إلى حين لكي يجعلني أنا شريكاً في ملئه. فما أغنى صلاحه، وما أعظم هذا السر الذي صنعه لأجلي! كنتُ شريكاً في صورته، ولم أحافظ على الصورة، والآن قد اشترك في جسدي، ليُجدِّد فيَّ هذه الصورة، بل ويجعل جسدي أيضاً خالداً. فقد أعطاني شركة معه أعجب جداً من الشركة الأولى: ففي القديم أشركني فيما هو أفضل مني (أي صورته ومثاله)؛ وأما الآن فقد اشترك هو في أردأ ما فيَّ (ليُخلصني منه)، وهذا العمل الأخير يُظهِر صلاحه الإلهي بطريقة أسمى جداً من العمل الأول لدى ذوي الفهم!" عظة 45: 9 - 636 - 633 ,PG 36.

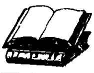


هجوم الإثم ضدنا؛ لأن هدف تدبير المسيح هذا[١]، صار لأجلنا، واحتمل الموت عن كل واحد منا ولأجلنا[٢]، على الرغم من أنه قام ثانيةً؛ لأن هزيمة الحياة من الموت لم تكن واردةً[٣]. لكن البعض لم يصدقوا إنجيل المسيح، وحيث أنهم لم يقبلوا فدائهم من الخطية، فهم يحملونها أيضاً كالحمالين معلقين إياها على رؤوسهم، وهذا من ضعف عقولهم ورخاوة النفس وعدم شهامتها. هؤلاء تجلب عليهم (الخطية) كل روح شرير وأيضاً تدفعهم إلى ممارسة كل نوع من أنواع النجاسة، مكثرين بقدر ما يستطيعون من كل رغبة في الدناءات. وعلامة هذه الرغبة هي الأجنحة والتي يسمونها -كما يقال- هُدهد، وهو نوع من العصافير التي تغطس دائماً في البرك القذرة جداً وتلتقط غذاءها من داخل القذارة والنجاسة. وكل الذين ينفقون حماسهم في القذارة، يمكن أن يُقال عنهم بسهولة إن لهم أجنحة الهُدهُد. كما أنهم يتصفون بسلوكيات أنثوية، وأخيراً هم يتمثلون بالخطية التي تسود عليهم سطوتها القاهرة. ومثلما صار الذين يسمعون المسيح متمثلين به بالتقديس، هكذا صار أولئك الذين اختاروا أن يتثقلوا بالدناءة النجسة متمثلين بالعصيان وما شبه ذلك. وإذ تنقلان المقياس إلى بابل،

١- وعن الهدف الذى من أجله أرسل الله الكلمة وليس أحد آخر، يقول القديس أثناسيوس متسائلاً: "إذن فما هو الذى كان ممكناً أن يفعله الله؟ وماذا كان يمكن أن يتم سوى تجديد الخليقة التي وُجدت على صورة الله، مرة أخرى، ولكي يستطيع البشر أن يعرفوه مرة أخرى؟ ولكن كيف كان ممكناً لهذا الأمر أن يحدث إلّا بحضور نفس صورة الله ـ مخلّصنا يسوع المسيح؟ كان ذلك الأمر مستحيلاً أن يتم بواسطة البشر لأنهم هم أيضاً خُلقوا على مثال تلك الصورة.(وليس هم الصورة نفسها)، ولا أيضاً بواسطة الملائكة لأنهم ليسوا صوراً (لله) ولهذا أتى كلمة الله بذاته لكي يستطيع ـ وهو صورة الآب ـ أن يجدّد خلقة الإنسان، على مثال الصورة" انظر تجسد الكلمة، المرجع السابق، ١٣:٧.

٢- كل التدبير الإلهي لخلاصنا من تجسد الكلمة وصلبه وقيامته وصعوده صار "لأجلنا نحن البشر" كما تقر الكنيسة في قانون الإيمان، وهذا ما يؤكده القديس كيرلس في سياق حديثه عن موسي الذي يشير إلى المسيح حين أخفته أمه في سفط وألقته في الماء، إذ يقول: "ووضع موسى في سفط بيدي أمه التي ولدته هو رمز واضح لما فعلته الأمة اليهودية بالمسيح. لكن بنت فرعون أي الكنيسة التي من الأمم، بالرغم من أن الشيطان كان يوماً ما أباها، إلا أنها وجدته بالقرب من المياه التي ترمز إلى المعمودية المقدسة والتي بواسطتها وُجِد المسيح وفُتِح السفط. أي أن المسيح لم يظل بين الأموات بل بالحري قام إذ أبطل الموت وخرج خارجاً من القبر وآمن به حتى أولئك الذين رأوه وهو يتألم لأجلنا، لكي بآلامه يصير بالنسبة لنا سبباً لحياتنا. وإبنة فرعون وجدته يبكي. أيضاً فان تصرف اليهود الأحمق تجاه المسيح جعله يتألم، إذ قال في ضيق شديد: "ثقبوا يديَّ ورجليَّ أحصى كل عظامي. وهم ينظرون ويتفرسون فيَّ. يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون" (مز ٢٢: ١٦ ـ ١٨)، وأيضاً: "ويجعلون في طعامي علقماً وفي عطشي يسقونني خلاً" (مز ٦٩: ٢١)" جيلافيرا على سفر الخروج، المقالة الأولى، الكتاب الشهري يونيو ٢٠٠٩.

٣- المسيح هو الحياة بطبيعته، وهذا ما يؤكده القديس كيرلس في حديثه عن العليقة التي رآها موسى، إذ يقول: " وكون أن هذا الذي من طبيعته قابل للفساد، أي الجسد جعله أسمي من الفساد، قد أظهرته لنا نار العليقة التي تركت الشجرة سليمة ولم تمسها بأذية. كيف يمكن لأحد أن يتردد في أن كلمة الله الذي هو الحياة بطبيعته أحيا هيكله وجعله غير فاسد وعديم الموت؟" جيلافيرا على سفر الخروج، المقالة الأولى، الكتاب الشهري سبتمبر ٢٠٠٩.



وهناك تطلبان مسكناً، فإن هذا يعني، على ما أعتقد، أن الشخص الذي لم يُفضِّل حياة المسيح ولم يحب سد فم الخطية، بسبب أن كل اهتمامه ينصب فقط على النجاسات، فإنه سوف يخرج من أورشليم المقدسة، أي من الأم المقدسة للأبكار، مدينة السماء الجميلة، وإذ يحمل حمل الخطية الثقيل جداً سوف يسكن مع البابليين، أي يكون لديه نصيب وميراث مشترك مع عُبَّاد الأوثان؛ لأن كل مَن احتقر الفداء بالمسيح سيكون له نفس المصير مع غير المؤمنين. حقاً يقول المخلص: "وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا. إِنْ سَمِعَ مِنْكَ فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ فَخُذْ مَعَكَ أَيْضاً وَاحِداً أَوِ اثْنَيْنِ لِكَيْ تَقُومَ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ" (مت ١٨: ١٥ – ١٧). إذن (الكتاب) ليس صعب الفهم، لكنه بالحري يؤكد لنا –كل الكتاب المقدس– أن كل تبرير وكل فداء يوجد في المسيح.

بلاديوس: لقد تكلمت حسناً جداً.

كل من دُعيَ من الله للتبرير ونال الفداء، عليه أن يسلك في طريق الله، وطالما هجر التنعُّم الذي يقود إلى الوضاعة، عليه أن يُسرع لكيٍ يحيا -بالحري- بصلابةٍ وفقاً للناموس

بدون جهاد لا يستطيع أحد أن يقتني المجد

كيرلس: يا بلاديوس؛ إنه خطر كما يبدو، وأقول إنه مكروه جداً ويُعتبر غباوةٌ شديدةٌ إلَّا يكون للإنسان الرغبة الملحة لنبذ الدناءة والخطية. أقصد العيش منغمسين في لذَّاتٍ غير مقبولةٍ مستسلمين لتصرفات أنثوية رخوة، مهملين التقدم في الفضيلة، بالرغم من أنه لدينا إمكانية عظيمة بمعونة المسيح لكي نرتقي إلى حالة جديرة بالمديح. كما أن بولس القديس ينصحنا قائلاً: "أَخِيراً يَا إِخْوَتِي تَقَوُّوا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ" (أف ٦: ١٠).

بلاديوس: حديثك شيقٌ جداً.

كيرلس: فلنحصل إذن على القوة بمعونة المسيح[١]، لكني أعتقد أنه بدون تعب وكد وإصرار[٢]، لن يفلح أحد في محاربة الشهوات ببسالة، ولن يستطيع أن يوجِّه

١- ويزودّنا القديس بولس بالبرهان على أن الابن يسكن فينا بالإيمان ويؤيدنا بالقوة، قائلاً: "بِسَبَبِ هذَا أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الأَرْضِ. لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ، أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ، لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ" (أف ٣: ١٤ - ١٧).

٢- يحكي لنا تاريخ الكنيسة عن قديسيين وقديسات كانوا أمثلة لنا في جهادهم، إذ يقول المؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصري: "وأما بلاندينا فكانت مُعلقة على خشبة لتكون مأكلاً للوحوش التي ستُطلق عليها. وكانت بمنظرها وهي مُعلقة بشكل الصليب، وهي تُصلي بصوت جهوري، تملأ المجاهدين شجاعةً كثيرةً، إذ كانوا يرون بعيونهم الخارجية، من خلال أختهم المجاهدة، (المسيح) الذي صُلب لأجلهم ليضمن للمؤمنين به أن كل مَن يتألم من أجل مجد المسيح ينال شركة دائمة مع الله الحي! ولما لم يمسها أي من الوحوش، أنزلت من السارية وأعيدت إلى السجن، وحُفظت لجهادٍ آخر حتى تنتصر في صراعات كثيرة، فتزيد غيرة الإخوة. فمع كونها صغيرة وضعيفة ومحتقرة، لكنها كانت لابسة المسيح رئيس جهادنا الأعظم الذي لا يُقهر" تاريخ الكنيسة ٥: ١. أما إسرائيل الجسدي كما يقول القديس كيرلس في سياق حديثه عن سقوطه الدائم في الشهوات كان يحيا في رخاوة، إذ يقول: "لقد سقط إسرائيل في الخمول ومَال بلا إنضباط اللذات



عقله نحو هذا الهدف.

بلاديوس: أوافق.

كيرلس: طبعاً إنه أمرٌ مبهج، ويستحق أن يجتهد الإنسان كي يناله. ومن المؤكد أن هؤلاء الذين يظلون في خمول، لا يمكنهم أن يدركوه، لكن الذين يفلحون فيه بسهولة هم الذين يقدِّرون التعب والكد. لأنه مكتوب: ''مَن يتعب، يتعب لنفسه ويجاهد لعدم فنائه'' (أم ١٦: ٢٦). لأن المرء بقليل من الجهد والعرق يستطيع أن ينجز أموراً عظيمة، أظن أنه من غير المقبول أن يجهل المرء هذا الأمر. أليس خلاص النفس أثمن لنا من كل الأشياء الأخرى، وأن على المرء أن يجاهد بكل قوته لأجل حياته؟

بلاديوس: هذا أكيد جداً.

كيرلس: إلَّا تظن أن السمعة الحسنة والشهرة العظيمة يحصل عليها الرياضيون الذين يتدربون بجدية وانتظام، واضعين الفوز بالجائزة نصب أعينهم، أم أولئك الذين يلقون بأنفسهم في المتع الدنيوية مفضلين حياة الخمول على الحياة الفُضلى هم الذين يحصلون عليها؟

بلاديوس: لا شك في أن الفوز لن يكون من نصيب المصابين بمرض الخمول، بل هو من نصيب أولئك النشطاء والمستعدين.

كيرلس: إذن، فإننا نقول إن اكتساب المجد لن يكون من نصيب هؤلاء الذين يزعمون قائلين: إننا نخلص ونصير في حالةٍ حسنةٍ عن طريق الراحة والاستمتاع.

بلاديوس: بالتأكيد لا.

كيرلس: إذن نخرج باستنتاج مؤداه أن النجاح والسمعة الطيبة سيكونان من نصيب هؤلاء الذين يحبون التعب والجهاد، وأنه بدون جهاد لا يستطيع أحد أن يقتني المجد.

بلاديوس: هذا منطقي.

كيرلس: يجب إذن يا بلاديوس، أن نتقدم مباشرةً نحو ما يستحق الثناء، وأن

الوقتية مستسلماً للمتُع الدنيوية وإستحسن إشباع بطنه وإحتقر الرجاء ولم يتملكه الشوق للأرض التي وعدَّ بها الله لأبيه، متجاهلاً تماماً أن الأتعاب دائماً تسبق إعطاء الواهب. لأن لا أحد يكتسب المكافآت الحسنة بدون مشقة وتعب. إذن، لم يعرف الشعب الإسرائيلي أن يميز، ولا واجه الشهوات بقوة وثبات" جيلافيرا على سفر الخروج، الكتاب الشهري نوفمبر ٢٠١١.

نسعى إلى الشجاعة وطيبة النفس التي تقود إلى الفضيلة التي يمدحها كثيراً جداً الكتاب الموحى به من الروح، وهي التي استأثرت بنفوس القديسين الذين أحبوها. ولهذا قال داود العظيم لكل هؤلاء الذين يضعون نصب أعينهم هذه الفضيلة: "لتتشدد ولتتشجع قلوبكم يا جميع المنتظرين الرب" (مز ٣١: ٢٤). وهذا بالضبط ما قد اختبره (داود) أكثر من كل الأشياء الأخرى، إذ يفتخر ويقول: "الرب نوري وخلاصي ممن أخاف. الرب حصن حياتي ممن أرتعب" (مز ٢٧: ١). صحيح أن عثراتٍ لا حصر لها تحيط بنا، وجمع لا يُحصى من الأرواح الشريرة يحرِّضوننا على الخطية، كما تهاجمنا أيضاً الغرائز غير المروَّضة المغروسة فينا، ومحبة المال والأطماع، مع الأمور الأخرى الناتجة عنها مثل القتل، والفساد، والكراهية، والنميمة. فلا داعٍ إذن للكلام عن الذين ينخدعون بسهولة بمثل هذه الأمور، ولا عن الجهد الذي يتحملونه لممارسة هذه الأمور المعيبة، إذ أنهم يقتربون منها مستسلمين للأعداء مقدمين لهم فوزاً رخيصاً، كنبات البنجر الذي لم يُسلق جيداً وفقاً لقول النبي (إش ٥١: ٢٠) كما لو كانوا ملقين على الأرض ومرتعدين بدون اشتباك تحت براثن الخطية.

وبالعكس، فإن كل الذين يحبون الفضيلة والصلاح[1] ويشتهون المجد السماوي ويشتاقون لنوال الحياة الأبدية، يواجهون الشهوات التي تهاجمهم ببسالة وجرأة، مميتين نزوات الجسد، ومنتصرين على الأهواء التي تثور في داخلهم. هكذا يصدّون كل أنواع الشرور والخطايا بفطنة عظيمة، إذ يعيشون حياةً مقدسةً بلا لوم. هؤلاء يقول لهم بولس العظيم: "فَاثْبُتُوا مُمْنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ، وَحَاذِينَ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادِ إِنْجِيلِ السَّلاَمِ. حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الإِيمَانِ، الَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ

١ـ حياة الفضيلة تأتي بالتشبه بالقديسيين كما يقول القديس كيرلس: "أولئك الذين اختاروا الحياة الفُضلى يعجبون بحياة القديسين، إذ أن الكلام لا يكفي لوصف بهاء حياة القديسين. فالقديسون هم مثال جميل للذين يريدون أن يحيوا بالتقوى لأنهم كرزوا بكافة الطرق عن أسلوب الحياة الجميلة والفاضلة، وهو الأسلوب المرضي عند الله. ولست أنا فقط بل الكتاب المقدس نفسه يحثنا على أن نتمثل بنهاية سيرة هؤلاء القديسين وبإيمانهم وأن نتبع آثار الفضيلة الموجودة فيهم. لأنه من العبث إنه بينما نجد علماء في علوم متنوعة قد تتلمذوا لأساتذة من الذين سبقوهم، ويتفاخرون بأنهم يطبقون بدقة ما هو صحيح من جهة العلوم إعتماداً على هؤلاء الأساتذة، فإننا نحن الذين نقصد أن نحيا في الفضيلة لا نثبّت عيون أذهاننا على منهج حياة القديسين الأقدمين لكي نتعلّم منهم الأمور التي بها يستطيع المرء أن يصير متمرساً ومختبراً أمام الله، ويملأ ذهنه بمعرفة طريقة الحياة الفاضلة" جيلافيرا التكوين، الكتاب الشهري، ابريل ٢٠٠٧.

الشِّرِّيرِ الْمُلْتَهِبَةِ" (أف ٦: ١٤ - ١٦). أي أن هذه الأسلحة الروحية[1] هي التي تناسب القديسين، والتي يجب علينا نحن أيضاً أن نقتنيها، كما يأمرنا مخلصنا نفسه بقوله: "لِتَكُنْ أَحْقَاؤُكُمْ مُمَنْطَقَةً (مربوطة) وَسُرُجُكُمْ مُوقَدَةً" (لو ١٢:٣٥)[2]. وكلمة "منطقوا" تشير إلى الأحقاء الممنطقة جيداً والمحكمة تماماً اللازمة للجهاد والتعب[3] لأجل الصلاح ومحبة الله. وعبارة "البسوا أحذيتكم" تشير إلى الاستعداد والتهيؤ للرحيل من العالم، ولكي نستطيع ونحن هنا في العالم أن نسلك حسب إرادة الله. وعبارة "السرج موقدة" تشير إلى أنه لا توجد حياة في الظلام، ظلام الجهل، لكن بنور المسيح يمكننا أن نسلك في أي أمر يستحق التقدير والثناء. ولذلك نادى المسيح اليهود الذين رفضوا أن يفعلوا هذا قائلاً: "اَلنُّورُ مَعَكُمْ زَمَاناً قَلِيلاً بَعْدُ فَسِيرُوا مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ لِئَلَّا يُدْرِكَكُمُ الظَّلاَمُ" (يو ١٢:٣٥). إذن الاستعداد والتهيؤ للفضيلة والشجاعة المرتبطة بالتدبير الحكيم، كل هذه تجعل محبة التقوى ساطعة وظاهرة.

بلاديوس: لقد أصبت جداً في حديثك.

كيرلس: الإنسان لا ينال المكانة المرموقة بمحبة الاسترخاء والراحة، بل بالجهاد، فباحتماله للمتاعب يصير مرموقاً وينال التكريم. فعندما كان الإسرائيليون في مصر،

١- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم في نفس السياق: "الإيمان هو حصن لكل الأسلحة، إن لم يكن لدينا إيمان، فإن هذه الأسلحة ستتحطم سريعاً. يقول "حاملين فوق الكل ترس الإيمان". ماذا يعني بقوله "فوق الكل"؟ أي فوق الحق والبر وإستعداد إنجيل السلام. أي أن كل هذه هي ضرورية للإيمان. ومن أجل هذا أضاف "وخذوا خوذة الخلاص". أي ستقدروا بالإيمان أن تحيوا في أمان، وتتجنبوا كل خطر. لأنه تماماً كما أن الخوذة، تُغطي الرأس من كل جانب، ولا تسمح بأن تُصاب بأي أذي، بل تُنقذها، هكذا الإيمان أيضاً يصير كترس آخر، وخوذة أخرى للخلاص. فإن أطفأنا سهام الشرير، سنقتني على الفور الأفكار الخلاصية، التي لن تسمح بأن يُعاني الذهن من أي أذى أو شر. لأنه إن خَمَدَت الأفكار العدائية، فإنه سرعان ما ستُولد داخلنا الأفكار التي تُخلصنا والتي ستُثبّت رجاءنا، وستُهيمين على أذهاننا، تماماً مثل الخوذة على الرأس" تفسير أفسس، ترجمة د.سعيد حكيم مراجعة د. جورج عوض، ص ٣٥٠.

٢- بحسب نص كيرلس وردت الآية هكذا: "ليكن وسطكم مربوطاً وأحذيتكم في أرجلكم وسرجكم موقدة".

٣- يقول القديس كيرلس في نفس السياق حين يفسر الأصحاح الثاني عشر من إنجيل لوقا المعني الروحي لهذا الإستعداد: "لا يقل أحد إنه يريد أن تكون أحقاؤنا الجسدية ممنطَقَة، ولنا مصابيح موقدة فى أيدينا. مثل هذا التفسير يناسب الغباء اليهودي فقط، ولكن قوله لتكن أحقاؤكم ممنطقة يعني به استعداد الذهن أن يعمل باجتهاد فى كل أمر جدير بالمديح. مثل أولئك الذين ينكبُّون على الأتعاب الجسدية، وينشغلون بأعمال شاقَّة يلزم أن تكون أحقاؤهم ممنطقة. والمصباح حسب الظاهر يُمثّل، يقظة القلب والفرح العقلي. ونقول إن الذهن البشري يكون يقظاً عندما يَطرُد (عنه) كل ميل إلى الكسل الذى هو غالباً الوسيلة التى تؤدِّي إلى الاستعباد لكل أنواع الشرور، فحينما يستغرق فى السبات، فإن النور السماوي الذي في داخله يتعرَّض للخطر، بل وقد يكون قد وقع فى الخطر فعلاً بسبب عاصفة ريح عنيفة، لذلك يأمرنا المسيح أن نسهر، فلهذا تلميذه أيضاً ينهضنا بقوله: " اصحوا واسهروا" (١بط ٥: ٨)، وأكثر من ذلك فإن بولس الحكيم جدًّا أيضاً يقول: "استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح" (أف ٥: ١٤)" تفسير إنجيل لوقا، ترجمة الدكتور نصحي عبد الشهيد، ص ٤٣٨.

وضع عليهم فرعون الشرير رؤساء مشرفين مرعبين وقساةً، الذين فرضوا عليهم أعمالاً شاقة، فكل أنواع القسوة والتعذيب فُرضت عليهم إجبارياً، ولكن الإسرائيليين استفادوا منها ولم يتضرروا. وكان فرعون يخاف من العبرانيين وهو يراهم يتزايدون كثيراً، لذا حاول أن يوقف نموهم واتحادهم. ويقول الكتاب: ''فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءَ تَسْخِيرٍ لِكَيْ يُذِلُّوهُمْ بِأَثْقَالِهِمْ'' (خر ١:١١). لكن هذا التفكير أتى بنتيجة عكسية. لأن الإذلال الذي فُرض عليهم، كان سبباً في نموهم. فقد دبر الله الأمر، إذ أمام مكائد فرعون نجد نعمته الخاصة، لأنه يقول: ''وَلَكِنْ بِحَسْبِمَا أَذَلُّوهُمْ هَكَذَا نَمُوا وَامْتَدُّوا'' (خر ١:١٢).

هكذا يجلب الشيطان الأحزان[1]، ويصرُّ بأسنانه على القديسين، إذ يهاجم هؤلاء الذين هم خاصة الله، ويحاول الانقضاض عليهم واحداً فواحداً، وهم ''طعامه المسمّن'' كما هو مكتوب (حب ١:١٦). لكن هؤلاء الذين يعانون من هذه الأمور، سيصيرون أفضل بفضل هذه التجارب؛ فبالصبر والاحتمال[2] في هذا الجهاد يكتسبون مجداً أكثر، حتى أن أموره الشيطانية التي كان يدبرها للإيقاع بهم في براثن الشر قد تحولت –دون أن يقصد– إلى فائدتهم. هكذا جعلتهم الأمور التي ظن أنه سينتصر عليهم بها، أكثر قوة.

وبما أن مكيدة فرعون كان لها نهاية غير متوقعة، وتحولت تلك الأمور التي صنع بها الشر معهم لفائدتهم، فقد أدرك الأمر متأخراً ولذلك غيَّر أسلوبه في السيطرة عليهم. لأنه يقول دعا فرعون قابلتي العبرانيات: ''وَقَالَ: «حِينَمَا تُوَلِّدَانِ الْعِبْرَانِيَّاتِ وَتَنْظُرَانِهِنَّ عَلَى الْكَرَاسِيِّ إِنْ كَانَ ابْناً فَاقْتُلاَهُ وَإِنْ كَانَ بِنْتاً فَتَحْيَا». وَلَكِنَّ الْقَابِلَتَيْنِ خَافَتَا اللهَ وَلَمْ تَفْعَلاَ كَمَا كَلَّمَهُمَا مَلِكُ مِصْرَ بَلِ اسْتَحْيَتَا الأَوْلاَدَ'' (خر ١:١٦ – ١٧). وحيث إن شره ضد جنس العبرانيين ظل عبثاً وبلا

١- فخ الشيطان هو الطمع، وهذا ما أراده المسيح ان نحذر منه حين قال: ''انظروا وتحفَّظوا من الطمع''، ويؤكده أيضاً القديس كيرلس، قائلاً: '' فخ الشيطان، أي الطمع، وهو أمر مكروه من الله، والذى يدعوه الحكيم بولس ''عبادة الأوثان'' (كو ٣:٥)، ربما لأنه يتناسب فقط مع أولئك الذين لا يعرفون الله، أو كأنَّهم مُتساوون في الدنس مع أولئك الناس الذين يختارون عبادة الأصنام والحجارة. إنه فخ الأرواح الشريرة، الذى بواسطته يحدِرون نفس الإنسان إلى شباك الهاوية'' تفسير إنجيل لوقا، مرجع سابق، ص ٤٢٥.

٢- يقول القديس كيرلس في موضع آخر عن الصبر: ''الذِّهن الصبور المحتمِل الشجاع، هو سلاح القديسين الذى لا يمكن اختراقه، لأنه يجعلهم مزكين ومتألقين بمدائح التقوى. أخبَرَنا أحد الرسل القديسين مرَّة قائلاً: ''بصبركم تقتنون أنفسكم'' (لو ٢١: ١٩) وفى مرَّة أخرى: '' لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد'' (عب ١٠: ٣٦). بمثل هذه الفضائل الرجولية نصير مشهورين وجديرين بالثناء، ولنا صيت بين الناس فى كل مكان، ومستحقين لكل الكرامات والبركات المعَدَّة للقديسين، وحتى تلك البركات التى ''لم ترها عين ولم تسمع بها أذن'' (١كو٢: ٩) كما يقول الحكيم بولس'' تفسير لوقا، مرجع سابق، ص ٤١٥



جدوى -إذ أن الله لم يترك القابلتين لتفعلا هذا الأمر- استمر فرعون في تعسفه الواضح. فهو لم يرد أن يذلهم (بالطريقة الأولى)، لكنه شرع في حربٍ بلا هوداه، وكرر موتاً شنيعاً للأطفال حديثي الولادة، لأنه يقول: "ثُمَّ أَمَرَ فِرْعَوْنُ جَمِيعَ شَعْبِهِ قَائِلاً: كُلُّ ابْنٍ يُولَدُ تَطْرَحُونَهُ فِي النَّهْرِ لَكِنَّ كُلَّ بِنْتٍ تَسْتَحْيُونَهَا" (خر ١: ٢٢). بالتأكيد لم يعط اهتماماً بالبنات، لأن المرأة بطبيعتها لا تحب الحرب، وذكاءها لم يكن ذو أهمية عنده. بينما الذكر يزعجه؛ إذ أنه ذو حكمة وفطنة في الحرب.

إن التنين بتعطشه للدماء؛ أي الشيطان، يفرح ويُسرّ بطبيعة النساء الضعيفة وعدم القدرة على الحرب، وعدم الدراية بفنون الحرب. على العكس، فهو يحارب حياة التأهب والاستعداد، التي هي أفضل من الرخاوة، وبسبب امتلاكها للمعرفة تنتصر على الخوف. لذلك ترك الأنثى لتعيش، ولم يحكم عليها بالموت. لأنه من الغباء أن يحارب أولئك الذين خضعوا له بإرادتهم، ولهم في أنفسهم ميل لأن يصيروا عبيداً. ولكنه يُغرق الذكور طارحاً إياهم في التجارب والمخاطر. وهذا ما يبدو لي عندما يرنم داود العظيم ويقول: "لَوْلاَ الرَّبُّ الَّذِي كَانَ لَنَا. لِيَقُلْ إِسْرَائِيلُ: لَوْلاَ الرَّبُّ الَّذِي كَانَ لَنَا عِنْدَ مَا قَامَ النَّاسُ عَلَيْنَا. إِذاً لاَبْتَلَعُونَا أَحْيَاءً عِنْدَ احْتِمَاءِ غَضَبِهِمْ عَلَيْنَا. إِذاً لَجَرَفَتْنَا الْمِيَاهُ لَعَبَرَ السَّيْلُ عَلَى أَنْفُسِنَا. إِذاً لَعَبَرَتْ عَلَى أَنْفُسِنَا الْمِيَاهُ الطَّامِيَةُ" (مز ١:١٢٤ – ٥).

بلاديوس: نعم هكذا.

كيرلس: لاحظ إذن الطريقة التي صارت بها السيطرة. فهو أولاً كان يعذّبهم مسبباً لهم آلاماً شنيعة، وهو بخبثٍ عظيم ومكر ودهاء وبكافة الطرق لم يدخر وسعاً في أن يسبب لهم شراً، حتى يعوقهم عن الازدياد والنمو. وحتى في الوقت الذي كان فيه الظلم مستتراً، ولم يكن هدف الطاغية قد ظهر، إلّا أنه، كما قلت من قبل، فإن الله الرحوم بنعمته، حارب ضده. هكذا بينما أذلوهم فإنهم ازدادوا بالأكثر في القوة والعدد. وفيما بعد أراد الطاغية أن يسلط عليهم القابلات العبرانيات، ولكن الرب لم يسمح بهذا. وكطريقة ثالثة وأخيرة للسيطرة، أمر فرعون كل شعبه بأن يُغرقوا أولاد بني إسرائيل الذكور. إذن كل الذين يملكون الشجاعة يحاربهم الشيطان بطريقة غير منظورة

ويخطط مكيدته بطريقة ثلاثية، فيبدأ المحاربات بأفكار شريرة لكي يعطل تقدم الذهن في الفضيلة، ويوقع عليهم عذابات وآلام مرعبة، موقعاً إياهم في صراعات قاسية. وعندما لا يستطيع إيذاءهم بأية طريقة من هذه الطرق، بفضل حماية الله، فإنه كثيراً ما يحرِّض الذين هم مثلنا في الإيمان والجنس لكي يكرهوننا ويحاربوننا. وهذا ما يؤكده بولس قائلاً: "بِأَسْفَارٍ مِرَاراً كَثِيرَةً. بِأَخْطَارِ سُيُولٍ. بِأَخْطَارِ لُصُوصٍ. بِأَخْطَارٍ مِنْ جِنْسِي. بِأَخْطَارٍ مِنَ الأُمَمِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْمَدِينَةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَرِّيَّةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَحْرِ. بِأَخْطَارٍ مِنْ إِخْوَةٍ كَذَبَةٍ" (٢ كو ١١: ٢٦). وإذا حدث وأخفق في هذا بسبب أن حامي القديسين يرسل عليهم (أي على الذين هم من بني جنسنا) خوف الله، كما حدث قديماً مع القابلات العبرانيات، فهو يستعمل علانيةً كل أسلحته، مثيراً الرعب لهم بالفتك والقتل. إذن فلنتمسك هكذا بالمحبة التي تقود إلى الجرأة والشجاعة، دون أن نجهل أن كل ما يبغضه ذاك (الشيطان) هو ذو قيمة عند الله. لأن كل من يرتفع فوق التنعُّم[1] يعمل له الشيطان حساباً عظيماً ويحزن لأنه لم يستطع الإيقاع به.

بلاديوس: أصدقك. لكن نستطيع على ما أعتقد، أن نرى الأمر من الكتاب المقدس نفسه. بالتأكيد أنت تفهم كل هذه الأمور.

التعداد الأول لبني إسرائيل

كيرلس: إذن، بنعمة الله، مكتوب في سفر العدد بواسطة موسى: "وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى فِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ الثَّانِي فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِخُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ: «أَحْصُوا كُل جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيل بِعَشَائِرِهِمْ وَبُيُوتِ آبَائِهِمْ بِعَدَدِ الأَسْمَاءِ كُل ذَكَرٍ بِرَأْسِهِ. مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِداً كُل خَارِجٍ لِلحَرْبِ فِي إِسْرَائِيل. تَحْسِبُهُمْ أَنْتَ وَهَارُونُ حَسَبَ أَجْنَادِهِمْ" (عدد ١:١ – ٣). أي أن الذكور[2] والمحاربين

١- عن التنعم وعلاقته بالجسد والنفس يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "الجسد يشتهي، لكن ليس النجاسة ولا الزنا، بل يشتهي الإتحاد (الزيجي) بالآخر، الجسد يشتهي الطعام لا التنعم، ولا المسكرات، بل شرب الماء. لأنه من حيث أن الجسد لا يشتهي المسكرات، فهذا ما يتضح لك من خلال حدود إمكانياته التي لا يستطيع أن يتخطاها إذا أراد الشراب. هذا ما يتعلق بالجسد، أما عندما يصل إلى حالة الأنغماس في الملذات ويسمُن فالأمر هنا يتعلق بشهوة النفس". تفسير أفسس، مرجع سابق، ص ٩٧.

٢- عند القديس كيرلس الذكر يشير إلى رجولة الإيمان أما الأنثى برقتها تشير إلى ضعف الإيمان، ونعتقد انه لا يقصد أي تفرقة بين الذكر والأنثى في حد ذاتهما، فالكل واحد في المسيح، وهذا ما يؤكده في سياق حديثه عن ولادة موسى: "قبل

الذين نضجوا في العمر، أي الذين وصلوا إلى النضج الروحي وإلى قياس قامة ملء المسيح (أنظر أف ٤:٣)، قد صُنِّفوا في السجل الإلهي أي في سفر الله، وهذا يمكن أن يصير واضحاً جداً بالآتي: أحصى الذكور من ابن عشرين سنة فصاعداً، ليس لأي سبب آخر، كما أعتقد، إلَّا لكي نستطيع أن نفهم نحن أن هذا له دلالة وقيمة، بمعنى أنه يستبعد كل من هو غير مختبر وضعيف وغير كامل عقلياً، الأمر الذي يتمشي بالحرى مع صغار السن والذين لم يصلوا إلى مقياس النضج الذي حدده الناموس الإلهي، أي ابن العشرين. فابن العشرين الذي وصل إلى سن النضوج من الذكور هو ذو قيمة ومكانة ومعترف به من قِبل الله. لأن المسيح هكذا قال لرسله القديسين عندما صاروا رجالاً في الإيمان، وقد وصلوا إلى هذه الدرجة الذهنية الناضجة: "لاَ تَفْرَحُوا بِهَذَا أَنَّ الأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ" (لو ١٠:٢٠). ومرةً أخرى أيضاً: "أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحَتَّى شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ" (مت ١٠: ٢٩ - ٣٠). وكونه يقول إن الشعور محصاة، هو برهان على عنايته الفائقة بهم[1].

إذن، الذكر الناضج مكتوبٌ في سفر الله. وقد صار التسجيل عن طريق موسى وهارون، فعن طريق الاثنين معاً، المشرع موسى وهارون رئيس الكهنة نُدرك المسيح الواحد الذي صار لنا مشرعاً، وأيضاً رئيس كهنة قدوس بلا شر، وبواسطته صار التسجيل في السفر الإلهي لكل الذين هم في مرحلة النضوج ومتميزين في الفضيلة. إلى هؤلاء يتوجه يوحنا الحبيب قائلاً: "أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ لأَنَّكُمْ قَدْ غَلَبْتُمُ الشِّرِّيرَ" (١ يو ٢:١٣).

مجيء مخلصنا لم يكن هناك على الأرض أي ذكر ليس في خطر. والذكر يشير إلى هذا الذي يتميز برجولته الروحية، وثمار هذه الرجولة كانت الأمور التي يُسر بها المسيح. إذن، كان الذكور في خطر، طالما أن الشيطان بواسطة الملذات العالمية يلقيهم في البرك والمستنقعات، ويُغرق الذين هم غير قادرين وضعفاء ولهم تصرفات أنثوية، أقصد من جهة الأخلاق والسلوك الضعيف. لأجل هذا حين رأى حاملو الروح الشجعان والعظماء إنحراف وزيغان الجميع، قالوا: " الكل قد زاغوا معاً فسدوا. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد. ألم يعلم فاعلوا الإثم الذين يأكلون شعبي كما يأكلون الخبز والله لم يدعوا" (مز ١٤:٣، ٥٣:٤). لأن الصلاح لا يُمارسّ من كل البشر، لأن مبتدع الخطية لا يتركهم لكي يتصرفوا برجولة" جيلافيرا على سفر الخروج، المقالة الأولى، الكتاب الشهري يونيو ٢٠٠٩.

١- قمة عناية الله بنا كما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم أن الله إختارنا فيه قبل تأسيس العالم، في شرحه لآية أفسس "كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ" (أف ١:٤)، إذ يقول: "إن كل الأمور المختصة بنا، ليست خططاً حديثة، بلَ هي معدَّة هكذا من السماء، ولم تتغير عن الهدف الذي كان منذ البدء، بل تدبّرت وتعيَّنت هكذا منذ البداية، وهذه علامة تثبت العناية الأبوية العظيمة" تفسير أفسس، ص ٣٨



هؤلاء إذن هم أولئك الذين تحدثنا عنهم سابقاً ”مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِداً كُل خَارِجٍ لِلحَرْبِ فِي إِسْرَائِيل“ (عدد ١:٣). هؤلاء يستحقون كل الرعاية والاهتمام، لأن الخالق يحب الفضيلة: ويمكنك أن تتحقق من هذا يا بلاديوس، من كل ما هو مكتوب. قال الله أيضاً إلى الاثنين، موسى وهارون: ”وَيَكُونُ مَعَكُمَا رَجُلٌ لِكُلِّ سِبْطٍ هُوَ رَأْسٌ لِبَيْتِ آبَائِهِ. وَهَذِهِ أَسْمَاءُ الرِّجَالِ الذِينَ يَقِفُونَ مَعَكُمَا“ (عدد ١:٤ – ٥). أي أن كل سبط يعين مَن كان ذو سمعة طيبة، رأساً لبيت آبائه ومدافعاً مخلصاً ورئيساً ومقدماً للأعمال ينوب عن أهل بيته، وهؤلاء الرؤساء يمكن اعتبار الملائكة كنماذج لهم، فالملائكة يشرفون على المختارين والمكتوبين في سفر الحياة. لأنه مكتوب لكل بار ”ملاك الله حال حول خائفيه وملاك حضرته ينجيهم“ (مز ٣٣:٨). فإننا بمساعدة الملائكة نخلص حسب إرادة الله. وهذا الأمر واضح من جميع الجوانب، وأعتقد أنه ليس من المفيد أن أقدم شهادات على ذلك، ولكن بالطبع هذا ممكن لكل من يريد وهو بالحرى سهل جداً.

بلاديوس: بالتالي وفقاً لنموذج موسى وهارون، يكتب المسيح أسماء[1] الذين وصلوا إلى مرحلة النضج.

كيرلس: هكذا أقول. وسوف يتضح هذا الأمر مما يقوله دانيال الطوباوي، الذي هو جدير بالثقة.

بلاديوس: ما الذي تقصده؟

كيرلس: رأى دانيال الآب في رؤيا وهو في صورة شيخ، متوج بشعرٍ أبيض وملابس لامعة مثل الثلج وقال: ”كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَاناً وَمَجْداً وَمَلَكُوتاً لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ“ (دا ٧: ١٣ – ١٤).

١ـ يؤكد القديس يوحنا ذهبي على أننا صرنا من ضمن رعية الله وأسمائنا مكتوبة عند الله في سياق شرحه لآية افسس :”فَلَسْتُمْ إذاً بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلاً، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ“ (أف ٢:١٩) إذ يقول: ”أرايت كيف أنه أعلن عن أننا رعية مع القديسين، وأن الوعد ليس فقط لليهود، بل أيضاً لأولئك الرجال القديسين والعظماء مثل إبراهيم ومَن كان معه، وموسي، وإيليا؟ لقد سجل أسماءنا في نفس الرعية. لأنه يقول ”الذين يقولون مثل هذا يظهرون أنهم يطلبون وطناً“ لسنا بعد غرباء عن القديسين ولا نُزلاء. لأن النُزلاء هم أولئك الذين لن ينالوا الخيرات السمائية. لأن ”الإبن يبقي إلى الأبد“. يقول ”وأهل بيت الله“ فالذي ناله أولئك منذ البداية بأتعاب كثيرة، هذا قد تحقق لنا بنعمة الله. هذا هو رجاء الدعوة“ تفسير أفسس، مرجع سابق ص ١٠٠.

عندما صار الوحيد الجنس في شكلنا، عندئذٍ فُتحت الأسفار لكي يغفر الله خطايا المذنبين، وأعطى الرجال الشجعان أن يسجلوا أسماءهم ويصلوا إلى الصفوف السماوية وأن يصيروا محفوظين في ذاكرة الله. اسمع داود الطوباوي وهو يرتل عن أولئك الذين استهانوا بالمسيح قائلاً: "ليُمحَوا من سفر الأحياء ومع الصديقين لا يُكتبون" (مز ٦٩:٢٨)، لأنهم سقطوا بسبب فكرهم الضعيف، وبسبب جبنهم لم ينجحوا في السير مع المسيح. ورغم أن الآب بمحبته للبشر وجَّه لهم الدعوة، فقد دُعُوا إلى الأفراح، لكنهم استجابوا لدعوة العشاء بخمول ولا مبالاة، فأحدهم قال: "اشْتَرَيْتُ حَقْلاً"، والآخر: "إِنِّي تَزَوَّجْتُ بِامْرَأَةٍ فَلِذَلِكَ لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَجِيءَ" (لو ١٤:١٨ - ١٩). وفي كل مكان، تسمعهم يقولون: لا نستطيع، وذلك بسبب أن الذهن البشري الذي استسلم لحب اللذة العالمية[1]، خاملٌ وضعيف عن أن يعمل وصايا الله. وسوف لا يكون لهذا العقل البشري نصيب الاشتراك في العُرس السماوي.

بلاديوس: إذن فالذين هم في سن القوة والشجاعة، والناضجون ذهنياً، هؤلاء سوف يأخذون مكاناً في سجل الله وفي سفر الأحياء، بينما كل الذين ليسوا مثلهم لن يُسجلوا في السفر، أليس كذلك؟

كيرلس: لو تمعَّنت كل ما هو مكتوب بدقة ويقظة، سوف تعلم الحقيقة. لأن التسجيل لم يشمل الذين هم في سن العشرين فقط، لكن الأمر يخص كل ذكر. ألا تفهم ما أقوله؟

بلاديوس: إني أفهم.

كيرلس: إذن، لو عرفنا ماذا تعني الشجاعة حسب المسيح، وما هي طريقة هؤلاء الشجعان لكي يقتنوا الفضيلة بنجاح، فهؤلاء الذين وصلوا إلى هذه المرحلة سيكون لهم تسجيل خاص بهم، إذ هم محاربون شجعان ومعرفتهم أسمي

١- يحذرنا القديس يوحنا ذهبي الفم من اللذة أثناء تفسيرة لآية أفسس: "مِنْ أَجْلِ ذلِكَ احْمِلُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشِّرِّيرِ، وَبَعْدَ أَنْ تُتَمِّمُوا كُلَّ شيء أَنْ تَثْبُتُوا" (أف٦:١٣)، إذ يقول: فإن كانت هناك حروب، وقوات، وإن كان الرؤساء غير جسدانيين، وإن كان هناك ولاة العالم، وأجناد الشر الروحية، أخبرني، كيف ستحيا حياة هانئة؟ وكيف تقضي حياتك في ترف وإسراف؟ كيف يمكننا أن ننتصر ونحن غير مسلحين؟ فليقل كل واحد لنفسه هذا الكلام كل يوم، حين يسود عليه الغضب، وشهوة الأمور المادية، ويطلب اللذة، ويسعي في أثر هذه الحياة الباطلة. فليستمع للمطوب بولس الذي يقول: "فإن مصارعتنا ليست مع لحم ودم بل مع رؤساء مع السلاطين". هذه الحرب هي أكثر صعوبة من الحرب المادية، فالمعركة عنيفة. عليك أن تُدرك كم من الزمن يصارع ذاك، ومَن يصارع، فلتحمل سلاح الله، حتى تُؤّمن نفسك (من سهام العدو)" تفسير أفسس، مرجع سابق ص ٣٢٩.



من المعرفة الطفولية. حينئذٍ ألا يتناسب مع كل واحد منا يا صديقي، أن يكون له موضع خاص به، وسجل لائق ومجد يتناسب مع بهاء الأعمال؟

بلاديوس: أوافق على هذا.

كيرلس: ولا ينبغي أن يغيب عنا أنه لن يكون لأحد مكاناً بين الرسل والقديسين إن لم يتشبَّه بهم.

بلاديوس: هذا صحيح.

كيرلس: وأيضاً فإن كل من لا يتشبّه بالمستنيرين والسائرين في كل أنواع الفضيلة، والذين نجحوا في الحياة، لن ينضم إليهم، بل سوف يرث بحسب القياس الذي يتناسب معه[1].

بلاديوس: لقد أصبت.

كيرلس: بناءً على ذلك، طالما آمنّا بالمخلص وفادي الكل، وقد اغتنينا بالمعمودية، ولبسنا قوةً من الأعالي مختومين بالروح القدس، فقد دخلنا في عداد الذكور وكُتبنا في سفر الله[2]. ولكن يوجد هنا اختلاف ما، إذ أن القديسين هم أقرب إلى الله، فالإيمان بالمسيح هو واحد، لكن ليس كل الذين آمنوا لهم نفس طريقة المعيشة، فالبعض يحيون هكذا والآخرون غير ذلك، وفق كلام بولس الطوباوي (أنظر ١ كو ٧:٧). إذن كل الذين يهتمون بالتقوى اهتماماً عظيماً، وهم لذلك أكثر قداسة، هؤلاء يكونون في الموضع الأول في السجل الإلهي وفي فكر الله، أمَّا الذين هم أقل قداسة، بسبب أنهم أقل في الفضيلة، فهؤلاء يكونون في المرتبة الثانية.

بلاديوس: وكيف يمكن أن يصير هذا واضحاً؟

١- يشرح القديس يوحنا ذهبي الفم هذه الحقيقة في سياق تفسيره لآية أفسس: "بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ، الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّباً مَعاً، وَمُقْتَرِناً بِمُؤَازَرَةِ كُلِّ مَفْصِلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحَصِّلُ نُمُوَّ الْجَسَدِ لِبُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ" (أف ٤:١٥ ـ ١٦)، إذ يقول: "إن المعني الذي يقصده هو الآتي: تماماً مثل الفكر الذي يخرج من العقل عن طريق الأعصاب، ولا يُعطي التأثير لكل الأعضاء بشكل عام، بل لكل عضو بالقياس الذي يتناسب مع إمكانية ذلك العضو على إستقبال هذا، فيوجد عضو يتأثر كثيراً وآخر يكون تأثره ضئيلاً، لأن الفكر هو الأصل أو الجذر، هكذا المسيح أيضاً، فإن النفس مَتحدة به كعضو، وعنايته بها ومنحه للمواهب، تُعطي حسب قياس كل واحد، ويُعطى النمو بحسب قدرات كل عضو. ماذا تعني كلمة "بِمُؤَازَرَةِ ؟" أي بواسطة الإحساس لأن الروح الذي يُمنح من الرأس إلى الأعضاء، يصبح له عمل وفاعلية، حين يأتي في تماس وإتصال مع كل عضو" تفسير أفسس، مرجع سابق ص ١٨٤.

٢- هنا يتحدث القديس كيرلس على المؤمنين بشكل عام سواء كانوا ذكور أم إناث لأن الجميع يؤمنون بالمسيح وينالوا غنى المعمودية، الأمر الذي أشرنا إليه من جهة أنه لا يميز ولا يفرق بين الذكر والأنثى.



إحصاء بني لاوي

كيرلس: هذا يتضح من الكتب المقدسة؛ لأن كلامنا ليس بلا سند. فبعد الإحصاء الذي صار للذكور، ولكل الذين كانوا في سن الشباب، تكلم إله الجميع عن طريقة أخرى كما يلي: ''وَأَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى فِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ: «عُدَّ بَنِي لاوِي حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمْ عَشَائِرِهِمْ. كُل ذَكَرٍ مِنِ ابْنِ شَهْرٍ فَصَاعِداًتَعُدُّهُمْ». فَعَدَّهُمْ مُوسَى حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَمَا أُمِرَ'' (عدد ٣: ١٤ – ١٦). وعندما صار التسجيل هكذا بحسب العشائر وبيوت الآباء، يضيف مباشرة قائلاً: ''وَجَمِيعُ المَعْدُودِينَ مِنَ اللاوِيِّينَ الذِينَ عَدَّهُمْ مُوسَى وَهَارُونُ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ بِعَشَائِرِهِمْ كُلُّ ذَكَرٍ مِنِ ابْنِ شَهْرٍ فَصَاعِداًاثْنَانِ وَعِشْرُونَ أَلفاً'' (عدد ٣: ٣٩). لكن يضيف مباشرة ويقول: ''وَقَال الرَّبُّ لِمُوسَى: «عُدَّ كُل بِكْرٍ ذَكَرٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل مِنِ ابْنِ شَهْرٍ فَصَاعِداًوَخُذْ عَدَدَ أَسْمَائِهِمْ. فَتَأْخُذُ اللاوِيِّينَ لِي. أَنَا الرَّبُّ. بَدَل كُلِّ بِكْرٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيل. وَبَهَائِمَ اللاوِيِّينَ بَدَل كُلِّ بِكْرٍ فِي بَهَائِمِ بَنِي إِسْرَائِيل». فَعَدَّ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ كُل بِكْرٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيل. فَكَانَ جَمِيعُ الأَبْكَارِ الذُّكُورِ بِعَدَدِ الأَسْمَاءِ مِنِ ابْنِ شَهْرٍ فَصَاعِداً المَعْدُودِينَ مِنْهُمْ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ أَلفاً وَمِئَتَيْنِ وَثَلاثَةً وَسَبْعِينَ. وَقَال الرَّبُّ لِمُوسَى: «خُذِ اللاوِيِّينَ بَدَل كُلِّ بِكْرٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيل وَبَهَائِمَ اللاوِيِّينَ بَدَل بَهَائِمِهِمْ فَيَكُونَ لِيَ اللاوِيُّونَ. أَنَا الرَّبُّ. وَأَمَّا فِدَاءُ المِئَتَيْنِ وَالثَّلاثَةِ وَالسَّبْعِينَ الزَّائِدِينَ عَلى اللاوِيِّينَ مِنْ أَبْكَارِ بَنِي إِسْرَائِيل. فَتَأْخُذُ خَمْسَةَ شَوَاقِل لِكُلِّ رَأْسٍ. عَلى شَاقِلِ القُدْسِ تَأْخُذُهَا. عِشْرُونَ جِيرَةًالشَّاقِلُ. وَتُعْطِي الفِضَّةَ لِهَارُونَ وَبَنِيهِ فِدَاءَ الزَّائِدِينَ عَليْهِمْ'' (عدد ٣: ٤٠ – ٤٨). المعنى عميق وصعب الفهم يا بلاديوس حتى يكون بمقدورنا إدراك هذا الأمر بالتفصيل والدقة، أقصد لكيما نعرضه بتوسع هنا.

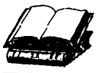
بلاديوس: تتكلم بصواب. لكن دعنا نفحص الأمر، ولنا ثقة في المسيح مانح كل صلاح.

كيرلس: كان كل المطلوب في التسجيل الأول هو أن يكون ذكراً ابن عشرين سنة، أي يتصف بالتعقل والشجاعة والنضوج، حتى يمكنه أن يحقق كل ما يريده الله. وهذا ما تكلمنا عنه بما فيه الكفاية. أمَّا في هذين التسجيلين، فإن كل الذكور من سبط لاوي أُدرِجوا وانضموا إلى الإحصاءات الإلهية المقدسة. لم يشتمل التسجيل الثاني على كل الذكور، بل على الأبكار

فقط، وأُحصي كل الأبكار من شهر فما فوق. وكان إحصاء أطفال اللاويين هو اثنان وعشرون ألفاً، بينما بلغ عدد الأبكار اثنان وعشرون ألفاً ومائتان وثلاثة وسبعون. ثم يشرع الله بعد ذلك، أنه بدلاً من الأبكار فليُكرس أطفال اللاويين. وحيث أن العدد فاق الحد، بمعنى أنه وجد مجموع أطفال الإسرائيليين الآخرين أكثر بمائتين وثلاثة وسبعين طفلاً عن أطفال اللاويين، حكم المشرع بأنه يجب أن يُعطوا سبط لاوى فديةً عن هؤلاء، كأنهم بطريقةٍ ما، تمموا لأجل هؤلاء (سبط لاوى) الطقوس الدينية، وقدموا ذبائح آخذين هذه الفدية عن هؤلاء الأطفال، لأجل تقدمة الخدمة التي هي بلا لوم، والتي يقوم بها سبط لاوى عن الأطفال. ألا تتفق معي بأن هذا هو ملخص كل ما قرأناه؟

بلاديوس: هذا صحيح.

كيرلس: إذن، سأتحدث في هذا الأمر وحديثي لن يبتعد عن هدفنا، إذ أتحدث بقدر الاستطاعة وفق الكلام المنطقي والأوقع. بمعنى أنه يذكرنا بأهمية الشجاعة مع الحكمة، وما تعنيه هذه في المسيح. ومع أنه طلب في المثال إحصاء الذكور بالعمر الجسدي الظاهري، إلّا أنه كان يجب أن يُعلن التسجيل الذي صار في اسم المسيح بالإيمان والمحبة محتوياً على التنوع الذي يمكن للمؤمنين التعرف عليه. فهناك مَن يقبلون الإيمان ويمارسون معه القداسة في أعمال وخضوع لله، بينما آخرين لم يخضعوا لله خضوعاً كاملاً، بل يعيشون مشتتين في أمور هذا العالم. هكذا فالمشرع على حق عندما يأمر بأن يُفضَّل المقدس من بين الاثنين، وهذا يُفهم من اختيار سبط لاوى، ويأمر بأن يكون له الموضع الأول في التسجيل. لأنه يذكر أولاً اللاوي وبعد ذلك يذكر الذكر والبِكر. وبولس العظيم يقول في رسالته إلى أشخاص يعرِّجون من جهة الإيمان مترددين: "يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضاً إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ" (غلا ٤: ١٩). فمن هو بِكرٌ من جهة الخضوع للمسيح وله تعقلٌ عظيم، هو أيضاً مقبول في سفر الله. لاحظ كما قلت من قبل أنه لا يؤخذ أي ولد من الذين ينتمون إلى سبطٍ مختلف، لكن فقط البِكر. لأنه لا يوجد انفصال بين الإيمان وبين الخضوع للمسيح، فالبِكر مقبولٌ في التسجيل والإحصاء، وذلك لأجل البِكر (المسيح) الذي هو بيننا، بين اخوة



كثيرين (رو ٨: ٢٩). لقد سجَّلوا وأحصوا كل ذكور سبط لاوى بدون تمييز؛ لأن المقدَّس بالكامل هو من أهل بيت الله. ويلاحَظ أن الأولاد المعددون هم من سن شهرٍ واحدٍ فما فوق. فما هو المبرر؟ لأن طفولة الذين يؤمنون بالمسيح ليست مرفوضة عند الله، لأن الصغير في السن هو رمزٌ لبساطة المسيح وللطفولة الروحية. وكما قلنا إنه من الأكمل والأفضل للمحاربين التسجيل من عمر عشرين عاماً فما فوق، هكذا فمن الممكن القول إن العلامة المحدِّدة للطفولة في المسيح هي سن الشهر الواحد. وشيءٌ مثل هذا يقوله بولس: "أَيُّهَا الإِخْوَةُ لاَ تَكُونُوا أَوْلاَداً فِي أَذْهَانِكُمْ بَلْ كُونُوا أَوْلاَداً فِي الشَّرِّ وَأَمَّا فِي الأَذْهَانِ فَكُونُوا كَامِلِينَ" (١ كو ١٤: ٢٠).

ضرورة وجود القديسين في العالم

بلاديوس: إذن فنحن نؤمن بأنه سيكون لنا نصيب مع القديسين الذين يُظهرون شجاعة واهتماماً للتقدم في الفضيلة.

كيرلس: بالتأكيد، إذ أنهم مملوؤن حقاً من المواهب الإلهية[1]، وهم يقتنونها بأتعاب ومشقة، ويصلون إلى هذا المستوى بالجهاد المستمر. هكذا يساعدوننا بالعطايا التي أخذوها من محبة الله. لذلك قال بولس العظيم لبعض المؤمنين: "أَنِّي مُشْتَاقٌ أَنْ أَرَاكُمْ لِكَيْ أَمْنَحَكُمْ هِبَةً رُوحِيَّةً لِثَبَاتِكُمْ" (رو ١: ١١). ألا توافق على أن العطية السماوية والموهبة الروحية تجعلنا نعرف الله معرفة صحيحة بلا لوم وتخبرنا عن كل الأمور الحسنة.

بلاديوس: حسناً، طالما أن الأمر حيوي. إن المعرفة الواضحة عن الله الذي هو بالحق خالق الكل، وعن ماهية الحياة والطريق الحسن، كل هذه تقودنا إلى الحياة الدائمة التي بلا نهاية.

١- الإمتلاء بالمواهب هو أحد مفاعيل الروح القدس، إذ يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي: "من الروح القدس قد نلنا الميلاد الجديد (يو ٣: ٥)، وبالميلاد الجديد نلنا الخليقة الجديدة، وبالخليقة الجديدة نلنا معرفة فائقة لسمو الذي خلقنا من جديد ... الروح القدس هو الروح الخالق (مز ١٠٤: ٣٠)، بل هو الذي يجدِّد الخلقة بالمعمودية وبالقيامة. هو الروح الذي يعرف كل شيء، (اكو ٢: ١٠)، وهو الذي يعلمنا كل شيء (يو ١٤: ٢٦). هو الذي يهبُّ حيث يشاء (يو ٣: ٨)، وهو الذي يُرشدنا (إلى جميع الحق) (يو ١٦: ١٣). هو «روح الإعلان» (أف ١: ١٧)، وهو الذي ينير (أف ١: ١٨)، ويُحيي (يو ٦: ٦٣)، بل وهو بذاته النور والحياة. هو الذي يجعلنا هياكل لله (اكو ٣: ١٦)، بل ويؤلهنا أيضاً. هو الذي يسبق ويؤهِّل للمعمودية (أع ١١: ١٧)، وهو الذي من بعد المعمودية نطلبه بإلحاح (لو ١١: ١٣). هو الذي يصنع كل هذه كإله، والذي ينقسم كألسنة من نار (أع ٢: ٣)، ويوزِّع المواهب ١كو١٢: ١١" عظة عن الروح القدس 28:31،29 . SC 250, 232 - 234



كيرلس: بالصواب حكمت. وهذا ما علَّمنا به المسيح نفسه، إذ أعطي وصية للرسل القديسين قائلاً: ''مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا'' (مت ١٠:٨). ومن ناحية أخرى، فإن بهاء القديسين نافعٌ للآخرين، لأن انتصارات أولئك هي انتصاراتٌ لنا، فإن الله المحب يغفر للضعفاء خطاياهم، وفي الوقت نفسه يُلفت النظر إلى الأقوياء المملوءين مجداً. فالإسرائيليون الذين وقعوا في العصيان، هيَّجوا بالضرورة المشرع ضدهم. لأنه أراد أن يفرض العقاب بسبب الخطايا التي تجرَّأ هؤلاء على ارتكابها. فقد أحزنوه بشدة، وقد تحدث النبي إرميا عن هذا الأمر متوسلاً عنهم: ''طُوفُوا فِي شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ وَانْظُرُوا وَاعْرِفُوا وَفَتِّشُوا فِي سَاحَاتِهَا. هَلْ تَجِدُونَ إِنْسَاناً أَوْ يُوجَدُ عَامِلٌ بِالْعَدْلِ طَالِبُ الْحَقِّ فَأَصْفَحَ عَنْهَا؟ .. أَمَّا أَنَا فَقُلْتُ: إِنَّمَا هُمْ مَسَاكِينُ. قَدْ جَهِلُوا لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا طَرِيقَ الرَّبِّ قَضَاءَ إِلَهِهِمْ'' (إر ٥:١، ٤). وفي موضع آخر يقول: إنه سيؤجل لسدوم عقابها بالنار لو وُجد هناك خمسة قديسين وصالحين. إذن مرات كثيرة يكون وجود القديسين سبباً في أن لا يعاقب الله الخطاة في الحال، فإن وجود القديسين يُسكِّن الغضب الإلهي في حينه. هكذا أيضاً، فبالرغم من أنه ليس كل الذين قبلوا الإيمان بالحق، عندهم القوة للوصول إلى هذه الدرجة من الشجاعة في احتمال الأتعاب من أجل الامتلاء من المواهب الإلهية، إلَّا أنهم يمكن أن يشاركوا في مسرات القديسين، إذ أن القديسين يعلِّموهم ويرشدوهم إلى كل ما هو مرضي عند الله ويُظهرون أهمية اشتراكهم في الأعمالِ الصالحة. وهؤلاء (القديسون) كل ما يبلغون إليه بعد مشقة وأتعاب كثيرة يغرسونه في نفوس الآخرين. وبذلك يمكن أن نشترك في بهاء القديسين، إذ نصير مشاركين لهم في أعمالهم الصالحة. وبسبب محبته، فإن الله يمزج إنجازات القديسين بضعفاتنا، ليكون الجميع مقبولين أمامه. هذا الأمر يمكن أن يتضح من الآتي:

بلاديوس: أي شيء تريد أن تقول؟

كيرلس: كان المديانيون والموآبيون شعوباً غير مؤمنة وبرابرة، وكانوا يسكنون أرض الميعاد التي كان من المنتظر أن يرثها الإسرائيليون، وحيث إن الحرب كانت بالقرب منهم وأثارتهم، إذ كانوا على وشك أن يُفقدوا ويذوقوا ويلات الحرب من ساعة إلى ساعة، ولم يكن لديهم قوة لمواجهة قوات بني إسرائيل؛ لذا قاموا بمحاولات سحرية وأعمالٍ قبيحة لكي يُسقطوا أعداءهم. لكن



رغم تنفيذ كل أفكارهم لم يستطيعوا أن يُلحقوا بهم أي ضرر، لأن الله كان مدافعاً عنهم. وبلعام المنجِّم الكذاب، حوّله لكي يبارك إسرائيل، بالرغم من أنه قد أخذ أجرة لكي يلعنهم، وقد وصل (المديانيون والموآبيون) في النهاية إلى حالة من الحيرة والارتباك، وبدأوا يفكرون في طريقة أخرى يستطيعون بها أن يفعلوا الشر بالإسرائيليين، دون أن يصطدموا مع الله المدافع عنهم، أملاً في أنهم عندما يتجردون من المعونة السماوية، يشتبكون معهم في معركة ينتصرون فيها. ولأنهم يلمسون مدى الميل الجنسي بين الذكر والأنثى، وأن الشباب لا يصمد أمام هذه اللذات، أخرجوا إليهم نساء متزينات لكي يُوقعوا الإسرائيليين في الجماع الجسدي القبيح. هكذا فإن الذين تساهلوا مع الأهواء الجسدية[1] انخدعوا بواسطة الفتنة والجمال، ثم شيئاً فشيئاً ابتعدوا عن العبادة الإلهية، سائرين في دروب أولئك الوثنيين. فالعصيان هو نتيجة مرض الزنا، لأنه مكتوب: "فَدَعَوْنَ الشَّعْبَ إِلى ذَبَائِحِ آلِهَتِهِنَّ فَأَكَلَ الشَّعْبُ وَسَجَدُوا لآلِهَتِهِنَّ" (عدد ٢٥: ٢). ونفس الأمر بالضبط قاله الله بصوت الأنبياء: "لاَ أُعَاقِبُ بَنَاتِكُمْ لأَنَّهُنَّ يَزْنِينَ وَلاَ كَنَّاتِكُمْ لأَنَّهُنَّ يَفْسِقْنَ. لأَنَّهُمْ يَعْتَزِلُونَ مَعَ الزَّانِيَاتِ وَيَذْبَحُونَ مَعَ النَّاذِرَاتِ الزِّنَى. وَشَعْبٌ لاَ يَعْقِلُ يُصْرَعُ" (هو ٤: ١٤).

إذن، فغضب المشرع كان على حق بسبب هذا، والأمر لم يكن بلا ضرر للإسرائيليين. لأنهم جلبوا على أنفسهم كوارث لا تُحتمل، فنتيجة هذا الأمر قُتل الجار والأخ. عندئذ أمر الله موسى القائد العظيم ليشن فوراً حرباً ضد المديانيين: "وَأَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى: «اِنْتَقِمْ نَقْمَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمِدْيَانِيِّينَ ثُمَّ تُضَمُّ إِلَى قَوْمِكَ». فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: «جَرِّدُوا مِنْكُمْ رِجَالاً لِلْجُنْدِ فَيَكُونُوا عَلَى مِدْيَانَ لِيَجْعَلُوا نَقْمَةَ الرَّبِّ عَلَى مِدْيَانَ. أَلْفاً وَاحِداً مِنْ كُلِّ سِبْطٍ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ تُرْسِلُونَ لِلْحَرْبِ». فَاخْتِيرَ مِنْ أُلُوفِ إِسْرَائِيلَ أَلْفٌ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ. اثْنَا عَشَرَ أَلْفاً مُجَرَّدُونَ لِلْحَرْبِ. فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى أَلْفاً مِنْ كُلِّ سِبْطٍ إِلَى الْحَرْبِ هُمْ وَفِينَحَاسَ بْنَ

١- يؤكد القديس باسيليوس الكبير على ان الاهواء الجسدية تظهر بسبب محبة النفس للجسد، وبالعكس تختفي باتحادها بالروح، إذ يقول: "اتحاد الروح بالنفس يحدث عندما تختفى الأهواء التى تنمو فى النفس بسبب اتحادها ومحبتها للجسد وهو ما يجعل النفس تتغرّب عن الشركة مع الله. وعندما تتنقى النفس من عار الدنس الذى لحق بها بسبب فسادها وتعود إلى جمالها الطبيعى تتمسك بالصورة الملوكية (الإلهية) وتسترد شكلها الأول عند ذلك فقط يمكن أن تقترب من البار اقليط" انظر كتاب الروح القدس: ٩.

أَلِعَازَارَ الكَاهِنِ إِلى الحَرْبِ وَأَمْتِعَةُ القُدْسِ وَأَبْوَاقُ الهُتَافِ فِي يَدِهِ. فَتَجَنَّدُوا عَلَى مِدْيَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُل ذَكَرٍ. وَمُلُوكُ مِدْيَانَ قَتَلُوهُمْ فَوْقَ قَتْلاهُمْ. أَوِيَ وَرَاقِمَ وَصُورَ وَحُورَ وَرَابِعَ. خَمْسَةَ مُلُوكِ مِدْيَانَ. وَبَلعَامَ بْنَ بَعُورَ قَتَلُوهُ بِالسَّيْفِ. وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيل نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالهُمْ وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُل أَمْلاكِهِمْ. وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مُدُنِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ. وَأَخَذُوا كُل الغَنِيمَةِ وَكُل النَّهْبِ مِنَ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ. وَأَتُوا إِلى مُوسَى وَأَلِعَازَارَ الكَاهِنِ وَإِلى جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيل بِالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ وَالغَنِيمَةِ إِلى المَحَلةِ إِلى عَرَبَاتِ مُوآبَ التِي عَلى أُرْدُنِّ أَرِيحَا. فَخَرَجَ مُوسَى وَأَلِعَازَارُ الكَاهِنُ وَكُلُّ رُؤَسَاءِ الجَمَاعَةِ لِاسْتِقْبَالِهِمْ إِلى خَارِجِ المَحَلةِ. فَسَخَطَ مُوسَى عَلى وُكَلاءِ الجَيْشِ رُؤَسَاءِ الأُلُوفِ وَرُؤَسَاءِ المِئَاتِ القَادِمِينَ مِنْ جُنْدِ الحَرْبِ. وَقَال لهُمْ مُوسَى: «هَل أَبْقَيْتُمْ كُل أُنْثَى حَيَّةً؟ إِنَّ هَؤُلاءِ كُنَّ لِبَنِي إِسْرَائِيل حَسَبَ كَلامِ بَلعَامَ سَبَبَ خِيَانَةٍ لِلرَّبِّ فِي أَمْرِ فَغُورَ فَكَانَ الوَبَأُ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. فَالآنَ اقْتُلُوا كُل ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ. وَكُل امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلاً بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. لكِنْ جَمِيعُ الأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللوَاتِي لمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لكُمْ حَيَّاتٍ" (عدد ٣١ :١ - ١٨).

إذن، فقد أمر الله بكل هذا، وهكذا جاء الشباب المختار ليخوضوا الحرب. المتدربون والمختبرون كثيراً تجمَّعوا من كل سبط، حتى أن القِسم المنتخب لكل سبط يصير فخراً للمجموع، ومجد القِسم الواحد يصير مجداً للمجموع، وفقاً للحكيم بولس: "فَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ. وَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يُكَرَّمُ فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَفْرَحُ مَعَهُ" (١ كو ١٢:٢٦).

بلاديوس: هذا صحيح.

كيرلس: حسناً، الجمع المنتخَب والشجاع جداً استُدعُوا إلى الحرب ضد المديانيين، ورافقهم فينحاس الكاهن بالأواني المقدسة، وأيضاً الأبواق للهتافات. لأن المسيح دائماً يشارك (في الحرب) ويدافع عن المحاربين الشجعان[1]، إنه رئيس

١- يقول القديس كيرلس في موضع آخر: "الذين يؤمنون بالمسيح هم مستحقون أن يروا الله ويتصرفون بشجاعة لأنه سيكون معهم ويعينهم وينقذهم أينما كانوا وسوف يظهر لهم ثمار إيمانهم. لأنه يقول "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (مت ٢٨:٢٠)" جيلافيرا، المقالة الرابعة على سفر التكوين، الكتاب الشهري فبراير ٢٠٠٦.



كهنتنا الأعظم[١]، وأيضاً الملائكة تؤازرهم[٢]، وهذا ما تشير إليه الأواني المقدسة التي للخدمة، هي الأرواح السماوية العاقلة، إذ عُيِّنوا من الله ليكونوا مساعدين لنا. وأبواق الهُتاف ترافقهم، أي كلمات المعلمين الإلهيين، وهذا يُظهر الطريقة التي يجب أن ننتصر بها على الأعداء، أي على شهواتنا الداخلية. إذن، الكاهن فينحاس هو مثالٌ للمسيح، والأواني المقدسة تشير إلى الملائكة، وأبواق الهُتاف تُشير إلى الكلمة الإلهية[٣]. هكذا بقوة المسيح ننتصر بدون مشقة على كل الذين يقفون ضدنا، مرددين هذا الذي يرنم به المرنمون: "بك ننطح مضايقنا. باسمك ندوس القائمين علينا" (مز ٤٤: ٥). هذا بالضبط ما فعله الإسرائيليون، عندما أخبروا كل مدن المديانيين، فقد اقتادوا الأسرى إلى أليعازار الكاهن وكل شعب بني إسرائيل. وهي مخصصات مقدسة لأليعازار الكاهن، الذي يشير إلى المسيح رئيس الكهنة. وهكذا لا تكون أعمال القديسين الباهرة مخفية، بل تصير ظاهرة لكل الشعوب، وفق المكتوب: "لأَنَّهُ لَيسَ خَفِيٌّ لاَ يُظْهَرُ وَلاَ مَكْتُومٌ لاَ يُعْلَمُ وَيُعْلَنُ" (لو ٨: ١٧). إذن فقد تجمَّع جميع الأسرى أمام الكاهن والشعب، لكي يتحقق نموذج واحد وتدبير واحد. لدرجة أن موسى وبَّخ المنتصرين لأنهم لم يُنهوا الحرب وفق الطريقة المضبوطة والرؤية الثاقبة. لا يجب أن يُسمح، يقول موسى، بأن يكتفوا بأسر الذكور وأيضاً النساء المتزوجات. والسبب المحتمل لهذا الأمر، هو أنه من اللازم أن يُميتوا ذكور هذا البلد حتى لا يفلتوا من تحت سيطرتهم. لأنهم لو أفلتوا، فإنهم بعد قليل يصيرون رجالاً أقوياء وأعداء لشعب الله. ومع هؤلاء (الذكور) كان يجب أيضاً أن يُميتوا النساء، لأنهم كانوا سبب عثرة، وفي حالة نجاتهم من الموت سوف يصيرون سبب عثرة مرة أخرى. من

١- يقارن القديس كيرلس بين موسى والمسيح، قائلاً: "عليك أن تنتبه للسر في الحوادث المتعلقة بشخصية موسى، كما قلت سابقاً. لقد وُلِدَ موسى العظيم من سبط لاوي، وعمانوئيل كان عظيماً وبلا شر ورئيس كهنة (انظر عب ٧: ٢٦) حيث كان قدوساً قداسة تامة، بالرغم من أنه كان ينتمي لسبط يهوذ، لدرجة أنه جدير بأن يُسبَّح له وأن يكون ملكاً. لقد كانت قداسته ليست بشرية مثل تلك التي كانت لرؤساء اليهود بل كانت تنتمي لله ملك الكل بقداسةٍ ومجدٍ" جيلافيرا، المقالة الأولى على سفر الخروج، الكتاب الشهري مايو ٢٠٠٩.

٢- سبق للقديس كيرلس أن أبرز دور الملائكة تجاه البشر في حديثه عن يعقوب الذي كان في صراع بسبب أخيه عيسو، إذ يقول: "أظهر له حشداً من الملائكة ينزلون ويصعدون من على السلم، هذا الحشد ينقذ بسهولة هؤلاء الذين هم واثقون في الله" جيلافيرا، المقالة الرابعة على سفر التكوين، الكتاب الشهري فبراير ٢٠٠٦.

٣- "لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين ومميز أفكار القلب ونياته. وليس خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا" (عب ٤: ١٢ - ١٣).

جهة التفسير الروحي؛ أعتقد أن هذه الأمور تشير بطريقة ذكية إلى المعنى الروحي[1].

لماذا أمر موسى بقتل نساء وأطفال المديانيين؟

بلاديوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: لقد أصاب القصور الشجعان من الشعب، بالرغم من أنهم أحرزوا نصراً مؤكداً، ورغم انتصارهم، فلا يمكن أن يظلوا بلا لوم. فهذا الذي نعتقد أنه تم بطريقة صحيحة من جانبنا، لن يخلو من التوبيخ والاتهام في شيء، عندما يُفحص أمام الله. لذلك مكتوب: "إن كنت تراقب الآثام يا رب يا سيد فمن يقف" (مز ١٣٠:٣). وأيضاً: "السهوات من يشعر بها. من الخطايا المستترة ابرئني. أيضاً من المتكبرين احفظ عبدك فلا يتسلطوا عليَّ. حينئذٍ أكون كاملاً وأتبرأ من ذنب عظيم" (مز ١٩: ١٢، ١٣).

فمرات عديدة يمكن أن يتم البر شكلياً عند الشجعان. بينما المشرع يبحث عن أمر آخر لا ندركه نحن بتاتاً وفق ما هو مكتوب: "السهوات من يشعر بها" (مز ١٩:١٢)، وإشعياء يقول إن كل أعمال برنا هي كثوب عدة (إش ٦٤:٦)، لأنه لا يمكن أبداً أن نكون أنقياء تماماً وبلا لوم. والحكيم جداً بولس يكتب: "فَإِنِّي لَسْتُ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ فِي ذَاتِي. لَكِنَّنِي لَسْتُ بِذَلِكَ مُبَرَّراً. وَلَكِنَّ الَّذِي يَحْكُمُ فِيَّ هُوَ الرَّبُّ" (١ كو ٤: ٤). إن توبيخ موسى لم يوجَّه عموماً إلى الكل، لكن فقط إلى رؤساء القوة، أي رؤساء الألوف ورؤساء المئات،

١- سبق للعلامة أوريجينوس أن أكد على التفسير الروحي لهذه الحروب المسجلة في العهد القديم، قائلاً: "ما لم تكن هذه الحروب المادية تحمل صورة ورمز الحروب الروحية، لا أظن أن أسفار التاريخ اليهودي كانت ستسلم قط لتلاميذ المسيح بواسطة الرسل - الذين جاءوا لكي يعلموا السلام - بحيث يمكن قراءتها في الكنائس. لأنه ما الفائدة من هذا الوصف للحروب بالنسبة لأولئك الذين يقول لهم يسوع: "سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم" (يو ١٤)، وللذين أوصوا بواسطة الرسول وقيل لهم: "لا تنتقموا لأنفسكم" (رو ١٢)، وأيضاً: "لماذا لا تظلمون بالحري؟ لماذا لا تسلبون بالحري؟" (١ كو ٦). باختصار، الرسول بولس وهو عالم أنه ليس علينا الآن أن نشن حروباً مادية، بل يجب أن تُبذل حروب النفس ضد الخصوم الروحية، يعطي الأوامر كقائد عسكري لجنود المسيح، قائلاً: "البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس" (أف ٦). ومن أجل أن يكون لدينا أمثلة لهذه الحروب الروحية من الأعمال القديمة، أراد الرسول أن تتلى علينا تلك القصص البطولية في الكنائس، بحيث إن كنا أشخاص روحيين - نقرأ أن "الناموس روحي" (رو ٧:١٤) - يمكننا مقارنة الروحيات بالروحيات (١ كو ٢: ١٣) في الأمور التي نسمعها. ويمكننا بذلك أن ننتبه - عن طريق تلك الشعوب التي حاربت بشكل ظاهر ضد إسرائيل المادية - لمقدار شدة أسراب القوات المعادية من بين الأجناس الروحية التي تدعى "أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف ٦)، والتي تثير الحروب على كنيسة الرب، التي هي إسرائيل الحقيقية".
Fathers of the Church Series، Volume 105، Origen، Homilies on Joshua
ترجمة المدونة الآبائية: http://erinipasy.blogspot.com/.



لأنه مكتوب: "الأقوياء يتطلبون مراقبة قوية" (حك ٦:٦)، وصرامة الناموس تركز على هؤلاء. لأنه مكتوب: "كُلُّ مَنْ أُعْطِيَ كَثِيراًيُطْلَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ" (لو ١٢:٤٨). لذلك كتب تلميذ المخلص: "لاَ تَكُونُوا مُعَلِّمِينَ كَثِيرِينَ يَا إِخْوَتِي، عَالِمِينَ أَنَّنَا نَأْخُذُ دَيْنُونَةًأَعْظَمَ!" (يع ٣:١). الاتهام إذن وُجّه إلى الرؤساء وقادة الطغمات. لأن المتطوعين ينمون نتيجة يقظة الرؤساء وسهرهم. لهذا يقول الكتاب: "أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا، لأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لأَجْلِ نُفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَاباً، لِكَيْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِفَرَحٍ، لاَ آنِّينَ، لأَنَّ هَذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ" (عب ١٣:١٧). بعد موت النساء والأطفال، لم يسمح موسى العظيم للمحاربين أن يظلوا نجسين في المحلة، لكنه أمرهم بأن يتطهروا قائلاً: "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَانْزِلُوا خَارِجَ المَحَلةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. وَتَطَهَّرُوا كُلُّ مَنْ قَتَل نَفْساً وَكُلُّ مَنْ مَسَّ قَتِيلاً فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ وَفِي السَّابِعِ أَنْتُمْ وَسَبْيُكُمْ. وَكُلُّ ثَوْبٍ وَكُلُّ مَتَاعٍ مِنْ جِلدٍ وَكُلُّ مَصْنُوعٍ مِنْ شَعْرِ مَعْزٍ وَكُلُّ مَتَاعٍ مِنْ خَشَبٍ تُطَهِّرُونَهُ" (عدد ٣١:١٩ - ٢٠).

أرأيت إذن، أن حالة المختارين المتميزين ليست بلا لوم تماماً. لأنه مكتوب: "مَنْ يُخْرِجُ الطَّاهِرَ مِنَ النَّجِسِ؟ لاَ أَحَدٌ!" (أي ١٤:٤)، وحتى لو كان من المقبولين (عند الله)؛ لأن القداسة الكاملة محفوظةٌ للدهر الآتي (وليست في العالم)، فها هو موسى يأمر المنتصرين بالجلوس خارج المحلة لكي يتطهروا، إذ يقول: "في اليوم الثالث واليوم السابع". وتعبير "في اليوم الثالث"، إمَّا أنه بهذا يشير إلى العصر الثالث الذي فيه صار تطهيرنا بالمسيح بعد عصر موسى والأنبياء القديسين، أو إلى زمن القيامة الذي قام فيه المسيح مسمِّراً الصك الذي كان ضدنا فوق الصليب المكرّم (أنظر كو ٣:١٤)، محتملاً لأجلنا الألم الذي أبطل الخطية[1]. أمَّا تعبير "اليوم السابع"، فيقودنا إلى التفكير في زمن نهاية الحياة الحاضرة، عندما نكون قد طرحنا عنا الخطية، وعندئذٍ نعيش مع المسيح حياةً طاهرةً ونقيةً مشتركين في غبطة المسيح.

بلاديوس: كل هذا صحيح.

١- يشرح القديس أثناسيوس هذه الحقيقة قائلاً: "وهكذا إذ اتخذ جسداً مماثلاً لطبيعة أجسادنا، وإذ كان الجميع خاضعين للموت والفساد، فقد بذل جسده للموت عوضاً عن الجميع، وقدّمه للآب. كل هذا فعله من أجل محبته للبشر أولاً: لكي إذ كان الجميع قد ماتوا فيه، فإنه يبطل عن البشر ناموس الموت والفناء، ذلك لأن سلطان الموت قد استنفذ في جسد الرب، فلا يعود للموت سلطان على أجساد البشر (المماثلة لجسد الرب). ثانياً: وأيضاً فإن البشر الذين رجعوا إلى الفساد بالمعصية يعيدهم إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت بالجسد الذي جعله جسده الخاص، وبنعمة القيامة يبيد الموت منهم كما تُبيد النار القش" تجسد الكلمة، فصل ٨ فقرة ٤.



مغزى حديث أليعازار الكاهن بعدموسى؟

كيرلس: كما أنك سوف تندهش أيضاً من السر الآتي: فبعد حديث موسى عقَّب عليه ألعازار الكاهن قائلاً للرجال الذين أتوا من ساحة المعركة ما يلي: "هَذِهِ فَرِيضَةُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ مُوسَى. اَلذَّهَبُ وَالفِضَّةُ وَالنُّحَاسُ وَالحَدِيدُ وَالقَصْدِيرُ وَالرَّصَاصُ. كُلُّ مَا يَدْخُلُ النَّارَ تُجِيزُونَهُ فِي النَّارِ فَيَكُونُ طَاهِراً غَيرَ أَنَّهُ يَتَطَهَّرُ بِمَاءِ النَّجَاسَةِ. وَأَمَّا كُلُّ مَا لا يَدْخُلُ النَّارَ فَتُجِيزُونَهُ فِي المَاءِ. وَتَغْسِلُونَ ثِيَابَكُمْ فِي اليَوْمِ السَّابِعِ فَتَكُونُونَ طَاهِرِينَ وَبَعْدَ ذَلِكَ تَدْخُلُونَ المحَلةَ». وَقَال الرَّبُّ لِمُوسَى: «أَحْصِ النَّهْبَ المسْبِيَّ مِنَ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ أَنْتَ وَأَلِعَازَارُ الكَاهِنُ وَرُؤُوسُ آبَاءِ الجَمَاعَةِ" (عدد ٣١: ٢١ - ٢٦).

لاحظ أن موسى في البداية أعلن للمنتصرين فترة التطهير، لا طريقة التطهير، أي أن الناموس أخبر أولاً عن زمن التطهير بواسطة المسيح. ثانياً بعد موسى، تحدث الكاهن ألعازار. لأن المسيح يعطى وصيته بعد موسى. وهو الذي أظهر طريقة التطهير وقدَّم نفس السر مفسِّراً الهدف الدقيق للناموس. فالكاهن أمر أن تُجاز في النار كل الآنية التي يمكن أن تحتمل قوة النار، لكن كل ما ليس له تحمُّل طبيعي وكان ضعيفاً ويخضع بسهولة للفناء التام، أي الملابس والأشياء التي من جلد وخشب، فهذه تُجاز في الماء. لأن الأواني الذهبية والفضية والأشياء الأخرى، ترمز إلينا نحن، أي إلى الذين تطهروا بواسطة المسيح، كما من النار والماء. إذ قد اعتمدنا بالروح القدس والنار (أنظر مت ٣: ١١). أمَّا أن يُجاز كل ما جُمع من السلب في النار والماء، فهذا يشير إلى تطهيرنا الحالي، فقد كُنّا في وقتٍ ما، مملوءين شروراً، لكنه جعلنا ملكاً له، إذ دخل إلى مسكن القوى ونهب أوانيه بعد أن قيَّد هذا القوي (أنظر مت ١٢: ٢٩). يقول ألعازار: ليدخل المنتصرون إلى المحلة فقط، بعد أن يغسلوا ملابسهم في اليوم السابع، وهكذا يصيرون أطهاراً. أي أن التطهير الكامل وغسل كل قذارة سوف يصير في أزمنة النهاية الأخروية[1]، كما قلت منذ قليل، بإبطال الخطية تماماً واستعادة الطبيعة

---

[1] () القديس ذهبي الفم في شرحه لنص عب ٩: ٢١ - ٢٢ يقارن بين رش الأشياء الموجودة في خيمة الاجتماع بدم الذبائح الحيوانية لكي تتطهر، ويؤكد على أن التطهير الكامل يتم بواسطة دم المسيح، إذ يقول: "الطهارة لم تكن جسدية، بل روحية، والدم كان روحياً. كيف؟ لأنه لم يُسفك من دم عجول، بل من جسد كوّنه الروح القدس. ليس موسى هو الذي رشنا بهذا الدم، بل المسيح، بكلامه الذي قاله "هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك .. لمغفرة الخطايا".

البشرية لجمالها الأول السماوي. إذ مكتوب: "وَتَكُونُ هُنَاكَ سِكَّةٌ وَطَرِيقٌ يُقَالُ لَهَا «الطَّرِيقُ الْمُقَدَّسَةُ». لاَ يَعْبُرُ فِيهَا نَجِسٌ بَلْ هِيَ لَهُمْ. مَنْ سَلَكَ فِي الطَّرِيقِ حَتَّى الْجُهَّالُ لاَ يَضِلُّ" (إش ٣٥: ٨). هذا الكلام الواضح -كما سردناه- ليس خارج هدفنا. لكن لو أن شخصاً ما فضَّل تفسيراً آخر، فإننا نقول له إن معنى أن يجتاز إناء كل واحد من المنتصرين سواء كان من ذهب أو فضة أو نحاس أو من أية مادة أخرى في النار، فهذا ما يشير إليه بولس الطوباوي عندما يقول: "فَعَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيَصِيرُ ظَاهِراً لأَنَّ الْيَوْمَ سَيُبَيِّنُهُ. لأَنَّهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ وَسَتَمْتَحِنُ النَّارُ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مَا هُوَ" (١ كو ٣: ١٣). والمرنم يلمِّح لنا بأنه لا تُختبر نفوس القديسين إلَّا فقط بهذه الطرق[1]؛ إذ رنم داود: "لأَنَّكَ جَرَّبْتَنَا يَا اللهُ. مَحَصْتَنَا كَمَحْصِ الْفِضَّةِ. أَدْخَلْتَنَا إِلَى الشَّبَكَةِ. جَعَلْتَ ضَغْطاً عَلَى مُتُونِنَا. رَكَّبْتَ أُنَاساً عَلَى رُؤُوسِنَا. دَخَلْنَا فِي النَّارِ وَالْمَاءِ ثُمَّ أَخْرَجْتَنَا إِلَى الْخِصْبِ" (مز ٦٦: ١٠ - ١٢).

بلاديوس: لكن يا عزيزي، ربما يقول لنا محبو التعلُّم، كيف اصطف المحاربون أمام المديانيين، وكيف انتصروا وبأية طريقة غسلوا وسخ الحرب؟ على أية حال، المناقشة أظهرت هذا بما فيه الكفاية. فالآن نريد أن نعرف إن كنا سنصير بالحقيقة مشاركين لجرأة المحاربين الشجعان، وإن كنا سنشارك فيما وصلوا إليه، بالرغم من أننا لسنا مساوين لهم في الفضيلة، إذ نحن متأخرون عن أولئك في فضيلة النفس.

هذا الكلام مصبوغ بالدم، بدلاً من الزوفا، وقد طهّر الجميع إلى التمام. وكان الجسد يتطهر خارجياً. لأن التطهير كان جسدياً، بينما هنا (في العهد الجديد)، ونظراً لأن التطهير هو روحيّ؛ فإنه يدخل إلى داخل النفس، ولا يرشها خارجياً فقط، بل يطهرها، كما من ينبوع ينبع داخل نفوسنا. ويعرف ما أقوله أولئك المُعاينون للأسرار السمائية. في حالة الوضع القديم كان الدم يُرش بالطبع على السطح فقط، وأيضاً كان المرشوش يتنظف، لأنه ليس من المقبول أن يتجول دوماً مرشوشاً بالدم، لكن في حالة النفس (المرشوشة)، لا يحدث نفس الأمر، بل أن الدم يمتزج بجوهر النفس ذاتها، يجعلها قوية ونقية ويقودها إلى هذا الجمال غير المدرك ذاته. إذاً هو يقدم الموت، ليس فقط كسبب شرعي للعهد أو للوصية، بل وللطهارة أيضاً. لأن الموت كان يُعتبر أمراً نجساً، وبالأخص موت الصليب، يقول إنه طهّرنا من الخطية، وطهّرنا إلى التمام من أمور أكثر شراً، ومن أجل هذا سبقت تلك الذبائح (أي ذبائح العهد القديم)، دم المسيح، ولهذا كانت الحملان تُذبح، ولهذا أيضاً حدثت كل هذه الأمور الأخرى" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ٢٤٤.

١- يؤكد القديس غريغوريوس النزينزي على أن بإنتصار المسيح على التجارب أعطانا نحن ان ننتصر كذلك مثله، إذ يقول: "لقد أخذ منَّا الأردأ لكي يُعطينا الأفضل، لقد افتقر لكي نغتني نحن بفقره (٢ كو ٨:٩)، لقد أخذ شكل العبد لكي نستعيد نحن الحرية، لقد نزل لكي نرتفع نحن، لقد صار مجرَّباً لكي ننتصر نحن (في التجارب)" العظة الأولى: Oration I, *on Easter*; NPNF, 2nd Ser.; Vol. VII, p. 203. 5.



هل يشترك الكل في بهاء القديسين؟

كيرلس: ها الناموس يعضد كلامي ولديه البرهان الواضح، وشرح هذا الأمر ليس فيه أية صعوبة. لأنه مكتوب: "وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «أَحْصِ النَّهْبَ المسْبِيَّ مِنَ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ أَنْتَ وَأَلِعَازَارُ الكَاهِنُ وَرُؤُوسُ آبَاءِ الجَمَاعَةِ. وَنَصِّفِ النَّهْبَ بَيْنَ الذِينَ بَاشَرُوا القِتَالَ الخَارِجِينَ إِلى الحَرْبِ وَبَيْنَ كُلِّ الجَمَاعَةِ. وَارْفَعْ زَكَاةً لِلرَّبِّ. مِنْ رِجَالِ الحَرْبِ الخَارِجِينَ إِلى القِتَالِ وَاحِدَةً. نَفْساً مِنْ كُلِّ خَمْسِ مِئَةٍ مِنَ النَّاسِ وَالبَقَرِ وَالحَمِيرِ وَالغَنَمِ. مِنْ نِصْفِهِمْ تَأْخُذُونَهَا وَتُعْطُونَهَا لأَلِعَازَارَ الكَاهِنِ رَفِيعَةً لِلرَّبِّ. وَمِنْ نِصْفِ بَنِي إِسْرَائِيل تَأْخُذُ وَاحِدَةً مَأْخُوذَةً مِنْ كُلِّ خَمْسِينَ مِنَ النَّاسِ وَالبَقَرِ وَالحَمِيرِ وَالغَنَمِ مِنْ جَمِيعِ البَهَائِمِ وَتُعْطِيهَا لِلاوِيِّينَ الحَافِظِينَ شَعَائِرَ مَسْكَنِ الرَّبِّ». فَفَعَل مُوسَى وَأَلِعَازَارُ الكَاهِنُ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى" (عدد ٣١: ٢٥ - ٣١).

لقد نُفِّذ الأمر الإلهي مباشرةً، وتم الإحصاء الدقيق والتفصيلي للغنائم ووُزِّع النصف، وكل ما خُصِّص، ليكون بكوراً للرب، أُعطى لألعازار الكاهن، وأقصد إلى أبناء سبط لاوي. وأظن أنك تذكر ما سبق أن قلناه في البداية بما لك من ذهنٍ متقد.

بلاديوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: ألم تقل الكلمة الإلهية أن آلافاً جُمعوا من كل سبط لأجل احتياجات الحرب؟

بلاديوس: نعم لقد قالت هذا.

كيرلس: وقلنا بوضوح تام إن بهاء القديسين[1] وفرحهم سوف يغطِّي الجميع، وإن صلاح الله وحبه للبشر، سيرتب هذا جيداً، وذلك مثل خلطة بخورٍ من أنواع مختلفة تصعد إلى الله رائحةً ذكيةً من الجميع. وهكذا فبواسطة المتقدمون جداً في الفضيلة يُقبل معهم الذين ليس لهم نفس كرامتهم.

1- سر بهاء القديسيين أنهم صاروا شركاء الطبيعةِ الإلهية بفضل الكلمة المتجسد، إذ يقول القديس كيرلس في رسالته الثالثة إلى نسطور: "إن الكلمة الذي من الله الآب يُرقِّينا إلى حد أن يجعلنا شركاء طبيعته الإلهية بواسطة الروح (القدس). وبذلك صار له الآن إخوةٌ مشابهون له وحاملون صورة طبيعته الإلهية من جهة التقديس. لأن المسيح يتصوَّر فينا هكذا: بأن يغيِّرنا الروح القدس تغييراً جذريًّا من صفاتنا البشرية إلى صفاته هو. وفي ذلك يقول لنا بولس الطوباوي: «وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح» (رو 8: 9)، فمع أن الابن لا يحوِّل أحداً قط من المخلوقين إلى طبيعة لاهوته الخاص -لأن هذا مستحيل- إلا أن سماته الروحية ترتسم بنوع ما في الذين صاروا شركاء طبيعته الإلهية بقبول الروح القدس، وبهاء لاهوته غير المفحوص يضيء مثل البرق في نفوس القديسين" PG 76, 129; ACO 1,1,6.60.11 .

بلاديوس: هذا حقيقي. لأن هذا ما نبتغيه من الحوار.

كيرلس: لاحظ كيف شرَّع الله الأمر مباشرةً للإسرائيليين، وهكذا تجنَّد الألوف المختارين بحسب السبط ضد المديانيين علناً، وعندما كسبوا نصراً مكلفاً بعد تعب وجهاد، قسَّموا كل ما جمعوه من الحرب مباشرةً على جموع الشعب، وبقية الشعب افتخروا بالإنجازات التي حققها المحاربون الشجعان، لأنه مكتوب: "أَحْصِ النَّهْبَ الْمَسْبِيَّ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ أَنْتَ وَأَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ وَرُؤُوسُ آبَاءِ الْجَمَاعَةِ. وَنَصِّفِ النَّهْبَ بَيْنَ الَّذِينَ بَاشَرُوا الْقِتَالَ الْخَارِجِينَ إِلَى الْحَرْبِ وَبَيْنَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ" (عدد ٣١: ٢٦ - ٢٧).

إن بولس العظيم أعلن أن المؤمنين الذين جاءوا متأخرين بعد القديسين العظماء المختارين والمستنيرين، يُحسبون مع كل الآباء القديسين الذين تميَّزوا بإيمانهم، وكان مجد تقواهم الشديد نحو الله معروفاً تماماً، إذ يقول: "فَهَؤُلاَءِ كُلُّهُمْ، مَشْهُوداً لَهُمْ بِالإِيمَانِ، لَمْ يَنَالُوا الْمَوْعِدَ، إِذْ سَبَقَ اللهُ فَنَظَرَ لَنَا شَيْئاً أَفْضَلَ، لِكَيْ لاَ يُكْمَلُوا بِدُونِنَا" (عب ١١: ٣٩ - ٤٠)[١]. وكتب أيضاً إلى آخرين يقول: "إِنَّكُمْ قَدْ شَبِعْتُمْ! قَدِ اسْتَغْنَيْتُمْ! مَلَكْتُمْ بِدُونِنَا! وَلَيْتَكُمْ مَلَكْتُمْ لِنَمْلِكَ نَحْنُ أَيْضاً مَعَكُمْ!" (١ كو ٤: ٨). أرأيت أن كل الذين في رتبة أقل سيصلون إلى الكمال مع الرؤساء المختارين، وهؤلاء الذين ليس لهم نفس القوة كالمختارين، سيتمجدون معهم؟

وأيضاً يرنم داود العظيم: "الرَّبُّ قَدْ ذَكَرَنَا فَيُبَارِكُ. يُبَارِكُ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ. يُبَارِكُ بَيْتَ هَارُونَ. يُبَارِكُ مُتَّقِي الرَّبِّ الصِّغَارَ مَعَ الْكِبَارِ" (مز ١١٥: ١٢ - ١٣). يبارك الرب المدعوين صغاراً مع الكبار، بدون أن يفتخر الصغار، بأن لهم نفس القوة مثل الكبار، إذ يقلون عنهم في درجة الاستعداد لتحمل الآلام، بينما يماثلونهم أحياناً في الغيرة والإيمان والقدرة على الاحتمال التي تبهج المسيح. ويمكن أن يكون الاثنان، موسى وألعازار، مثالاً للمسيح الذي هو نفسه

١- يشرح القديس يوحنا ذهبي الفم هذه الآيات متأملاً في عبارة: "لكي لا يكملوا بدوننا"، ويقول: "أرأيت مقدار العناية؟ وهو لم يقل لكي لا يُكللوا بدوننا، بل قال "لكي لا يكملوا بدوننا" حتى أنهم في ذلك الوقت سيظهرون كاملين. لقد سبقونا في الجهاد، لكنهم لن يسبقوننا في التتويج. لم يظلم هؤلاء، لكنه كرّمنا نحن، لأن هؤلاء (شهود الإيمان) أيضاً ينتظرون أخوتهم. مادمنا جميعاً جسد واحد. إن التنعم في الجسد يصير أعظم، عندما يكون التتويج مشتركاً، وليس بشكل فردي. حقاً إن الأبرار من جهة هذا الأمر يستحقون المديح لأنهم يفرحون للخيرات التي سينالها أخوتهم، كما لو كانت لهم. حتى أن هذا هو بحسب رغبة هؤلاء الأبرار، أي أن يُتوجوا مع كل أعضاء جسدهم الواحد (جسد المسيح)، لأنه أن يُمجدوا معاً، فهذا تنعم عظيم" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ٣٦٣.

رئيس الكهنة، والمشرِّع، الذي يوزِّع على الشعب الغنائم، بينما الملائكة القديسون يقفون مؤازرين لهم، هؤلاء الملائكة أُشير إليهم برؤساء الآباء. أم تظن أنه لا يوجد على الأرض كثيرون من الملائكة –الذين هم رؤساء على الشعوب– معيَّنين من الله لمؤازرة أولئك الذين آمنوا؟

بلاديوس: أقبل هذا. كيف لا؟!

كيرلس: عندنا الرجاء بأن المسيح سيأتي مع الملائكة القديسين من السماء، وعندما يجلس على عرش مجده، سيوزِّع المكافآت على كل واحد بحسب استحقاقه، ويعطى الكرامات التي تتناسب مع الأعمال[1]. ولذلك يقول إشعياء الحكيم عن المسيح: ”لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ“ (إش ٥٣: ١٢). فالمسيح هو المشرِّع ورئيس الكهنة في الوقت نفسه.

بلاديوس: لقد عبّرت عن الأمر بصورة حسنة.

معنى تقسيم الغنائم

كيرلس: ماذا إذن، ألا تثير طريقة منح المكافآت دهشتنا؟!

بلاديوس: لا شك أنها تثير دهشتنا، فقد كُرِّم الذين لم يشتركوا في الحرب بنصيب مساوٍ لأولئك الذين ذهبوا إلى المعركة.

كيرلس: ليس بنصيب مساوٍ تماماً، بل هو يختلف عن هذا، وذلك بالرغم من أن المحاربين أخذوا نصف الغنائم وجموع الشعب أخذوا النصف الآخر. فالإسرائيليون كانوا ستمائة وثلاثة آلاف وخمسمائة، وهؤلاء غير تعداد السبط الذي يخدم الكهنوت. وتعداد المحاربين كانوا ألفاً من كل سبط، فلو وُزِّعت إذن الغنائم بالتساوي، وكل جزء أخذ النصف من محصلة الغنائم، فالكرامة الأكثر ستكون بالأولى للأقلية، وليس للأكثرية في العدد.

١- يؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم أثناء تفسيره لنص (أف ٢: ١٠) ”لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا“ على ان الله سوف يجازي كل واحد بحسب عمله، إذ يقول: ”هل الله مُحِب للبشر؟ نعم. وهل وهو ديان عادل يصفح عن الخطايا أيضاً؟ نعم، لكنه يعطي كل أحد بحسب أعماله. هل يتجاوز عن الإثم، ويمحو التعديات؟ نعم، لكنه أيضاً يحاسبنا“ تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ٨٤.



بالتالي يكون المجد الذي سوف يُعطى لكل الشعب، حسب قياس العطية السماوية. فإن النصف بالضبط يُمنح للمختارين؛ أي لهؤلاء المؤهَّلين أن يسكن الله في نفوسهم. النصف الآخر سيُعطى للجموع، بالرغم من تفوقهم الكبير في العدد. أتفهم ما أقول؟

بلاديوس: نعم أفهمه. وحتى عندما نصير مشاركين لمجد القديسين، فإن استمتاعنا بالمجد سيكون أقل منهم، فهذا أظن أنه مقصدك في الكلام.

كيرلس: لقد قلت هذا بوضوح. الآن أنظر شيئاً آخر، يُسهّل لنا رؤية جرأة الشجعان أمام الله.

بلاديوس: ماذا ستقول؟

كيرلس: (المشرِّع) أمر الاثني عشر ألفاً المحاربين أن يحضروا إلى رئيس الكهنة من نصف الغنائم التي أُعطيت لهم، واحداً لكل خمسمائة، إنسان أو حيوان. وهذه كانت تقدمتهم إلى الله. أما الجمع الآخر فقد حكم الرب بأن يعطوا واحداً لكل خمسين، يقدَّم إلى السبط المقدَّس. فأليعازار نفسه هو مثال الكاهن الواحد والوحيد والحقيقي، أي المسيح، وذلك بطريقة ليس لها نظير، بل هي حقيقية وشخصية ومثالية، إذ أن التقدمات تقدم إليه. لماذا يقدمونها إليه هو نفسه بدون وساطة أحد؟ هذا بالضبط ما فعله التلاميذ الطوباويون، وما يفعله الآن قادة الشعوب، إذ يجعلون جهادهم في الكرازة الإلهية كتقدمة خاصة إلى المسيح. أمَّا الجمع الآخر الذين يرغبون في التقدم للأمام، فهم يقدمون عطايا إلى المسيح بتقديمها للقديسين، مثلما يشير السبط المقدس إلى ذلك. لأنه مكتوب: "فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ" (١ بط ٢:٩). فالذي يقدِّم للقديسين هو يقدِّم لله بورع وتقوى، وتقدماتهم هي لسد احتياجات القديسين. شيءٌ من مثل هذا فعله أولئك الذين جمعوا عطايا، أو ما يُسمّى بالبركات، وأرسلوها إلى القديسين في أورشليم، أو أية معونة أخرى لتعضيد المكرسين لله (انظر أع ٢٤:١٧، ٢كو ٩:١ وما بعده). إذن فالمخصَّص لله هو عطايا المميَّزين، أمَّا الذي للقديسين فيأتي في المرتبة الثانية للذين هم أدنى. فالمميَّزون يقدمون نفساً واحدة من خمسمائة، أما الآخرون فيقدمون نفساً واحدة من خمسين. لأن كل المتقدمين يدفعون

أقل، لذا فتقدماتهم قليلةٌ هي، أما أولئك الذين في المرتبة الثانية فيدفعون أكثر جداً، لذا كل ما يقدمونه هو أكثر في العدد وفقاً لقياس كل واحد.

لأنه مكتوب: ''قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيراً. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلاً'' (لو ٧:٤٧). إذن؛ الذين هم في المرتبة الأدنى يقدمون عشرة أضعاف أكثر من المختارين، ليس لأنهم أكثر تقوى ويعيشون أفضل من أولئك (المختارين)، لكن لأنهم سقطوا في مخالفات كثيرة، وبالضرورة يحتاجون لتطهيرٍ مضاعَف، لأنه كما قال الرب: ''اَلَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلاَّ إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ. وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّكُمْ'' (يو ١٣:١٠). القديسون يحتاجون إلى تطهير قليل جداً. لأن طبيعتنا قابلة للمرض، ولا يمكن أن تظل طاهرة تماماً من الخطية.

بلاديوس: تتكلم بالصواب.

كيرلس: إذن؛ المنتخبون من الأسباط الطائعين للنواميس الإلهية، وُزِّعت عليهم غنائم الحرب مع كل جمع الشعب، وقدَّموا للرب العطايا وفق ترتيب الناموس. رؤساء المنتخبين يكرمون الله بالنذور الأكثر جمالاً، لأن مجدهم كان أكثر لمعاناً. لأنه مكتوب: ''ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلى مُوسَى الوُكَلاءُ الذِينَ عَلى أُلُوفِ الجُنْدِ رُؤَسَاءُ الأُلُوفِ وَرُؤَسَاءُ المِئَاتِ. وَقَالُوا لِمُوسَى: «عَبِيدُكَ قَدْ أَخَذُوا عَدَدَ رِجَالِ الحَرْبِ الذِينَ فِي أَيْدِينَا فَلمْ يُفْقَدْ مِنَّا إِنْسَانٌ. فَقَدْ قَدَّمْنَا قُرْبَانَ الرَّبِّ كُلُّ وَاحِدٍ مَا وَجَدَهُ أَمْتِعَةَ ذَهَبٍ حُجُولاً وَأَسَاوِرَ وَخَوَاتِمَ وَأَقْرَاطاً وَقَلائِدَ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ أَنْفُسِنَا أَمَامَ الرَّبِّ». فَأَخَذَ مُوسَى وَأَلِعَازَارُ الكَاهِنُ الذَّهَبَ مِنْهُمْ كُل أَمْتِعَةٍ مَصْنُوعَةٍ. وَكَانَ كُلُّ ذَهَبِ الرَّفِيعَةِ التِي رَفَعُوهَا لِلرَّبِّ سِتَّةَ عَشَرَ أَلفاً وَسَبْعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ شَاقِلاً مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الأُلُوفِ وَرُؤَسَاءِ المِئَاتِ. أَمَّا رجال الجند فاغتنموا كل واحد لنفسه. فَأَخَذَ مُوسَى وَأَلِعَازَارُ الكَاهِنُ الذَّهَبَ مِنْ رُؤَسَاءِ الأُلُوفِ وَالمِئَاتِ وَأَتَيَا بِهِ إِلى خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ تِذْكَاراً لِبَنِي إِسْرَائِيل أَمَامَ الرَّبِّ'' (عدد ٣١: ٤٨ – ٥٤). أترى الدقة في بيان المقاتلين، حتى لا يفلت أحد من إعطاء تقدمة، لم تكن مطلوباً منهم تقديمها، مثل الأساور والخواتم والجلود وكل الحُلي المصنوعة من الذهب. لأن المشرِّع حصر العطايا التي ينبغي أن تُقدَّم في البشر والحيوانات. هذه هي التي تُقدَّم بحسب الأمر الإلهي والسماوي. إذن فكل ما اختاروه من الجواهر يمثل تقدمة اختيارية.

فرؤساء الألوف والمئات بسخائهم قدموا تقدمةً أكثر مما حدده الناموس. عندئذٍ أخذها موسى وهارون ووضعوها في الخيمة المقدسة هناك كتذكار أمام الله. لأن زعماء الشعب والرؤساء يكرمون الله بنذور بهية وجميلة، وهم يقدمون إلى الله -من المواد التي تستخدم في الزينة- بما يشير إلى جمال الفضيلة، وإذ يقدمون أكثر مما حدده الناموس، فإنهم يضيئون أكثر بكثير.

بلاديوس: ماذا تريد أن تقول؟

كيرلس: لقد أمر الرب الذين يكرزون بالإنجيل أن يعيشوا من الإنجيل، الأمر الذي أراد بولس أن يؤكده من الوصية الناموسية، قائلاً: ''انْظُرُوا إِسْرَائِيلَ حَسَبَ الْجَسَدِ. أَلَيْسَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الذَّبَائِحَ هُمْ شُرَكَاءَ الْمَذْبَحِ؟'' (١ كو ١٠:١٨)، ومرةً أخرى يُظهر ذلك بأمثلةٍ قاطعةٍ لا تقبل الشك، إذ يقول: ''وَمَنْ يَغْرِسُ كَرْماً وَمِنْ ثَمَرِهِ لاَ يَأْكُلُ؟ أَوْ مَنْ يَرْعَى رَعِيَّةً وَمِنْ لَبَنِ الرَّعِيَّةِ لاَ يَأْكُلُ؟ أَلَعَلِّي أَتَكَلَّمُ بِهَذَا كَإِنْسَانٍ؟ أَمْ لَيْسَ النَّامُوسُ أَيْضاً يَقُولُ هَذَا؟ فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ مُوسَى: «لاَ تَكُمَّ ثَوْراً دَارِساً». أَلَعَلَّ اللهَ تُهِمُّهُ الثِّيرَانُ؟ أَمْ يَقُولُ مُطْلَقاً مِنْ أَجْلِنَا؟ إِنَّهُ مِنْ أَجْلِنَا مَكْتُوبٌ. لأَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْحَرَّاثِ أَنْ يَحْرُثَ عَلَى رَجَاءٍ وَلِلدَّارِسِ عَلَى الرَّجَاءِ أَنْ يَكُونَ شَرِيكاً فِي رَجَائِهِ'' (١ كو ٩:٧ – ١٠). وأضاف مباشرةً: ''إِنْ كُنَّا نَحْنُ قَدْ زَرَعْنَا لَكُمُ الرُّوحِيَّاتِ أَفَعَظِيمٌ إِنْ حَصَدْنَا مِنْكُمُ الْجَسَدِيَّاتِ؟ إِنْ كَانَ آخَرُونَ شُرَكَاءَ فِي السُّلْطَانِ عَلَيْكُمْ أَفَلَسْنَا نَحْنُ بِالأَوْلَى؟ لَكِنَّنَا لَمْ نَسْتَعْمِلْ هَذَا السُّلْطَانَ بَلْ نَتَحَمَّلُ كُلَّ شَيْءٍ لِئَلاَّ نَجْعَلَ عَائِقاً لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ'' (١ كو ٩:١١ – ١٢). وأيضاً بعد ذلك يضيف: ''فَمَا هُوَ أَجْرِي؟ إِذْ وَأَنَا أُبَشِّرُ أَجْعَلُ إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ بِلاَ نَفَقَةٍ حَتَّى لَمْ أَسْتَعْمِلْ سُلْطَانِي فِي الإِنْجِيلِ'' (١ كو ٩:١٨).

أرأيت كيف أنه برغم كل ما حدده الله في الناموس القديم، ورغم أن له الحق في أن يعيش من الإنجيل، فإنه لم يطلب نفقةً من الإنجيل، مقدِّماً خدمة الإنجيل بلا نفقة؟ الزواج غير ضروري، لا الناموس القديم ولا الكرازة الجديدة أمرا بالعذراوية، ومعروف أن العذراوية لم تعطَ كوصية، وبولس نفسه يقول: ''وَأَمَّا الْعَذَارَى فَلَيْسَ عِنْدِي أَمْرٌ مِنَ الرَّبِّ فِيهِنَّ'' (١ كو ٧:٢٥). لكن هناك البعض، بدافع التقوى يقدمون لله تكريساً بهياً بإماتة رغبات الجسد تماماً. إن ضبط النفس والحياة الفاضلة اللذين يزيدان عن حدود

الناموس[1]، هما مثل جوهرة صُنِعت بإتقان وفن عظيم، وهي مؤلفة من العمل والكلام معاً.

لقد وضع موسى وهارون في الخيمة المقدسة كل ما قُدِّم لهما من تقدمات. فأعمال القديسين الصالحة مقبولة من المسيح[2]، وهي ذات غنى ومجد بهي. وهم يربحون بهذه التقدمات ذكرى أبدية عظيمة، ويوجَدون مؤهَّلين للعناية الإلهية. لأن القول بأن النذور وُضعت أمام الرب يشير إلى مثل هذا الأمر. وأنه أمر عظيم ومنقطع النظير أن يُوجد المرء أمام الله، لأن الله هو الذي يحكم بأنهم مستحقون للرعاية والاهتمام، وهو الذي يقدِّرهم بطريقة فائقة.

بلاديوس: يبدو أن الوحي يعلن بكلمات كثيرة، أننا يجب أن نؤمن، وأن يكون لدينا الاقتناع بأنه ليس الجميع يأتون بثمار كثيرة، ولكن الشجعان جداً، الذين يقدمون دائماً الصلاح والمسرة هم الذين يثمرون كثيراً.

مَن هم الذين يقدمون فضة الكفارة؟

كيرلس: أحسنت يا بلاديوس، لقد أصبت. طبيعة الأمر هي هكذا، وسوف يشهد الكتاب المقدس على ذلك. لأن الله أراد أن يبني الخيمة المقدسة للإسرائيليين عندما كانوا يعيشون في الصحراء، لتكون كصورة ومثال للكنيسة التي من الأمم، لذا حدد أيضاً أنه ينبغي أن تُجمع الأشياء التي تنفع لهذا الغرض. هكذا قال لموسى العظيم: "إِذَا أَخَذْتَ كَمِّيَّةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

١- القديس يوحنا ذهبي الفم يدعو درع البر في شرحه لقول بولس "لابسين درع البر" الحياة الفاضلة، إذ يقول: "كما أن الدرع لا يُصيبه جُرح، هكذا هو البر. يقصد بالبر هنا الحياة الفاضلة بشكل عام. ولن يستطيع أحد على الإطلاق أن يغلب مثل هذه الحياة، بل إن كثيرين يُصابون، لكن لا أحد يستطيع أن يوقف مسيرة هذه الحياة، ولا الشيطان ذاته. طالما كنتم لابسين درع البر. وهذا شرط أساسي. وعن هؤلاء يقول المسيح "طوبي للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبَعون". فذاك الذي يلبس هذا الدرع، يكون قوياً للغاية، مثل الدرع القوي، ومثل هذا الإنسان لن يسقط قط" تفسير الرسالة إلى افسس، العظة الرابعة والعشرون: (أفسس٦:١٤ ـ ٢٤) ص ٣٤٤.

٢- القديس يوحنا ذهبي الفم وهو يفسر آية افسس: "كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ" (أف ١:٤) يوضح لنا المقصود بالأعمال الصالحة، قائلاً: "وإن كان قد أشار إلى أعمالهم الصالحة، إلا أننا نجده يعود مرة أخرى إلى النعمة، إذ أن هذا الأمر لا يتم بجهدٍ، ولا بإمكانية، بل بالمحبة. غير أن الأمر لا يقتصر على المحبة فقط، ولا هو بسبب فضائلنا لأنه إن حدث هذا (أي أن نكون قديسين بلا لوم) بالمحبة فقط، لكان من اللازم أن يخلص الجميع، وإن صار بسبب فضائلنا فقط، لكان ظهور الرب وكل ما يتعلق بالتدبير الإلهي أمراً زائداً لا حاجة له. إذن فهذا يتم لا بسبب محبته فقط، ولا نتيجة لفضائلنا فقط، بل لكليهما معاً. لأنه يقول "الذي إختارنا" فالذي يختار يعرف مَنْ الذي يختاره" تفسير الرسالة إلى افسس، الاصحاح الاول، ص ٤٠.

بِحَسَبِ الْمَعْدُودِينَ مِنْهُمْ يُعْطُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِدْيَةَ نَفْسِهِ لِلرَّبِّ عِنْدَمَا تَعُدُّهُمْ لِئَلاَّ يَصِيرَ فِيهِمْ وَبَأٌ عِنْدَمَا تَعُدُّهُمْ. هَذَا مَا يُعْطِيهِ كُلُّ مَنِ اجْتَازَ إِلَى الْمَعْدُودِينَ: نِصْفُ الشَّاقِلِ بِشَاقِلِ الْقُدْسِ. نِصْفُ الشَّاقِلِ تَقْدِمَةً لِلرَّبِّ. كُلُّ مَنِ اجْتَازَ إِلَى الْمَعْدُودِينَ مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِداً يُعْطِي تَقْدِمَةً لِلرَّبِّ. اَلْغَنِيُّ لاَ يُكْثِرُ وَالْفَقِيرُ لاَ يُقَلِّلُ عَنْ نِصْفِ الشَّاقِلِ حِينَ تُعْطُونَ تَقْدِمَةَ الرَّبِّ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نُفُوسِكُمْ. وَتَأْخُذُ فِضَّةَ الْكَفَّارَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَتَجْعَلُهَا لِخِدْمَةِ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ. فَتَكُونُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ تِذْكَاراً أَمَامَ الرَّبِّ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نُفُوسِكُمْ" (خر ١٢:٣٠ - ١٦).

يقول المشرِّع أيضاً إنه يجب أن يكون التعداد بدقة. وحدد أن يُجمع نصف شاقل كتقدمة إلى الرب. أيضاً حدد بوضوح من هم هؤلاء الذين ينبغي عليهم إعطاء تقدمات. الله لم يعطِ أمراً بأن تفعل النساء هذا. وبالمثل الذين مازالوا أطفالاً، وهو بذلك يرفض، على ما أظن، الجبن والضعف والفهم الناقص. فهو قد حدد أن الشباب المملوئين بالقوة والنضج الذين يُقبَلون في التعداد، ينبغي أن يكونوا قد بلغوا سن العشرين. إذن فالذين يستحقون أن يقدموا عطايا للرب وفق الناموس هم الذين تخطوا المعرفة الطفولية والعقل المتردد، وهم الذين بلغوا إلى قياس قامة الرجولة، أي قياس العمر الروحي مثلما يُفهم بحسب المسيح[1]. هؤلاء يُقبَلون في التعداد، أي أنهم يُظهِرون ذواتهم مستحقين للوجود في حضرة الله نفسه، وفق ما جاء في المزمور: "عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم" (مز ١٥:٣٤)، ووجودهم في حضرة الله هو للتكفير عن أنفسهم ولأجل خدمة الخيمة المقدسة، وهذا يكون تذكاراً أمام الله. وهكذا، (فالعبادة) في الكنائس وفضائل القديسين هي مثل زينة للخيمة المقدسة[2]، إذ يبلغون خلاص النفس ويُكلل الشجعان بالمجد الدائم. ألا يبدو لك أن قولي صادقٌ؟!

بلاديوس: صادق جداً.

كيرلس: فقد أوصى الله أن تُدفع الفدية -أي نصف الشاقل- وهذا كان تبرع

١- لا يقلل ق كيرلس من شأن النساء والاطفال، ولكنه يرى في طبيعة الطفولة وكذلك الأنوثة إشارة إلى الضعف.

٢- يرى القديس إيرينيوس أن الخيمة رمزٌ لأورشليم السماوية مسكن الله مع الناس: "عندما تزول هذه الأشياء من على الأرض، يقول يوحنا تلميذ الرب: إن أورشليم الجديدة العُليا سوف تنزل (من السماء) كعروس مزينة لرجلها (رؤ ٢:٢١)، فهذا هو مسكن الله حيث يسكن مع الناس، وهذا المسكن تقبّل موسى مثاله على الجبل". (AH4:35:2).



الشجعان. ورؤساء الأسباط أضافوا على ما أمر به الناموس، إذ قدموا أشياء ذات قيمة عظيمة وثمينة، وبذلك تفوقوا على الآخرين لأنه مكتوب: "وَالرُّؤَسَاءُ جَاءُوا بِحِجَارَةِ الْجَزْعِ وَحِجَارَةِ التَّرْصِيعِ لِلرِّدَاءِ وَالصُّدْرَةِ. وَبِالطِّيبِ وَالزَّيْتِ لِلضُّوءِ وَلِدُهْنِ الْمَسْحَةِ وَلِلْبَخُورِ الْعَطِرِ" (خر ٣٥: ٢٧ - ٢٨). ألا تتقارب هذه الأمور -ولو قليلاً- مع ما سبق؟ جَمْعُ المحاربين قدَّموا لله كل ما حصلوا عليه من السبي، وفق الوصية التي أُعطيت لهم، من الإنسان حتى الحيوان، أمّا رؤساء الألوف والمئات فأضافوا إلى هذا، الحلقان والأساور والخواتم وكل متاع مصنوع من الذهب، وكل هذه وضعها رئيس الكهنة ألعازار في الخيمة المقدسة. كما أن كل الناضجين دفعوا نصف شاقل، أمّا الرؤساء فقدموا أيضاً حجارةً مختارةً للرداء والصُدرة والتي تشير إلى زينة المتقدِّم في الكهنوت. إذن، فرؤساء الشعب يقدمون ذواتهم مزيَّنين للمسيح، أي كأنهم حجارة ثمينة. ولذلك فإن النبي يتنبأ عن الرسل القديسين عندما يقول: "كَحِجَارَةِ التَّاجِ مَرْفُوعَةً عَلَى أَرْضِهِ" (زك ٩: ١٦). وهكذا كان أيضاً بولس العظيم الذي كرز بالإنجيل من أورشليم حتى إلليريكون (أنظر رو ١٥: ١٩).

إذن الحجارة الثمينة تشير إلى جمع القديسين الذين يعلنون مجد المسيح. هؤلاء هم زيت المسحة، وخلطة البخور التي تشير إلى نشر معرفة المسيح كرائحة ذكية، وكزيت يُليِّنون بتعليمهم الحكيم وأقوال الروح نفس أولئك الذين يدخلون إلى أسرار المسيح. البخور مُركبٌ[1] لأنه يشير إلى أن المعرفة عن المسيح مؤلفةٌ من اثنين، طالما أن المسيح في ذات الوقت هو نفسه إله وإنسان معاً، إذ هو ابنٌ واحدٌ ومسيحٌ واحدٌ من الاثنين[2]، الذي قِيل عنه

١- يصف القديس كيرلس رائحة الابن بأنها رائحة فائقة لأنها رائحة جوهر الآب وذلك أثناء حديثة عن مذبح البخور، إذ يقول: "إنَّ مذبح البخور الذهبي هو المسيح، وقد سبق أن قلت هذا مراراً. وقد وُضع هذا المذبح أمام التابوت خلف الحجاب. وكان السيرافيم على شكل دائري، ومن أعلا كان الله (يتحدَّث) مُظهراً رائحة عمانوئيل الفائقة؛ لأنه لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه غشّ كما هو مكتوب (انظر إش ٥٣: ٩، ١ بط ٢: ٢٢)، لذلك قال هو نفسه: "اَلآبُ يُحِبُّ الابْنَ" (يو ٣: ٣٥). كذلك نحن، فقد صرنا مقبولين من الله إذ تفوح منّا مسحة المسيح. وهذا ما يؤكده بولس الرسول قائلاً: "شُكْراً للهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ، وَيُظْهِرُ بِنَا رَائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ. لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ للهِ، فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ وَفِي الَّذِينَ يَهْلِكُونَ" (٢ كو ٢: ١٤ - ١٥)". راجع المقالة العاشرة من هذا النص.

٢- يشرح القديس كيرلس هذا الأمر في رسائله إلى نسطور، قائلاً: "نحن نعرف أن اللاهوتيين ينسبون بعض أقوال البشيرين والرسل عن الرب باعتبارهما تشير بصفة عامة إلى شخص واحد، ويقسمون أقوالاً أخرى بأنها تشير إلى طبيعتين (لاهوته وناسوته)، فتلك التي تليق بالله ينسبونها إلى لاهوت المسيح، أما تلك الأقوال المتواضعة فينسبونها إلى ناسوته". رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي، ترجمة د. موريس تاوضروس ود. نصحي عبد الشهيد، إصدار مركز دراسات الآباء يوليو ١٩٨٨، ص ٤٣ - ٤٤.

في موضعٍ ما، ونحن أنفسنا أيضاً نقول: "اسْمُكَ دُهْنٌ مُهْرَاقٌ" (نش ١:٣).

بلاديوس: إذن التعداد الذي تم بأمر الله شمل المحاربين والرجال الشجعان، الذين يشيرون إلى تأسيس الكنائس، والمساهمة في كل ما يُمجِّد الله. لأن هذا ما يشير إليه كل ما تناولناه بالتحديد.

كيرلس: أنت تتكلم بالصواب. إن النصيب الممجَّد والحسن والصالح سوف يُمنح لهؤلاء الشجعان الذين يتقدمون هكذا كما ذكرنا. كيف يمكن للمرء أن يتشكك في هذا الأمر؟ ألم تسمع ما يرنم به داود: "لأنك تأكل تعب يديك" (مز ١٢٨: ٢)، بل ما كتبه بولس الحكيم: "ما يزرعه الإنسان إياه يحصد" (عب ٦:١٠).

بلاديوس: نعم سمعت ما قاله المرنم.

كيرلس: إذن، الشجاعة لها مكافأتها بلا شك. وبولس يؤكد هذا الأمر إذ يقول: "لأن مَن يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً. ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية" (غل ٦:٨٢). الله لن ينسَ تعب الشجعان بتاتاً، بل سيوزع مكافآت الأتعاب لكل الذين غلبوا الرخاوة التي تقود إلى الرذيلة[1]، وهذا ما يخبرنا عنه أيضاً ما كُتب في سفر العدد: "ثُمَّ بَعْدَ الوَبَإِ أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى وَأَلِعَازَارَ بْنَ هَارُونَ الكَاهِنِ: «خُذَا عَدَدَ كُلِّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيل مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِداً حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمْ كُلِّ خَارِجٍ لِلجُنْدِ فِي إِسْرَائِيل». فَقَال مُوسَى وَأَلِعَازَارُ الكَاهِنُ فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ عَلى أُرْدُنِّ أَرِيحَا: «مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِداً. كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيل الخَارِجِينَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ" (عدد ٢٦: ١ – ٤).

إحصاء الشعب وتوزيع الأرض

وبعد ذلك، إذ حدث الإحصاء للشعب وللأسباط يضيف أيضاً: "ثُمَّ أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى: «لِهَؤُلاءِ تُقْسَمُ الأَرْضُ نَصِيباً عَلى عَدَدِ الأَسْمَاءِ. اَلكَثِيرُ تُكَثِّرُ لهُ نَصِيبَهُ وَالقَلِيلُ تُقَلِّلُ لهُ نَصِيبَهُ. كُلُّ وَاحِدٍ حَسَبَ المَعْدُودِينَ مِنْهُ يُعْطَى نَصِيبَهُ. إِنَّمَا

١ـ يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "إن مَن يطلب عقيدة الحق، لن يُهزم، ولن يفقد شجاعته في هذه الحياة. وبالطبع فإن الأمور الزائفة تأتي من الحياة الأرضية، ومن الواضح أن كل الدُنيويين، هم عبيد للشهوات، وخاضعين لأفكارهم الخاصة. ولذلك فإن كنا متمتعين بالسلام الداخلي، فلن يكون لدينا حاجة للتعاليم الوثنية أو لما يقوله الوثنيون. أرايت كيف أن أولئك يتسمون بالرخاوة والكسل، ولا يستطيعون أن يتقبلوا أي شيء يفوق الفكر الإنساني؟ لأنهم غير مُمنطقين بالحق. من أجل هذا تحديداً فإن خصر هؤلاء قد ضعف" الرسالة إلى أفسس، ص ٣٣٧.



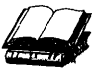
بِالْقُرْعَةِ تُقْسَمُ الأَرْضُ. حَسَبَ أَسْمَاءِ أَسْبَاطِ آبَائِهِمْ يَمْلِكُونَ. حَسَبَ الْقُرْعَةِ يُقْسَمُ نَصِيبُهُمْ بَيْنَ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ" (عدد ٢٦:٥٢ – ٥٦). هذا هو ما شرَّعه الناموس بخصوص كل ما ينبغي أن يرثه الذين تجاوزوا العشرين عاماً. وبعد إحصاء الحشد الأكبر من الشعب، صار إحصاء بني لاوي: "وَهَؤُلاءِ الْمَعْدُودُونَ مِنَ اللاوِيِّينَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ: لِجَرْشُونَ عَشِيرَةُ الْجَرْشُونِيِّينَ" (عدد ٢٦:٥٧). وطالما تحدث عن نسب موسى وهرون، يضيف أيضاً عن أحفاد اللاويين: "وَكَانَ الْمَعْدُودُونَ مِنْهُمْ ثَلاثَةً وَعِشْرِينَ أَلْفاً كُل ذَكَرٍ مِنِ ابْنِ شَهْرٍ فَصَاعِداً. لأَنَّهُمْ لَمْ يُعَدُّوا بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيل إِذْ لَمْ يُعْطَ لَهُمْ نَصِيبٌ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيل. هَؤُلاءِ هُمُ الذِينَ عَدَّهُمْ مُوسَى وَأَلِعَازَارُ الكَاهِنُ حِينَ عَدَّا بَنِي إِسْرَائِيل فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ عَلى أُرْدُنِّ أَرِيحَا. وَفِي هَؤُلاءِ لَمْ يَكُنْ إِنْسَانٌ مِنَ الذِينَ عَدَّهُمْ مُوسَى وَهَارُونُ الكَاهِنُ حِينَ عَدَّا بَنِي إِسْرَائِيل فِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ. لأَنَّ الرَّبَّ قَال لَهُمْ إِنَّهُمْ يَمُوتُونَ فِي البَرِّيَّةِ فَلمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلا كَالِبُ بْنُ يَفُنَّةَ وَيَشُوعُ بْنُ نُونَ" (عدد ٢٦: ٦٢ – ٦٥).

فلنتقدم الآن أيضاً فاحصين بإيجاز كل واحدٍ على حدة، دعنا ندرس هذه الأمور بوضوح وتحديد أكثر.

بلاديوس: قل إذن ولا تمل أبداً. لأنه من دواعي سروري أن نتحدث في هذه الأمور بالتفصيل.

كيرلس: إذن، ونحن نوجز مفهوم هذه الأمور التي تكلمنا عنها، نقول الآتي: يأمر الله أيضاً بإحصاء المتمرسين في الحرب، كما قلنا منذ قليل، وهذا يعني أن المعروفين والمسجلين بواسطة الله في كتاب الحياة ليسوا هم الجبناء وغير القادرين، ولا ذوي المعرفة الطفولية، بل هم الأقوياء جداً والمستعدون لمحاربة الشهوات والخطية، وكل الذين تقدَّموا في الفهم ويستطيعون أن يعملوا ما يجب عليهم، وذوو النشاط والقدرة على إتمام الأمور التي يريدها الله. هؤلاء تشاركوا في الأرض بحسب السبط وبحسب الاسم، كلُ واحد على حدة. هؤلاء الذين نتحدث عنهم بحسب السبط والجنس يشيرون إلى الذين يرثون الأرض المقدسة، والذين سوف يشتركون في الخيرات العتيدة[1]، هؤلاء هم

١- الإشتراك في هذه الخيرات له بُعد كنسي، الكنيسة تُشكل جسداً واحداً، لكنها ليست هكذا بحسب طبيعتها، بل صارت هكذا بنعمة رأس هذا الجسد، الذي هو يسوع المسيح. وهكذا فقط تصير الوحدة ممكنه، ويستطيع البشر أن يتحدوا فيما بينهم، وهذا يتحقق عندما يكونوا متحدين بالمسيح. هذه الوحدة التي تحققت في الكنيسة هي وحدة جوهرية وأساسية، طالما أن كل عضو يرى في الآخر، شخصاً مساوياً له، أخاً له، وعضواً في نفس الجسد. هكذا تظهر الكنيسة بإعتبارها



الذين قيل عنهم: ''طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ. طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ'' (مت ٥: ٥ – ٧)، وأيضاً في التطويبات الأخرى. هذا هو نصيب كل شخص من أولئك الذين يُرحمون، والذين هم أبرار وودعاء، والذين طُردوا من أجل البر، إذ يُعطي تاج البر لكل واحد منهم على حدة، لأن الله يقدِّر كل واحد وفقاً لإنجازاته. فإن الله يفيض النعمة على الشجعان بحسب قياس شجاعتهم، بالرغم من أننا نعرف أن الهبة صارت بمقياس عظيم ومُنحت بأكثر سخاء، لأنه يقول: ''أَعْطُوا تُعْطَوْا كَيْلاً جَيِّداً مُلَبَّداً مَهْزُوزاً فَائِضاً يُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ. لأَنَّهُ بِنَفْسِ الْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ'' (لو ٦:٣٨). يبدو لي أن هذا الأمر يُشار إليه في قول الله: ''لِهَؤُلاءِ تُقْسَمُ الأَرْضُ نَصِيباً عَلى عَدَدِ الأَسْمَاءِ. اَلكَثِيرُ تُكَثِّرُ لهُ نَصِيبَهُ وَالقَلِيلُ تُقَلِّلُ لهُ نَصِيبَهُ. كُلُّ وَاحِدٍ حَسَبَ المَعْدُودِينَ مِنْهُ يُعْطَى نَصِيبَهُ'' (عدد ٢٦:٥٣ – ٥٤). الزائد من الأسماء في بيان الإحصاء هو نموذج واضح لمن هو أسمى وزائد في الفضيلة، لأنه بحسب الطوباوي بولس، الواحد يُكرّم هكذا والآخر بطريقة مغايرة. والأرض تُوزَّع بالقرعة وفقاً للقول: ''نصيبي في يديك'' (مز ١٦:٥). فتوزيع الخيرات العتيدة توزيعاً معصوماً من الخطأ، سيكون بالقرار الإلهي. لأن الله الذي يعرف كل شيء عنّا، سوف يحدد النصيب الملائم لكل واحد. وهناك إحصاءٌ منفصل للاويين من ابن شهر فصاعداً. هؤلاء لا يُعطى لهم نصيب ضمن الإسرائيليين ولا يُحصَون معهم. لأن نسل الكهنة هو أقدس. ولذلك فإن تسجيلهم يتم منفصلاً عن الآخرين بما أن نصيبهم ليس مع الآخرين. فهؤلاء نصيبهم وقرعتهم، هو إله الجميع نفسه وفق المكتوب: ''طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ'' (مت ٥:٨). لأن المدعوين ''ودعاء'' سيرثون ملكوت السموات، والحزاني سيتعزون، والرحماء سوف يُرحمون، و''أنقياء القلب'' يقول عنهم: ''طوبى لهم لأنهم سوف يعانون الله''، هؤلاء أكثر قداسة ونقاء من الآخرين، وقرعتهم ونصيبهم هو رؤية الله، أي معرفة الله نفسه. هذا هو ما وعد به المسيح رسله القديسين قائلاً: ''قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا بِأَمْثَالٍ وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ حِينَ

المدينة الجديدة التي تجمع داخلها أشخاص يربطهم رابط واحد، بواسطة هذه النعمة الإلهية التي تُصيّرهم عائلة واحدة، عائلة بيت الله، وتمنحهم مرة أخرى ذلك الرجاء المفقود، نحو حياة جديدة، أي الحياة الأبدية. انظر مقدمة تفسير الرسالة إلى افسس للقديس يوحنا ذهبي الفم، ص٢٧.

لاَ أُكَلِّمُكُمْ أَيْضاً بِأَمْثَالٍ بَلْ أُخْبِرُكُمْ عَنِ الآبِ علاَنِيَةً" (يو ١٦:٢٥).

إن تسجيل المقدَّسين يصير من طفل عمره شهر كما قلت قبل قليل. فالذين يُسجَّلون في سفر الله ليسوا هم فقط البارزين من القديسين في القوة الروحية والحكمة، ولكن أيضاً الذين يتميزون بالبساطة في المسيح وهم أطفال من جهة الشر. إذن يُكتب كل الجنس المقدس، كل الحكماء والبسطاء. ويمكنك أن ترى، يا بلاديوس، مثل هذا الاختلاف بالنسبة للمعرفة والطرق بين القديسين على اختلافهم. وأضاف أنه لا يوجد إنسان سبق أن أُحصى بواسطة موسى وهارون –من الإسرائيليين الذين أُحصوا في صحراء إسرائيل– وقال لهم الرب: "يموتون بالتأكيد في الصحراء" حيث لم يبق أحدٌ منهم فيما عدا كالب بن يفُنة ويشوع بن نون (أنظر عدد ٢٦:٦٥). فهو يريد بذلك أن يبرهن على أن الميراث والتسجيل في سفر الله لا يتم للجميع، لكنه بالحري يُعطى للذين يقبلون الإيمان بالمسيح. فقد قال داود عن أولئك الذين لم يؤمنوا: "ليمحوا من سفر الأحياء ومع الصديقين لا يُكتبوا" (مز ٦٩:٢٨).

وتعلن لنا الكلمة الإلهية، أن النعمة سوف تُعطى لكل الذين يؤمنون بالمسيح. لذلك تقول الكلمة الإلهية، إن التسجيل سيصير بالقرب من الأردن، فهذا يشير إلى أن مَن يُعمَّد هو الذي يُسجَّل. وهكذا لم يفقد إسرائيل رجاءه تماماً. فقد خَلُصَ كل مَن تبقى وفق الكلمة النبوية (أنظر إش ١٠:٢١). وكالب ويشوع اللذان بقيا وحدهما من الجمع، صارا نموذجاً[١] للذين سيكون لهم نصيب في الميراث والتسجيل[٢]. لأنهما لم يرتكبا خطية

١- يشوع بن نون هو في الحقيقة، مثال للمسيح وهذه الرمزية لا نجدها في العهد القديم ولا عند اليهودية، وهذا يرجع إلى أن مثل هذا النموذج يقلل من شأن موسى عند اليهود. ولكن هذا النموذج نجده في العهد الجديد، حيث يشوع بن نون دخل أرض الموعد كمثال للمسيح، لذلك عند القديس كيرلس الاورشليمي نجد أن "يشوع بن نون كان في أشياء كثيرة مثالاً للمسيح. من الأردن بدأ يمارس سلطته على الشعب. والمسيح أيضا بدأ حياته العلانية بعد عماده في الأردن. بن نون حدد إثنى عشر إنسان لكي يوزع الإرث. والمسيح أرسل إلى كل العالم إثنى عشر رسولا كمبشرين للحق. ذاك الذي هو مثال أنقذ راحاب الزانية لانها آمنت. وذاك الذي هو الحقيقي (المسيح) قال "الزناة والعشارون سيسبقونكم إلى ملكوت السموات" أسوار أريحا سقطت بصوت التهليل في زمن المثال (يشوع)، وأيضاً بكلام المسيح "سوف لا يبقى حجر الا وينقض" وسقط هيكل أورشليم أمامنا" PG, 33, 676D-677A.

٢- القديس غريغوريوس النيصي في حديث عن "عماد المسيح" بعد أن يعلق على عبور البحر الأحمر على أنه مثال للمعمودية، يقول أيضاً: "الشعب العبراني لم يأخذ أرض الميعاد إلا بعد أن اجتاز الأردن تحت قيادة يشوع بن نون، ويشوع أيضا أقام أثنى عشر حجرا يرمزون بوضوح للأثنى عشر رسولا المتممين للمعمودية" PG, 46, 592A. وفي موضع أخر يقول "فليعظم الأردن (المعمودية) لأنه يلد البشر ويزرعهم في فردوس الله". PG, 46, 593D. هنا

العصيان. لاحظ أن التسجيل وتوزيع الأنصبة للقديسين قد نُفِّذ بواسطة موسى والمتقدم في الكهنوت، حتى كما قلت سابقاً، يُفهم المسيح الواحد بالاثنين كرئيس كهنة ومُشرِّع معاً[1]، وهو الذي يعطى كل نعمة، ويسجِّل الأسماء في الأسفار السماوية[2] تلك التي شاهدها دانيال الطوباوي في الرؤيا، لأنه يقول: ''فُتحت الأسفار'' (دا ٧: ١٠)، وذلك لأن أولئك الذين كُتبوا كانوا كثيرين ومتنوعين، لهذا فإن الأسفار كثيرة وليست سفراً واحداً.

بلاديوس: إذن بالصواب والحكمة قال سفر الأمثال: ''الكسالى يصيرون فقراء من الغنى، بينما الرجال الأقوياء والنشطون يعضدون غناهم''.

كيرلس: هؤلاء بالتأكيد يعضدهم الله ويكون رفيقاً لهم ويحارب عنهم، وهو الذي يغنيهم ببركاته السماوية، ويكللهم بالكرامة البهية، ويزينهم بغنى المجد الفائق. ألا يكون صادقاً عندما يقول: ''أكرم الذين يكرمونني'' (١ صم ٢: ٣٠)؟!

بلاديوس: صادق بالحقيقة وبلا شك.

كيرلس: أعتقد أن كل واحد يتمم ما يشير إلى مجد الله، بالقوة الناضجة التي تظهر في الرجولة الروحية، وهو يحارب الأعداء غير المنظورين، ويعرف أن يخلِّص نفسه والآخرين أيضاً، وهو بمعونة الله يمكنه أن يفلح في كل شيء.

بلاديوس: إنني متيقن من كلامك.

يرى غريغوريوس النيصي الأردن المنظور الذي يسقي فلسطين رمز لمياه المعمودية التي تروي الفردوس. ويرى أوريجينوس أكثر من ذلك، الأردن هو رمز وسر المسيح نفسه، النهر الذي يبهج مدينة الله هو نفسه الكلمة الذي نزل إلى هذا العالم PG, 12, 855 - 856.

١- حين يشرح القديس يوحنا ذهبي الفم ما ورد في الرسالة إلى العبرانيين: ''من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله'' (عب٢:١٧) يقول: ''الإبن فقط هو رئيس الكهنة الأمين، قادر أن يخلص أولئك الذين هم رؤساء كهنة، من خطاياهم. وقد صار إنساناً لكي يقدم الذبيحة التي تستطيع أن تنقينا. وأضاف ''في ما لله''. أي بسبب خدمته لله. لقد كنا أعداء الله، محكوماً علينا، محتقرين. ولم يوجد أحد يقدم عنا ذبيحة. وقد رأى أننا مقيمين في تلك الحالة، فرحمنا، دون أن يُعَين لنا رئيس كهنة، بل صار هو نفسه رئيس كهنة أميناً، ثم أضاف ''لكي يكفر خطايا الشعب''، حتى يُظهر كيف صار أميناً'' تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ٩٨.

٢- يخاطب القديس غريغوريوس النيصي المقبلين على العماد، قائلاً: ''أعطوني أسمائكم لكي اكتبها بحبر. الرب نفسه سوف يسطرها فوق الألواح العديمة الفساد مثل ناموس العبرانيين'' P.G. ٤٦, ٤١٧B. هذا يعني أن التسجيل المنظور في سجلات الكنيسة هو صورة لتسجيل المختارين في الألواح السماوية. هذه الفكرة نجدها في (خروج ٣٢ :٣١، ٣٢) ''فرجع موسى الي الرب وقال آه قد اخطأ هذا الشعب خطية عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب والآن أن غفرت خطيتهم. والإ فامُحني من كتابك الذي كتبت'' وفي(لوقا ١٠ :٢٠) يقول المسيح للتلاميذ ''ولكن لا تفرحوا لهذا أن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كُتبت في السموات'' وفي (رؤيا ٣ :٥) ''من يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضا ولن أمحو اسمه من سفر الحياة وسأعترف باسمه أمام أبي وأمام ملائكته''.



كيرلس: أتريد إذن أن نفحص جيداً هذا الذي خُطِّطَ كما لو في لوحةٍ، النصوص الكتابية التي تتحدث عن ابرآم العظيم؟

مثال ابرام العظيم

بلاديوس: بالطبع نعم، وكيف لا؟!

كيرلس: حسناً، يذكر الكتاب أن لوطاً سكن وعاش في سدوم. ولكن لأن حرباً ثقيلةً جرت في هذه المدينة، واستولى رؤساء البلاد القريبة والمجاورة قهراً على المدينة، وأخذوا -مع المتمردين الآخرين- لوطاً وآخرين من ضمن المأسورين: ''فَأَتَى مَنْ نَجَا وَأَخبرَ أَبرَامَ الْعِبرَانِيَّ. وَكَانَ سَاكِناً عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الأَمُورِيِّ أَخِي أَشْكُولَ وَأَخِي عَانِرَ. وَكَانُوا أَصْحَابَ عَهْدٍ مَعَ أَبرَامَ. فَلَمَّا سَمِعَ أَبرَامُ أَنَّ أَخَاهُ سُبِيَ جَرَّ غِلْمَانَهُ الْمُتَمَرِّنِينَ وِلْدَانَ بَيْتِهِ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ وَتَبِعَهُمْ إِلَى دَانَ. وَانْقَسَمَ عَلَيْهِمْ لَيْلاً هُوَ وَعَبِيدُهُ فَكَسَّرَهُمْ وَتَبِعَهُمْ إِلَى حُوبَةَ الَّتِي عَنْ شَمَالِ دِمَشْقَ. وَاسْتَرْجَعَ كُلَّ الأَمْلاَكِ وَاسْتَرْجَعَ لُوطاً أَخَاهُ أَيْضاً وَأَمْلاَكَهُ وَالنِّسَاءَ أَيْضاً وَالشَّعْبَ. فَخَرَجَ مَلِكُ سَدُومَ لاِسْتِقْبَالِهِ بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنْ كَسْرَةِ كَدَرْلَعَوْمَرَ وَالْمُلُوكِ الَّذِينَ مَعَهُ إِلَى عُمْقِ شَوَى (الَّذِي هُوَ عُمْقُ الْمَلِكِ). وَمَلْكِي صَادِقُ مَلِكُ شَالِيمَ أَخْرَجَ خُبْزاً وَخَمْراً. وَكَانَ كَاهِناً لِلَّهِ الْعَلِيِّ. وَبَارَكَهُ وَقَالَ: ''مُبَارَكٌ أَبرَامُ مِنَ اللهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. وَمُبَارَكٌ اللهُ الْعَلِيُّ الَّذِي أَسْلَمَ أَعْدَاءَكَ فِي يَدِكَ''. فَأَعْطَاهُ عُشْراًمِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَقَالَ مَلِكُ سَدُومَ لأَبرَامَ: ''أَعْطِنِي النُّفُوسَ وَأَمَّا الأَمْلاَكَ فَخُذْهَا لِنَفْسِكَ''. فَقَالَ أَبرَامُ لِمَلِكِ سَدُومَ: ''رَفَعْتُ يَدِي إِلَى الرَّبِّ الإِلَهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ. لاَ آخُذَنَّ لاَ خَيْطاً وَلاَ شِرَاكَ نَعْلٍ وَلاَ مِنْ كُلِّ مَا هُوَ لَكَ فَلاَ تَقُولُ: أَنَا أَغْنَيْتُ أَبرَامَ. لَيْسَ لِي غَيْرُ الَّذِي أَكَلَهُ الْغِلْمَانُ. وَأَمَّا نَصِيبُ الرِّجَالِ الَّذِينَ ذَهَبُوا مَعِي: عَانِرَ وَأَشْكُولَ وَمَمْرَا فَهُمْ يَأْخُذُونَ نَصِيبَهُمْ''. بَعْدَ هَذِهِ الأُمُورِ صَارَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى أَبرَامَ فِي الرُّؤْيَا: ''لاَ تَخَفْ يَا أَبرَامُ. أَنَا تُرْسٌ لَكَ. أَجْرُكَ كَثِيرٌ جِدّاً''. فَقَالَ أَبرَامُ: ''أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ مَاذَا تُعْطِينِي وَأَنَا مَاضٍ عَقِيماً وَمَالِكُ بَيْتِي هُوَ أَلِيعَازَرُ الدِّمَشْقِيُّ؟''. وَقَالَ أَبرَامُ أَيْضاً: ''إِنَّكَ لَمْ تُعْطِنِي نَسْلاً وَهُوَذَا ابْنُ بَيْتِي وَارِثٌ لِي''. فَإِذَا كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَيْهِ: ''لاَ يَرِثُكَ هَذَا. بَلِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ هُوَ يَرِثُكَ''. ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجٍ وَقَالَ: ''انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُدَّهَا''. وَقَالَ لَهُ: ''هَكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ'' (تك ١٤: ١٣ - ١٥: ١ - ٥).

أرأيت كم هي شجاعة القديسين وبسالتهم. إذ هم يميلون طوعاً لتحمل الآلام؟! فبمجرد علمه (ابرآم) بأن لوطاً أصابه خطر، حزن في الحال لأجل نكبة قريبه، وأخذ عبيده وبعض المحاربين معه الذين لم يكونوا عبرانيين، وتقدم مسرعاً ضد أولئك الذين فعلوا شراً، وعندما انتصر عليهم، حرّر بسهولةٍ ابن أخيه لوط وأولئك الذين وقعوا في أيدي المعتدين. بعد ذلك أُعطيت له الكرامة التي تليق بالمنتصر، فأتى إليه لمقابلته ملك سدوم، وملكي صادق، رئيس كهنة الله العلي كما يقول الكتاب. ولم يستقبله هكذا ببساطة، لكن كان معه رمزَي الكهنوت، أي الخبز والخمر، وبارك ابرآم، وكمكافأةً له باركه بكلمات مقدسة.

إذن فقد أظهر ابرآم شجاعة وانتصر. هكذا هم أيضاً الشجعان بحسب المسيح، والذين لهم جرأة محبة الله في نفوسهم. وسوف أُضيف كمثال وتأكيد لقولي، الرسل القديسين، هؤلاء الذين حاربوا بقوة ونضوج متسلحين بالكتب المقدسة ومعهم خدام العائلات من الذين آمنوا بالإنجيل، ومعهم بعض المحاربين من غير العبرانيين، كل هؤلاء حاربوا الشيطان الذي نهب كل شيء بقوة، ومعه الذين انجرفوا عن الحق واستولوا على البسطاء، وأظهروا شجاعةً عظيمةً وانتصروا وانتزعوا الأسرى من سلطة الطاغية. وفي الحقيقة، فقد أنقذوا آخرين من عبادة الأصنام ومن السجود للخليقة بدلاً من الخالق، وجذبوا آخرين من الضِلال. هكذا ربحوا مكافأةً وإكراماً من العالم بسبب شجاعتهم العظيمة وسمو نفوسهم، لأنه مكتوب: "فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد كسرة كدرلعومر والملوك الذين معه، وملكي صادق ملك ساليم كاهن الله العلي"، والذي بواسطته نال بركة المسيح، التي ملأته بالابتهاج وبالنعمة المحيية، بواسطة الخبز والخمر.

ملكي صادق[1] هو مثالٌ لكهنوت المسيح، ولا نحتاج إلى كلمات كثيرة لكي نبرهن على هذا الأمر، والكتاب المقدس يكفي لهذا الغرض. وعندما قال ملك سدوم إلى ابرآم كمنتصر: "أعطني النفوس وأما الأملاك فخذها

١- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم في شرحه لآية عب ٦:٥: "أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكيصادق" "مَن هو الكاهن الذي على رتبة ملكي صادق؟ ليس آخر سوى الإبن. لأن الجميع كانوا خاضعين للناموس، الجميع حفظوا السبت، واختتنوا. لا أحد يمكنه أن يُشير إلى شخص آخر (سوى الإبن)" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ١٣٩.

لنفسك"، لم يرفض مباشرةً كل شيء بصورة مُطلقة، بل قَبِل فقط ما أكله الغلمان، وكذلك نصيب الذين ذهبوا معه، وهم عانر وأشكول وممرا. فالمحاربون والمدافعون بشجاعة القديسين -من أجل تحرير أولئك الذين استُعبدوا آخذين على عاتقهم كل تعبٍ- لم يأخذوا شيئاً من العالم، ولا جمعوا من غنى الأرض، رافضين بشدة أي تعبيرات من العالم، لأنه يقول: "لئلا تقول أنا أغنيت ابرآم". إذ قَبِل الأطعمة للغلمان، فقط لأنه مكتوب: "الفاعل مستحق أجرته" (لو ١٠: ٧). والمسيح أعطى وصيةً للذين يكرزون بالإنجيل أن يعيشوا من الإنجيل.

إذن، المحاربون ينالون نصيباً، لأن الله يبارك في أمور الحياة للذين يتشبهون بالقديسين، وتتضاعف لهم الخيرات التي ينالونها من الله، بقدر ما يسلكون في طريق البر. بمعنى أن الله يمنح بركاته الأرضية للذين لم يتخلصوا تماماً من الأرضيات[1]، وهم موزَّعون بين الله والعالم. هكذا بارك يعقوب مضاعفاً في مواشيه (أنظر تك ٣٠: ٣٠).

بلاديوس: تتحدث بالصواب.

كيرلس: وعندما يصل المجاهدون إلى مثل هذه الدرجة من النجاح والمجد، فإن الله لا يتركهم بدون مكافأة، فهذا ما يقوله الذي يعرف أن يخلِّص، إذ هو يَعِدَهم بما يلائم، فهم سينالون مكافأة غنية. فالله يستبعد الجبناء والخائفين، ولكنه يشجع أولئك الذين عندهم رجاء ويجعلهم يصيرون أقوياء جداً. لذلك يقول بولس المختبر لهذه الحالة: "أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي" (في ٤: ١٣)، وأيضاً: "قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ، وَأَخِيراً قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ ايْضاً" (٢ تيمو ٤: ٧ - ٨). فابرآم العظيم بالرغم من أنه كان له ابنٌ من جارية، إلَّا أنه كان يعاني من الحزن، إذ قال لله: ماذا تعطيني، طالما أنا أموت بدون ولد؟ فهو يعتبر أنه بلا ولد طالما أن ليس له ابن حسب الوعد. بعد ذلك يعده الله بابن من

١- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "إذا أردت إذاً أن تترك غنىً وافراً لأولادك، اتركهم للعناية الإلهية. فالله قد خلق النفس والجسد ومنح الحياة دون أن تقدم أنت أى شئ. لذلك عندما يرى أنك تظهر شهامة وأنك تُسلّم له كل ما يتعلق بالأولاد، بل والأولاد أنفسهم، فكيف لا يغدق عليهم بكل الغنى؟" تفسير رومية: ٣، ص ٥٢.

الحُرة، أي اسحق، وإنه سوف يصير أباً لشعوب كثيرة، ونسله سيكون مثل نجوم السماء في الكثرة.

الرسل القديسون لا يُسرُّون بأي نوع من العبودية، للعبادة الناموسية، بل هم بالأحرى يطلبون ثمرة الحرية التي للعهد الجديد، أي الحرية في المسيح[1]، والذي كان اسحق رمزاً له، من جهة الوعد والإيمان. لذا يقول بولس الطوباوي عن الامتيازات التي له من الناموس: "لَكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحاً فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ" (في ٣:٧ - ٨). فالرسل إذن، بواسطة الإيمان بالمسيح صاروا آباءً لأمم كثيرة، ولنسل لا يُحصى كما وُعِدَ تماماً ابرآم في شخص اسحق.

وسوف نخصص الكلام في هذا الموضوع، ليس فقط للرسل والقديسين القدماء، بل أيضاً للذين كان نصيبهم خدمة الكهنوت من بعد أولئك الأولين، وهم رؤساء الكنائس، وفي النهاية يمتد الحديث إلى كل مَن هو صالحٌ وبار.

١- يعطي لنا القديس يوحنا ذهبي الفم المعنى الحقيقي للحرية في سياق حديثه عن سلاسل بولس التي كانت تقيده في السجن، إذ يقول: "إن فتح أبواب السجن، لا يتساوي مع تحرير نفس متضايقة ومنغلقة على ذاتها من كل ناحية، كما أن حل إنسان من القيود، لا يقف على قدم المساواه مع إطلاق النفس المنسحقة إلى الحرية والصفح عنها، فإطلاق النفس إلى الحرية أعظم من حل القيود" تفسير أفسس، مرجع سابق ص ١٤٨

المقالة الخامسة

الشجاعة التي بالمسيح

بذل الذات

كيرلس: إن الهدف الذي وضعه القديسون لأنفسهم يا بلاديوس، هو أن يجاهدوا من أجل حياة الآخرين، لأنهم لم يريدوا لأنفسهم أي شيء من أمور هذا العالم.

هكذا استطاعوا أن يكونوا حكماء وأقوياء، مملؤين بالرجاء الصالح. ومُسلحين جيداً بالرضا السماوي. وكما تعرف جيداً أيها الصديق أن هذه الأمور لم يكن لها أن تصير بعكس ذلك. فقد كان لهم الفكر الذي هزم صعوبات هذا العالم والشهوات الحاضرة، وواجهوها باستقامة وهزموا الأعداء بسهولة، وبسهولة كبيرة جداً أيضاً انتصروا على مقاوميهم، لأن الله زلزل أولاً قوة أولئك المقاومين. لكن لو كان التلاميذ القديسين قد أسرتهم -هم أيضاً- الشهوات العالمية وحاصرتهم الرغبات الأرضية[1]، لَكانوا قد صاروا مجردين من العون السمائي، ولَأصبحوا صيداً سهلاً لأعدائهم كالمطارَدين وكالمقبوض عليهم بسهولة.

بلاديوس: وهل يمكن تأكيد ما قلناه؟ أريد أن أعرف ذلك بوضوح.

كيرلس: تستطيع أن تعرف من الكتاب المقدس الذي يؤكد هذه الأمور بأسلوب مفيد من خلال ما حدث للأقدمين. فإن هذه الأمور كُتبت لأجل إرشادنا

١- يقول القديس يوحنا ذهبي: "فلم يعد الغنى موضع إعجاب، ولا الأمور الأرضية، بل السماويات، وما في السماويات. ألا تدعو الطفل الذي يتمتع بمظهر جميل، ونعمة غزيرة، حين يتحدث، أنه طفل متميز ورائع؟ هكذا الحال بالنسبة للمؤمنين. لاحظ ماذا يقول أولئك الذين استؤمنوا على أسرار الإيمان، هل يمكن أن يكون هناك فم مملوء نعمة أكثر من ذلك الفم الذي يتكلم بكلمات عجيبة، بقلب طاهر وشفتين نقيتين، مُتناولاً من المائدة السرائرية، ببهاء شديد، ودالة كبيرة؟ وهل هناك ما هو أجمل من الكلمات التي بها نجحد الشيطان، والتي بها نتحد بالمسيح، كلمات اعتراف الإيمان قبل المعمودية وبعدها؟ فلنفكر في الذين دنسوا المعمودية، ولنئن في قلوبنا، لكي نستطيع أن نربحهم مرة أخرى" تفسير الرسالة الرسالة الى افسس، ص ٤٢.



كما قال القديس بولس (أنظر رو ١٥:٣).

بلاديوس: اعترف أن كل ما تذكره الكتب المقدسة يبعث فينا فائدة ليست بالقليلة. لأن تلك الظلال إنما كانت مثالاً للحقيقة.

حصار أريحا

كيرلس: إذن فلنتقدم في الحديث. عندما عبر الإسرائيليون نهر الأردن وهاجموا أريحا وتبعوا الوصايا الإلهية، حاولوا أن يحتلوها بالحصار، وفى نيتهم أن ينتصروا على الفور، لأننا نقرأ: ”فَدَعَا يَشُوعُ بْنُ نُونٍ الْكَهَنَةَ وَقَالَ لَهُمُ: «احْمِلُوا تَابُوتَ الْعَهْدِ. وَلْيَحْمِلْ سَبْعَةُ كَهَنَةٍ سَبْعَةَ أَبْوَاقِ هُتَافٍ أَمَامَ تَابُوتِ الرَّبِّ». وَقَالُوا لِلشَّعْبِ اجْتَازُوا وَدُورُوا دَائِرَةَ الْمَدِينَةِ وَلْيَجْتَزِ الْمُتَجَرِّدُ أَمَامَ تَابُوتِ الرَّبِّ“ (يش ٦:٦ – ٧).

وأيضاً عندما يوصي المسيح على فم قادة الشعب، فإننا ننتصر على الأعداء، لأن معركتنا ليست مع لحم ودم، بل مع الرؤساء والسلاطين[١]، ومع الناموس الذي يحارب بقسوة في أعضاء الجسد. سنأتي أمام الله لابسين الدرع الإلهي ”لأن أسلحتنا ليست جسدية“ وفقاً لما قاله القديس بولس (كو ١٠: ٤).

وبناءً على هذا، فالله رب الجميع، يلاحظ المحاربين وهم لابسين الحلل المنيرة التي للحياة الفاضلة، أي أن المحاربين يتقدمون أمام المسيح، وهم مُسلحون[٢]. وهذا أمر نافع جداً، وبالحق نحن نتمنى أن نأتي أمام الله. ونلاحظ إنه من الممكن أن يفرض الله عقاباً على أولئك الذين يسببون

١ـ يقول القديس يوحنا ذهبي: ”إن البعض من الكسالي الخاملين يتكلمون بأمور غير مقبولة، قائلين: لكن يجب أن يرحل الشيطان من وسطنا، وحينئذاً سيخلص الجميع. ينبغي أن أشكرك أيها الإنسان لأنك تستطيع أن تنتصر على هذا المقاوم، إن أردت مثلي، وتغضب حين تسمع كلام جندي كسول ومتوانٍ، وغافل. فإن رغبت أن تعرف الدوافع، فلتحذر وحصّن نفسك من كل النواحي. لأن الحرب ليست ضد الشيطان، بل أيضاً ضد قواته. إذن كيف يقول إننا سنواجه الظلمة؟ عندما نصير نوراً. وكيف سنواجه اجناد الشر الروحية؟ حين نكتمل في الفضيلة التي نسعي إلى تحقيقها. لأن الشر ضد الخير، والنور يُلاشي الظلمة. فإن كنّا نحن أنفسنا ظلمة، فسنسقط في كل الأحوال في أيدي العدو. إذن كيف سنصبح غالبين أو منتصرين على أجناد الشر الروحية؟ إن أدركنا أننا نحارب ونُصارع ليس مع لحم ودم، وأن أصبحنا نُواجههم هكذا على المستوي الروحي، وبهذه الطريقة سننتصر عليهم“ تفسير أفسس، ص ١٦٦.

٢ـ بحسب القديس يوحنا ذهبي الفم الذي يجعل أسلحة المؤمنيين جيدة هو الإيمان المستقيم والحياة المستقيمة، إذ يقول: ”فإن كان الإيمان مستقيماً والحياة مستقيمة، فإن الأسلحة تبقى جيدة لا يُصيبها شيء. لقد تكلّم الرسول بولس كثيراً في رسائل أخرى عن الإيمان والرجاء، وهذا يظهر بوضوح في رسالته إلى العبرانيين (أنظر على سبيل المثال عب ١١) تفسير أفسس، مرجع سابق ص ٣٤٩



الألم، بسبب انحرافهم، إذ يستر وجهه عنهم كما هو مكتوب: ''فَحِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ'' (إش ١: ١٥).

ولأن الحصار امتد لليوم السابع، قال يشوع بن نون للإسرائيليين: ''اهْتِفُوا، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَعْطَاكُمُ الْمَدِينَةَ. فَتَكُونُ الْمَدِينَةُ وَكُلُّ مَا فِيهَا مُحَرَّماً لِلرَّبِّ. رَاحَابُ الزَّانِيَةُ فَقَطْ تَحْيَا هِيَ وَكُلُّ مَنْ مَعَهَا فِي الْبَيْتِ, لأَنَّهَا قَدْ خَبَّأَتِ الْمُرْسَلَيْنِ اللَّذَيْنِ أَرْسَلْنَاهُمَا. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَاحْتَرِزُوا مِنَ الْحَرَامِ لِئَلاَّ تُحَرَّمُوا وَتَأْخُذُوا مِنَ الْحَرَامِ وَتَجْعَلُوا مَحَلَّةَ إِسْرَائِيلَ مُحَرَّمَةًوَتُكَدِّرُوهَا. وَكُلُّ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَآنِيَةِ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ تَكُونُ قُدْساً لِلرَّبِّ وَتَدْخُلُ فِي خِزَانَةِ الرَّبِّ'' (يش ٦: ١٦ - ١٩).

أى أنه سُمح للشجعان أن يتمتعوا بالغنائم الأخرى، لكنه يقول إن كل شيء مصنوع من فضة وذهب ونحاس وحديد يجب أن يُنقل ويُوضع في خزانة الرب، هذا هو الذي يُقال عنه إنه مُحرَّم، وهذا هو الذي عُزل عن كل شيء وخُصِّص لله. ولكن ''عَخَانُ بْنُ كَرْمِي بْنُ زَبْدِي بْنُ زَارَحَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا- لم يعطِ أي أهمية للوصية- فَأَخَذَ مِنَ الْحَرَامِ، فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ'' (يش ٧:١). وأنا أعتقد أنه يجب على كل من يقاوم الشهوات العالمية ومغريات الحياة، ويعيش بحسب ما يريد الله، أن يتقدم بأسلحة البر[1] ويتقابل فعلاً مع المسيح، وألّا يشتهي شيئاً من هذا العالم، لا غنى ولا مجد ولا سلطة ولا امتيازات، ولا أي شيء من تعاليم الحكمة اليونانية الباطلة. والفضة تشير إلى بريق الرتب والامتيازات، والذهب يرمز للغنى، والنحاس يشير إلى فصاحة هذا العالم، والحديد يشير إلى القوة والسلطة، لأنه صلب جداً ويحتمل أكثر من أي معدن آخر.

وبناءً على هذا، لو أراد المرء أن يغتصب شيئاً، حتى ولو كان له مكانة متميزة، وهو من المحاربين وكان متفوقاً في شجاعته الروحية، ولكن لأنه عصى الله واختار أن يثير أحزان أقرانه ومعاونيه بانحرافات مريضة، فإن هذا سيؤدي به للغضب الإلهى.

١- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: ''الأسلحة لا تُفيد في شيء البته، إن لم يصطفوا في مواقعهم مُسبقاً، وإن لم تُستَنفر إرادة الجيش. لأن الجندي يحب أن يُسلح أولاً داخلياً ثم بعد ذلك خارجياً. فإن كان هذا ينطبق عند مواجهة الجنود الآدميين، فإنه سينطبق بالأكثر جداً عند مواجهة الجنود غير الظاهرين، وهؤلاء من غير الممكن أن يُواجهوا بالأسلحة الخارجية. لذلك يجب أن تشحذ همتهم، وأن تُقوي إرادتهم بصفة دائمة، وأن تجعلهم يتحلون بالشجاعة، وأن تضعهم في نظام، وبعد ذلك سلحهم'' تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ٣٣٥.

بلاديوس: تكلمت بالحق، وأنا متفق معك. لكن أخبرني عن هذا، ولننتقل بحديثك من الوضع التاريخي. لماذا لم يستبعد الرب من الخيمة الفضة والذهب والنحاس والحديد، كأشياء لا فائدة منها، وعادة ما تثير التلوث؟ لأن رؤيتنا الروحية دائماً تُظهر أن هذه الأشياء تسبب تعطيلاً للمسيرة الروحية.

كيرلس: لأن كل البهاء والحكمة والغني والقوة يا بلاديوس، تُنسب بالحق لله؛ لأن الله هو الذي له المجد، وكل الإكرام والغني والحكمة والقوة. فلو أخذ أحدٌ من الله واغتنى منه، أي أخذ غنىً ومجداً وفهماً وقوةً، سيكون معروفاً ويصير مثالاً للآخرين. لأنه لو أراد أن يأخذ هذه الأمور من العالم، سيصير بشعاً ومكروهاً من الله الذي يكرّم الفضيلة، وسيُحاسَب يوم الدينونة. لأنه على كل حال، فإن الغنى الأرضي تصاحبه الشهوات الجسدية[1]، والبريق والتميُّز عن الآخرين يصاحبه الغرور. ومع السلطة يكون الطمع، ومع الحكمة العالمية تكون التعاليم المضلة. حتى ولو كانت اللغة التي يتكلم بها (هذا الحكيم) لغة مُبهجة. ولذلك يقول الرسول بولس: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ حَكِيمٌ بَيْنَكُمْ فِي هَذَا الدَّهْرِ فَلْيَصِرْ جَاهِلاً لِكَيْ يَصِيرَ حَكِيماً! لأَنَّ حِكْمَةَ هَذَا الْعَالَمِ هِيَ جَهَالَةٌ عِنْدَ اللهِ" (١كو ٣: ١٨ - ١٩).

خطية عخان بن كرمي وأثرها على الشعب

إذن، فعخَّان الذي لم يأخذ من كنز المسيح، كواحد من هذا العالم، أي كواحد من أريحا، فإنه بتصرفه هذا عصى الله[2]. والضرر الذي يحدث من وراء كل هذا، هو أن الغضب الإلهي[3] لا ينحصر فقط في الشخص

١- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "إن تمسُّك أحدٌ بالأرضيات أو عدم تمسكه، هذا يعتمد على طريقة الحياة، وعلى الرغبة أو الإرادة، أقصد بما أقوله الآتي: يُقال عن الله إنه في السماء، لماذا؟ لا لأنه ينحصر في مكان، لأن هذا غير ممكن، ولا لأنه قد ترك الأرض خالية من حضوره، بل بسبب العلاقة والدالة أو الألفة التي له نحو الملائكة. إذاً إن إقتربنا نحن من الله، سنكون في السماء" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ٢٤٥.

٢- تملكت شهوة الطمع على عخان، تلك الشهوة التي قال عنها القديس يوحنا ذهبي الفم: "أخبرني ألم يُسمي الرسول بولس الطمع، عبادة أوثان وهو مُحق في هذا؟ لأنه بقدر ما ينسب الوثنيون من كرامة للأوثان، بقدر ما ينسب هؤلاء من كرامة كبيرة للملابس والذهب. إلي متى سنُحرك الوحل ؟ إلي متى سنكون مُلتصقين بالطين وصناعة الطوب ؟ لأنه كما أن العبرانيين تعبوا في خدمة ملك المصريين، هكذا نحن أيضاً نعمل لحساب الشيطان، ونجلد أنفسنا، بأسوأ أنواع السياط" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ٢٨٢.

٣- واحد فقط استطاع ان يصرف غضب الله هو المسيح كما قال القديس كيرلس الاورشليمي: "وإن كان الإنسان الأول، المجبول من التراب، أتى بالموت الشامل، فالذي خلقه من التراب ألا يأتي بالحياة الأبدية، إذ أنه هو نفسه الحياة؟ وإن كان



الميدان، لكن بتصرفه (الخاطئ) أساء للشعب كله. ولأن الإسرائيليين فقدوا المعونة الإلهية[1]، صاروا متوانين وجبناء، وهم الذين كان من الصعب جداً أن يُهزموا في الماضي.

بلاديوس: بأي الطرق وأين نستطيع أن نعرف أن هذا الكلام هو كلام حقيقي؟

كيرلس: من المكتوب فيما بعد. فبعد كل هذا البريق وهذه البطولات في أريحا من قِبَل الإسرائيليين جميعاً، أرسل يشوع بعض رجال من أريحا إلى عاي، وكلمهم قائلاً: "اصْعَدُوا تَجَسَّسُوا الأَرْضَ. فَصَعِدَ الرِّجَالُ وَتَجَسَّسُوا عَايَ. ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى يَشُوعَ وَقَالُوا لَهُ: «لاَ يَصْعَدْ كُلُّ الشَّعْبِ، بَلْ يَصْعَدْ نَحْوُ أَلْفَيْ رَجُلٍ أَوْ ثَلاَثَةُ آلاَفِ رَجُلٍ وَيَضْرِبُوا عَايَ. لاَ تُكَلِّفْ كُلَّ الشَّعْبِ إِلَى هُنَاكَ لأَنَّهُمْ قَلِيلُونَ». فَصَعِدَ مِنَ الشَّعْبِ إِلَى هُنَاكَ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ رَجُلٍ. وَهَرَبُوا أَمَامَ أَهْلِ عَايَ. فَضَرَبَ مِنْهُمْ أَهْلُ عَايَ نَحْوَ سِتَّةٍ وَثَلاَثِينَ رَجُلاً، وَلَحِقُوهُمْ مِنْ أَمَامِ الْبَابِ إِلَى شَبَارِيمَ وَضَرَبُوهُمْ فِي الْمُنْحَدَرِ. فَذَابَ قَلْبُ الشَّعْبِ وَصَارَ مِثْلَ الْمَاءِ" (يش ٧: ٢ – ٥). هؤلاء الذين حاصروا مدناً وغنموا بلاداً، وبدون مشقةٍ هزموا أكثر الشعوب صلابةً، انهزموا من محاربين لا ذِكر لهم في عاي، فهربوا بعد أن ضُرب منهم كثيرون. في البداية لم يشأ كل المحاربين أن يأخذوا معهم أسلحة، وقالوا إنه من السهل وبعدد قليل أن يحتلوا المدينة، إذ نقرأ "لاَ يَصْعَدْ كُلُّ الشَّعْبِ، بَلْ يَصْعَدْ نَحْوُ أَلْفَيْ رَجُلٍ". أمام هذا البلية غير المتوقعة وهذه النكبة غير المنتظرة، حزن يشوع جداً ومزَّق ثيابه وسقط على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب، وسأل الله وهو منكسر: ماذا تعني هذه البلية؟ قال له الرب: "قُمْ! لِمَاذَا أَنْتَ سَاقِطٌ عَلَى وَجْهِكَ؟ قَدْ أَخْطَأَ إِسْرَائِيلُ، بَلْ تَعَدُّوا عَهْدِي الَّذِي أَمَرْتُهُمْ بِهِ، بَلْ أَخَذُوا مِنَ الْحَرَامِ، بَلْ سَرَقُوا، بَلْ أَنْكَرُوا، بَلْ وَضَعُوا فِي أَمْتِعَتِهِمْ. فَلَمْ يَتَمَكَّنْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِلثُّبُوتِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ. يُدِيرُونَ قَفَاهُمْ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ لأَنَّهُمْ مَحْرُومُونَ، وَلاَ أَعُودُ أَكُونُ مَعَكُمْ إِنْ لَمْ تُبِيدُوا الْحَرَامَ مِنْ وَسَطِكُمْ" (يش ٧: ١٠ – ١٢). وعندما أشاروا إلى عخان، قال يشوع لعخان: "يَا ابْنِي، أَعْطِ الآنَ مَجْداً لِلرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ، وَاعْتَرِفْ

فينحاس بغيرته على قتل فاعلي الإثم قد أوقف غضب الله (راجع سفر العدد ٢٥: ٥ ـ ١١)، فيسوع الذي لم يَذْبَح إنساناً آخر «بل بذل نفسه فدية عن كثيرين» (١تي ٢: ٦) أفلا يصرف غضب الله عن الإنسان؟" عظات للموعوظين ١٣: ٢

١ـ يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "مَن يتجرد من هذا العطف (عطف الله) وهذه المعونة الإلهية، فإنه حتى وإن كان محاطا بكل غنى المسكونة، فهو أفقر من الجميع، كما أن الأفقر من الجميع إذا كان يحظي بعطف الله ومعونته، يصبح أغنى من الجميع، لأنه يقول "الرب راعيّ فلا يعوزني شيء" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ٢٨٣.

لَهُ وَأَخْبِرْنِي الآنَ مَاذَا عَمِلْتَ. لاَ تُخْفِ عَنِّي». فَأَجَابَ عَاخَانُ يَشُوعَ: «حَقّاً إِنِّي قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ وَصَنَعْتُ كَذَا وَكَذَا. رَأَيْتُ فِي الْغَنِيمَةِ رِدَاءً شِنْعَارِيّاً نَفِيساً، وَمِئَتَيْ شَاقِلِ فِضَّةٍ، وَلِسَانَ ذَهَبٍ وَزْنُهُ خَمْسُونَ شَاقِلاً، فَاشْتَهَيْتُهَا وَأَخَذْتُهَا. وَهَا هِيَ مَطْمُورَةٌ فِي الأَرْضِ فِي وَسَطِ خَيْمَتِي، وَالْفِضَّةُ تَحْتَهَا" (يش ٧: ١٩ – ٢١). هكذا تفهم أن السارق نفسه يقول رأيت بين الغنائم رداءً شنعارياً نفيساً متعدد الألوان ومائتي شاقل فضة ولسان ذهب وزنه خمسون شاقل، هذه هي التي سيطرت على عقله، أي أنه اشتهاها وهو لم يكن يحق له. وهذا الرداء الشنعاري هو الزى العسكرى وهو ثمين جداً، ويقولون إنه الزى الذي يُنسج من خيوط مختلفة الألوان، وهو يرمز للجشع. فالعسكريون كلما يأخذون أكثر فأكثر، ترافقهم الفرحة على الدوام. والفضة ترمز للبريق العالمي، واللسان (الذهب) يرمز للحكمة اليونانية البراقة. شيءٌ من مثل هذا، هو لغة وثقافة الحكماء اليونانيين، فهي بمعنىً ما، مثل الذهب وتمثل شيئاً ثميناً جداً، بسبب بريق الكلمة. عندما اكتُشفت الخطية، وضع يشوع على عخان عقاباً، لأنه لم يظلم نفسه فقط، لكن الضرر امتد إلى كل الإسرائيليين بسبب شهوته الجامحة. هذا ما يعلنه الرسول بولس بكل التأكيد والوضوح وبشكل تام: "اعْزِلُوا الْخَبِيثَ مِنْ بَيْنِكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ خَمِيرَةً صَغِيرَةً تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ؟" (١كو ٥: ٦، ١٣). ألم يبدُ هذا الأمر واضحاً –عند الحديث عن إبراهيم– إن مجد الشجاعة يظل خالداً في القديسين ويتبعه إمكانية الانتصار السهل على الأعداء، إذ تجنبوا اقتناء أي شيء من أمور هذا العالم. ثم بعد ذلك، بالحديث عن عخان، عندما حدث العكس، إذ أنه ابتعد عن الطريق المستقيم وانحصر في الأمور العالمية.

بلاديوس: حديثك واضح جداً.

منهج حياة القديسين

كيرلس: يجب على القديسين أن يظهروا على الدوام بنفس منهج الحياة، وألَّا يتغيروا في تصرفهم. هذا ما يوضحه الناموس بكلام نقي: "لا يَكُنْ مَتَاعُ رَجُلٍ عَلَى امْرَأَةٍ وَلا يَلبِسْ رَجُلٌ ثَوْبَ امْرَأَةٍ لأَنَّ كُل مَنْ يَعْمَلُ ذَلِكَ مَكْرُوهٌ لدَى الرَّبِّ إِلهِكَ" (تث ٢٢: ٥). هو شيء مقزز ومشهد بشع جداً أن تعرض نماذج للبطولة



من خلال حياة مترفة. وهذا يعني متاع رجل على امرأة ورغبة التنعم من رجل قوي، نفس الشيء أن يرتدي أحدٌ ثوب امرأة.

بلاديوس: ما الذي تريد أن تقوله؟

كيرلس: ألا يُعدُّ النفاق من قبيل الخطأ غير المقبول أمام الله والناس؟

بلاديوس: هذه حقيقة.

كيرلس: إذن لو أن هناك شخصاً محباً للشهوة، فاسداً ويظهر هذا من أعماله، ثم يتباهي بهذه الأخلاق الزائفة، هل ستمتدحه يا بلاديوس؟

بلاديوس: بالتأكيد لا.

كيرلس: وماذا أيضاً عن الأخلاق الحقيقية والأخلاق العالمية؟ ألا تعتقد أنه يجب على المرء أن يكون ثابتاً على نفس الرأي على الدوام؟ وألَّا يظهر بشكل مختلف عما هو عليه؟

بلاديوس: أوافق.

كيرلس: وعليه، لا يمكن أبداً لأُناسٍ لديهم فكر الترف والنعومة أن يحل هذا محل مجد الرجولة. وهذا هو معنى المكتوب: "لا يَكُنْ مَتَاعُ رَجُلٍ عَلى امْرَأَةٍ". ولا أن تظهر القوة الحقيقية في التنعم، لأن هذا هو معنى "ولا يلبس رجل ثوب امرأة". لأن الخطأ واحد في الحالتين وهو الدناءة واحتقار الفضيلة.

بلاديوس: إذن يمثل الترفُ[1] خطراً كما هو واضح، والأمر لا يخلو من ضرر.

الخوف وأثره في الحياة الروحية

كيرلس: لا تخف مطلقاً. لأن الخطية مُزدراةٌ جداً ويبغضها الله[2]. وأنا أعتقد أنه

١- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم عن خطورة الترف: "عندما يصبح الجسد لينا وناعما، فبالضرورة تتقبل النفس هذه النعومة، لأن الطاقات أو الأعمال النفسية تعتمد في حالات كثيرة علي الرغبة الجسدية. فنحن بالحقيقة نكون مختلفين خلال فترة المرض الناتج عن الترف أو التنعم، ونكون مختلفين أيضاً عندما نكون أصحاء. تماماً مثلما يحدث مع أوتار الآلة الموسيقية، حين تكون الأصوات خافته وليّنه، ولا تكون الأوتار مشدودة بشكل جيد، حينئذ يقل تميّز الأداء الموسيقي لأنه يضطر أن يتوافق مع ضعف الأوتار، هكذا في حالة الجسد، فإن أضرار كثيرة تستقبلها النفس من الجسد، والتزامات كثيرة أيضاً. لأنه حين نعتني بالجسد بشكل مبالغ فيها، فإن النفس أيضاً تحتمل هذه العبودية المُرة" تفسير العبرانيين، ص ٣٩٠.

٢- سبق للقديس أثناسيوس أن شرح مفهوم البغضة والكُره والحُب عند الله حين قال: "فإننا نفكر بالصواب بقولنا إن "الله يحب العدل ويبغض الاختلاس والظلم". وهذا لا يعنى أنه له ميل تجاه الواحد أو تجاه الآخر، ويقبل ما هو مضاد، لدرجة أنه يفضل هذا ولا يفضل ذاك، فهذه هي سمة المخلوقات، بل يعنى أنه كقاض، يحب الأبرار ويعينهم ويعزف عن الأشرار. وتبعاً لهذا إذن، ينبغي أن نفكر بمثل هذه الأفكار عن "صورة الله" أيضاً بأنه هكذا يحب ويكره، لأن هذا ما يجب

يجب على القوي الحقيقي والشجاع ألَّا يترك ذهنه ينشغل بلا وعي بالأمور العالمية، وأن يحفظه بعيداً عن كل خوف وجمود، ويستند على إيمان بلا لوم أمام الله، لأنه يقول: "أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي" (في ٤: ١٣). وأن نتجنب كل شيء يثير الخطية، ويجعلنا نبدو غير مُختبرين أمام الله من جهة الفكر، ونظهر أننا نفضِّل الأمور الأرضية.

مكتوبٌ أيضاً في سفر التثنية: "إِذَا خَرَجْتَ لِلحَرْبِ عَلى عَدُوِّكَ وَرَأَيْتَ خَيْلاً وَمَرَاكِبَ قَوْماً أَكْثَرَ مِنْكَ فَلا تَخَفْ مِنْهُمْ لأَنَّ مَعَكَ الرَّبَّ إِلهَكَ الذِي أَصْعَدَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. وَعِنْدَمَا تَقْرُبُونَ مِنَ الحَرْبِ يَتَقَدَّمُ الكَاهِنُ وَيَقُولُ لِلشَّعْبِ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: أَنْتُمْ قَرُبْتُمُ اليَوْمَ مِنَ الحَرْبِ عَلى أَعْدَائِكُمْ. لا تَضْعُفْ قُلُوبُكُمْ. لا تَخَافُوا وَلا تَرْتَعِدُوا وَلا تَرْهَبُوا وُجُوهَهُمْ. لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ سَائِرٌ مَعَكُمْ لِيُحَارِبَ عَنْكُمْ أَعْدَاءَكُمْ لِيُخَلِّصَكُمْ. ثُمَّ يَقُولُ العُرَفَاءُ لِلشَّعْبِ: مَنْ هُوَ الرَّجُلُ الذِي بَنَى بَيْتاً جَدِيداً وَلمْ يُدَشِّنْهُ؟ لِيَذْهَبْ وَيَرْجِعْ إِلى بَيْتِهِ لِئَلا يَمُوتَ فِي الحَرْبِ فَيُدَشِّنَهُ رَجُلٌ آخَرُ. وَمَنْ هُوَ الرَّجُلُ الذِي غَرَسَ كَرْماً وَلمْ يَبْتَكِرْهُ؟ لِيَذْهَبْ وَيَرْجِعْ إِلى بَيْتِهِ لِئَلا يَمُوتَ فِي الحَرْبِ فَيَبْتَكِرَهُ رَجُلٌ آخَرُ. وَمَنْ هُوَ الرَّجُلُ الذِي خَطَبَ امْرَأَةً وَلمْ يَأْخُذْهَا؟ لِيَذْهَبْ وَيَرْجِعْ إِلى بَيْتِهِ لِئَلا يَمُوتَ فِي الحَرْبِ فَيَأْخُذَهَا رَجُلٌ آخَرُ. ثُمَّ يَعُودُ العُرَفَاءُ يُخَاطِبُونَ الشَّعْبَ: مَنْ هُوَ الرَّجُلُ الخَائِفُ وَالضَّعِيفُ القَلبِ؟ لِيَذْهَبْ وَيَرْجِعْ إِلى بَيْتِهِ لِئَلا تَذُوبَ قُلُوبُ إِخْوَتِهِ مِثْل قَلبِهِ" (تث ٢٠: ١ – ٨).

بلاديوس: وأنا أيضاً أقول لتكن لنا شجاعة أمام الله، ويجب أن نميِّز الفضائل، وأن نندفع بشجاعة نحو كل صلاح. لكن أن يُطرد البعض من الحرب كأُناس غير مناسبين، فأنا لا أستطيع أن أفهم كيف وبأية طريقة يتم هذا؟

كيرلس: ألا تعرف أن المرء لا يمكنه أن يكون مقبولاً أمام الله حتى لو أراد أن يجوز جهاد التقوى أمامه، إن لم يعتبر أن الحياة في هذا العالم هي مسكنٌ مؤقت؟[1] وقد كُتب هذا في حياة القديسين بكل دقة ووضوح كصورةٍ

أن تكون عليه طبيعة "الصورة" مثل طبيعة الآب، حتى ولو كان الأريوسيون -لأنهم عميان- لا يرونها ولا يرون شيئاً آخر من الأقوال الإلهية". ضد الأريوسيين، المرجع السابق، المقالة الأولى، فقرة٥٢ ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

١- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "الآن نحن نعيش في هذا العالم، وتحدث لنا أمور إنسانية كثيرة، ونحيا مع أناس أشرار، ولذلك فإن الفداء التام والكامل يتم حين لا يكون هناك مجالٌ للخطية، وحين تزول الآلام والأتعاب، حين لا يكون هناك اختلاط بالآخرين (بحيث لا يمكن التمييز بين البار والشرير)، أما الآن فلا يوجد سوى العربون. نحن بعيدون الآن عن تلك الشهوات، ووطننا ليس على الأرض (بل في السماء)، فوجودنا هنا مؤقت، الآن نحن الذين تعيّنا لنكون "لمدح مجده" متحررين من الخطية" تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ٥١.



ومثال. فقد أقام البار إبراهيم كساكنٍ مؤقَّتٍ في خيام وانتقل من مكان إلى مكان، بل وكل الإسرائيليين كانوا ينتقلون باستمرار في الصحراء وكانوا يسكنون في خيام. وقد افتخر داود النبي بهذا أمام الله قائلاً: ''اِسْتَمِعْ صَلاَتِي يَا رَبُّ وَاصْغَ إِلَى صُرَاخِي. لاَ تَسْكُتْ عَنْ دُمُوعِي. لأَنِّي أَنَا غَرِيبٌ عِنْدَكَ. نَزِيلٌ مِثْلُ جَمِيعِ آبَائِي'' (مز ٣٩: ١٣ – ١٤). وكان ينتظر برغبة جارفة المسكن السمائي قائلاً: ''تَشْتَاقُ بَلْ تَتُوقُ نَفْسِي إِلَى دِيَارِ الرَّبِّ. قَلْبِي وَلَحْمِي يَهْتِفَانِ بِالإِلَهِ الْحَيِّ'' (مز ٨٤:٢). إذن، فهؤلاء الناس كان فكرهم محصوراً في السماويات، وكانوا عطشى لسكنى السموات، الأمر الذي وعد به المخلص نفسه، أولئك الذين يحبونه: ''فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لِأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً. وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً'' (يو ١٤:٢ – ٣). فالمقصود بمن يبني بيتاً وينشغل بالأعمال المرتبطة به هو ذلك الإنسان الذي لا يقبل أن يعيش في الحياة الحاضرة كغريب ونزيل، والذي يزرع كرماً يشير إلى ذلك الإنسان الذي يحب الممتلكات والربح، والذي يخطب امرأةً يشير إلى الإنسان محب الشهوة الذي لديه شهوةٌ للنساء، وذهنه ملتصقٌ بالشهوات الجسدية. لذلك عندما يُنادى للقتال، فإنهم يتراجعون عن المشاركة في الحرب المقدسة. هذه الأمور كان من الطبيعي أن يفكر فيها ويتكلم بها أولئك المأسورون من هذه الشهوات، ولكن الكارز هو الذي يعلنها ويحذر منها. فالحقيقة أن المأسورين بهذه الشهوات لا يرغبون في أن يحتملوا أية جهادات، ولا أن يخضعوا للغيرة المقدسة التي تتطلبها محبة الله، وهم يظنون أنهم لو حدث أن جازوا هذه الجهادات، فإنهم يفقدون البيوت والممتلكات وأيضاً الشهوات التي يحبونها. وهكذا يظهر من هم الجبناء والضعفاء. إذن فأمرٌ طبيعي لأولئك الناس أن يفكروا ويتكلموا بهذه الأمور التي يعلنها الكاتب بطريقة غير مباشرة موجِّهاً إليهم لوماً واضحاً، ويفاجئ الخائف الذي يقدم أعذاراً خاطئة، والذي يجمع الشهوات العالمية، كمن يجمع غذاءً لخوفه. ولهذا فإن الله أمر كارز الجيش أن ينطق بالكلمة الأخيرة مجردة وواضحة بقوله: ''ثُمَّ يَعُودُ الْعُرَفَاءُ يُخَاطِبُونَ الشَّعْبَ: مَنْ هُوَ الرَّجُلُ الْخَائِفُ وَالضَّعِيفُ الْقَلْبِ؟ لِيَذْهَبْ وَيَرْجِعْ إِلَى بَيْتِهِ لِئَلا تَذُوبَ قُلُوبُ إِخْوَتِهِ مِثْلَ قَلْبِهِ'' (تث



٢٠:٨). كأنه يقول وبكل وضوح من ينشغل بالأمور الأرضية ويبني بيوتاً ويزرع كروماً ويُغوى من الشهوات الجسدية، هو في كل الأحوال خائف وضعيف وتنقصه القوة[١]، هذا هو الجاحد الذي يمثل ضرراً للآخرين، لأنه مكتوب: ''الْمُعَاشَرَاتِ الرَّدِيَّةَ تُفْسِدُ الأَخْلاَقَ الْجَيِّدَةَ'' (١ كو ١٥:٣٣). والمأسور داخل خوفه الكامل، قد يجعل القوي والشديد البأس ينجذب نحو الخوف. ولهذا فإن القديس بولس يلوم البعض، أولئك الذين أرادوا أن يعوّقوه عن أن يصعد إلى أورشليم، لأنه يقول: ''مَاذَا تَفْعَلُونَ؟ تَبْكُونَ وَتَكْسِرُونَ قَلْبِي. لأَنِّي مُسْتَعِدٌّ لَيْسَ أَنْ أُرْبَطَ فَقَطْ بَلْ أَنْ أَمُوتَ أَيْضاً فِي أُورُشَلِيمَ لأَجْلِ اسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ'' (أع ٢١:١٣). ويجب أن نسجّل أن المدعوين إلى العُرس كان رفضهم هكذا: '' اشْتَرَيْتُ حَقْلاً .. تَزَوَّجْتُ بِامْرَأَةٍ.. فَلِذَلِكَ لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَجِيءَ'' (لو ١٤:١٩، ٢٠). هذا ما ورد في الإنجيل على هيئة مثال. ولو أردت أن تفهم ذلك، فليس بالأمر الصعب أن نؤكده من الأمثلة القديمة.

بلاديوس: تكلم إذن ولا تتباطأ أبداً، لأنك ستفيدني كثيراً.

كيرلس: قرأنا في سفر العدد: ''وَبَعْدَ ذَلِكَ ارْتَحَلَ الشَّعْبُ مِنْ حَضَيْرُوتَ وَنَزَلُوا فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «أَرْسِلْ رِجَالاً لِيَتَجَسَّسُوا أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. رَجُلاً وَاحِداً لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْ آبَائِهِ تُرْسِلُونَ. كُلُّ وَاحِدٍ رَئِيسٌ فِيهِمْ». فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى مِنْ بَرِّيَّةِ فَارَانَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. كُلُّهُمْ رِجَالٌ هُمْ رُؤَسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ'' (عدد ١٢:١٦، ١٣:١ - ٣).

وعندما أحصي رجال الإرسالية بحسب الأسباط والعائلات، أضاف أيضاً: ''فَصَعِدُوا وَتَجَسَّسُوا الأَرْضَ مِنْ بَرِّيَّةِ صِينَ إِلَى رَحُوبَ فِي مَدْخَلِ حَمَاةَ. صَعِدُوا إِلَى الْجَنُوبِ وَأَتُوا إِلَى حَبْرُونَ'' (عدد ١٣:٢١ - ٢٢).

وبعد ذلك بقليل: ''وَأَتُوا إِلَى وَادِي أَشْكُولَ وَقَطَفُوا مِنْ هُنَاكَ زَرَجُونَةً بِعُنْقُودٍ وَاحِدٍ مِنَ العِنَبِ وَحَمَلُوهُ بِالدُّقْرَانَةِ بَيْنَ اثْنَيْنِ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الرُّمَّانِ وَالتِّينِ. فَدُعِيَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ

١ـ يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: ''إن الأمور الزائفة تأتي من الحياة الأرضية، ومن الواضح أن كل الدُنيويين، هم عبيد للشهوات، وخاضعين لأفكارهم الخاصة. ولذلك فإن كنا متمتعين بالسلام الداخلي، فلن يكون لدينا حاجة للتعاليم الوثنية أو لما يقوله الوثنيون. ارايت كيف أن أولئك يتسمون بالرخاوة والكسل، ولا يستطيعون أن يتقبلوا أي شيء يفوق الفكر الإنساني؟ لأنهم غير مُنطقين بالحق. من أجل هذا تحديداً فإن خصر هؤلاء قد ضعف'' تفسير أفسس، ص ٣٣٧.

«وَادِيَ أَشْكُول» بِسَبَبِ العُنْقُودِ الذِي قَطَعَهُ بَنُو إِسْرَائِيل مِنْ هُنَاكَ. ثُمَّ رَجَعُوا مِنْ تَجَسُّسِ الأَرْضِ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْماً. فَسَارُوا حَتَّى أَتُوا إِلى مُوسَى وَهَارُونَ وَكُلِّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيل إِلى بَرِّيَّةِ فَارَانَ إِلى قَادِشَ وَرَدُّوا إِلَيْهِمَا خَبَراً وَإِلى كُلِّ الجَمَاعَةِ وَأَرُوهُمْ ثَمَرَ الأَرْضِ. وَقَالُوا: «قَدْ ذَهَبْنَا إِلى الأَرْضِ التِي أَرْسَلتَنَا إِليْهَا وَحَقّاً إِنَّهَا تَفِيضُ لبَناً وَعَسَلاً وَهَذَا ثَمَرُهَا. غَيْرُ أَنَّ الشَّعْبَ السَّاكِنَ فِي الأَرْضِ مُعْتَزٌّ وَالمُدُنُ حَصِينَةٌ عَظِيمَةٌ جِدّاً. وَأَيْضاً قَدْ رَأَيْنَا بَنِي عَنَاقَ هُنَاكَ" (عدد ١٣: ٢٣ - ٢٨). تفهم الآن كيف أن هؤلاء الخائفين من أي شئ، وهؤلاء الجواسيس الجبناء الذين أُرسلوا إلى أرض الميعاد يعترفون بأن المدينة مليئة بكروم العنب وأنها أرضٌ خصبة ومليئة بثمار شهية، لكنهم أثاروا خوفاً في نفوس الشعب عندما وصفوا الشعب الساكن هناك بأنه مُعتز، قائلين أيضاً إنه توجد مدناً حصينة بأسوار منيعة، وهكذا نزعوا عن الإسرائيليين رجاء الانتصار؛ إذ أخافوهم دافعين إياهم إلى الجبن.

بلاديوس: الأمر هو هكذا فعلاً.

كيرلس: لكن الحكماء والشجعان مثل كالب ويشوع قاوموا أقوال أولئك (الجواسيس) قائلين للشعب ولموسى: "إِنَّنَا نَصْعَدُ وَنَمْتَلِكُهَا لأَنَّنَا قَادِرُونَ عَلَيْهَا" (عدد ١٣: ٣٠). لكن الجواسيس الباقين الذين أُرسلوا معهما لم يوافقوا على هذا أبداً وأكدوا للإسرائيليين إنه من الصعب أن يحتلوا أرض الميعاد. وبعد ذلك يقول الكتاب: "فَرَفَعَتْ كُلُّ الجَمَاعَةِ صَوْتَهَا وَصَرَخَتْ. وَبَكَى الشَّعْبُ تِلكَ اللَّيْلةَ. وَتَذَمَّرَ عَلى مُوسَى وَعَلى هَارُونَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيل وَقَال لهُمَا كُلُّ الجَمَاعَةِ: «ليْتَنَا مُتْنَا فِي أَرْضِ مِصْرَ أَوْ ليْتَنَا مُتْنَا فِي هَذَا القَفْرِ! وَلِمَاذَا أَتَى بِنَا الرَّبُّ إِلى هَذِهِ الأَرْضِ لِنَسْقُطَ بِالسَّيْفِ؟ تَصِيرُ نِسَاؤُنَا وَأَطْفَالُنَا غَنِيمَةً. أَليْسَ خَيْراً لنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلى مِصْرَ؟» فَقَال بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «نُقِيمُ رَئِيساًوَنَرْجِعُ إِلى مِصْرَ»" (عدد ١٤: ١ - ٤). إلى هذا الحد من الخوف والجبن وصل كل الشعب. وبينما يشوع ابن نون يحاول أن يثني الشعب حتى يصيروا أكثر جرأة، وقد مزق ثيابه وأسرف في تقديم وصف جميل لتلك الأرض، إلَّا أنهم لم يعودوا إلى شجاعتهم. وبهذا أثاروا حزناً لدى الله المعتني بهم، بسبب صِغر نفوسهم، وانقطاع رجائهم في أن يحققوا انتصاراً لأنهم نظروا فقط إلى قدراتهم البسيطة. ولهذا أقسم أيضاً وقال: "لنْ تَدْخُلُوا الأَرْضَ التِي رَفَعْتُ يَدِي لأَسْكِنَنَّكُمْ فِيهَا مَا عَدَا

كَالِبَ بْنَ يَفُنَّةَ وَيَشُوعَ بْنَ نُونٍ" (عدد ١٤: ٣٠). فمن يستطيع -إذن- أن يشك في أن الخائف وكل من يتجنب المتاعب وقليل الإيمان[١] يُقاد مع آخرين إلى الهلاك ويُفسد بمعاشرات رديئة، وسيفقد ميراثه ورجاءه في الله، بينما المقدام والشجاع يمتلك بداخله رجاءً ثابتاً ويصير صديقاً لله.

بلاديوس: لا شك في هذا، فهو دليل كافٍ.

كيرلس: كما قلنا في البداية إن كل من تسود عليه الشهوات العالمية هو شخصٌ غير مُهيأ للمعركة الروحية.

بلاديوس: بالتأكيد يكون غير مُهيَّأٍ.

اقتناء الفضيلة والنمو فيها

كيرلس: سأضيف أنه يجب علينا -كما أعتقد- أن نسعى بإصرار نحو كل ما هو نافع، فإن المبتدئ في طريق الفضيلة لا تكون لديه القدرة الكافية لخوض هذه المعركة، بل من السهل جداً أن يندفع نحو الظلم.

بلاديوس: ماذا تقصد بذلك؟

كيرلس: كُتب في التثنية: "إِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً جَدِيدَةً فَلاَ يَخْرُجْ فِي الْجُنْدِ وَلاَ يُحْمَل عَلَيْهِ أَمْرٌ مَا. حُرّاً يَكُونُ فِي بَيْتِهِ سَنَةً وَاحِدَةً وَيَسُرُّ امْرَأَتَهُ الَّتِي أَخَذَهَا" (تث ٢٤: ٥).

هل تلاحظ، يا بلاديوس، المعنى الظاهري للكلمات؟ وهل يترك المشرّع مُحب الفضيلة المحارب جالساً مستريحاً في بيته، ولا يجعله يتقدم وينمو؟ وهل يريده أن يُهزم بهذه العلاقة المسترخية مع المرأة، ويعتبر أن محبة الجسد هي أكثر إفادة من اجتياز هذه المعركة؟

بلاديوس: على الأقل بالنسبة لي يصعب عليَّ أن أُفسر روح المشرّع هكذا، لكن

١- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم أثناء شرحه لهذه الآية: "لأنه إن كانت الكلمة التي تكلّم بها ملائكة قد صارت ثابتة وكل تعدٍ ومعصية نال مجازاة عادلة. فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلّم به ثم تثبت لنا من الذين سمعوا" (عب ٢:٢ - ٣): "لماذا يجب أن ننتبه أكثر؟ يقول "لئلا نفوته". أي لئلا نضّل ونسقط. ويظهر هنا كم يكون السقوط مرعباً، لأنه يصعب الرجوع لمن ابتعد نتيجة للتكاسل أو التغافل. إن كلمة "نفوته" (أي نبتعد)، قد أخذها ق. بولس من سفر الأمثال، لأنه يقول: " يا ابني إنتبه لا تبتعد عن طريقي"، هكذا يبيّن سهولة الإنزلاق، ورعب الهلاك، أي أن عدم الطاعة لا تخلو من المخاطر بالنسبة لنا. ويبيّن من خلال كل ما يضيفه أن العقاب سيكون عقاباً شديداً، ولكنه يترك للإنسان أن يستنتج ماهية ذلك العقاب. لأن ما يجعل كلمته أقل إزعاجاً هو عدم إصدار الحكم من جانبه هو، بل يتركه لمن يستمع لرسالته. نفس الأمر فعله ناثان النبي في العهد القديم، ويفعله المسيح في إنجيل متى، قائلاً" ماذا يفعل بأولئك الكرامين"، مُلزماً المستمعين أنفسهم أن يصدروا الحكم لأن هذا هو الإنتصار الأعظم" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص. ٦٩ - ٧٠

كما هو واضح فإن الأمر له شرحٌ آخر مُحتمل.

كيرلس: سأعود مرةً أخرى إلى نفس الدائرة، وسأقول لك تلك الأمور التي سبق وذكرتها. الإنسان المبتدئ في طريق الفضيلة وهو لم يكتمل تماماً بعد، من السهل أن يتحول للوضع العكسي.

بلاديوس: اخبرني كيف؟ لأنني لا أفهمك جيداً.

كيرلس: قال سليمان في الأمثال: "قل للحكمة أنتِ أختي وادعُ الفهمَ ذا قرابة" (أم ٧: ٤). بالحق نحن نقتني لنا فضائل، وذلك عندما نهتم أن نقدم ثماراً من خلال هذه الفضائل، أي عندما ينجح الواحد في أن يقدم الحكمة في المعرفة وينجح الآخر في ممارسة الوداعة والتواضع بنشاط وحيوية. فهل بمجرد أن يبدأ الذهن ينشغل وبشكل مباشر بهذه الاهتمامات الجادة، يصير قادراً على تقبل التجارب والضيقات؟ وذاك الذي اختبر الحكمة حديثاً، ثم عاشر أولئك الذين يُعوِّجون المستقيمات، ألَا يعوّجُ أكثر؟ أي هل يستطيع أن ينتصر وأن يصد هؤلاء المنحرفين، إذا لم يكن مؤسَّساً بعد وغير ثابت بقوة من فوق؟

بلاديوس: يبدو هكذا.

كيرلس: ومن يمارس الوداعة، لو كان غير مُدرَّبٍ عليها، ألا يسقط بسهولة في الغضب إن أثاره أحد؟

بلاديوس: أعتقد ذلك.

كيرلس: عكس ذلك، فإن الحكيم المدرَّب سيُجاهد مع الحكماء وسيواجه بشجاعةٍ، الأفكار غير المستقيمة برؤيته المستقيمة.

بلاديوس: هذا حقيقي.

كيرلس: ماذا إذن؟ إن من ينجح في ممارسة الوداعة، لا يترك مساحةً للغضب، حتى ولو دفعه الآخرون إلى الغضب من حين لآخر.

بلاديوس: أنا أوافق على ذلك.

كيرلس: فالناموس يشبِّه فضيلة القديسين الساكنة فيهم بجمال المرأة، لأنه يقول: "إِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً جَدِيدَةً فَلا يَخْرُجْ فِي الْجُنْدِ وَلا يُحْمَل عَلَيْهِ أَمْرٌ مَا. حُرّاً يَكُونُ

فِي بَيْتِهِ سَنَةً وَاحِدَةً وَيَسُرُّ امْرَأَتَهُ الَّتِي أَخَذَهَا" (تث ٢٤: ٥). فكما أن الذي ارتبط حديثاً (بامرأة) لا يُحمَّل بمتاعب وأثقال بل يبقى حراً في بيته متمتعاً بالدفء، هكذا الأمر مع الحديث في اقتناء الفضيلة وفي حماسه، وهذا ما نجده في كرازة الرسل القديسين الذين أُرسلوا لدعوة أولئك الذين قبلوا الإيمان حديثاً، ودعوهم إلى معرفة الله، فكتبوا بكل وضوح: "لأَنَّهُ قَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ أَنْ لاَ نَضَعَ عَلَيْكُمْ ثِقْلاً أَكْثَرَ غَيْرَ هَذِهِ الأَشْيَاءِ الْوَاجِبَةِ: أَنْ تَمْتَنِعُوا عَمَّا ذُبِحَ لِلأَصْنَامِ وَعَنِ الدَّمِ وَالْمَخْنُوقِ وَالزِّنَا" (أع ١٥: ٢٨ - ٢٩)، فجنَّبوهم بروح التدبير، أكثر الوصايا ثقلاً، وأمروهم أن يحفظوا أموراً قليلة، لكنها هامة دون أن يتجاهلوا ضعف أولئك الذين دخلوا حديثاً في الإيمان بالمسيح. إذن، فإله الكل يستطيع أن يسامح هؤلاء (حديثي الإيمان) عن الغضب أو الأخطاء، لو أنهم ضعفوا أثناء سلوكهم في طريق الآلام. لكن بعد ذلك فإن الأمر يتطلب عقاباً، ويُسلَّمون لشدة غضبه، لأنهم يُظهرون ضعفاً، لا لأنهم لم يعتادوا على الآلام والمتاعب، ولكن لأنهم ينجذبون للشهوة وللتنعم ويسلكون عمداً في طريق عدم اللياقة وعدم التقوى. أم تظن أن الفضيلة ليست تصاعدية وأن الطريق إليها ليس صعباً؟ وهل من اختار أن يقتنيها لا يحتاج أن يجاهد ويتعب؟

بلاديوس: هكذا يكون الأمر.

كيرلس: ألا يُعتبر هذا أمراً مُبرراً، أو من الأفضل أن نقول: ألا نعتبره أمراً مستقيماً وصحيحاً، أن كل من ابتدأ هذه المحاولة أن نعلِّمه وندرِّبه بإشفاق[1]، طالما هو لم يثبت بعد، بل يتقدم بأرجل مهتزة ومازال في ضعفه. أمَّا المختَبر فيُعلَّم من خلال الآلام الشديدة ومخافة الله ويُقاد بالطاعة وقبول المصاعب بحسب ما هو ضروري له؟

بلاديوس: هذا التفكير هو تفكير راجح.

كيرلس: والأمر واضح لو فحصنا بالتفصيل ماذا حدث للأقدمين كنماذج لذلك،

١- يقول القديس يوحنا عن غير الكاملين أثناء تفسيره لآية عب ٥: ١٢ "وصرتم مُحتاجين إلى اللبن لا إلى طعام قوي": "هنا (في هذه الرسالة) دائماً ما يدعوا الكلام البسيط باللبن، ويقول "كان ينبغي أن تكونوا مُعلمين لسبب طول الزمان". كما لو أنه قال، لهذا وبشكل أساسي صرتم ضعفاء ولا مُبالين، ومن أجل هذا كان ينبغي أن تكونوا أقوياء، بسبب الزمان الذي عبر" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ١٤٤ - ١٤٥.

لأنه مكتوب: "ثُمَّ ارْتَحَلَ مُوسَى بِإِسْرَائِيلَ مِنْ بَحْرِ سُوفَ وَخَرَجُوا إِلَى بَرِّيَّةِ شُورٍ. فَسَارُوا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَلَمْ يَجِدُوا مَاءً. فَجَاءُوا إِلَى مَارَّةَ. وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَشْرَبُوا مَاءً مِنْ مَارَّةَ لأَنَّهُ مُرٌّ. لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا «مَارَّةَ». فَتَذَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: «مَاذَا نَشْرَبُ؟». فَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ. فَأَرَاهُ الرَّبُّ شَجَرَةً فَطَرَحَهَا فِي الْمَاءِ فَصَارَ الْمَاءُ عَذْباً" (خر ١٥: ٢٢ - ٢٥). إذن ارتحل الإسرائيليون حديثاً من مصر وتخلصوا من الآلام والنير غير المحتمل، نير عبودية المصريين، محاولين الوصول إلى الأرض التي وعد بها الله آباءهم منذ القديم. كانت أول مشقة واجهوها هي غياب الماء الذي وجدوه بعد متاعب كثيرة وطويلة، لكن التمتع به لم يأتِ بدون عناء، لأنه كان مُراً كما هو مكتوب. لكن بطرح الشجرة فيه تحوّل إلى ماءٍ حلو، وذلك بعدما أشار الله على موسى أن يلقيها في الماء[1]. أي أنهم تعلّموا بواسطة الناموس الإلهي الالتزام بتبعية الله الذي ينقذنا من عبودية وسيطرة الشهوات المرة[2]. إذن فهو أمر هام أن نجاهد مقاومين التجارب لكي ننال إكليل النُصرة، ونهدئ الجسد بالأتعاب النُسكية، ونسكّنه كوحش ضارٍ، بالعطش والابتعاد عن الطعام لكي نكبح تلك الاندفاعات التي تتجه نحو الشهوة[3].

معركتنا الأولى، لو أردنا أن نحقق ضبط النفس، هي مع الجسد وكل

١- عن المسيح يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي: "لقد رُفِعَ على الخشبة وسُمِّر عليها، ولكنه يُقوِّمنا بشجرة الحياة. سقوه خلاً وأطعموه المر (مت٢٧: ٣٤)، وهو الذي حوَّل الماء خمراً طيِّباً (يو ٢: ١ - ١١)، الذي أبطل طعم المرارة (خر١٥: ٢٥ و٢ مل ٤: ٤١)، الذي هو «حلاوة وكله مشتهيات» (نش٥: ١٦). لقد أسلم نفسه ولكن له سلطان أن يأخذها أيضاً (يو١٠: ١٨). لقد مات ولكنه أحيا الآخرين وأبطل الموت بالموت" عظة 20:29 PG 36, 101

٢- يقول القديس كيرلس في نفس السياق: "حسناً، لاحظ كيف أنه حرَّرهم لكن لم يتركهم بدون تمرين وممارسة، لأن بإستمتاعهم بسلام كبير قد ينقادوا إلى الخمول والكسل وينسوا تدريجياً هذا الذي لديه القدرة أن يخلصهم، ويرجعون إلى الضلال السابق. لأن الصعوبات تُقرب البشر إلى الله. أيضاً يقول النبي " يَا رَبُّ فِي الضِّيقِ طَلَبُوكَ. سَكَبُوا مُخَافَتَةً عِنْدَ تَأْدِيبِكَ إِيَّاهُمْ" (إش ٢٦: ١٦). هكذا حيث إنهم مشوا وإجتازوا أرضاً كبيرة وجافة، وصلوا إلى حالة غياب إحتياجات ضرورية لحياتهم. إذ أنهم لم يجدوا حتى الماء ليشربوه. وبينما إستمر عطشهم لثلاثة أيام، بالكاد وجدوا مُرادهم لكن كان بلا فائدة بالمرة. لأن ماء مارة كان مُراً ولم يروي ظمأهم ليتجنبوا الموت. لأجل هذا تذمروا وتمردوا ضد الوسيط موسى الذي تضايق جداً. ثم عندما أظهر الله، الذي يعرف كل شيء، شجرة لموسى، ألقاها في المياه، وبطريقة معجزية تحولت المياه المُرة إلى حلوة صالحة للشُرب. حسناً حين تجنبوا خطر الموت تعجبوا من عمل الله المعجزي، وبعد هذه الواقعة أتوا إلى إثنتى عشرة عين ماء حيث كان يوجد سبعون نخلة وعسكروا هناك وهم مملوءون من السكينة" جيلافيرا على سفر الخروج، الكتاب الشهري مارس ٢٠١٠.

٣- يقول القديس يوحنا ذهبي: "أريد أن تحفظوا وصايا المسيح، الذي يُوصينا أن نصلي، حتى لا نقع في تجربة، وأن نتبعه حاملين الصليب. لأن هذه الأمور ليست متناقضة، بل هي متوافقة للغاية فيما بينها. إذاً فلتستعد هكذا مثل جندي شجاع، وأن تكون دائماً مُتسلحا، وهادئاً، ويقظاً مستعداً لهجوم العدو. لكن يجب إلّا تستدعي الحرب، لأن هذه ليست سمة جندي، بل سمة العاصي والمخالف. أما إذا دعاك بوق التقوى، فتجنّد على الفور، احتقر الحياة، انطلق إلى الجهاد الروحي برغبة كبيرة، حطم فيلق الأعداء، اقطع وجه الشيطان، وأقم نصب الانتصار" تفسير العبرانيين، ص ١٠٨.

ما يتعلق به، وأعتقد أنه لا يستطيع أحد أن يحقق الفضيلة بأسلوب آخر. والعطش في الصحراء، الذي حدث للأقدمين، هو المثال الذي يُعطي للأتعاب النُسكية، وبداية تداريب النُسك هي تلك الخاصة بالأمور الجسدية[1]. لاحظ أيضاً كيف أن الإسرائيليين لم يسقطوا من البداية في الحرب؛ لأن كل الذين يواجهون الشهوات لأول مرةً ويبدأون في تحقيق الفضيلة، لا يندفعون مباشرةً نحو المعركة ضد القوات والسلطات، لأن هؤلاء الذين ما زالوا في طور التدريب ليس لديهم بعد قوة، ولم يجتازوا بعد مرحلة الخطر، لكنهم يُختبَرون أولاً بالآلام الجسدية، بينما يدبِّر الله مقدار ثقل الألم، على قدر احتمال أولئك الذين يجاهدون. وأعتقد أن هذا يعني أن التجارب التي يواجهونها حتى الآن لم تكن فوق قدراتهم الإنسانية. لأن الرسول يقول: ''وَلَكِنَّ اللهَ أَمِينٌ الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضاً الْمَنْفَذَ لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا'' (١ كو ١٠:١٣). ولأن جهادات الفضيلة صعبة جداً، فإن المسيح يحولها إلى جهادات حلوة ومفرحة، المسيح هو الذي دُعيَ شجرة الحياة[2]. وهو نفسه يقول هذا في الإنجيل: ''لأَنَّهُ إِنْ كَانُوا بِالْعُودِ الرَّطْبِ يَفْعَلُونَ هَذَا فَمَاذَا يَكُونُ بِالْيَابِسِ؟'' (لو ٢٣:٣١). فهو دعا نفسه العود الرطب. والله (الآب) هو الذي أشار على موسى البار بالخشبة. بمعنى أن الآب وحده أعلن الابن؛ لأن الابن وحده يعرف الآب. لأنه يقول: ''وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الاِبْنَ إِلاَّ الآبُ وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الاِبْنُ وَمَنْ أَرَادَ الاِبْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ'' (مت ١١: ٢٧). إذن، فبالمسيح

١- يقول القديس كيرلس: ''قال المسيح لأحبائه: ''إدخلوا من الباب الضيق'' (مت ٧:١٣)، داعياً الحياة المملوئة بالآلام والشرور بالباب الضيق ودعانا للصبر تجاه هذه الآلام، الصبر الذي هو جدير بكل حديث، إذ به يستطيعون أن يتقدموا وينموا، هؤلاء الذين يفضلون التفكير في الأمور السماوية ويصيروا ممجدين بالممارسات الروحية التي تساهم في إكتساب الصلاح والفضيلة. ومثلما يتقدم المحارب في الصفوف الأمامية ليظهر بسالة المقاتل، هكذا أيضاً القوي والباسل، أقصد في تحقيق حياة الفضيلة التي يُسر بها الله، هذا يُظهره الله ممجداً ومشهوراً وجديراً لكل ثناء، إذ إستطاع أن يتحمل أتعاب التجارب. لذلك أيضاً يخبرنا تلميذ المخلص بأن هذا الأنسان سيكون مباركاً وطاهراً، إذ يقول: ''طوبي للرجل الذي يحتمل التجربة. لأنه إذا تزكّي ينال إكليل الحياة الذي وعد به الرب للذين يحبونه'' (يع ١:١٢). هكذا هؤلاء الذين وصلوا لمثل هذا المستوي من البسالة وإكتسبوا المجد، يقولون: ''لأنك جربتنا يا الله. محصتنا كمحص الفضة. ادخلتنا إلي الشبكة. جعلت ضغطاً علي متوننا. ركّبت أناساً علي رؤوسنا. دخلنا في النار والماء ثم اخرجتنا إلي الخصب'' (مز ٦٦:١٠-١٢)'' جيلافيرا، الكتاب الشهري، نوفمبر ٢٠١٠.

٢- يقول القديس كيرلس الأورشليمي: ''لقد استطاعت خطية إنسان واحد، هو آدم، أن تُدخل الموت إلى العالم. فإن كان بسقطة إنسانٍ واحدٍ قد ملك الموت على العالم، فكيف لا تملك الحياة بالأحرى ببرِّ إنسانٍ واحدٍ (رو ٥: ١٧)؟ وإن كانا حينذاك قد طُردا من الفردوس بسبب شجرةٍ أكلا منها، أليس من الأسهل أن يدخل المؤمنون الآن الفردوس بسبب شجرة يسوع؟ وإن كان الإنسان الأول، المجبول من التراب، أتى بالموت الشامل، فالذي خلقه من التراب ألا يأتي بالحياة الأبدية، إذ أنه هو نفسه الحياة؟'' عظات للموعظين 2:13 BEΠ39,153.

شجرة الحياة يصير كل ما هو مُرٌّ حلواً، والغير المحتَمَل يصير محتَمَلاً. وكل هذه الأمور (أي الآلام) رغم أهميتها في الحياة، ووجودها كوضع طبيعي، إلَّا أنها تتعب وتضر الجسد.

بلاديوس: كيف يكون هذا؟

كيرلس: في الحقيقة إن الآلام تتعب الجسد وتضره لأنها مُرةٌ جداً، لكنها تجعل النفس شريكةً في الحياة الأبدية، كما يقول القديس بولس: ”لأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ“ (٢ كو ١٢: ١٠). ويقول أيضاً: ”لِذَلِكَ لاَ نَفْشَلُ. بَلْ وَإِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْماً فَيَوْماً“ (٢ كو ٤: ١٦). ولا يوجد أحدٌ على وجه الإطلاق يمكن أن يعاني هذه الآلام غير المحتَمَلة في هذا العالم، إن لم يكن يمتلك في داخله الرجاء المبارك الذي يعطيه المسيح.

بلاديوس: أعتقد أن أحداً لا يمكنه ذلك.

تابوت العهد نموذج لحضور المسيح

كيرلس: انتبه إذن يا بلاديوس، لماذا هو أمرٌ هام أن نعود نتذكر ما قلناه في البداية؟ لقد عطش الإسرائيليون في البريَّة وتذمروا على الحكيم موسى، غير مُعاقَبين، وسقطوا في صِغَرِ نفسٍ شديد، إلَّا أنهم لم يُعاقَبوا. ورغم أنهم لم يتعرضوا لنتائج الغضب، على الرغم من أن الله عادةً ما يعاقِب المذنبين بمثل هذا الخطأ. فالمبتدئ على التدرب لاقتناء الفضيلة ينال رحمةً في البداية، حتى وإن سقط من حين لآخر في بعض الأخطاء. لكن عندما يتقدم، فإنه لا ينال صفحاً عن صِغَرِ النفس الشديد[1]، وعن أي انحرافٍ عن الطريق بلا ضابط، بسبب سلوكه في شهوات غير لائقة. وفي سفر

١ - يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: ”إن حدث وبقينا أعداءه على الدوام، في الوقت الذي فيه نطلب منه المغفرة، فإننا لن نتوقف عن أن نكون أعداءه، ونحيا في فجور وفسق ونصبح في حالة أسوأ، وسنكون عمياناً، عندما يأتي شمس البر. ألا ترى الشعاع الذي يفتح عينيك؟ إعتني بعينيك، حتى تصبحا صالحتين، صحيحتين، وحادتي البصر. لقد أظهر لك النور الحقيقي، فإن تجنبت هذا النور، وركضت مرة أخري نحو الظلمة، فأي دفاع وأي عذر ستقدم؟ لا يوجد، لأن هذا السلوك يُعَّد دليلاً على بغضة لا توصف. لأنه إن كنت لم تعرف الله، ووُجدت في حالة عداوة معه، فلك بعض العذر في هذا، ولكن إن كنت قد تذوقت الطيب والعسل، ثم هجرت كل هذا، وعدت إلى قيئك مرة أخري، فإنك لا تقدم شيئاً آخر، سوى دليل على بغضك وإحتقارك الشديد. لكنك قد تقول إني مُضطر بسبب طبيعتي، نعم أنا أحب المسيح، لكنني مجبر بسبب طبيعتي. فإذا كنت تعاني من العوز والقهر، فستنال الصفح، ولكن إن كان سقوطك بسب اللامبالاة، فلن تنال أي صفح. إذن لنفحص هذا الأمر بالتدقيق، أي هل كان إرتكاب الخطايا نتيجة لإجبار وإكراه، أم نتيجة تراخي ولا مبالاة كبيرة للغاية“ تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ٥٢.



العدد يقول الكتاب أيضاً: "فَارْتَحَلُوا مِنْ جَبَلِ الرَّبِّ مَسِيرَةَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ وَتَابُوتُ عَهْدِ الرَّبِّ رَاحِلٌ أَمَامَهُمْ مَسِيرَةَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ لِيَلْتَمِسَ لهُمْ مَنْزِلاً. وَكَانَتْ سَحَابَةُ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ نَهَاراً فِي ارْتِحَالِهِمْ مِنَ المحَلةِ. وَعِنْدَ ارْتِحَالِ التَّابُوتِ كَانَ مُوسَى يَقُولُ: «قُمْ يَا رَبُّ فَلتَتَبَدَّدْ أَعْدَاؤُكَ وَيَهْرُبْ مُبْغِضُوكَ مِنْ أَمَامِكَ». وَعِنْدَ حُلُولِهِ كَانَ يَقُولُ: «ارْجِعْ يَا رَبُّ إِلى رَبَوَاتِ أُلُوفِ إِسْرَائِيل». وَكَانَ الشَّعْبُ كَأَنَّهُمْ يَشْتَكُونَ شَرّاً فِي أُذُنَيِ الرَّبِّ. وَسَمِعَ الرَّبُّ فَحَمِيَ غَضَبُهُ فَاشْتَعَلتْ فِيهِمْ نَارُ الرَّبِّ وَأَحْرَقَتْ فِي طَرَفِ المحَلةِ. فَصَرَخَ الشَّعْبُ إِلى مُوسَى فَصَلى مُوسَى إِلى الرَّبِّ فَخَمَدَتِ النَّارُ. فَدُعِيَ اسْمُ ذَلِكَ الموْضِعِ «تَبْعِيرَةَ» لأَنَّ نَارَ الرَّبِّ اشْتَعَلتْ فِيهِمْ" (عدد ١٠: ٣٣ - ٣٦، ١١: ١ - ٣).

ثم بعد ذلك يقول: "وَارْتَحَلُوا مِنْ جَبَلِ هُورٍ فِي طَرِيقِ بَحْرِ سُوفٍ لِيَدُورُوا بِأَرْضِ أَدُومَ فَضَاقَتْ نَفْسُ الشَّعْبِ فِي الطَّرِيقِ. وَتَكَلمَ الشَّعْبُ عَلى اللهِ وَعَلى مُوسَى قَائِلِينَ: «لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ فِي البَرِّيَّةِ! لأَنَّهُ لا خُبْزَ وَلا مَاءَ وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْفُسُنَا الطَّعَامَ السَّخِيفَ». فَأَرْسَل الرَّبُّ عَلى الشَّعْبِ الحَيَّاتِ المحْرِقَةَ فَلدَغَتِ الشَّعْبَ فَمَاتَ قَوْمٌ كَثِيرُونَ مِنْ إِسْرَائِيل" (عدد ٢١: ٤ - ٦).

أرأيت أنه بنارٍ وحيَّاتٍ[1] أهلك الله هذا الشعب[2] الذي يتذمر ويحتج دوماً؟! بينما ارتحل هؤلاء من جبل الرب وتابوت عهد الرب مرتحلٌ أمامهم، باحثين عن مكان للراحة، وصلى موسى وتشفَّع لهم لدى الله وصارت سحابة تظللهم أيضاً، ومع هذا فإنهم دعوا الطعام الذي سقط من السماء

١- يشدد القديس كيرلس على ان الإنسان قبل السقوط كانت تخضع له الحيات السامة، إذ يقول: "على الرغم من أنه قد خلقه من الطين، إلا أنه كائن حى عاقل ونفخ فيه مباشرة روح خالدة ومحيية، لأنه مكتوب: "ونفخ فى وجهه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية" (تك ٢:٧). وبعد أن وضعه فى الفردوس وأعطاه السيادة على كل المخلوقات الأرضية، وجعله سيداً على كل أنواع الكائنات التى تحيا فى المياه والطيور، وأخضع له الوحوش المفترسة ومعها أجناس الحيات السامة، وألزمها بنواميس طبيعية أن تهابه، أصبح الإنسان يمثل المجد الأسمى على الأرض وصورة للسيادة الملائمة لله" جيلافيرا على سفر التكوين، الكتاب الشهري نوفمبر ٢٠٠٣.

٢- اما بالنسبة لنا نحن، بفضل سُكنى الكلمة في الجسد جعله ينمو ويتقدم ويسمو على الفساد، وهذا ما يشرحه القديس كيرلس -أثناء حديثة عن العليقة المشتعلة التي رآها موسى في البرية ولم تمسسها النار بأذية على مثال التجسد وإتحاد اللاهوت بالناسوت- إذ يقول: "وكون أن هذا الذي من طبيعته قابل للفساد، أي الجسد جعله أسمى من الفساد، قد أظهرته لنا نار العليقة التي تركت الشجرة سليمة ولم تمسها بأذية. كيف يمكن لأحد أن يتردد في أن كلمة الله الذي هو الحياة بطبيعته أحيا هيكله وجعله غير فاسد وعديم الموت؟ حسناً لقد تركت النيران نبات العليق سليماً والنيران صارت محتملة في أصغر وأضعف نبات. هكذا، كما قلت، صارت الطبيعة الإلهية في الطبيعة البشرية. وهذا السر صار في المسيح. لأن كلمة الله سكن فينا بدون أن يطلب عقابنا ولا أن يديننا بل أنعم علينا بمعاملات صالحة ولطيفة كما قال هو نفسه "لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم" (يو ٣: ١٧). حسناً لم تحترق العليقة، بالرغم من أنها كانت محاطة بالنيران ومتقدة. هكذا لم نُعاقب بسبب خطايانا، كما قلنا سابقاً، لكن أحاطنا المسيح ببهاء الروح القدس وسكن فينا الروح الذي به نصرخ "يا أبَّا الآب" (رو ٨: ١٥)". جيلافيرا، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم، مراجعة د. نصحي عبد الشهيد، الكتاب الشهري عدد سبتمبر ٢٠٠٩.

بالطعام السخيف، واحتجوا بصراخ شديد ضد الله وضد موسى، ولهذا صاروا غذاءً للنار، وبعضهم مات على الفور من لدغات الحيات.

بلاديوس: وأيُ شيءٍ يمكن أن نلاحظه من هاتين المعجزتين؟ وما هو جبل الرب؟

كيرلس: جبل الرب كما أتصور هو جبل سيناء، حيث نزل خالق الكل على شكل نار مشتعلة ورآه كل الشعب بحسب المكتوب، وحدد النواميس التي يجب أن يسيروا عليها لأنه يقول: "هُنَاكَ وَضَعَ لَهُ فَرِيضَةً وَحُكْماً وَهُنَاكَ امْتَحَنَهُ" (خر ١٥:٢٥)، وأيضاً فإن تلك (النواميس) أعطاها المسيح. ولهذا فإن كلامه يصف هذه النواميس التي أعطاها من خلال موسى بقوله: "فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ" (مت ٥:١٨).

لنتقدم إذن ونتجاوز الغطاء المادي للحديث[١]، ونلاحظ دقة المعاني الروحية. هؤلاء هم الذين استحقوا أن يروا الله ويعرفوه، ورأوا كما في الجبل نور الطبيعة الإلهية من خلال عيون الذهن، أي رأوا الطبيعة الإلهية في مجدها الأسمى الذي يفوق كل شيء؛ لأن مجد الطبيعة الإلهية هو فوق كل شيء، هؤلاء الذين بإيمانهم صاروا بمعنىً ما معاينين المسيح[٢]. ورغم أنهم لم يعيشوا ليسمعوا منه كلماته، إلَّا أنه أعطاهم وعوداً من أجل طاعتهم له، لأن هذا ما صنعه إسرائيل وقتها قائلاً: "لكل ما قاله الرب إلهك ستعمل

١- يقصد بالغطاء المادي التفسير الحرفي والتاريخي، وبالمعاني الروحية يقصد المعنى المخفي وراء الحرف والتاريخ.

٢- عندما يفسر العلَّامة أوريجينوس حدث التجلي، يتحدث عن "أشكال" مختلفة للرب، فالشكل البشرى تماماً يراه أولئك القابعون أسفل الجبل. لكن هؤلاء الذين صعدوا مع المسيح على الجبل تمتعوا بلمعان ملابسه وبهاء وجهه. نفس الأمر يحدث مع تفسير الكتاب. فمَنْ يمكثون عند الحرف لا يستطيعون إطلاقاً الاقتراب مَنْ إلوهية المسيح. بينما مَن يعبرون من برقع الحرف يدخلون إلى جمال المجد الإلهي ويصنعون شركة -بالنعمة- مع الجمال السري للكتاب المقدس. ويشرح العلامة أوريجينوس هذه الحقيقة بأكثر وضوحٍ في عظته الأولى على سفر اللاويين قائلاً: "وكما في الأيام الأخيرة" (أع ٢:١٧) فإن كلمة الله الذي تسربل بالجسد مِن مريم، قد جاء إلى هذا العالم، وما رؤي فيه كان شيئاً ما، وما فُهمَ كان شيئاً آخراً. لأن منظر جسده كان متاحاً للكل أن يروه، لكن معرفة لاهوتة فقد أعطيت لقليلين... هكذا أيضاً حين جاءت كلمة الله إلى البشر بالأنبياء ومعطي الناموس (موسى)، فإنها لم تأت من دون أن تتسربل بشكل مناسب. لأنه مثلما كانت هناك مغطاة ببرقع الجسد أو حجابه (انظر ٢كو ٣:١٤)، هكذا هنا أيضاً جاءت بحجاب المعني الروحي المخبأ داخله. هذا هو ما نجده الآن. إذن ونحن ندخل في سفر اللاويين حيث الطقوس والذبائح والتقدمات المتنوعة وخدمات الكهنة التي تُوصف فيه، فإننا نسمع نحن المستحقون وغير المستحقين هذه الأمور بحسب الحرف، والذي هو، إن جاز القول، جسد كلمة الله، وكساءِ لاهوته ولكن "طوبى لتلك العيون" (لو ١٠:٢٣) التي ترى داخلياً الروحِ الإلهي المخفى في حجاب الحرف، ومباركٌ الذين يأتون بآذان نقية ليسمعوا هذه الأمور. وإلا سوف يدركون علانية "الحرف الذي يقتل" (٢كو ٣:٢٦) في تلك الكلمات".

The Father of the Church، Origen، Homilies on Gensis and Exodus، Translated by Gary Wayne Barkley، Volume 71، P.

وستسمع''، هؤلاء سيستمتعون بالعناية الحقيقية التي يجب أن تكون لهم وسيأخذون الاهتمام الكافي لأجل خلاصهم. ويكون الرب عوناً لهم ومحارباً عنهم وقائداً لهم، يعتني بمكان راحتهم. لأن المسيح هو الأول الذي -بسببنا ولأجلنا- وضع ذاته في مواجهة الشيطان الشرس، وواجهه بصومٍ وتجاربَ في البرية، لكي ننال نحن الراحة ونرى الشيطان ساقطاً تحت أقدامنا[1]. ولهذا يقول: ''فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ وَلَكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ'' (يو ١٦ :٣٣). ويقول في موضع آخر: ''هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَاناً لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ'' (لو ١٠ :١٩). إذن فهو الأول الذي -بسببنا ولأجلنا- غلب الشيطان وأنهى مملكته واهتم براحتنا، وجددنا لكي نصير خالدين. فقد دخل هو أولاً إلى الفردوس، إذ أنه قد أَبعَدَ بمعنىً ما، السيف المسلط وأبطل الخطية التي كانت تعيقنا. وقد سدد عنّا ديوننا كما هو مكتوب: ''مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا'' (إش ٥٣ :٥). لأنه سبق وصعد أولاً إلى الله الآب لأجلنا، وافتتح الطريق إلى السماء، وأعدَّ المنازل السماوية، لهذا يقول: ''أَنَا أَمْضِي لِأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً'' (يو ١٤ :٢).

إذن، فالتابوت هو مثالٌ للمسيح. لأن التابوت صُنع من خشب لا يفسد، وغطَّى على الناموس الإلهي والذي هو كلمة الله. ونستطيع أن ندرك أنه يشبه سر الله (المتجسد) من هذه الناحية، لأن الكلمة المتجسد هو الله داخل هيكل غير فاسد. إذن، فقد سار تابوت العهد في الأمام لكي يجد الإسرائيليون مكاناً للراحة. وهكذا سار المسيح أمامنا في الطريق التي ذكرناها الآن. وبعد ذلك قام بعمل الوسيط وصار شفيعاً لدى الآب، وصار كفارةً لأجلنا ''إِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا'' (١ يو ٢ :١)، كما كان موسى في القديم، عندما كانوا يرفعون التابوت لكي يتقدموا، يقول:''قُمْ يَا رَبُّ فَلْتَتَبَدَّدْ أَعْدَاؤُكَ وَيَهْرُبْ مُبْغِضُوكَ مِنْ أَمَامِكَ'' (عدد ١٠ :٣٥). وعندما يضعون التابوت على الأرض، يقول: ''ارْجِعْ يَا رَبُّ إِلَى رِبْوَاتِ أُلُوفِ إِسْرَائِيلَ'' (عدد ١٠ :٣٦).

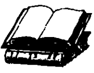
١- يقول القديس كيرلس في موضع آخر: ''لقد انتصرنا بنعمة المسيح على تمرد القتلة، ودُسنا بأقدامنا -بفضل قوة ذاك (المسيح)- على الحيات والعقارب، ولدينا ثقة وإيمان ونحن ندوس على الزواحف السامة كأننا مثل المتسلح بالتُرس والمجن (انظر مز ٩١ :١٣) '' جيلافيرا على سفر التكوين، الكتاب الشهري سبتمبر ٢٠٠٥.

بمعنى أن الابن الوحيد الجنس قام لأجلنا[1]، وهو الذي قال بفم المرنم: "مِنِ اغْتِصَابِ الْمَسَاكِينِ مِنْ صَرْخَةِ الْبَائِسِينَ الآنَ أَقُومُ يَقُولُ الرَّبُّ" (مز ١٢:٥). وقتها سقط الأعداء وهرب أولئك الذين قاوموا المجد الإلهي وحاربوه، لأنه عندما صعد المسيح على الصليب، انتصر على الأعداء، أي السلطات والقوات المضادة، وعندما مات، أبطل سلطان رئيس هذا العالم[2]، بحسب المكتوب: "لَكِنَّنَا نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةٍ بَيْنَ الْكَامِلِينَ وَلَكِنْ بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الدَّهْرِ وَلاَ مِنْ عُظَمَاءِ هَذَا الدَّهْرِ الَّذِينَ يُبْطَلُونَ" (١ كو ٢:٦). وعندما أكمل التدبير بقيامته من الأموات، ثم بصعوده إلى السموات إلى حضن الآب، جعل سكان الأرض يتحولون إليه، والساجدين له ألوفاً وربوات، لأنه يقول: "وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ" (يو ١٢:٣٢). إذن صلاة موسى هي مثالٌ لشفاعة المسيح كإنسان، الذي يشفع فينا أمام الله الآب. لأنه كما يقول القديس يوحنا: "لَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضاً" (١ يو ٢:١ – ٢). وهو لنا أيضاً غطاءٌ عقلي، مثل السحابة التي ظللتهم. فليسمع هذا كل من يتبرر بالإيمان بالمسيح: "لاَ تَضْرِبُكَ الشَّمْسُ فِي النَّهَارِ وَلاَ الْقَمَرُ فِي اللَّيْلِ" (مز ١٢١:٦). وبحسب توزيع الأجور وفقاً للمثل الإنجيلي "نَحْنُ الَّذِينَ احْتَمَلْنَا ثِقَلَ النَّهَارِ وَالْحَرَّ" (مت ٢٠:١٢). وأعتقد أنه يعنى اللهب الشديد والقوي، الناتج عن الشهوات غير المروَّضة، أو ربما الناتج عن لهب التجارب وثقل النهار. إذن، المسيح صار لنا معيناً وسنداً لأجل خلاصنا[3]. ولذلك، عندما يرفض أولئك الذين استحقوا أن يروا الله

١ـ أيضاً يؤكد القديس كيرلس الأسكندرى -في موضع آخر- على إبطال الموت بواسطة الابن لأجلنا قائلاً: "عندما سقط الإنسان بعصيانه واستُعبِد لقوة الموت وفقد كرامته القديمة أعاده الآب وجدَّده إلى الحياة الجديدة بالابن كما كان فى البدء. وكيف جدَّده الابن؟ بموته بالجسد ذبح الموت وأعاد الجنس البشرى إلى عدم الفساد عندما قام من الموت لأجلنا" قيامة المسيح، للقديس كيرلس عمود الدين، تفسير يوحنا٢٠، ترجمة د. نصحى عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، القاهرة ٢٠٠٣، ص٢٧.

٢ـ أيضاً يؤكد القديس كيرلس الأسكندرى –في موضع آخر– على نصرة المسيح على رئيس هذا العالم، قائلاً: "سر المسيح جدير بأن نتحدث عنه باستفاضة، إذ أن سبب تأنسه يفوق فهم أي شخص. بمعنى أن سبب التدبير هو عميق جداً، إذ أن الوحيد الجنس هو الله ومولود من الله بحسب الطبيعة وصار إنساناً وحل بيننا (يو ١:١٤) وصار رسولنا ورئيس كهنتنا وحررنا من ثقل لسان الناموس، ونقلنا إلى صوت التعاليم الإنجيلية الحلو، وليس هذا فقط ولكن بينما كنا مأسورين حررنا منتصراً على رئيس هذا العالم وأنقذ الأموات من أحضان الهاوية. وبما إنه أسس الكنيسة وعين رئيساً لنا فقد عبر بنا، بالإيمان به، من الأرض، وإذ أعطانا الختان الروحي فقد أدخلنا إلى ملكوت السموات". جيلافيرا، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم، مراجعة د. نصحي عبد الشهيد، الكتاب الشهري، عدد سبتمبر ٢٠٠٤.

٣ـ يقول القديس كيرلس في موضع آخر: "يطلب الأنبياء الطوباويون الذين يهتمون كثيراً بأمورنا -كأناس ملهمون



وصاروا شهوداً للأقوال الإلهية ونالوا المواعيد، وكانت لديهم نية الطاعة باعتراف الإيمان، ثم يتحولون نحو الخطية، فإن هذا الذي سار أمامهم وقادهم، والذي يعتني براحتهم، والذي هو شفيع لأجلهم، أعني بالطبع المسيح، سوف يحاسبهم عن حماقتهم وسيعانون عقوبة شديدة بالنار[1]. واعتقد أن هذا هو ما قاله الحكيم بولس: ''فَإِنَّهُ إِنْ أَخْطَأْنَا بِاخْتِيَارِنَا بَعْدَمَا أَخَذْنَا مَعْرِفَةَ الْحَقِّ، لاَ تبْقَى بَعْدُ ذَبِيحَةٌ عَنِ الْخَطَايَا'' (عب ١٠: ٢٦ - ٢٧).

بلاديوس: إذن، فكل من أخطأ وتجاوز التدبير الذي صنعه المسيح سيصير غذاءً للنار، وكما هو واضح، فإن المتذمر يُظهر عصياناً ويرفض خلاصه المقدم من المسيح، على الرغم من أنه تذوق النعمة[2] ولديه خبرة من الذين عبروا، وعنده وعود أكيدة من نحو المستقبل.

كيرلس: هكذا أقول. فمادام الآخرون قد أُصيبوا بالخوف، فقد بدأ هؤلاء أيضاً في الصراخ والاحتجاج الردئ ضد الله وضد موسى، ودعوا المن الذي نزل من السماء، بالطعام السخيف، لذا أُهلِكوا بالحيات. لأن هؤلاء الذين أهانوا مخلص الجميع وفاديهم بسبب جحودهم، لم يُقدِّروا أبداً نعمة الحرية، بل إنهم فوق ذلك يسيئون إلى الكلمة المحيي، وإلى عطية الروح، كأنها بلا فائدة. هؤلاء سيواجهون لدغات الوحش السامة. لكن كل مَن لم تستعبدهم الخطايا غير اللائقة، سينجون من الهاوية والجحيم والعقاب، وسيقهرون أعداءهم، لأنه يقول: ''عَلَى الأَسَدِ وَالصِّلِّ تَطَأُ. الشِّبْلَ وَالثُّعْبَانَ تَدُوسُ'' (مز ٩١:١٣). إن أولئك الذين تدربوا بالفعل من خلال الجهادات التي جازوها ولم يتركوا نموهم بلا تدريب، بل تدربوا واعتادوا على الجهاد، من أجل الفضيلة، هؤلاء يصيبهم ضرر كثير إذا تهاونوا وأظهروا عدم شجاعة.

بلاديوس: هذه هي النتيجة فعلاً.

بالروح القدس يفحصون بدقة الأمور- أن يكون لنا كلمة الله مساعداً ومعيناً في أمورنا الأرضية، لأن فيه إمكانية خلاص أولئك الذين قد وصلوا إلي قمة الشرور'' جيلافيرا على سفر الخروج، الكتاب الشهري، سبتمبر ٢٠٠٩.

١- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: ''يوجد رجاء واحد فقط (المسيح)، وهو ألا نُلقى في النار التي لا تُطفأ، فمن سيسقط فيها، لا يمكن أن يجد أي عزاء هناك، حيث صرير الأسنان، والبكاء، والدود الذي لا يموت والنار التي لا تُطفأ'' تفسير الرسالة إلى أفسس، ص٨٦.

٢- ''لأَنَّ الَّذِينَ اسْتُنِيرُوا مَرَّةً، وَذَاقُوا الْمَوْهِبَةَ السَّمَاوِيَّةَ وَصَارُوا شُرَكَاءَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَذَاقُوا كَلِمَةَ اللهِ الصَّالِحَةَ وَقُوَّاتِ الدَّهْرِ الآتِي، وَسَقَطُوا، لاَ يُمْكِنُ تَجْدِيدُهُمْ أَيْضاً لِلتَّوْبَةِ، إِذْ هُمْ يَصْلِبُونَ لأَنْفُسِهِمُ ابْنَ اللهِ ثَانِيَةً وَيُشَهِّرُونَهُ'' (عب ٦:٤ - ٧).



تذمُّر الشعب وسقوطهم في الشهوة

كيرلس: حديثنا يؤكد لنا أن المتذمر ليس فقط مكروهاً ومداناً أمام الله، بل أن هذا التذمر[1] هو نوع من الاتهام والغضب ضد إحسانات المخلِّص، حتى لو ظهر في الطريق بعض الآلام. إن محبة الراحة المرذولة تستحق لعنةً ليست بقليلة، لأنهم بينما كان في مقدورهم أن يتمتعوا بالمواهب الإلهية وبالسماويات وبطريقة غير مُدانة، فإنهم يُلقون بأنفسهم بدون ضوابط في شهوات فاسدة وفي محبة جسدية غير نقية. وهنا يُعدُّ اختيار السلوك الشرير بدلاً من حياة الخلاص، إهانةً واضحةً لحياة السمو والخلاص، ويُعدُّ قراراً خاطئاً تفضيل الأمور الأرضية على الأمور السماوية. هكذا يجلبون على أنفسهم أموراً مشينةً. ولهؤلاء يقول إشعياء النبي باكياً: "وَيْلٌ لِلْقَائِلِينَ لِلشَّرِّ خَيْراً وَلِلْخَيْرِ شَرّاً الْجَاعِلِينَ الظَّلاَمَ نُوراً وَالنُّورَ ظَلاَماً الْجَاعِلِينَ الْمُرَّ حُلْواً وَالْحُلْوَ مُرّاً" (إش ٥: ٢٠). ولذلك نجد أن الإسرائيليين قد تم أسرهم بسبب مثل هذه الأخطاء، ونتيجةً لتذمرهم، أُدينوا مع ما يرتبط بهذا من فقدان الكرامة الناتج عن الشهوة. فقد احتقروا وصايا الله، وتذمَّروا على الطعام الذي هبط عليهم من السماء، وهو ما أثار ضدهم الديان العادل، لأنه مكتوب: "وَاللفِيفُ الذِي فِي وَسَطِهِمِ اشْتَهَى شَهْوَةً. فَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيل أَيْضاً وَبَكُوا وَقَالُوا: «مَنْ يُطْعِمُنَا لحْماً؟ قَدْ تَذَكَّرْنَا السَّمَكَ الذِي كُنَّا نَأْكُلُهُ فِي مِصْرَ مَجَّاناً وَالقِثَّاءَ وَالبَطِّيخَ وَالكُرَّاثَ وَالبَصَل وَالثُّومَ. وَالآنَ قَدْ يَبِسَتْ أَنْفُسُنَا. لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ أَنَّ أَعْيُنَنَا إِلى هَذَا المَنِّ!». وَأَمَّا المَنُّ فَكَانَ كَبِزْرِ الكُزْبَرَةِ وَمَنْظَرُهُ كَمَنْظَرِ المُقْلِ. كَانَ الشَّعْبُ يَطُوفُونَ لِيَلتَقِطُوهُ ثُمَّ يَطْحَنُونَهُ بِالرَّحَى أَوْ يَدُقُّونَهُ فِي الهَاوَنِ وَيَطْبُخُونَهُ فِي القُدُورِ وَيَعْمَلُونَهُ مَلاتٍ. وَكَانَ طَعْمُهُ كَطَعْمِ قَطَائِفَ بِزَيْتٍ. وَمَتَى نَزَل النَّدَى عَلى المَحَلةِ لَيْلاً كَانَ يَنْزِلُ المَنُّ مَعَهُ. فَلمَّا سَمِعَ مُوسَى الشَّعْبَ يَبْكُونَ بِعَشَائِرِهِمْ كُل وَاحِدٍ فِي بَابِ خَيْمَتِهِ وَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ جِدّاً سَاءَ ذَلِكَ فِي عَيْنَيْ مُوسَى" (عدد ١١: ٤ – ١٠).

---

١ ـ يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "الإيمان هو أمر عظيم ومُنقِذ، وبدونه لا يستطيع أحد أن يخلص أبداً. لكن الإيمان وحده في ذاته لا يكفي، بل طريقة الحياة المستقيمة هي التي نحتاجها. ومن أجل هذا فإن القديس بولس ينصح هؤلاء الذين استحقوا بالفعل هذه الأسرار، قائلاً :" فلنجتهد أن ندخل إلى تلك الراحة ". يقول فلنجتهد، لأن الإيمان وحده لا يكفي، بل يجب أن يُضاف إليه، طريقة الحياة، وأن تُبذل محاولات كبيرة. لأننا نحتاج حقاً محاولة كبيرة و بذل جهد كبير، حتى نرتفع إلى السماء. وطالما أن أولئك الذين عانوا الكثير في القفر لم يُحسبوا مستحقين لدخول الأرض (أرض كنعان)، ولم يتمكنوا من ذلك لأنهم تذمروا وتنجسوا، فكيف سنكون نحن مستحقين للدخول إلى السموات، عندما نحيا في لا مبالاة، وخمول؟ إذاً فنحن نحتاج إلى جهد كبير" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ١٢٥.

أمَا تعتقد أن سقوط رجال قديسين في اشتهاء التنعم وفي مثل هذا الفكر الطفولي، يجعلهم مستحقين للغضب الإلهي والإدانة؟ فعلى الرغم من أنهم كانوا فعلاً رجالاً مدربين، إلّا أن شهوتهم المنحرفة طغت عليهم ليعودوا إلى النجاسات الغريبة، ويسلكوا بلا ضوابط في هذه الشهوات، حتى أنهم بكوا كأطفال، ولم يستطيعوا أن يتحملوا قسوة الشهوة الشديدة.

بلاديوس: تتكلم حسناً.

كيرلس: ولهذا تضايق موسى الحكيم جداً، وكان غاضباً جداً، وصرخ بشدة قائلاً إنه لا يستطيع وحده أن يحمل حِمل هذا الشعب الذي سقط بهذه السهولة في الشهوة والعصيان. فأشار الله عليه أن يختار سبعين رجلاً لكي يكونوا عاملين ومساعدين معه في هذا العمل، وقد صاروا بنعمة الروح القدس معروفين من الجميع. لأنهم تنبأوا داخل الخيمة. في ذلك الحين قال الله لموسى: ”وَلِلشَّعْبِ تَقُولُ: تَقَدَّسُوا لِلغَدِ فَتَأْكُلُوا لَحْماً. لأَنَّكُمْ قَدْ بَكَيْتُمْ فِي أُذُنَيِ الرَّبِّ قَائِلِينَ: مَنْ يُطْعِمُنَا لَحْماً؟ إِنَّهُ كَانَ لنا خَيْرٌ فِي مِصْرَ! فَيُعْطِيكُمُ الرَّبُّ لَحْماً فَتَأْكُلُونَ. تَأْكُلُونَ لا يَوْماً وَاحِداً وَلا يَوْمَيْنِ وَلا خَمْسَةَ أَيَّامٍ وَلا عَشَرَةَ أَيَّامٍ وَلا عِشْرِينَ يَوْماً. بَل شَهْراً مِنَ الزَّمَانِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ مَنَاخِرِكُمْ وَيَصِيرَ لكُمْ كَرَاهَةً لأَنَّكُمْ رَفَضْتُمُ الرَّبَّ الذِي فِي وَسَطِكُمْ وَبَكَيْتُمْ أَمَامَهُ قَائِلِينَ لِمَاذَا خَرَجْنَا مِنْ مِصْرَ؟“ (عدد ١١: ١٨ - ٢٠).

وقد أثار هذا حزناً لدى الله مخلصهم، لأن الإسرائيليين تناسوا عبوديتهم وذلهم في مصر، واعتبروها كأنها لم تكن، كل هذا بسبب شهوتهم للحوم وخضروات مصر. ونحن أيضاً مرات كثيرة نخضع لشهوات قوية وملتهبة تقنعنا بأن العبودية للشيطان أمراً هيناً، وبسبب هذه الشهوات الأرضية الفاسدة نتقيد بعبودية الخطية. بل إنه في ذلك الحين أعطاهم الله إمكانية أن يأكلوا لحماً لا ليوم أو لعشرة ولكن لثلاثين يوماً، الأمر الذي يعني استمرار غضب الله عليهم. والآن هو أيضاً يسمح لأولئك الذين يندفعون بلا ضابط نحو الشهوات الجسدية، ويتركهم لو أرادوا، أن يشتركوا في الأمور الجسدية لفترة زمنية معينة. وفي هذا المعنى يقول الكتاب: ”أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ“ (رو ١: ٢٨). والذين أكلوا انتهى بهم الأمر إلى مرضٍ مميت، ومن يحيا في الأمور الجسدية ويفضّلها عن المن

العقلي، الذي هو كلمة الله[1]، فإن محبته للأمور الأرضية الفاسدة ستُفضي به إلى الموت. وهذا كما أعتقد، معنى ما يقوله الكتاب: "لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَاداً، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً" (غل ٦: ٨). لكن ربما الخلاص من هذا الداء نجده فيما كتبه الرسول: "وَإِنَّمَا أَقُولُ: اسْلُكُوا بِالرُّوحِ فَلاَ تُكَمِّلُوا شَهْوَةَ الْجَسَدِ. لأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهَذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لاَ تُرِيدُونَ" (غل ٥: ١٦ - ١٧). فلو كان الإسرائيليون وقتها قد اعتبروا عطية المن طعاماً مقبولاً والذي هو خبز الملائكة ومثال للحلاوة التي ينقلها الروح، ما كانوا قد خضعوا لشهوات الجسد ولا حصدوا من ورائها الهلاك. وقبور الشعب هي خير دليل على هذا. وهكذا ماتوا بسبب شهوتهم[2]. ويستحق الذكر ما جاء على فم إشعياء النبي القائل: "وَيَخْرُجُونَ وَيَرَوْنَ جُثَثَ النَّاسِ الَّذِينَ عَصُوا عَلَيَّ" (إش ٦٦: ٢٤). الشعب الذي عانى هذه الأمور، يُسمى (شعبٌ مُشتهٍ) بحسب ما قيل عن بعضهم "مَجْدُهُمْ فِي خِزْيِهِمْ" (في ٣: ١٩). أي أن اسمهم مأخوذٌ من خطيتهم, وكان هذا إعلاناً عن كل من مات في حزنٍ وأُدين إدانةً أبدية، لتراخيه وعدم صلابته، وصار هذا علامةً واضحة لتلك الأمور التي من أجلها أُدين.

١- في شرح ق. كيرلس السكندري لآية: (يو ٦: ٤٨ - ٥٠): "أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. آبَاؤُكُمْ أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ وَمَاتُوا. هَذَا هُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ، لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهُ الإِنْسَانُ وَلاَ يَمُوتَ"، يقول: "يمكن للمرء أن يعاين هنا بكل الوضوح ما قيل بالنبي إشعياء قبلاً "صرت ظاهراً لمن لا يسألون عني، ووُجدتُ من الذين لم يطلبونني، قلت هأنذا لأمةٍ لم تُسمَّ باسمي. بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرّد ومقاوم" (إش ٦٥: ١، ٢س). لأنه إذ يستبعد من حديثه الأمر كله، مما ينزع عنه العباءة التي تخفيه (إن جاز القول)، فإنه يكشف في النهاية عن ذاته بغير برقع، أمام اليهود، قائلاً "أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ" حتى يتعلّموا الآن أنهم إن كانوا يريدون أن يصيروا فوق الفساد، وأن يخلعوا الموت الذي أصابنا بسبب المعصية، فعليهم أن يتقدّموا إلى شركة القادر على الإحياء وإبادة الفساد وهدم الموت. وذلك في الحقيقة، هو عمل يليق به ويناسبه بالأكثر، إذ هو بالطبيعة الحياة، ولكن، حيث إنهم، إذ يؤكدون أن المن أعطي لآبائهم في البرية، لم ينالوا الخبز الذي نزل حقاً من السماء، أي الإبن، لذلك فهو يعقد مقارنة ضرورية بين الرمز والحقيقة، لكي يعرفوا بذلك أن ذلك (الرمز) ليس هو الخبز الذي نزل من السماء، بل هو ذاك الذي تبين التجربة أنه هكذا حقاً بالطبيعة. إذ يقول لهم إن آباءكم وأجدادكم بأكلهم المَنّ، سدوا احتياجات الطبيعة البشريّة، حاصلين بهذا على حياةٍ لفترة ما، ومعطين للجسد حاجته اليومية فقط، دون أن يستطيعوا درءَ الموت عنه. (ويقول) إن ذلك لخير دليل على أن (المَنّ) ليس هو الخبز الذي من السماء بالمعنى الحقيقي، لهذا فالذين أخذوه لم يحصلوا على عدم الفساد بأي حال: وهو ما يُظهر أيضاً بنفس الطريقة أن الابن وحده بصواب وبحق هو خبز الحياة، حتى أن الذين اشتركوا فيه مرَّة، واتحدوا به بطريقةٍ ما من خلال الشركة معه، قد ظَهَرَ أنهم فوق رباطات الموت ذاتها". شرح يوحنا، جـ ١ ص ٤٠٢ - ٤٠٣.

٢- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "ومن حيث أن الشهوة تعتبر أسوأ شر، إسمع الناموس الموسوي الذي يقول "لا تقتل"، الأمر الذي يأتي من الغضب، بعد ذلك يقول: "لا تزن"، الأمر الذي ينتج عن الشهوة. لأنه تماماً كما أن الخبث، والصياح أو الصراخ الحاد، وكل أنواع الخطية، والتجديف، وكل الخطايا المشابهة، هي إعلان عن الغضب، هكذا الزنا، والنجاسة الجسدية، والطمع، هي خطايا تنتج عن الشهوة، لأننا بهذا كله نشتهي كثيراً المال والمُتع الجسدية" تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ٢٤١ - ٢٤٢.

بلاديوس: هذا حقيقي.

كيرلس: إذن، يجب على أولئك الذين اختاروا أن يصيروا تلاميذاً حقيقيين، أن يهجروا ضعفاتهم خلال مسيرة جهادهم، وأن يتركوا التذمر غير النافع، وكثرة الكلام بلا فائدة، والأحاديث التافهة، والأكثر سوءاً من كل هذا هو الشهوات الدنسة ومحبة الجسد. هؤلاء ينساقون مرةً نحو هذا الاتجاه، ومرةً أخرى نحو اتجاه آخر، وهم مضطربوا الفكر[1]، لأنه مكتوب: "ويل للقلوب الهيابة وللأيدي المتراخية وللخاطئ الذي يمشي في طريقين" (يشوع بن سيراخ ٢:١٢). لذلك يجب احتمال الآلام والثبات والصبر، وأن نُقدّر هذه الأمور جيداً، وأن نتذكر المسيح القائل: "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي" (مت ١٦:٢٤). بمعنى أنه إن أراد أحد أن يصير لي تلميذاً يجب أن يجوز نفس الآلام معي ويسير في نفس الطريق[2]، لأنه بهذا سوف يستريح ويحيا معي إلى الأبد. هذه كانت طلبة المسيح من الله الآب لأجلنا: "أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي" (يو ١٧: ٢٤). نحن نحيا مع المسيح[3] ونحن

١- في نفس السياق يقول القديس يوحنا أثناء شرحه آية أفسس: "كَيْ لاَ نَكُونَ فِي مَا بَعْدُ أَطْفَالاً مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحِ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ، بِمَكْرٍ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلاَلِ" (أف٤:١٤): "هذا القليل الذي نلناه، يجب أن نحفظه بكل عناية، وثبات، ويقين. يقول "كي لا نكون"، عبارة "لا نكون" تُظهر أنه قد عانينا منه قديماً. ولم يستثني نفسه في هذا، نجده فيما بعد يُصحح هذا السرد. ولذلك يقول إن البناءين قد صاروا كثيرين حتى لا يهتز البناء، وحتى لا يتأرجح، وحتى تكون الأحجار ثابتة ومتينة. لأنه يُلاحظ الإضطراب، والإهتزاز، والتأرجح لدى هؤلاء (أي الأطفال المحمولين بكل ريح تعليم). يقول "محمولين بكل ريح تعليم" يتكلم ضد التغير، لكي يُبيّن حجم الخطر الذي توجد فيه تلك الأنفس المترددة والمحمولة بكل ريح تعليم" تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ١٨٣.

٢- يتحدث القديس يوحنا ذهبي الفم عن الطريق الذي دشنه الرب يسوع أثناء تفسيره آية: "فإذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلي الأقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده. وكاهن عظيم علي بيت الله لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقي لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً" (عب١٠:١٩ - ٢٣) قائلاً: "بالدخول إلي الأقداس". ما الذي يدعوه "دخول" هنا؟ إنه الدخول إلي السماء، ودخولنا إلي الأمور الروحية. ثم يقول "طريقاً كرسه"، أي الذي أعده والذي بدأه المسيح أولاً. إن التدشين أو الإفتتاح يُقال عن بداية الإستخدام في المستقبل، وهذا الدخول، أعده المسيح، وصار فيه هو نفسه. "طريقاً.. حديثاً حياً" وهو يظهر بهذا يقين الرجاء. يقول "حديثاً". إنه يسرع لاطلاعنا علي كل تلك الأمور العظيمة جداً، مادامت أبواب السموات قد فُتحت الآن، الأمر الذي يُشير إلي أن هذا لم يحدث حتى في أيام إبراهيم. وبالصواب يدعوه "طريقاً حديثاً"، لأن الأول كان طريقاً يؤدي إلي الموت، إذ كان يقود إلي الجحيم، بينما هذا الطريق هو طريق للحياة. ولم يقل " للحياة "، بل دعاه "حياً"، لكي يعلن ديمومته. يقول "بالحجاب أي جسده". هذا الجسد شق و إخترق هذا الطريق، الذي يتكلم عنه، وكرّسه وأعده بالسير فيه. وبالصواب دعي الجسد "بالحجاب"، لأنه حين صعد بالجسد إلي السماء، حينئذ كانت الأمور التي في السموات قد أصبحت واضحة" تفسير إلى العبرانيين، ص ٢٧١.

٣- تحدث القديس يوحنا ذهبي الفم أثناء تفسيره آية :"وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ" (أف ٢:٥) قائلاً: "المسيح هنا أيضاً وسيط، وبناء على ذلك فالأمر يستحق منا الإيمان. لأنه إذا كان الباكورة حيَّ، فنحن أيضاً أحياء، أي أن الله أحيانا مع المسيح. أرايت كيف أن كل شيء قد قيل عن المسيح المتجسد؟ أرايت عظمة قدرته نحونا نحن المؤمنين، فإنه قد أحب

على الأرض، لكننا نحيا لا جسدياً بل روحياً، ونجاهد أن نجعل من هذه الحياة مكاناً للهدوء والسلام، ولكل ما يُرضي المسيح.

مكتوبٌ في سفر العدد: "وَفِي يَوْمِ إِقَامَةِ المسْكَنِ غَطَّتِ السَّحَابَةُ المسْكَنَ خَيْمَةَ الشَّهَادَةِ. وَفِي المسَاءِ كَانَ عَلى المسْكَنِ كَمَنْظَرِ نَارٍ إِلى الصَّبَاحِ. هَكَذَا كَانَ دَائِماً. السَّحَابَةُ تُغَطِّيهِ وَمَنْظَرُ النَّارِ لَيْلاً. وَمَتَى ارْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ عَنِ الخَيْمَةِ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بَنُو إِسْرَائِيل يَرْتَحِلُونَ. وَفِي المكَانِ حَيْثُ حلتِ السَّحَابَةُ هُنَاكَ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيل يَنْزِلُونَ. حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيل يَرْتَحِلُونَ وَحَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَانُوا يَنْزِلُونَ. جَمِيعَ أَيَّامِ حُلُولِ السَّحَابَةِ عَلى المسْكَنِ كَانُوا يَنْزِلُونَ. وَإِذَا تَمَادَتِ السَّحَابَةُ عَلى المسْكَنِ أَيَّاماً كَثِيرَةً كَانَ بَنُو إِسْرَائِيل يَحْرُسُونَ حِرَاسَةَ الرَّبِّ وَلا يَرْتَحِلُونَ. وَإِذَا كَانَتِ السَّحَابَةُ أَيَّاماً قَلِيلةً عَلى المسْكَنِ فَحَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَانُوا يَنْزِلُونَ وَحَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَانُوا يَرْتَحِلُونَ. وَإِذَا كَانَتِ السَّحَابَةُ مِنَ المسَاءِ إِلى الصَّبَاحِ ثُمَّ ارْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ فِي الصَّبَاحِ كَانُوا يَرْتَحِلُونَ. أَوْ يَوْماً وَلَيْلةً ثُمَّ ارْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ كَانُوا يَرْتَحِلُونَ. أَوْ يَوْمَيْنِ أَوْ شَهْراً أَوْ سَنَةً مَتَى تَمَادَتِ السَّحَابَةُ عَلى المسْكَنِ حَالةً عَليْهِ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيل يَنْزِلُونَ وَلا يَرْتَحِلُونَ. وَمَتَى ارْتَفَعَتْ كَانُوا يَرْتَحِلُونَ. حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَانُوا يَنْزِلُونَ وَحَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَانُوا يَرْتَحِلُونَ. وَكَانُوا يَحْرُسُونَ حِرَاسَةَ الرَّبِّ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ بِيَدِ مُوسَى" (عدد ٩: ١٥ – ٢٣). عندما أُقيمت الخيمة المقدسة (خيمة الشهادة)، غطتها السحابة كما يقول. ثم بعد ذلك أمر الإسرائيليين أن يرتحلوا معها ومعها يتوقفون، ويحدد بشكل متكرر أنِ يحفظوا بدقة وقت الرحيل، ويُظهر بهذا لكل من يريد أن يبدي كسلاً أو خمولاً، إن مخالفة الوصية هو أمر خطير. هذا من الناحية التاريخية. فلنفحص الآن الأمر من الناحية الروحية.

الكنيسة، الخيمة الحقيقية

بمجرد أن نُصبت الخيمة الحقيقية، أي الكنيسة، فوق الأرض، فإنها امتلأت على الفور من مجد المسيح[1]. وهذا يعنى أنه كما كانت تتغطى الخيمة

الأموات أبناء الغضب. أرايت مدى عظمة رجاء دعوته؟" تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ٧٨.

١- يقول القديس كيرلس في موضع آخر: "عندما نتبع يسوع بالإيمان ـ كقائد وكملك ورئيس كهنة ينقلنا من الجشع الشيطانى كأنه من مكان الغرباء ومن الضلال العالمى ـ ندخل إلى المدينة المقدسة أى إلى كنيسة الأبكار التى بناها المسيح نفسه بأحجار عقلية. وهذا ما يؤكده بولس عندما كتب لهؤلاء المفديين الذين يفضلون أن يتبعوا آثار المسيح، "الذى فيه أنتم أيضا مبنيون معا مسكناً لله فى الروح" (أف٢: ٢٣). وكون أن مجد الكنيسة هو أسمى من المجد الأول والقديم، أقصد



القديمة بالسحاب، هكذا قد امتلأت الكنيسة بمجد المسيح. وأولئك الذين كانوا يعيشون في الجهل والضلال، كمن يعيشون في عتمة الليل وفي الظلام، أشرق عليهم مثل النار، أي منحهم الاستنارة العقلية. وأولئك الذين سبق أن استناروا في قلوبهم بنور النهار (أي نور الرب)، ظللهم بظله ومظلته، أي أنه يغنيهم بتعزية سمائية روحية.

هذا هو معنى ظهوره في الليل بشكل نار، وفي النهار بشكل سحاب. فأولئك الذين كانوا بعد أطفالاً، كان لديهم احتياج شديد للاستنارة، إلى نور يقود إلى معرفة الله، بينما مَن هم في وضع أسمى ومستنيرون بالكامل بسبب إيمانهم، كانوا يحتاجون للحماية والعون، حتى يستطيعوا أن يجوزوا بشجاعة لهيب هذه الحياة وثقل النهار، لأنه يقول: "وَجَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ انْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهَدُونَ" (٢ تيمو ٣: ١٢).

وعندما كانت السحابة ترتفع، كانوا يرتحلون مع الخيمة، وعندما تتوقف السحابة في مكانٍ ما، تتوقف الخيمة ويتوقف معها الإسرائيليون. وهكذا فالكنيسة تتبع المسيح في كل مكان وجماعة المؤمنين المقدسة لا تنفصل عنه هو (المسيح) الذي يدعوها للخلاص.

الرحيل والتوقف

بلاديوس: وكيف يمكن أن يُفهم رحيلنا وتوقفنا مع المسيح، الذي يتقدمنا ويقودنا.

كيرلس: هذه الأمور تُعدُّ مثالاً فقط من خلاله نُظهر أننا نريد أن نكون مع الله، فنرحل مع السحابة ونتوقف معها. نرتفع بأفكارنا إلى معاني أكثر دقة بقدر ما نستطيع. ونعود مرةً أخرى لهذا المثال، فنقول: إن أول ارتحال هو من عدم الإيمان إلى الإيمان، ومن الجهل إلى المعرفة، ومن الجهل بالله من حيث طبيعته وحقيقته إلى المعرفة الجلية لرب الجميع وخالقهم. والارتحال الثاني هو ارتفاعٌ نافعٌ ومفيد، من الرذيلة والفجور إلى إرادة صُنع الصلاح والعمل

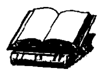
بالطبع من الهيكل الذى كان مبنياً بالأحجار، فهذا هو ما يعلنه قائلاً بفم حجى أيضاً " من الباقى فيكم الذى رأى هذا البيت فى مجده الأول. وكيف تنظرونه الآن. أما هو فى أعينكم كلا شئ" (حجى٢: ٣)، وبعد هذا أيضاً " مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول قال رب الجنود وفى هذا المكان أعطى السلام يقول رب الجنود" (حجى٢: ٩)" جيلافيرا على سفر التكوين، الكتاب الشهري نوفمبر ٢٠٠٧.

به. ثالث ارتحال، وهو أكثر أهميةً وإشراقاً، هو الانتقال من النقص إلى الكمال بالقول والفعل. علينا أن نتقدم إلى الأمام، بحسب قصد المسيح في النمو، نحو قامة إنسان كامل حتى نصل إلى الكمال الذي قياسه هو المسيح. ربما هذا ما يؤكده الرسول بولس لنا: ''أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ. أَسْعَى نَحْوَ الْغَرَضِ لأَجْلِ جَعَالَةِ دَعْوَةِ اللهِ الْعُلْيَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ'' (في ٣:١٣ - ١٤). نرتحل عقلياً من الجهل إلى المعرفة، ومن عدم الإيمان إلى الإيمان ونتقدم دوماً نحو الفضيلة. فنحن لا نتقدم من مكان إلى مكان بحسب المزاج، ولا نشابه أولئك الذين يسلكون هكذا.

بلاديوس: أدرك ما تريد قوله.

كيرلس: لكن الإنسان لا يمكنه أن يترك الخطية، أو أن يصل إلى الصلاح، ولا يستطيع أن يكمِّل إن لم يكن المسيح معه ويقوده، لهذا قال لتلاميذه القديسين: ''بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً'' (يو ١٥:٥) وبناءً عليه، أن يكون المرء مع الله ويصنع إرادته، يمكن أن يُشار إليه بالمثال السابق، أي السحابة التي يتحرك معها الشعب، عندما تتحرك ويتوقف عندما تتوقف. ثم يقول: ''بأمر الرب سترتحلون''، وأعتقد أن هذا يعني احتياجهم للكلمة التي تحث على الشجاعة والتقوى التي تليق بالقديسين، ولكل من يريد أن يتبع المسيح، لأنه يقول: ''وَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ بِلِيَاقَةٍ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ'' (١ كو ١٤: ٤٠).

ثم كُتب أيضاً فيما بعد ما قاله موسى مُفسر الإلهيات: ''اصْنَعْ لكَ بُوقَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ. مَسْحُولَيْنِ تَعْمَلُهُمَا فَيَكُونَانِ لكَ لِمُنَادَاةِ الجَمَاعَةِ وَلارْتِحَالِ المحلاتِ. فَإِذَا ضَرَبُوا بِهِمَا يَجْتَمِعُ إِلَيْكَ كُلُّ الجَمَاعَةِ إِلى بَابِ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ. وَإِذَا ضَرَبُوا بِوَاحِدٍ يَجْتَمِعُ إِلَيْكَ الرُّؤَسَاءُ رُؤُوسُ أُلُوفِ إِسْرَائِيل. وَإِذَا ضَرَبْتُمْ هُتَافاً تَرْتَحِلُ المحلاتُ النَّازِلةُ إِلى الشَّرْقِ. وَإِذَا ضَرَبْتُمْ هُتَافاً ثَانِيَةً تَرْتَحِلُ المحلاتُ النَّازِلةُ إِلى الجَنُوبِ. هُتَافاً يَضْرِبُونَ لِرِحْلاتِهِمْ. وَأَمَّا عِنْدَمَا تَجْمَعُونَ الجَمَاعَةَ فَتَضْرِبُونَ وَلا تَهْتِفُونَ. وَبَنُو هَارُونَ الكَهَنَةُ يَضْرِبُونَ بِالأَبْوَاقِ. فَتَكُونُ لكُمْ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ'' (عدد ١٠:١ - ٨).



الأبواق والهتافات

بلاديوس: وماذا نقول فيما يتعلق بمعنى البوقين والضربات المختلفة للأبواق؟ ولماذا أمر بأن تكون من الفضة ومطروقة بالمدق؟

كيرلس: الأبواق هما اثنان، وعظات النُصح والإرشاد في الكنائس هي نوعان، واحدٌ يقود المؤمنين إلى العقيدة المستقيمة ويُظهِر مقدار الزيف في حديث الهراطقة المنحرفين. مثلما حدث من أولئك الذين مَنَعوا الزواج، والذين علَّموا بغباءٍ شديد الابتعاد عن أطعمة، خلقها الله، "مَانِعِينَ عَنِ الزِّوَاجِ، وَآمِرِينَ انْ يُمْتَنَعَ عَنْ اطْعِمَةٍ قَدْ خَلَقَهَا اللهُ لِتُتَنَاوَلَ بِالشُّكْرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَارِفِي الْحَقِّ" (١ تيمو ٤: ٣). وهكذا فإني أُدين معلمي اليهود الذين احتقروا هذه التعاليم القديمة التي يكرمها ويوجبها الناموس الإلهي، مقللين من قيمتها، آمرين تلاميذهم أن يخضعوا لتعاليمهم هم ولأوامرهم الإنسانية، والبعض الآخر علَّم بغباء أن يُختتن كل من تبرر بالإيمان، لكي يستطيعوا أن يتباهوا بالجسد الفاني. بحسب المكتوب عن هؤلاء: "أَنْظُرُوا الْكِلاَبَ. انْظُرُوا فَعَلَةَ الشَّرِّ. انْظُرُوا الْقَطْعَ" (في٣: ٢).

النوع الآخر يشرح التحسن والنمو الأخلاقي، وينير الطريق بحسب المسيح. فالأبواق الفضية تشير إلى الاستنارة والوضوح التام، كما يظهر من طبيعة المعدن ذاته، لأن معدن الفضة برّاق. وعن طريق الأبواق يُدعى الشعب إلى الخيمة كما هو مكتوب. وبالكرازة يجتمع المتغربون على الأرض إلى الكنائس. وحين يجتمعون نقنعهم أن يبتعدوا عن الأمور المشينة، وأن يحيوا في تلك الأمور التي تليق بالقديسين. ونعلِّمهم بطريقةٍ ما وبأسلوبٍ لائق، أن ينتقلوا من الخطية إلى الصلاح. أليست الكرازة هي التي تقود حسني النية والطوية إلى الحب الحقيقي للحياة، وإلى استقامة العقيدة وتهذيب الأخلاق بحسب مشيئة المسيح؟

بلاديوس: أعتقد هذا.

كيرلس: إذن، فالذي يجمع الشعب في الخيمة هما بوقان، لأنه يقول إذا بوّقوا "يَجْتَمِعُ إِلَيْكَ الرُّؤَسَاءُ رُؤُوسُ أُلُوفِ إِسْرَائِيلَ" (عدد ١٠: ٤). وأعتقد أن مَن هم أكثر كمالاً يحتاجون إلى النصح والإرشاد أيضاً، وإن كان ذلك بالطبع ليس

بالقدر الذي يحتاجه جموع الشعب. ولهذا فجموع الشعب يُدعَون ببوقين اثنين، بينما المختارين يجتمعون ببوقٍ واحد. فالحكيم[1] لا يحتاج إلَّا للقليل ليأخذ دافعاً ويكمِّل ما ينقصه، كما هو مكتوب: "أعط حكيماً فيكون أوفر حكمة، علِّم صديقاً فيزداد علماً" (أم ٩:٩). ثم بعد ذلك أمَرَ أن تُضربَ أربعةُ أبواقٍ مختلفة، والتي بها يمكن لهم أن يحملوا أشياءهم ويرتحلوا، إلى الذين هم في الشرق، والذين هم في الغرب، والذين هم في الشمال، والذين هم في الجنوب. وأعتقد أن هذا يشير إلى الأناجيل الأربعة، والتي تبشِّر كل العالم بعقيدة واحدة ومعرفة أخلاقية سامية. لكن لو احتاج الأمر أن نقول شيئاً آخر لما ترددنا بالمرة، معتبرين أن السعي نحو النافع والمفيد هو أفضل من الخمول.

في كرازتنا هناك أربعة أوجه مختلفة، وهي التي تستطيع بها الأرض كلها أن تحقق الحياة الحقيقية النقية. الوجه الأول، هو الذي اعتدنا أن نكلم به أولئك الذين عبدوا الخليقة[2] بدلاً من الخالق، لكي يعرفوا الحقيقية ويقتنوا النور الإلهي، هؤلاء الذين يقولون كلاماً غير معقول عن الخشب: "أنت هو ربي"، وللحجر: "أنت الذي ولدتني"، "وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى وَ الطُّيُورِ وَ الدَّوَابِّ وَ الزَّحَّافَاتِ" (رو ١:٢٣). الأوجه الثلاثة الأخرى لكرازتنا تليق بالطبع بكل مَن آمن. لأن مخلصنا علَّمنا أن هناك ثلاثة أنواع للحياة، أي البذار التي سقطت على الأرض الجيدة وصنعت ثمراً كثيراً[3]، البعض مائة والبعض ستون والبعض ثلاثون.

١- يمدح القديس يوحنا ذهبي الفم الحكيم، قائلاً: "أخبرني، أي النباتات هي الأفضل؟ أليس تلك التي تحمل في طبيعتها القوة، ولا تؤذيها الأمطار، ولا الصقيع أو البَرَد، ولا قوة إندفاع الرياح، ولا أي شيء آخر شبيه بذلك، بل تقف مُجردة لا تُبال بكل هذا، ودون أن تحتاج لدعامة وسند، ولا إلى سياج أو سور؟ هكذا يكون الإنسان الحكيم، أما الغنى فليس لديه شيئاً وهو يمتلك كل شيء، لديه كل شيء وكأنه لا يمتلك شيئاً. فهو لا يهتم بالبناء الداخلي بل الخارجي فقط، ولذلك فإن طبيعته ضعيفة إذ أنها بلا دعائم. لكن لتخبرني أي جسد هو القوي؟ أليس هو الجسد الصحيح المعافي، الذي لا يمكن للجوع، أو التعب، أو البرد، أو الحر الحارق أن يسود عليه، أم هو ذلك الجسد الذي، يحتاج لخدام الموائد، أو لعمال مهرة مُتخصصين في النسيج (لإعداد ملابس جيدة)، أو إلى صيادين (يحضرون صيداً متميزاً)، وأطباء، لكي يكون في صحة جيدة؟ إن الحكيم الحقيقي هو ذاك الذي ليس بحاجة لأي شيء من كل هذا" تفسير رسالة أفسس، ص ٣١٧.

٢- يحذرنا القديس أثناسيوس من السقوط في الحماقة الأريوسية بأن نعبد المخلوق من دون خالق كل الخليقة مؤكداً على أن الذي فدانا هو الله الابن، إذ يقول: "لأنه لا يجب أن يكون الفداء عن أي طريق آخر سوى عن طريق ذاك الذي هو رب بالطبيعة، لئلا بعد أن خلقنا الابن فإننا ندعو لنا رباً آخر، أو نسقط في الحماقة الأريوسية والوثنية بأن نعبد المخلوق من دون خالق جميع الأشياء". ضد الأريوسيين، المرجع السابق، المقالة الثانية، فقرة ١٤ ص ٣٥.

٣- يقول القديس انبا مقاريوس: "في هذا اليوم وُلِدَ الرب الذي هو حياة وخلاص البشر...لقد كانت الطبيعة البشرية فيما قبل مائتة بالبعد عن الله وغير مثمرة، والنفس كانت عقيمة وعاقرة، وأما الآن فقد قبلت الزرع السماوي لتتمكن أن تُثمر به



لكل واحد من هؤلاء توجد كلمة تناسبه، لأننا لو أردنا أن نتصرف بصواب، فلن نفيد أولئك الذين يحيون لله، ولا أولئك الذين هم في العالم، بدون التدقيق في الكلام، لأن الذين يحيون في العالم، قد دخلوا في النير القانوني للزواج، بينما الآخرون فضَّلوا الحياة النُسكية السامية، أي الحياة التي تليق بخدمة الله، فالذين في العالم نقول لهم: ''هل عقدت قراناً مع امرأة؟ لا تطلب انحلالاً لزواجك. هل انتهى زواجك؟ لا تطلب امرأةً أخرى. وسنقول لهم أن يصنعوا كل ما يليق بالمتزوجين، أمَّا الذين قرروا أن يسلكوا طريق النُسك والاحتمال فنقول لهم: ''فَأَمِيتُوا أعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَعَ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ،'' (كو ٣:٥). وأيضاً ''فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا'' (رو ٨:١٨). وأولئك الذين دُعُوا إلى الكهنوت سنقول لهم: ''لأَنَّ شَفَتَيِ الْكَاهِنِ تَحْفَظَانِ مَعْرِفَةً وَمِنْ فَمِهِ يَطْلُبُونَ الشَّرِيعَةَ لأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْجُنُودِ'' (ملا ٢:٧). بالإضافة إلى كل ما يطلبه الحكيم بولس وهو يكتب إلى تيموثاوس. فهل كلامي من خلال الكتاب المقدس يخرج عن إطار الكلام اللائق، أو هل يقود إلى عدم الاستقامة؟

بلاديوس: بالطبع لا.

كيرلس: لاحظ أن الذين وقع عليهم الاختيار للكهنوت هم الذين عُهد إليهم باستخدام الأبواق. فأظن أنه أُعطي لمعلمي الشعب، ولكل مَن تقدس للكهنوت، حقُّ ممارسة التعليم والخدمة السرائرية، وذلك في إطار الرغبة في تحقيق الفضيلة. ولهذا قيل لموسى: ''اصنع لك بوقين'' (عدد ١٠:٢). ويختم على هذا الأمر بقوله: ''وَبَنُو هَارُونَ الكَهَنَةُ يَضْرِبُونَ بِالأَبْوَاقِ. فَتَكُونُ لكُمْ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ'' (عدد ١٠:٨).

بلاديوس: يمكننا أن نقبل إذن أن طرق استخدام الأبواق تتلاءم مع الكرازة التي تتناسب مع كل واحدٍ من المستمعين. وهكذا نتحرك ونتوقف مع السحابة، بمعنى أننا سوف نسلك بتعقل وسنستريح مع المسيح.

ثمار الروح...وأمّا هذا الزرع الإلهي فهو الكلمة الذي حلَّ في والدة الإله مريم، وهو يحل في كل النفوس المؤمنة، وهكذا تولد ميلاداً روحيًّا هو الخلاص ... إنه هو جالس عن يمين العظمة في السموات، وهو بعينه يدبِّر الذين على الأرض، ويلازم جميع قديسيه ويسكن معهم ... المجد لعظمته! المجد لمحبته للبشر! المجد لتدبيره الفائق من نحو جنسنا! فلنطلب إذن ونؤمن أننا سنستقبله فينا، حتى إذا ما وجدناه ننعم بوجوده'' عظة 52 BEΠ 42,15-19

كيرلس: بالصواب تكلمت. وفي هذا ستقنعنا كلمة النبي القائلة: "وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ إِلاَّ أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعاً مَعَ إِلَهِكَ" (ميخا ٦ :٨).

بلاديوس: إذن، هو أمرٌ حسن ويستحق كل التقدير، ويغني بالمجد لأجل مزيد من الشجاعة، أن تسير في معية الرب إلهك، كيف لا يكون هذا أمراً واضحاً؟ لكن أريد أن تشرح لي أيضاً ماذا يعني أن يكون الإنسان مستعداً؟

الاستعداد للسير مع الرب

كيرلس: أن يكون الإنسان مستعداً هو أن تكون لنا الإمكانية أن نقتني لنا رؤية، وأن نصنع مشيئة الله دون أن يعوقنا أحد، ودون أن يجذبنا إلى ذهن غير مُختبر، فهذا هو معنى الاستعداد للسير مع الله.

بلاديوس: لكن بشكل عام، مَن هم أولئك الذين يمكن أن نقول عنهم إنهم يريدون أن يتبعوا الله، مَن هم أولئك الذين لا يريدون أن يصنعوا هذا مِن عمق أنفسهم، وينحصرون في الحيرة والتردد ويهجرون الصبر والاحتمال؟

بنو جاد ورأوبين نموذجاً

كيرلس: هؤلاء هم الكسالى، والذين يتصورون أنهم يشكرون الله، لكنهم لا يعشقون السيرة المقدسة بكل فكرهم، هؤلاء هم الذين يُعطون لمحبة الله جزءً صغيراً من حماسهم واستعدادهم، بينما ينفقون الباقي بالكامل، بإسراف وبلا هدف في غمار هذه الحياة، في أتعاب غير نافعة واهتمامات مريرة. مثالٌ على ذلك يمكن أن يكون أبناء رأوبين وجاد، لأنه مكتوب: "وَأَمَّا بَنُو رَأُوبَيْنَ وَبَنُو جَادَ فَكَانَ لَهُمْ مَوَاشٍ كَثِيرَةٌ وَافِرَةٌ جِدّاً. فَلمَّا رَأُوا أَرْضَ يَعْزِيرَ وَأَرْضَ جِلعَادَ وَإِذَا المَكَانُ مَكَانُ مَوَاشٍ. أَتَى بَنُو جَادَ وَبَنُو رَأُوبَيْنَ وَقَالُوا لِمُوسَى وَأَلِعَازَارَ الكَاهِنِ وَرُؤَسَاءِ الجَمَاعَةِ: «عَطَارُوتُ وَدِيبُونُ وَيَعْزِيرُ وَنِمْرَةُ وَحَشْبُونُ وَأَلِعَالةُ وَشَبَامُ وَنَبُو وَبَعُونُ. الأَرْضُ التِي ضَرَبَهَا الرَّبُّ قُدَّامَ بَنِي إِسْرَائِيل هِيَ أَرْضُ مَوَاشٍ وَلِعَبِيدِكَ مَوَاشٍ». ثُمَّ قَالُوا: «إِنْ وَجَدْنَا نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلتُعْطَ هَذِهِ الأَرْضُ لِعَبِيدِكَ مُلكاً وَلا تُعَبِّرْنَا الأُرْدُنَّ». فَقَال مُوسَى لِبَنِي جَادٍ وَبَنِي رَأُوبَيْنَ: «هَل يَنْطَلِقُ إِخْوَتُكُمْ إِلى الحَرْبِ وَأَنْتُمْ تَقْعُدُونَ هَهُنَا؟ فَلِمَاذَا تَصُدُّونَ قُلُوبَ بَنِي إِسْرَائِيل عَنِ العُبُورِ إِلى الأَرْضِ التِي أَعْطَاهُمُ الرَّبُّ؟" (عدد ٣٢ :١ – ٧).

ثم بعد ذلك عندما نظر إلى عدم طاعة آبائهم ونتائجها عليهم، قال: ''فَهُوَذَا أَنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ عِوَضاً عَنْ آبَائِكُمْ تَرْبِيَةَ أُنَاسٍ خُطَاةٍ لِتَزِيدُوا أَيْضاً حُمُوَّ غَضَبِ الرَّبِّ عَلى إِسْرَائِيل. إِذَا ارْتَدَدْتُمْ مِنْ وَرَائِهِ يَعُودُ يَتْرُكُهُ أَيْضاً فِي البَرِّيَّةِ فَتُهْلِكُونَ كُل هَذَا الشَّعْبِ». فَاقْتَرَبُوا إِليْهِ وَقَالُوا: «نَبْنِي حَظَائِرَ غَنَمٍ لِمَوَاشِينَا هَهُنَا وَمُدُناً لأَطْفَالِنَا. وَأَمَّا نَحْنُ فَنَتَجَرَّدُ مُسْرِعِينَ قُدَّامَ بَنِي إِسْرَائِيل حَتَّى نَأْتِيَ بِهِمْ إِلى مَكَانِهِمْ. وَيَلبَثُ أَطْفَالُنَا فِي مُدُنٍ مُحَصَّنَةٍ مِنْ وَجْهِ سُكَّانِ الأَرْضِ. لا نَرْجِعُ إِلى بُيُوتِنَا حَتَّى يَقْتَسِمَ بَنُو إِسْرَائِيل كُلُّ وَاحِدٍ نَصِيبَهُ. إِنَّنَا لا نَمْلِكُ مَعَهُمْ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ وَمَا وَرَاءَهُ لأَنَّ نَصِيبَنَا قَدْ حَصَل لنَا فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ إِلى الشَّرْقِ»'' (عدد ٣٢: ١٤ – ١٩).

أتفهم الآن أنه بسبب المواشي والحقول ومحبة الزوجات والأبناء، لم يستطع هؤلاء الناس أن يعبروا نهر الأردن، ولم يقبلوا أيضاً أن يشاركوا في الحرب وفي المعارك ولو بجزء صغير. وبهذا لم يتقاسموا المجد مع الآخرين، ولا الخيرات التي ترجاها جميع الشعب. وبدا لهم أن تفكيرهم هذا أمرٌ حسن، وتمنوا أن يقيموا هناك، ولم يضعوا حتى قدماً في مياه الأردن. وعندما أدانهم موسى، ورأى أن يقنعهم بأن يساهموا في المعارك، وأن يحذروا من الغضب الإلهي، حينئذٍ وعدوا أنهم سيعبرون نهر الأردن مع الآخرين، وسيشاركون معهم في الحرب والمعركة. وبالطبع قالوا إنهم لن يأخذوا ميراثاً لهم هناك، لأنهم سيأخذون أنصبتهم في منطقة عبر الأردن إلى الشرق. هكذا يسلك كل الذين ينحصرون في اهتمامات هذه الحياة، ويكرسون كل قلوبهم في محبة الأمور الأرضية، وهذا يحدث بسبب إهمالهم لما هو ضروري، وعدم مبالاتهم بالوصية الإلهية. لأنه مكتوب: ''لأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ'' (مت ٢٢:١٤).

إذن، فكل مَن هم في قائمة المدعوين لأجل إيمانهم، لكنهم لم يُحصَوا مع المختارين، بسبب ميلهم للشهوة، فهؤلاء هم المزيِّفون والكسالى والذين لا يسعون إلى نعمة الروح القدس. وهم أيضاً يخشون معاناة المتاعب والجهادات التي تليق بالقديسين لمجد الله ولمنفعتهم، وأيضاً يخشون أن يجتازوا الاضطهادات مع الأنقياء عندما تدعو الضرورة إلى ذلك. وعندما يدينهم الناموس الإلهي ويرهبهم الغضب الإلهي، يتجهون بلا استعداد نحو المعمودية المخلِّصة، ويشاركون مع المختارين في الأتعاب بطريقةٍ مزيَّفةٍ،

وأحياناً يصومون ويُظهرون حماساً مع الآخرين، عندما تتعرض الكنائس للاضطهاد. ورغم اقتناعهم باحتقار أمور هذا العالم، تجدهم يعدلون عن ذلك متجهين إلى الشهوات والملذات الأرضية، كميراث خاص بهم[١]. ولهذا قال السيد المسيح لمحبي الاستقامة وللغيورين المتحمسين للتقوى: "فَاحْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ لِئَلاَّ تَثْقُلَ قُلُوبُكُمْ فِي خُمَارٍ وَسُكْرٍ وَهُمُومِ الْحَيَاةِ" (لو ٢١: ٣٤). أم أنك تعتقد يا صديقي أن هذه الأمور لا تسبب ضرراً؟

بلاديوس: بالطبع ضارةٌ هي، وكيف لا تكون؟

كيرلس: لو فحصت بتدقيق في الكتاب المقدس، ستُدهش جداً لجمال الصورة.

بلاديوس: بأي أسلوب؟

كيرلس: هؤلاء الذين أظهروا نيةً للانفصال، بسبب تربية مواشٍ أو بسبب أبناء أو زوجات، أو لبناء حظائر أو مبانٍ وتحصينات، هم بنو رأوبين وجاد.

بلاديوس: وما أهمية هذا؟

كيرلس: أحدهما كان بكراً ليعقوب، بينما الآخر هو ابنٌ من زُلفة الجارية.

بلاديوس: هذا صحيح.

كيرلس: الأبكار، بسبب الإيمان، والذين وقع عليهم الاختيار، نالوا النصيب الأعظم من الله، بقدر ما تسمح به نعمته. ولكن بسبب ميلهم نحو الخطية، لم يتمتعوا بالحرية الحقيقية[٢]. وأيضاً كنيسة الأبكار[٣]، هي تلك

١- يقول القديس أثناسيوس ان القديس أنطونيوس كان: "يُناشد الجميع بأن لا يُفضِّلوا شيئاً مِمَّا في العالم على محبة المسيح. بل كان يحثهم وينصحهم بأن يتفكروا في الخيرات العتيدة ويذكروا محبة الله للبشرية التي أظهرها نحونا، إذ «لم يُشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين» (رو٨:٣٢)". سيرة أنطونيوس بقلم أثناسيوس الرسولي: ١٤

٢- المسيح هو الوحيد الذي أعطانا نعمة الحرية لأنه بحسب قول القديس كيرلس هو الابن الحر بطبيعته، وهو يؤكد على ذلك في شرحه لنص يو ٨:٣٦، إذ يقول: "إن القدرة على التحرير تختص فقط بذاك الذي هو وحده بالطبيعة ابن حر بالحقيقة، ومنفصل عن كل عبودية، ولا تختص بأي أحد آخر سواه. فكما انه بسبب كونه بالطبيعة الحكمة والنور والقوة، فهو يجعل الذين يتقبلون الحكمة حكماء، وينير أولئك الذين ينقصهم النور، ويقوى أولئك الذين تعوزهم القوة. وهكذا بسبب أنه إله من إله، وهو الثمرة الأصيلة والحرة للجوهر الذي يهيمن على الكل، فإنه يمنح الحرية لمن يشاء. لا يستطيع أحد أن يصير حراً بالحقيقة إلا عن طريق من يملك الحرية بالطبيعة. ولكن حينما يريد الابن نفسه أن يحرر أي أحد جاعلاً صلاحه الخاص فيه، فإنه يدعى بالحقيقة حراً بنواله الجدارة من ذاك الذي له السلطان وليس من أي أحد من أولئك الذين قد استعاروها من آخر". شرح إنجيل يوحنا، مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٦٠٦ ـ ٦٠٧.

٣- يقول القديس كيرلس الأسكندري في موضع آخر: "عندما نتبع يسوع بالإيمان ـ كقائد وكملك ورئيس كهنة ينقلنا من الجشع الشيطانى كأنه من مكان الغرباء ومن الضلال العالمى ـ ندخل إلى المدينة المقدسة أى إلى كنيسة الأبكار التى بناها المسيح نفسه بأحجار عقلية. وهذا ما يؤكده بولس عندما كتب لهؤلاء المفديين الذين يفضلون أن يتبعوا آثار المسيح، "الذى فيه أنتم أيضا مبنيون معا مسكناً لله فى الروح" (أف٢: ٢٣)" جيلافيرا، الكتاب الشهري نوفمبر ٢٠٠٤.

التي أُحصيت في السموات. وكما قلنا فإن المدعو هو كل مَن تبرر بالإيمان. لكن البكر ليس فقط من يكون محبا للحرية فقط، لكنه أيضاً شريكٌ لأولئك الذين احتملوا نير العبودية.

بلاديوس: حسناً تتكلم.

كيرلس: لكني الآن –وحديثي يقترب من نهايته– أريد أن أتجاوز التكرار، وأن أُذكِّر بالقول وبالفعل أيضاً، إنه يجب التحلي بالشجاعة في كل شيء، من أجل المنفعة، وأن نعتبر المتاعب تدريبٌ على الفضيلة، وألَّا نفكر بعكس ذلك. إن الله هو الذي يخلصنا ويمنحنا القوة لننتصر على مقاومينا[1]، حتى ولو كانت مقاومتهم تفوق قوتنا بكثير. وأن نجاهد من أجل الفضيلة، فهذا ليس بلا فائدة، هذا ما يُعلِّمنا إياه موسى النبي في سفر التثنية: «وَتَتَذَكَّرُ كُل الطَّرِيقِ التِي فِيهَا سَارَ بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ هَذِهِ الأَرْبَعِينَ سَنَةً فِي القَفْرِ لِيُذِلكَ وَيُجَرِّبَكَ لِيَعْرِفَ مَا فِي قَلبِكَ أَتَحْفَظُ وَصَايَاهُ أَمْ لا؟» (تث ٨: ٢). فهو لا يتركنا نشعر بالخوف، بل نتيقن من قوة الله الذي يدافع عنا. ويكتب موسى أيضاً: «إِنْ قُلتَ فِي قَلبِكَ: هَؤُلاءِ الشُّعُوبُ أَكْثَرُ مِنِّي. كَيْفَ أَقْدِرُ أَنْ أَطْرُدَهُمْ؟. فَلا تَخَفْ مِنْهُمْ. اذْكُرْ مَا فَعَلهُ الرَّبُّ إِلهُكَ بِفِرْعَوْنَ وَبِجَمِيعِ المِصْرِيِّينَ. التَّجَارِبَ العَظِيمَةَ التِي أَبْصَرَتْهَا عَيْنَاكَ وَالآيَاتِ وَالعَجَائِبَ وَاليَدَ الشَّدِيدَةَ وَالذِّرَاعَ الرَّفِيعَةَ التِي بِهَا أَخْرَجَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. هَكَذَا يَفْعَلُ الرَّبُّ إِلهُكَ بِجَمِيعِ الشُّعُوبِ التِي أَنْتَ خَائِفٌ مِنْ وَجْهِهَا» (تث ٧: ١٧ – ١٩).

١- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: " الشيطان يبذل محاولات مُضنيةً حتى يتمكن من هزيمتنا. إذن فعندما أنتزع منه هذا الهدف الذي من أجله يبذل قصاري جهده، فأكون قد إنتصرت، لأن الشيطان لا يتعجل الإنتصار، بل يتأني لكي ينتصر إنتصاراً تاماً. لقد هُزم (الشيطان) بالفعل، لأنه غُلِب وهو قائم في الهلاك. إن الشيطان لا يهدف من إنتصاره أن يُتوج، بل أن يُهلكني. وبناء على ذلك فإنني إن لم أغلب، ولم أهزم، فأكون قد إنتصرت. إذن ما هي عظمة الإنتصار؟ أن ندوس على الشيطان، لأجل الميراث (الأبدي)، هذا ما فعله الرسول بولس، معتبراً أن أمور العالم الحاضر ليس لها أية قيمة. فلنتمثل نحن أيضاً به، ولنسعى أن نكون في وضع أسمى وأفضل، وألا نعطي للشيطان دافعاً لكي يُسقطنا " تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ٣٣٣.

المقالة السادسة

ينبغى أن نكرِّس حياتنا لذاك الذي هو وحده الإله بطبيعته، وأن نحبه مِن كل النفس والقلب.

الإيمان هو أساس الشجاعة في المسيح

كيرلس: تحدثنا يا بلاديوس، بشكلٍ مُرضٍ، عن الشجاعة والقوة الروحية في المسيح، ولكن تحقيق هذا الأمر يحتاج منا -بحسب رأيي- أن نعيد فحصه مرةً ثانيةً.

بلاديوس: بالصواب تتكلم.

كيرلس: إذن دعنا، ونحن نُحدِّق بعيون ذهننا في كل الاتجاهات المحيطة بهذا الأمر وننشغل بالتحليل الدقيق لأعمالنا، أن نبحث باهتمام شديد عن الطريق الذي نسلكه حتى نصير مستنيرين. وننزع عنّا كل ما يستوجب المديح. أم تظن أننى لا أفكر تفكيراً صحيحاً عندما أريد أن أفحص كل الأمور بدقة؟

بلاديوس: تفكيرك صحيحٌ جداً. وقد كنت أريد أن أقول نفس الكلام. ينبغى أن نحث على الشجاعة، وأن نختار تلك الأمور التي يمكن بها للمرء أن يصير مستنيراً ليصل مباشرةً إلى الحياة التي بلا لوم.

كيرلس: دعنا نقول إذن، إن سند كل بيت هو الأساس، كما أن بداية بناء السفينة يكون من القاع، هكذا فإن معرفة الحق وكلمة الإيمان بالإله الواحد الحقيقى هي الأساس الذي يحقق ما قد اخترناه، أي الشجاعة. لأنه مكتوب: "إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا فَلاَ تَأْمَنُوا" (إش ٧:٩). إن لم تفهم شيئاً من الأمور الضرورية، فيجب أن نتوقف، طالما نحن لا نعرف ما هو الذي نحققه. أم أنك ستقول إن الفحص الدقيق لكل ما نفعله ليس ضرورياً لتقدمنا؟

بلاديوس: هو ضروري بلا شك.

كيرلس: حسناً، لأن الإيمان هو غذاء الفهم[1]، والفهم يقود إلى الفحص الدقيق للأمور التي يجب أن نفعلها. إذن عندما وضع إله الجميع للإسرائيليين ناموس موسى كَمُرَبٍّ ومرشدٍ وكأساسٍ ومبدأٍ لا يتزعزع[2]، فإنه بذلك يكون قد قدَّم العربون الأول لمعرفة الإله الحقيقى. لأنه اعتبر أنهم لا يمتلكون القوة على أن يَصِلوا إلى الحياة الكريمة والأصيلة -أي أن يَدَعوا الناموس ومشّرع الأمور الحسنة ينظم حياتهم ويخضعوا لوصاياه- إن لم يأخذوا الإيمان بالله في ذهنهم كحائطٍ منيعٍ مقاومين ببسالةٍ، اللذات التي تحرِّض على الكسل والخمول. إذن كان ينبغى على القدماء أن يعتبروا ضلال الإيمان بتعدد الآلهة[3] كمثل مرضٍ للنفس، فيتقوَون بشدة بالإيمان بالإله الحقيقى الواحد بطبيعته. لذلك أضاء الناموس على هؤلاء قائلاً: "أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتاً وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَمَا

١- يوضح القديس يوحنا ذهبي الفم علاقة الإيمان بالفهم أثناء تفسيره لآية: "بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمه الله حتى لم يتكون ما يُري مما هو ظاهر" (عب ١١:٣) إذ يقول: "إنه من الواضح أن الله خلق كل الموجودات من العدم، ومن تلك التي لم تكن موجودة خلق الموجودات. من أين يظهر أن هذا العالم قد خلقه الله بكلمته؟ لأن الفكر لا يُوحي بشيء مثل هذا، بل بالعكس، فهذا الذي لم نكن نراه، قد أتي مما نراه. ولهذا فإن الفلاسفة، قالوا إن لا شيء قد أتي من العدم، ولم ينسبوا شيء للإيمان، لكنهم أدركوا أيضاً، أنه حين يحدث ويعبروا عن فكرة هامة وعظيمة، فإنهم يرجعونها للإيمان. علي سبيل المثال يقولون إن الله لا بداية له، وغير مولود، علي الرغم من أن الفكر لا يفترض هذا، بل يفترض العكس. لكن لاحظ حماقتهم الكبيرة. يقولون إن الله لا بداية له، الأمر الذي هو مثار للإعجاب الكبير، أكثر من فكرة الخلق من العدم. لأنه من الصعوبة بمكان أن يقول المرء إن الله بلا بداية، وأنه غير مولود، وأنه لم يولد لا من ذاته، و لا من آخر، ولا يؤمن في الوقت ذاته بأن الله خلق الموجودات من العدم. كذلك كثيرة هي الأشياء التي تستحق التصديق(في هذه الحياة الحاضرة)، علي سبيل المثال، أن الخليقة أخذت بدايتها (من الله)، وأنها خُلقت بشكل تام وكامل. وعلي الجانب الآخر، من حيث صفات الله مثل: "الذاتي"، "وغير المولود"، "والذي لا بداية له"، وغير الزمني"، أخبرني، ألا يحتاج هذا إلي إيمان؟ لكن القديس بولس لم يتكلم عما هو أسمي بكثير، بل تكلم بما هو أقرب إلي الفهم قائلاً "بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله". إذاً كيف تقول أنه قد صار من الواضح أن الله خلق كل شيء بكلمته؟ لأن المنطق لا يُملي هذا أو يقضي بهذا، ولا أحد كان حاضراً حين تم كل هذا. لقد صار واضحاً بالإيمان، لأن الفهم هو عمل الإيمان. ولهذا قال هكذا "بالإيمان نفهم". أخبرني، ماذا نفهم بالإيمان؟ نفهم أن ما نراه، قد صار مما لم نراه، لأن هذا هو الإيمان" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ٣٠١.

٢- يقول القديس كيرلس في موضع آخر عن الناموس: "ناموس موسي بالكاد ذكر بداءة أقوال الله وهو مُعَلِّمٌ للرُضع ومُربٌّ بدون تدبير كامل، ناقلاً لنا بأمثلة وظلال معرفة غير واضحة وغير ساطعة عن أمور يجب أن نصنعها، بينما القادر حقاً وكاهننا الأعظم والجدير بهذه الإرسالية، أقصد المسيح قدَّم لنا الحق واضحاً وساطعاً وبلا أي شوائب أو ظلال" جيلافيرا على سفر الخروج، الكتاب الشهري، سبتمبر ٢٠١٠.

٣- ويؤكد القديس كيرلس على حقيقة أن الابن هو خالق حين يشرح يو ٣:١ "كل شيء به كان وبغيرة لم يكن شيء مما كان" بأن الإنجيلي يوحنا أغلق إلى الأبد المدخل إلى تعدد الآلهة. وأعلن الابن الوحيد، للذين لم يعرفوه كخالق الكل، فهو القوة التي أتت بكل الكائنات إلى الوجود". شرح إنجيل يوحنا، المجلد الأول، المرجع السابق، ص ٧٧.

فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلَهَكَ إِلَهٌ غَيُورٌ أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ. وَأَصْنَعُ إِحْسَاناً إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ" (خر ٢٠: ٢ - ٦).

كيف يفتقد الله خطايا الآباء في الأبناء؟

أي كان ينبغي على الله أن يخيف -بتهديداتٍ قاسية- أولئك الذين ينبغي عليهم حفظ الوصية بثبات[١]. لذلك يدعو ذاته إلهاً غيوراً، ويفتقد خطايا الآباء في أبنائهم، بالتأكيد إذا استمروا في أن يحيوا مثل أولئك الآباء مشاركينهم في معاصيهم السابقة. نحن لم نقل بيقين إن خطايا الآباء تسقط فوق الذين لم يخطئوا، إذ أن الله بالتأكيد يقول: "لا يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الأَوْلادِ وَلا يُقْتَلُ الأَوْلادُ عَنِ الآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيَّتِهِ يُقْتَلُ" (تث ٢٤: ١٦).

لكن إذا اتبع الأبناء آراء آبائهم واستمروا في عدم تقواهم السابق، فإن الغضب سوف يمتد إليهم. وإذا حدث وأنعم الله بمحبته للبشر على الآباء الأولين، ففيما بعد يُنزل على الجيل الثاني أو الثالث غضبه، على الجيل الدنس. إذن هو يضغط عليهم عند الحاجة لكي يخيفهم داعياً نفسه إلهاً غيوراً، لكنه يُعضِّد إيمانهم بطريقة أخرى معطياً لهم وعداً بأنه سيُظهر رحمته[٢] للألوف الذين يحبونه. ويضيف على هذا وصيةً لها علاقة بكل هذا إذ يقول: "لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِكَ بَاطِلاً لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ

١- هذا أسلوب نراه من منظور تربوي وقد سبق أن شرحه القديس يوحنا ذهبي الفم أثناء حديثه عن نقل أخنوخ إلى السماء، إذ يقول: "إن موضوع نقل اخنوخ إلي السماء قد حدث من البداية، لكي تنال الطبيعة الإنسانية رجاء في إنقضاء الموت، وإبطال سلطان الشيطان، لأن أخنوخ نُقل، لكن دون أن يري الموت. ولهذا أضاف "نُقل حياً لأنه أرضي الله"، تماماً كما لو أن أحد الآباء يريد أن يتوعد إبنه، ويرغب علي الفور أن يمضي في وعيده، لكنه يحتمل وينتظر، لكي يقوده إلي التعقل، تاركاً مساحة لتأكيد جدية التهديد. هكذا يفعل الله، فلكي نستطيع أن نُعبّر عن أنفسنا بشكل إنساني، فإنه لم ينتظر، بل علي الفور أظهر أن الموت قد أبطل. أولاً ترك البار ليموت (أي هابيل)، فقد أراد أن يُخيف الأب أي آدم بموت الإبن (هابيل). أي أنه أراد أن يُظهر أن القرار هو ثابت حقاً، فإنه وإن لم يُعاقب الأشرار علي الفور. غير أنه وقعّ عقوبة علي ذاك الذي أرضاه، أقصد ذاك المطوب هابيل، وما لبث أن نقل اخنوخ حياً. ولم يُقم هابيل حتى لا يأخذون جزائهم علي الفور، لكنه نقل اخنوخ حياً، فما فعله تجاه هابيل كان هدفه إخافتهم، بينما بنقله اخنوخ يحثهم علي إرضائه بكل قلوبهم. إذاً فهؤلاء الذين يقولون إن كل الأشياء قد أتت للوجود بشكل تلقائي، ولم ينتظروا مجازاة، فإنهم لا يُرضوا الله، تماماً مثل الوثنيين. لأن الله يجازي الذين يطلبونه من خلال الأعمال والمعرفة" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ٣٠٥.

٢- يقول القديس كيرلس في موضع آخر: "الله الرحوم سيسمح بالتجربة علي قدر احتمال أولئك الذين يعانون منها. هكذا يخبرنا بولس الرسول بهذا الأمر لكي نثق ونؤمن قائلاً: " لم تصبكم تجربة إلّا بشرية ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا" (١كو١٠: ١٣)" جيلافيرا على سفر التكوين، المقاله الرابعة، الكتاب الشهري سبتمبر ٢٠٠٦.

بَاطِلاً" (خر ٢٠: ٧). هذا ما صنعه البعض ناسبين اسم الله إلى الأخشاب والأحجار، وهذا الذي هو فوق كل اسم أنزلوه بحماقة إلى مستوى الفنون ورسوم الأيدى البشرية. قال الله عن هذا على فم إشعياء: "نَجَّرَ خَشَباً. مَدَّ الْخَيْطَ. بِالْمِخْرَزِ يُعَلِّمُهُ يَصْنَعُهُ بِالأَزَامِيلِ وَبِالدَّوَّارَةِ يرْسِمُهُ. فَيَصْنَعُهُ كَشَبَهِ رَجُلٍ كَجَمَالِ إِنْسَانٍ لِيَسْكُنَ فِي الْبَيْتِ! قَطَعَ لِنَفْسِهِ أَرْزاً وَأَخَذَ سِنْدِيَاناً وَبَلُّوطاً وَاخْتَارَ لِنَفْسِهِ مِنْ أَشْجَارِ الْوَعْرِ. غَرَسَ سَنُوبَراً وَالْمَطَرُ يُنْمِيهِ. فَيَصِيرُ لِلنَّاسِ لِلإِيقَادِ. وَيَأْخُذُ مِنْهُ وَيَتَدَفَّأُ. يُشْعِلُ أَيْضاً وَيَخْبِزُ خُبْزاً ثُمَّ يَصْنَعُ إِلَهاً فَيَسْجُدُ! قَدْ صَنَعَهُ صَنَماً وَخَرَّ لَهُ" (إش ٤٤: ١٣ – ١٥).

هؤلاء استخدموا اسم الرب عبثاً. أمَّا الذين عرفوا الإله الحقيقى ولم ينخدعوا بالشِّراك الشيطانية، فينبغى عليهم أن لا يهذوا بمفاهيم سخيفة أو أن يسلموا أنفسهم لثرثرة وضيعة، ويستندون على أمور معاكسة، وينادون بأنه ينبغى أن يعرفوا آلهةً أخرى وأن هذه الآلهة موجودةٌ فعلاً. إذ يقول الرسول: "لأَنَّهُ وَإِنْ وُجِدَ مَا يُسَمَّى آلِهَةً سِوَاءٌ كَانَ فِي السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الأَرْضِ كَمَا يُوجَدُ آلِهَةٌ كَثِيرُونَ وَأَرْبَابٌ كَثِيرُونَ. لَكِنْ لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ" (١ كو ٨: ٥ – ٦). وهكذا لا نحصر طبيعة الإلوهية –بحسب الاعتقاد اليهودى– فقط في الله الآب، بل تمتد الإلوهية إلى الثالوث القدوس في الجوهر الواحد. وبالرغم من أننا نؤمن بثلاثة أقانيم إلَّا أننا نؤمن بإلهٍ واحدٍ لأن الجوهر واحد. وهذا الإله نعبده ونسجد له وندعوه الآب والابن والروح القدس. لأنه يقول: "لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي" (خر ٢٠: ٣). وأيضاً: "الرَّبَّ إِلَهَكَ تَتَّقِي. إِيَّاهُ تَعْبُدُ" (تث ١٠: ٢٠). لأنه واحدٌ هو الإله الآب، وواحدٌ هو الربُّ الابن، وواحدٌ الروح القدس المنبثق، ونحن لا ننزع من الإله الواحد الربوبية الحقيقية. لأن الربوبية تصاحب الطبيعة الإلهية على كل حال، ومجد الإلوهية يصاحب الربوبية الحقيقية.

بلاديوس: ما تقوله صحيح جداً وحكيم جداً.



خطورة عبادة الأوثان

كيرلس: إذن، يا بلاديوس، فنحن نعترف بإلهٍ واحدٍ[1]، ولا نعتبر فوقه أي إلهٍ آخر، نائين بنفوسنا -بعيداً جداً بقدر ما نستطيع- عن الازدواجية المريضة والدنسة والحسودة والمهينة، حتى لا توبخنا الكلمة المقدسة: "حَتَّى مَتَى تَعْرُجُونَ بَيْنَ الْفِرْقَتَيْنِ؟ إِنْ كَانَ الرَّبُّ هُوَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوهُ، وَإِنْ كَانَ الْبَعْلُ فَاتَّبِعُوهُ" (١ مل ١٨: ٢١). يجب أن نسلك في الإيمان الواحد بطريقٍ واحدٍ، وليس بسلوكيات مختلفة ومتناقضة فاعلين ما لا يليق، مغيِّرين دائماً مواقفنا[2]. لأن تأرجح المرء بين الفريقين، بحسب رأيي، هو كفرٌ عظيم. لذلك يعاقِب الناموس القديم الإنسان الذي بلا موقفٍ بالموت. لأنه يقول: "مَنْ ذَبَحَ لآلِهَةٍ غَيْرِ الرَّبِّ وَحْدَهُ يُهْلَكُ" (خر ٢٢:٢٠). فأنْ يتمرد المرء ضد مجد الله وكل الفضائل الإلهية التي يجب أن نتشبَّه بها، وأن يُقدِّم العبادة للتي ليست آلهة بالطبيعة لَهو أسوأ مرض، أو بالأحرى هو انحلالُ وفُجر الأزمنة الأخيرة. إذن مِن الضرورى أن يتخلص المحب الأصيل والحقيقى لله من هذه الأمور، ولا يطهِّر قلبه فقط، بل ولسانه أيضاً، فلا يتفوه وينطق اسم الصنم. لأنه مكتوب: "وَلاَ تَذْكُرُوا اسْمَ آلِهَةٍ أُخْرَى وَلاَ يُسْمَعْ مِنْ فَمِكَ" (خر ١٣:٢٣). لأن كل ما هو قذرٌ لا تقوله، لأنك سوف تُصاب بأذىً.

ينبغى أن نتذكر بولس الطوباوي لكي نحترم ونكرّم الإيمان الأصيل، وذلك عندما قال: "لأَنَّ الَّذِينَ اسْتُنِيرُوا مَرَّةً، وَذَاقُوا الْمَوْهِبَةَ السَّمَاوِيَّةَ وَصَارُوا شُرَكَاءَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَذَاقُوا كَلِمَةَ اللهِ الصَّالِحَةَ وَقُوَّاتِ الدَّهْرِ الآتِي، وَسَقَطُوا، لاَ يُمْكِنُ تَجْدِيدُهُمْ أَيْضاً لِلتَّوْبَةِ" (عب ٦:٤ – ٦). لأن هؤلاء الذين حصلوا مرةً واحدةً على النعمة السماوية والإلهية، وبالمعمودية المقدسة قبلوا الكلمة الحقيقية والمحيية عن القيامة وملكوت الله، إذا أرادوا أن يرجعوا إلى الحالة الأولى مسرعين

١- والقديس كيرلس في شرحه لإنجيل يوحنا يؤكد على الوحدانية والتمايز، إذ يقول: "نحن نقول إن الآب والابن هما واحد غير مازجين فرديتهما باستعمال العدد واحد، كما يفعل بعض الذين يقولون إن الآب والابن هما نفس الشخص، بل نؤمن أن الآب هو قائم بذاته والابن قائم بذاته موحدين الاثنين في نفس الجوهر، وعارفين أيضاً أن لهما قدرة واحدة، حتى أن هذه القدرة ترى بدون اختلاف في الواحد كما في الآخر" ثم يستمر القديس كيرلس، قائلاً: "وبكلمة "واحد" يشير إلى وحدة الجوهر، وبكلمة "نحن" يشير إلى اثنين، ثم بعد ذلك يوحدهما في لاهوت واحد". شرح إنجيل يوحنا، المجلد الأول، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة ٢٠٠٩م، ص ٧٤٢.

٢- هنا يتحدث القديس كيرلس عن البُعد السلوكي للإيمان بالإله الواحد، فالعقيدة ليست بنوداً نظريةً، بل لها إنعكاساتها على حياة المؤمنين العملية.



إلى مرضهم السابق، لا يتجددون ثانيةً ليتطهروا بالمعمودية: "أَفَلَعَلَّ عَدَمَ أَمَانَتِهِمْ يُبْطِلُ أَمَانَةَ اللهِ؟" (رو ٣:٣) كما يقول بولس العظيم. ولا بسبب أن البعض رجعوا إلى الخلف واحتقروا الإيمان يجعلنا نظن أن هناك عدم ثبات أو تقلُّب لدى النعمة الإلهية[1]. لكن بالحرى ديانَ الجميعِ سوف يفرض عقوبات على هؤلاء الذين لم يتوقفوا عن الانزلاق في الفجور حتى أنهم داسوا ابن الله واعتبروا دم العهد دنساً وأهانوا روح النعمة الذي تقدسوا به وبفضله صاروا شركاء الطبيعة الإلهية.

وكما أن الجندي الذي يلقي سلاحه ويصير هارباً، لا ينبغي أن يُكرَّم بوسام ثانٍ، بل يجب أن يُعاقَب مباشرةً ويدفع ثمن تراجعه وجُبنه، هكذا الأمر بالنسبة للذين يهينون النعمة المستحِقة لكل تقدير وإعجاب. فلا يُعطَ لهم شرف التجديد ثانيةً بعطية الروح، طالما صار نقصٌ للأول، لكن ينبغى أن يكونوا مسئولين عن العقوبات[2]. لأن هؤلاء الذين استنيروا مرةً يجب أن يتقدموا إلى درجة المعرفة وثبات الأفكار، حتى يعرفوا أن الله بطبيعته واحد، ويحكموا بنجاسة الذين يُدخِلون شيئاً مختلفاً عن هذا، رافضين بتاتاً عبادة الأصنام غير عاملين حساباً لمقدسات اليونانيين. هذا ما يقوله لنا الكتاب في سفر العدد: "وَقَال الرَّبُّ لِمُوسَى فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ عَلى أُرْدُنِّ أَرِيحَا: «قُل لِبَنِي إِسْرَائِيل: إِنَّكُمْ عَابِرُونَ الأُرْدُنَّ إِلى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَتَطْرُدُونَ كُل سُكَّانِ الأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ وَتَمْحُونَ جَمِيعَ تَصَاوِيرِهِمْ وَتُبِيدُونَ كُل أَصْنَامِهِمِ المَسْبُوكَةِ وَتُخْرِبُونَ جَمِيعَ مُرْتَفَعَاتِهِمْ" (عد ٣٣: ٥٠ – ٥٢).

فهل أدركتَ أن الذين يعبرون الأردن، ينبغى عليهم أن يُخرِجوا من الوسط سكان الأرض عابدي الأوثان ماحين أصنامهم وتصاويرهم بلا تردد؟ وإن

١- ليس أمام من أخطأ بعد نوال الحياة الجديدة إلا ان يتوب، وهذا ما يوضحه القديس يوحنا ذهبي الفم في شرحه لنص العبرانيين (عب ٦: ٤ - ٧)، إذ يقول: "عمل المعمودية هو فقط أن تجعل الناس جُدُداً (تُجدّد حياتهم)، يقول المرنم "يُجدد مثل النسر شبابك". أما عمل التوبة هو أنه يجعل المؤمنين بعدما يصيرون جُدداً، ثم بعد ذلك يعودون إلى حالتهم القديمة بسبب الخطايا، أن تحررهم من القديم وتجعلهم متجددين مرة أخرى. لكن لا تستطيع أن تقودهم إلى هذا البهاء، لأن العمل كله هنا هو للنعمة" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص١٦٠.

٢- المسئولية هنا نابعة من موقفنا تجاه محبة الله لنا منذ البداية، كما شرحها القديس يوحنا في سياق نص العبرانيين الذي أشرنا إليه، إذ يقول: "لاحظ إذاً محبة الله للبشر. كان ينبغي علي كل الأوجه أن نُعاقب منذ البداية، لأنه إن كنا قد أخذنا أو نلنا الناموس الطبيعي وتمتّعنا بخيرات لا حصر لها، إلا أننا قد تجاهلنا الرب، وعشنا حياة شريرة. لكن الله ليس فقط لم يعاقبنا، بل أعطانا خيرات لا تُحصى، كما لو أننا قد حققنا إنجازات عظيمة. لكننا سقطنا مرةً أخرى، إلا أنه لم يعاقبنا، بل أعطانا دواء التوبة، القادر يمحو كل خطايانا، يكفي فقط أن نعرف ما هو هذا الدواء، وكيفية استخدامه" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص١٦٣.

انتابهم حزنٌ على هذه الأمور المعيبة، فهذا يمثل برهاناً واضحاً بأنهم لم يكونوا ثابتين تماماً، ولا كرَّسوا قلوبهم المتحررة من الذنوب لله، بالرغم من أنه قال بوضوح لغير المؤمنين والأشرار: ”لاَ تَسْجُدْ لآلِهَتِهِمْ وَلاَ تَعْبُدْهَا وَلاَ تَعْمَلْ كَأَعْمَالِهِمْ بَلْ تُبِيدُهُمْ وَتَكْسِرُ أَنْصَابَهُمْ. وَتَعْبُدُونَ الرَّبَّ إِلَهَكُمْ فَيُبَارِكُ خُبْزَكَ وَمَاءَكَ وَأُزِيلُ الْمَرَضَ مِنْ بَيْنِكُمْ. لاَ تَكُونُ مُسْقِطَةٌ وَلاَ عَاقِرٌ فِي أَرْضِكَ. وَأُكَمِّلُ عَدَدَ أَيَّامِكَ“ (خر ٢٣: ٢٤ - ٢٦).

إذن، صار واضحاً من كل هذا، أن الثابتين والمؤسَّسين بلا تزعزع والذين يقتربون من إله الجميع بعقلٍ صحيح، أعطوا برهاناً واضحاً فيما يتعلق بهذا الأمر، وبالنسبة لهؤلاء، فإن إبادتهم للأصنام والمرتفعات ورفضهم للحيل البشرية التي يخترعها الذهن الفاسد، كل هذه تجلب لهم المواهب الإلهية[1].

بلاديوس: هذا حق.

كيرلس: إذن، لو دمَّرتَ، هكذا يقول، أعمال أيدي هؤلاء وعبدتَ الله، كارهاً تلك العادات، عندئذٍ سوف يبارك خبزك وخمرك وماءك. هذا الكلام عميق وسرى. إن البركات روحية[2] وهى الاشتراك في أسرار المسيح ونعمة المعمودية المقدسة ستكون للذين فداهم الله.

ولكن بالنسبة للذين يحيون بازدواجية ويسلكون في العصيان، فإن مصيرهم الغضب والإدانة. وكيف لا يفقد المرء البركة الروحية وسط هذه المآسى؟! وهذا هو الذي قال عنه بولس: ”مَنْ أَكَلَ هَذَا الْخُبْزَ أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَكُونُ مُجْرِماً فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ. وَلَكِنْ لِيَمْتَحِنِ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَهَكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَأْسِ“ (١ كو ١١: ٢٧ - ٢٨). يقول

١- مشكلة عابدي الأوثان انهم منجذبون للأرضيات ولا يفكرون في السماويات، وهذا ما قاله بوضوح القديس كيرلس الأسكندري في موضع آخر: ”فماذا يمكن أن يقال عن الأمم الذين سقطوا في ظلام ضلال الأوثان الدامس؟ لقد كانوا حقاً منجذبين إلى الأمور الدنيئة ومنشغلين دائماً بشهوات الجسد، والشيء الوحيد الذي اهتموا به كان التفكير الدائم في الأرضيات، ولم يقدروا أن يرفعوا عيون أذهانهم إلى مفاخر المحبة الإلهية“ جيلافيرا، الكتاب الشهري نوفمبر ٢٠٠٦.

٢- التجسد –كما يقول القديس كيرلس– كان لخير البشرية، وبالتالي حين يُقال إنه تقدّم فهو يشير للطبيعة البشرية، هكذا يقول القديس كيرلس أثناء شرحه لإنجيل يوحنا: ”فإن الآب جعل الابن ينزل بإرادته إلى جسد الخطية، لكي إذ يجعل الجسد نفسه خاصاً به، يمكن أن ينقله إلى خاصيته الطبيعية أي إلى عدم الخطية. لأنه يكون من عدم الصواب أن تعتقد أن الابن الوحيد قد صار إنساناً ليحقق حالة عدم الخطية لهيكل جسده هو وحده، فأين يكون مجده وفائدة مجيئه بالنسبة لنا لو كان قد تمم خلاص جسده هو وحده؟ ولكننا بالحري نؤمن أن الابن الوحيد قد صار مثلنا لكي يضمن البركات لكل الطبيعة البشرية بواسطة نفسه وفي نفسه أولاً كباكورة للبشرية“. شرح إنجيل يوحنا، الجزء الثامن، الإصحاح الرابع عشر ص ١٢١ - ١٢٢.

إذن، إن البركة -أي تناول هؤلاء المحبين لله حقاً من الأسرار المقدسة- سوف تخلّصهم من الضعف، أي الخضوع الذي تمليه عليه طبيعتهم لفعل الشر الذي يقود إلى الوضاعة. وأيضاً يقول إنه لا يوجد بينهم مريض أو امرأة عاقر. لأن كل نفسٍ مقدَّسةٍ ومُحِبةٍ لله تكون خصبةً وحاملةً للثمار المقدسة، وأقول ثانيةً، حاملةً لزينات الفضيلة[1].

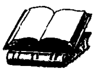
بلاديوس: هذا صحيح.

كيرلس: إذن، لم يتركنا لقلبنا المتزعزع، بل إذ يحُثُّنا بطرقٍ كثيرةٍ أن نختار الثبات في الإيمان والاستقامة في التقوى. يلفت نظرنا مرةً ناحية الأفضل بكلمات مناسبة، إذ يأمرنا أن نرفض عبادة الأصنام التي تُسبب الهلاك، مُظهِراً لنا هذا المرض العُضال المملوء بالوشاية العظيمة، أو بالحرى مملوءٌ بالانحلال وعدم التقوى. ومرةً أخرى يضع فينا الخوف، أقصد خوف العقاب، كمربٍّ وحارسٍ فاضلٍ، يشجعنا مراتٍ كثيرة إلى كل ما يحسُن في عينيه[2]. ويقول موسى الطوباوي بالحق في سفر التثنية: "هَذِهِ هِيَ الفَرَائِضُ وَالأَحْكَامُ التِي تَحْفَظُونَ لِتَعْمَلُوهَا فِي الأَرْضِ التِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُ آبَائِكَ لِتَمْتَلِكَهَا؛ كُل الأَيَّامِ التِي تَحْيُونَ عَلى الأَرْضِ: تُخْرِبُونَ جَمِيعَ الأَمَاكِنِ حَيْثُ عَبَدَتِ الأُمَمُ التِي تَرِثُونَهَا آلِهَتَهَا عَلى الجِبَالِ الشَّامِخَةِ وَعَلى التِّلالِ وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ. وَتَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ وَتُحْرِقُونَ سَوَارِيَهُمْ بِالنَّارِ وَتُقَطِّعُونَ تَمَاثِيل آلِهَتِهِمْ وَتَمْحُونَ اسْمَهُمْ مِنْ ذَلِكَ المَكَانِ" (تث ١٢: ١ - ٣).

يتحدث الحكماء والأدباء اليونانيون، وأيضاً الشعراء عن آلهة الجبال والغابات التي يدعونها حوريات أو عرائس، أي شياطين. وهؤلاء هم أولئك الذين اختاروا تكريم آلهتهم على المرتفعات وأقاموا مذابح على الجبال ليقدموا ذبائح من الثيران. لقد أقاموا حول الأشجار الكبيرة تماثيل ونظراء للشياطين وقدموا ذبائح من الخراف. لكن كان من الضروري على الذين

١- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "إن كنّا نحيا بالفضيلة، فلن تتلاشى المحبة لأن المحبة تُولَّد من الفضيلة، والفضيلة تُولَّد من المحبة. وسأقول لكم بأي طريقة يحدث هذا، الإنسان بالفضيلة لا يُفضل المال على المحبة، ولا يتذكر الإساءة، ولا يظلم قريبه، ولا يشتم، ويحتمل كل شيء بشجاعة ونبل. المحبة تنشأ من كل هذا، وأيضاً الذي يُحب قريبه يحيا هكذا. هكذا يتضح أن المحبة تُولد من الفضيلة، لأنه حين يقول الرب "لكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين"، فهذا يُظهر أن الفضيلة تُولَّد من المحبة" تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ١٦٣.

2- عمل الله مع شعبه هو عمل تربوي مثل عمل المربي فهو يأمر ويُخيف ويشجع، هكذا رأى الآباء الله المحب للبشر في تعامله مع الأفراد والشعوب.



يعرفون الإله الحقيقى أن يهدموا -بلا خوفٍ- ألعاب البشر الذين هم في الضلال مبتعدين عن عاداتهم. لذلك يقول أيضاً: ''مَتَى قَرَضَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ أَمَامِكَ الأُمَمَ الذِينَ أَنْتَ ذَاهِبٌ إِليْهِمْ لِتَرِثَهُمْ وَوَرِثْتَهُمْ وَسَكَنْتَ أَرْضَهُمْ. فَاحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تُصَادَ وَرَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَادُوا مِنْ أَمَامِكَ وَمِنْ أَنْ تَسْأَل عَنْ آلِهَتِهِمْ: كَيْفَ عَبَدَ هَؤُلاءِ الأُمَمُ آلِهَتَهُمْ فَأَنَا أَيْضاً أَفْعَلُ هَكَذَا؟ لا تَعْمَل هَكَذَا لِلرَّبِّ إِلهِكَ لأَنَّهُمْ قَدْ عَمِلُوا لآلِهَتِهِمْ كُل رِجْسٍ لدَى الرَّبِّ مِمَّا يَكْرَهُهُ إِذْ أَحْرَقُوا حَتَّى بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ بِالنَّارِ لآلِهَتِهِمْ'' (تث ١٢: ٢٩ - ٣١).

حسناً جداً، حرّم المشرّع التشبُّهَ بأولئك الذين هم في الضلال، وأمر بالابتعاد عن ذبح الأطفال الوحشى. مُظهِراً مدى فساد ودمار الآلهة الدموية، والكاذبين الذين يدوسون بوحشية ناموس الرحمة الطبيعية (يقصد المحبة الطبيعية للآباء نحو أطفالهم) طالما أن هذه هي مسرتهم. لأنه يقول: ''الله خلق كل شيء ليكون موجوداً، وتكوين العالم خلاص، وعلى الأرض لا توجد مملكة الجحيم. الموت جاء إلى العالم من حسد الشيطان'' (حك ١: ١٤). فقد بدّلت الإرادة الإلهية الموت وأبطَلَت الفساد، وهى تمقت إفناء المخلوقات؛ لأن الله خلق كل شيء لكي يوجد كما هو مكتوب. إنما كل الذين وقعوا في شبكة رغبات الشياطين يقدِّمون إلى الشيطان -مثل رائحة بخور حلوة وجميلة- الذين خُلقوا للحياة مميتين الأشياء التي بُنِيت لكي توجد. إذن يريد أن يبين بذكاء أن تصرفاتهم كانت مملوءةً من الأخطاء الكبيرة، وأنهم غيَّروا الوضع الطبيعي حتى أنهم داسوا بأقدامهم تقاليد محبة الأبناء المحبوبة جداً، وهو يُحرِّك ذهن السامعين الكاره للشر إلى ضرورة احترام وفحص كل ما يريده ذاك ويأمر به.

كل هذا شُرِّع قديماً لكي يُبطل عصيانهم. أيضاً حكم الله بالموت على مَنْ يعمل على إسقاط الإنسان الذي تثبَّت وقَبِلَ -بمحبةٍ- معرفة الحق من عند الله. لأنه قال أيضاً: ''إِذَا قَامَ فِي وَسَطِكَ نَبِيٌّ أَوْ حَالِمٌ حُلماً وَأَعْطَاكَ آيَةً أَوْ أُعْجُوبَةً. وَلوْ حَدَثَتِ الآيَةُ أَوِ الأُعْجُوبَةُ التِي كَلمَكَ عَنْهَا قَائِلاً: لِنَذْهَبْ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لمْ تَعْرِفْهَا وَنَعْبُدْهَا. فَلا تَسْمَعْ لِكَلامِ ذَلِكَ النَّبِيِّ أَوِ الحَالِمِ ذَلِكَ الحُلمَ لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ يَمْتَحِنُكُمْ لِيَعْلمَ هَل تُحِبُّونَ الرَّبَّ إِلهَكُمْ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ. وَرَاءَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ تَسِيرُونَ وَإِيَّاهُ تَتَّقُونَ وَوَصَايَاهُ تَحْفَظُونَ وَصَوْتَهُ تَسْمَعُونَ وَإِيَّاهُ تَعْبُدُونَ

وَبِهِ تَلتَصِقُونَ. وَذَلِكَ النَّبِيُّ أَوِ الحَالِمُ ذَلِكَ الحُلمَ يُقْتَلُ لأَنَّهُ تَكَلَّمَ بِالزَّيْغِ مِنْ وَرَاءِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ" (تث ١٣: ١ – ٥).

كم هو مقدسٌ هذا الناموس ولائقٌ بالله! لأنه، إذا كان جزاء هؤلاء الذين يقتلون الجسد، هو الموت وفق النواميس، فكيف لا يُعدُّ مخاطراً هذا الذي يُسبب الضلال المهلك، ملقياً النفس في أهوال الهلاك، تلك النفس التي هي أغلى من الجسد بحسب قول المخلِّص؟ لقد حكم الله بعدلٍ، بعقاب الموت للمضل والوقح. وهو نفس الجزاء الذي قرره على ذي العقل الطائش الذي سقط بسهولة، وانقاد خلف هؤلاء الناس. لأنه، بينما هو يستطيع تجنب هذا بسهولة مقبلاً إلى الحق، لماذا –بدلاً من هذا– يلجأ بإرادته إلى الشر؟

"إِذَا وُجِدَ فِي وَسَطِكَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ يَفْعَلُ شَرّاً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلهِكَ بِتَجَاوُزِ عَهْدِهِ. وَيَذْهَبُ وَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى وَيَسْجُدُ لهَا أَوْ لِلشَّمْسِ أَوْ لِلقَمَرِ أَوْ لِكُلٍّ مِنْ جُنْدِ السَّمَاءِ، الشَّيْءَ الذِي لمْ أُوصِ بِهِ. وَأُخْبِرْتَ وَسَمِعْتَ وَفَحَصْتَ جَيِّداً وَإِذَا الأَمْرُ صَحِيحٌ أَكِيدٌ. قَدْ عُمِلَ ذَلِكَ الرِّجْسُ فِي إِسْرَائِيل. فَأَخْرِجْ ذَلِكَ الرَّجُل أَوْ تِلكَ المَرْأَةَ الذِي فَعَل ذَلِكَ الأَمْرَ الشِّرِّيرَ إِلى أَبْوَابِكَ الرَّجُل أَوِ المَرْأَةَ وَارْجُمْهُ بِالحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ. عَلى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاثَةِ شُهُودٍ يُقْتَلُ الذِي يُقْتَلُ. لا يُقْتَل عَلى فَمِ شَاهِدٍ وَاحِدٍ. أَيْدِي الشُّهُودِ تَكُونُ عَليْهِ أَوَّلاً لِقَتْلِهِ ثُمَّ أَيْدِي جَمِيعِ الشَّعْبِ أَخِيراً فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ" (تث ١٧: ٢ – ٧). عندما يتعدّى المرء على الله من جهة التقوى والاحترام لشخصه، أليس من الخطر أن تُظهر رحمةً لهذا الذي يفعل هذا الشر؟. كونك تُظهر محبةً غير نقية تماماً تجاه الله هو أمر ضار جداً. وهذا هو الذي قال عنه الرب: "مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمّاً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي" (مت ١٠: ٣٧). فليذهب بسلام ناموس الحنان، ولتنطفيء قوة المحبة الطبيعية[1] وكل شيء يشدنا ناحية محبة البشر، وليُعبد الله بتقوى صارمة. أم تظن أن الذين يخرجون عن العهد بدون سبب لا ينبغي أن يُعاقبوا بدون رحمة، إذ أنهم لا يكفُّون عن إهانة الله الذي كان ينبغي بالأحرى أن يشكروه بيقين ثابت؟

١ـ هنا يشدد القديس كيرلس على إعطاء الأولوية لمحبة الله وليس لمحبة القرابة الجسدية.

بلاديوس: بالطبع ينبغي ذلك، كيف لا يكون هذا؟

كيرلس: سوف أذكر الأقوال التي قالها للأقدمين: "هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: مَاذَا وَجَدَ فِيَّ آبَاؤُكُمْ مِنْ جَوْرٍ حَتَّى ابْتَعَدُوا عَنِّي وَسَارُوا وَرَاءَ الْبَاطِلِ وَصَارُوا بَاطِلاً؟" (إر ٢:٥). وقال، مندهشاً من غباء الإسرائيليين الذي لا حَدَّ له: "اِبْهَتِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ مِنْ هَذَا وَاقْشَعِرِّي وَتَحَيَّرِي جِدّاً يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّ شَعْبِي عَمِلَ شَرَّيْنِ: تَرَكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ لِيَنْقُرُوا لأَنْفُسِهِمْ آبَاراً آبَاراً مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً" (إر ٢:١٢ – ١٣). فالذين ابتعدوا عن عبادة الله ويعبدون المخلوق وليس الخالق، فقدوا عقلهم، إذ انزلقوا إلى الضلال وراحوا يسجدون لأعمال أيديهم، بالرغم من أنه كان من السهل أن يتعقلوا –إن أرادوا– برؤية جمال الطبيعة الذي لا يوصف، أو نظام وتناسُق المخلوقات ليصلوا إلى أن هناك مدبراً وخالقاً لهذا الكون. لكن بعض الأقدمين احتقروا هذا الرأى الرصين والقويم واستبدلوه بعبادة المشغولات الذهبية والنحاسية وفق ما قاله الشعراء اليونانيون[1]. وبتركهم الله وعبادتهم للطبيعة، بطريقة صبيانية، التفوا حول عبادة باطلة جالبين على أنفسهم العار والخزى واختاروا بإرادتهم السقوط من المعونة السماوية. وحقاً قال الله: "اِفْهَمُوا أَيُّهَا الْبُلَدَاءُ فِي الشَّعْبِ وَيَا جُهَلاَءُ مَتَى تَعْقِلُونَ؟ الْغَارِسُ الأُذُنَ أَلاَ يَسْمَعُ؟ الصَّانِعُ الْعَيْنَ أَلاَ يُبْصِرُ؟" (مز ٩٤:٨ – ٩).

بلاديوس: إنه خطأ فظيع يا صديقى.

كيرلس: لكن مراتٍ كثيرة، لا يكون للواحد منّا ثباتٌ في الإيمان، بل قد تكون لديه محبة زائفة للمسيح ويعتقد في ذاته أنه محبٌ لله، فيصير وحشاً مفترساً وشريراً، ماكراً ومتقلباً دائماً، لدرجة أنه في بيته ليلاً، أقصد في الخفاء سراً، يُسلِّم نفسه إلى عبادة الشياطين معتقداً أنه يمكن أن يهرب من الله نفسه، ويخدع منطق ناموس الطبيعة الذي لا يوصف. ويمكن للمرء أن يبيِّن– دون أي تعب إطلاقاً– أن مَن يتصرف هكذا يُفكر بطريقة أسوأ من غباء اليونانيين. لأن الحكماء اليونانيين اعتقدوا بأن الشمس، تلك الكوكب العظيم والمنير[2] قد خُلقت لترى كل شيء وتسمع كل شيء، ولذلك فهى خُلِقت من الله. لأنهم اعتقدوا أن ما يدخل ضمن نظام الله يجب أن يكون

١- انظر هوميروس، الإلياذة: Z236.

٢- هوميروس الإلياذة: Δ

ممتلئاً من ملامح الطبيعة الإلهية، وملمح الطبيعة السامية هو معرفة ورؤية كل شيء. هكذا اعتقد هؤلاء (اليونانيون) ورأوا. أما بالنسبة لنا، فإن الله نادى قديماً ''أَلَعَلِّي إِلَهٌ مِنْ قَرِيبٍ يَقُولُ الرَّبُّ وَلَسْتُ إِلَهاً مِنْ بَعِيدٍ. إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ يَقُولُ الرَّبُّ؟'' (إر ٢٣:٢٣ - ٢٤). لا شيء بالتأكيد يمكن أن يهرب ويختبئ من الإله الحقيقي. داود الطوباوي يعلِّمنا بطريقة سرية حين يقول: ''اِفْهَمُوا أَيُّهَا الْبُلَدَاءُ فِي الشَّعْبِ وَيَا جُهَلاَءُ مَتَى تَعْقِلُونَ؟ الْغَارِسُ الأُذُنَ أَلاَ يَسْمَعُ؟ الصَّانِعُ الْعَيْنَ أَلاَ يُبْصِرُ؟'' (مز ٩٤:٨ - ٩). ولأن البعض لم يستطيعوا أن يفهموا، قالوا إن: ''الرَّبُّ لاَ يُبْصِرُ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ لاَ يُلاَحِظُ'' (مز ٩٤:٧). أليس من الحماقة أن يقول المرء أن مانح المعرفة لا يعرف، ومُعطي السمع للذين خلقهم لا يسمع؟

بلاديوس: هذا مستحيل تماماً.

كيرلس: بناءً على ذلك ينبغي أن نسجد فقط للرب الإله بكافة الطرق وفق الكتب المقدسة، وليس لأحدٍ آخر سواه. لأنه مكتوب: ''تَكُونُ كَامِلاً لَدَى الرَّبِّ إِلهِكَ'' (تث ١٨:١٣). والكمال الروحى هو الثبات في الإيمان، والعبادة التي بلا لوم وجمال المحبة النقية لله.

بلاديوس: هكذا أعتقد.

تحريم التنجيم ومعرفة الغيب

كيرلس: لكن، يا بلاديوس، أولئك الذين لا يريدون أن يسجدوا لآلهة أخرى، أقصد المخلوقات، لكنهم اقتنعوا -ولا أعرف كيف- بالوثنيين العرافين الكذبة، هل يمكن أن نعتبرهم بلا إدانة وبلا لوم، أو نعتبرهم أبرياء من تهمة العصيان لمجرد أنهم حقاً أصلاء وفي أمان؟

بلاديوس: إطلاقاً لا يمكن أن يكونوا بلا خطر.

كيرلس: إنَّ تَتَبُّع ومراقبة النجوم والتنجيم[١] ومعرفة الغيب والأمور الشيطانية المضلة

١- النفس هي التي تضلل الإنسان وتجعله يلجأ إلى السحرة وليس الجسد، وذلك كما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: ''وإن كان ينبغي أن نقول شيئاً، فإن النفس تستحق إنتقاداً أكثر من الجسد. لأن الجسد لا يستطيع أن يفعل شيئاً شريراً بدون النفس، بينما النفس تستطيع أن تفعل الكثير بدون الجسد. لأنه حين يكون الجسد في طور الإنحلال ولا يستطيع أن

تناسب فقط المستعدون أن يضعوا في عقولهم عبادة الأصنام المرذولة والملعونة.

بلاديوس: تتكلم بالصواب. لأن الكلمة الإلهية تخبرنا بأنه ينبغى أن نتأفف من رجس هؤلاء الناس. وهذه هي الكلمة الإلهية: ”مَتَى دَخَلتَ الأَرْضَ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ لا تَتَعَلمْ أَنْ تَفْعَل مِثْل رِجْسِ أُولئِكَ الأُمَمِ. لا يُوجَدْ فِيكَ مَنْ يُجِيزُ ابْنَهُ أَوِ ابْنَتَهُ فِي النَّارِ وَلا مَنْ يَعْرُفُ عِرَافَةً وَلا عَائِفٌ وَلا مُتَفَائِلٌ وَلا سَاحِرٌ. وَلا مَنْ يَرْقِي رُقْيَةً وَلا مَنْ يَسْأَلُ جَانّاً أَوْ تَابِعَةً وَلا مَنْ يَسْتَشِيرُ المَوْتَى. لأَنَّ كُل مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ الرَّبِّ. وَبِسَبَبِ هَذِهِ الأَرْجَاسِ الرَّبُّ إِلهُكَ طَارِدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ. تَكُونُ كَامِلاً لدَى الرَّبِّ إِلهِكَ. إِنَّ هَؤُلاءِ الأُمَمَ الذِينَ تَخْلُفُهُمْ يَسْمَعُونَ لِلعَائِفِينَ وَالعَرَّافِينَ. وَأَمَّا أَنْتَ فَلمْ يَسْمَحْ لكَ الرَّبُّ إِلهُكَ هَكَذَا. «يُقِيمُ لكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيّاً مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لهُ تَسْمَعُونَ. حَسَبَ كُلِّ مَا طَلبْتَ مِنَ الرَّبِّ إِلهِكَ فِي حُورِيبَ يَوْمَ الاِجْتِمَاعِ قَائِلاً: لا أَعُودُ أَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ إِلهِي وَلا أَرَى هَذِهِ النَّارَ العَظِيمَةَ أَيْضاً لِئَلا أَمُوتَ“ (تث ١٨:٩ – ١٦).

كيرلس: حسناً يا صديقي. وبالتأكيد لن نتبع المنجمين والعرَّافين، ولن نُسلِّم بأن طيران الطيور، سواء كانوا يطيرون يميناً أو يساراً[١]، أو كان هذا الطيران مساءً أو فجراً هو شيء حقيقي، لا يوجد جهلٌ أسوأ من هذا. بل لنجعل المسيح رئيسنا[٢]، والذي لأجلنا صار شبيهاً لنا ومعلِّماً لنا نستمد منه معرفة احتياجاتنا، وبالقرب منه نبقى دائماً بعيداً عن الأكاذيب الشيطانية. لأن القوة التي تُحيي كل شيء توجد فقط عند الله، وهو سيِّدٌ وربٌّ على

يَتُوب، فإن النفس تصنع الكثير. فالسحرة والمشعوذون، والحاسدون يسببون إنهاكاً للجسد. ومن ناحية أخري فإن المتع والملذات لا تعود إلى إحتياج الجسد، بل إلى عدم حرص النفس، أي أن الطعام وليس التنعم هو إحتياج الجسد. فإن أردت أن أضبط إندفاع الفرس أمسكت اللجام بقوة، بينما الجسد لا يستطيع أن يضبط النفس في شهواتها“ تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ٩٦.

١- هوميروس، الإلياذة M, 237 - 240.

٢- يتحدث القديس كيرلس في سياق كلامه عن ملكي صادق، عن أن المسيح عُيِّن رئيساً لنا، إذ يقول: ”سر المسيح جدير بأن نتحدث عنه باستفاضة، إذ أن سبب تأنسه يفوق فهم أي شخص. بمعنى أن سبب التدبير هو عميق جداً، إذ أن الوحيد الجنس هو الله ومولود من الله بحسب الطبيعة وصار إنسانا وحل بيننا (يو ١٤:١) وصار رسولنا **ورئيس** كهنتنا وحررنا من ثقل لسان الناموس، ونقلنا إلى صوت التعاليم الإنجيلية الحلو، وليس هذا فقط ولكن بينما كنا مأسورين حررنا منتصراً على رئيس هذا العالم وأنقذ الأموات من أحضان الهاوية. وبما إنه أسس الكنيسة **وعُين رئيساً لنا** فقد عبر بنا، بالإيمان به، من الأرض، وإذ أعطانا الختان الروحي فقد أدخلنا إلى ملكوت السموات“. جيلافيرا، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم، مراجعة د. نصحي عبد الشهيد، الكتاب الشهري، عدد سبتمبر ٢٠٠٤.

الكل بطبيعته وبخصائصه الأقنومية[1]. وهكذا فهو يعرف الكل. فمن خصائصه أنه يعرف بوضوح كل ما يحدث، إذ يعرف كل شيء. أليس هذا الكلام حقيقياً؟

بلاديوس: هذا صحيح تماماً.

كيرلس: لذلك نخطئ إلى الله ونهين المجد الفائق، لو آمنا بأن الأرواح الدنسة لها الصفات الصالحة التي يتحلى بها الله ويتميز بها. لنا الآن عدة ساعات في هذه الثرثرة، لدرجة أنه قد يُفهم خطأً من هذه الثرثرة أننا نُلمِّح إلى أن الشيطان يمكنه أن يعطى حياةً وأن يكون خالقاً، هذا إذا نسبنا للشيطان خصائص الطبيعة الإلهية وقلنا إنها مغروسةٌ فيه. لكن الصلاح المميِّز للطبيعة السامية (الإلهية) هو معرفة أمور المستقبل، أم أن هذا الذي أقوله ليس صحيحاً؟

بلاديوس: صحيحٌ تماماً. لأنه يقول على فم إشعياء لبعض الذين أعطوا للطبيعة (المخلوقة) كل ما يُنسب إلى الله: "اُذْكُرُوا هَذَا وَكُونُوا رِجَالاً. رَدِّدُوهُ فِي قُلُوبِكُمْ أَيُّهَا الْعُصَاةُ. اُذْكُرُوا الأَوَّلِيَّاتِ مُنْذُ الْقَدِيمِ لأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرُ. الإِلَهُ وَلَيْسَ مِثْلِي. مُخْبِرٌ مُنْذُ الْبَدْءِ بِالأَخِيرِ وَمُنْذُ الْقَدِيمِ بِمَا لَمْ يُفْعَلْ قَائِلاً: رَأْيِي يَقُومُ وَأَفْعَلُ كُلَّ مَسَرَّتِي" (إش ٤٦:٨ – ١٠).

إن تصريحه بأنه يمكن أن يُخبر "بالأخير" قبل أن يصير، يكشف للسامعين، أنه لا يوجد آخر فيما عدا الإله الحقيقى.

كيرلس: حسناً جداً، يا بلاديوس، أريد أن نفحص ما يأتي من كل الجوانب: طالما نحن موجودون بين هؤلاء الذين يحيون باستقامة وبحسب تعاليم الإنجيل، أيُ عذرٍ لنا حتى نصدق الوعود الكاذبة للمنجمين، ربما تحتوي هذه الوعود الكاذبة على قولٍ حقيقى؟ ألسنا عندئذٍ نُكذِّب كلام المخلّص! لأنه يقول لليهود الحاسدين والشاتمين: "أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ" (يو ٨:٤٤)، إذن كيف يكون الكذابُ صادقاً؟ وكيف لا يكون كاذباً مَن لم

١- أي بكونه ثالوثاً آب وابن وروح قدس.

يثبت في الحق؟!

إذن من الواضح، يا بلاديوس، أننا حين ننسب الحق إلى كلام الشياطين، نتهم المسيح بأنه يقول كلاماً كاذباً، وكأننا نقول بذلك إن الحق يقول الكذب.

بلاديوس: إن قلنا هذا نكون في خطر.

كيرلس: على الجانب الآخر أستطيع أن أُضيف إلى كل ما قلته، لقد تعلمنا من المسيح أن لا نقبل أقوال الأرواح النجسة، حتى لو أرادت أحياناً أن تقدم الحقيقة، رغم أن هذا الأمر غير معتاد تماماً بالنسبة لهم.

بلاديوس: ماذا تقصد بهذا؟

كيرلس: ألم تسمع الإنجيليين القديسين الذين كتبوا أن الشياطين كانوا يصرخون بشدة، ويقتربون بتخوفٍ من المسيح قائلين: "آهِ! مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ! أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا! أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنْتَ قُدُّوسُ اللَّهِ!». فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: «اخْرَسْ وَاخْرُجْ مِنْهُ!»" (مر ١: ٢٤ – ٢٥). "وَلَمْ يَدَعِ الشَّيَاطِينَ يَتَكَلَّمُونَ لأَنَّهُمْ عَرَفُوهُ" (مر ١: ٣٤). ومن الطبيعى أن يتساءل المرء: لماذا ينتهر المسيح الشياطين، طالما أنهم ينطقون بالحقيقة؟ لم يكن هذا الذي صار (اعتراف الشياطين) مفيداً لنا إطلاقاً. بل علينا أن نتعلم (من انتهار المسيح لهم) أنه لا ينبغى أن نؤمن بأقوالهم[1]، حتى لو أرادوا أن ينادوا بالحق ويقولوا الأمور الحقيقية الواضحة. لأنهم يخلطونَ أحياناً الكذب بالحقيقة، ويؤذون مستمعيهم، ليس بطريقة أخرى -بخلاف ما سوف يراهم المرء- يحاولون خلط العسل في المر لكي يُخففوا طعم المرارة.

بلاديوس: عموماً، من الخطر تماماً أن ينشغل المرء بأقوال الدجالين.

كيرلس: الله يعاقب مَن يرتكب هذه الخطية بالموت، ويضع هذه الخطية في قائمة

١- يوضح لنا القديس أثناسيوس الرسولي مدى ضلالِ الشياطين حيث يقول: "متى رأى الشياطين البشر جزعين، يُزيدون خداعهم حتى يُرعبونهم بالأكثر، وأخيراً يُضلونهم قائلين: "خُرّوا واسجدوا". فهكذا قد أضلّوا اليونانيين، وجعلوهم يعتبرونهم بغيرِ وجه حق آلهة. وأما نحن فلم يتركنا الرب نُغوَى من الشيطان، لأنه لما قدَّم (الشيطان) إليه مثل هذه الخداعات انتهره قائلاً: «اذهب خلفي يا شيطان، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإيَّاه وحده تعبد» (مت ٤: ١٠، لو ٤: ٨). ولذلك فبالأكثر جداً ينبغي أن يصير المُضِل مُحتَقراً أمامنا، لأن ما قاله الرب (للشيطان)، إنما قد فعله من أجلنا حتى إذا ما سمعت الشياطين منا كلمات مماثلة تكون مُضطرة على الهروب من قِبَلِ الرب الذي انتهرها بهذه الكلمات" حياة أنطونيوس 37 -897 ,PG 26.



الخطايا الفظيعة. لنرَ ماذا يقول في سفر اللاويين: "وَالنَّفْسُ الَّتِي تَلْتَفِتُ إِلَى الْجَانِّ وَإِلَى التَّوَابعِ لِتَزْنِيَ وَرَاءَهُمْ أَجْعَلُ وَجْهِي ضِدَّ تِلْكَ النَّفْسِ وَأَقْطَعُهَا مِنْ شَعْبِهَا. فَتَتَقَدَّسُونَ وَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ" (لاو ٢٠ :٦ – ٧). وأيضاً يقول: "وَإِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ جَانٌّ أَوْ تَابِعَةٌ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. بِالْحِجَارَةِ يَرْجُمُونَهُ. دَمُهُ عَلَيْهِ" (لا ٢٠: ٢٧). فهو يُحرِّم أولاً التجاء البعض إلى المنجمين أو العرافين، قائلاً إن هذه العادة بعيدة جداً عن الحياة التي تليق بالقديسين، ولا تنسجم تماماً مع القريبين من الله، ومن ثمَّ بعد ذلك حَكَمَ بالموت ضدهم وقال إنهم مذنبون. وهو لا يسمح أن نُظهر رحمةً للذين وصلوا إلى هذه الدرجة من الشر، حتى أنهم صاروا مصيدةً للموت، وشبكةً للنفوس البريئة، وباباً للهلاك ومصيدةً للهاوية، وأي شيء آخر يكون من مثل هذه الشرور؟ لكني أظن أننا سوف نعتبر (هذا الإجراء) معياراً للحكمة، لأن الله لم يكن ليفرض هذا الجزاء القاسي جداً، والذي يفوق أي شر على هؤلاء لو لم تكن لديهم قوة (مثل الأنبياء الحقيقيون) على أن يعرفوا إعلان وكشف ما يحدث من هذه الأمور، وقد قالوا شيئاً من هذه الأمور التي سوف تحدث حقاً. لأن كلمة الحق لا تجلب عقاباً، لكن كلمة الكذب دنسةٌ هي، وإذا قصد شخصٌ أن يتفوّه بها بادعاء الاستنارة من الله، فإنه يسيء إلى هذه الطبيعة الإلهية فائقة الوصف، إذ ينسب الكذب إلى الحق، وطالما يخضع لعقاب معادل لمن ارتكب جريمة، فإنه يذهب كليةً إلى الدمار. لأن الكتاب لم يحدد عقاباً للذين يتحدثون نيابةً عن الله، لكن على الذين ينقلون الكلمة –مدعين بالكذب– كما لو كانت في نفس الوقت كلمة الله، لأن نبوتهم لم تكن نقيةً تماماً من الكذب[1]. وبسبب أنهم لا ينهلون من الحق، لكن يقولون كل ما يريدونه وما تقوله لهم ذواتهم، يرتكبون بسبب هذا خطأً.

بلاديوس: بالتالى مِن هنا سوف نفهم أن أولئك يقولون كلاماً من عندياتهم.

كيرلس: بالضبط. سوف يقنعنا الناموس الإلهي مباشرةً؛ لأن الله يقول في سفر التثنية: "وَإِنْ قُلتَ فِي قَلبِكَ: كَيْفَ نَعْرِفُ الكَلامَ الذِي لمْ يَتَكَلمْ بِهِ الرَّبُّ؟ فَمَا

١- الكذب هو أحد أدوات إنسان الخطية العتيق، إذ يقول ق. ذهبي الفم: "أرايت أية أعضاء هي تلك التي لإنسان الخطية العتيق؟ الكذب، عدم نسيان الإساءة، والسرقة" تفسير الرسالة إلى أفسس ص ٢١٩.

تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلَمْ يَحْدُثْ وَلَمْ يَصِرْ فَهُوَ الكَلامُ الذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ بَل بِطُغْيَانٍ تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ فَلا تَخَفْ مِنْهُ" (تث ١٨:٢١ - ٢٢). أسمعت ما يقول؟ الإخفاقات التي ذُكِرَت سابقاً هي برهانٌ واضح على أن الكلام ليس من الله، لأن الحق يحب الحق. ومثل هذا قاله على فم إرميا: "أَلَعَلِّي إِلَهٌ مِنْ قَرِيبٍ يَقُولُ الرَّبُّ وَلَسْتُ إِلَهاً مِنْ بَعِيدٍ. إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ يَقُولُ الرَّبُّ؟. قَدْ سَمِعْتُ مَا قَالَهُ الأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ تَنَبَّأُوا بِاسْمِي بِالْكَذِبِ" (إر ٢٣:٢٣ - ٢٥). وطالما أدان المحتقِرين للنواميس الإلهية، يعطى بعد ذلك دليلاً واضحاً لكل النبوات التي هي من الله والتي ليست منه. لأنه يقول أيضاً: "اَلنَّبِيُّ الَّذِي مَعَهُ حُلْمٌ فَلْيَقُصَّ حُلْماً وَالَّذِي مَعَهُ كَلِمَتِي فَلْيَتَكَلَّمْ بِكَلِمَتِي بِالْحَقِّ" (إر ٢٣:٢٨). لأنه إن بدا غير متكلمٍ بالحق، فهذا سوف يظهره مباشرةً أنه مبتدع الكلام الكاذب الذي أعلنه، وأنه يتكلم من نفسه وليس من فم الله كما هو مكتوب.

بلاديوس: أتريد أن نضع شيئاً من الأمور الضرورية تحت الفحص الدقيق، أم نتركه ونمضى حيث يقودنا كلامك؟

كيرلس: الكلام، يا بلاديوس، عن الضروريات للاستفادة ليس ثقيلاً عليَّ. ولأنني أحب التعبير الحُر عن الرأي، أخبرني إذن ولا تتردد أبداً.

استحضار العرّافة لروح صموئيل، هل هو حقيقيٌ؟

بلاديوس: إن لم يتحدث البعض عن فم الرب، وإنما يُعبِّرون، كما تقول، بكل ما في داخلهم، فبأي طريقة أحضرت تلك المرأة التي عليها الجن إلى شاول، صموئيل النبي، بالرغم من أنه كان قد مات، ولقد أوضَح له ما ستؤل إليه الأمور؟ لأن البعض يعتقد أنه هكذا حدث ما قيل وليس شيئاً آخر.

كيرلس: هل يمكنك أن تؤمن بأن الأمر لم يكن هكذا، وهذا أفضل، أم تعتقد أن قولنا إن نفس البار قد اغتُصِبَت في الواقع وبالتالي أتت طائعة لدعوة المرأة، مجرد ثرثرة؟

بلاديوس: لا أستطيع أن أرد بحسم. الفحص الدقيق، على ما أظن، هو الذي يُظهر الحق.

كيرلس: حسناً تقول. دعنا نفحص الأمر بدقة. أي بأيٍ من الاثنين: أمِن خلال الله يُعطون هذه الأمور المفيدة ويقولون هذه الأمور الفائقة للطبيعة ويحضرونها، أم مِن الأرواح الشريرة التي تهتم بهذه الأمور؟

بلاديوس: ومن هو ذا الذي يمكنه أن يصل إلى هذه الأفكار غير المعقولة، حتى يعتقد أنه من خلال الله يعمل العرافون والسحرة والذين عليهم الجان هذه الأمور فوق الطبيعية؟ لأنني أتذكر الناموس الذي يحدد عقاباً كبيراً لكل واحد يريد أن يفعل هذا الأمر. ثم بعد ذلك، كيف لا يدهشنا التفكير بأن المضاد لله ليس مُداناً بالموت؟ ألا يكون بالتأكيد محارباً للنواميس الإلهية؟

كيرلس: تفكر بطريقة فائقة. إن هذا يعني أننا نوافق على أن نفوس القديسين، وقد تخلّصت من الجسد، تطير بدون حساب، وقد وصلت إلى هذا المستوى من التعذيب، حتى أنها تخضع للأرواح الشريرة والدنسة ويتبعونها بدون إرادتهم حيث تريد هذه الأرواح، بالرغم من أن سفر الرؤيا الذي كتبه يوحنا الحكيم، ووضعه الآباء ضمن قانون العهد الجديد[1]، يؤكد لنا بوضوح أنه رأى نفوس القديسين تحت مذبح الله نفسه (انظر رؤ ٦:٩). إذن، إذا سحبوهم من المساكن السماوية، وأنزلوهم من الأماكن المقدسة بدون أن يعيقهم أحد، فالسماء هي عندئذٍ مفتوحةٌ للكل، وباب الفردوس يُفتح لهؤلاء. والسيف النارى (راجع تك ٣: ٢٤) يتراجع لكي يدخلوا ويخرجوا، ويكون عندهم تصريح بأن يُخرِجوا البعض –بعد أن دخلوا– من السماء خارجاً. ألا يُظهر هذا خيبة رجاؤنا في المسيح، وألا يُعلِن ذلك عن أن حياة الرجال الذين سبق وأُعجبنا بها هي حياةٌ بائسةٌ تماماً؟

بلاديوس: هكذا يبدو.

كيرلس: لا شك أن الأمر يمكن أن يصير واضحاً من جهة أخرى، إذ كيف كان من الأفضل لبولس العجيب أن يرحل من هذا العالم ويكون مع المسيح (انظر في ١:٣)؟ لأننا (طبقاً للرأي السابق) إذا رحلنا عن الحياة الأرضية، وبينما نحن مع المسيح، نكون في قبضة الأرواح المعادية لنا، وهكذا يفقد الإيمان محتواه وفق المكتوب، وبالتالي يكون مِن الأفضل للمرء أن يوجد في الجسد

١- هذه العبارة توضح أن آباء الكنيسة هم الذين حددوا بإستنارة الروح القدس أسفار العهد الجديد، وهنا يخضع القديس كيرلس لهذا التحديد الذي وضعه الآباء.

عن أن يكون مع المسيح. أعتقد أن الكل يوافقني على ذلك، فكيف لا يكون هذا الوضع مختلفاً بلا مقارنة عما وُصِف بأنه الأفضل. إن ما لا يتحمله أحد هو كيف نكون في هذه الحياة غير مقيَّدين (مربوطين) في إرداة الشيطان، وحسناً ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو وفق كلمة المخلّص (انظر لو ١٠:١٩)، ثم بعد ذلك، عندما نكون مع المسيح، نوجد في حالة أسوأ؟ وكيف يتفق ذلك مع حقيقة ما قاله: "خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي. وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي" (يو ١٠:٢٧ - ٢٩).

هل خدع بطرس رجال التقوى في المسيح عندما كتب: "فَإِذاً، الَّذِينَ يَتَأَلَّمُونَ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ فَلْيَسْتَوْدِعُوا أَنْفُسَهُمْ كَمَا لِخَالِقٍ أَمِينٍ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ" (١ بط ٤:١٩)؟

وإن كان الشيطان يمارس القهر على النفس التي تثق فيه وهى في يد الله، وتذهب وتجئ بحسب ما يريد (الشيطان)، كيف يمكن أن نعتبره جديراً بالثقة هذا الذي يقف بجانب المؤمنين، وقد أخذ روح كل واحد كوديعة؟

إذاً، أن يعتقد المرءُ حقيقةً أن نفس النبى قد نزلت من الأماكن التي ذهبت إليها وذلك بنداءات وتعويذات لامرأة كريهة، هو مجرد ثرثرة، وحماقة رهيبة[1].

بلاديوس: لأى سبب إذن صيغت هذه العبارات؟ هذه الأمور السخيفة، على ما أظن، لا ينبغي أن نتحدث فيها، حتى لو اشتملت على شيء بسيط جداً من المعنى.

١ـ هذه الامور حقاً هي ثرثرة لأن الشيطان سقط مداساً تحت أرجل القديسيين، إذ يقول القديس كيرلس: "فالذي هو بالطبيعة ابن، أخذ شكل العبد، ولكنه لم يأخذ حالتنا لكي يستمر في وضع العبوديَّة، بل لكي يعتقنا نحن الذين رُبِطنا بنير العبودية؛ لأن كل ما هو مخلوق هو بالطبيعة عبد ولكي يُغنينا بما له. لأننا به ومعه قد نلنا اسم البنين، إذ قد صرنا مُكرمين بسخائه ونعمته. وهو الذي كان غنياً شاركنا فقرنا ليرفع طبيعة الإنسان إلى غناه، وذاق الموت على خشبة الصليب ليرفع من الوسط الإثم الذي ارتُكِب بسبب شجرة (المعرفة)، وليمحو الذنب الذي نتج عن ذلك، ولينزع من الموت طغيانه علينا. لقد رأينا الشيطان يسقط، رأينا ذلك القاسي ينكسر، ذلك المتكبِّر يُوضَع، رأينا ذلك الذي جعل العالمِ يخضع لنير مُلكه، يُجرَّد من تسلّطه علينا، وجعل المزدَرى والمحتَقِر والذي كان يُعبد يوماً يصير هو مزدَرَى ومحتَقَراً، والذي جعل نفسه إلهاً تطأه أقدام القدِّيسين، والذي تمرَّد على مجد المسيح صار مدوساً بواسطة الذين يحبُّون المسيح: " لأنهم أخذوا سلطاناً لينتهروا الأرواح الشريرة ويخرجوها". وهذه القوة هي كرامة عظيمة وعالية جدًّا بالنسبة للطبيعة البشرية، لكنها لائقة فقط بالإله العلي" شرح إنجيل لوقا، إصحاح ١٠ عظة ٦٧ ص ٣٢٤.

كيرلس: عندما نعرض كلام الكتاب المقدس، عندئذٍ سوف نوضح كل ما خطر في ذهننا، وسوف ندرك –من كل الجوانب– هذا الذي ينبغي أن نفهمه. هذا الكلام هو الآتي: "وَمَاتَ صَمُوئِيلُ وَنَدَبَهُ كُلُّ إِسْرَائِيلَ وَدَفَنُوهُ فِي الرَّامَةِ فِي مَدِينَتِهِ. وَكَانَ شَاوُلُ قَدْ نَفَى أَصْحَابَ الْجَانِّ وَالتَّوَابعِ مِنَ الأَرْضِ. فَاجْتَمَعَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ وَجَاءُوا وَنَزَلُوا فِي شُونَمَ، وَجَمَعَ شَاوُلُ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ وَنَزَلَ فِي جِلْبُوعَ. وَلَمَّا رَأَى شَاوُلُ جَيْشَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ خَافَ وَاضْطَرَبَ قَلْبُهُ جِداً. فَسَأَلَ شَاوُلُ مِنَ الرَّبِّ، فَلَمْ يُجِبْهُ الرَّبُّ لاَ بِالأَحْلاَمِ وَلاَ بِالأُورِيمِ وَلاَ بِالأَنْبِيَاءِ. فَقَالَ شَاوُلُ لِعَبِيدِهِ: «فَتِّشُوا لِي عَلَى امْرَأَةٍ صَاحِبَةِ جَانٍّ، فَأَذْهَبَ إِلَيْهَا وَأَسْأَلَهَا». فَقَالَ لَهُ عَبِيدُهُ: «هُوَذَا امْرَأَةٌ صَاحِبَةُ جَانٍّ فِي عَيْنِ دُورٍ». فَتَنَكَّرَ شَاوُلُ وَلَبِسَ ثِيَاباً أُخْرَى، وَذَهَبَ هُوَ وَرَجُلاَنِ مَعَهُ وَجَاءُوا إِلَى الْمَرْأَةِ لَيْلاً. وَقَالَ: «اعْرِفِي لِي بِالْجَانِّ وَأَصْعِدِي لِي مَنْ أَقُولُ لَكِ». فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «هُوَذَا أَنْتَ تَعْلَمُ مَا فَعَلَ شَاوُلُ، كَيْفَ قَطَعَ أَصْحَابَ الْجَانِّ وَالتَّوَابعِ مِنَ الأَرْضِ. فَلِمَاذَا تَضَعُ شَرَكاً لِنَفْسِي لِتُمِيتَهَا؟» فَحَلَفَ لَهَا شَاوُلُ بِالرَّبِّ قَائِلاً: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، إِنَّهُ لاَ يَلْحَقُكِ إِثْمٌ فِي هذَا الأَمْرِ». فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «مَنْ أُصْعِدُ لَكَ؟» فَقَالَ: «أَصْعِدِي لِي صَمُوئِيلَ». فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ صَمُوئِيلَ صَرَخَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَكَلَّمَتِ الْمَرْأَةُ شَاوُلَ قَائِلَةً: «لِمَاذَا خَدَعْتَنِي وَأَنْتَ شَاوُلُ؟» فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: «لاَ تَخَافِي. فَمَاذَا رَأَيْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِشَاوُلَ: «رَأَيْتُ آلِهَةً يَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ». فَقَالَ لَهَا: «مَا هِيَ صُورَتُهُ؟» فَقَالَتْ: «رَجُلٌ شَيْخٌ صَاعِدٌ وَهُوَ مُغَطًّى بِجُبَّةٍ». فَعَلِمَ شَاوُلُ أَنَّهُ صَمُوئِيلُ، فَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ. فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «لِمَاذَا أَقْلَقْتَنِي بِإِصْعَادِكَ إِيَّايَ؟» فَقَالَ شَاوُلُ: «قَدْ ضَاقَ بِي الأَمْرُ جِداً. اَلْفِلِسْطِينِيُّونَ يُحَارِبُونَنِي، وَالرَّبُّ فَارَقَنِي وَلَمْ يَعُدْ يُجِيبُنِي لاَ بِالأَنْبِيَاءِ وَلاَ بِالأَحْلاَمِ. فَدَعَوْتُكَ لِكَيْ تُعْلِمَنِي مَاذَا أَصْنَعُ». فَقَالَ صَمُوئِيلُ: «وَلِمَاذَا تَسْأَلُنِي وَالرَّبُّ قَدْ فَارَقَكَ وَصَارَ عَدُوَّكَ؟ وَقَدْ فَعَلَ الرَّبُّ لِنَفْسِهِ كَمَا تَكَلَّمَ عَنْ يَدِي، وَقَدْ شَقَّ الرَّبُّ الْمَمْلَكَةَ مِنْ يَدِكَ وَأَعْطَاهَا لِقَرِيبِكَ دَاوُدَ. لأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ وَلَمْ تَفْعَلْ حُمُوَّ غَضَبِهِ فِي عَمَالِيقَ، لِذلِكَ قَدْ فَعَلَ الرَّبُّ بِكَ هذَا الأَمْرَ الْيَوْمَ. وَيَدْفَعُ الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ أَيْضاً مَعَكَ لِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. وَغَداً أَنْتَ وَبَنُوكَ تَكُونُونَ مَعِي، وَيَدْفَعُ الرَّبُّ جَيْشَ إِسْرَائِيلَ أَيْضاً لِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ» (١ صم ٣:٢٨ – ١٩).

إذن هل بقي لك شيءٌ لم نوضحه لكي تتحقق بأن شاول أُدين وهلك بمشورته الخاصة؟ فبسبب أنه خاف معركة أولئك الذين احتشدوا ضده،



طلب من الرب ليعلَم ما الذي سوف يحدث له؛ ولأن الله صَمَتَ ولم يعلن شيئاً، قرر أن يزعج ذلك الذي فضَّل الصمت. هكذا ذهب للعرَّافة والمنجمين الذين يعتقدون أنهم يعرفون الأمور المستقبلية. وهناك يقول: «أصعدى لي صموئيل»، ليس بسبب أن فن السحرة استطاع أن يُحضر نفس القديس، لكن العرافين هم الذين يستخدمون دائماً هذا الكلام. أي كان عنده علم بأنهم بكلمات مكتوبة (غير مفهومة) يسحرون الجان، وبينما هم يغنون ويرشون الماء يرون صوراً وظلالاً وأشكالاً كما في مرآة من إبداع الشياطين، وذلك لكي يُصعدوا أشكال أولئك الذين يحضرونهم. قالت المرأة العرافة بالتأكيد في البداية: «رأيت آلهةً يصعدون من الأرض». ثم بعد ذلك «رأيت صموئيل». ليس صعباً على الإطلاق أن يظهر بشكلٍ مشابهٍ لصموئيل الطوباوى، بل ظِلٍ وشكلٍ مشابهٍ بفعلٍ شيطانى. إذن، حتى لو ظن أحدٌ أن نفس النبى قد استُعلنت عملياً ويعطي لكلام المرأة الحق، بسبب أنها قالت قد رأيتُ آلهةً يصعدون من الأرض، فعليه أن ينعت أعمال التنجيم بالكذب، وإلَّا فعليه أن يعتقد بأنه توجد بعض الآلهة يصعدون من الأرض، بالرغم من أننا نؤمن بالتأكيد بأنه يوجد إله واحد فقط.

بلاديوس: تتكلم بالصواب. لكننا لم نبذل محاولات ولو لوقت قليل لنبرهن على أن الحقيقة لا توجد عند الأرواح الدنسة.

كيف يُنذِر الله من يغضبونه؟

كيرلس: بالتأكيد لا. لأنه لا يتفق النور مع الظلمة ولا المسيح مع بليعال[1]. ولأولئك الذين يُغضبون الله ويسببون له حزناً، يُعلن الله الأمور التي سوف

١ـ من المستحيل إجتماع النور مع الظلمة أو المسيح مع بليعال، وهذا يؤكده القديس كيرلس في شرحه للوقا ٤ :١٤ ـ ١٥، إذ يقول: "وأولئك الذين أعتمت قلوبهم منذ القديم بظلمة إبليس، قد أنار لهم بإشراقه كشمس للبر، وجعلهم أبناء لا لليل والظلمة فيما بعد، بل أبناء للنور والنهار كقول بولس الرسول (١ تس ٥:٥). وأولئك الذين كانوا عمياناً "لأن المُضِل أعمى قلوبهم" قد استعادوا بصرهم وعرفوا الحق، وكما يقول إشعياء "صارت ظلمتهم نوراً" (إش ٤٢: ١٦)، أي صار الجُهال حكماء، وأولئك الذين كانوا في الخطية عرفوا مسالك البر، والآب أيضاً يقول للابن في موضع ما " أجعلك عهداً للشعب، لتفتح عيون العمي، لتُخرج من الحبس المأسورين، من بيت السجن الجالسين في الظلمة" (إش ٤٢: ٦، ٧)، لأن الإبن الوحيد جاء إلى هذا العالم وأعطى عهداً جديداً لشعبه، الإسرائيليين، الذين منهم وُلد حسب الجسد، وهو العهد الذي أعلن عنه سابقاً جدًّا بصوت الأنبياء. ولكن النور الإلهي السماوي أضاء أيضاً على الأمم، وذهب وبشَّر الأرواح في الجحيم، وأظهر نفسه لأولئك الذين كان مغلقاً عليهم في بيت السجن، وفك قيود الجميع وحررهم من العنف، فكيف لا تبرهن كل الأشياء أن المسيح هو إله وابن الإله بالطبيعة؟". تفسير إنجيل لوقا، المرجع السابق، ص ٨٤.

تحدث لهم أحياناً، ولكن بُطرقٍ ملائمة، على الأقل برسالة الملائكة إلى العقل البشري، وعندما يعلم بها أولئك، يذوبون خوفاً من الحزن، ويصير هذا الإعلان بالنسبة لهم بمثابة إنذارٍ كبداية للغضب والعقاب الذي يتهددهم. ولأنه يستريح في الأنبياء القديسين ففي مرات كثيرة يعلن لهم، ليس فقط الأمور المحزنة والأمور التي سوف يضايقون بها شخصاً لتجعله يجلس ويبكي، لكن أيضاً يذكر لهم الأمور المفرحة حقاً لرفاهية البعض، أما الفُجَّار وأتباع المنجمين فيكشف لهم الأمور الشريرة التي سوف تحدث لهم.

بلاديوس: وكيف ومن أين يمكننا أن نؤمن بهذا الكلام؟

ضلالة بلعام

كيرلس: بالطبع من الكتب المقدسة. لأن المثال ومنهج التعليم يمثلان لنا كل ما صار للقدماء. ألا تعرف أن بالاق بن بعور طاغية الموآبيين والمديانيين، إذ كان مرتعباً من جمع الإسرائيليين الذي لا يُقهَر معتقداً أنه سوف يهلك فوراً هو والأمم الأخرى، دفع لبلعام قائلاً له: "تَعَال وَالعَنْ لِي هَذَا الشَّعْبَ لأَنَّهُ أَعْظَمُ مِنِّي ... فَقَال لهُمْ: «بِيتُوا هُنَا الليْلةَ فَأَرُدَّ عَليْكُمْ جَوَاباً كَمَا يُكَلِّمُنِي" (عد ٢٢: ٦ - ٨)، طالباً أحلاماً شيطانية منتظراً أن تحدث بواسطة التعويذات والأمور السحرية. لقد قال (بلعام) إن الله سوف يكلمه، لأنه أوهمهم بأنه يسمع الرب. وبالرغم من أن الكتب المقدسة تستخدم اللغة المعتادة للسحرة، فإننا لا يمكن أن نصدق -إذا فكَّرنا باستقامةٍ- أن الإله الحقيقى يضع الحق داخل نفوس الدنسين، وأنه يتحدث مع إنسان بغيض وساحر عابد للأوثان. لكن مكتوب: "فَأَتَى اللهُ إِلى بَلعَامَ وَقَال: «مَنْ هُمْ هَؤُلاءِ الرِّجَالُ الذِينَ عِنْدَكَ؟" (عد ٢٢: ٩). وعندما قال له بلعام سبب قدومهم، "فَقَال اللهُ لِبَلعَامَ: «لا تَذْهَبْ مَعَهُمْ وَلا تَلعَنِ الشَّعْبَ لأَنَّهُ مُبَارَكٌ" (عد ٢٢: ١٢). وهكذا يمنع الملاك -القادم من عند الله- الساحر المحتال والمضل، ويطلب منه ألَّا يلعن المبارَك من الله. وهنا يمكن أن نضاهي الابتداعات البشرية الشريرة بقرارات السماء، ليس لأن اللعنة لها قدرة على أن تفعل الشر، لكنه أراد وبكل وضوح أن يعرف بنفسه حقيقة ذاك الذي عنده الرجاء الكاذب. هذه الحقيقة هي أن بنى إسرائيل لن يسقطوا إطلاقاً في أيدى الموآبيين

والمديانيين، آخذين الله حامياً لهم ومحارباً عنهم، الله الذي حوَّط بعطفه على شعبه كأنه سور، لأن هذا الشعب هو خاصته ومبارَك منه. وهذا بالتأكيد ما قاله الملاك وأعلن أنه سيفعله. لكن بسبب الهدايا الموعودة التي أغرت العرَّاف، فقد استمر في تنجيمه معتقداً أنه قد يقاوم الحق. وبالرغم من أن الملاك تركه يمضى في اعتقاده هذا، لكنه ظهر له في منتصف الطريق وهدده بسيف لكي يدرك جيداً أن الملائكة هم الذين سوف يحاربونه إذا أراد أن يلعن المبارَكين. وعندما وصل إلى المديانيين بنى المذابح وأمر بذبح الثيران. لكن النبى الكاذب لم يكن قد تغيَّر، إنما القوة الإلهية هي التي غيَّرته إلى العكس. فهو لم يلعن بتاتاً، لكن بالحرى بارَك الإسرائيليين وجلب على بالاق حزناً رهيباً. مكتوب: "فَاشْتَعَلَ غَضَبُ بَالاقَ عَلى بَلعَامَ وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ وَقَال بَالاقُ لِبَلعَامَ: «لِتَشْتِمَ أَعْدَائِي دَعَوْتُكَ وَهُوَذَا أَنْتَ قَدْ بَارَكْتَهُمُ الآنَ ثَلاثَ دَفَعَاتٍ ... فَقَال بَلعَامُ لِبَالاقَ: «أَلمْ أُكَلِّمْ أَيْضاً رُسُلكَ الذِينَ أَرْسَلتَ إِليَّ قَائِلاً: وَلوْ أَعْطَانِي بَالاقُ مِلءَ بَيْتِهِ فِضَّةً وَذَهَباً لا أَقْدِرُ أَنْ أَتَجَاوَزَ قَوْل الرَّبِّ لأَعْمَل خَيْراً أَوْ شَرّاً مِنْ نَفْسِي. الذِي يَتَكَلمُهُ الرَّبُّ إِيَّاهُ أَتَكَلمُ" (عد ٢٤: ١٠، ١٢ - ١٣).
إن العرَّافين الكذبة اعتادوا أن يستخدموا مثل هذا الكلام الخادع، لأنهم يدَّعون أمام الذين يلجأون إليهم بأنهم على أية حال يقولون الحق. لكن التعبير عن الحق شيءٌ غريب عن فن السحرة والمنجمين، لكن في بعض المرات يُترك لهم الحق من الله، بهدفِ إلقاء الفزع في نفوس المدنَّسين بإعلانهم بالأمور المستقبلية.

بلاديوس: أوافقك.

كيرلس: وكون الله يكره مثل هذه الأعمال السحرية والمشعوِذة، يصير واضحاً مما قاله هو نفسه: "أَنَا الرَّبُّ صَانِعٌ كُلَّ شَيْءٍ نَاشِرٌ السَّمَاوَاتِ وَحْدِي. بَاسِطٌ الأَرْضَ. مَنْ مَعِي؟ مُبَطِّلٌ آيَاتِ الْمُخَادِعِينَ وَمُحَمِّقٌ الْعَرَّافِينَ. مُرَجِّعٌ الْحُكَمَاءَ إِلَى الْوَرَاءِ وَمُجَهِّلٌ مَعْرِفَتَهُمْ. مُقِيمٌ كَلِمَةَ عَبْدِهِ وَمُتَمِّمٌ رَأْيَ رُسُلِهِ" (إش ٤٤: ٢٤ - ٢٦). يبرهن على أن التنجيم[1] كاذب ولا يصدق، بينما يعضد كل كلمة قالها ابنه، أي يسوع المسيح، وأيضاً مشورة ملائكته، أي كل ما يقوله الكارزون بالإيمان

١- يؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم على أن أعمال السحر والشعوذة هي أعمال باطلة، إذ يقول: "إن معجزات السحرة لم تكن لها قوة، بل كانت ضعفاً وخيالاً وأموراً باطلة" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ٧٣.



به (بالمسيح)، كل هذا يظهره بالحق ويؤكده بالعلامات والأعمال المعجزية وبأعمال الروح القدس. يقول أيضاً للذين يسيئون استخدام الناموس: "قِفِي فِي رُقَاكِ وَفِي كَثْرَةِ سُحُورِكِ الَّتِي فِيهَا تَعِبْتِ مُنْذُ صِبَاكِ. رُبَّمَا يُمْكِنُكِ أَنْ تَنْفَعِي. رُبَّمَا تُرْعِبِينَ. قَدْ ضَعُفْتِ مِنْ كَثْرَةِ مَشُورَاتِكِ. لِيَقِفْ قَاسِمُو السَّمَاءِ الرَّاصِدُونَ النُّجُومَ الْمُعَرِّفُونَ عِنْدَ رُؤُوسِ الشُّهُورِ وَيُخَلِّصُوكِ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْكِ" (إش ٤٧ :١٢ – ١٣).

أرأيت أن الله يبرهن على تفاهة التنجيم الملعون تماماً، وأنه يستحق السخرية. وأن ما يتمشى معه (أي مع الله) هو الحق، وأنه يقول الأمور التي لا تقبل الخطأ ونأمل تحقيقها بسهولة، اسمع ماذا يقول لنا بفم إشعياء: "اُذْكُرُوا هَذَا وَكُونُوا رِجَالاً. رَدِّدُوهُ فِي قُلُوبِكُمْ أَيُّهَا الْعُصَاةُ. اُذْكُرُوا الأَوَّلِيَّاتِ مُنْذُ الْقَدِيمِ لأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرُ. الإِلَهُ وَلَيْسَ مِثْلِي. مُخْبِرٌ مُنْذُ الْبَدْءِ بِالأَخِيرِ وَمُنْذُ الْقَدِيمِ بِمَا لَمْ يُفْعَلْ قَائِلاً: رَأْيِي يَقُومُ وَأَفْعَلُ كُلَّ مَسَرَّتِي" (إش ٤٦ :٨ – ١٠). إذن، من جانبنا سوف ننسب إلى الله وحده –فوق الكل– قدرة التنبؤ تماماً، وأنه يستطيع أن يعلن –دون أدنى خطأ– ما سوف يحدث من أمور. أمَّا كل ما يقوله الآخرون، فهو مجرد ثرثرة وتخاريف عجائز وبذاءات وضلالات الذين –بعقلٍ فاسدٍ– يقولون كل ما في قلوبهم، ويجعلون من الكذب دافعاً لكسب المال.

بلاديوس: إنه حقاً هكذا، وليس شيئاً آخر.

كيرلس: هيا بنا نترك الطريق المعوج، ولنسلك الطريق المستقيم[1] باقين بالقرب من الله مختبرين حقيقة أقوال القديسين.

بلاديوس: بالتأكيد.

كيرلس: لكن ماذا؟ ألا نعتبر بجانب كل هذا، أنه مكروه أن يتطهر المرء بالنار والماء، وكذلك الطرق الأخرى المشابهة والموجودة عند الوثنية اليونانية؟

بلاديوس: نعم. لذلك يقول الناموس الإلهي بوضوح: "لا يُوجَدْ فِيكَ مَنْ يُجِيزُ ابْنَهُ أَوِ ابْنَتَهُ فِي النَّارِ" (تث ١٨ :١٠).

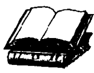
١- يؤكد القديس كيرلس في موضع آخر على أن المسيح هو الطريق، إذ يقول: "ولأن المسيح هو الأول من بين البشر الذى برهن على ان الموت هو نوم، صار هو الباب والطريق للطبيعة البشرية حتى تواجه الموت نفسه بقوة. لذلك يسمِّي بولس دائماً أولئك الذين ساد عليهم الموت، راقدين، إذ سوف يعودون ثانية إلى الحياة بواسطة المسيح. لأنه قال: "لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذَلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضاً مَعَهُ" (١تس٤ :١٤). وسوف يحضرهم ويكونون معنا" جيلافيرا على سفر التكوين، المقالة الرابعة، الكتاب الشهري، أغسطس ٢٠٠٦.

أساطير الوثنية

كيرلس: حسناً. فالناموس سبق وتكلم عن هذه الأمور وحرَّمها. لأن الأمر مملوء بالحماقة وينقصه التفكير الذكي والحكيم. فبأي طريقة يمكن أن تفيدنا النار؟ وكيف تحرر مشاعل نارية إنساناً خاطئاً عندما تحيط به؟ السقوط في النار يطهِّر وساخة النحاس أو أي مادة مشابهة، لكن بأي طريقة يمحى دنس العقل والنفس؟ ألا تستحق هذه الأمور -والتي هي نتاج الأفكار الباطلة- السخرية والتهكم؟

بلاديوس: نعم هي كذلك.

كيرلس: أود أن أقول -بكل سعادة- للمفكرين الوثنيين الذين يبتدعون هذه الحيل القذرة والتي ينقلونها إلى الآخرين، ماذا تفعلون إذن، أنتم البسلاء والحكماء والذين تقولون عن تيتوس إنه نَبَتَ من الأرض، وتعاقبونه في الجحيم واضعين حوله نسوراً ليلتهموا كبده، لأنه بينما أُعجِبَ بجمال امرأةٍ، استولت عليه الرغبة في اشتهائها؟ كما أنكم تخدعون الشباب عندما تقولون إن صخرةً عُلقت فوق تاندالوس لعقابه من أجل لسانه الفاسق. كذلك ربطتم أكسيوناس فوق عجلة تدور بلفات سريعة لا تتوقف، وتقولون إنه صار هكذا لأنه لا بُد وأن يعاقَب، ألم يعارض الآلهة بسبب ضلالكم، بينما ذواتكم التي أُسرت في الشرور الرهيبة والبذيئة تخلصونها من النار وفق ما تعتقدونه، وتمنحون البراءة لأولئك الذين هم مدانون بأبشع الجرائم؟ لكن أخبروني، ربما لأنه لا توجد نارٌ، حكمتم على تيتوس والآخرين الذين ذكرناهم بالعقاب الصارم والقاسي. ولكن أعظم لصٍ عندكم وحاملَ النار للبشر، أقصد بروميثيوس، لو كان موجوداً فعلاً، لَكان مُنِحَ استخدام النار قبل الآخرين. هذا أيضاً -كما تنسب أساطيركم إليه- ربطتموه بأربطة لا تنحل، ويقولون إن نسوراً جارحةً كانت تحوم حوله -كما في حالة تيتوس- وهي عقوبات رهيبة ووحشية. إذن فاجعلوا التطهير بالنار، ليس فقط لأولئك، لكن للذين منكم عشقوا بنات ونساء الآخرين، اللذين فعلوا أموراً محرمة، وهؤلاء يخلصون من الإدانة طالما تطهروا بواسطة النار من الذنب. أمَّا الآخرون فتقيمون لهم المحاكم والدعاوى



ويتحرك نحوهم حقد القوانين ضد الشر، إنما أنتم الذين تتمرغون بلا تمييز في الحياة القذرة، تعتقدون أنكم متخلصون من أي دنس، في حين أنكم مخدوعون بألعاب كاذبة صبيانية، وتقعون في تصرفات أنثوية غير لائقة. بأي طريقة إذن يحدث التطهير؟ أنتم الموجودون في هذه الحالة تظنون أن الإنسان الذي يوجد معكم كمن هو يتعطر بعطر، بينما هو يُدهن بأوحالٍ نتنة، وبعد ذلك يصل لأن يعتقد أنه نجح في ما فكَّر فيه.

بلاديوس: هذا صحيح، وأوافقك لأنك تقول الحقيقة؟

كيرلس: سوف أتغافل بالتأكيد عن حماقة هذا الأمر، تاركين خدام التطهير في صمتهم، وسوف آتي أيضاً لنفس الأمر، وأقول إنه يمكن للمرء أن يدرك أن الذين يسجدون للشياطين إنما يعيشون مثل الحمقى والجهلاء، ولا يفكرون في طريقة التطهير، ولا يدققون في حقيقة ما هو الرجس والدنس. لأن الزنى والشهوات التابعة له: علاقات مع ذكور والقتل والنميمة والحسد والتنجيم الكاذب والجُبن والخداع واليمين الباطل، كل هذه هي البقع والأدناس[1] التي تلوث النفس والجسد والتي تُمحى بصعوبة كبيرة. لكن هذه الأدناس، لا النار ولا منابع المياه تستطيع أن تغسلها. متجاهلين أيضاً أنهم يلوثون النفس ويملأون العقل بالنتانة، بينما هم يُوصون بالابتعاد عن الأجساد الميتة، ويَعْرِضون بذلك عن كل ما يخضع للفساد غير محترمين قوانين الطبيعة. وأيضاً المأكولات التي يشتهونها عن وعي، هم أنفسهم يتشككون إذا تصادف أن لمسوها بدون إرادتهم، فيسرعون فوراً ليتطهروا بالنار والماء، كما لو كانوا مخلوقين ليصيروا قديسين، في حين أنه يكفى فقط الابتعاد عنها. هكذا ضلوا عن المعرفة وفقدوا عقلهم، وعن حقٍ يُقال عنهم: "وَيْلٌ لَكُمْ ... أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ الَّذِينَ يُصَفُّونَ عَنِ الْبَعُوضَةِ وَيَبْلَعُونَ الْجَمَلَ!" (مت ٢٣: ٢٤). وبينما يعتبرون أن ما يسبب التلوث الحقيقى هو عديم القيمة والنفع، يشعرون بالرعب الزائد من أجل الأمور التي لا تسبب أي أذى. لدرجة أنه، لو أن شخصاً منهم دخل قبور الأموات، يخلع ثيابه

١- يجب أن نكون بلا أدناس لكي ننال الخيرات السماوية، إذ يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "لنشتهي تلك الخيرات السمائية، لنشتهي ذاك العريس (السماوي)، لنكن عذارى من حيث مفهوم العذراوية الحقيقية، لأن الرب يطلب عذاروية النفس. لندخل بهذه العذراوية إلي السماء، بدون وسخ أو بقع أو أي شئ آخر من هذه الأدناس، لكي ننال الخيرات التي وعدنا بها الله، والتي أرجو أن ننالها جميعاً بنعمة الله ومحبته للبشر" الرسالة إلى العبرانيين، ص ٣٨٣.

ويحلق رأسه ظاناً أن شعره قد تلوَّث، وهذه من الأمور التي يعلِّمنا الناموس الإلهي أن نبتعد عنها ونهرب من تقليدهم. لأنه مكتوب أيضاً: ''لا تَخْمِشُوا أَجْسَامَكُمْ وَلا تَجْعَلُوا قَرْعَةً بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ لأَجْلِ مَيِّتٍ'' (تث ١٤: ١). لأن الأدباء اليونانيون يروون أسطورة الإله أبولونوس والذي يسمونه فيفو®⇓ أي النظيف والطاهر ويقولون إنه هو نفسه الشمس. هكذا يستخدمون كلمة فيفو من الفعل فيفازو بمعنى أُطهِّر. وأيضاً فيفازيستى بمعنى أتطهر بحسب نواميسهم وعاداتهم اليونانية.

لكن الناموس الإلهي يمنعنا من ممارسة هذه العادات السيئة والكريهة. ليس من الصواب أن يُعتبر موت الأجساد دنسٌ للنفس، ولا نعتقد أن القلوب تتدنس بمجرد رؤيتها لمشهد ميت، ولا يليق لأجل هذا الحدث أن نقُصَّ الشَّعرَ. لأن هذا الأمر عبثٌ وملىء بالفكر الوضيع.

إذن، بالصواب يقول الناموس الإلهى: ''لا تَخْمِشُوا أَجْسَامَكُمْ''. هذا التطهير لن يفيد النفس، لكن بالحري يؤذيها؛ إذ يضلها عن معرفة الطريق المفيد ويبعدها عن ما هو لخيرها. دعونا نفكر بالآتى: توجد لدينا قوانين موضوعة من سادة الأرض (أى القوانين المدنية) تسمح بما يليق وتحرِّم ما لا يليق فعله. لكن أحداً لا يستطيع أن يفلت من العقاب لارتكابه مخالفات، إن لم يسمح إحسان الملك بالعفو عنه ويغفر ذنبه. بنفس الطريقة إذن، مَن يخالف النواميس الإلهية، لا يمكن أن يصير طاهراً، إن لم ينل هذا الطُهر بالإحسان الإلهى. لأنه، إذا خالفنا نواميس النار والماء، إذ الخطية تنطلق (بحسب زعمهم) من هذه المخالفات، فدعونا نغسل الإدانة بالماء ولندع النار تأكل الدنس، ويكون مِن حق الذين ارتكبوا جرائم أن يُغفر لهم. لكن إذا صدقنا ما قيل لله: ''إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ'' (مز ٥١: ٤)، يكون المشرع والديان واحداً، ولأنهم رفضوا ربَّ الجزاء والغفران، عندئذٍ يكونون قد سقطوا في أفكار العجائز ظانين أن في الماء والنار قوةً لتخلِّصهم من الدينونة. فلتبتعد إذن -أيها الإنسان- عن هذا الانحراف، ولتقترب فقط إلى الإله الحقيقى، عندئذٍ تسمعه يقول: ''أَنَا أَنَا هُوَ الْمَاحِي ذُنُوبَكَ لأَجْلِ نَفْسِي وَخَطَايَاكَ لاَ أَذْكُرُهَا'' (إش ٤٣: ٢٥).



التطهير الحقيقي بالإيمان بالمسيح

هذا هو التطهير الحقيقي[1]، وهذا هو المجد الروحي. لأننا تطهرنا نائلين -بالإيمان بالمسيح- غفران خطايانا، وتقدَّسنا بحميم الميلاد الثاني، واغتنينا بغنى النعمة الإلهية[2]، نعمة الروح القدس، الذي -كمثلِ النَّارِ- يمحو الدنس الذي كان مثل كومةٍ من القبح فوق أفكارنا. لذلك يقول الكتاب المقدس، أن نعتمد بالروح القدس وماء.

بلاديوس: هل نصنف ضلالنا بهذه الأمور ضمن إطار عبادة الأوثان؟

الإيمان بالقَدَر والحظ ويوم الميلاد

كيرلس: بالتأكيد. لأن هذا الأمر مليءٌ بعدم الإيمان. ويمكن أن ينضم ويُحصى مع الاعتقاد بأن الأمور البشرية تُنظَّم بواسطة إرادة الآخرين، وبالتالي لا سلطة لنا على حياتنا، لكن مبتدعي هذه التعاليم الذين يضعون خرافاتهم هم المتسلطون علينا. أنا لا أعرف كيف يضعون القَدَرَ والحَظَّ ويوم الميلاد بمثابة دفةٍ تقود حياتنا[3]، ويُعلِّمون بأن أحداً منّا ليس له الحق في أن يريد،

١- يؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم على أن دم المسيح يطهر نجاسة النفس وهو يفسر نص عب ٩:١٣ - ١٤: "لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد. فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه بلا عيب يُطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي" (عب٩:١٣-١٤) إذ يقول: "إذا كان دم ثيران يمكن أن يطهر الجسد، فكم بالأحرى دم المسيح القادر على أن يطهر نجاسة النفس. ولكي لا تعتقد وأنت تسمع أن (دم تيوس وثيران) "يقدس"، وأن هذا الدم هو شيء مهم، فإنه يشير ويُظهر الفرق بين كل من التطهيرين، وكيف أن التطهير بدمِ المسيح هو أسمى وأعلى بكثير، بينما التطهير (بدم الحيوانات) هو محدود وبسيط. ويقول أن هذا الدم هو دم طبيعي جداً، بينما ذلك الدم كان لتيوس، لكن هذا الدم فهو دم المسيح" تفسير عبرانيين، ٩، ص ٢٣٥.

٢-الميلاد الثاني هو عمل الروح ذاته فينا، العمل الذي يشهد على ألوهيته، إذ يقول القديس باسيليوس الكبير: "من الروح القدس قد نلنا الميلاد الجديد (يو ٣:٥)، وبالميلاد الجديد نلنا الخليقة الجديدة، وبالخليقة الجديدة نلنا معرفة فائقة لسمو الذي خلقنا من جديد ... الروح القدس هو الروح الخالق (مز ١٠٤:٣٠)، بل هو الذي يجدِّد الخلقة بالمعمودية وبالقيامة. هو الروح الذي يعرف كل شيء، (١كو ٢:١٠)، وهو الذي يعلِّمنا كل شيء (يو ١٤:٢٦). هو الذي يهبُّ حيث يشاء (يو ٣:٨)، وهو الذي يُرشدنا (إلى جميع الحق) (يو ١٦:١٣). هو «روح الإعلان» (أف ١:١٧)، وهو الذي ينير (أف ١:١٨)، ويُحيي (يو ٦:٦٣)، بل وهو بذاته النور والحياة. هو الذي يجعلنا هياكل لله (١كو ٣:١٦)، بل ويؤلِّهنا أيضاً. هو الذي يسبق ويؤهِّل للمعمودية (أع١١: ١٧)، وهو الذي من بعد المعمودية نطلبه بإلحاح (لو ١١:١٣). هو الذي يصنع كل هذه بكونه هو الله، والذي ينقسم كألسنة من نار (أع ٢:٣)، ويوزِّع المواهب (١كو ١٢:١١)". عظة عن الروح القدس ٣١: ٢٨، ٢٩.

٣- يصف القديس يوحنا ذهبي الفم هؤلاء الذين يؤمنون بالقدرية بأنهم يجدفون على الله، إذ يقول: " من هم الذين يجدِّفون على الله؟ هم الذين يضعون حتمية القَدَر فوق حكمة العناية الإلهية. والذين يعبدون الأصنام المرمرية والخشبية هم أيضاً مصابون بهذا المرض، وهذا ليس بغريب. أمّا أن يتقهقر أولئك الذين تخلصوا من الضلال والعبودية إلى هذا التفكير وهذا الجنون - وهم الذين نالوا استحقاق المعرفة الحقيقية لإله الجميع والإله الحق - فإنهم بذلك يشبهون أناسٌ انزلقوا وسط سيل متدفق، وكانت حالتهم هذه تستحق الحزن والدموع والرثاء" التواكل والقدرية، ترجمة د. جورج عوض، ص٢٠.

وأن يحدد ما الذي ينبغي أن يفعله، بل عليه أن يسير مثل المربوط بقيدٍ، مُلزَمٍ بإرادة المتسلطين. إذن، ما هو الأكثر سخافة مِن هذا؟ أيُ شرٍّ أعظم يمكن للشيطان أن يفعله بالبشر من أن يقنعهم بأن يتصرفوا ويفكروا هكذا؟ لأن المرءَ عندئذٍ كيف يمكنه أن يفكر في الأمور المفيدة وأن يفعلها بإرادته؟ وطالما عاش المرء في هذه الأمور السيئة وهو راضٍ عن فعل الأمور التي لا تليق، فكيف يمكنه أن يدين ذاته وهو غارقٌ في الحزن، وكيف يمكنه تغيير رأيه وفعله؟ من الضروري على الذين يريدون أن يجوبوا البحار أن يذهبوا في اتجاه الريح التي تهب عليهم من مؤخر السفينة، متوجِّهين بثباتٍ نحو الاتجاه الذي يدفعهم الريح ناحيته. هكذا بالنسبة لنا — إذا إعتمدنا على الحظ والمقدر – علينا أن نلتزم بالأمور التي يقودنا إليها الحظ وإلى رياح المقدَّر والمكتوب التي لا يمكن لنا أن نتجنبها. أم تظن أنني لم أقُل الصواب؟

بلاديوس: كيف لا يكون كلامك هذا صواب؟

كيرلس: وطبقاً لاعتقاد هؤلاء، يكون من الحماقة أن يُتوَّج الإنسان الصالح بمدائح وأن يُعتبر جديراً بالكرامة (على أساس القَدَريَّة)، في ذات الوقت الذي يُعتبر فيه الشر والفُجر شيءٌ سيئٌ.

بلاديوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: يا بلاديوس، إن الميلاد والحظ -بحسَب اعتقاد هؤلاء- يَسُودَان على الجنس البشرى التعيس في كل الأمور رغماً عن إرادتهم، ولا يوجد شيء يتم بإرادتهم[1]. إذاً ألا يكون الميلاد والحظ هما اللذان يتحكمان في كل الأشياء؟

بلاديوس: بالتأكيد.

---

١ ـ هذا التعليم يروج له الشيطان نفسه، إذ يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: ”لا يمكن لمَنْ يؤمنٍ بالتواكلٍ والقَدَرية أن يربح السماء، لأن الشيطان هو الذي ينشر هذا التعليم، وهو يحاول أن يقنعنا أن نؤمن إيماناً مضاداً لكل ما يعلمه لنا الله. ولنأخذ هذه الآية كمِثال: يقول الله: ” إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلَّم ” (إش١: ١٩ـ٢٠). الله يقول ” إن شئتم“ و“ إن أبيتم (لم تريدوا) ” تاركاً لنا فرصةً لنتّبع بحريتنا حياة الفضيلة أو الشر، حسب إرادتنا.الشيطان يقول: لا نستطيع أن نهرب من المكتوب علينا سواء أردنا أو لم نرد، بينما الله يقول: ” لو شئتم وسمعتم تأكلون خبز الأرض ”.إن فكرة القَدَرية تقول: لو أردتم هذا فلن تفيدكم إرادتكم شيئاً، إذا كان ما تريدونه ليس مكتوباً وليس مفروضاً عليكم، بينما الله يقول: ” إن أبيتم تؤكلون بحد السيف ”.الإيمان بالقَدَرية يقول: إن لم نُرِد فلابد أن نخلص تحت أية ظروف، إذا كان مكتوباً لنا أن نخلص. هل هناك ما هو أوضح من هذه الحرب التي يحرِّض فيها تلاميذ هذا الشرير، بلا حياء، المؤمنين ضد الكلام الإلهي؟“ التواكل والقدرية، مرجع سابق، ص ٢٣ ـ ٢٤.

كيرلس: تأمل بنفس الطريقة في الأمور البشرية، وسوف تتحقق جيداً إلى أي حد نكون مستعبَدين للشر، إن لم نتقدم ونسلك بإرادتنا؛ إذ نكون ممسوكين ومربوطين تحت نير قُوى أُخرى في أي اتجاه، تُحرِّكنا كما تشاء في كل الأمور. وهكذا لن تكون لنا أية ثقة في أنفسنا، بل نُلقي بالمسئولية على أولئك الذين يُوجِّهوننا وفق رأيهم. وهكذا لن يكون للبار أيُ ثناء، ولن يكون عقابٌ للظالم[1].

بلاديوس: تفكيرك صحيح جداً.

كيرلس: إذاً عبثاً يُعجب مُبدعو هذه الأفكار بأثينيوس، وسولونا، ودراكونداس، وليكورغوس؛ لأنهم أدخلوا أفكاراً جميلة في اليونان ووضعوا قوانين مدنِيَّةً حسنةً. وأي فائدة من هذه الأمور، إن كانت كل الأمور تعتمد على الآخرين وليس علينا نحن؟ ويكون حالنا هو حال الذين يعترفون بالقوانين، الذين لا يستطيعون أن يفعلوا بحريةٍ، الأمورَ التي يختارونها بإرادتهم، وأظن -في هذه الحالة- أن واضعي القوانين المدنية يُعتَبَرون ظالمين بالرغم من أنهم نالوا منكم مجداً عظيماً بسبب قوانينهم العادلة. لأنهم شرَّعوا بوجوب معاقبة الكسالى وأن يُفرض عليهم ضربات مؤلمة بسبب عصيانهم، ووضعوا للشباب قوانين وطرق تربوية عظيمة مما يدل على أن الشباب يمكن أن يختاروا الظروف المعيشية الفاضلة بإرادتهم. وقد يقول أحدهم لسولون (الشاعر): كان من الواجب وأنت تُشرِّع للشباب أن تُقنِع إله القَدَرِ ليسمحَ للناس أن يفكروا وأن يفعلوا الأمور التي يريدونها. لكن أنت تُشرِّع بدون أن تُقنِع. وربما أنت (يا سولون) تستهزئ بالأسطورة والحظِّ إذ أنك تعترف بأنه يمكننا أن نفعل كل الأشياء مستبعِدين إله الحظِّ الظالم والقَدَرَ الأعمى من الأمور البشرية. إنت لا تعتقد أن المواطن الصالح هو الإنسان

١- يسخر القديس يوحنا ذهبي الفم من هذا المنطق، قائلاً: "انظر مدى خطأ ما يصدر عن الإيمان بالتواكل: إذا زنى رجل مع امرأة وقُدِّم للمحاكمة ليقول إن هذا ليس ذنبي أنا بل القَدَر أوقعني في هذه الخطية. لقد أردتُ أن أضبط نفسي، لكن القَدَر أجبرني على الخطية، ألا يُدان مثل هذا وتصدر ضده عقوبة قاسية على الرغم من ذلك التبرير المضحك؟ هل سيُصفَح عنه؟ لا على الإطلاق. وبالنسبة للذين يؤمنون بالقَدَرية، فليس لديهم مبرِّر أفضل من أن كل شيء يسير بالقَدَر وليس بإرادتنا. فإذا كانت إرادتنا أقوى من القَدَرية عندئذ لا يوجد ما يُسمَّى بالقَدَرية، وهذا ليس معقولاً حسب رأيهم. ولذلك فبحسب رأيهم أيضاً فمن الضروري تنفيذ أوامر القَدَرية تحت أية ظروف. وبذلك عبثاً يُحاكَم هذا المتَّهم، بل يجب أن يُبَّرر. ولكننا لم نسمع قط عن متَّهم أدلَى أمام المحكمة بهذه المبرِّرات بهدف أن يبرِّر نفسه. وهكذا فالقَدَرية هي بدعة شيطانية وخرافة وهذيان" التواكل والقدرية، مرجع سابق، ص ٣١ - ٣٢.

التقي والحافظ للقوانين الذي سما إلى قمة الصلاح، وكذلك فإن الخسيس والدنئ هو الذي يبتعد دائماً عن حفظ القوانين باستقامة؟

بلاديوس: قولك هذا حسن جداً ومقنع جداً.

كيرلس: ماذا إذاً، يا عزيزى، ألا نقول إن التعاليم التربوية والوصايا التي يلقنها المعلمون لتلاميذهم، وحث الآباء لأولادهم على الفضيلة، هي بلا جدوى، لأن الأولاد والتلاميذ سلكوا طريقاً إجبارياً وليس بحسب إرادتهم، إذ يحيون حياةً لا يريدونها.

بلاديوس: بالتأكيد.

كيرلس: وإذا حدث أن تشاجر شخصٌ مع أولاده بسبب أنهم أخطأوا، وقام بتوبيخهم، أفهل تمدحه، أم تعتبره ظلماً[1]، إن تركهم دون توبيخ على شرورهم؟

بلاديوس: يبدو لي أن كلامك مقنع.

كيرلس: هذا الاعتقاد (بالقَدَرِ والمكتوبِ والحَظِّ) إن هو إلَّا جحودٌ عظيم، وسوف ترى ذلك؛ لأنه يُزعزِع الإيمان بالله، مدبر الكون، إذ يصل المؤمنون بهذا الاعتقاد إلى درجة من الوقاحة تجعلهم يجرِّدون الله من قدرته ويسلِّمون حياتهم لسيادة الحظ عليها، بالرغم من أنهم يرون بوضوح أن كل الخليقة تسير في مساراتٍ منضبطة. أيوجد شيءٌ في العالم يسير بدون نظام؟ وأي مخلوقٍ من المخلوقات لا يسير بحسب النظام الموضوع له ولا يعترف بأنه يخضع للقوانين والنُظم التي وضعها مدبر الكون، وضابط الكل، أي الله؟ لذلك فإن بولس العظيم يقول: "لأَنَّ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ تُرَى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلاَهُوتُهُ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ. لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلَهٍ بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ" (رو ١: ٢٠ – ٢٢). فكيف لا يكونون حمقى وأغبياء عندما ينصحون الآخرين بأن يعتقدوا بخلاف الحق؟ قد يسألهم أحد ما فائدة أن يعتقدوا تلك المعتقدات المخالفة للحق،

١- أيضاً يندهش ق. يوحنا ذهبي الفم من هذا المنطق، قائلاً: "فعندما يتعلم المرء بأنه إذا زنى أو قتل أو ارتكب أمراً مشيناً لن يكون مستحِقاً للوم والتأنيب، فسوف لا يتوقف عندئذ عن الانغماس في الرذائل وابتداع النمائم والتَجَنّي على العناية الإلهية حتى يصير هو نفسه نميمة. أخبرني هل يوجد شر أسوأ من هذا؟" التواكل والقدرية، ص ٣٤.



وهى نفسها لا تُرضِ حتى شعراءكم؟ فهؤلاء الشعراء يعتبرون أن تنظيم الأمور الواجبة الحدوث هو في سلطاننا، لا في سلطان الآخرين. لذلك فإن هوميروس في أشعاره يقول إن الإله ذياس ∫〉⇓⊗ يتحدث مع آلهة أخرى عن زنى "إيجيستوس" (∫⌈ ⌈©⌉ℑ) وعن الجزاء الذي يستحقه. ويالأسف، كيف يتهم البشر الزائلون الآلهة باتهامات ثقيلة ويقولون إن الشرور تأتي من الآلهة، وهكذا فإن أولئك يتألمون بعصيانهم وليس من القَدَرِ[1]. فلأى سبب ينسب البعض للآلهة متاعبهم ولا ينسبونها إلى أخطائهم التي تُسبب لهم النكبات؟ فإذا اختار المرء أن يعيش حياةً مستقيمةً وتكون حياته مملوءة بالحكمة واللياقة، فإن عليه أن يسلك بثبات متخطياً الصعاب، وذلك بناءً على قراره الصحيح والمشورة المستقيمة، ولا يترك نفسه أسيرةً للأعمال الشريرة. لأن في مقدورنا أن نرى الاتجاهين، أقصد الخير والشر. والذين يقدِّرون الطريق الصحيح سوف يصلون إلى جمال الفضيلة، أما الذين يحبسون أنفسهم في الشر ويفضِّلون الظلم، هؤلاء يفسدون الحياة نفسها ويكونون هم سببَ هلاكٍ لأنفسهم. وكما قُلت، فإنه باستطاعتنا أن نرى الاتجاهين، ونخفق في الحصول على كل ما يعود علينا بالنفع بسبب سقوطنا في اللذات. وقد صاح إفريبيدس ⇓〈∫⊕ ∫|™⌉ أحد شعرائهم متحدثاً عن دور امرأة تفعل المعصية على المسرح، ثم بعد ذلك أظهرها تتفلسف وتقول:

يا نساء تريزيناس اللواتى تتطلّعن من شرفة بلاد بيلوباس أمام البحر.

ذات ليلة تأملتُ بدون سبب.

ما الذي يفسد حياة البشر الفانيين.

وأعتقد أنه ليس قَدَرُهم الذي جذبهم إلى الأسوأ.

لأن كثيرين يستطيعون أن يجدوا الصواب.

لكن ينبغى علينا أن نفكر هكذا:

بالتأكيد نحن نعرف الخير،

لكن نهرب من فعله.

١ـ هوميروس، أوديسا ١:٣٢ ـ ٣٥.

البعض يحبون الرخاوة،
وآخرون يفضلون اللذة،
والحياة مليئة باللذات الكثيرة والثرثرة والبطالة، شرٌّ رهيب[1].

هل أدركتَ أن القدماء لم يلقوا المسئولية على الحظ أو تاريخ الميلاد أو القَدَر، وأن هؤلاء (المعتقدون بالقَدَر والحظ والمكتوب) يخرجوننا جبراً بعيداً عن المشورة الصحيحة وبعيداً عن الأمور التي نعرف أنها صحيحة؟ لأنه يقول إن حياة البشر تسوء ليس بسبب طبيعة فكرهم، أي ليس لأنهم بالطبيعة ذوي فكر شرير، لكن لأنهم لا يريدون أن يفعلوا الأمور التي يعرفون أنها صحيحة. وما هو السبب؟ الكسل[2] هو الذي أوقفهم وطرحهم في البطالة، أو أن لذةً من اللذات قد استولت عليهم وخدعت عقولهم وأبعدتهم عن طلب الضروريات، عارضةً طريق الرخاوة الذي يغري بالراحة. وسوف نستطيع أن نجمع هذه الأمور وكثير غيرها من كتاباتهم بسهولة جداً. ولا أظن أن أحداً لديه شك في أن الكلام الذي قيل، كافٍ للسامعين؟ لذلك سوف نتجنب الاسترسال في الكلام.

ما السبب في عدم المساواة بين البشر؟

بلاديوس: حسناً. لكن فكِّر كيف يكون الجواب إذا سألك البعض عن السبب في عدم المساواة، والصعود والهبوط في المَكانة بين البشر. فيمكن أن نرى الشرير يترفَّه ويغتني، بينما الصالح يتعرض مرات كثيرة لأمور عكس ذلك.

كيرلس: يا بلاديوس، من الصعب جداً أن نتناول هذا الأمر، لأن فحص هذا الأمر بالتفصيل يتجاوز القدرات البشرية. لذلك من الضروري أن نتركه لحكم الله، لأن معرفة أسرار المسكونة قاصرةٌ على عقل الله الفوقاني الخالد، فنحن بالجهد ندرك الأمور التي أمامنا (على الأرض) وبالكاد نعثر على تفسير لها، كما يقول الكتاب (انظر حكمة سليمان ٩:١٦).

١- إفريبيدس: أبوليتوس المتَّوج: ٣٧٣ ـ ٣٨٥.

٢- عن الكسل والخمول يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "إن عدم إرادة فعل الصلاح هو جزء من فعل الشر، لأن عدم فعل الصلاح هو نتيجة للخمول والكسل، ومن ناحية أخرى فإن الخمول هو جزء من الشر، وربما ليس هو جزء من الشر، بل هو الأساس والجذر الشرير، لأن الخمول يعلمنا كل شرٍ" تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ٢٣٧.

أبرزنا منذ قليل عبث رأي الملحدين، ليس فقط لأسباب دفاعية، بل أوضحنا حقائق أساسية بأن تاريخ الميلاد لا يملك القدرة على توجيه الذهن البشرى، كما أن نير القَدَر القاسي لا يستطيع أن يُثقل عجلتنا ولا نحن نعجز عن الهروب منه، لكن الأساس في اختيار ما يجب فعله هو إرادة كل واحد منا، وفي استطاعتنا أن نختار ما نريد أن نفعله، سواء كان صالحاً أم شريراً.

طرق الكمال في الكتاب المقدس

والآن أريد أن أتحدث عن طُرق الكمال كما هي في الكتب المقدسة، تلك الطُرق التي تحذِّرنا من الإسراف في الأمور الجسدية والأرضية، والتي بها تستطيع النفس أن تنجح في الوصول إلى الحياة الأبدية. وهذه الطرق تحثنا للسعى نحو الفضيلة ونحو المجد اللامع الذي للإيمان والأعمال. فالذين يرغبون في حياة العفة يمكنهم إن أرادوا، أن يصيروا صالحين في سلوكهم، وإن لم يرغبوا فيمكنهم أن يصيروا أشراراً. فالمرء يمكنه أن يختار بحرية ما يريد، والكل يستطيعون أن يختاروا الغنى الروحي وأن ينالوا المجد السماوي بالتساوي. وهناك آخرون يتفوقون في إقتناء الغنى العالمي، إلَّا أن هذا الأمر لا يخدعنا ويجذبنا إلى أفكار ملحدة، ولا يفصلنا عن المعرفة الحقيقية، لدرجة أن نعتقد أننا مربوطون بنير القَدَر والحظِّ. هناك مَن يعتبرون الغنى المادي ملكٌ خاصٌ لهم وحدهم، بينما في الحقيقة هو ملكٌ مشتركٌ للجميع. فإذا غاب عن الإنسان الهدف الذي أُعطي الغنى من أجله، فينبغى عليه أن يرجع لكي يعرف ما هي إرادة خالقنا من جهة إعطاء الغنى. فإرادة الله تدعو الأغنياء أن يبيعوا ما جمعوه ويوزِّعوه على الفقراء، ولا يُرضي الله أن يحيوا بزهوٍ وافتخار. والله ينظر للبشر بمساواة، وهذا من السهل أن ندركه مِن وضع طبيعتنا البشرية. لأن الطبيعة لا تعترف بالفقير والغني، المخفي والظاهر، الوضيع والممجد في هذه الحياة، لكن تتعامل مع الكل على السواء، بدون تمييز، وبنفس الذرَّات تخلقُ في كل واحدٍ منا كماله وشكله وجماله. فهناك حياةٌ واحدةٌ للجميع، تبدأ بالولادة وتنتهى بالموت والرحيل من الحياة، فلا يفلت أحدٌ من شبكتها، فكل مخلوق يحمل نهايته التي لا



مفر منها. إذاً أخبرني، هل من الصعب أن يتحقق المرء من أن هدف الإرادة الإلهية أن يعيش البشر متساوون فيما بينهم[1]؟ إذا أردت، اسمع ماذا يقول بفم أحد الأنبياء: "أَلَيْسَ أَبٌ وَاحِدٌ لِكُلِّنَا؟ أَلَيْسَ إِلَهٌ وَاحِدٌ خَلَقَنَا؟ فَلِمَاذَا نَغْدُرُ الرَّجُلُ بِأَخِيهِ" (ملا ٢: ١٠).

فلو خالف البعض إرادة الخالق باختيارهم وفعلوا ما يفضلونه، (لأن الخالق كرَّم الطبيعة بالحرية)، فهذا ليس بغريب، إذ أن البعض يخالفون القوانين البشرية. لكن، لا يُلام أولئك الذين يشرِّعون القوانين، بل بالحرى يُعنَّف الذين يخالفونها. البعض عندما يفعلون يقولون: "هكذا أراد الحظ، وهذا من جراء القَدَر". يا لها من ثرثرة؟! لماذا تلقون المسئولية على القَدَر ولا تحكمون على طيش عقولكم؟ أمَّا الكتاب المقدس فقد أعلن الحقيقة عن أولئك الذين لا يسلكون بالحق: "غباوة الإنسان تفسد طريقه، وفي داخله يشتكي على الله" (أم ١٩: ٣). بالتالي فقد أخطأ –من جهة المعرفة الحقيقية– كل الذين وضعوا الميلاد، والقَدَر والحظ كقُوَى مسيطِرة في حياتهم، ولم يسلِّموا قيادة أمورهم إلى الله، بالرغم من أن المسيح قد قال: "أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحَتَّى شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ. فَلاَ تَخَافُوا. أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ" (متى ١٠: ٢٩ – ٣١). لأن الخالق يعتني بكل المخلوقات الأرضية[2]، ويسمح لكل واحد أن يفعل ما يريد ويسلك في الطريق التي تروق له. لكن

١- كرزت المسيحية في العهد الجديد بالمساواة بين البشر، ومعروفٌ عندنا صياغة القديس بولس الرسول لهذا المبدأ في كولوسي ٣: ١١"ليس يوناني ويهودي، ختان وغرلة، بربري وسكيثي، عبد وحر، بل المسيح الكل وفي الكل". وبالإضافة إلى ذلك فالمسيحية لديها قناعة تماماً بأنه بواسطة تأنُّس الابن وبالخلاص في المسيح سما الجنس البشري وارتقى. هذه الحقائق تتجسد بوضوح في عمل الكنيسة الليتورجي. فالكل في العبادة –بغض النظر عن المكانة الاجتماعية وعن الجنس والقومية– أمام الله متساوون، وأمامه كل واحد يمتلك نفس الكرامة والمكانة. هذه المواقف تمثل علامات مركزية في تعليم الآباء الذين يتحدثون مراراً عن المساواة بين البشر «المساواة في الكرامة».

٢- يرى القديس يوحنا ذهبي الفم أن قمة العناية الإلهية هي تجسد الكلمة، إذ يقول: "لأنه حقاً ليس يُمسِك الملائكة بل يمسك نسل إبراهيم" (عب٢:١٦). يريد ق. بولس أن يبيّن محبة الله الفائقة للبشر، إذ قال "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم إشترك هو أيضاً كذلك فيهما"، يوضح هذا الجزء ويقول "لأنه حقاً ليس يمسك الملائكة". وماذا تعني كلمة "يمسك؟" يعني أنه لم يشترك في طبيعة الملائكة، بل في طبيعتنا. لماذا لم يقل "تعهد"، بل إستخدم كلمة "يُمسِك"؟ المعنى مجازي، خاص بأولئك الذين يطاردون كل مَن يبغضهم، ويفعلون كل شيء حتى يمنعوهم من الهرب، ويمسكون بهم. أي أن الطبيعة الإنسانية تفر وتبتعد عن الله، وترحل بعيداً جداً لأنه يقول: "إنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين... وبلا إله في العالم". المسيح طارد الطبيعة الإنسانية وأمسك بها. من هنا يتأكد أو يتبرهن أنه صنع هذا بسبب محبته للبشر فقط، وبسبب إهتمامه بنا. مثلما يقول: "أليس جميعهم أرواحاً خادمة مُرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص". هكذا يبرهن على عناية الله واهتمامه الفائق بالطبيعة الإنسانية" تفسير العبرانيين، ص ٩٦ ـ ٩٧.

لأن الجنس البشرى سقط وانحرف، أُعطيَ له الناموس عوناً بحسب الكتب المقدسة (انظر إش ٨: ٢٠ س)[1]. لذا، كل مَن يقبل الإيمان بالمسيح، وقد تخطى ذلك الضلال القديم، لا يجب أن ينخدع بالأمثال العجائزية في أمور تختلف عن الاعتقاد المستقيم، لدرجة أن يعتقد أن الكون، والإنسان يُسيِّرهما بالحظ والقَدَر اللذين لا وجود لهما.

بلاديوس: إنه لخطرٌ عظيم، أن يستثير الإنسان الديان ضده.

الاعتقاد بأركان العالم

كيرلس: لكن ماذا؟ ألا تعتبر أن مراقبة المرء للأيام والفصول والأوقات والسنين ونقصان الدورة القمرية بهدف معرفة نصيبه ومصيره هو أسوأ نوع من أنواع الشرور؟

بلاديوس: نعم أعتبره قمة الشرور. لأن بولس يعتبر هذا الأمر جرماً كبيراً في حديثه إلى الأمم الذين خلصوا عندما يقول: "إِذْ كُنْتُمْ لاَ تَعْرِفُونَ اللهَ اسْتُعْبِدْتُمْ لِلَّذِينَ لَيْسُوا بِالطَّبِيعَةِ آلِهَةً. وَأَمَّا الآنَ إِذْ عَرَفْتُمُ اللهَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ عُرِفْتُمْ مِنَ اللهِ، فَكَيْفَ تَرْجِعُونَ أَيْضاً إِلَى الأَرْكَانِ الضَّعِيفَةِ الْفَقِيرَةِ الَّتِي تُرِيدُونَ أَنْ تُسْتَعْبَدُوا لَهَا مِنْ جَدِيدٍ؟ أَتَحْفَظُونَ أَيَّاماً وَشُهُوراً وَأَوْقَاتاً وَسِنِينَ؟ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَكُونَ قَدْ تَعِبْتُ فِيكُمْ عَبَثاً!" (غلا ٤: ٨ – ١١).

كيرلس: إذاً فالاهتمام بحفظ الساعات والأيام والأوقات (بقصد الاعتقاد بالتفاؤل والتشاؤم من أوقات مُعيَّنة) لا يليق بالمرة بهؤلاء الذين يعرفون الإله الحقيقى، أو بالحري بهؤلاء الذين قد عُرفوا منه بواسطة الإيمان، ودُعُوا ليكونوا خاصته بالنعمة. لأن مَن يهتم بحفظ هذه الأمور يتخلى عن

١- نفس التعبير الذي نجده في القداس الغريغوري: "أنت يا سيدي حولت لي العقوبة خلاصاً كراع صالح سعيت في طلب الضال، كأب حقيقي تعبت معي أنا الذي سقطت، ربطتني بكل الأدوية (أدبتني بكل التأديبات) المؤدية إلى الحياة أنت الذي أرسلت لي الأنبياء من أجلي أنا المريض، أعطيتني الناموس عوناً أنت الذي خدمت لي الخلاص لما خالفت ناموسك، كنور حقيقي أشرقت للضالين وغير العارفين". ومن الجدير بالذكر أن نص أشعياء المشار إليه بعاليه مأخوذ من الترجمة السبعينية، وقد ورد في الترجمة العربية الجديدة التي أصدرتها دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط هكذا: "فإذا قالوا لكم اطلبوا الآيات والمعجزات من السحرة والمتمتمين، فقولوا لهم أمَا كلُّ شعب يطلب الآيات والمعجزات من إلهه؟ مَن يا ترى يطلب شيئاً من الأموات لأجل الأحياء؟ فاطلبوا أنتم يا تلاميذي شهادة الرب وشريعته مَن لا يفعل ذلك، فلا يضيء له الصبح" (إش ٨: ١٩ - ٢٠). والواضح هنا أن القديس كيرلس استخدم هذا النص لأنه يخدم فكرته في عدم اللجوء إلى العرافين والسحرة وإن ذلك يتناقض جذرياً مع الإيمان الذي يرسم الطريق المستقيم للإنسان، وأن شهادة الرب وشريعته هي التي تضيء هذا الطريق.

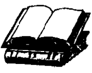


افتخاره باسم المسيح[1] ويرجع إلى الأمور العتيقة، ولم يحفظ ذهنه حُراً، لكنه يُسرع للدخول في نير الضلال القديم، معطياً الكرامة التي تخص الله لأركان العالم، ومتوِّجاً تلك المخلوقات التي خلقها الخالق بأمجاد عظيمة. وهو يقصد بأركان العالم الأوقات والأيام والشهور وتعدادهما التي بها تحصى السنين. لأنه، بالرغم من أن الزمن مستمر ويسير إلى الأمام بلا انقطاع، إلّا أن الله أخضعه لمقاييس الفصول والأيام ودورانها بالقياس والعدد. وطالما لا يشير الزمن بالنسبة للبشر بالأوقات والفصول والأيام بشيء آخر بخلاف الحركة الدائرية والتعداد الدقيق، فلماذا ابتدع البعض خرافات يُعتبر التفكير فيها من قبيل الهزل والسخرية، إذ يقولون إن دوراتٍ زمنيةً تجلب الخير، وأخرى تجلب الشر، ويميزون هذه الدورات بدقة ناسبين إليها قوة تجلب السعادة، وقوة أخرى معاكسة تجلب التعاسة؟ ألا تكون هذه الأمور ثرثرة وجنون رهيب وخداع شيطاني؟

بلاديوس: أوافق. وهذا واضح جداً.

كيرلس: لأنه كما قلنا، هم يحاولون أن يقنعوننا بأن نُسلِّم حياتنا إلى آلهة الأقدار وإلى الحظِّ وإلى الأرواح الغريبة، وهكذا اعتبروا أن حريتنا بلا جدوى، وأرادوا أن يمنعوننا من الاهتمام بذواتنا. فهم يقولون إن سريان الأيام والفصول هو نيرٌ إجباريٌّ فُرضَ على البشر، وإنه من الصعب جداً على البشر أن يتجنبوه. هذا الكلام غريب جداً (لأنه يتمشى مع حكايات العجائز)، والذين يؤمنون بهذه الخرافات يتعرضون لإخفاقاتٍ لا تحصى، ولا يتقدمون ناحية خبرة إمكانية كشف الضلال، فهم ينسبون الدناءة إلى الدورات والأيام قائلين نفس الأمر عن نقصان الدورة القمرية واختفاء القمر. فلو أراد شخصٌ في ساعةٍ ما ويومٍ ما أن يعمل إحصاءً عن الذين يفرحون والذين يسقطون في كوارث رهيبة، فلماذا يكون الضرر الناتج من هذه الأمور غير موزَّعٍ بالتساوي على الكل، لأننا نجد أن البعض سعداء، وأن آخرين أشقياءً وممتلئين بالشرور وصاروا أسطورةً وعبرةً دراميةً للجميع؟ لكن الذين يرون الأمور بدقة، يستطيعون بسهولة أن يتحققوا

١- الإفتخار بإسم المسيح يرجع لأنه هو الوحيد الذي خلصنا، إذ يقول القديس كيرلس في موضع آخر: "الطبيعة البشرية خضعت للموت والخطية بآدم، كرئيس للجنس البشري، ولم تُفتدى بأية طريقة سوى بالمسيح فقط. لأنه كما كتب تلميذه "لأن ليس اسم آخر تحت السماء أعطى بين الناس به ينبغي أن نخلص" (أع٤: ١٢)" جيلافيرا على سفر التكوين، الكتاب الشهري، فبراير ٢٠٠٤.



من أنه في نفس اليوم والساعة قد يُمسَك أحدهم في الزنا والقتل ويُحكَم عليه بعقابٍ قاس، وآخر يأخذ مدائحَ لتعقله وتهذبه وكماله. هكذا فاليوم والساعة لا يستطيعان أن يمنعا الشرير من التعقل، ولا أن يُحرِّضَا المستقيم والمهذب على فعل السوء والتمتع باللذات الشريرة. الإرادة الحرة هي التي تُهيئ الشخص لفعل هذه الأمور أو تلك. وهكذا فإن أفعالنا ليست نتاج الظواهر الطبيعية، لأن سعادتنا وتعاستنا تعتمدان علينا[1].

بلاديوس: يبدو هذا الكلام صحيحاً.

كيرلس: الكل يخاف بالأخص من اليوم الخامس، والثامن من الشهر، ويتعللون بحججٍ عندما يفعلون الخطية، وينسون أن من يفكرون باستقامة لا يستريحون لهذه الأفكار العجائزية. إذ أن الذين يؤمنون بهذه الأفكار يبتدعون آلهةً للانتقام من المجرمين مثل ⌈{ ⌉⟨⊕ "إيرينيون" وشياطين عديدين بعضهم أشرس من الآخرين، وأيضاً ابتدعوا جزاءات ومحاكم، وأشياء متنوعة مثل هذه، ألا يخجل هؤلاء التعساء! هؤلاء عندما يبدأ القمر في الاختفاء تدريجياً (وهذا ما يحدده الفني المتخصص في علم الفلك) يوقفون أي عمل، ويؤجلون رحلاتهم معتقدين أن الأمور البشرية تضعف وتنحل مع انزواء القمر. هذه سخافات، لأنه بالرغم من أن القمر يتناقص، فإن الإنسان المتعقل والمتزن لا يتوقف إطلاقاً عن أن يكون متعقلاً، وإن تألُّق عقله لن يتأثر بالقمر. ولن تصير طبيعة الأشياء إلى الأسوأ، ولن يكون الإنسان مُسيَّرًا بواسطة الأجرام السماوية. وأتعجب كيف أنه عندما يبدأ القمر في الاختفاء ويستمر في الاختفاء حتى نهاية الشهر، تزداد فوائد الدائنين وتمتلئ خزائن محبي الأموال كثيراً. أنا لا أفهم، كيف يعتقدون أن الأمور تزيد أو تنقص إجبارياً بتأثير النجوم. ألا توافقني أن هذه الاعتقادات سخيفة ومضحكة؟

١- يزيِّف المتواكلون الحقائق هاربين من تحمل المسئولية وملقين كل شيء على القدرية، لكن القديس يوحنا ذهبي الفم يواجههم مثلما فعل القديس كيرلس الإسكندري: "لو أن ما يحتويه هذا التعليم يُعدُّ أمراً حتميًّا، عندئذٍ ستتوقف كل جوانب الحياة: فلن يقوم الزارع بعمله، ولن يُلْقِيَّ البذار ولا ينتظر الوقت المناسب للزراعة والحصاد. ولا سوف يزرع الأشجار ولا سوف يحصد حقله. بل يترك الزراعة ويجلس في بيته وينام طول اليوم إيماننا بأن ما كتبته القَدَرية سوف يأتي من تلقاء ذاته بما فيه من خيرات. ولو أدارت القَدَرية وجهها للآخر فإن الزارع لن ينال شيئاً من أتعابه حتى لو تعب آلاف المرات في حقله. لو أن كل شيء يتمُّ طِبقاً لما تكتبه القَدَرية، فعليك إذاً أن تلغي كل شيء، إلغ الزراعة، لا تنشغلْ بالفلاحة، اطردْ كل الفنيين والحرفيين ولا تدعْ أحداً يعمل في مجال حرفته؛ لا الباني ولا النحَّاس ولاَ النسَّاج ولا أحد ممن يخدمون الخدمة اليومية. عندئذ سوف ترى جيداً نتائج الإيمان بالقَدَرية، وسوف تدرك وتتحقق من مدى الدمار الذي سيحل على كل من يؤمن بالقَدَريةِ" التواكل والقدرية، المقالة الخامسة، ص ٤٩ - ٥٠.

بلاديوس: طبعاً هي مضحكة جداً.

كيرلس: إن الرد بكلمات مطوّلة على مثل هذه الآراء الحمقاء من قبيل العبث؛ لأن هذه الآراء هي بذاتها سخيفة دون أن يقول أحدٌ شيئاً عنها. دعنا الآن ننتقل إلى شيءٍ آخر.

بلاديوس: ما هو؟

سر مقت الشيطان لليوم الخامس، والثامن، واكتمال القمر

كيرلس: على ما أظن، الشيطان هو الذي يمقت اليوم الخامس والثامن، ووصول القمر إلى امتلائه الكامل في اليوم الرابع عشر، وهو اليوم الذي انعقد فيه المجمع اليهودى لمحاكمة يسوع، والشيطان مازال -في الحقيقة- هو مبتدع الشرور، ويخترع لها أسباباً مختلفة. لأن الأحداث التي حدثت في الأيام التي فيها فقد سلطته الطاغية علينا، عندما أشرق[1] وحيد الجنس علينا بمحبته بالجسد، لم يستطيع الشيطان أن يدركها (بسبب عظمة ما حدث فيها).

بلاديوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: ألا نحسب، يا بلاديوس أن اليوم الخامس هو الذي جاء فيه مخلِّصُنا إلى العا لم؟

بلاديوس: أفهم ما تقوله من المثل الإنجيلى. لأن المسيح يقول، إن الذي استأجر عمالاً في كرمه خرج في الساعة الأولى، وفي الثالثة، وفي السادسة، وفي التاسعة، وفي الحادية عشر (الساعة الخامسة) أي الوقت الأخير الذي فيه ظهر مخلِّصُنا وأشرق علينا.

كيرلس: تتحدث بالصواب. لكن ماذا؟ ألم نقل أنه سُلِّم في اليوم الخامس[2] من

١- في ثيؤطوكية الأثنين يكون مرد كل ربع: "أشرق جسدياً بدون زرع بشر حتى خلصنا".

٢- يقول القديس كيرلس في نفس السياق: "زمننا هذا قد قُسِّم إلى خمس فترات؟ الفترة الأولى هي التي عاش فيها آدم، الأب الأول في الفردوس. والفترة الثانية كمثل "الساعة الثالثة"، ويقصد بها الزمن الذي عاش فيه نوح والذين كانوا معه. والفترة الثالثة هي مثل "الساعة السادسة" في المثَل وهي تُشير إلى الفترة الزمنية التي تبدأ بدعوة إبراهيم لكي يعرف الإله الحقيقي. والفترة الرابعة هي أيضاً مثل "الساعة التاسعة"، ويُقصد بها الفترة التي عاش فيها موسى والأنبياء. أمّا الفترة الخامسة أي "نحو الساعة الحادية عشر"، أي التي فيها ينتهي اليوم، ويصل الزمن الحاضر إلى نهايته، في هذه الفترة استأجر السيد المسيح الأمم الذين لم يكونوا قد دُعوا بعد من أي أحد آخر أثناء الفترات السابقة. لذلك أجاب هؤلاء الآخرون قائلين: "لم يستأجرنا أحد". هكذا يؤخذ الخروف للحفظ في اليوم الأول من تلك الخمسة أيام، أي اليوم العاشر الذي يشير إلى بداية الزمن، ويُحفظ لآخِر الوقت، أي اليوم الرابع عشر ويُذبح في المساء، وهذا يجعلك تدرك أيضاً أن

الأسبوع وتمَّم أساس كل التدبير لأجلنا، وهو الذي صار إنساناً وتحمل الصليب لأجل خلاصنا؟

بلاديوس: بالتأكيد.

كيرلس: ألم يُبطل الموت ثم قام مرةً ثانيةً سابياً الجحيم في اليوم الثامن، أي اليوم الأول من الاسبوع؟

بلاديوس: لا شك في ذلك.

كيرلس: حسناً، الناموس القديم حدَّد الختان الجسدي في اليوم الثامن الذي هو صورةٌ للختان الروحي والحقيقي. والختان الأهم، أي الروحي هو شركة في الروح القدس، والنعمة الأولى (عند الخلق) مَنَحَها لنا المسيحُ مرةً أخرى داخلنا بعد أن قام من بين الأموات قائلاً: ''اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ'' (يو ٢٠:٢٢). قال بولس الرسول: ''لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضاً الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا'' (١ كو ٥:٧). اليوم العاشر من الشهر القمرى هو بداية الخلاص وتقديم الذبيحة الذي ننظره باشتياق. وقد أشار الناموس مراراً إلى وقت صلب مخلِّصِنا لأجل حياة العا لم، فنحن نعلم أن آلامه ابتدأت من ''اليوم العاشر''. فقد جاء في سفر الخروج: ''كَلِّمَا كُلَّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ قَائِلَيْنِ فِي الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ يَأْخُذُونَ لَهُمْ كُلُّ وَاحِدٍ شَاةً بِحَسَبِ بُيُوتِ الآبَاءِ. شَاةً لِلْبَيْتِ. وَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ صَغِيراً عَنْ أَنْ يَكُونَ كُفْواً لِشَاةٍ يَأْخُذُ هُوَ وَجَارُهُ الْقَرِيبُ مِنْ بَيْتِهِ بِحَسَبِ عَدَدِ النُّفُوسِ. كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أَكْلِهِ تَحْسِبُونَ لِلشَّاةِ. تَكُونُ لَكُمْ شَاةً صَحِيحَةً ذَكَراً ابْنَ سَنَةٍ تَأْخُذُونَهُ مِنَ الْخِرْفَانِ أَوْ مِنَ الْمَوَاعِزِ'' (خر ١٢: ٣ – ٥). ها أنت ترى أن القدماء يأخذون الشاة من اليوم العاشر ويحفظونها إلى اليوم الرابع عشر، لكي تُفهم فترة الخمسة الأيام التي فيها صار إنساناً وعانى الموت لأجلنا، بينما كان القمر آخذاً في الاختفاء في بداية الليل؟ الأمرُ إذن، هو مثالٌ للسر. ويبدو أنه يعلن المسيرة التراجعية لسلطة الشيطان الطاغية التي تضمحل أكثر فأكثر. والقمر هنا هو بطريقةٍ رمزيةٍ مثالٌ للشيطان. لأن القمرَ يحكم الليل، أي يحكم على هؤلاء الذين في الظلمة وهم يَغُطُّون في نومٍ عميق، دون أن يكون لهم نور المعرفة. وقد اعتاد الكتاب المقدس أن يُشبِّه الذين ضلوا، بالليل. اسمع ماذا

سر المسيح ليس أمراً مستحدثاً، لكنه كان محفوظاً فى علم الآب السابق من قبل خلق العالم (راجع أف٣: ٩)، غير أنه مات لأجلنا في الأزمنة الأخيرة'' المسيح فصحنا الجديد، ترجمة د.جورج عوض إبراهيم، ص ١٣.

قال رب الجميع لليهود عندما رجعت أورشليم إلى عبادة الأوثان: ''وَلَكِنْ لاَ يُحَاكِمْ أَحَدٌ وَلاَ يُعَاتِبْ أَحَدٌ. وَشَعْبُكَ كَمَنْ يُخَاصِمُ كَاهِناً. فَتَتَعَثَّرُ فِي النَّهَارِ وَيَتَعَثَّرُ أَيْضاً النَّبِيُّ مَعَكَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَا أَخْرِبُ أُمَّكَ. قَدْ هَلَكَ شَعْبِي مِنْ عَدَمِ الْمَعْرِفَةِ'' (هو ٤ : ٤ – ٦). هل أدركتَ أن هؤلاء الذين لا معرفة لديهم بالله الحقيقى يُدعَون ليلاً؟ هكذا فإن عدو الجميع يكره الأوقات والأيام التي حُكم عليه فيها بالهلاك والتي فيها خَلُصنا نحن. ومن يكره الأوقات والأيام معه سيكون من نصيب الشيطان ومعه يرث الجحيم الأبدى.

بلاديوس: إذن، فسوف نضع هذه الأمور جنباً إلى جنب مع عبادة الأوثان الدنسة، ومع الخرافات المدعوة آلهة القَدَر.

التفاؤل والتشاؤم بالطيور

كيرلس: أريدك أن تعرف وتتأكد أن الأمور ليست مختلفة عما اتضح من فحصنا لها. لذا يجب علينا أن نمقت تماماً اللجوء إلى معرفة الغيب التي لا فائدة منها، وكذلك أعمال السحر والشعوذة. لأن بعض اليونانيين ينزلقون إلى شطحات العقل، حتى أنهم يعتقدون أن معرفة أمورنا الخاصة توجد في الطيور التي تشق الهواء. لذلك يلاحظون طيرانها نحو الشرق والغرب، ونحو اليمين والشمال. وإن ظهر غرابٌ ينعق، ينصتون جيداً بآذانهم ويعتبرون صراخ الغراب كأنه شيءٌ من الحقائق المنقطعة النظير، فيتفاءلون ويرجعون فرحين. ولا يخجل هؤلاء التعساء أبداً إذ ينسبون قوة التنبؤ إلى الطيور. ويزعمون أن الآلهة تنقل لنا رسائل بواسطة الطيور. أمَّا نحن فلا نقول إن الملائكة الذين تمردوا أو سقطوا هم آلهة، وهذا هو تعليم الأنبياء الأبرار. يقول اليونانيون إن الغراب الثرثار، والصقر السريع، والحمائم الشقراء، وطيورٌ أخرى تعرف الأمور المستقبلة، وأنهم بمثابة أنبياء بالنسبة لأولئك السذج الذين يلهمونهم ويصدقونهم. أيها اليونانيون، هل أنتم سعداء ومحظوظون بأن لديكم مثل هؤلاء المعلمين؟!! قد نسيتم، كما يبدو، ما يقوله شعرائكم، فهؤلاء كان لديهم رأيٌ مختلف ويهزأون بهذه الأمور ويعتقدون أنها خرافة ولا فائدة منها بتاتاً. فهوميروس يقول:

أيها الغبي اترك الطيور

سواء ذهبت يميناً نحو الشرق والشمس

أو شمالاً نحو الظلمة الكثيفة[1].

كما أن إفريبديس .[2] حدَّد بوضوح كم هو عبثٌ أن يراقب المرء طيران الطيور. لأنه يقول إن ثيسياس ; استولى عليه الجنون ضد أبوليتوس ابنه، وحسناً شرع أن يطرده من وطنه. وعندما يقول (أبوليتوس) له:

ولا قسم ولا دليل ولا فحصت كلام العرافين

ولكنك تطردني من البلاد بتهور.

يجيب عليه ثيسياس:

إن كلام التنجيم ليس هو المخرج

إنه يدينك بالحق،

أنا أرسل تحياتي

للطيور التي تحلق فوق رؤسنا!!

إن صوت الحقِّ في هذا الكلام لَهو جديرٌ بالتصديق، بالرغم من أنه ليس مناسباً لنا أن نقتبس من هؤلاء الشعراء؛ إذ أن الإيمان بالله هو أسمى. فالله لا يُخطئ ويحب الحق كثيراً جداً. لقد عرف ثيسياس بطريقةٍ ما، أن الطيور التي كانت تحلِّقُ فوق رأسه ليس لها أيَ قيمة مطلقاً. فعلينا أن لا ننسب معرفة الأمور المستقبلة إلى الشياطين، لكن دعونا ننسبها بالحري إلى الله الذي له وحده معرفة كل الأمور المستقبلة قبل أن تحدث. أمَّا القول بأن الطيور تعرف الأمور المستقبلة، فهذا ضلال مبين، والإيمان بهذا الرأي هو دليل على ظلام الذهن. يقول الناموس: "لا تجعلوا أنفسكم أنبياء بواسطة الطيور" (لا ١٩: ٢٦س)، لأن هذا الأمر ممقوت، وأن الله ضابط الكل يمقته بالحري.

بلاديوس: إني أرى نفس الرأي.

كيرلس: الأمور الخفية والمجهولة تجعل العجائز يميلون إلى الافتتان بالسحر، لذلك

١- هوميروس "الإلياذة" ١٢: ٣٢٢ - ٣٢٤.

٢- إفريبديس، إبوليتوس ١٠٥٥ - ١٠٥٩.

نجد أن موسى العظيم مُفسر النواميس السماوية، يذكر انحرافات السحر والشعوذة ويحذر منها. إذ يقول: "لا يُوجَدْ فِيكَ مَنْ يُجِيزُ ابْنَهُ أَوِ ابْنَتَهُ فِي النَّارِ وَلا مَنْ يَعْرُفُ عِرَافَةً وَلا عَائِفٌ وَلا مُتَفَائِلٌ وَلا سَاحِرٌ. وَلا مَنْ يَرْقِي رُقْيَةً وَلا مَنْ يَسْأَلُ جَانّاً أَوْ تَابِعَةً وَلا مَنْ يَسْتَشِيرُ الموْتَى. لأَنَّ كُل مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ الرَّبِّ. وَبِسَبَبِ هَذِهِ الأَرْجَاسِ الرَّبُّ إِلهُكَ طَارِدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ" (تث ١٨: ١٠ - ١٢). يوجد في السحرة شيءٌ مقززٌ جداً، وخطأٌ كبيرٌ جداً، ولا أعرف لماذا يُعجب به البعض، بزعم أن الذين يشتغلون بهذه الأمور يقولون هذه التعاويذ للمرضى بغرض استدعاء رب "الصباؤوت" (أى رب القوات). هكذا يحاولون أن يبرهنوا على أن هذا العمل ليس سيئاً. لكن يبدو أن اعتقاداً كاذباً قد ورَّطهم وضلَّلهم. هذا هو الجانب الذي لا يطاق لهذا الأمر. نحن ندعو الله "رب الصاباؤوت" عندما نريد أن نمجِّده، وغير مسموح أن ندعو أي كائن آخر بهذا اللقب، فربُّ القوات هو واحدٌ فقط. لكن هؤلاء يستعملون اللقب الممجَّد والفائق للطبيعة للشياطين التي يتعاملون معها، وهى التي تعمل في أسحارهم. وهؤلاء السحرة يتملقون الشياطين ويمنحونهم فرصةً للسيطرة عليهم مقابل القوة التي ينالونها من الشياطين. ولأن حشد الشياطين هم معادون جداً لله، لذلك لا ينبغى أن ننخدع بتلك الأفكار المنحرفة، بل علينا أن نهرب منها تماماً، ولا نعطي أي اهتمام للأطباء الأشرار أو السحرة، وللشياطين الذين يطلبون -كمكافأة لهم لأجل صنيعهم معنا- أن نجدِّف على الله. وعندما يتألم جسدك فإنك إذا آمنت بالحقيقة أن الله هو "رب الصاباؤوت"، وآمنت أيضاً بالألقاب الأخرى التي يعطيها الكتاب المقدس للإله الحقيقى، وصلَّيت ومجَّدته ولم تنسب المجد إلى الأرواح النجسة، عندئذٍ سوف يتلاشى الألم الذي يعذِّبك، وهذا أفضل من اللجوء إلى أولئك الأشرار. وتذكَّر أن الكتاب يقول: "أَمَرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهَنُوهُ بِزَيْتٍ بِاسْمِ الرَّبِّ، وَصَلاَةُ الإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيَّةً تُغْفَرُ لَهُ" (يع ٥: ١٤ - ١٥).

بلاديوس: إذاً ليتنا نعتبر قراءة الفأل والتعزيم من ضمن الأخطاء التي يدينها الناموس ويعتبرها الله من الأمور القبيحة والدنسة.

الفأل والتعزيم وقَسَم الزور

كيرلس: حسناً جداً، وسوف أضيف أن هناك أساليب كثيرة يتطاول بها الإنسان على الله. فالمرء الذي يقسم بالله يكون مذنباً ويستحق العقاب، لأنه يحلف كذباً ويجدف ويقول شيئاً لا يليق بالمجد الفائق والأسمى. فهو يُعاقَب بغضب شديد وصارم. حيث المنجل -كما هو مكتوب- يحطم بيت مَن حلف كذباً ويزعزع أساساته، لأنه مكتوب: ''فَتَدْخُلُ بَيْتَ السَّارِقِ وَبَيْتَ الْحَالِفِ بِاسْمِي زُوراً وَتَبِيتُ فِي وَسَطِ بَيْتِهِ وَتُفْنِيهِ مَعَ خَشَبِهِ وَحِجَارَتِهِ'' (زك ٥:٤). وهكذا يُحكم عليه بالموت الذي لا مفر منه.

إذن لا يجب أن نحلف زوراً، والأفضل إلّا نحلف البتة. لأن هذا ما علّمنا به المخلّص قائلاً: ''لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ لاَ لاَ. وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الشِّرِّيرِ'' (مت ٥:٣٧). ليس هناك أية ضرورة للقَسَمِ بالنسبة للأتقياء الذين جعلوا الفضيلة نهجهم. لأن المحبين للتقوى يحترمون حياة الناس جداً ويعرفون مدى كراهيتهم للكذب، وإذا أعرب أحدهم عن فكره، فالذين يسمعونه يصدقونه في الحال.

إذن يا ليت حياتنا تكون مقدسةً، وعندئذٍ لن نحتاج للقَسَمِ[1]. وإذا حدث أن اضطر البعض أن يقسموا، فليكن ضامن القَسَم هو الله ولا يُستخدَم اسمٌ آخر للقسم. لأن البعض يخطئون بحماقة وفجور حين يقسمون بأشياء مختلفة: ''بحق السماء''، ''بحق أدراستيا'' * (إله ثراكيا وفريجية)، ''بحق النور''، ''بحق السراج''. هؤلاء يعتقدون في أنفسهم أنهم أتقياء، إذ يتجنبون استخدام الاسم الإلهى، ولكنهم -في الحقيقة- يسيئون إليه، عندما ينسبون المجد الذي يليق بالله للمخلوقات التي دُعِيَت للوجود بأمرٍ منه. وقد مرض الإسرائيليون لفترة ما بهذا الضلال. فعندما بنوا لله هيكلاً

١- عن القَسَم يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: ''ما الذي يجبرك أن تكذب وأن تقسم؟ ليس هناك ما يدفع لذلك، فهذا أمر نلجأ إليه بمحض إرادتنا، وليس فيه أي إجبار. قد لا نكون موضع ثقة، إلا أن ما يكسبنا ثقة الغير هو سلوكنا وحياتنا المستقيمة، وليس القَسَمْ. أخبرني، لماذا لا نصدق البعض حتى وإن أقسموا، ونصدق البعض الآخر حتى وإن لم يقسموا؟ أرايت كيف أنه ليس هناك ضرورة للقسم على الإطلاق. يقول البعض، إذا تكلم فلان فأنني أصدقه دون أن يقسم، أما أنت فلا أصدقك حتى وإن أقسمت. إذن لا حاجة لنا للقسم، فهو دليل على عدم الصدق، فإن هذا القسم لا يُكسب سمعة الإنسان الورع، حتى أن ذاك الذي يقسم بصفة دائمة، حتماً لن ينتفع بقسمه في أي مكان، بينما مَنْ لا يقسم، فإنه يتمتع بأمانته. وقد يظن البعض إن إستخدام القسم أعطى لكي نصير موضع ثقة وتصديق. هذا غير صحيح، إذ أننا نرى أن الذين لا يقسمون، هم الجديرون بالثقة بدرجة أكبر'' تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ٥٤.



في أورشليم، افتخروا بهذا الحدث، وظنوا أنهم يملكون صورة التقوى والمجد، لكنهم لم يهتموا كما يجب بما نالوا من وعود بواسطة موسى الحكيم ولم يكونوا مبالين بها. وقد فعلوا هذا رغم أن البناء لم يكن لمجدهم، لأن الله الذي لا يُسرُّ بالمباني الحجرية، علَّمنا قائلاً: ''السَّمَاوَاتُ كُرْسِيِّي وَالأَرْضُ مَوْطِئُ قَدَمَيَّ. أَيْنَ الْبَيْتُ الَّذِي تبْنُونَ لِي وَأَيْنَ مَكَانُ رَاحَتِي؟'' (إش ٦٦: ١). الله يملأ كل شيء، وموضع راحته في السماء، لكنه يأتي ويحضر إلى الأرض، وهو لا يُقاس بالأبعاد المادية، وهو فائق جداً فوق العقل، هكذا نعتقد أنه أسمى من المكان والقياس[1].

ليكن كلامكم نعم نعم ولا لا

ولأن اليهود سمعوه مرةً يقول: ''السَّمَاوَاتُ كُرْسِيِّي وَالأَرْضُ مَوْطِئُ قَدَمَيَّ''، فقد انحرفوا إلى مفاهيم ساقطة، مقْسِمِين بالسماء وسمَّوها عرشاً إلهياً، ومقْسِمِين بالأرض، لأنها كانت تحت أرجل الله. ومقْسِمِين بأورشليم على أنها مدينة الله التي فوق الكل. وأيضاً يستخدمون في قسمهم ''حياة رب'' القديسين القدماء. لكن المخلِّص أظهر مدى زيف فكر اليهود الأحمق قائلاً: ''لاَ تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ لاَ بِالسَّمَاءِ لأَنَّهَا كُرْسِيُّ اللَّهِ. وَلاَ بِالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ وَلاَ بِأُورُشَلِيمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ'' (مت ٥: ٣٤ - ٣٥). أي أن ما قالوه كان خطأً، تحدث عنه المخلِّص موضحاً زيف تقواهم من كل الوجوه. فلنهرب إذاً من الضلال؛ لأننا تعلَّمنا في استخدام القَسَم أن لا ندعو أي اسم آخر بتاتاً، بل بالحري نستخدم كلمات صادقة وجديرة بالتصديق: نعم نعم لا لا. قال الناموس: ''إِذَا أَعْطَى إِنْسَانٌ صَاحِبَهُ حِمَاراً أَوْ ثَوْراً أَوْ شَاةً أَوْ بَهِيمَةً مَا لِلْحِفْظِ فَمَاتَ أَوِ انْكَسَرَ أَوْ نُهِبَ وَلَيْسَ نَاظِرٌ. فَيَمِينُ الرَّبِّ تَكُونُ بَيْنَهُمَا هَلْ لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى مُلْكِ صَاحِبِهِ. فَيَقْبَلُ صَاحِبُهُ. فَلاَ يُعَوِّضُ'' (خر ٢٢: ١٠ - ١١). والناس يقسِمون بالأعظم كما يقول بولس الحكيم (انظر عب ٦: ١٦). والأعظم من الإنسان ليس هو الذي يمتاز عنه من ناحية الحجم أو الفهم والحكمة والمجد، لكن مَن هو أعظم من كيانه نفسه.

١ـ مشكلة الهراطقة هي أنهم يريدون إخضاع الطبيعة الإلهية للمقاييس البشرية، ويؤكد القديس كيرلس على سمو الطبيعة الإلهية في حواره حول الثالوث، قائلاً: ''فالابن لا يخضع لمقاييسنا نحن العبيد كما أنه لا يوجد تحت نير، لكن له الطبيعة الإلهية الفائقة العلو والتي تسمو على كل الخلائق''. حوار حول الثالوث، الحوار الرابع ص ٢٩ ـ ٣٠.

بلاديوس: لا أفهم هذا الذي تقوله.

كيرلس: الأمر واضح يا بلاديوس، أعتقد أن كلامي واضح. ربما لا نقول إن مخلوقات كثيرة تختلف فيما بينها من ناحية الحجم عن الأجسام البشرية؟

بلاديوس: نعم تختلف كثيراً.

كيرلس: لكن من ناحية الفهم والحكمة والرقة، أليست الملائكة أعظم؟

بلاديوس: إنها الأعظم بالتأكيد في الكرامة.

كيرلس: بالنسبة للِّمعان والتألق، وأقصد اللمعان والتألق المادي، أليست طبيعة الشمس أسمى بلا مقارنة؟

بلاديوس: نعم.

كيرلس: إذاً، فبسبب أن كل واحد من هذه المخلوقات له ميزة يتفوق بها علينا، فهل نقسِم بأسماء هذه المخلوقات ونترك اسم الله؟

بلاديوس: حاشا.

كيرلس: إذاً، فهذا الذي هو أسمى من الكل ويفوق كل الكائنات، أي الله، هو الذي نقول عنه إنه الأعظم من الإنسان.

بلاديوس: تتكلم بالصواب.

كيرلس: إذاً ليت الذين يُفضِّلون حياة التقوى يقولون نعم ولا، وليكن هذا القول مساوياً للقَسَم. وليت الذين يقولون هذا القول يقولونه بصدق حتى يصدِّقهم الآخرون. وإذا احتقر أحدٌ كلمة نعم ولا، عندئذٍ يكون الاحتكام إلى هذا الذي هو أعظم منا أو بالحرى أعظم من كل الخليقة.

التجديف على الله

بالنسبة للتجديف، ماذا أقول وإلى أي شر يقود الذين يستخدمونه؟ فالناموس القديم عاقب بالموت مَن يجدف على الله؟ والمسيح نفسه قد أدان مَن يرتكب هذه الخطية بعقابٍ لا مفر منه ولا نهاية له. لأنه يقول: "وَمَنْ قَالَ كَلِمَةً عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ يُغْفَرُ لَهُ وَأَمَّا مَنْ قَالَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَنْ يُغْفَرَ لَهُ لاَ فِي هَذَا الْعَالَمِ وَلاَ فِي

الآتِي" (مت ١٢:٣٢). والروح هنا يقصد به الله[1]، لذا فمَن يتجرأ أن يتكلم ضده بدون لجام، سوف يحصد ثمار فمه المفتوح. لأنه كما هو مكتوب: "شَفَتَا الْجَاهِلِ تُدَاخِلاَنِ فِي الْخُصُومَةِ وَفَمُهُ يَدْعُو بِضَرَبَاتٍ. فَمُ الْجَاهِلِ مَهْلَكَةٌ لَهُ وَشَفَتَاهُ شَرَكٌ لِنَفْسِهِ" (أم ١٨:٦ – ٧). لذلك قال صاحب المزمور: "اجْعَلْ يَا رَبُّ حَارِساً لِفَمِي. احْفَظْ بَابَ شَفَتَيَّ. لاَ تُمِلْ قَلْبِي إِلَى أَمْرٍ رَدِيءٍ" (مز ١٤١:٣ – ٤). فالأقوال الشريرة هي تمردٌ قبيح ضد الله الأبدي.

بلاديوس: إذاً فالذين يهتمون بالسير في الطريق المستقيم ولا يطيقون أن يقاوموا إرادة الله يجب أن يكونوا مؤسَّسين جيداً.

الذين يؤمنون طمعاً أو خوفاً

كيرلس: هذا ما أقوله. يقول النبي لهؤلاء الذين يقتربون من الله بقلب متردد فاسد يعاني من الجُبن ويتزعزع بسهولة: "حَتَّى مَتَى تَعْرُجُونَ بَيْنَ الْفِرْقَتَيْنِ؟ إِنْ كَانَ الرَّبُّ هُوَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوهُ، وَإِنْ كَانَ الْبَعْلُ فَاتَّبِعُوهُ" (١ مل ١٨:٢١). لأن المرء عندما لا يكون صحيحاً تماماً في الإيمان وفي نفس الوقت لا يريد أن يبقى في الضلال، هذا يعني أنه يعرج برجليه الاثنتين. إن الدافع لهذا الرأي الفاسد والهش، على ما أظن، يمكن أن يكون نتيجةً للسلوك المزيف الخالي من المحبة الحقيقية نحو الله. ونتيجةً للتملق بالنسبة للذين يريدون أن يحيوا مسيحياً، وفي نفس الوقت لا يفعلون هذا من كل القلب. واختيارهم للحياة المسيحية ليس لأنهم يحبون الحق ويريدون الاستقامة، بل لأنهم يريدون أن يأتوا إلى الإيمان طمعاً في السعادة أو خوفاً من خطر معين، فإنهم يكونون أرضاً خصبةً لحَمْلة الشرير الشرسة، ويوقعون كثيرين معهم في هموم الحياة المعيشية. هؤلاء الناس يكون نصيبهم بين الوضيعين والمحتقَرين

١- في نفس السياق يقول القديس أثناسيوس: "أما التجديف على الروح" (مت١٢: ٣١) تشير إلى الرب نفسه. وكل هذا القول يقصد به نفسه. لأن "رب البيت" يراد به المسيح أي رب الكون كله. وأنا أرجوك أن لا تتضايق من هذا التكرار فهو لازم إذا كنا نحرص على الوصول إلى المعنى الدقيق للنص ولذلك سأعود إلى ما ذكرته سابقاً أن الجوع والتعب والنوم والإهانات كلها خاصة بناسوته، أما الأعمال الباهرة التي كان يقوم بها الرب، فلم تكن أعمال إنسان بل أعمال الله. لذلك إذا ما شاهد بعض الناس الأشياء الخاصة بالإنسان مثل الجوع... الخ، وأهانوا الرب لأنه حسب ظنهم مجرد إنسان، فقد حسبوا مستحقين لعقوبة أقل من عقوبة أولئك الذين ينسبون أعمال الله للشيطان. لأن هؤلاء لا يكتفون بإلقاء الأشياء المقدسة للكلاب (مت ٧: ٦)، بل يجعلون الله مساوياً للشيطان ويدعون النور ظلمة (إش ٥: ٢٠). لذلك سجل مرقس أن تجديف اليهود بلا مغفرة، " وأما من جدف على الروح القدس فلن يغفر له بل هو مستحق دينونة أبدية، لأنهم قالوا أن به روحاً نجساً" (مر٣: ٢٩ ـ ٣٠)" الرسائل عن الروح القدس، المقالة الرابعة، فقرة ١٨ ص ١٤٠.

والمنبوذين، وكل ما يحصلون عليه هو أنهم مازالوا على قيد الحياة وإن كانوا بلا كرامة.

مثل هؤلاء الناس كان الجبعونيون، إذ مضوا مرةً إلى يشوع بن نون وتوسَّلوا إليه أن يُقبلوا بين شعب الله (راجع يش ٩). لكن انضمامهم لم يتم بدون خداع ولم يكن ببساطة ومحبة صريحة نحو الله، لكنه كان انضماماً مخادعاً ومظهرياً. وفي البداية لم يُدرَك هذا الأمر. لكن عندما أُمسكوا وهم يفعلون أعمالاً عدوانية ضد شعب الله، وظهر خبثهم وسوء نيتهم، فإنهم وُضعوا في المرتبة الأخيرة، فصاروا حطَّابين وسقاةً لكل العبرانيين.

هل رأيت سقوط غير الأصيل الذي لا يُقدِّر المحبة الروحية نحو القديسين بقلب سليم. إنهم يخدعون أحياناً بعض الناس، ولكن لا يخدعون المسيح طبعاً، فهو يعرف كل شيء، لكن قد يخدعون الذين يتبعونه، أي رعاة الشعوب، مثل أولئك الذين خدعوا يشوع الذي كان صورةً ورمزاً للمسيح[1]، وأتوا بمكر وبأفكار خفية وبخبث وتملق. لكن عندما كُشفوا، وُضعوا في المكانة الأخيرة التي تليق بالعبيد. إذاً، فنحن الذين نهدف إلى السلوك الصحيح في كل ما يتعلق بالله، نضع الأمور الأخرى خارج اهتمامنا، ساجدين لربنا إله الكل بقلب بسيط وأفكارٍ مستقيمة، وبمحبة كاملة هذه التي تلغي مرض انقسام النفس، وتبعد تماماً عن الأخلاقيات والسلوكيات الوثنية، ونسير سريعاً جداً مبتعدين عن ما يدينه الناموس. وهكذا نكون بلا لوم أمام ربنا وإلهنا ونتمتع مع القديسين الآخرين بإيمانهم بالمسيح واختبارهم له، هذا الذي له مع الآب والروح القدس المجد إلى أبد الآبدين آمين.

١- يشوع بن نون هو في الحقيقة، مثالٌ للمسيح، وهذه الرمزية لا نجدها في العهد القديم ولا عند اليهودية، وهذا يرجع إلى أن مثل هذا النموذج يقلل من شأن موسى عند اليهود. ولكن هذا النموذج نجده في العهد الجديد، حيث يشوع بن نون دخل أرض الموعد كمثال للمسيح، لذلك عند القديس كيرلس الاورشليمي نجد أن ”يشوع بن نون كان في أشياء كثيرة مثال للمسيح. من الأردن بدأ يمارس سلطته على الشعب. والمسيح أيضا بدأ حياته العلانية بعد عماده في الأردن. بن نون حدد إثنى عشر إنسان لكي يوزع الإرث. والمسيح أرسل إلى كل العالم إثنى عشر رسولا كمبشرين للحق. ذاك الذي هو مثال أنقذ راحاب الزانية لانها آمنت. وذاك الذي هو الحقيقي (المسيح) قال ”الزناة والعشارون سيسبقونكم إلى ملكوت السموات“ أسوار أريحا سقطت بصوت التهليل في زمن المثال (يشوع)، وأيضاً بكلام المسيح ”سوف لا يبقى حجر الا وينقض“ وسقط هيكل أورشليم أمامنا“ PG, 33, 676D - 677A. ويقول القديس كيرلس الكبير عن يشوع، في موضع آخر: ”يجب أن نعرف أن يشوع أيضاً الذي أتي مع موسي ختن الإسرائيليين بسكين من الحجر، وهذا يعني بالنسبة لنا رمزياً الختان غير المصنوع بيد الذي تم بواسطة المسيح والذي بواسطته هُزِم الموت، ختان الشر الذهني والتحرر من الأهواء واللذات“ جيلافيرا على سفر الخروج، المقالة الثانية، الكتاب الشهري، سبتمبر ٢٠١٠ .

المقالة السابعة

في المحبة الواجبة نحو الإخوة

تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ

كيرلس: إن الناموس يا بلاديوس، يمتدح كثيراً جداً الوصية الأولى والفائقة من بين الوصايا والتي تقول: "فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ" (تث ٦: ٥، مت ٢٢: ٣٧)، ويضيف: "تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (مت ٢٢: ٣٩)، والمسيح نفسه كان يقول، إن كل ما جاء في الناموس والأنبياء يستند على هاتين الوصيتين. كما أن بولس العظيم يدعو المحبة تكميل الناموس (رو ١٣: ٨)، لأن من المؤكد إن هذه المحبة لا تسبب أيَ شرٍ لقريبنا.وأظن أني قد استفضت بما فيه الكفاية في شرح معنى الوصية الأولى من كل الجوانب. واستعرضت بشكلٍ وافٍ: كيف أننا نستطيع أن نعبِّر عن محبتنا الكامله والتى بلا لوم تجاه الله.

إذن، هيا بنا ننشغل بالوصية الثانية التي تتعلق بالأخ والقريب، وليتنا نفحص بالتفصيل عن المحبة نحو القريب، منقبين بتدقيق عن الأعمال التي بها يستطيع المرء أن يصل إلى الفضيلة، وعندما يكتسب الإنسان المجد المرتبط بقبول الألم، فإنه يتقدم في علاقة صالحة مع الله والناس، وذلك طبقاً لما قيل عن صموئيل: "وَأَمَّا الصَّبِيُّ صَمُوئِيلُ فَتَزَايَدَ نُمُوّاً وَصَلاَحاً لَدَى الرَّبِّ وَالنَّاسِ" (١ صم ٢: ٢٦)، فإني اعتقد أنه بجانب محبتنا لله ينبغي علينا أن نتصرف أيضاً بالمحبة تجاه إخوتنا[1]، وذلك لأن التقصير في أيٍّ من فِعلَي

١- يقول أوليفيه كليمنت: "الأعجوبة الحقيقية بالغة الصعوبة هي إذن، تكمن فى تحقيق مثال المحبة العملية بالمفهوم الروحى الإنجيلى لهذه الكلمة: "الأغابى" أى محبة الآخرين خلال محبتنا لله. الدخول فى علاقة حميمة مع الله هو فى الواقع: الانقياد الواعى لحركة محبته الإلهية الفائقة التى تنسكب فينا بالروح القدس من خلال إيماننا بالمسيح والتى توحى إلينا أن الآخر (وهو كل إنسان أياً كان) هو "قريب" لنا قرابة حميمة تفوق الأنساب الجسدية بكثير. العلاقة بهذا "القريب" هي التلاقى مع المسيح الذى جعل ذاته فى كل إنسان يتألم: المنبوذ والمسجون والشرير، كما يذكرنا بذلك مشهد الدينونة

المحبة يؤثر بالسلب على الفعل الآخر.

وكما يقول يوحنا: ''إِنْ قَالَ أَحَدٌ: ''إِنِّي أُحِبُّ اللهَ'' وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. لأَنَّ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ؟ وَلَنَا هَذِهِ الْوَصِيَّةُ مِنْهُ: أَنَّ مَنْ يُحِبُّ اللهَ يُحِبُّ أَخَاهُ أَيْضاً'' (١ يو ٤: ٢٠ - ٢١).

إذن، ينقصُ الواحدُ مع الآخر، كما ينضج وينمو الواحدُ مع الآخر. لأن أبواب الفضائل هي أبوابٌ مزدوجة ذات ضلفتين غير منفصلتين تقود إلى الجمال الباهر والكامل للفضيلة، تقود إلى الله ضابط الكل.

بلاديوس: بالصواب تتكلم، وطالما أن هدفنا هو أن نجتهد من أجل بحث هذا الأمر، هيا إذن لنستخرج براهين من الكتاب المقدس لكل جوانب البحث، راجياً أن تُعرِّفني كيف يمكن تحقيق المحبة الكاملة نحو القريب.

كيف نحفظ الناموس؟

كيرلس: هذا البحث يفتح أمامنا طريقاً واسعاً، لأنه مكتوب: ''أمَّا وصيتك فواسعةٌ جداً''. ومنهجنا هو الاقتراب من كل جزء من البحث بواسطة الناموس نفسه. لأن النبي يقول إن الناموس قد أعطيَ لنا لكي يساعدنا (إش ٨: ٢٠ س). والمشرِّع يحفزنا دائماً عندما يذكِّرنا باستمرار بالوصية قائلاً: ''لِتَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَكَ وَتَحْفَظَ جَمِيعَ فَرَائِضِهِ وَوَصَايَاهُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنُ ابْنِكَ كُل أَيَّامِ حَيَاتِكَ وَلِتَطُول أَيَّامُكَ. فَاسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ وَاحْتَرِزْ لِتَعْمَل لِيَكُونَ لكَ خَيْرٌ وَتَكْثُرَ جِدّاً كَمَا كَلمَكَ الرَّبُّ إِلهُ آبَائِكَ فِي أَرْضٍ تَفِيضُ لبَناً وَعَسَلاً. «إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ. وَلتَكُنْ هَذِهِ الكَلِمَاتُ التِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا اليَوْمَ عَلى قَلبِكَ. وَقُصَّهَا عَلى أَوْلادِكَ وَتَكَلمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ. وَارْبُطْهَا عَلامَةً عَلى يَدِكَ وَلتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ. وَاكْتُبْهَا عَلى قَوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلى أَبْوَابِكَ'' (انظر تث ٦: ٣ - ٩).

الأخيرة فى إنجيل متى (٢٥:٣٥-٤٠): ''كنت جوعاناً فأطعمتمونى، كنت عطشاناً. كنت عرياناً.. كنت مسجوناً.. الحق أقول لكم: كل ما فعلتموه بأحد اخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم''. المحبة ''الأغابى'' تعلن لنا أن كل إنسان، وعلى وجه أخص كل إنسان يتألم، هو سر المسيح، هو ''مسيح آخر'' كما يقول ذهبى الفم، فالإنسان جُبِل ليكون على علاقة حميمة بالله الواحد المثلث الأقانيم''. أوليفيه كليمنت، المحبة فى المفهوم المسيحى عند الآباء، منابع الروحانية المسيحية فى أصولها الأولى، مجلة مرقس، يناير ١٩٨٩م، ص ٩.



وماذا يعني ''وَارْبُطْهَا عَلاَمَةً عَلى يَدِكَ''؟ هذا ما عُبِّر عنه في سفر العدد، لأنه مكتوب: ''وَقَال الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُل لِبَنِي إِسْرَائِيل أَنْ يَصْنَعُوا لهُمْ أَهْدَاباً فِي أَذْيَالِ ثِيَابِهِمْ فِي أَجْيَالِهِمْ وَيَجْعَلُوا عَلى هُدْبِ الذَّيْلِ عِصَابَةً مِنْ أَسْمَانْجُونِيٍّ. فَتَكُونُ لكُمْ هُدْباً فَتَرُونَهَا وَتَذْكُرُونَ كُل وَصَايَا الرَّبِّ وَتَعْمَلُونَهَا وَلا تَطُوفُونَ وَرَاءَ قُلُوبِكُمْ وَأَعْيُنِكُمُ التِي أَنْتُمْ فَاسِقُونَ وَرَاءَهَا. لِكَيْ تَذْكُرُوا وَتَعْمَلُوا كُل وَصَايَايَ وَتَكُونُوا مُقَدَّسِينَ لآلِهِكُمْ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيَكُونَ لكُمْ إِلهاً. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ»'' (عدد ١٥: ٣٧ – ٤١).

وبهذا فهو يعطينا مقدَّماً وبطريقة واضحة أن نكتب الوصية داخل قلوبنا[1]. وإذ هو يعرف أن النسيان مرضٌ خطير يصيب العقل، فهو يأمر أن تُكتب الوصايا –كأنها في قوائم– ويعلقونها في أيديهم اليمنى كأنها منشورٌ يحمل الناموس، وأيضاً ليس بدون فائدة يقول أن تُعلَّق في أذيال الثياب أهدابٌ وعصابةٌ من الأسمانجونى.

بلاديوس: وكيف تشير هذه الأهداب والعصابة الأسمانجونى إلى النواميس الإلهية؟

كيرلس: ألا تعتقد أن ناموس العهد القديم فيه رموزٌ وظلال؟

بلاديوس: بالفعل أعتقد هذا.

كيرلس: إن ما ترمز إليه هذه الأهداب في أذيال الملابس، وهذا الرباط الأزرق على اليد، هو أنه يجب علينا أن نحفظ ونفهم وننفذ وصايا السماء، وأن نتذكر باستمرار الناموس الذي أُعطيَ لنا من السماء. ولون الحجر الهندى يشبه على ما أعتقد المادة الإثيرية (السحابة)، والتى يختلط فيها النور بالظلام، ويبدو في عمقها شيءٌ مائي.

لقد أمر الناموس أن توضع هذه الأهداب والرباط الأزرق على اليد بتدقيق

١- في شرحه لـ (يو ١٥: ٢) ''كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لاَ يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ، وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يُنَقِّيهِ لِيَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَكْثَرَ'' يقول القديس كيرلس الأسكندري: ''صلتنا بالمسيح هي بالقلب والذهن، وتتضمن قوة إتحاد تؤثر على طريقة حياتنا، فتكملنا في المحبة والإيمان. ويسكن الإيمان في قلوبنا، فيجعل المعرفة الإلهية تظهر لنا كاملة: بينما المحبة تتطلّب منّا أن نحفظ الوصية التي وضعها لنا. لأنه هو نفسه أوضح مَنْ هو الذي يحبه بقوله: ''الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني'' (يو ١٤: ٢٣). إذاً، ينبغي أن نعرف إننا عندما نتحد به بواسطة الإيمان، ونعطِي دليلاً على طريقة إتحادنا به بمجرّد إقرار عقيم بالإيمان، دون أن تثبّت وتتقوى رابطة إتحادنا به بالأعمال الحسنة التي تنتج من المحبة، فإننا نكون أغصاناً، ولكنها أغصان ميتّة وبدون ثمر. لأن الإيمان بدون أعمال ميت، كما يقول القديس يعقوب (انظر يع ٢: ٢٠). لأنه بهذه الكيفيّة، إن رأيت الغصن موجوداً بلا ثمر، وكأنه يتدلى من جذع الكَرْمَة، فإعلم أن مثل هذا الإنسان ستنقض عليه سكين الكرام. لأنه سيقطعه كليّة، ويلقيه للنار لتحرقه كزبالة لا قيّمة لها؛ فهذه هي دينونة العقيم، كما أظن أيضاً في حالة شجرة التين التي وُضِعت كمَثَلٍ أمامنا'' شرح إنجيل يوحنا، المجلد الثاني، ص ٢٦٤.

وعناية، وكأنه يريد أن يقول -وبطريقةٍ ما- إن الكلام السمائي يجب أن يكون رداءً للفكر وللعقل، كما يجب أن تُكافأ عن كل أعمال صالحة بحسب الناموس. فاليد ترمز إلى العمل وكل ما نفعل نحن وفقاً للناموس لا نوَّبخ عليه ولا يجلب علينا الشر البشع.

اعتراض الرب على شكلية حفظ الناموس

لقد كان الفريسيون يعرِّضون عصائبهم على أيديهم اليمنى ويكبِّرون أهداب ثيابهم، لكن المسيح استهزأ بهم قائلاً إن كل أعمالهم يعملونها لكي ينظرهم الناس (انظر مت ٢٣: ٥)، وليس لكي يتذكروا الناموس. إذن مَن لا يتبع الناموس بطريقة صحيحة يمكن أن يخطئ. وأعتقد أن هذا ما قصده سليمان بقوله: ''قد يكون بار يبيد في برّه'' (جامعة ٧: ١٥)، فلتُكتب إذن الوصية الإلهية في الذهن وفى القلب. ولقد عبَّر داود النبى بدقة عن فائدة هذا الأمر بالنسبه للبار عندما قال: ''فَمُ الصِّدِّيقِ يَلْهَجُ بِالْحِكْمَةِ وَلِسَانُهُ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ. شَرِيعَةُ إِلَهِهِ فِي قَلْبِهِ. لاَ تَتَقَلْقَلُ خَطَوَاتُهُ'' (مز ٣٧: ٣٠ - ٣١). فالأمر واضح إذن أنه عندما توجد الوصية الإلهية داخل النفس، فإنها تكون سنداً للإنسان وثباتاً في فعل الفضيلة.

بلاديوس: هذا صحيح.

بركة حفظ الناموس

كيرلس: إن الدراسة والتعمق بلا توقف في فهم الوصيه يقود إلى الاستقامة، وهذا يُسَرُّ به الله، كما أنه يطرد النسيان بعيداً عن ذهن الإنسان مثلما تبتعد السحابة أو الضباب. غير أن واضع الناموس لا يكتفي بهذا. بل يقصد فوق هذا شيئاً آخر أفضل، كالحافز الذي يجلب الرجاء في كل ما نتطلع إليه. لأنه يقول أيضاً: ''إِذَا سَلَكْتُمْ فِي فَرَائِضِي وَحَفِظْتُمْ وَصَايَايَ وَعَمِلْتُمْ بِهَا. أُعْطِي مَطَرَكُمْ فِي حِينِهِ وَتُعْطِي الأَرْضُ غَلَّتَهَا وَتُعْطِي أَشْجَارُ الْحَقْلِ أَثْمَارَهَا. وَيَلْحَقُ دِرَاسُكُمْ بِالْقِطَافِ وَيَلْحَقُ الْقِطَافُ بِالزَّرْعِ فَتَأْكُلُونَ خُبْزَكُمْ لِلشَّبَعِ وَتَسْكُنُونَ فِي أَرْضِكُمْ آمِنِينَ'' (لا ٢٦: ٣ - ٥).

أرأيت مقدار العناية التي يغدقها على مَن يعمل ويحترم الناموس؟ أمطارٌ في حينها، وأثمارٌ متعاقبةٌ للأرض، وبالتأكيد غلال وشِبَع واستخدام وفير للأغذية، وفوق كل هذا وَعَدَ بأن يمنحهم السلام. فالذى يحفظ الوصايا بفهم والذي لديه وَلَعٌ شديد ومستمر تجاه كل ما يريده الرب، من الطبيعي أن يغدق عليه الخيرات السماوية الوفيرة. لأنه مثلما تروي الأمطار الأرض الجيدة والخصبة، هكذا نفس الإنسان ترويها التعزيات السمائية كمطر سمائي يغمرها بالفرح والابتهاج، إذ هي تقدِّم باستمرار كل أنواع ثمر التقوى لله، ثم يأتي السلام كتاجٍ فوق كل هذا، وهكذا فإن المطر السمائى يقدِّم لنفس البار إمكانية البقاء في حياة الغبطة. وبولس يقول: "وَسَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (فيلبى ٤ : ٧).

ومَن ينال مثل هذا الجود والكرم من الله، سوف يقضي حياةً سلاميةً بغير حروب، وسوف يتقهقر العدو، ومن يقف في وجهه يسقط ويختفي، وكل هجوم شيطاني يتلاشى، وسوف يبتعد عنه أي خوف بسهولة. نفس هذا الناموس نجده مكتوباً في سفر التثنية مع قليل من التغيير: "«فَإِذَا سَمِعْتُمْ لِوَصَايَايَ التِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا اليَوْمَ لِتُحِبُّوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ وَتَعْبُدُوهُ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ. أُعْطِي مَطَرَ أَرْضِكُمْ فِي حِينِهِ: المُبَكِّرَ وَالمُتَأَخِّرَ. فَتَجْمَعُ حِنْطَتَكَ وَخَمْرَكَ وَزَيْتَكَ. وَأُعْطِي لِبَهَائِمِكَ عُشْباً فِي حَقْلِكَ فَتَأْكُلُ أَنْتَ وَتَشْبَعُ" (تث ١١ : ١٣ – ١٥).

إذن، فلتسكن تعاليم ووصايا الناموس داخل نفوسنا، وكذلك الطريقة التي نسلك بها والسعي المفرح لكي نشبع اشتياقاتنا ونتمم كل ما يرضى الله. والرغبة في حياة القداسة التي وعدنا الله بها تحثُّنا أن نبذل العرق في سبيل الوصول إلى الفضيلة.

كيفية تحقيق وصية المحبة تجاه القريب

بلاديوس: بالفعل، أوافق بالطبع مع كل ما سبق قوله. غير أن الوقت قد حان يا صديقي لكي توضح لي كيف يمكن تحقيق وصية المحبة تجاه القريب.

كيرلس: إذن ليتنا نمضي في حديثنا هذا. وفيما نحن نتبع الكتاب المقدس نقول إن السيد الربَّ إله الكل أمر موسى أن يدعو الشعب لكي يتطهروا ويجتمعوا

أسفل جبل سيناء. لأنه كان يجب عليهم أن يغسلوا ثيابهم، كما أمرهم بأن يبتعدوا عن النساء لمدة ثلاثة أيام، وفي هذا يستخدم الأشياء المرئية والمحسوسة للتعبير عن الأمور الذهنية[1].

وهكذا يجب علينا أن نصل إلى معاينة الله ونحن متحلِّين بالفضائل كأننا نلبس ملابسَ لامعةً، وذهننا مستضئ بالفرح ومتخلين عن كل محبة للأمور الجسدية والنجاسات الأرضية، وفى هذا كله تكون الوصايا هي مرشدنا ومهذِّبنا، كما كان موسى مرشداً ومهذِّباً للشعب قديماً. لأن تهذيب الشعب الذي تم بواسطة موسى كلي الحكمة كان رمزاً للتهذيب بالوصايا عن طريق المسيح. وجديرٌ بنا أن نلاحظ أمراً آخر، وهو أن العمل الذي قام به موسى -كمهذِّبٍ للشعب- لم يتجاوز حدوده. إذ أن موسى لم يقُد الشعب إلى ذاته شخصياً، بل إلى الله باعتباره المشرِّع والآمر بالترتيبات التعبديه. وهكذا بالنسبة لنا، فالناموس كان مهذِّبنا بالوصايا ومرشدنا[2] إلى الله الكلمة الذي لأجلنا نزل من السماء. والآن ألا ترى أن حديثنا يتعمق في فهم معاني الحقيقة؟

بلاديوس: بالتأكيد.

كيرلس: حسناً، مكتوب: "وَأَخْرَجَ مُوسَى الشَّعْبَ مِنَ الْمَحَلَّةِ لِمُلاَقَاةِ اللهِ فَوَقَفُوا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ. وَكَانَ جَبَلُ سِينَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الأَتُونِ وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جِدّاً. فَكَانَ صَوْتُ الْبُوقِ يَزْدَادُ اشْتِدَاداً جِدّاً وَمُوسَى يَتَكَلَّمُ وَاللهُ يُجِيبُهُ بِصَوْتٍ" (خر ١٩: ١٧ — ١٩).

١- عندما يتحدث الآباء عن المفهوم بحسب الحرف وفكر الكتاب بحسب الرؤية الروحية فهم يطبقون -في تفسيرهم الكتابي- مبدأ عاماً هو نتاج تفسير التجسد، الذي يستلزم علاقة داخلية صعودية (تصاعدية) من الأمور المخلوقة نحو الأمور الذهنية والروحية. هذا المبدأ يمثل التقليد المحدد فعلاً من القرن الرابع. فكل شيء مخلوق لديه -بحسب طبيعته- ديناميكية وحركة نحو الكمال الروحي، أي في حاجة دائمة لأن يكتمل. وهذا هو بالضبط عِلة وجود هذه الأشياء. هذه الوحدة الداخلية يقرِ بها الآباء ويطبقونها في كل المواضيع اللاهوتية. هكذا تحت نور التجسد يأخذون كل أمر تاريخي ومادي على أنه ظِلٌ أو صورةٌ أو إشارةٌ مسبقةٌ للمفهوم الروحي والذهني.

٢- يتحدث القديس كيرلس عن الناموس موضحاً دوره الحقيقي، فيقول: "ناموس موسي بالكاد ذكر بداءة أقوال الله وهو مُعَلِم للرُضع ومُربي بدون تدبر كامل، ناقلاً لنا بأمثلة وظلال معرفة غير واضحة وغير ساطعة عن أمورٍ يجب أن نصنعها، بينما القادر حقاً وكاهننا الأعظم والجدير بهذه الإرسالية، أقصد المسيح قدَّم لنا الحق واضحاً وساطعاً وبلا أي شوائب أو ظلال. لأنه ليس ثقيل اللسان و لسانه لا يعرف خوفاً وأقواله لا تغيب عنها الحكمة كما حدث مع موسي، على النقيض هو متحدث حلو بكونه كلمة الله الآب وحكمته" جيلافيرا الخروج، الكتاب الشهري سبتمبر ٢٠١٠.

نزول الرب على الجبل

إن نزول الرب على الجبل يمكن أن يكون علامةً واضحةً على أن الله لا يحلّ في الأذهان الوضيعة، ولا يسكنَ في أولئك الذين يتصرفون بدناءةٍ، بل في أولئك الذين يرتفع ذهنهم إلى السماء، كالذى يجلس على القمة وينظر إلى الأمور الجسدية باعتبارها أموراً سفلية واضعاً في اعتباره فقط إنه قريب من الله. ويمكننا أن نفهم بطريقة أخرى معنى نزول الله على قمة الجبل، بمعنى أن معرفة الله هي أمر يفوق عقولنا، وهي متاحةٌ فقط للبعض ممن يريدون أن يحلِّقوا عالياً، كما هو مكتوب: ''صغار العقاب تطير عالياً'' (أيوب ٥: ١١س).

لاحظ بجانب هذا أن الله نزل محدِّداً للأقدمين الناموس القديم، ولكن ليس في الموضع الذي كان الشعب فيه واقفاً، بل عالياً وبعيداً. لقد كان بعيداً جداً –حسب كلمات المزمور– لأنه لم يكن بعد قد وُجد بيننا بالجسد ولم يكن الابن الوحيد قد أخلى ذاته، فقد كان يحفظ هذا السر (سر التجسد) لنا وليس للقدماء. فقد وُجد بيننا بمجدٍ بمقدار ما تستطيع عيوننا أن تنظر، وقد أخلى ذاته (من مجد الألوهية) وحلَّ بيننا كواحد منا، هكذا نزل الله على الجبل بنارٍ.

لذا كان يجب على الذين كانوا مستعدين للتهذيب بواسطه الناموس أن يفهموا بكل وضوح أنهم لو كانوا قد فضَّلوا التكاسُل، لَكانت كلمات الرب لهم كمثل النار. لقد كان الأقدمون يفعلون ما يرضي الله ليس بدافع المحبة الطوعية والاختيار العقلى الحر، لكن عن اضطرارٍ وخوف. لأنهم لم يكونوا قد نالوا بعد روح الحرية والتبني، بل كان فيهم روح العبودية للخوف[1]. تَغطَّى الجبل بالدخان لأن الله نزل عليه بشكل نار. لقد كان هذا الأمر على ما أعتقد هو ما أشار إليه المزمور: ''جَعَلَ الظُّلْمَةَ سِترَهُ. حَوْلَهُ مَظَلَّتَهُ'' (مز ١٨: ١١).

١ـ أما نحن فقد نلنا البنوة، وقد أكد على ذلك القديس كيرلس في شرحه لنص يو ١: ١٢ ـ ١٣، إذ يقول: ''أما الذين بالإيمان بالمسيح يَصلون إلى البنوة التي من الله، فإنهم يعتمدون ليس لِمَنْ هو مخلوق، وإنما يعتمدون للثالوث القدوس نفسه، وبواسطة الكلمة كوسيط، الذي اتحد بما هو إنساني أي بالجسد، وفي نفس الوقت واحد مع الآب بلاهوته، وهذا يجعلنا نرتفع من رتبة العبودية إلى النبوّة، وبالاشتراك الحقيقي في الابن، دُعينا إلى أن نرتفع إلى كرامة الابن، لذلك فنحن الذين أخذنا الولادة الجديدة بالروح القدس بالإيمان قد دُعينا أبناء لأننا وُلدِنا من الله''. شرح إنجيل يوحنا، المجلد الأول، الإصحاح الأول ص ١٣٠

ويمكن أيضاً أن يشير الدخان إلى الدموع –لأن دخول الدخان إلى الأعين يجعلها تدمع– التي تأتي بالضرورة من الشعور بالازدراء. ولو أراد أحدٌ أن يتعمق في تفسير هذه الأمور، فإنه يمكن اعتبار النار تشير إلى الاستفادة التي تتم عن طريق الناموس، لكن يصاحبها ضباب. لأن الناموس قاتم اللون وحروفه ذات ظلالٍ كثيفةٍ غير واضحة، قادرة على تشويش الرؤية أمام أعين الذهن.

لكن أصوات الأبواق تتعالى دائماً.

ففى البداية كان صوت الناموس يُسمع بصعوبة. غير أنه عندما أتى إلينا "الكلمة" ليهذِّبنا بالإنجيل بعدما نشر عمانوئيل ضياءه وبعدما صارت هذه الأصوات أكثر قوة؛ لأن المسيح جعل كلمة الإنجيل متألقةً[1] ومسموعةً من بعيد، فأصبحت الآن منتشرةً في كل المسكونة، فإننا نستطيع أن نسمعه هو بنفسه يقول لنا بفم داود: "اِسْمَعُوا هَذَا يَا جَمِيعَ الشُّعُوبِ. أَصْغُوا يَا جَمِيعَ سُكَّانِ الأَرضِ" (مز ٤٩: ١).

وعلى الرغم من أن صوت الناموس لم يكن يُسمع آنذاك في كل مكان، ولم تكن جميع الأمم تهتدي؛ إذ أنه كان يُسمع في اليهودية فقط، وتهذَّب به الشعب اليهودى فقط، لكن موسى كان "يتكلم"، وكان "الله يجيب بصوت" (خر ١٩:١٩).

كان موسى يطلب الناموس كخادمٍ وشارحٍ للوصايا الإلهية. والله كان يجيبه بصوته، أي بالابن. لأن الابن هو كلمة الآب، ومنه يأتي الناموس، حتى لو قيل بواسطة ملائكة. ويستطيع المرء أن يسمعه بوضوح عندما يقول: "أَنِّي أَنَا هُوَ الْمُتَكَلِّمُ. هَئَنَذَا" (إش ٥٢: ٦)، وأيضاً: "«لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ" (مت ٥: ١٧ – ١٨).

١- يقول القديس كيرلس: "يُظهِر الرسول بولس أن التعليم الإنجيلي هو أعظم، وأن العظمة تنشأ من اختلاف الأشخاص. هكذا بحسب الأزمنة القديمة، كُرز بالكلمة إلى الآباء بواسطة الأنبياء، بينما بحسب الأزمنة الأخيرة، بواسطة الابن تمت الكرازة بالكلمة. الابنُ أعظم من أولئك، لأن أولئك لم يتخطوا قياس قامة العبيد، إذ كانوا ينادون قائلين: "هذا ما يقوله الرب"، بينما الابن، إذ هو الرب، فإنه يقول: "قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّه قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ.... " (مت ٥: ٢٧)" الكنوز في الثالوث، المقالة الثانية والثلاثون، فقره ٦٩، ص ٤٧٠.



لقد دعا كلماته ناموساً؛ لأن صوت الله، أي الابن نطق بها كما قلت من قبل. وبعد ذلك يقول: "وَنَزَلَ الرَّبُّ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ وَدَعَا اللهُ مُوسَى إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ. فَصَعِدَ مُوسَى. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْحَدِرْ حَذِّرِ الشَّعْبَ لِئَلاَّ يَقْتَحِمُوا إِلَى الرَّبِّ لِيَنْظُرُوا فَيَسْقُطَ مِنْهُمْ كَثِيرُونَ. وَلْيَتَقَدَّسْ أَيْضاً الْكَهَنَةُ الَّذِينَ يَقْتَرِبُونَ إِلَى الرَّبِّ لِئَلاَّ يَبْطِشَ بِهِمِ الرَّبُّ»" (خر ١٩: ٢٠ - ٢٢).

لقد نزل الله، الذي هو فوق الكل، على الجبل وبعد ذلك دعا موسى وصعد إلى الجبل. لأنه ليس من الممكن أن تصعد إلى سمو الرؤية الإلهية الحقيقية إن لم ينزل الله ويجعل ذاته قريباً لأذهاننا ويدعونا للتو لنصعد إلى القمة المرتفعة والعالية، إلى معرفته الحقيقية، الأمر الذي أتمّه لنا المسيح كاشفاً لنا الله الآب. ومن المؤكد أن قمة الجبل[1] لم تُدَسْ من الجموع الكثيرة (لأن نعمة معرفة الأمور السامية ليست في متناول الكثيرين)، بل يقترب إليها فقط الذين يعرفون أن يسلكوا بهذه النعمة أو الذين دُعُوا لهذا بواسطة الله كما دُعِيَ موسى. إذن مَن هو صادقٌ وأمين في بيت الله، سيكون مثل موسى مع الله ومستحقاً للوجود بالقرب منه عن طريق النقاوة والمعرفة. لأننا سنكون معه عندما يقول لنا: "وَأَمَّا أَنْتَ فَقِفْ هُنَا مَعِي فَأُكَلِّمَكَ" (تث ٥: ٣١).

وهو يقول عن الذين يحملون حِمل الكهنوت: "لِئَلاَّ يَبْطِشَ بِهِمِ الرَّبُّ". إن طريق الكهنوت إن لم تصاحبه حياة النقاوة، ليس بمنأى عن الخطر أو

١ـ إن العلامة أوريجينوس عندما يفسر حدث التجلي يتحدث عن "أشكال" مختلفة للرب، فالشكل البشرى تماماً يراه أولئك القابعون أسفل الجبل. لكن هؤلاء الذين صعدوا مع المسيح على الجبل تمتعوا بلمعان ملابسه وبهاء وجهه. نفس الأمر يحدث مع تفسير الكتاب. فمَنْ يمكثون عند الحرف لا يستطيعون إطلاقاً الاقتراب مَنْ ألوهية المسيح. بينما مَنْ يعبرون مِن برقع الحرف يدخلون إلى جمال المجد الإلهي ويصنعون شركة ـ بالنعمة ـ مع الجمال السري للكتاب المقدس. ويشرح العلامة أوريجينوس هذه الحقيقة بأكثر وضوحاً في عظته الأولى على سفر اللاويين قائلاً: "وكما "في الأيام الأخيرة" (أع٢:١٧) فإن كلمة الله الذي تسربل بالجسد من مريم، قد جاء إلى هذا العالم. وما رؤي فيه كان شيء ما، وما فُهِمَ كان شيئاً آخراً. لأن منظر جسده كان متاحاً للكل أن يروه، لكن معرفة لاهوتة فقد أعطيت لقليلين... هكذا أيضاً حين جاءت كلمة الله إلى البشر بالأنبياء ومعطي الناموس (موسى)، فإنها لم تأت من دون أن تتسربل بشكل مناسب. لأنه مثلما كانت هناك مغطاه ببرقع الجسد أو حجابه (انظر ٢كو٣:١٤)، هكذا هنا أيضاً جاءت بحجاب المعني الروحي المخبأ داخله.. هذا هو ما نجده الآن. إذن ونحن ندخل في سفر اللاويين حيث الطقوس والذبائح والتقدمات المتنوعة وخدمات الكهنة التي تُوصف فيه، فإننا نسمع نحن المستحقون وغير المستحقون هذه الأمور بحسب الحرف، والذي هو، إن جاز القول، جسد كلمة الله، وكساء لاهوته ولكن "طوبى لتلك العيون" (لو ١٠:٢٣) التي ترى داخلياً الروح الإلهي المخفي في حجاب الحرف، ومبارك الذين يأتون بآذان نقية ليسمعوا هذه الأمور. وإلا سوف يدركون علانيةً "الحرف الذي يقتل" (٢كو ٣:٦) في تلك الكلمات". راجع:

The Father of the Church, Origen، Homilies on Gensis and Exodus, Translated by Gary Wayne Barkley, Volume 71, P.



بالحري هو طريق قريب جداً من الخطر، لأنه ينبغي على القائمين على خدمه الله كلى القداسة أن يكونوا قديسين.

ثم يقول بعد ذلك: ''اذْهَبِ انْحَدِرْ ثُمَّ اصْعَدْ أَنْتَ وَهَارُونُ مَعَكَ. وَأَمَّا الْكَهَنَةُ وَالشَّعْبُ فَلاَ يَقْتَحِمُوا لِيَصْعَدُوا إِلَى الرَّبِّ لِئَلاَّ يَبْطِشَ بِهِمْ'' (خر ١٩: ٢٤). صعد موسى إذن وبالطبع مع هارون الذي كان مثالاً للمسيح. لأن المسيح يكرم الناموس، وكقدوس هو بالقرب من الله ومع الله. سبق وأعلن الناموس عن رئيس كهنتنا ورسول اعترافنا المسيح بحسب الكتب (انظر عب ٣:٥ – ٦).

إذاً دعونا نربط الناموس بالمسيح بواسطة التفسير الروحي. بمعنى أن موسى سمع القول: ''اصْعَدْ أَنْتَ وَهَارُونُ مَعَكَ''، هكذا ما يجمعه الله (فى هذه الحالة موسى وهارون) لا يفرِّقه إنسان (مر ١٠:٩). فالناموس يشير إلى (موسى)، أمَّا هارون فيشير إلى الرؤية في المسيح. لأن موسى كان خادماً للظلال فقط، ولكنه لم يعاين الحق (النعمة) الذي رُمز إليه في الصور والظلال (الناموس)[1]. حسناً، قيل إنه صعد إلى الجبل مع الجنس الكهنوتي المقدس (هارون) لأن الله لم يسمح لهؤلاء الذين يتهذبون بالناموس ولا للذين يتممون عبادة الظلال أن يصعدوا إلى التعاليم السامية والعالية التي تشير إلى المسيح. هذا مسموحٌ به على الأغلب للذين تبرروا بالإيمان ودُعُوا من المسيح ليطيعوه ويعرفوه بمعرفةٍ أعظم من المعرفة القديمة. هذه المعرفة الفائقة التي للمسيح، أُعجب بها بولس العظيم، وهذا ما يؤكده المخلص نفسه لنا ولإخوته الإسرائيليين قائلاً بلا تحفظ: ''لأَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَأَمَّا لِأُولَئِكَ فَلَمْ يُعْطَ'' (مت ١٣:١١). وقال للتلاميذ عن اليهود: '' اُتْرُكُوهُمْ. هُمْ عُمْيَانٌ قَادَةُ عُمْيَانٍ'' (مت ١٥:١٤)، بينما قال

---

١ - يوضح القديس كيرلس في موضع آخر الفرق بين الناموس والنعمة، قائلاً: ''لقد أدان الناموس الخليقة، لأنه بالناموس أغلق الله على الكل تحت الخطية (غلاطية٣:٢٢) وأظهر أننا تحت العقاب، أما المخلّص فقد أعطى الحرِّية للإنسان '' لأنه لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ '' (انظر يو ١٢:٤٧). ومع أن الناموس أعطي نعمة معرفة الله للإنسان وجذبه من عبادة الأصنام التي أضلّت الإنسان، وبالإضافة إلى ذلك أشار إلى الشرِّ وعلم الخير، وإن كان بطريقة غير كاملة، لكنه كان كمعلّم نافع، أما النعمة والحق اللذان بالابن الوحيد، الذي لم يقدّم لنا الخيرات في رموز، ولا رسم الأمور النافعة في ظلال، بل بوصايا مجيدة ونقيّة، يقودنا بيده، لكي ننال معرفة كاملة للإيمان. كان الناموس يعطي '' رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضاً لِلْخَوْفِ'' أما المسيح فقد أعطي ''رُوحَ التَّبَنِّي'' للحرية (رومية ٨:١٥). كان الناموس يختن اللحم وهو لا شيء (لان ختان اللحم ليس شيئاً) كما يقول بولس (١كورنثوس ٧:١٩)، أما ربنا يسوع المسيح فهو مانح ''وَخِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ'' (رومية ٢:٢٩). الناموس يغسل الذي تدنّس بمياه، أما المخلّص فهو يعمّد بالروح القدس ونار (متى ٢:١١)، الناموس يأتي بخيمة كرمز للأشياء الحقيقية، أما المخلّص فيدخل إلى السماء نفسها (عب ٩:٢٤)، ويقدّمنا إلى المسكن الحقيقي الذي نصبه الربُّ لا إنسان (عب ٨:٢)'' شرح إنجيل يوحنا، المجلد الأول، ص ١٤٢.

أيضاً للذين عرفوه: ''طُوبَى لِعُيُونِكُمْ لأَنَّهَا تُبْصِرُ وَلِآذَانِكُمْ لأَنَّهَا تَسْمَعُ'' (مت ١٣:١٦). وعندما أنهى إله الجميع كلامه عن هذه الأمور، بدأ يُشرِّع ويحدد النواميس لكل الشعب. وقال الآتي: ''إِنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيَكُونَ لَكُمْ إِلَهاً'' (لا ١١:٤٥). لقد بدأ بداية حسنة لتشريعه، قائلاً إنه هو الرب الذي صنع المعجزات مع شعبه في مصر، وهو الذي أقام الخليقة كلها في وجه الطغاة، وهو الذي أسقط الأمطار والرعود، وغيَّر عناصر الطبيعة، وهو الذي قتل أبكار المصريين، وهو الذي أحاطهم بظلام لمدة ثلاثة أيام، وهو الذي وهب لمن يريد طريقاً في وسط الأمواج، وسحق الأعداء بدون عناء. لأنه كان يجب علي الذين كانوا تحت نير الوصية ألَّا يجهلوا مدى عظمة قوة واضع الناموس، وأنه من الخطر أن يصطدموا به؛ لأن لديه القوة أن يفعل كل شيء بسهولة.

بلاديوس: إنه أمرٌ صالح من جهة واضع الناموس أن يهتم بنا بطريقة تليق بالله. لأن الخوف ينشئ طاعةً ويجعل القاسى والعنيد كأنه طفل مطيع.

كيرلس: بالصواب تتكلم، فبعدما أمر الرب بعدم السجود لآلهة أخرى، وعدم صناعة أي صنم منحوت أو منقوش، وأن لا يتجرأ أحد وينسب صفة الإلوهية إلى المصنوعات والتماثيل، وبعدما فرض عقوبات شديدة، أخذ ينظم العلاقات البشرية لأنه يقول: ''لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِكَ بَاطِلاً لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً'' (خر ٢٠:٧)، وهو بذلك يكون قد وضع الناموس كقانون للسلوك الصحيح لحياة الجميع. فهو يخلصنا من كل خطية مشيراً قبل أي أمور أخرى إلى الوقت الذي سيظهر فيه بر يسوع المسيح، حيث يتم الخلاص الكامل والقضاء علي الشر، وإعادتنا إلى الجمال الأول وتجديد الحياة بفعل قداسة الله ومحبته.

مفهوم شريعة يوم السبت

ويقول: ''اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ. وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ. لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ

وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذَلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِتَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ. لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ" (خر ٢٠:٨ - ١٦).

بلاديوس: وماذا يعني هذا؟ لأني لا أفهم بوضوح ماذا يقصد، وبأي طريقة نستطيع أن نقدس يوم الرب؟

كيرلس: أتريد أن نقول بعض الأمور عن يوم السبت والراحة التي هي مكرَّمة في هذا اليوم؟ لأنه هكذا سيتضح بالأفضل كل ما شرَّعه الله.

بلاديوس: أريد جداً أن أسمع منك عن هذا الأمر.

كيرلس: يا بلاديوس، السبت الذي هو اليوم الأخير، يمكن أن يشير إلى وقت قدوم المخلِّص علي الأرض في أواخر الأيام، وتقريباً في نهاية الزمان الحاضر، وصار لنا بدايةً وباباً وطريقاً لمحو الخطيئة، حتى أنه أعطانا الحرية والغفران وعدم الفساد والحياة والرجاء في الأمور العتيدة. وبطرقٍ كثيرةٍ يشير الإيمان بالكتب المقدسة إلى مفهوم السبت حسب المسيح. فمرةً يشير إليه مشدِّداً علي الراحة بالمسيح من الخطايا ومحدِّداً عقاباً شديداً وقاسياً للمخالفة، ومرةً أخرى أيضاً يعلن الفداء والغفران بالمسيح وما نناله في الحياة الآتية.

بلاديوس: أخبرني ماذا تعني بهذا؟ لأني سأكون مسروراً جداً لسماع هذا الأمر.

كيرلس: نحن نحتفل بالسبت يا بلاديوس بطريقة روحية[1] بالإيمان بالمسيح، اذ نستريح من الانشغال بهذا العالم ونتوقف عن التجول بلا هدف ونترفع عن الدناءة ونتجنب نير الخطية، ثم أخيراً نصعد إلى القداسة الاختبارية. لذلك يكتب بولس العظيم إلى الذين لهم إيمان تام: "وَمَنْ مَقَتَ أَرْبَعِينَ سَنَةً؟ أَلَيْسَ الَّذِينَ أَخْطَأُوا، الَّذِينَ جُثَثُهُمْ سَقَطَتْ فِي الْقَفْرِ؟ وَلِمَنْ أَقْسَمَ لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتَهُ، إِلاَّ لِلَّذِينَ لَمْ يُطِيعُوا؟ فَنَرَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا لِعَدَمِ الإِيمَانِ. فَلْنَخَفْ، أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعْدٍ بِالدُّخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ، يُرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ!" (عب ٣:١٧ - ١٩،

١- تعبير السبت الروحي ذكره القديس كيرلس في سياق شرحه لأمر الله بأن لا يُجمع المَنْ يو السبت، إذ يقول: "إذن المنَّ الذي جُمِع من قبل لأجلنا بالناموس ليس عليه أي إدانة حتى عندما يُحفَّظ بحسب السبت الروحي. لأننا ننشغل بتعاليم الظلال التي أعطيت بواسطة موسى نحن الذين نحفظ السبت في اسم المسيح، مفتشين عن الحق في هذه الظلال. إنه يصف باللعنة والإدانة مسألة جمع المنَّ يوم السبت. أيضاً نحن نحفظ السبت روحياً في اسم المسيح ولا نجمع بعد تلك التي أعطيت بأمثلة وظلال. لأننا لم نختتن جسدياً ولا نقدم ذبائح من البقر والخرفان وبالحري نرفض الجزء المادي للنماذج والأمثلة والظلال طالما لدينا الحق ذاته، أي المسيح" جيلافيرا الخروج، الكتاب الشهري، مايو ٢٠١٠.

٤ : ١). ولهذا يكتب بولس المطوب إلى كل من لديهم الإيمان الكامل قائلاً: ”إِذاً بَقِيَتْ رَاحَةٌ لِشَعْبِ اللهِ! لأَنَّ الَّذِي دَخَلَ رَاحَتَهُ اسْتَرَاحَ هُوَ أَيْضاً مِنْ أَعْمَالِهِ، كَمَا اللهُ مِنْ أَعْمَالِهِ“ (عب ٤ : ٩ – ١٠).

وكيف لا يكون هذا هو الحق؟ فلو كان حفظ السبت معناه التمسك بعدم القيام بعمل فيه، فكيف إذاً لم يقدر الإسرائيليون أن يدخلوا إلى موضع الراحة رغم أنهم تمسَّكوا بعدم العمل في يوم السبت[1]؟ إن الأمر كان يشير مسبقاً إلى الراحة بالمسيح، وأن المرء سيتبرر بالإيمان عندما يتوقف عن فعل الخطيئة.

لذلك أَمَرَ الله بأن يموت بالرجم كل من يجمع الخشب يوم السبت (انظر عدد ١٥ : ٣٢)، بينما العقاب على هذا الأمر هو صورة مسبقة لأمرٍ ذهني وحتميٍ. أليس النبات الذي ذبُل من الجذر، وصار ناشفاً يابساً مثل الخشب يرمز إلى الموت ويمكن أن يكون غذاءً للنار؟

بلاديوس: هذا حق.

كيرلس: هكذا هي الخطية الشنيعة، فهي مميتةٌ وكمثلِ وقودِ نارٍ مهلِكَةٍ لأولئك الذين يحبونها. إذاً، أثناء وقت الراحة، أقصد التوقف عن فعل الخطايا نرى البعض يعملون أعمالاً ميتةً وعقيمةً ويفضِّلون هذه الأعمال على الفضيلة، فهذه الأعمال هي التي سوف تشعل اللهيب الأبدي والعقوبات الأبدية. حسناً، سيقضى عليهم بحكم الموت، لأنه بينما هو غير مسموح لهم أن يحيوا برخاوةٍ، إلَّا أنهم يسيرون بإرادتهمَ إلى العقاب الحتمي. إذن نحن الذين نؤمن، ندخل إلى الراحة حسب كلام بولس الطوباوي (انظر عب ٤ : ٣). لكن بحسب كلام إرميا، فإن الله يدين أولئك الذين أخطأوا ولم يمتثلوا للحق الإلهي، قائلاً: ”اذْهَبْ وَقِفْ فِي بَابِ بَنِي الشَّعْبِ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ مُلُوكُ

١ـ يقول القديس كيرلس بالتفصيل في شرحه لإنجيل يوحنا: ”يقول المسيح لهم:“أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ“. لأنه أراد تماماً أن يشير إلى هذا الأمر، إن كنت تعتقد أيها الإنسان أن الله قد خلق كل الأشياء وضبطها بأمره ومشيئته ويأمر الخليقة يوم السبت أيضاً، إذ تشرق الشمس، وتتفجر الينابيع فتمطر السماء، وتعطي الأرض ثمرها، فلا تأبى الإثمار بسبب السبت وتؤدي النيران دورها، وتخدم احتياجات الإنسان بلا مانع، معترفة ومقدّرة أن الآب يعمل أعماله الإلهية في يوم السبت أيضاً. لهذا يقول لهم لماذا إذاً ودونما تَأدُب تتهمون الذي لا يزال الله الآب يعمل به كل الأشياء؟ لأن الله الآب لا يعمل بطريق آخر سوى بواسطة قوتّه وحكمته أي الابن. لهذا يقول ”وأنا أعمل“ فهو إذاً يخزي مجادلاتهم السخيفة الصادرة عن عقل مضطهديه الطائش، موضحاً أنهم لا يعارضونه هو نفسه هكذا بشدة، بل بالأحرى يتكلمون ضد الآب، الذي كانوا يغارون له وحده. بأن ينسبوا له كرامة الناموس، إذ لم يكونوا بعد يعرفون الابنٍ الذي منه وبه بالطبيعة. لهذا السبب هو يدعو الله بشكل خاص أباه الذاتي، ليقودهم إلى هذا الدرس السامي والعظيم جداً بمهارة فائقة“. شرح إنجيل يوحنا، المجلد الأول، الإصحاح الخامس ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

يَهُوذَا وَيَخْرُجُونَ مِنْهُ وَفِي كُلِّ أَبْوَابِ أُورُشَلِيمَ. وَقُلْ لَهُمْ: اسْمَعُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ يَا مُلُوكَ يَهُوذَا وَكُلَّ يَهُوذَا وَكُلَّ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ الدَّاخِلِينَ مِنْ هَذِهِ الأَبْوَابِ. هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: تَحَفَّظُوا بِأَنْفُسِكُمْ وَلاَ تَحْمِلُوا حِمْلاً يَوْمَ السَّبْتِ وَلاَ تُدْخِلُوهُ فِي أَبْوَابِ أُورُشَلِيمَ. وَلاَ تُخْرِجُوا حِمْلاً مِنْ بُيُوتِكُمْ يَوْمَ السَّبْتِ وَلاَ تَعْمَلُوا شُغْلاً مَا بَلْ قَدِّسُوا يَوْمَ السَّبْتِ كَمَا أَمَرْتُ آبَاءَكُمْ. فَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُمِيلُوا أُذُنَهُمْ بَلْ قَسُّوا أَعْنَاقَهُمْ لِئَلاَّ يَسْمَعُوا وَلِئَلاَّ يَقْبَلُوا تَأْدِيباً" (إر ١٧: ١٩ - ٢٣). لم يأمر إذاً بأن يتوقف أي عمل يوم السبت فقط، بل أقر بألَّا تُنقل الأشياء ولا تخرج من أبواب أورشليم.

بلاديوس: وما هو مفهوم كل هذه الأمور؟

كيرلس: هذا الأمر عقليٌ وروحيٌ، وأبعد من الصور والرموز وأسمى جداً من الظلال القديمة. لأنه أَمَرَ كل الذين يُعيِّدون بالسبت بحسب المسيح بأن يستمروا في الراحة من كل عمل يؤدي إلى الدناءة وألَّا يحملوا شيئاً علي أكتافهم لأن الذين تحرروا بالحقيقة مرةً واحدةً بالإيمان من ثقل الخطيئة، كيف لا يكون منتهى الغباء أن يُجبَروا على حمل أشياءٍ مرةً أخرى، وأن يقعوا ثانيةً بإرادتهم تحت أثقال الدناءة؟ إن البقاء داخل أبواب أورشليم يشير إلى أنه يجب علينا ألَّا نبتعد عن المدينة المقدسة ولا نخرج خارجاً ونسقط هكذا في خطيةٍ بانحرافنا إلى شيء آخر. والمدينة المقدسة نقصد بها بالطبع الكنيسة. إن بعض المتألقين بإيمانهم بالمسيح كلما ألقوا عن كاهلهم الخطية ودخلوا إلى الأبواب المقدسة لمسكن الله، ولكنهم انقادوا بعد ذلك إلى العصيان، حتى ولو لم يُظهروا ذلك، فطالما قفزوا خارج الباب المقدس، عندئذ يكونون قد كرموا العادات والتقاليد الوثنية. لقد شرَّع الله بأنه يجب علي الذين يُعيِّدون السبت ذهنياً أن يجلسوا داخل الأبواب قاصداً بهذا المثال الواضح والثابت، أن يرفضوا تماماً الانحراف عن الإيمان الأصيل بالمسيح. وبكل تأكيد قصد أن الكنيسة هي مدينة الله، إذ كرز بها داود قائلاً: "قَدْ قِيلَ بِكِ أَمْجَادٌ يَا مَدِينَةَ اللهِ" (مز ٨٧: ٣)، أيضاً يخبرنا عنها المخلص نفسه، قائلاً عنها: "لأَنَّ الرَّبَّ قَدِ اخْتَارَ صِهْيَوْنَ. اشْتَهَاهَا مَسْكَناً لَهُ" (مز ١٣٢: ١٣).

بلاديوس: بناءً على ذلك، سوف نتوقف عن أي عمل يوم السبت وفق قرار المشرّع.

كيرلس: ليس كل عملٍ بشكل مطلق يا بلاديوس؛ لأنه ينبغي فعل الأمور التي تُفرّح

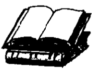


الله، وهذه الأمور تجلب فائدةً ليست بقليلة، ولا يجب أن نوقفها طالما إن الكتاب المقدس أضاف إضافةً لا أعتقد أنها بلا هدف، إذ أخبرنا أنه ينبغي أن نُقدِّس يوم السبت لأنه قال: "أُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ" (خر ٢٠: ٨)، وهذا الأمر واضح جداً. فعلى الرغم من أنه يوم السبت، إلَّا أن الكهنة يخالفونه وهم أبرياء، ويؤدون واجباتهم المقدسة ويقدمون الحيوانات المذبوحة، ويفعلون كل شيء بلا عائق لأجل مجد الله. هذا هو بالضبط الذي يندرج في إطار الشكليات اليهودية، والذي خالفه السيد المسيح عندما اتهموه بمخالفة السبت؛ لأنه شفى المشلول يوم السبت (انظر مت ١٢: ٥، ١٢).

بلاديوس: أتذكَّرُ هذا.

كيرلس: ختانُ إنسانٍ ما يمكن أن يتم يوم السبت بحسب كلام المخلص دون أن يوبخه الناموس. لأن المثال يؤكد بوضوح أن الختان الروحي في اليوم الثامن، أي يوم القيامة يتمشى مع الذين يحتفلون بالسبت حسب المسيح. بمعنى أنه يتناسب مع الذين يتوقفون عن فعل الخطية ويتقدسون بالإيمان، لأنه هكذا صارت قيامة المسيح. ولأنه قام ثانيةً، إذ أبطل مملكة الموت، وأعطى للتو الذين يعرفونه ختم الروح القدس، وهذا هو الختان الحقيقي. لأنه نفخ فيهم وقال: "خذوا الروح القدس" (يو ٢٠: ٢٢). ألم يقل بولس إن الختان القلبي يجب أن يتم هكذا؟ لأنه نادى بأنه يجب أن يختتن المؤمنون بختانٍ ليس مصنوعاً بيد، أي ختاناً روحياً (انظر كو ٢: ١١)[1]، وسوف أضيف أنه علينا أن نحتفل بالسبت روحياً، ولا نتوقف إطلاقاً عن كل ما يُتمِّم -بشجاعة روحية- لكي نسحق الأعداء وننتصر بقوة المسيح علي أولئك الذين يقاوموننا، وسوف

١ـ يميز القديس كيرلس -أثناء حديثه عن هاجر وسارة- بين الختان الجسدي والختان الروحي، إذ يقول: "يجب أن نتذكر أن بولس الرسول حدَّد هاجر وسارة على أنهما عهدان، واحدة فى رتبة العبودية وتتماثل مع أورشليم الحاضرة، بينما الأخرى فى رتبة الأحرار أى سارة. وعندما يأتى المسيح سوف يشرق زمن الختان الروحى، وهذا ما علِمه إبراهيم الطوباوي بطريقة واضحة. إذ شرَّع الله أنه ينبغى أن يتم الختان بأمثلة جسدية تكشف المعنى الروحى فى نفس الوقت. لأنه يقول: " يُختتن منكم كل ذكر" (تك١٧: ١٠). وحدَّد عقاباً للتراخى فى هذا الأمر، إلَّا وهو الهلاك والضياع. إذ قال إن الذكر غير المختون والذى لا يُختتن فى اليوم الثامن يُقطع من شعبه لأنه نكث عهدى (انظر تك١٧: ١٤). هل رأيت كيف أن ختان الجسد يشير إلى الختان الروحى والحقيقى بطريقة ما؟ إذ يتم هذا الختان فى اليوم الثامن الذى فيه قام المسيح من الأموات، وبالفعل كان هذا هو الوقت الذى فيه يصيرون شركاء الروح القدس وينالون الختان به، الختان الذى لا يجلب الألم للجسد بل يطهر الروح، ويخلصهم ليس من الأدناس الجسدية بل من الضعفات النفسية" جيلافيرا على سفر التكوين، المقالة الثالثة، الكتاب الشهري، أبريل ٢٠٠٤.



أذكر لكم مثالاً في هذا الأمر، وهو يشوع بن نون الذي استولى هو والإسرائيليون علي مدينة أريحا في اليوم السابع، أي السبت.

بلاديوس: إذن، السبت يعني بالنسبة لنا أن نكُف عن فعل الدناءة والخطية -إذا أردنا أن نقول الحق- وهذا الأمر نجد ظلاله مكتوبةً في الأمثلة أو في رموز العهد القديم.

كيرلس: هذا ما أقوله. لكن يمكن أن يظهر لنا سر المسيح بوضوح جداً، وذلك بطريقة أخرى.

بلاديوس: بأية طريقة؟

شريعة السنة السابعة

كيرلس: يقول الناموس أيضاً: ''إِذَا اشْتَرَيْتَ عَبْداً عِبرَانِيّاً فَسِتَّ سِنِينَ يَخْدِمُ وَفِي السَّابِعَةِ يَخْرُجُ حُرّاً مَجَّاناً'' (خر ٢١:٢). وهذا بالتأكيد في سفر الخروج، لكن في سفر التثنية أيضاً يقول الآتي: ''إِذَا بِيعَ لكَ أَخُوكَ العِبرَانِيُّ أَوْ أُخْتُكَ العِبرَانِيَّةُ وَخَدَمَكَ سِتَّ سِنِينَ فَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ تُطْلِقُهُ حُرّاً مِنْ عِنْدِكَ. وَحِينَ تُطْلِقُهُ حُرّاً مِنْ عِنْدِكَ لا تُطْلِقْهُ فَارِغاً. تُزَوِّدُهُ مِنْ غَنَمِكَ وَمِنْ بَيْدَرِكَ وَمِنْ مَعْصَرَتِكَ. كَمَا بَارَكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ تُعْطِيهِ'' (تث ١٥:١٢ - ١٤). أي أن الإسرائيليين قد استُعبِدوا تحت عقاب الناموس مثقلين بروح العبودية قبل مجيء المخلص. لكن عندما أشرق عمانوئيل في أواخر الدهور (والسبت يشير إلى أواخر الدهور)، عندئذ طرح روح العبودية ودعاهم إلى الحرية وإلى مجد التبني من فرط إحسانه ومحبته دون أن يدفع المؤمنون شيئاً مطلقاً إلى السيد كفدية. لأنهم لم يتبرروا[1] بواسطة الأعمال التي حددها الناموس، لكن بالإيمان حسب الكتاب المقدس. وهذا ما يعنيه بقوله: ''يَخْرُج حُراً مجاناً'' (خر ٢١:٢). أيضاً يقول: ''وَحِينَ

١- يدعو القديس كيرلس الأمم للفرح بخلاص الرب وهو يشرح نص لقاء المرأة الخاطئة بالمسيح الوارد في لو ٧: ٣٦ - ٥٠ موضحاً الفرق بين بر الناموس والبر بالمسيح، إذ يقول: ''يا جميع الأمم صفقوا بأيديكم، اهتفوا لله بصوت الابتهاج والشكر'' (مز ٤٧: ١س). وما هو سبب هذا الابتهاج؟ إنه بسبب أن المخلص هنا أنشأ لنا طريقاً للخلاص لم يَسِرِ فيه الذين في القديم. لأن الناموس الذي وضعه موسى الحكيم كان لتوبيخ الخطية لإدانة التعديات، ولكنه لم يبرر مطلقاً أي أحد. لأن بولس الحكيم يكتب ويقول '' مَن خالف ناموس موسى فعلى فم شاهدين أو ثلاث شهود يموت بدون رأفة'' (عب ١٠: ٢٨). أما ربنا يسوع المسيح فإذ قد أبطل لعنة الناموس وجعل الوصية التي تدين بلا قوة وغير فعَّالة، ''صار رئيس كهنتنا الرحيم'' بحسب كلمات بولس المبارك (عب ٢: ١٧)، لأنه يبرِّر الخطاة بالإيمان، ويطلق المأسورين بالخطية أحراراً''. تفسير إنجيل لوقا، المرجع السابق، عظة ٤٠، ص ١٨١.



تُطْلِقُهُ حُرّاً مِنْ عِنْدِكَ لا تُطْلِقْهُ فَارِغاً. تُزَوِّدُهُ مِنْ غَنَمِكَ وَمِنْ بَيْدَرِكَ وَمِنْ مَعْصَرَتِكَ. كَمَا بَارَكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ تُعْطِيهِ" (تث ١٥: ١٣ - ١٤). أرأيت كم تتلألأ قوة السيد المسيح بوضوح في هذه الأمور؟ إذاً نحن لم نكن مشاركين لإحسان الله الفائق بأعمال البر التي فعلناها، لكن، كما هو مكتوب، حسب رحمته الجزيلة علينا، أطلقنا أحراراً، بمعنى أنه حررنا من الخطايا، وطالما أنه زيَّننا بمواهب التبني، أغدق علينا بالمؤن الحسنة أي ذاته، كذبيحٍ كاملٍ وحملٍ أُقتيد إلى الذبح لأجلنا، ومنحنا إمكانية أن نشترك في البركة المحيية[1] التي هي التناول من جسده المقدس ودمه المقدس. وهذا ما أراد أن يشير إليه بالمؤن من خراف وقمح وخمر ونبيذ لأولئك الذين في اليوم السابع، أي في السبت الروحي، وقد دُعُوا إلى الحرية بسبب إحسان السيد، وهذا هو بالطبع الناموس. لكن بسبب أن الخمول استولى علي اليهود ولم يريدوا أن يحفظوا الوصايا، اتهمهم الله بأنهم فعلوا هذا العصيان بإرادتهم. لأنه مكتوب: "فَصَارَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَى إِرْمِيَا: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: أَنَا قَطَعْتُ عَهْداًمَعَ آبَائِكُمْ يَوْمَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعَبِيدِ قَائِلاً: فِي نِهَايَةِ سَبْعِ سِنِينَ تُطْلِقُونَ كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ الْعِبْرَانِيَّ الَّذِي بِيعَ لَكَ وَخَدَمَكَ سِتَّ سِنِينَ فَتُطْلِقُهُ حُرّاً مِنْ عِنْدِكَ. وَلكِنْ لَمْ يَسْمَعْ آبَاؤُكُمْ لِي وَلاَ أَمَالُوا أُذُنَهُمْ. وَقَدْ رَجَعْتُمْ أَنْتُمُ الْيَوْمَ وَفَعَلْتُمْ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي عَيْنَيَّ مُنَادِينَ بِالْعِتْقِ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى صَاحِبِهِ وَقَطَعْتُمْ عَهْداً أَمَامِي فِي الْبَيْتِ الَّذِي دُعِيَ بِاسْمِي. ثُمَّ عُدْتُمْ وَدَنَّسْتُمُ اسْمِي وَأَرْجَعْتُمْ كُلُّ وَاحِدٍ عَبْدَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ أَمَتَهُ الَّذِينَ أَطْلَقْتُمُوهُم أَحْرَاراً لأَنْفُسِهِمْ وَأَخْضَعْتُمُوهُمْ لِيَكُونُوا لَكُمْ عَبِيداً وَإِمَاءً" (إر ٣٤: ١٢ - ١٦). أرأيت كيف أن الأمثلة والنماذج لا تقبل التناقض، أو بالأحرى إن الحقيقة نفسها لا تُلام بسبب أنها توجد أيضاً في الظلال التي ترمز إليها؟ لأنه وفق المكتوب: "لأَنَّ هِبَاتِ اللهِ وَدَعْوَتَهُ هِيَ بِلاَ نَدَامَةٍ" (رو

١- يقصد الآباء بتعبير "البركة المحيية" جسد المسيح ودمه في الإفخارستيا، ويوضح لنا القديس كيرلس طريقتين للإتحاد بالمسيح: عن طريق حلول الروح القدس فينا، وأيضاً عن طريق التناول من البركة المحيية أي جسد المسيح ودمه الأقدسين، إذ يقول: "إنه أمر يملأنا بكل بركة أن نصير شركاء المسيح بالذهن وبالحواس معاً، لأنه يحل فينا، أولاً، بالروح القدس، فنصير نحن مسكنه، بحسب ما قاله في القديم أحد الأنبياء القديسين: "لأني سأسكن فيهم وأقودهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً" (حز ٣٧: ٢٧س). لكنه هو أيضاً يحلُّ داخلنا بطريقة أخرى بواسطة مشاركتنا في قربان التقدمات غير الدموية التي نحتفل بها في الكنائس؛ إذ قد تسلمنا منه النموذج الخلاصي للطقس مثلما يرينا بوضوح الإنجيلي المبارك في النص الذي قرأناه منذ قليل، فهو يخبرنا أنه: "تناول كأساً وشكر وقال: خذوا هذه اقتسموها بينكم". وبتقديمه الشكر الذي يُقصد به التحدث مع الله الآب في صيغة صلاة، فإنه يعنى بالنسبة لنا أنه -إن جاز القول- يشارك ويساهم مع الآب في مسرته الصالحة في منحه لنا البركة المحيية التي أسبغت علينا حينئذ، لأن كل نعمة وكل موهبة تامة تأتى إلينا من الآب بالابن في الروح القدس" شرح إنجيل لوقا، ص٦٨٩.



٢٩:١١). لكن اليهود، إذ طرحوا نير العبودية على أولئك الذين سبق أن حرروهم، فقد اعتُبِروا أنهم لم يحفظوا العهد الثابت، لذلك اصطدموا مع قوة السر واستهانوا به بينما هو لا يزال موجوداً في الأمثلة أو الرموز.

بلاديوس: بالصواب تتحدث.

كيرلس: وقد خلُصنا مجاناً بنعمة الله بدون أن نعطي أي مقابل لحياتنا واشترينا مجد الحرية، لكننا نلنا البر بسبب إحسان السيد ومحبته[1]، وهذا ما عبَّر عنه في سفر التثنية قائلاً: ''فِي آخِرِ سَبْعِ سِنِينَ تَعْمَلُ إِبْرَاءً. وَهَذَا هُوَ حُكْمُ الإِبْرَاءِ: يُبْرِئُ كُلُّ صَاحِبِ دَيْنٍ يَدَهُ مِمَّا أَقْرَضَ صَاحِبَهُ. لا يُطَالِبُ صَاحِبَهُ وَلا أَخَاهُ لأَنَّهُ قَدْ نُودِيَ بِإِبْرَاءٍ لِلرَّبِّ. الأَجْنَبِيَّ تُطَالِبُ وَأَمَّا مَا كَانَ لكَ عِنْدَ أَخِيكَ فَتُبْرِئُهُ يَدُكَ مِنْهُ. إلا إِنْ لمْ يَكُنْ فِيكَ فَقِيرٌ. لأَنَّ الرَّبَّ إِنَّمَا يُبَارِكُكَ فِي الأَرْضِ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيباً لِتَمْتَلِكَهَا'' (تث ١٥: ١ – ٤). هل رأيت كيف تشرق الحقيقة من داخل الظلال؟ وبوضوح تام سوف يظهر تدبير المخلص لأجلنا؛ بمعنى أنه حرّر الذين اقتربوا إليه من ديونهم بواسطة الإيمان، وصاروا إخوةً بمشاركة الروح القدس. ولكي يصيروا شركاء الطبيعة الإلهية (أنظر ٢ بط ١: ٤)، حرَّرَهم دون أن يدفعوا شيئاً. حقاً لم يفرض عليهم عقاباً بسبب عصيانهم مع أنهم مديونون بإعطاء جواب عن أعمالهم. ومن ناحية أخرى فأولئك الذين ما زالوا غرباء مذنبين مدانين بسبب عدم إيمانهم وبسبب أنهم أبعد من أن يكونوا ضمن خاصته ولأنهم لم يغتسلوا بعد من الخطيئة؛ فبعدلٍ جعلهم مذنبين ومستحقين للإدانة والعقاب. فقد قال لهؤلاء الذين آمنوا: ''إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تلاَمِيذِي. وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ'' (يو ٨: ٣١ – ٣٢)، لكنه يقول لكل الذين يحتقرون التعليم الحقيقى والإنجيلي: ''إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي أَنَا هُوَ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ'' (يو ٨:٢٤). أرأيت إذن أن القريبين له من جهة الإيمان يَعِدهم بأنه سوف يحررهم، بينما أولئك الذين هم غرباء وأجنبين، سوف يدفعون للدَّيان ثمن خطاياهم طالما ماتوا وهم في خطاياهم؟

بلاديوس: هذا حق.

[1] - دائماً إجابة الآباء عن سبب خلاصِ الله وتبريره لنا هو صلاح الله وإحسانه ومحبته، إذ يقول القديس أثناسيوس الرسولي: ''فلأجل قضيتنا تجسد لكي يخلّصنا، وبسبب محبته للبشر قبِلَ أن يتأنس ويظهر في جسد بشري'' تجسد الكلمة، الفصل الرابع، فقرة ٣، الطبعة السابعة، ص ١٠.

إلامَ تشير راحة السبت؟

كيرلس: راحة السبت تمنحُ -بطرقٍ حسنة- المتع المقدسة اللائقة بالدهر العتيد، والاشتراك في الخيرات السماوية.

بلاديوس: أريد أن أسمع كيف يكون ذلك؟ أخبرني.

كيرلس: حسناً، لقد سبَّح داود العظيم الله كلي القدرة قائلاً: ''وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ مَنّاً لِلأَكْلِ وَبُرَّ السَّمَاءِ أَعْطَاهُمْ. أَكَلَ الإِنْسَانُ خُبْزَ الْمَلاَئِكَةِ'' (مز ٧٨: ٢٤ - ٢٥). إن المنّ غذاءُ السماء والملائكة، وقد فتح داود النبي ذهننا علي شيءٍ أبعد من المحسوسات والمنظورات؛ لكي نرى العطية الروحية والإلهية التي يضعها الله في نفوس القديسين، والخبز الذي يغذّي الملائكة ويُحيي البشر جاعلاً الكلمة، أي اللوغوس يسكن في نفوس المؤمنين. لأن المسيح يسكن في قلوبنا بقوة الروح القدس ونتغذّى بالخبز الحي والسماوي[1]؛ لكي يكون لدينا عافيةً وقوةً روحية. المنُّ يُعدُّ مثالاً واضحاً وغيرُ مشكوكٍ فيه على هذا الأمر. لقد أمر الناموس أن يجمعه الإسرائيليون بدون أن يتجاوزوا الكمية التي تكفيهم؛ لأن الكتاب يقول: ''فَكَانَ فِي الْمَسَاءِ أَنَّ السَّلْوَى صَعِدَتْ وَغَطَّتِ الْمَحَلَّةَ. وَفِي الصَّبَاحِ كَانَ سَقِيطُ النَّدَى حَوَالَيِ الْمَحَلَّةِ. وَلَمَّا ارْتَفَعَ سَقِيطُ النَّدَى إِذَا عَلَى وَجْهِ الْبَرِّيَّةِ شَيْءٌ دَقِيقٌ مِثْلُ قُشُورٍ. دَقِيقٌ كَالْجَلِيدِ عَلَى الأَرْضِ. فَلَمَّا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ قَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَنْ هُوَ؟» لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مَا هُوَ. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي أَعْطَاكُمُ الرَّبُّ لِتَأْكُلُوا. هَذَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ. الْتَقِطُوا مِنْهُ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أَكْلِهِ. عُمِراً لِلرَّأْسِ عَلَى عَدَدِ نُفُوسِكُمْ تَأْخُذُونَ كُلُّ وَاحِدٍ لِلَّذِينَ فِي خَيْمَتِهِ'' (خر ١٦: ١٣ - ١٦)، وبعد ذلك يقول: ''ثُمَّ كَانَ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ أَنَّهُمُ الْتَقَطُوا خُبْزاً مُضَاعَفاً عُمِرَيْنِ لِلْوَاحِدِ. فَجَاءَ كُلُّ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ وَأَخْبَرُوا مُوسَى. فَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا مَا قَالَ الرَّبُّ. غَداً عُطْلَةٌ سَبْتٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ. اخْبِزُوا مَا تَخْبِزُونَ وَاطْبُخُوا مَا تَطْبُخُونَ. وَكُلُّ مَا فَضَلَ ضَعُوهُ عِنْدَكُمْ لِيُحْفَظَ إِلَى الْغَدِ'' (خر ١٦: ٢٢ - ٢٣). بجانب كل هذا يوضح

١ـ يؤكد القديس كيرلس في نفس السياق على أن المسيح هو المن الحقيقي، قائلاً: ''وكون أن ذاك المنَّ المادي المحسوس كان صورة رمزية مسبقة، بينما المسيح ذاته هو المنَّ الحقيقي، فإنه يخبرنا بهذا الأمر قائلاً لليهود: ''هذَا هُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ، لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهُ الإِنْسَانُ وَلاَ يَمُوتَ. أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ'' (يو٦: ٥٠ - ٥١). لأن ربنا يسوع المسيح يُطعمنا لكي نحيا حياة أبدية بنصائحه بخصوص التقوى وبالبركة السرائرية (الافخارستيا). إذن هذا هو المنَّ وبواسطته يُمنح حقاً المنَّ الإلهي والمحيّي، وكل مَنْ يأكله ينتصر على الفساد وينجو من الموت، وليس أولئك الذين أكلوا المنَّ المحسوس المادي. لأن المنَّ لم يكن يخلص. بل هو يشير إلى المنَّ الحقيقي'' جيلافيرا على الخروج، الكتاب الشهري، مايو ٢٠٠٥.



موسى لهؤلاء الناموس الإلهي مضيفاً علي الفور: ''كُلُوهُ الْيَوْمَ لأَنَّ لِلرَّبِّ الْيَوْمَ سَبْتاً. الْيَوْمَ لاَ تَجِدُونَهُ فِي الْحَقْلِ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَلْتَقِطُونَهُ وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ. لاَ يُوجَدُ فِيهِ». وَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ أَنَّ بَعْضَ الشَّعْبِ خَرَجُوا لِيَلْتَقِطُوا فَلَمْ يَجِدُوا'' (خر ١٦: ٢٥ - ٢٧). بالتالي يا بلاديوس، بعد كل هذا، أليس واضحاً أنهم لن يفعلوا شيئاً يوم السبت، وأن هذا يمثل صورةً واضحةً ومسبقةً للحياة في الدهر الآتي، ولأنهم جمعوا ما قد جَنَوه، لذلك لن يُعطى لهم هذا المنُّ من السماء؛ لأنهم سوف يتغذون بما جمعوه بالفعل؟ وهو ما يعني أننا سوف نحتفل بتحررنا التام من الخطية، وسوف نستمتع بالخيرات السماوية، دون ألمٍ يزعجنا، ودون تعبٍ ومشقةٍ؛ إذ نجد بوفرة كل ما هو لخيرنا.

بلاديوس: كلامُكَ حقٌ؛ لأن حياة القديسين ستكون هي الحياة التي سيكون فيها كل شيءٍ مُعدّاً لهم، وستكون الخيرات في متناول أيديهم. وليتنا نقول نحن أنفسنا لكل قديس: ''لأَنَّكَ تَأْكُلُ تَعَبَ يَدَيْكَ. طُوبَاكَ وَخَيْرٌ لَكَ'' (مز ١٢٨: ٢).

كيرلس: إذن، ونحن نسرع إلى هدفنا، فلنرجع إلى حديثنا ونقول: يقودنا الناموس بقوة وبصلاة عقلية إلى الإله الواحد الحقيقي، ولا يتركنا نجهل الكلمة الأزلي المولود منه. لأنه قد أعطى لنا من قِبَل الوصية وأعلِنَ لنا أن: ''تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ'' (تث ٦: ٥)، وأيضاً: ''الرَّبَّ هُوَ الإِلهُ. لَيسَ آخَرَ سِوَاهُ'' (تث ٤: ٣٥)، وقد ربط سر المسيح بكل هذا ربطاً مباشراً مضيفاً: ''اِحْفَظْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ كَمَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ'' (تث ٥: ١٢)، لأنه هو الطريق، وهو الصالح، والمبدع الأعظم، والذي يغدق بالخير الكامل علي الذين يريدون أن يعرفوه. لذلك قال مخلصنا لأبيه السماوي: ''هَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ'' (يو ١٧: ٣). هنا يربط ربطاً وثيقاً الكلام عن الآب بالكلام عن الابن؛ لأن معرفة الآب هي ذاتها معرفة الابن، معرفةً واحدةً للاثنين.

أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ

حسناً، لقد وبَّخ الذين أخفقوا في معرفة الحق ظانين أنهم يعرفون الله، قائلاً: ''لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضاً. وَمِنَ الآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ'' (يو ١٤: ٧)، لأن معرفة الواحد والآخر مشتركة في الاثنين[١]. إذ بعدما وضع أساساً دقيقاً للمعرفة الإلهية كشيءٍ ملزمٍ، وبعدما زرع داخلهم معرفة المشرِّع، نزل إلى ما يتعلق بالبشر، لذلك، إلى جانب إكرام الله، وضع مباشرةً وصية إكرام الأب والأم مرتبطين معاً، فمن خلالهما أتينا إلى الوجود بإرداة الله، لذلك يحتلان المكانة الثانية بعد الخالق. فالطبيعة البشرية تنشئ داخلها الكائن الحي الذي يقبل مجد الخالق، وذلك بالقدرة الإلهية. وكما أن الله هو بداية الكل، باعتباره المبدع والخالق، هكذا يكون كل واحد من الوالدين، بالنسبة لطفله هو أصل ولادته ومصدر مجيئه إلى الوجود. إذن، فحسب مثال خالق الكل يتمثل العمل المشترك بين الأب والأم في قدوم كل البشر إلى الوجود. لهذا أمر الناموس بالتأكيد أن تُعطي كرامةً عظيمةً لهما، كما أكَّد علي أن الذين يكرمونهما سوف ينالون كرامةً عظيمةً، وبالعكس الذين لا يكرمونهما سوف ينالون جزاءً مؤلماً، فالتصرف المهذَّب والموقَّر يتوِّج صاحبه بالكرامات، بينما التصرف غير الحسن يحمِّله بآلام ومشقات ومصاعب أخرى في الحياة، لأنه يقول: ''أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِتَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ'' (خر ٢٠: ١٢). إذن، هناك مكافأة عظيمة تمتد لأزمنةٍ طويلةٍ للذين يكرمون الوالدين في هذه الحياة. وقد حكم الناموس بالموت علي الشتامين مخيفاً إياهم كمربٍّ يقودهم نحو الصواب. لأنه يقول أيضاً: ''وَمَنْ ضَرَبَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلاً'' (خر ٢١: ١٥).

انتبه إذاً علي أية حال، فإن من يرتكب الخطيئة تجاه الوالدين يعاقَب بنفس جزاء من يرتكب خطية ضد الله، وهنا يضع حقوق الوالدين[٢] بجوار

١- يوضح القديس كيرلس هذه الحقيقة في موضع آخر، قائلاً: ''بقبول الابن حقاً كابنٍ، يمكن الإنسان أن يصل أيضاً إلى معرفة الله الآب: فلا يمكن أن يُعترف بالمسيح كابن، بدون أن يُعتَرف بالآب الذي وُلَدَه في نفس الوقت. لذلك فإن معرفة الآب متزامنة بالضرورة ومرتبطة بالإيمان بالابن، وكذلك معرفة الابن مرتبطة بالإيمان بالآب'' شرح إنجيل يوحنا، المجلد الثاني، ص ١٥٠.

٢- يؤكد القديس كيرلس هذه الحقيقة في سياق حديثه عن حام ونوح، إذ يقول: ''وكون أن الوالدين هم دائماً يستحقون التوقير فهذا ما يعلمنا إياه الناموس الإلهي الذى رسم لنا منذ البداية أن نحب الإله الواحد الحقيقى من كل النفس والقلب قائلاً:'' إكرم أباك وأمك لكي تطول أيام حياتك على الأرض'' (خر٢٠: ٢١)، لأن الوالدين يجب أن يعتبرا بمثابة أيقونة

حقوق الله، بمعنى كما أن اللسان الخاطئ ضد الله يُعاقَب بالموت بغضب شديد، هكذا نفس الأمر يصير مع الوالدين. وإنْ نَقَضَ أحدٌ الوصية الإلهية وأحزن المربِّي بمخالفته، فإنه يموت.

هكذا إذن، إن لم يضع الإنسان في حسابه وصايا أبيه أو أمه، يموت بالرجم، كما أمر الناموس الإلهي، حقاً يقول سفر التثنية: ''إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ ابْنٌ مُعَانِدٌ وَمَارِدٌ لا يَسْمَعُ لِقَوْلِ أَبِيهِ وَلا لِقَوْلِ أُمِّهِ وَيُؤَدِّبَانِهِ فَلا يَسْمَعُ لهُمَا. يُمْسِكُهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ وَيَأْتِيَانِ بِهِ إِلى شُيُوخِ مَدِينَتِهِ وَإِلى بَابِ مَكَانِهِ. وَيَقُولانِ لِشُيُوخِ مَدِينَتِهِ: ابْنُنَا هَذَا مُعَانِدٌ وَمَارِدٌ لا يَسْمَعُ لِقَوْلِنَا وَهُوَ مُسْرِفٌ وَسِكِّيرٌ. فَيَرْجُمُهُ جَمِيعُ رِجَالِ مَدِينَتِهِ بِحِجَارَةٍ حَتَّى يَمُوتَ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ بَيْنِكُمْ وَيَسْمَعُ كُلُّ إِسْرَائِيل وَيَخَافُونَ'' (تث ٢١: ١٨ - ٢١)، إذاً هل تستطيع بعد هذا أن تتردد في أن تعتبر أن كرامة الأب والأم تقترب من كرامة الله؟

بلاديوس: إطلاقاً؛ لأن الناموس أقنعنا بأنه يجب أن نكرمهما، والسبب الذي ذكره سببٌ شخصي بحكمةٍ: ''أُذكر أنك بهما كُوِّنتَ'' (حكمة ٧: ٣٠). ويعقوب البطريرك أب الآباء يقول بالصواب: ''لَوْلاَ أَنَّ إِلَهَ أَبِي إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَهَيْبَةَ إِسْحَاقَ كَانَ مَعِي لَكُنْتَ الآنَ قَدْ صَرَفْتَنِي فَارِغاً'' (تك ٣١: ٤٢).

كيرلس: أخبرني إذن، كوننا نقول إننا قد وُلدنا منهما ألاَ يبرهن بوضوح على أن هذه هي أيقونة الخالق الذي يدعو غير الموجود إلى الوجود؟ وأنه يجب أن نكرمهما ونهابهما؟ ألاَ يبدو أنه وضع لهما نفس مكانة ومنزلة الرتبة الربانية؟

بلاديوس: بالتأكيد. لذلك كان سفر الأمثال يلعن البعض قائلاً: ''العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة طاعة أمها تقورها غربان الوادي وتأكلها فراخ النسر'' (أمثال ٣٠: ١٧)، لكن وَضِّح لي من فضلك، كيف يفهم المرء قول المخلص: ''مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمّاً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي وَمَنْ أَحَبَّ ابْناً أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي'' (مت ١٠: ٣٧)، وأيضاً القول الآخر أي عندما ترجاه تلميذه أن يذهب ويدفن أباه قال له: ''اتْبَعْنِي وَدَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ'' (متى ٨ :٢٢)؟

كيرلس: وما هو غير المعقول في هذه الأمور؟ فيمكن معرفة هذه الأمور بكل بساطة

ومثال لله، إذ يقول: " أذكر أنك بهما كُونتَ" (حكمة سيراخ٧:٣٠)، لذلك أيضاً مكتوب " العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة إطاعة أمها تقورها غربان الوادى وتأكلها فراخ النسر" (أم٣٠:١٧)" جيلافيرا على سفر التكوين، المقالة الثانية، الكتاب الشهري، أغسطس٢٠٠٤.



-كما أعتقد- وبسهولة يستطيع أن يدركها من يريد أن يفكر بالصواب.

بلاديوس: لكن الكلام ليس واضحاً تماماً، لأنه يبدو كما لو كان يبعدنا عن توقير الوالدين.

كيرلس: يا عزيزي الكلام بعيد عن مثل هذه الشبهة، وعن هذه الأفكار الرديئة. لأن كلام المخلص لا يبعدنا إطلاقاً عن احترام الوالدين، لكن يعلِّمنا أن احترام الله يسبق ويفوق احترام الوالدين، ونحن نعتبر احترام الوالدين مرتبطٌ بالاحترام اللائق بالله، وهو الأمر الذي حفظه المسيح نفسه إذ أنه لم يُدِن الذين يحبون الوالدين، ولا حتى أنَّب وأدان الذين يحترمون الوالدين. لكنه ببساطة شرَّع بطريقة لائقة أن تأتي الأمور البشرية في الترتيب الثاني بعد الأمور الإلهية. لأنه لم يقل فقط: ''مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمّاً''، لكن أضاف عبارة: ''أَكْثَرَ مِني''. هل تعتقد أنه لا ينبغي أن تكون الأولوية للمحبة نحو الله، ثم بعد ذلك المحبة نحو البشر؟

بلاديوس: لا بالتأكيد.

كيرلس: حسناً، فهو لم يترك التلميذ يمضي في فكرة اعتبار المحبة نحو الإنسان أفضل من المحبة نحو الله، حتى إن كانت نواميس الطبيعة تنادي بالاحترام والمحبة نحو الوالدين. وببساطة فقد وضع ما يخصه في مرتبةٍ أعظم مما يخصنا. لأن الله هو أعلا من الكل وفوق الكل. لكنه لم يأمر مطلقاً بأن نعتبر توقير أو احترام الوالدين شيءٌ تافهٌ، لكنه أوصى بأن نقول إن كل ما يتعلق بالله فهو في المرتبة الأعظم والأحسن؛ لأن هذا الأمر قاله المسيح لمعلمي اليهود: ''لِمَاذَا تتَعَدَّوْنَ وَصِيَّةَ اللَّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ؟ فَإِنَّ اللَّهَ أَوْصَى قَائِلاً: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَمَنْ يَشْتِمْ أَباً أَوْ أُمّاً فَلْيَمُتْ مَوْتاً. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ: مَنْ قَالَ لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ: قُرْبَانٌ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي. فَلاَ يُكْرِمُ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ. فَقَدْ أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ'' (مت ١٥: ٣ - ٦).

بلاديوس: ألا تكون بذلك معرفة هذه الأشياء مفهومة جداً. وهكذا يتضح ما هو جُرم الفريسيين في هذه الحالة؟

كيرلس: مكتوب في سفر اللاويين: ''إِذَا أَفْرَزَ إِنْسَانٌ نَذْراً حَسَبَ تَقْوِيمِكَ نُفُوساً لِلرَّبِّ. فَإِنْ كَانَ تَقْوِيمُكَ لِذَكَرٍ مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً إِلَى ابْنِ سِتِّينَ سَنَةً يَكُونُ تَقْوِيمُكَ خَمْسِينَ

شَاقِلَ فِضَّةٍ عَلَى شَاقِلِ الْمَقْدِسِ" (لا ٢٧: ٢ - ٣)، ومن حيث إنه قال قليلاً عن المرأة والأولاد أضاف: "وَإِنْ كَانَ فَقِيراً عَنْ تَقْوِيمِكَ يُوقِفُهُ أَمَامَ الْكَاهِنِ فَيُقَوِّمُهُ الْكَاهِنُ. عَلَى قَدْرِ مَا تَنَالُ يَدُ النَّاذِرِ يُقَوِّمُهُ الْكَاهِنُ" (لا ٢٧: ٨)، الكلام سريٌ وعميق، وسوف نفحصه بالتفصيل حينما يحين الوقت. الآن ليتنا نأتي إلى موضوعنا، فقد أتى بعض الإسرائيليين وطلبوا أن يكرِّسوا نفوسهم لله. بالطبع في فترة المثال والظل وحسب الناموس كانوا يكرِّمون هؤلاء الذين نالوا رتبة الكهنوت وخدموا المذبح الإلهي، لكن بعض الذين اشتهوا هذا المجد (أي الكهنوت) وأرادوا أن يحققوا رغبتهم في أن يصيروا كهنةً، كان عدم توافر الأموال بالنسبة لهم يمثل عائقاً منيعاً. فالكتبة والفريسيون حثوهم علي أن يدفعوا؛ لأن هؤلاء الكتبة والفريسيين كانوا محبين للمال والرشوة الدنسة. وكانوا يحاولون أن يُظهروا احتراماً للوالدين، وكانوا يقولون لهم نحن بالكاد نستطيع أن نجد الأمور الضرورية للحياة لأنفسنا ولأولئك الذين يكرسون أنفسهم للرب بأن نؤمِّن لهم ملبسهم، وكانوا يقنعون المكرسين بأن مساعدة الوالدين أمرٌ عديم النفع عند الله، حتى أنه إذا ما أتى الوالدون يطلبون مساعدتهم المنتظمة، لقَّنوهم أن يخبروهم: "قُرْبَانٌ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِي (أي أن ما تريدونه هو عطية من الله)"، أي أن ما سوف تأخذونه منا هو مخصَّصٌ لله، فلا تمد يدك إلى الأموال الإلهية؛ إذ أنني كرَّست ذاتي لله وقدمتها إليه كعطية له. وهكذا يدفعونهم ليتصرفوا ضد الوصية الإلهية لدرجة أن الخوف أصبح ينتابهم من إمكانية تعرضهم للضرر بسبب انتهاك الحرمات المقدسة، كما أنهم أصبحوا يرتعبون بشدة من الناموس، وكل هذا بزعم توقير الله. لذلك يقول لهم المسيح: "قَدْ أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ"، فكان يجب أن يتم تكريم الوالدين، وليس بادِّعاء توقير الله، ندوس علي وصية الناموس الخاصة بإكرام الوالدين. وبالتالي لا يجب أن نهمل كل ما يليق بالله بحجة الأمور البشرية، ومن أجل الله يجب أن لا نبالي بالأمور البشرية. بل بالعكس علينا أن نحب أب الكل محبةً شديدةً، وفي المرتبة الثانية مباشرةً نقدِّم للوالدين -اللذين اشتركا مع الله في خلقنا- الكرامات اللائقة. وبجانب هذا الذي قلته يجب أن نأخذ في اعتبارنا أمراً آخر.

بلاديوس: ما الذي تريد أن تقوله؟

كيرلس: لقد أظهر ربنا يسوع المسيح أنه ينبغي علينا أن نحترم والدينا، وأعتبر أمه جديرةً بالاحترام والرعاية. فعندما كان معلَّقاً فوق الصليب المقدس ومُسمَّراً علي الخشبة، سلَّم العذراء القديسة[1] إلى تلميذه المحبوب الأصيل، جاعلاً تلميذه المحبوب عائلاً لها، إذ قال: ''«يَا امْرَأَةُ هُوَذَا ابْنُكِ». ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيذِ: «هُوَذَا أُمُّكَ». وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التِّلْمِيذُ إِلَى خَاصَّتِهِ'' (يو ١٩: ٢٦ – ٢٧) ومكتوب ''وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التِّلْمِيذُ إِلَى خَاصَّتِهِ'' (يو ١٩: ٢٧).

بلاديوس: يبدو لي أن توسعك في هذا الموضوع كان ممتازاً.

لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ

كيرلس: وبما إنه وضع الأولاد تحت نير والديهم، ووضعهم تحت نير الناموس، فقد وضع بذلك شريعةً خاصةً بتصرف الوالدين تجاه أولادهم إن كانوا لا يريدون أن يحيدوا عن إرادة الله. لقد أخبر بولس الحكيم، بإيجاز وبإعلان جيد، الأولاد بأنه ينبغي عليهم أن يخضعوا لآبائهم وأيضاً قال: ''وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ، لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ، بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ'' (أف ٦:٤)، بمعنى أن يصيروا لهم معلِّمين، وأن يقودوهم إلى حياة محبة الله وفق الناموس. والناموس يعطي وصيةً للوالدين بشكل متكامل أن يعتنوا علي قدر استطاعتهم بكل ما يفيد أولادهم لأنه يقول: ''لاَ تُدَنِّسِ ابْنَتَكَ بِتَعْرِيضِهَا لِلزِّنَى لِئَلاَّ تَزْنِيَ الأَرْضُ وَتَمْتَلِئَ الأَرْضُ رَذِيلَةً'' (لا ١٩:٢٩)، أي أن الخالق يطلب منّا قبل كل الأمور الأخرى، الطهارة الجسدية كمثال أوَّلي لحياة القداسة. لأن الطهارةَ الجسدية هي مدخلٌ للبهاء الروحي، وذلك إذا هربنا من ارتكاب التصرفات الدنيئة. إذاً يجب علي الآباء أن يقدِّموا

١ـ أكد القديس كيرلس في نفس السياق على هذه الحقيقة، قائلاً: ''اهتَّم الرب بأمه، غير مبالٍ بآلامه المرَّة، لأن معاناته لم تؤثر عليه. لقد أعطاها لرعاية تلميذه المحبوب (وهذا هو يوحنا، كاتب هذا الإنجيل)، وأَمَرَه أن يأخذها إلي خاصته، ويعتبرها أمه؛ وأوصي أمه أن تعتبره إبنها بحق بسبب حنانه، أي محبته، وبذلك يكون بدلاً منه وفي مكانه، الذي هو إبنها بالطبيعة. ولكن بعض الناس الضالين ظنوا أن المسيح حينما تكلّم هكذا كان خاضعًا لمجرّد عاطفة جسدِّية ـ حاشا ان تكون مثل هذه الحماقة!. فالسقوط في مثل هذا الخطأ الأحمق يناسب الإنسان فاقد العقل فقط. إذاً، فما هو الغرض الصالح التي حققّه المسيح بهذا الأمر؟ نجيب، أولاً، هو أراد أن يثبت الوصية التي أكدّ عليها الناموس كثيراً. لأنه ماذا يقول الناموس الموسوي؟: ''أكرم أباك وأمك لكي يكون لك خيراً'' (أنظر تث ١٦:٥). ووصية الناموس لم تتوقف عند حثنا أن نمارس هذا الواجب، بل هددنا بأقصي عقوبة، إذاً تجاهلنا هذه الوصية، وقد وضع الخطيَّة ضد الوالدين في مستوي الخطيَّة ضد الله. لأن الناموس الذي أمر أن المجدِّف يجب أن يعاقب بالموت قائلاً: ''ومن جدف علي إسم الرب فإنه يُقتل'' (لا ١٦:٢٤)، حكم أيضاً بنفس العقوبة علي الإنسان الذي يستخدم لسانه غير المنضبط ضد والديه قائلاً: ''ومن شتم أباه وامه يُقتل قتلاً'' (خر ١٧:٢١)'' شرح يوحنا، المجلد الثاني، ص٤٧٥.



لنا نصائح حسنةً ولكن إذا وصل المربُّون إلى الانحراف أو تغيير الهدف غير مبالين وبالأحرى يصيرون هم أنفسهم مبتعدين عن التعقل في قيادتهم لأولادهم، وإذا أصبحوا محترفين في فعل الأمور المتدنية، فسوف يخضعون لجزاء قاسٍ؛ لأن الوالدين يدمرون ثمارهم ويلقونهم في الهلاك، حيث يكون الموت بالنسبة لهم هو الأفضل؛ لأن (الغريزة) الطبيعية لديها هذا الناموس عند الآباء. فمن يعرِّض بدناءةٍ ظاهرةٍ، ابنته لهؤلاء المريدين، لن يكون هو قط المسئول عنها، ولن يعاقبه ديَّان الجميع بمفرده، بل يعاقب كل واحد انزلق إلى هذه الدناءة. لأنه يعتبره كما لو كان قد أقام مصيدةً وشبكةَ موتٍ وأوقع الجميع. لأنه لا يدين بحسب النتيجة، ولكن بحسب بشاعة هذه الأعمال الخاطئة. ويكتب سليمان الحكيم عن هذا النوع من النساء، الآتي: ''فَوَجَدْتُ أَمَرَّ مِنَ الْمَوْتِ: الْمَرْأَةَ الَّتِي هِيَ شِبَاكٌ وَقَلْبُهَا أَشْرَاكٌ وَيَدَاهَا قُيُودٌ'' (جا ٧: ٢٦). اذن، فهناك ضرورة لأن يقول المشرِّع: ''لاَ تُدَنِّسِ ابْنَتَكَ بِتَعْرِيضِهَا لِلزِّنَى لِئَلَّا تَزْنِيَ الأَرْضُ وَتَمْتَلِئَ الأَرْضُ رَذِيلَةً'' (لا ١٩:٢٩). لأنه إن لم يوجد هناك تلك التي ترتكب جريمة الزنا، فلن يكون من الصعب أن يهرب المرء من هذا الشر. حتى لو كان هناك شخصٌ ما زال ينجذب بسهولة إلى اللذة ويسيطر الضعف علي عقله بالكامل، كما أنه لن تكون هناك صعوبة في حفظ اللياقة الجسدية.

وهو يعطي الآباء هذه الوصايا الخاصة بأولادهم، معتبراً أن الذي يصل إلى مرحلة طرد أولاده بعيداً عن الله يستحق الموت. مكتوب في سفر اللاويين الآتي: ''وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «وَتَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمِنَ الْغُرَبَاءِ النَّازِلِينَ فِي إِسْرَائِيلَ أَعْطَى مِنْ زَرْعِهِ لِمُولَكَ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. يَرْجُمُهُ شَعْبُ الأَرْضِ بِالْحِجَارَةِ. وَأَجْعَلُ أَنَا وَجْهِي ضِدَّ ذَلِكَ الإِنْسَانِ وَأَقْطَعُهُ مِنْ شَعْبِهِ لأَنَّهُ أَعْطَى مِنْ زَرْعِهِ لِمُولَكَ لِكَيْ يُنَجِّسَ مَقْدِسِي وَيُدَنِّسَ اسْمِيَ الْقُدُّوسَ'' (لا ٢٠: ١ – ٣).

بلاديوس: الناموس غير واضح، لأنه ليس واضحاً ماذا يريد أن يقول، ليتك توضِّح أقواله.

كيرلس: إن الموآبين والمديانيين والجرجسيين وقبائل بربرية أخرى كانت تسكن في بلاد اليهود ويُعامَلون وفق الأعراف اليونانية، كل واحد له الديانة التي يريدها، وقد سجدوا وعبدوا ما يخطر علي بالهم. وبسبب أن الإسرائيليين



لم يكن لديهم بعدُ فكرٌ ثابتٌ في محبة الله، كان من السهل جداً أن يعصوا الله ويبتعدوا عنه، للدرجة التي لا يرون معها أن هناك خطيةً ما إذا سجدوا لآلهة جيرانهم، أو إذا أسلموا أنفسهم مع جيرانهم إلى مرض الضلال المصري القديم. هكذا استولت عليهم الشهوة تجاه فتيات المديانيين وصاروا مهووسين بجمال النساء مما جعلهم يسجدون مع المديانيين لبعل فغُّور، بسبب هذا حرَّم المشرِّع تماماً الاختلاط بالغرباء بعدما عبَّر جيداً عن أفكارهم الطائشة وغير المترابطة، وقال بوضوح: ''وَلا تُصَاهِرْهُمْ. ابْنَتَكَ لا تُعْطِ لابْنِهِ وَابْنَتَهُ لا تَأْخُذْ لابْنِكَ. لأَنَّهُ يَرُدُّ ابْنَكَ مِنْ وَرَائِي فَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى فَيَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ وَيُهْلِكُكُمْ سَرِيعاً'' (تث ٧: ٣ – ٤).

إذن، فبسبب أن بعض الإسرائيليين –وهذا كان طبيعياً جداً– أرادوا أن يتزوجوا بنات الغرباء من قبائل أخرى غير مكترثين لمسألة العصيان، حدَّد المشرِّع لهذا التهور، الغضب الإلهي والحكم بالموت، وأدانهم بجزاءات قاسية. حسناً، العهد الجديد المقدس يطلب من الوالدين أن يعتنوا بأولادهم وأن يغذوهم بنصائح الرب، بينما الناموس ثقيل اللسان، فبالرغم من أنه يتبع هذا الطريق، لكنه يستخدم حيلاً مراوغة. لأنه حسناً لم يسمح للآباء بأن يدفعوا بناتهم إلى الرذيلة والانحلال، كما قال إنه يجب عليهم بعد ذلك أن يحفظوا بثبات كل ما يخص معرفة الله، ولا يتركوهم يسلِّمون أنفسهم لعبادة الأصنام الدنسة، حتى لو كان الدافع وراء ذلك الثروة العظيمة. لأن الزواج برجل غريب من أمةٍ أخرى، حتى لو كان غنياً، تعبِّر عنه هذه الآية: ''لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟'' (متى ١٦: ٢٦).

بلاديوس: تتحدث بالصواب.

كيرلس: ويمكن للمرء أن يرى وبسهولة تامة أن هناك فترةً زمنيةً طويلةً تفصل بين هؤلاء الذين خلصوا بإيمانهم بالمسيح، وأولئك الذين كان الناموس مؤدِّباً لهم. لأن القدماء يرون أن هناك عقاباً ينتظر هذا الذي ينشأ بين أناسٍ وثنيين، ويشاكل الناس الغرباء. أمَّا نحن، فينصحنا بولس بأنه يجب علينا أن نحيا حياةً أفضل وأكثر شجاعة قائلاً: ''لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ كَذَلِكَ

الْمَسِيحُ أَيْضاً. لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ يَهُوداً كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ عَبِيداً أَمْ أَحْرَاراً. وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحاً وَاحِداً. فَإِنَّ الْجَسَدَ أَيْضاً لَيْسَ عُضْواً وَاحِداً بَلْ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ" (١ كو ١٢:١٢ - ١٤)، إذن بأية طريقة يطبق هنا هذا التدبير؟ إن واضع الناموس كان يخشى على الناس قديماً من الاختلاط بأُناسٍ يعتنقون ديناً آخر، والآن لا يخشى عليهم؛ لأن أولئك الذين دُعُوا إلى المسيح ولديهم محبة لا تتزعزع نحو الله، يجعلهم الروح القدس الساكن فيهم مؤسَّسين بواسطته حتى "نَصْرُخُ: «يَا أَبَا الآبُ!»" (رو ٨:١٥). لكن أولئك القدماء لم تكن لديهم هذه العطية العظيمة، وكما يقول يوحنا العظيم: "لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ" (يو ٧:٣٩). إذاً فالكمال التام يصير بالمسيح، بينما الناموس لا يستطيع إطلاقاً أن يقود إلى الكمال[1] كما هو مكتوب.

المحبة كمال الناموس

بلاديوس: أرغب بشدة أن تخبرني كيف يكون الناموس غير كامل؟

كيرلس: بالتأكيد. لكن حديثنا سوف يتناول الأمور التي نثبتها الآن، وسوف نفحص بالتفصيل طرق المحبة نحو القريب بعمق أكثر مما كتبه موسى للقدماء.

بلاديوس: سِر إذن إلى ما تتحدث عنه.

كيرلس: يقول الناموس: "تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (لا ١٩:١٨)، بينما ربنا يسوع المسيح يعلّمنا بآلاف الأقوال أن نحب بعضنا بعضاً معضداً -بطريقةٍ ما- ناموس المعرفة الغريزي وإرادة كل واحد، فيقول: "فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ" (مت ٧:١٢). إذن ما يتمنى المرء أن يفعله الآخرون به، فليفعله هو بالآخرين، وسوف لا يحيد عن هدفه، لكنه بالأحرى سوف يسلك مباشرةً في المحبة وسوف يُتوَّج بتاج محبة الآخرين.

بلاديوس: حسناً قلت هذا.

١- يوضح القديس كيرلس هذه الحقيقة حين يقول: "الناموس لم يوصّل إلى الكمال، أما ربنا يسوع المسيح فلم يُظهر لنا ظلال الأشياء بل الحقيقة نفسها صراحة، فهو لا يرسم لنا مختصراً للفضيلة بواسطة مثالات ورموز - كما فعل موسى - بل يضع الحقيقة مكشوفة في نور ساطع، لكي يجعل الإنسان كاملاً في البرّ" شرح إنجيل يوحنا، المجلد الثاني، ص ٢٢٨.

كيرلس: المحبة إذاً هي كمال الناموس، وهى أسمى من الإيمان والرجاء؛ لأن هذا ما كتبه لنا بولس العظيم (١ كو ١٣:١٣). لذلك، وإذ هو يصنع منها تاجاً من ورود الربيع المتعددة الألوان قال أيضاً: "إِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئاً. اَلْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ وَلاَ تَنْتَفِخُ. وَلاَ تُقَبِّحُ وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا وَلاَ تَحْتَدُّ وَلاَ تَظُنُّ السُّؤَ. وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ. وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَداً. وَأَمَّا النُّبُوَّاتُ فَسَتُبْطَلُ وَ الأَلْسِنَةُ فَسَتَنْتَهِي وَ الْعِلْمُ فَسَيُبْطَلُ" (١ كو ١٣: ٣ – ٨). هذه الأقوال واضحةٌ للجميع والحديث عنها سيكون طويلاً، خاصةً إذا أراد المرء أن يجمع بالتفصيل كل ما قيل عنها في العهد الجديد، لكن ليتنا نركز حديثنا الآن عن ظلال الناموس وعن كل ما شُرِّع أيضاً للقدماء بنماذج أو أمثلة.

بلاديوس: فكرك صائب جداً.

ظلال المحبة

كيرلس: كان الناموس معنياً بالبرِّ –وبطريقةٍ ما– كان ممهِّداً للنعم الإنجيلية؛ لأنه مكتوب: "بداية الطريق الصالح أن تفعل الحق" (أمثال ١٦:٧س). أي أن الناموس يقود إلى المسيح، وأن حياة المجد تعتبر مضمونةً إذا فهمنا الناموس روحياً[1]، فأنواع البر هي أولاً التقوى والمحبة تجاه الله الواحد الحقيقي، وبعد ذلك مباشرةً المحبة نحو الإخوة والآخرين، خاصةً تقديم الاحترام للوالدين. فبالترتيب اللائق يستمر الكتاب في تعليمنا بأنه، بعد توقير الله واحترام الوالدين، علينا أن نُظهر محبتنا نحو الكل. لأن في كل الحالات يتعهد الناموس بالمساواة، ويشرِّع بأنه يجب أن تُمتحن الأمور بدقة. إذ أنه مكتوب في سفر التثنية: "لا يَكُنْ لكَ فِي كِيسِكَ أَوْزَانٌ مُخْتَلِفَةٌ كَبِيرَةٌ وَصَغِيرَةٌ. لا يَكُنْ لكَ فِي بَيْتِكَ مَكَايِيلُ مُخْتَلِفَةٌ كَبِيرَةٌ وَصَغِيرَةٌ. وَزْنٌ صَحِيحٌ وَحَقٌّ يَكُونُ لكَ وَمِكْيَالٌ صَحِيحٌ

١- إن المركز الذي يدور حوله العهد القديم ليس هو "البر بالناموس"، لكن هو إنجيل حضور ابن الله. إن قبول العهد القديم كتأكيد كتابى للوعود الماسيانية الإلهية يهدف إلى شرح شخص وعمل يسوع المسيح. وبهذه الطريقة تربط الكنيسة الأولى بين عمل المسيح التاريخى والتفسير الروحي للعهد القديم برباطاً لا ينفصم.

وَحَقٌّ يَكُونُ لكَ لِتَطُول أَيَّامُكَ عَلى الأَرْضِ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ'' (تث ٢٥: ١٣ - ١٥). مكتوب أيضاً في سفر اللاويين: ''لاَ تَرْتَكِبُوا جَوْراً فِي الْقَضَاءِ لاَ فِي الْقِيَاسِ وَلاَ فِي الْوَزْنِ وَلاَ فِي الْكَيْلِ. مِيزَانُ حَقٍّ وَوَزْنَاتُ حَقٍّ وَإِيفَةُ حَقٍّ وَهِينُ حَقٍّ تَكُونُ لَكُمْ. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ'' (لا ١٩: ٣٥ - ٣٦). إذن، حَرِص (الناموس) بكافة الطرق على أن يعادل بالقياسات والمكاييل والأوزان، طرق العدل. لأن العقل الصادق والبار، يوازِن ويقيس طبائع الأشياء ويفحص بالتفصيل وبدقه أكثر، من هؤلاء الذين يراقبون الموازين والأثقال التي توضع فوق الميزان، ويقيس كل شيء من الأشياء التي يفحصها دون أن يدِّمر -بالزيادة- جمال المساواة الدقيقة، ولا يسمح بالتأكيد بالخطأ لكي يفتعل هذه المساواة. ها هي إذن -يقول- مقاييس الأطوال، والأوزان، والسوائل صحيحة. وأعتقد أن هذه هي بعض النماذج والأمثله الواضحة، والتى تعلن لنا الطرق التي بها نستطيع أن نفسر الكلام الدقيق عن المساواة وتصير معرفة البر واضحة. ولاحظ أن كل ما يتضمنه الناموس يهدف إلى البر، لكن الأعظم (نعمة العهد الجديد) يكسب، وكل ما علَّمه المسيح يذهب أبعد جداً عما يقدمه الناموس. لأن الصلاح أسمى من الناموس، أي مجد التوافق مع إراده الحياة بحسب المسيح.

بلاديوس: تتحدث بالصواب. بالتأكيد سأتذكر أولئك الذين تبرروا بالإيمان، وفق ما قاله المسيح: ''إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ'' (مت ٥: ٢٠).

كيرلس: وهذا أكيد. لكن دعنا ننشغل بالتفصيل -إذا أردت- بمقياس الاستفادة الموسوية ومجد بر الناموس. لأن من يحب الحق (الله)، ويعتبر محبة اخوته أمراً ضرورياً، ينبغى عليه أن يبدو واثقاً وثابتاً. إن الإنسان غير المخادع عليه أن يهتم بكل حرية بسلوكه الأخلاقي ليكون مكشوفاً وبلا لوم، ذلك بدون أن يتزعزع وبلا سطحية ولا بإظهار وداعةٍ كاذبةٍ تجعله يخفي وراء فروة الحمل حقيقة أنه ذئب، لذلك يقول الناموس: ''لاَ تَسْعَ فِي الْوِشَايَةِ بَيْنَ شَعْبِكَ. لاَ تَقِفْ عَلَى دَمِ قَرِيبِكَ. أَنَا الرَّبُّ. لاَ تَبْغِضْ أَخَاكَ فِي قَلْبِكَ. إِنْذَاراً تُنْذِرُ صَاحِبَكَ وَلاَ تَحْمِلْ لأَجْلِهِ خَطِيَّةً'' (لا ١٩: ١٦ - ١٧). وهذا الأمر صاغه برؤية أخرى، لأنه يقول: ''وَلاَ يَكُنْ عَلَيْكَ ثَوْبٌ مُصَنَّفٌ مِنْ صِنْفَيْنِ'' (لا ١٩:١٩)،



وأيضاً: ''لا تَلبَسْ ثَوْباً مُختَلطاً صُوفاً وَكَتَّاناً مَعاً'' (تث ٢٢:١١).

إن خداع وجبن هؤلاء الذين نعتبرهم صالحين، يُعتبَر شراً مخيفاً ويستحق التأنيب. يُعَدُّ الخداع[1] من الأشياء التي يمقتها الله جداً، والذى يصاحبه دائماً الازدواجيه والتقلب في الرأى. بسبب هذه الأمور يُستفَز ويغضب العقل الإلهي النقى الطاهر. لأنه يقول للبعض: ''لِسَانُهُمْ سَهْمٌ قَتَّالٌ يَتَكَلَّمُ بِالْغِشِّ. بِفَمِهِ يُكَلِّمُ صَاحِبَهُ بِسَلاَمٍ وَفِي قَلْبِهِ يَضَعُ لَهُ كَمِيناً'' (إر ٩:٨). سوف يصعد إلى جبل الرب، يقول داود، العامل بالحق والطاهر في القلب ''الَّذِي لاَ يَشِي بِلِسَانِهِ وَلاَ يَصْنَعُ شَرّاً بِصَاحِبِهِ وَلاَ يَحْمِلُ تَعْيِيراً عَلَى قَرِيبِهِ'' (مز ١٥:٣). إذن، فالسلوك بخداع، أقصد المرء الذي يحيا بالمكر ويلبس قناع البر، وفى نفس الوقت يؤذي إخوته غير مبالٍ بنواميس المحبة، فهذا ما حرَّمه الناموس كشىء بذئ، ويوصينا بألَّا نلبس ثوباً مصنفاً من صنفين مستخدماً هذا الثوب كرمز، وهو يعني أنه من البذاءة أن نخفى إزدواجيةً في نفوسنا، إزدواجية داخلية وذهنية، إنه الرياء البشري الملعون الذي يُنسج من الانشغال برأيين يجعل تصرفات الواحد تجاه الآخر سيئة وفاسدة. نتساءل ماذا تكون حياة المنافقين؟ هي طبعاً مثل هؤلاء الذين يراهم الناس كصالحين ويعتبرونهم صالحين، لكنهم في الحقيقه غيرُ صالحين.

بلاديوس: بالتاكيد.

كيرلس: إذن، طريق المنافقين طريقٌ مزدوَج مغلَّف بإرادتين مختلفتين، لكن داود العظيم يمتدح الإنسان ذو الطريق الواحد ويقول إنه جدير بنظر السماء لأنه يقول: ''اَللهُ مُسْكِنُ الْمُتَوَحِّدِينَ فِي بَيْتٍ'' (مز ٦٨:٦)، أيضاً يُقال إن الله يشتت عظام الذين يفرحون باستحسان البشر لهم. وهذه الشهوه يمقتها بولس قائلاً: ''أَفَأَسْتَعْطِفُ الآنَ النَّاسَ أَمِ اللهَ؟ أَمْ أَطْلُبُ أَنْ أُرْضِيَ النَّاسَ؟ فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أُرْضِي النَّاسَ لَمْ أَكُنْ عَبْداً لِلْمَسِيحِ'' (غلا ١:١٠).

١- يحذرنا القديس يوحنا ذهبي الفم من الأفعال المشينة وخاصة من الخداع والمكر، قائلاً: ''أيها الأحباء لنسهر ممارسين للصلوات. فلنا نحن أيضاً معجبين إن أردنا، فبجوار كل منا يجلس ملاك. لكن نحن نغط في نوم عميق طوال الليل، وليت هذا فقط ما يحدث. فالكثيرين يعملون أعمال شائنة، البعض يذهب إلي بيوت الدعارة، والبعض الأخر يجعل بيوتهم مكان للعهر، لأنهم يقودون شركائهم إلي هناك. بالطبع هذا يحدث، لأنهم لا يعتنون أن يجاهدوا حسناً. وآخرون أيضاً يسكرون ويهزأون، والبعض يُثيرون ضجيجاً، والبعض الآخر يسهرون مُفكرين في الشر، والبعض يُمارسون الخداع والمكر، وهم أسوء من أولئك الذين ينامون والبعض الأخر يُحصي أرباحه، والبعض الأخر يعذب نفسه باهتمامات عالمية ويسعي بالأكثر نحو الأمور الأخرى، أكثر من تلك التي تليق بالجهاد'' تفسير الرسالة إلى العبرانيين، الاصحاح الثامن، ص ٢٢٨.



بلاديوس: هل هناك أحدٌ ليس واضحاً له أن الرياء هو بالحق سخيف وبعيد جداً عن التقدير الصحيح؟

كيرلس: إذن، ثمرة المحبة التي بلا لوم والتي تتناسب مع الرجل البار والصالح هي أن يكون متحرراً من الخداع. وهذا ما يحتاجه الدارس الحقيقى للبر وعاشق المحبة تجاه الإخوة أن يعتبر هذا الرأى مستقيماً، ليس فقط إذا توقف عن هذا الخداع، لكن أن يصير معلِّماً لأهله، أو للذين يسكنون معه. والقديس بولس يتحدث عن الشخص الذي يأخذ على عاتقه الاهتمام بكنيسة الله أن يكون له أولادٌ مطيعين، وجعل هذا الأمر برهاناً على صلاحه أو عدم صلاحه قائلاً: "إنْ كَانَ احَدٌ لاَ يَعْرِفُ انْ يُدَبِّرَ بَيْتَهُ، فَكَيْفَ يَعْتَنِي بِكَنِيسَةِ اللهِ؟" (١تى٣:٥).

لذلك يقول الناموس بمثالٍ وصورةٍ حيةٍ: "وَإِذَا نَطَحَ ثَوْرٌ رَجُلاً أَوِ امْرَأَةً فَمَاتَ يُرْجَمُ الثَّوْرُ وَلاَ يُؤْكَلُ لَحْمُهُ. وَأَمَّا صَاحِبُ الثَّوْرِ فَيَكُونُ بَرِيئاً. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ ثَوْراً نَطَّاحاً مِنْ قَبْلُ وَقَدْ أُشْهِدَ عَلَى صَاحِبِهِ وَلَمْ يَضْبِطْهُ فَقَتَلَ رَجُلاً أَوِ امْرَأَةً فَالثَّوْرُ يُرْجَمُ وَصَاحِبُهُ أَيْضاً يُقْتَلُ. إِنْ وُضِعَتْ عَلَيْهِ فِدْيَةٌ يَدْفَعُ فِدَاءَ نَفْسِهِ كُلَّ مَا يُوضَعُ عَلَيْهِ. أَوْ إِذَا نَطَحَ ابْناً أَوْ نَطَحَ ابْنَةً فَبِحَسَبِ هَذَا الْحُكْمِ يُفْعَلُ بِهِ. إِنْ نَطَحَ الثَّوْرُ عَبْداً أَوْ أَمَةً يُعْطِي سَيِّدَهُ ثَلاَثِينَ شَاقِلَ فِضَّةٍ وَالثَّوْرُ يُرْجَمُ" (خر ٢١: ٢٨ – ٣٢)، إذن تشريع الله واضح؟

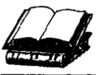
بلاديوس: ليس واضحاً تماماً.

كيرلس: انتبه إلى ما أقوله، وليكن في ذهنك ما كتبه القديس بولس: "أَمْ يَقُولُ مُطْلَقاً مِنْ أَجْلِنَا؟ إِنَّهُ مِنْ أَجْلِنَا مَكْتُوبٌ" (١كو ٩: ٩ – ١٠). يُشبِّه الشتّام والحسود بالثور ذي القوة الهجومية. لأن هذا الحيوان منتفخ ومتغطرس ورهيب في قوته ومن الصعب مواجهة هجومه. وهذا الكلام يُشرح روحياً هكذا: إذا كان لإنسان صديقٌ يعرفه معرفةً جيدة وتقابلا معاً مع رجل صالح آخر يعرفه وحدث أن قام هذا الإنسان بفعلٍ مشين تجاه هذا الرجل الصالح الذي كان يجهل حقيقة شخصية الصديق، وكانت النتيجة أن شُلّت حركة هذا الرجل أو الأفضل قُتِل من جراء هذه السلطة الظالمة لصديق هذا الإنسان، عندئذٍ أمر الناموس بأن يُفرض على هذا الإنسان (إذا كان على

عِلم بوحشية صديقه هذا) جزاء الموت؛ إذ قال يجب أن يموت بالرجم. لكن هذا الإنسان يتحرر من الغضب إن كان لا يعرف طريقته الناطحة، ولم يدرك أنه يشارك في دناءة ذلك (الثور). لأن جرائم الآخرين لا تؤذينا إذا حدثت بدون أن نعرف حقيقتهم. لذلك لا يسمح أن يؤكل لحم الثور، لأنه لا يجب أن نشترك في نجاسة الآخرين، التي يشير إليها بمثال الأكل والمشاركة. إذن، ألا يشير هذا بواضح إلى القول بأنه: "وَلاَ تَشْتَرِكْ فِي خَطَايَا الآخَرِينَ. احْفَظْ نَفْسَكَ طَاهِراً" (١ تيمو ٥:٢٢).

بلاديوس: واضحٌ جداً.

كيرلس: شرَّع الناموس بالحق أن يُدان صاحب الثور مع الثور، إذا كان يعرف خطره، وأقرّ بأنه يعرف إنه شرس، لأنه كان في إمكانه أن يمنع وقوع الظلم وارتكاب الخطأ. لكن كونه لم يفعل هذا الأمر مع سبق الإصرار يكون هذا الإنسان مشاركاً في فعل هذا الأمر بالإرادة والفكر، هكذا من اختار أن يعمل ويتعاون مع أولئك الذين يريدون أن يرتكبوا جرائم. هذا الإنسان -كما يقول الناموس- فليمت إذا كان القضاة لم يفرضوا تعويضاً وجزاءات خاصة بهذه الأمور. الناموس يهدف إلى الرحمة لأنه يقول: "يعاقب باعتدال إذا أراد القضاة". ذلك ينقل الآن المثال إلى الحقيقة، بمعنى أن القاضي يدين الكل بالموت، لكنه يقبل هؤلاء الذين أخطأوا وقدَّموا فديةً لإبطال الخطيئة، أي دموع التوبة وألم التوبة وطرق الإحسان المختلفة، لأن حسب الكتاب: "الرَّحْمَةُ تَفْتَخِرُ عَلَى الْحُكْمِ" (يع ٢:١٣). كذلك يميِّز الناموس بين أولئك الذين وقع عليهم الضرر. فإذا كان الثور قد قتل ابناً أو ابنةً، فليمت الثور وصاحبه بلا رحمة، أمَّا إذا قتل عبداً أو عبدةً فليدفع فدية. ألاَ يستحق إذن أن نرى ما هو السبب؟ بالرغم من أن وجود أحرار وعبيد ينتج عن سوء استخدام السلطة وليس نتيجة خطأٍ ما، مثل المرض مثلاً؛ لأنه حسب كلام النبي: "أَلَيْسَ أَبٌ وَاحِدٌ لِكُلِّنَا؟ أَلَيْسَ إِلَهٌ وَاحِدٌ خَلَقَنَا؟" (ملا ٢:١٠). هل نستنتج إذن أن الخالق يسلِّم البعض إلى الجريمة والعبودية؟ هل الله هو الذي وضع العبيد في مكان مهين والأحرار في المجد؟ بالتأكيد لا، لأنه مكتوب: "لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (غل ٣:٢٨). بناءً علي ذلك، فالناموس



هو ظلٌّ، والابن والابنة يعنيان جيل القديسين الحر، بينما العبد أو العبدة، يرمزان للجنس المستعبَد الموجود تحت ثقل الخطيئة. وارتكاب الأخطاء ضد القديسين وضد الخطاة ليس له نفس الثقل ونفس العقاب. أمَّا كون هؤلاء وأولئك إخوةً من جهة الطبيعة، فهذا واضح لكل واحد: لكن القديس يعيش في سمو روحي وعلي مرتفعات الفضيلة. ومن جانب الله، فقد وضع القديسين في رتبة الأبناء والبنات، الأمر الذي يتخطى قياس البشر والعبيد. كذلك أوصي الناموس بطرقٍ أخرى أن نعمل أعمالاً صالحةً وأن نمارس المحبة تجاه الإخوة. وسوف نستعرض هذه الطرق وسوف نتحدث عن كل ما هو في حدود طاقتنا. قال أيضاً: "وَإِذَا فَتَحَ إِنْسَانٌ بِئْراً أَوْ حَفَرَ إِنْسَانٌ بِئْراً وَلَمْ يُغَطِّهِ فَوَقَعَ فِيهِ ثَوْرٌ أَوْ حِمَارٌ. فَصَاحِبُ الْبِئْرِ يُعَوِّضُ وَيَرُدُّ فِضَّةً لِصَاحِبِهِ وَالْمَيِّتُ يَكُونُ لَهُ" (خر ٢١: ٣٣ - ٣٤). هذه الوصية تشير إلى أنه لا يصنع أحدٌ عائقاً أو عثرةً لأخيه، ولا يجعل من أمور الحياة الضرورية لنا وللآخرين، وسيلةً للموت. هل من يحفر بئراً لا يفعل شيئاً مفيداً وضرورياً لنفسه وللآخرين؟ لكن لا يجب أن يتسبب ما تفعله أنت في خطر للآخرين، لأنه كما يقول بولس العظيم: "الْمَحَبَّةُ ... لاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا" (١ كو ١٣:٥).

بلاديوس: ومَن هو هذا الذي يحفر بئراً؟ وما الذي يشير إليه البئر لأنني أريد أن أعرف هذه الأمور بوضوح.

الويل لمن تأتي به العثرات

كيرلس: ما يشير إليه النص المقدس واضح بالطبع، لأنه يقول ينبغي أن يُغطى البئر حتى لا تحدث حادثةٌ للآخرين، لأنه يقول ليت من لا يغطى البئر يعرف أنه إذا انزلق حيوان في البئر فسوف يدفع أموالاً لصاحبه، وما قُتِل يكون ملكه. وسوف نقول ونحن نفسر الأمر وفق المفهوم الروحي: إن الناموس يدعو البئر معرفة الكتاب الموحى به من الله، وأيضاً الكلام عن الثالوث المقدس والمساوي، وعن سر المسيح كمال كل هذا كان موجوداً في العمق، وفيه القوة المحيية، وهذا ما سوف يؤكده لنا المخلص نفسه: "وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ"

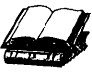


(يو ٣:١٧). إذن، كل مَنْ يدرس الكتابات القديمة ويتحقق بجهد وفير من أقوال الكتاب الموحي به من الله مفتشاً[١] عن المعرفة الدقيقة والصحيحة، يُشبه إلى حدٍّ كبير من يحفر بئراً لأنه يفتش عن الماء الذي يعطي الحياة (انظر يو ٤:١٤)، وعن النبع الذي يحتوي علي البهجة والسرور. فالذي وصل إلى هذه الدرجة من الفهم، يستطيع أن يُسلِّم ما فتش عنه كمن يحفر بئراً ولن يصنع شيئاً جديداً بعرق الآخرين، ولكن يفيد ذاته والآخرين بأتعابه. لكن محبي المعرفة الكاذبة بحسب قول النبي يحفرون أيضاً آباراً. حسناً يقول النبي، إذا حفر شخصٌ بئراً عليه أن يؤَمِّنه لكي لا يصير لآخرين سبباً للهلاك، في حين أنه يظن أنه صنعه حسناً، لأنه ينبغي أن نكرز بكلام الله بطريقةٍ مستقيمةٍ وبدقةٍ حتى لا يصير هذا الكلام سبباً للعثرة. وهذا ما يعنيه الغطاء علي البئر، بمعنى أن لا يغيب عن الكرازة الأمان الواجب، لأنه يقول إذا وقع في البئر حمارٌ أو ثورٌ، فصاحب البئر يعوِّض. الثور أيضاً والحمار لم يذكرهما بالصدفة لكن الإشارة لهما لها معنى عميق. فقد ذَكَرَ الثور لكي يحضر إلى ذهنك الجنس المقدس والطاهر، بينما الحمار لكي تتذكر الجنس الدنس وغير الطاهر، لأنه حسب الناموس لا تُقدَّم إلى الله ذبيحةٌ غير طاهرة. والجنس المقدس والطاهر هو بالتأكيد كل الذين تطهروا بالمعمودية المقدسة[٢]، لكن ما زال البعض بداخلهم

١ـ سبق للعلامة أوريجينوس الثناء على مَنْ يدرس الكتب المقدس ويبحث فيها عن المعنى الروحي العميق، قائلاً: "أعتقد أن كل كلمة في الكتاب المقدس تشبه بذرة من طبيعتها أن تنتشر وتتغلغل وتتكاثر، ويُعاد ولادتها ـ أي تثمر سنبلة حنطة أو أي نوع من جنسها، إذا ما أُلقيت في الأرض. وكلما بُذِل الجهد والعرق في إنباتها كلما كان تكاثرها سريعاً خاصةً إن كان الزارع نشطاً ومتحمساً دؤوباً أو كانت الأرض خصبةً. لهذا حين يكون الزارع نشيطاً فإن "حبة الخردل" الصغيرة مثلاً "التي هي أصغر الحبوب جميعاً، قد تصير أكبر من كل الأعشاب وتصير شجرة تأتي إليها طيور السماء وتسكن بين أغصانها" (انظر مت ١٣:٣١-٣٢). هكذا الأمر أيضاً مع الكلمة التي قُرئت على مسامعنا الآن من الأسفار الإلهية. وبالرغم من أنها تبدو لنا من أول وهلة صغيرة حين ندنو منها، فإنها إن وجدت مزارعاً دؤوباً نشطاً وحاذقاً، يبدأ في زراعتها وإستصلاحها وتناولها بالمهارة الروحية، فهي تنمو شجرة يافعة تطرح أغصانها وأوراقها النضرة. ويمكن أن يأتي إليها مباحثو هذا الدهر وحكماؤه ومناظروه (١كو ١:٢٠) ومثل "طيور السماء" على أجنحة النسور الخفيفة يطلبون الأفكار العالية العسرة بتدفق الكلمات وحدها. وإذ تأسرهم المباحثات، يرغبون أن "يسكنوا في تلك الأغصان" (مت ١٣:٣٢) حيث لا بلاغة في اللغة بل نظام حياة". راجع:

The Father of the Church، Origen، Homilies on Gensis and Exodus، Translated by Ronald E. Heine، volume 71، P. 227.

٢ـ في الصلوات الليتورجية القبطية لسر المعمودية يصلي الكاهن القبطي على المياه، قائلا: "أنت أيضا يا سيدنا بواسطة نبيك إليشع أظهرت ماء ميلاد للحياة. ونعمان السرياني طهّرته بمياه الأردن. فأنت القادر على كل شيء ولا يعسر عليك أمر" فكما أن الماء العادي يزيل وسخ الجسد هكذا الحميم المقدس يطهر وينقي. وهذه القوة التي عملت فوق المرض الطبيعي لنعمان السرياني تعمل أيضا في النفس أثناء العِمَاد. والقديس غريغوريوس النيصي يشدد على دور الأردن، قائلاً: "عندما أرسل النبي اليشع نعمان الأبرص لكي يغتسل في الأردن وطهره من مرضه، أملى علينا ما يحدث في



دنس الخطية. فهو كأنه يقول: إذا حدث ضررٌ لشخص من أولئك الذين تعمَّدوا وقبلوا ختم النعمة من جهة الشركة مع الله، أو لشخص تصادف أنه لم يعتمد بعد، فسوف يعاقَب مسبب هذه العثرة، وسوف يبقى هذا في الموت، بمعنى أن الموت سيصير موت ذاك الذي أصابه الموت. وقد حذَّرنا المخلصُ نفسه بالتأكيد قائلاً: ''وَمَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ هَؤُلاَءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ'' (مت ١٨:٦).

بلاديوس: تتحدث بالصواب.

كيرلس: يمكنك أن تتحقق بسهولة من أن الناموس يعلن بطرق رمزية أنه ليس من الصواب أن يخطئ المرء إلى الإخوة. لأنه كون أن يجرح أحدٌ ضميرهم الضعيف روحياً، فيكون كمن يخطئ إلى المسيح (انظر ١ كو ٨:١٢)، يقول إذن ''إِذَا خَرَجَتْ نَارٌ وَأَصَابَتْ شَوْكاً فَاحْتَرَقَتْ أَكْدَاسٌ أَوْ زَرْعٌ أَوْ حَقْلٌ فَالَّذِي أَوْقَدَ الْوَقِيدَ يُعَوِّضُ'' (خر ٢٢:٦). لأنه لا يجب أن يُهلك الأشياء المفيدة مع الأشياء الضارة ولا تَهلك الحيوانات الأليفة مع الحيوانات المفترسة.

بلاديوس: كيف تفهم هذا؟

الحرص من الهرطقات وثرثرة اليونانيين

كيرلس: هل لا يوجد تشابه بين كتابات الهراطقة الفُجَّار والمعلمين الثرثارين اليونانيين، وبين الشوك الذي علي الجبال وفي الحقول؟ بمعنى أية فائدةٍ يمكن أن تكون لنفوس البشر من هذه الأمور، أو بمعنى آخر أيُ ضرر يمكن أن يصيب كل الذين لا يريدون أن يضعوا هذه الأمور في عقولهم؟ الأشواك تغذِّي النار وتمثل فقط غذاءً لألسنة النار. هكذا العقائد المظلمة التي لأولئك الذين هم في الضلال وحكايات العجائز الوثنية، فهي توقد ألسنة النار الأبدية. السنابل والقمح هي طعامٌ لذيذٌ للبشر، وضروري لفائدتنا؛ إذ بها نستمر في الحياة، وهي مثالٌ لعقائد الحق التى بها يتغذى كل الذين يؤمنون بالخبز الحقيقي أي بالمسيح[1]. الكتب المقدسة هي وادٍ سهل وبدون

المستقبل واستخدام العام للمياه وخاصة المعمودية في النهر، حقيقة هو الوحيد بين الأنهار، الأردن الذي عنده بدايات (أساسات) التقديس والبركة، منه تنساب -كمنبع فوق العالم- نعمة المعمودية''.PG, 46, 593D.

١- يؤكد القديس كيرلس -في موضع آخر- على أن المسيح هو الخبز الحقيقي، قائلاً: ''المنّ المادي المحسوس كان

وعورة لأولئك الذين يعرفون كيف يحيون بطريقة صحيحة ومستقيمة. لأنه حسب ما هو مكتوب: ''كلها واضحة لدى الفهيم ومستقيمة لدى الذين يحبون المعرفة'' (أمثال ٨:٩). إذن، فالشوك هو ثرثرة المنحرفين الدنسة والمملوءة فُجراً، بينما القمح والسنابل هي كلمة الحق التي تفيد وتغذِّي النفس؛ إذ أن الكتاب المقدس هو وادٍ سهلٍ. وذلك عندما نقول إن أقوال القديسين تنقَضُّ كألسنة النار على ضلال الهراطقة واليونانيين، إذ أن القديسين يدافعون عن عقائد الحق، ويهاجمون تلك الأشواك حتى تحترق كتابات أولئك مثل الأشياء المادية غير المفيدة بدون أن تسبب أي ضرر للسنابل ولا القمح الذي تحمله. ليت المعلمون يحترسون كي لا يُلحِقون الأذى بأية عقيدةٍ من عقائد الحق. والمعلِّم الذي لا يحترس ولا يؤدِّي واجبه على ما يُرام وأحرق شيئاً من الأشياء المفيدة (أى حرَّف عقيدةً من العقائد) فلسوف يدفع ثمن إهماله هذا. هل أدركت إذاً كم يريد المشرِّع بما يأمر به أن يُنهِض انتباهنا لكي ينقذ في كل الحالات نقاوة وصراحة المحبة نحو إخوتنا؟

بلاديوس: بالتأكيد أدركت.

صورة رمزية مسبقة، بينما المسيح ذاته هو المنَّ الحقيقي، فإنه يخبرنا بهذا الأمر قائلاً لليهود: " هذَا هُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ، لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهُ الإِنْسَانُ وَلاَ يَمُوتَ. أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ" (يو ٦:٥٠ـ٥١). لأن ربنا يسوع المسيح يُطعمنا لكي نحيا حياة أبدية بنصائحه بخصوص التقوى وبالبركة السرائرية (الافخارستيا). إذن هذا هو المنَّ وبواسطته يُمنح حقاً المنَّ الإلهي والمحيّي، وكل مَنْ يأكله ينتصر على الفساد وينجو من الموت، وليس أولئك الذين أكلوا المنَّ المحسوس المادي. لأن المنَّ لم يكن يخلص. بل هو يشير إلى المنَّ الحقيقي" جيلافير على الخروج، الكتاب الشهري، مايو ٢٠١٠.

المقالة الثامنة

موضوعات أخرى
عن المحبة نحو الإخوة، وعمن يسرق ثوراً أو شاةً

الحرص على القطيع المقدس

كيرلس: في كل موضع إذاً يا بلاديوس تستطيع أن تدرك بأي قدرٍ يأمر الناموس القديم أن تكون أقوال التعليم مستقيمة ودقيقة، واضعين في الاعتبار أن الأمر لا يخلو من ضرر لأولئك الذين اعتادوا أن يخدعوا بعضاً من البسطاء. يقول أيضاً: "إِذَا سَرِقَ إِنْسَانٌ ثَوْراً أَوْ شَاةً فَذَبَحَهُ أَوْ بَاعَهُ يُعَوِّضُ عَنِ الثَّوْرِ بِخَمْسَةِ ثِيرَانٍ وَعَنِ الشَّاةِ بِأَرْبَعَةٍ مِنَ الْغَنَمِ. إِنْ وُجِدَ السَّارِقُ وَهُوَ يَنْقُبُ فَضُرِبَ وَمَاتَ فَلَيْسَ لَهُ دَمٌ. وَلَكِنْ إِنْ أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَلَهُ دَمٌ. إِنَّهُ يُعَوِّضُ. إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ يُبَعْ بِسِرْقَتِهِ. إِنْ وُجِدَتِ السِّرْقَةُ فِي يَدِهِ حَيَّةً ثَوْراً كَانَتْ أَمْ حِمَاراً أَمْ شَاةً يُعَوِّضُ بِاثْنَيْنِ" (خر ٢٢: ١ – ٤).

بلاديوس: القول غير واضح تماماً، أرجو أن تشرح لي ماذا تعني هذه الوصية التي أُعطيت بطريقة غامضة.

كيرلس: الناموس يحدد عقاباً مفيداً لذلك الذي يريد أن يمارس العنف، ويوقف بطريقة ما شهوة الامتلاك غير المنضبطة للأشياء التي لدى الجار أو الأخ لدرجة أنه يقول في حالة السرقة، يُقتل الذي أُمسك بالسرقة في ساعتها، لا تُلقي أية تُهمة على أولئك الذين قتلوه. وفي حالة إذا لم تكن للسارق إمكانية أن يدفع الفدية، يحاكمه في خزي إذ يقول إنه يجب أن يُباع كعبد. وذلك بهدف أن يؤدِّبه الخوف، لكي يعيش باستقامة، والمعنى الخفي للوحي هو بالطبع مختلف جداً عن هذا، ويجب أن أعرضه على أفضل ما يكون. الثور والشاة هذان (الحيوانان) الاثنان الطاهران والمقدسان يُقدمان إلى الله لكي يُسرُّ برائحتهما. الثور يتميز بالقوة وكبر حجم جسمه. بينما الآخر

(الشاة) ليس بالمثل، إذ أنه أصغر في الحجم جداً من الثور. ثيرانٌ إذاً وخرافٌ كحيوانات طاهرة جداً ومقدسة (لله) هي (روحياً) القطيع المقدَّس الذين تبرروا ببر الإيمان. (وكلاهما) اللذان بالحافر المزدوج وبالاجترار صارا -وفقاً للناموس- عاملين للثمار، الثور يحرث الأرض كما تعطي الشاة ثماراً أيضاً، أي القطيع المدعو من الله، وهما محفوظان في الحظائر الإلهية أي في الكنائس، والسارقون الذين يحومون حول القطيع، هم كثيرون، حيث ينقبون الحوائط ويتسللون خفيةً إلى الداخل، وبأنواعٍ كثيرةٍ من الخداع[1] يحاولون أن يقتلعوا نفوس البسطاء، وأن يبيعوها، بطريقةٍ ما، إلى الشيطان الذي يهلكها. لكن كما يقول الكتاب إن الذي يفعل شيئاً من مثل هذا، سوف يدفع عن الثور الواحد خمسة ثيران، وعن الخروف الواحد أربعة خراف، أي أن العقاب يكون خمسة أضعاف عن الثور الواحد، وأربعة أضعاف عن الخروف الواحد. وهكذا يفرض عقوبةً تتناسب مع قيمة الشيء المسروق، والتطبيق الروحي لهذا أن مَن يفقد شيئاً قليلاً لأجل الرب يُعوَّض بعطايا روحية مضاعفة.

ويمكن أن نجد مثالاً لدرجات الفضيلة في أعضاء الجسم، فهناك درجات كبيرة جداً من الصلاح ودرجات صغيرة وذلك في المؤمنين؛ لأن الجميع ليس لهم نفس القدر من المواهب. لأن كل واحد له موهبته الخاصة من الله. الواحد هكذا والآخر هكذا (انظر ١ كو ٧: ٧).

يقول (الناموس) إذا قُبض على السارق متلبساً بالجريمة ساعة الظلمة ليلاً أي في الساعة التي يسرق فيها، ويدمر ويُتمم أعمال السرقة، فإنه يُقتل حينئذ، دون أن يُعتبر هذا الفعل جريمةُ قتل، لا توجَّه لمرتكب هذا الفعل أيةُ تهمةٍ. فالذى قُتل هو السارق ورجل العنف، وقد طُبِّقَ عليه قانون الحرب. لكن إذا انقضى وقت السرقة وأشرقت الشمس، يُعيق الناموس يد المعاقِب، ويحدد أنه إذا ما قُتِل، توجَّه تهمة القتل إلى مرتكب هذا الفعل.

وهكذا -بالنسبة للتطبيق الروحي- السارق هو الذي يريد أن يُهلِك

١ـ يحذرنا القديس أثناسيوس الرسولي من الأنواع الكثيرة من خداع الهراطقة حيث أنهم يفسروا الأمور غير المادية بطريقة مادية،، إذ يقول: "هذه الضلالة في التفكير ناتجة عن انحراف ذهنهم، فهم يظنون أن الله مادي، ولا يعرفون من هو "الآب الحقيقي" ولا من هو الابن الحقيقي "، ولا ما هو "النور غير المنظور والأزلي"، وشعاعه غير المنظور، ولا يفهمون ما هو الكيان غير المنظور و والرسم غير المادي، و الصورة غير المادية". ضد الأريوسيين ٣: ١.

نفس ذاك الذي آمن بالمسيح، وأن يُبعده عن محبة الله، ولذلك لن يكون ظلماً أن يُعاقَب هذا بالموت. فهو يريد أن يقتل النفس التي هي أسمى من الجسد. أما إذا أشرقت الشمس، أي عندما تسطع في عقله الخاص المعرفة الحقيقية مثل النور والنهار[1]، فلا يبقى مُعرّضاً للخطر بعد. فهو يُعاقَب على أعمال الليل والظلمة وليس على الأعمال التي تصير في النور. والله يحكم بعدلٍ، إذ يمنح العفو عن الجرائم الأولى، أي كل التي أُرتكبت في ظلمة الجهل، ليقال من ثمَّ عن كل الذين انتقلوا من الخطية إلى النور: "لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَبْلاً ظُلْمَةً وَأَمَّا الآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ" (أف ٥: ٨)، هكذا برّر الربُ بولس الرسول الذي كان أولاً مجدِّفاً ومضطَهِداً ومعتدياً، إذ اضطهد بإفراط كنيسة الله محاولاً إتلافها (انظر ١ تي ١: ١٣).

بلاديوس: حديثك رائعٌ.

كيرلس: لكن إن لم يستطع أن يعطي عن الثور الواحد خمسة (ثيران)، وعن الخروف الواحد أربعة (خراف) يُباع كعبدٍ بسبب ما سرقه. أترى كيف يحكم الناموس بالخزي -خزي البيع كعبدٍ- على أولئك الذين لم يتطهروا بعد من الخطية، حتى أنني أقول إنهم لا يستطيعون ولو بالفدية أن يمنعوا إجرامهم؛ فمن ضعف المعرفة لا يستطيعون أن يحتملوا أتعاب التوبة، وبهذه الأتعاب يعفو الله عنهم. يقول الناموس -بصوابٍ تام- إن مثل هؤلاء يُباعون. ولا يسمح بأن يحصى كل الذين تلوثوا بهذه الطريقة، مع أولئك الذين تحرروا بالنعمة[2]. وبذلك يبتعد هؤلاء تماماً عن الكرامات التي تُناسب الأحرار،

١- هذا التشبيه يشرحه القديس كيرلس أثناء حديثه عن صراع يعقوب مع الله، قائلاً: "إذن صارع إسرائيل المسيح، في الظلمة، أي بدون أن يكون لديه إستنارة إلهية في ذهنه، ولا حتى عندما بدأ النهار يبزغ، ولا أيضاً عندما أشرق كوكب الفجر في قلوب هؤلاء الذين آمنوا. لأنه بقى عاصياً وكما يقول النبي: "من أجل ذلك إبتعد الحق عنا ولم يُدركنا العدل. ننتظر نوراً فإذا ظلام ضياء، فنسير في ظلام دامس" (إش ٥٩: ٩). أيضاً أرسل بولس العظيم رسالة لهؤلاء الذين تبرَّروا بالإيمان وقبلوا إستنارة الروح، وقال: " جميعكم أبناء نور وأبناء نهار. لسنا من ليل ولا ظلمة" (أش ٥: ٥). وأيضاً كون أنهم صاروا أسمي من جهل اليهود، وتخطوا الظلمة التي عند أولئك، فهذا يعلنه قائلاً: "قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور، لنسلك بلياقة كما في النهار" (رو ١٣: ١٢ - ١٣). وهكذا، فإن هؤلاء الذين آمنوا عاشوا كما في النهار، بينما غير المؤمنين صارعوا مع المسيح أثناء فترة الليل. هذا ما فعله أيضاً بنو يعقوب لكنهم كانوا ضعفاء، وهُزموا ولم يستطيعوا أن يسيروا منتصبي القامة. لأنه يقول: "ولما رأي أنه لا يقدر عليه ضرب حُق فخذه. فإنخلع حُق فخذ يعقوب في مصارعته معه" (تك ٣٢: ٢٥)" جيلافيرا على التكوين، الكتاب الشهري، أغسطس ٢٠٠٧.

٢- سبق أن أكد القديس أثناسيوس على هذه النعمة المحرره والمعطاه من الآب والابن، إذ يقول: "النعمة المعطاة هي واحدة، وهى معطاة من الآب بالابن كما يكتب بولس في كل رسالة "نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح". لأنه يلزم أن يكون النور مع الفجر وأن يُشاهد الشعاع في نفس الوقت مع نوره الخاص به". ضد الأريوسيين، المقالة الثانية، فقرة ٤٢. وهذه الحقيقة نراها في الليتورجيا، إذ في مقدمة القداس الغريغوري نصلي: "محبة الله الآب ونعمة

وسوف يسمعون القول: ''إنما آثامكم باعتكم'' (إش ٥٠: ١الترجمة اليسوعية).
يقول إذا قُبض على السارق وهو يسرق دون أن يُقتل، أي إذا ضُبِطَ متلبساً، وهذا يقابِل -في التطبيق الرمزي- شخصاً ما من أصحاب الآراء الهرطوقية، ضُبِطَ وهو يغش ويخدع الآخرين، دون أن يفلح في قيادة أحدٍ إلى الهلاك، فهذا سوف يدفع مضاعفاً. إذ يأخد سيد القطيع كل ما يحق، بينما يدعى الهرطوقي للمحاكمة، ويتحمل عقوبة الموت. لأن هذا الذي أراد أن يفعله في الآخرين، سوف يعانيه هو نفسه، وهذا هو العدل بعينه.

بلاديوس: إنها حقاً مرعبةٌ ومدمرةٌ جريمة أولئك الذين يخدعون الآخرين، والذين يحذِّر المسيح منهم قائلاً: ''اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ وَلَكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلٍ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ!'' (مت ٧: ١٥).

كيرلس: هذا صواب، إذ يحكم عليهم الناموس كحيوانات متوحشة، ويقول إن كل واحد من هؤلاء يجب أن يموت؛ إذ مكتوب في سفر الخروج: ''وَمَنْ سَرَقَ إِنْسَاناً وَبَاعَهُ أَوْ وُجِدَ فِي يَدِهِ يُقْتَلُ قَتْلاً'' (خر ٢١: ١٦). وأيضاً في سفر التثنية: ''إِذَا وُجِدَ رَجُلٌ قَدْ سَرَقَ نَفْساً مِنْ إِخْوَتِهِ بَنِي إِسْرَائِيل وَاسْتَرَقَّهُ وَبَاعَهُ يَمُوتُ ذَلِكَ السَّارِقُ فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ'' (تث ٢٤: ٧). أي لا يُسمح للجنس المقدس الذي للمسيح أن يَهلِك وأن يُقاد إلى عبودية قاسية بواسطة أولئك الذين اعتادوا أن يفعلوا هكذا. كذلك أيضاً كل الذين يخدعون الأولاد الأحداث، ويبعدونهم عن وطنهم وعن مسكنهم، ويجردونهم من كرامات الأحرار ويضعونهم تحت نير العبودية الثقيل. وهذا ينطبق على الذين يضِلُّون الآخرين بأنواع كثيرة من الخداعات التي تؤثر على العقل. فالهراطقة يحاولون أن يقودوا الذين يحبون الاستقامة، والذين يمارسون الحياة اللائقة بالأحرار، حتى يخدعونهم بمعرفتهم الغبية جداً. هؤلاء سوف يكابدون -بعدلٍ- تهمة سرقة النفوس البشرية، وجزاؤهم هو الموت. لهؤلاء لا تقولوا حتى ''سلام'' (انظر ٢ يو: ١٠) كما يقول تلميذ المخلص، وهو لا يعلمنا طرق التعامل المتوحشة، لكنه يحذِّرنا كحملان من مخالطة الذئاب. فالمستقيمو الإيمان لا يتفقون مع الهراطقة، إذ يقول: ''وَأَيُّ نَصِيبٍ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ؟'' (٢ كو

الابن الوحيد ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، وشركة وموهبة الروح القدس تكون مع جميعكم''. انظر الخولاجى المقدس، طبعة دير البراموس ٢٠٠٢ ص ٣٢٣.

٦: ١٥) وفيما عدا ذلك يقول بولس الطوباوى: ''إنه لا يجب أن نختلط بزناة هذا العالم'' (راجع ١ كو ٥: ٩ - ١٠).

ولكى لا يصير البعض ضحايا للخطف من كنيسة الله، التي هي بيت أبيهم، ويُقتادون إلى كنائس الأشرار، إذ تُخدع عقولهم بانحرافات في اتجاه الدناءة والشر، لذلك يقول: ''الْمُعَاشَرَاتِ الرَّدِيَّةَ تُفْسِدُ الأَخْلاَقَ الْجَيِّدَةَ'' (١ كو ١٥: ٣٣). يحدد الناموس أن يكون الموت هو جزاء هؤلاء الذين يصرُّون على فعل هذا الأمر. وسوف ترى أن الناموس يعلن لنا في وصايا أخرى ووفقاً لكل ما قلناه، فهو يرتب أمور العالم نحو الاستقامة برؤية واضحة جداً وسهلة الفهم بالنسبة لمن يريد. لأننا لن نلغي النص المكتوب كأمر قديم، وذلك في الأمور النافعة. ففي بعض المرات حتى حرف الناموس يمكن أن يُفيد السامعين له، الذي في عمقه هو يحمل الروحيات، ويخفى القوة داخل ظلال الحروف. إذ يقول في سفر الخروج أيضاً: ''وَإِذَا رَاوَدَ رَجُلٌ عَذْرَاءَ لَمْ تُخْطَبْ فَاضْطَجَعَ مَعَهَا يَمْهُرُهَا لِنَفْسِهِ زَوْجَةً. إِنْ أَبَى أَبُوهَا أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهَا يَزِنُ لَهُ فِضَّةً كَمَهْرِ الْعَذَارَى''(خر ٢٢: ١٦ - ١٧). وإذ يوضح لنا موسى الوصية الإلهية، يكتب في سفر التثنية: ''إِذَا وُجِدَ رَجُلٌ مُضْطَجِعاً مَعَ امْرَأَةٍ زَوْجَةِ بَعْلٍ يُقْتَلُ الاِثْنَانِ: الرَّجُلُ المضْطَجِعُ مَعَ المرْأَةِ وَالمرْأَةُ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ إِسْرَائِيل. «إِذَا كَانَتْ فَتَاةٌ عَذْرَاءُ مَخْطُوبَةً لِرَجُلٍ فَوَجَدَهَا رَجُلٌ فِي المدِينَةِ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا. فَأَخْرِجُوهُمَا كِلَيْهِمَا إِلَى بَابِ تِلْكَ المدِينَةِ وَارْجُمُوهُمَا بِالحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَا. الفَتَاةُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا لَمْ تَصْرُخْ فِي المدِينَةِ وَالرَّجُلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَل امْرَأَةَ صَاحِبِهِ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ. وَلكِنْ إِنْ وَجَدَ الرَّجُلُ الفَتَاةَ المخْطُوبَةَ فِي الحَقْلِ وَأَمْسَكَهَا الرَّجُلُ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا يَمُوتُ الرَّجُلُ الذِي اضْطَجَعَ مَعَهَا وَحْدَهُ. وَأَمَّا الفَتَاةُ فَلا تَفْعَل بِهَا شَيْئاً. لَيْسَ عَلى الفَتَاةِ خَطِيَّةٌ لِلمَوْتِ بَل كَمَا يَقُومُ رَجُلٌ عَلى صَاحِبِهِ وَيَقْتُلُهُ قَتْلاً. هَكَذَا هَذَا الأَمْرُ. إِنَّهُ فِي الحَقْلِ وَجَدَهَا فَصَرَخَتِ الفَتَاةُ المخْطُوبَةُ فَلمْ يَكُنْ مَنْ يُخَلِّصُهَا'' (تث ٢٢: ٢٢ - ٢٧). وكل ما يخص الرواية الكتابية لا أظن أنه يحتاج لشرح لأجل فهمها. إذ أنها واضحة جداً وصافية. لكن يجب، كما يبدو، عندما أنقل هذا إلى الحاضر، أن نسلك الطريق الداخلى والخفى (أي الروحي).

بلاديوس: أجل.

كيرلس: أقول إذاً إنه كما أن الزنى يُعدُ من الجرائم الأكثر خطورة من الكل على المرأة، إذ يُبطل الزواج، ويسبب الانفصال بين المتَّحِدَين بالفعل برباط الزواج، هكذا بنفس الطريقة، أعتقد أن الفساد الذي يسببه أي شخص للنفس البشرية، هو من الشرور الأكثر فظاعة من الكل[1]، ولكن ليس ببساطة في أي نفس، بل في تلك النفس التي صارت متَّحِدَةً بالعريس السماوي. لأننا بالإيمان وأيضاً بنوال الروح نتحد به، كما هو مكتوب: "وَأَمَّا مَنِ الْتَصَقَ بِالرَّبِّ فَهُوَ رُوحٌ وَاحِدٌ" (١ كو ٦: ١٧).

لهذا إذاً يفرض الناموسُ وبعدلٍ، جزاءَ الموتِ على الزاني، وعلى تلك التي زَنَت، الواحد لأنه يبذر بذور كفره أي هرطقته، وتلك النفس لأنها أهانت ناموس الأمانة وذهبت مع معلِّمٍ آخر، وأسلمت عقلها إلى أقوال ذاك الفاسد، وقبلت التلوث بالخداعات البشرية.

بلاديوس: قولك مقنع.

كيرلس: إذاً، فالتي تسكن، حسب الناموس، مع رجلٍ، تشبه (روحياً) تلك النفس التي تسكن بالإيمان ونعمة الروح مع المسيح وهى متَّحدةً به. والعذراء المخطوبة تشير إلى النفس التي دُعيت لأن تبدأ المعرفة الحقيقية وقبلت -كعربون- كلمة الوعظ، ومازالت تنتظر الزواج الحقيقي[2] بالنعمة بواسطة المعمودية المقدسة والاتحاد بالروح القدس. هكذا قدَّم بولس إلى المسيح الكنيسة التي من الأمم، إذ يكتب الآتى: "لأَنِّي خَطَبْتُكُمْ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ، لأُقَدِّمَ

١- الفساد الذهني من أفظع الشرور بدليل أن الكلمة تجسد لكي يشفي طبيعتنا من الفساد الذي أصابها جراء السقوط، لذا يقول القديس أثناسيوس: "وهكذا إذ اتخذ جسداً مماثلاً لطبيعة أجسادنا، وإذ كان الجميع خاضعين للموت والفساد، فقط بذل نفسه للموت عوضاً عن الجميع، وقدمه للآب. كل هذا فعله من أجل محبته للبشر، أولاً: لكي إذ كان الجميع قد ماتوا فيه، فإنه يُبطل عن البشر ناموس الموت والفناء، ذلك لأن سلطان الموت قد استُنفد فى جسد الرب، فلا يعود للموت سلطان على أجساد البشر (المماثلة لجسد الرب). ثانياً: وأيضاً فإن البشر الذين رجعوا إلى الفساد بالمعصية يعيدهم إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت بالجسد الذى جعله جسده الخاص، وبنعمة القيامة يبيد الموت منهم، كما تبيد النار القش" تجسد الكلمة ٨: ٤.

٢- تعبير الزواج الروحي بين المسيح والنفس البشرية يستخدمه دائماً الآباء، فالقديس مقاريوس الكبير يصف إشتياق النفس لعريسها السماوي، قائلاً: "إن النفس التي تحب الله والمسيح بالحق ولو عملت ربوات من أعمال البر، تحسب نفسها كأنها لم تعمل شيئاً بسبب اشتياقها للرب بدون شبع. حتى وإن أرهقت جسدها في الأصوام والأسهار، تعتبر ذاتها كأنها لم تبدأ بعد الجهاد من أجل الفضيلة... لكنها طول النهار تجوع وتعطش بالإيمان والمحبة في الصلاة المتواترة للحصول على أسرار النعمة وعلى كل فضيلة بلا شبع، وتكون مجروحة بمحبة الروح السماوي، وتضرم باستمرار داخلها الاشتياق المشتعل بالنعمة نحو العريس السماوي، وتشتهي أن تؤهَّل بالكمال للدخول معه في شركة سريَّة لا يُنطق بها، في تقديس الروح، وأن ينكشف الغطاء عن وجه نفسها، فتنظر إلى العريس السماوي وجهاً لوجهٍ في نوره الروحاني غير المنطوق به. وتمتزج به بكل يقين، متشبهةً بموته باشتياق كثير، ومنتظرة كل حين أن تموت من أجل المسيح" (عظة ٢٠:٤).

عَذْرَاءَ عَفِيفَةً لِلْمَسِيحِ" (٢ كو ١١: ٢). والعريس نفسه يقول في موضع ما بصوت الأنبياء: "وَأَخْطُبُكِ لِنَفْسِي إِلَى الأَبَدِ. وَأَخْطُبُكِ لِنَفْسِي بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَالإِحْسَانِ وَالْمَرَاحِمِ. أَخْطُبُكِ لِنَفْسِي بالأَمَانَةِ فَتَعْرِفِينَ الرَّبَّ" (هو ٢: ١٩ - ٢٠). يقول إذا حدث من ثَمَّ، جريمة الفساد في نفسٍ مثل هذه، فلسوف يُحسب الفعل هكذا كزنا؛ لأن المخطوبة عليها التزام، وهي مازالت بعد تحت يد ذاك الذي سوف يصير بعد قليل زوجاً لها. لكنه يقول إذا حدثت الجريمة في المدينة، أي في كنيسة المسيح، وفي مدينة الله الحي التي يسكنها ملائكةٌ ورجالٌ قديسون، أساتذةٌ ومعلمون، الذين لديهم القوة لأنْ يدافعوا عن أولئك الذين يتعرضون للخطر وللتضليل، تموت العذراء التي أصابتها الجريمة مع المخادع. لأنه كان في استطاعتها وبسهولة أن تتجنب الفساد، إذا أخبرت بالأمر المعلِّمين الذين يعرفون أن ينقذوها، وهكذا تكون قد تعرضت للفساد بإرادتها، واختطافها للدناءة لم يكن إكراهاً. لكنه يقول إذا لم يحدث هذا داخل الكنيسة ولا في مدينة الله، بل كما لو في سهل وحقول، حيث لا يوجد المعلم المدافع، وكان المكان مقفراً وخالٍ تماماً من هؤلاء الذين يحوِّلون الأمور إلى الأفضل، وبسبب غياب المعلِّمين نشطت البدعة، عندئذ يكون الحكم على فاعل الفساد فقط. لأن الفعل في هذه الحالة هو اغتصابٌ وإكراه، صعبٌ جداً على النفس أن تتجنبه. لهذا تُعتق (الفتاة) من التهمة. ولا يمكن أن ننكر أن تأنيب شخصٍ ما على كل ما يعانيه بالإجبار هو أمرٌ زائدٌ عن الحاجة، إذ أن هذا الشخص مجبرٌ وليس حراً.

بلاديوس: زائدٌ عن الحاجة تماماً؛ لأن الناموس عادل.

كيرلس: تتكلم بالصواب، فالناموس لا يكتفي بالفحص السطحي، بل يجعل تناسباً بين الغضب والجريمة، فهو لا يعتق تماماً الجريمة الصغيرة جداً من حتمية العقاب، كما أنه لا يساوى الجرائم الصغيرة بالكبيرة، لكنه يفرض العقوبة المتناسبة مع الجريمة. إذ يقول أيضاً: "إِذَا وَجَدَ رَجُلٌ فَتَاةً عَذْرَاءَ غَيْرَ مَخْطُوبَةٍ فَأَمْسَكَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا فَوُجِدَا. يُعْطِي الرَّجُلُ الذِي اضْطَجَعَ مَعَهَا لأَبِي الفَتَاةِ خَمْسِينَ مِنَ الفِضَّةِ وَتَكُونُ هِيَ لهُ زَوْجَةً مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدْ أَذَلهَا. لا يَقْدِرُ أَنْ يُطَلِّقَهَا كُل أَيَّامِهِ" (تث ٢٢: ٢٨ - ٢٩). إذن، فقد جعل من ذاك الذي وُجد مع مخطوبة مذنباً بجريمة الزنا، بالطبع بالطرق التي ذكرناها. وهنا العذراء تشير

إلى النفس التي لم تُخطب بعد للمسيح عن طريق الإيمان، لكن شخصاً ما نجّسها بكلمات الكُفر، وأمسكها في شبكته وأخذ يجذبها من ضلالةٍ إلى ضلالةٍ مثلما يفعل الهراطقة، خاطفين المؤمنين الذين يُقْدِمون من الأمم ومن اليهود مقنعين إياهم أن يتبعوهم. فعملهم هذا لا يخلو من خطورة. لأنه سوف يضع أمام أب الأرواح، أي أمام الله، الأسباب التي من أجلها تمَّت الجريمة، والتي صِيغ العقاب عليها حسناً جداً بالجزاء المالي. وعبارة ''وَتَكُونُ هِيَ لهُ زَوْجَةً'' عبارة مفيدة للرؤية الروحية للأمم.

بلاديوس: أفهم ما تقوله. لأن الناموس هو ثنائي جسدى وروحى.

كيرلس: لاحظ إذاً أن الوصية القديمة لم تجهل هذا الذي قاله المسيح عن الرجل والمرأة: ''فَالَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لاَ يُفَرِّقْهُ إِنْسَانٌ'' (مر ١٠: ١٩).

يقول: ''وَتَكُونُ هِيَ لهُ زَوْجَةً''؛ لأنه أذلها، ولذلك لن يستطيع أن يطلقها قط. ومع هذا فكِّر في كم هي سامية زينة البتولية الطاهرة جداً. إذ أن الكتاب الموحى به يُسمي الاغتصاب وضاعةً.

بلاديوس: تحدثت باستقامة.

كيرلس: إذاً فقد حرَّم خداع الهراطقة كأمر مكروهٍ، وككفرٍ لدى الله، وحرَّم أيضاً الانحراف إلى دناءة الذين يخدعون الذين اختاروا الطريق المستقيم ليقودونهم إلى الأمور التي لا تليق، وهذا ما أشار إليه بولس عندما يقول: ''أنْ لاَ يَتَمَاحَكُوا بِالْكَلاَمِ، الأَمْرُ غَيْرُ النَّافِعِ لِشَيْءٍ، لِهَدْمِ السَّامِعِينَ'' (٢ تي ٢: ١٤). حقيقةً تثير الأقوال الزائدة عن الحاجة والنزاعات المبالَغ فيها، المشاحنات وتجعل عقول السامعين في ضجر كثير، وتؤذي عقولهم. وبعض هؤلاء السامعين، ممن يُقبِلون على ما هو غير مستقيم بطيشٍ أحياناً، وعدم معرفة، ويسرعون في مدحه. وهناك أيضاً أتباع مجموعة أخرى، هؤلاء يطرحون جانباً الامتيازات، ويختارون ما هو سيئٌ، يتأثرون ويسقطون في الجهالة مع الآخرين. وأما أولئك الذين يستطيعون أن يميزوا المفيد عن الضار، فهم بالطبع قليلون جداً، وهم الذين بدأوا في حفظ عقلهم غير متورطٍ في مماحكات الكلام مع الآخرين. وهذا لا يخلو من ضرر لكل من يريدون أن يفعلوه، وهذا يشير إليه الناموس أيضاً، إذ يقول: ''وَإِذَا تَخَاصَمَ

رِجَالٌ وَصَدَمُوا امْرَأَةً حُبْلَى فَسَقَطَ وَلَدُهَا وَلَمْ تَحْصُلْ أَذِيَّةٌ يُغَرَّمُ كَمَا يَضَعُ عَلَيْهِ زَوْجُ الْمَرْأَةِ وَيَدْفَعُ عَنْ يَدِ الْقُضَاةِ. وَإِنْ حَصَلَتْ أَذِيَّةٌ تُعْطِي نَفْساً بِنَفْسٍ'' (خر ٢١: ٢٢ - ٢٣). يقولون إن الجنين داخل الرحم بمجرد أن يستكمل أربعين يوماً، يتميز عندئذ بالشكل الإنساني، ويأخذ صورة جسدنا، هكذا يقولون.

والرائع جداً موسى، إذ كان يقود اليهود ويريد أن يُصلحهم من ضلالهم السابق في مصر بواسطة الناموس، أمسَكَهم بعيداً عن أطعمةٍ ومشروبات. إذ يقول: ''ثُمَّ سَقَطْتُ أَمَامَ الرَّبِّ كَالأَوَّلِ أَرْبَعِينَ نَهَاراً وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً لا آكُلُ خُبْزاً وَلا أَشْرَبُ مَاءً'' (تث ٩: ١٨). ونفس الأمر عمله المسيح واحتمل المعاناة لأجلنا. لأنه بواسطته انصلحت طبيعتنا لكي تتقدس، لأنه في البداية، ومن الشهية غير المنضبطة، دخلت في شخص المخلوق الأول لوثة الخطية والعصيان، وهذا أمر معقول. لكن كل ما يمكن أن يقال بشأن قصة السقوط، لنتركه إلى حينه. لكن كل ما يجب أن نفهمه هو العلاقة بين اصطدام امرأة حامل بأولئك الذين اعتادوا أن يتشاجروا، لنفحص هذا. وأظن أن الكلام بالتفصيل في هذه الأمور أمرٌ مفيد. الإيمان بالمسيح، مع المعرفة الكاملة يصوِّرُنا ويشكِّلُنا بحسب المثال الإلهى، بتجديد الذهن. ولهذا يصرخ الذين آمنوا مع إشعياء معلنين بقوة: ''حَبِلْنَا تَلَوَّيْنَا كَأَنَّنَا وَلَدْنَا رِيحاً. لَمْ نَصْنَعْ خَلاَصاً فِي الأَرْضِ'' (إش ٢٦:١٨). فالإيمان بالمسيح هو بتجديد الذهن بالروح، وخلاصٌ للإنسان، وهو الذي يَسِمُ داخلنا بالملامح الإلهية. وحتى أولئك الذين بغباوة غيَّروا وضعهم من المعرفة الكاملة جداً إلى المعرفة الناقصة، أي الغلاطيون، بعد أن حيَّاهم بولس العظيم، قال لهم: ''يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضاً إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ'' (غلا ٤: ١٩)؛ إذ أن هؤلاء بعدما بدأوا مسيرتهم الروحية، طلبوا أن يكمِّلوا بحسب الجسد، وأخذوا في نقل هذا التطلع إلى عبادة الناموس. وهكذا لم يكملوا داخل انفسهم التشكُّل بالمسيح، إذ رفضوا بطريقةٍ ما، هذا الصلاح الذي وُجِدَ في داخلهم كما في رَحِمٍ. كمالُ المعرفة إذاً، ونقاوة الإيمان يُنشئان داخل نفوسنا كلنا، صورة المخلص، وهذه ستكون داخلنا بمثابة بذورٍ إلهيةٍ. ولذا عندما يُعثَرُ أناسٌ من مماحكة البعض في الكلام، وفيما بعد تفقد النفس التي عانت العثرة، الإيمان والمعرفة الموجودان داخلها كما لو كانت في حالة

حمل، دون أن تكتمل من جهة العقل، أي حتى لو قالوا إن النفس غيرُ مصوَّرةٍ بعد، وأنها مازالت غير مكتملة وبدون جمال، فإن المتسبب في العثرة يُعاقَب على أية حال، والعقوبة يفرضها عريس النفس، أي المسيح. وسوف يفرضها بقرار خاص به، لكن إذا كان ما تحمله النفس (الجنين) مكتملاً، أي إذا كان الإيمان بالمسيح عن معرفة جيدة، فإن النفس عندئذٍ تكون مذنبةً وتستحق أقصى جزاء، لأنها قبلت الموت بالفعل. لأن موت النفس هو نيرٌ على الإيمان غير الملوم، وخسارة للمعرفة الصحيحة. لهذا، فأنْ يصيرَ شخصٌ ما مُشاركاً للأقوال والمداخلات الحمقاء التي يقولها رجل ابتُلِعَ من الشيطان وصار بطريقة ما طعاماً لقطيع الأرواح النجسة، هذا يقول عنه الناموس إنه صار ملوثاً.

ويتحدث الناموس أيضاً بطريقة رمزية عن أمور ممنوعة فيقول: "وَلَحْمَ فَرِيسَةٍ فِي الصَّحْرَاءِ لاَ تَأْكُلُوا. لِلْكِلاَبِ تَطْرَحُونَهُ" (خر ٢٢: ٣١). فقد اعتاد الكتاب أن يسمي الإنسان الوقح وغير الطاهر بالكلب. وفى هذا ربما يتناسب القول المقزز والقذر مع بعلزبول نفسه، الذي -كحيوانٍ متوحِّشٍ- يلتهم النفس التي سقطت في يديه. (وصارت) تخدمه. حيث يقول الرسول: "لَيْسَ أَحَدٌ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِرُوحِ اللهِ يَقُولُ: «يَسُوعُ أَنَاثِيمَا»" (١ كو ١٢: ٣)، إذاً من غير اللائق للقديسين بالمرة أن يشاركوا في معاني وكلمات بذيئة وخادعة مثل هذه. إذ يقول: "وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟" (٢ كو ٦: ١٤).

بلاديوس: هذا حقيقة.

نصائح للقادة والمرشدين

كيرلس: وأعطى أيضاً وصيةً، إنه يجب أن يكون في يقظةٍ كلُّ الذين اختارهم لكي يكونوا قادةً ومرشدين للرعية. لكن بأية طريقة يُعلن لنا صلاحه؟ يعلنه عندما يقول في سفر اللاويين: "لاَ تُنَزِّ بَهَائِمَكَ جِنْسَيْنِ وَحَقْلَكَ لاَ تَزْرَعْ صِنْفَيْنِ" (لا ١٩: ١٩). هكذا مع قطيع الغنم والخراف يجب أن نتشبه جيداً بحشد المطيعين. حقاً سمع بطرس الرسول: "يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا أَتُحِبُّنِي؟ .. ارْعَ خِرَافِي .. ارْعَ غَنَمِي" (يو ٢١: ١٥ - ١٧). وقال النبي إشعياء للإسرائيليين أيضاً: "إِنَّ كَرْمَ رَبِّ الْجُنُودِ هُوَ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ وَغَرْسَ لَذَّتِهِ رِجَالُ يَهُوذَا" (أش ٥: ٧). إذاً فعلى الراعي

ألّا يضع خرافه مع حيوان آخر، فلا توجد مع آخر، حتى لا تحدث علاقة جنسية مع حيوان مختلف، ويولد نوعٌ ما مختلفاً، وبذلك يفقد القطيع أصالته الطبيعية الخاصة به. وزارع الكروم أيضاً إذا كان حكيماً ويعرف فنون الزراعة جيداً، فهو لا يمكن أن يزرع بذور القمح الجافة تحت شتلات العنب، وذلك لكي لا تستهلِكَ البذورُ الجافةُ المياهَ، فتُحرم منها الشتلات. تعال نطبِّق الآن هذا المِثال من الناحية الروحية، فالخراف العقلية هي التي لا يُسمح لها أن تقبل البذور الذهنية من الهراطقة. لأن الثمر الذي يأتي من الفكر المنحرف هو ثمر سيئٌ جداً، وأقوال أولئك الذين ليس لهم نفس الإيمان يمكن أن تتسبب في إصابة مَن يقبلونها بنتائج شريرة. فهؤلاء هم مثل شتلات العنب المزروعة بنظام، ولا يمكن أن تُثمر إلّا نوعاً واحداً من الثمر، وعلى هذا المِثال نحن نرفض دخول الرأى المنحرف مع الإيمان المستقيم. فنحن نعلم أنه لا يوجد تشابه طبيعي بين القمح والعنب. ولذلك فبذور الأفكار المختلفة لا يجب أن يكون لها مكانٌ داخلنا.

بلاديوس: تتكلم حسناً.

كيرلس: وبطريقةٍ أخرى، فإن الناموس يبيّن أن هذه الأمور المختلفة تكون غير متجانسة ولا تتماشى مع بعضها بالمرة، ويُعطي مثالاً لذلك عن العلاقة غير المعقولة والشاذة جداً بين الإنسان العاقل والحيوان غير العاقل، والذي يكون مختلفاً عنه تماماً في النوع. إذ يقول في سفر اللاويين: "وَإِذَا جَعَلَ رَجُلٌ مَضْجَعَهُ مَعَ بَهِيمَةٍ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ وَالْبَهِيمَةُ تُمِيتُونَهَا" (لا ٢٠: ١٥ – ١٦). إذ أن الاتصالات التي حدثت بينهما، والتي هي أصلاً غير مقبولة بالمرة، قد استحوذت على العقل بشهوة عارمة جداً كالهذيان، وجلبت الموت على الفاسدين وعلى أولئك الذين يقبلون الفساد بإرادتهم.

بلاديوس: الناموس يشرّع باستقامة وعدل.

كيرلس: بل أن الناموس يقول أكثر من هذا، فإن كان البعض بسبب التصرفات القهرية التي يحاول الهراطقة بها أن يفرضوا أفكارهم عليهم، بينما هؤلاء البعض لا يريدون أن يقبلوا انحرافات الهراطقة عن الأفكار المستقيمة، وبسبب تصرفات الهراطقة القهرية قد يضطر هؤلاء البعض للوقوع أحياناً في الضلالة. فالناموس لم يترك هؤلاء الناس الضعفاء بدون معونة.

بلاديوس: مَن تعني؟

كيرلس: أعني العبيد الرازحين تحت نير العبودية والمتضايقين من سلطة أسيادهم.

بلاديوس: وبأي طريقة ساعد الناموسُ هؤلاء؟

شريعة تحرير العبيد

كيرلس: حرّر العبيد من القيود والعبودية. فإذا كان الضررُ مرتبطٌ بالنفس، وإذا كان المظلوم يريد الابتعاد عن الظالم دون أن يعيقه أحد، فإن سفر الخروج يتحدث عن هذا الأمر ويقول هكذا: "وَإِذَا ضَرَبَ إِنْسَانٌ عَيْنَ عَبْدِهِ أَوْ عَيْنَ أَمَتِهِ فَأَتْلَفَهَا يُطْلِقُهُ حُرّاً عِوَضاً عَنْ عَيْنِهِ" (خر ٢١: ٢٦ – ٢٧). فبحسب النظرة الظاهرية للأمر، وبشرحٍ مبدئي، يوقِف الناموس وقاحة السادة، ويحِدُّ من غضبهم عند الحدِّ الواجب، ولا يتركهم ليصلوا إلى الأعمال التي يمكن أن تضر الحالة الطبيعية السليمة للعبيد الذين تحت سلطتهم، ولا يسمح بأية حال أن يقوم السيد بتحطيم الطبيعة ذاتها بدون أن يُلجِم غضب السيد، إذ أن الناموس يعرف أن سيد هذه الطبيعة هو خالقها وحده. والعبودية وما يتبعها من نتائج ليست نقصٌ طبيعيٌّ في الإنسان، لكنها أمرٌ أنشأه الإنسان نتيجة سوء استخدامه للسلطة. أمّا الآن، فإن الله الآب أعاد تشكيل كل الطبيعة على شكلها الأول[1]، وذلك في شخص المسيح كما يقول الكتاب: "إِذاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً" (٢ كو ٥: ١٧).

إذاً فعار العبودية يُبطَلُ بشكلٍ كاملٍ، وهذا ما كتبه الرسول بولس: "لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (غلا ٣: ٢٨). إذاً فالناموس، وهو يؤدِّبُنا ليقودنا إلى الكمال، ينزع الممارسة غير المنضبطة للسلطة، وأي تجاوز للحد الصحيح، معاقِباً كل الذين يتهاونون بالناموس، وذلك لتحرير أولئك الذين ظُلموا.

١- يشدد القديس كيرلس على أن الآب أعاد تشكيلنا بواسطة المسيح الذي ردنا إلى حالتنا الأولى، إذ يقول في موضع آخر: "لقد صار الابن حقاً هو الخلاص والبر من الله الآب لأجلنا، إذ هو الحق، وهو الذي تبرّرنا به لأنه انتصر على الموت الذي كان متملكاً علينا منذ القديم، وأعادنا إلى عدم الموت، وأعاد تشكيلنا إلى الحالة التي كانت عليها طبيعتنا منذ البداية". جيلافيرا، الكتاب الشهري، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم، عدد أبريل ٢٠٠٥.

هذا على مستوى الحرف والظل، أمَّا إذا فسَّرنا الناموس روحياً، فسوف تستطيع أن تقترب يا بلاديوس، وبطريقة أخرى من الأفكار التي يحويها. فنحن نقبل النور الطبيعي بالأعين الجسدية ونُعجب به، أمَّا النور الإلهي والعقلي، فيُشرق داخل قلوبنا[1]، وكما أن غذاء الجسد يُقطع ويُطحن بالأسنان، وبذلك يصير وسيلةً للحياة، هكذا أيضاً كل ما هو صعب الفهم من المعاني الإلهية، يُفتَّت بطريقةٍ ما كما لو بأسنان، وذلك بقوة العقل، عندئذٍ تصير هذه المعاني بعد ذلك غذاءً للنفس. ولذلك تقول الحكمة وهى تقدم لنا المائدة الإلهية والروحية: "هلموا كلوا من طعامي" (أم ٩: ٥). فإذا حدث أن فكَّر أحد السادة تفكيراً سيئاً وأجبر عبده على الانزلاق من العقائد الصحيحة إلى ضلالةٍ غير معقولة، يحكم الناموس بأن يُفك ارتباطه بالسيد ولا يُفرض عليه نيرٌ إجباري، ويتلاشى الخوف من سلطة السيد، ويذهب العبد إلى حيث يريد ليحيا بدون معاناة أي أذى. لأنه لا يوجد شيء أعظم من النفس، ولكي تخلص هذه النفس يجب أن تتحرر من العبودية، ويمكنك أن ترى أن هذا القول حقيقي وأنه مازال يسري حتى في أيامنا. فالعبيد إذ لا يطيقون أن يجبرهم ساداتهم على الضلالة، فإنهم يكفُّون تماماً عن إظهار الطاعة نحو الذين يسودون عليهم، والذين يريدون قهرهم، فيهرب هؤلاء العبيد من ثقل العبودية ويحفظون في داخل عقلهم النقي معرفة الإيمان الصحيح بكل وضوح وبدون ضلالة وهم يؤمنون أن هذا الأمر أكثر أهمية من أي شيء آخر، ويجعلون من تعليم الإيمان غذاءً روحياً[2] لنفوسهم مفتتين بالعقل -كما بأسنانٍ- كلَّ ما يصل إلى مسامعهم ويهضمون المضمون العميق جداً للمعاني الإلهية.

بلاديوس: شرحُك واضحٌ وصريح.

١- هذا النور الإلهي الذي يشرق في قلوبنا هو الذي يعطينا إمكانية رؤية ومعاينة الله، يقول ق. إيرينيوس: "من جهة عظمته ومجده غير المنطوق به، «لا أحد يرى الله ويعيش» (خر ٣٣: ٢٠)، لأن الآب غير مدرك. ولكن من جهة محبته وعطفه على البشر وقدرته على كل شيء، قد وضع في الذين يحبونه هذه الإمكانية أيضاً: أن يروا الله! وكما أن الذين يرون النور يكونون في النور ويشتركون في لمعانه، هكذا الذين يرون الله يكونون في الله ويشتركون في ضيائه. ولكن ضياء الله مُحييٌ، لذلك فالذين يرون الله يشتركون في الحياة. ولأجل ذلك فإن غير المُحوَى وغير المُدرَك وغير المَرئي جعل نفسه مرئياً ومُدرَكاً وقابلاً للاحتواء من الذين يؤمنون به، لكي يُحيي الذين يحتوونه وينظرونه بالإيمان" ضد الهرطقات ٢٠: ٤: ٥.

٢- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "كلام الله هو طعام حقيقي، يُغذي النفس. ومن حيث أن كلام الله هو طعام، فهذا واضح من العهد القديم، إذ يقول "أرسل جوعاً في الأرض لا جوعاً للخبز ولا عطشاً للماء بل لاستماع كلمات الرب (عا ٨: ١١)" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص١٤٥.

محبة الآخرين واحترام الأقرباء

كيرلس: ونضيف أيضاً، إن الناموس يعلّمنا محبة الآخرين، ويحثنا على احترام أقربائنا، ونحن نُمتحن وننال العقاب المناسب في حالة السلوك الخاطئ.

بلاديوس: أين يقول هذا؟

كيرلس: اسمع فإنه مكتوب هكذا: ''وَإِذَا نَطَحَ ثَوْرُ إِنْسَانٍ ثَوْرَ صَاحِبِهِ فَمَاتَ يَبِيعَانِ الثَّوْرَ الْحَيَّ وَيَقْتَسِمَانِ ثَمَنَهُ. وَالْمَيِّتُ أَيْضاً يَقْتَسِمَانِهِ. لَكِنْ إِذَا عُلِمَ أَنَّهُ ثَوْرٌ نَطَّاحٌ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَضْبِطْهُ صَاحِبُهُ يُعَوِّضُ عَنِ الثَّوْرِ بِثَوْرٍ وَالْمَيِّتُ يَكُونُ لَهُ'' (خر ٢١: ٣٥ - ٣٦). فهذا القول يوجّه إلى الاستقامة بمثالٍ حيٍّ. لأنه يقول إذا حدث أن قُتل ثور لأحدٍ ما؛ لأن ثوراً أخراً نطحه، فيتم تقسيم الثور الحي بين الاثنين، وكذلك الثور الميِّت يُقسَّم بين الاثنين. أي يريد أن يقول إذا تسبب شخصٌ ما في أذىً لشخصٍ آخر دون أن يكون هذا عن عمد، فالذي أصابه الأذى يحق له أن يتمتع بخيرات ذاك الذي تسبب في ذلك الأذى. لأن هذا هو ما يعنيه بأن يقتسما معاً الثور الحي. وهذا معناه أيضاً أنه يعتبر مصائب الآخر هي مصائبه حتى لو كان قد تسبب فيها بدون قصد. وهذا ما يمكن أن يعنيه من جهة اقتسامهما للثور الميت. أترى إذاً كيف يعلِّم الناموس عن محبة الآخرين، ولو بظلال؟ وهذا ما يظهره أيضاً قول الرسول: ''فَرَحاً مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ'' (رو ١٢: ١٥).

بلاديوس: واضح تماماً.

كيرلس: ويقول أيضاً إن القوي الذي يتسبب في الأذى وهو يعرف تماماً أن جاره سوف يُصاب من هذا الأذى ولم يتدخل لمنع حدوث الأذى بينما كان يستطيع ذلك، فمثل هذا الشخص يُعاقَب بنفس الأذى الذي أصاب جاره، ويتحمل نفس النكبة التي نُكب بها جاره. وهذا ما يعنيه بطريقة رمزية في حالة علم صاحب الثور أن ثوره نطَّاح ولم يضبطه إذ يقول: ''يُعَوِّضُ عَنِ الثَّوْرِ بِثَوْرٍ وَالْمَيِّتُ يَكُونُ لَهُ'' (خر ٢١: ٣٦). أي أن الناموس يهدد أولئك الذين يظلمون الآخرين عن عمد ليس فقط بفقدان الخيرات الخاصة بهم، بل يقول أيضاً إنهم سيعانون نكبةً خاصةً بهم، ويكون الألم الخاص بهم هو نفسه الذي حدث لقريبهم.

بلاديوس: شرحُك حسن جداً.

كيرلس: الرسول بولس وضع لنا قانوناً حكيماً عن المحبة التي بيننا، بقوله: "لاَ تَنْظُرُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لآخَرِينَ أَيْضاً" (في ٢: ٤). لأن الذي يُحب لا يطلب ما هو لنفسه (انظر ١ كو ١٣: ٥)، بل بالحرى يهتم بخير الآخرين وكيف يعيش إخوته حسناً. وهذا أيضاً يشير إليه العهد القديم بقوله: "إِذَا رَعَى إِنْسَانٌ حَقْلاً أَوْ كَرْماً وَسَرَّحَ مَوَاشِيَهُ فَرَعَتْ فِي حَقْلِ غَيْرِهِ فَمِنْ أَجْوَدِ حَقْلِهِ وَأَجْوَدِ كَرْمِهِ يُعَوِّضُ" (خر ٢٢:٥). فمن ترك مواشيه في حقول غيره وذلك لمنفعة نفسه، فبالرغم من صلاح العمل ذاته، إلَّا أنه لا يُسبب فرحاً لجاره بل يظلمه ويُحزنه. علينا إذاً عندما نعمل لفائدتنا ألَّا يكون ذلك على حساب الآخرين، بل بوسائل غير خاطئة ولا تؤذي الآخرين، فهذا ما يعنيه القول أن تنظروا إلى ما هو لآخرين أيضاً. وعلى المرء أن يعرف أيضاً أنه إذا سعى الإنسان إلى منفعته الخاصة فقط دون أن يُبالي بمشاعر الآخرين ودون أن يهتم بقريبه، فإنه سوف يعاني نفس الخسارة، وأنه بهذه الطريقة سوف يجلب الخرابَ على نفسه أيضاً. وهذا ما أعتقد أنه يشير إليه القول: "فَمِنْ أَجْوَدِ حَقْلِهِ وَأَجْوَدِ كَرْمِهِ يُعَوِّضُ" (خر ٢٢:٥).

والمعنى السابق نجده يتحقق في مجال الهرطقات التي يرعى فيها بعض الأغبياء جداً كحيوانات غير ناطقة ويستغلون حقول السيد وكرومه لحساب هرطقاتهم[1]. فهؤلاء سوف يكابدون الخسارة ويدفعونها من أجمل ما لديهم، أي بهلاك نفوسهم، لأن أفضل ما في كرمنا أو حقلنا هو نفوسنا.

بلاديوس: إذاً نقول إنَّ ثمر المحبة هو أنه يجب علينا أن نطلب ما ينفع الآخرين، وليس ما ينفعنا نحن فقط.

كيرلس: نعم يا عزيزي بلاديوس، فإنه يليق أن نتمم واجب المحبة تجاه اخوتنا لأن هذا الأمر يسُرُّ الله. وهذا هو ما يأمر به الناموس أيضاً حتى لا يدع المحبة

١- هذه هي حجة العلامة ترتليان في مبحثه "معارضة الهراطقة" (De Praescriptione) فهو لم يشأ أن يبحث الكتاب مع الهراطقة، إذ لا حق لهم في استعماله لأنه لا يخصهم. الكتاب مِلك الكنيسة. ولذلك أكد ترتليان بشدة على أولوية "قانون الإيمان" (Regula Fidei) الذي هو المفتاح الأوحد لفهم معاني الكتاب. وهذا "القانون" كان رسولياً ومتأصلاً في "تعليم الرسل ومستمداً منه" أنظر الأب جورج فلورفسكي، الكتاب المقدس والكنيسة والتقليد - وجهة نظر أرثوذكسية - نقله إلى العربية الأب ميشال نجم، منشورات النور ١٩٨٤، ص ٩٦ - ٩٧

تتعوق بسبب ما ذُكِر أعلاه، وبالأكثر بسبب سوء استخدامها من جانبنا. فالإنسان إذا كان لديه فضيلةٌ عظيمةٌ، ولكنه لا يمارسها باعتدال بل يندفع في ممارستها بغير انضباط، فهذا يسبب اضطراباً وحياةً متزعزعةً.

بلاديوس: ماذا تعني بهذا القول؟ إني لا أفهم جيداً.

كيرلس: هل توافق على أن الوداعة والتسامح كل منهما فضيلة.

بلاديوس: طبعاً أوافق.

كيرلس: حسناً، فإذا حدث أن وجَّه أحدهم كمية كبيرة من الإساءات والشتائم لشخصٍ وديعٍ ومتسامح، ووجَّه له أيضاً استفزازات تقود إلى الغضب، فإن كانت هذه الإساءات تقف عند مستوى معتدل، فإن هذا الشخص الوديع سيظهر بشكلٍ لائق، وسوف يقبل هذه الأمور بشجاعة ويكون الأمر بالنسبة له تدريب على الوداعة وعدم الغضب، لكن إذا تمادى الشخص المسيء إلى أكثر من الحد المعتدل بما يفوق حدود التسامح، فإن هذا يكون أمراً غير طبيعي. ففي هذه الحالة سوف يُضغط على الفضيلة إلى الحد الذي يجعلها تضعف وتذبل.

بلاديوس: تتكلم بالصواب. فإن الصلاح يخمد أحياناً داخل البشر بمجرد أن يبدأ.

المحبة أسمى كل الفضائل

كيرلس: ولنبدأ الآن –إذا أردت– الحديثَ عن المحبة ذاتها[1]. لأن هذه الفضيلة لها أهمية كبيرة، وهى أسمى من كل الفضائل، ولكنها لا تحتمل أن يُساء استخدامها. وهذا ما يقوله الناموس أيضاً في مثالٍ واضح: ”إِذَا دَخَلْتَ زَرْعَ صَاحِبِكَ فَاقْطِفْ سَنَابِل بِيَدِكَ وَلكِنْ مِنْجَلاً لا تَرْفَعْ عَلَى زَرْعِ صَاحِبِكَ» (تث

١- الصليب هو دليل المحبة العظمى، إذ يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: ”أليس القديس بولس في كل مناسبة يُظهر لنا موت المسيح كأعظم دليل لحبه لنا؟ فيقول: «الله بيَّن محبته لنا لأنه ونحنٍ بعد خطاة قد مات المسيح لأجلنا» (رو ٥:٨). ثم أليس بذلك يفتخر ويتسامى ويتهلّل وكأنه يطير من شدة الاشتياق، كاتباً لأهل غلاطية: «حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح» (غل ٦: ١٤)؟ بل إن المسيح نفسه الذي احتمل هذه الآلام يدعوها مجداً له! (يو ١٧: ١). وحينما أراد أن يبيِّن لنا حبّه فماذا ذكر؟ هل آياته ومعجزاته وعجائبه؟ لا أبداً! بل رفع صليبه في الوسط قائلاً: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ...» (يو ٣: ١٦). وهكذا أيضاً يقول بولس: «الذي لم يبخل علينا بابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟! (رو ٨: ٣٢). وحينما يدعو إلى المحبة ينصب هذا المثال أيضاً في الوسط قائلاً: «حبوا بعضكم بعضاً كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة» (أف ٥: ٢)“ عظة عن العناية العظمى ١٧:١ ـ ٧.

٢٣: ٢٥ - ٢٦). لا يوجد ضرر في أن تجمع قليلاً من سنابل القمح بيدك، أو أن تقطع عنقودَ عنبٍ اشتهيته لتأكله. هذه الأمور يقبلها ناموس المحبة بنيَّةٍ طيبةٍ، إذ أن الأمر لا يتجاوز الحد المعتدل. لكن إذا استخدم أحدٌ منجلاً لكي يحصد في حقل قريبه، فإنه يكون بذلك متجاوزاً الحد متعدِّياً حدود محبة الغير، داخلاً في منطقة الطمع[١]. وهذا بلا شك نموذج واضح جداً في أنه لا يجب أن يكون هناك إساءة لمعنى محبة الآخرين لك، بل ينبغي أن تحترم محبة الآخرين بدرجة كافية. وهذا النص الكتابي يمكن أن نطبِّقه روحياً على كثيرين. فيمكن أن يُطبَّق على أولئك الذين يستمدون التعليم -كغذاءٍ عقلي- من الذين يعملون داخل الكنيسة، ولكنهم لا يكتفون بهذا فقط، بل يتقدمون بما يتجاوز الحد المعقول، فيجمعون هذه التعاليم كما في وعاء، ويخزِّنونها داخل كُتبٍ مدَّعين أنهم يفعلون ذلك بسبب محبتهم الكبيرة لمعرفة الأمور النافعة، لكنهم بهذا يجورون على حقوق الإخوة. والأمور التي خزَّنوها في الكتب يقولون عنها إنهم هم أنفسهم قد أعدَّوها من قبل. لذا فإني أقول لهؤلاء، إن الناموس يأمر صراحةً أن لا تخزِّن شيئاً في إناء.

بلاديوس: معنى ذلك، أنه من الخطأ أن نسمح بالمبالغة في الفضيلة إلى الحد الذي يجعلنا نسيء استخدام محبة الآخرين.

كيرلس: هذا صحيح؛ لأن إله الكل حدّد بوضوح أن لا نتآمر على الفضيلة، بل بالأحرى أن نشارك في الصالحات والأمور الفاضلة. فالناموس يستخدم أموراً صغيرة، وإن كانت غير واضحة لكي يشير بها إلى الأمور الفاضلة. إذ نجده في سفر التثنية يقول: "إِذَا اتَّفَقَ قُدَّامَكَ عُشُّ طَائِرٍ فِي الطَّرِيقِ فِي شَجَرَةٍ مَا أَوْ عَلَى الأَرْضِ فِيهِ فِرَاخٌ أَوْ بَيْضٌ وَالأُمُّ حَاضِنَةٌ الفِرَاخَ أَوِ البَيْضَ فَلا تَأْخُذِ الأُمَّ مَعَ الأَوْلادِ. أَطْلِقِ الأُمَّ وَخُذْ لِنَفْسِكَ الأَوْلادَ لِيَكُونَ لكَ خَيرٌ وَتُطِيلَ الأَيَّامَ" (تث ٢٢: ٦ - ٧).

بلاديوس: ما الذي يريد أن يقوله بهذا الكلام، فإنه غير واضح لي.

كيرلس: معنى الكلام أنه إذا أمسك شخصٌ طائراً لديه صغارٌ أو لديه بيضٌ يحتضنه،

١- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "الطمع في كل الأحوال هو أمر سيء. ولذلك فإن الأعضاء التي تؤلف الجسد الواحد، يجب أن تكون مترابطة فيما بينها، وكل عضو يؤدي عمله المنوط به، أما إذا حدث وتجاوز عضو من هذه الأعضاء القياس الخاص به وسيطر عليه الطمع، فإنه يُدمر كل شيء" تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ١٨٥ .

فإذا أخذ البيض ليستفيد منه وترك الطائر نفسه، فإنه بذلك لا يفعل شراً.

بلاديوس: نعم قد فهمت الآن.

كيرلس: وانتبه أيضاً للمعنى المخفي وتأمل في الحقيقة ذهنياً لتعرف معنى هذا الكلام الرمزي. فكل فضيلة[1] هي كالأم، تُعتَبَرُ مصدراً للخيرات التي تصدر عنها، وذلك مثل محبة الفقراء، الوداعة، الصبر، طيبة القلب. فالشخص المحب للفقراء يجعل الآخرين يشتركون في الانتفاع من فضيلة محبة الفقراء، حيث يحتاج هؤلاء الفقراء إلى هذه المحبة. ونفس الشيء يمكن أن يقال بخصوص الوداعة والصبر. إذاً فكل فضيلة يجب أن تُعتَبر بطريقةٍ ما، الأم، وبدايةً لخيرات أخرى، إذ أنها تتضمن كل ما ينتج عنها من ثمار. والمخزن الذي يحوي هذه الفضائل هو النفس التي تتمخض بها وتختزنها في داخلها. إذاً، فبحسب كلام الناموس، يجب على الذين يقابلون أُناساً تشتمل مخازن نفوسهم على هذه الثمار الطيبة أي الفضائل؛ أن يعتبروا كل ما يأخذونه منهم ربحاً لهم. ولكن ينبغي عليهم أن لا يسببوا ضرراً للفضيلة التي هي أم الخيرات. والضرر يحدث للفضيلة عندما يُزعزعها أيُ شخصٍ بالطرق التي أشرنا إليها سابقاً.

بلاديوس: معنى الكلام عميق جداً.

ناموس محبة الإخوة

كيرلس: إن ملاحظتك صحيحة فعلاً، لكن لنلتفت إلى ما يقوله الرسول بولس: "أَلَعَلَّ اللهَ تَهُمُّهُ الثِّيرَانُ؟. أَمْ يَقُولُ مُطْلَقاً مِنْ أَجْلِنَا؟" (١ كو ٩: ٩ – ١٠). فالوصية المعطاة بواسطة موسى تعرض أمثلةً للأمور، ولكنها لا تشرح الأمور نفسها بوضوح، ويمكنك أن ترى كيف أن الناموس يرفعنا قليلاً قليلاً في طُرقٍ أفضل لمحبة الآخرين، إذ يحاول أن يقنعنا أن نحب أولئك الذين

١ـ يحثنا القديس يوحنا ذهبي الفم على ممارسة الفضيلة، إذ يقول: "لا يكفي أن نتخلص من الشر والخبث، لكي نرى ملكوت السموات، بل يجب أن نُمارس الفضيلة عملياً على أرض الواقع إلى أقصي درجة ممكنه. لأنه لكي ننجو من نار جهنم، ينبغي أن نبتعد عن الشر، ولكي ندخل ملكوت السموات، يجب أن نكون مُتطلعين نحو ممارسة الفضيلة. ألا تعرفون أن هذا هو ما يحدث في محاكمات الأمم، عندما يفحصون الأمورِ التي إرُتكبت، وعندما تجتمع المدينة كلها معاً؟ لأنه كانت هناك عادةً قديمة لدي الوثنيين، أن يُتوَّجوا الذين صنعوا أعمالاً عظيمة وإحسانات كبيرة، بتاج من ذهب، وليس أولئك الذين لم يرتكبوا شراً في المدينة، لأن مجرد عدم إرتكاب الشر كان يعفي فقط من العقوبة. وهكذا كان يجب أن تتقادوا تجاه هذه الكرامة" تفسير الرسالة إلى أفسس، الاصحاح الرابع، ص ٢٣٦.

أهانونا، وأن ننتصر على غضبنا تجاه الأعداء، وألَّا ندع الشر يهزمنا، بل بالحري نغلب الشر بالخير، لأنه يقول أيضاً في سفر الخروج: "إِذَا صَادَفْتَ ثَوْرَ عَدُوِّكَ أَوْ حِمَارَهُ شَارِداً تَرُدُّهُ إِلَيْهِ. إِذَا رَأَيْتَ حِمَارَ مُبْغِضِكَ وَاقِعاً تَحْتَ حِمْلِهِ وَعَدَلْتَ عَنْ حَلِّهِ فَلاَ بُدَّ أَنْ تَحِلَّ مَعَهُ. لاَ تُحَرِّفْ حَقَّ فَقِيرِكَ فِي دَعْوَاهُ" (خر ٢٣: ٤ – ٦). وفي سفر التثنية أيضاً: "لا تَنْظُرْ ثَوْرَ أَخِيكَ أَوْ شَاتَهُ شَارِداً وَتَتَغَاضَى عَنْهُ بَل تَرُدُّهُ إِلى أَخِيكَ لا مَحَالةَ. وَإِنْ لمْ يَكُنْ أَخُوكَ قَرِيباً مِنْكَ أَوْ لمْ تَعْرِفْهُ فَضُمَّهُ إِلى دَاخِلِ بَيْتِكَ. وَيَكُونُ عِنْدَكَ حَتَّى يَطْلُبَهُ أَخُوكَ حِينَئِذٍ تَرُدُّهُ إِليْهِ. وَهَكَذَا تَفْعَلُ بِحِمَارِهِ وَهَكَذَا تَفْعَلُ بِثِيَابِهِ. وَهَكَذَا تَفْعَلُ بِكُلِّ مَفْقُودٍ لأَخِيكَ يُفْقَدُ مِنْهُ وَتَجِدُهُ. لا يَحِلُّ لكَ أَنْ تَتَغَاضَى. لا تَنْظُرْ حِمَارَ أَخِيكَ أَوْ ثَوْرَهُ وَاقِعاً فِي الطَّرِيقِ وَتَتَغَافَلُ عَنْهُ بَل تُقِيمُهُ مَعَهُ لا مَحَالةَ" (تث ٢٢: ١ – ٤). أترى كيف يهذبنا الناموس ويدربنا على الصلاح الفائق والكامل، إذ يأمر بطريقةٍ ما أن ننسى الإساءة، وذلك عن طريق الاهتمام بحيوانات الشخص الذي أحزننا، وهو يشير باستمرار إلى ما يخص الأخ، وبذلك يمنعنا من الغضب والجُبن؛ إذ يعتبر هذه الأمور الطبيعية علامةٌ للمحبة. لأنه يقول إذا وجدت حيواناً شارداً أو ثوباً مفقوداً، يجب عليك أن تحفظها لأخيك، وإذا تثقَّل حيوانٌ من الحيوانات التي تنقل الأحمال وانزلق وكاد يتحطم بسقوطه على الأرض، فينبغي أن تساعد صاحبه في إقامته. وهذا لا يعني شيئاً آخر إلَّا أن تمارس عمل الرحمة[1]، وأن تتدرب على محبة الآخرين. وأن تتجنب النزاعات وتُقصيها حتى لا تصطدم بناموس محبة الاخوة، وهذا طبعاً يشير إلى أمر آخر. فإذا كان المشرع قد أظهر اهتماماً كبيراً مثل هذا، حتى أنه في حالة معاناة أحد الحيوانات غير الناطقة من شيءٍ ما، حتَّم علينا أن نمد يد المساعدة، فكم بالأحرى تكون مسرته باهتمامنا بالبشر ومحبة الآخرين التي هي واجب علينا نحو الذين هم من جنسنا. وهكذا أيضاً، فحتى عدونا إذا حدث أن ضلَّ الطريق، فينبغي علينا أن نُرشده إلى الطريق المستقيم. فبينما كان اليهود يبغضون المسيح، كان يقول لهم: "النُّورُ مَعَكُمْ ... لِئَلَّا يُدْرِكَكُمُ الظَّلاَمُ" (يو ١٢: ٣٥). وإذا

١- يحثنا القديس يوحنا ذهبي الفم على ممارسة الرحمة بغير إنفصال عن الفضائل، إذ يقول: "كما أن حواسنا خمسة، ويجب أن نستخدمها كلها كما ينبغي، هكذا يجب أن نمارس كل الفضائل. فإن كان هناك شخص عفيف، لكنه لم يمارس عمل الرحمة، وفي نفس الوقت يكون طماعاً، أو لا يتمني الخير للآخرين، أو لا يُعطي مما له، حينئذٍ يصير كل شيء باطلاً. لأن فضيلة واحدة لا تكفي أن تجعلنا نقف بدالة أمام عرش المسيح، بل هناك ضرورة لأن نُمارس الفضيلة في كمالها وفي تنوعها" تفسير الرسالة إلى تفسير أفسس، الاصحاح الثاني، ص ٨٢.

عانى شخصٌ ما من آلام وتجارب، وصار كمن هو ملقى على الأرض تحت ضغط احتياجات لا يستطيع أن يفلت منها، فعلينا نحن أن نساعده لكي ينتصر على الغضب والحزن اللذين يعاني منهما. أم ليس هذا هو مفهوم وصية المسيح التي تقول: ''أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ'' (مت ٥: ٤٤).

بلاديوس: ما قلته جميل جداً.

كيرلس: هكذا يليق بالقديسين أن يشاركوا المتألمين في آلامهم، وألَّا يتسببوا في إحزانهم بأمورٍ تكون عبئاً ثقيلاً عليهم؛ لأنه في هذه الحالة يغضب المتألمون وربما ينقضُّون على الذين ظلموهم. وإذا حدث أن شخصاً ما أراد أن يهيمن على غيره سراً، فإن الناموس يُحدد بطريقةٍ مناسبةٍ جداً أنه يجب على الإنسان أن يبتعد عن مثل هذه الأخطاء، لأنه يقول: ''لاَ تَشْتِمِ الأَصَمَّ وَقُدَّامَ الأَعْمَى لاَ تَجْعَلْ مَعْثَرَةً بَلِ اخْشَ إِلَهَكَ. أَنَا الرَّبُّ'' (لا ١٩: ١٤).

ولعله من الواضح تماماً أنه من الأفضل واللائق جداً بالناس الكاملين أن يضعوا لجاماً على لسانهم[1]، وأن يتجنبوا ذمَّ أيَ إنسانٍ؛ إذ يقول تلميذ المخلّص: ''لاَ يَذُمَّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُّهَا الإِخْوَةُ'' (يع ٤: ١١). وها هو الناموس يقول لنا لا تشتم الأصم، وأظن أنه يريد أن يشير بهذا إلى أنه يجب على أهل الفضيلة تجنب الإساءة، خاصةً لو كان الذين يُساء إليهم ضُعفاء عاجزون عن مقاومة الإساءة. فالأصم والأعمى، مقيدان بالمرض من ناحية الجسد، وعاجزان من ناحية الحواس، أي أن الأصم لا يسمع مَن

١ـ يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: ''من أجلِ هذا أعطاك الله الفم، لكي تشكره، لكي تبنيٍ القريب، لأنه إن كنت ستهدم البناء، فمن الأفضل أن تصمت، ولا تتكلم أبداً. لأنه عندما تتجه أيدي العامل لهدم البناء بدلاً من تكميله، سيكون من العدل أن تُقطع. فهذا ما يقوله المزمور ''يقطع الرب جميع الشفاه الملقة''. اللسان هو سبب جميع الشرور، وربما ليس اللسان في حد ذاته، بل أولئك الذين يستخدمونه إستخداماً سيئاً. فمنه يخرج السباب والإهانات، الكلام الرديء، التجديف، ومنه يُولد لهيب الذات، القتل، الزنا، السرقة، وكل شيء ينطلق منه. وسيقول البعض وكيف يُولد القتل منه؟ لأنه يُهين والإهانة تصل إلى الغضب، الذي يؤدي إلى الإصابة، والتي تتطور إلى القتل. وكيف يولد منه الزنا؟ لو أن إمرأة ما تُحبك، وقالت شيئاً جميلاً عنك فستتأثر رغبتك وتفسد، بعد ذلك ستشتعل الشهوة فيك. من أجل هذا قال الرسول بولس ''كلٍ ما كان صالحاً للبنيان''. إذن لأن الكلام الرديء كثير، فإنه بالصواب يتحدث بشكل عامٍ، ويطلب أن يكون كلامنا صالحاً للبنيان، ويُعطي النموذج للكلام الحسن. وما هو هذا النموذج؟ يقول ''كل ما كان صالحاً للبنيان'' وهو يقول هذا ''كي يُعطي نعمة للسامعين''. على سبيل المثال، إن سلك أخوك في الدعارة، فلا تنشر أو تُذيع هذا الأمر المهين، ولا تحتقره، لأنك بهذا لا تفيد المستمع إليك بشيء، بل تؤذيه أيضاً، وهذا أمر طبيعي، إذ إنك بهذا تكون كمن يوغره بمسمار، ولكن إن نصحته بماذا ينبغي عليه أن يفعل، فإنك تمنحه خدمة عظيمة إذا علمته أن يكون له فماً صالحاً، إن علمته عدم الإساءة لأحد، عندئذٍ تكون قد أكسبته حكمة داخلية، وقدمت له خدمة كبيرة، فإن حدّثته عن الإنسحاق والتقوي والإحسان، فهذا يجعل نفسه تهدأ. ولذلك سيكون مديناً لك بهذه الخدمة'' تفسير الرسالة إلى أفسس، الإصحاح الرابع، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١.

يشتمه، كما لا يرى الأعمى ذاك الذي يصنع له فخاً؛ ولذلك فما أسهل أن يسئ إليهما شخصٌ ما. وبدلاً من أن يُشفقوا عليهم بسبب الإعاقة التي ابتلوا بها، يعتدون عليهم ويظلمونهم، فينهكون الأعمى بوضع عوائق أمامه دون أن يدري، وأحياناً يقنعون الأصم أن يبتسم عندما يهينونه، وكأن الإهانات الموجَّهة إليه كلماتُ ثناءٍ عليه. وقد يرتكب أحدٌ هذا الفعل الشرير مع الأصم والأعمى، دون أن يعرفا بذلك، الأمر الذي يستحق معه هذا الشخص أن يتهمه الآخرون بالقساوة الشديدة والكراهية العظيمة للغير وخاصةً للضعفاء.

بلاديوس: هذا حق.

حق اليتيم والغريب والأرملة

كيرلس: الناموس القديم يجعلنا محبين وشفوقين[1]، ونعرف هذا بسهولة عندما نسمعه يقول: "إِنْ كَانَ فِيكَ فَقِيرٌ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَتِكَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ فِي أَرْضِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فَلا تُقَسِّ قَلْبَكَ وَلا تَقْبِضْ يَدَكَ عَنْ أَخِيكَ الفَقِيرِ. بَلِ افْتَحْ يَدَكَ لهُ وَأَقْرِضْهُ مِقْدَارَ مَا يَحْتَاجُ إِليْهِ" (تث ١٥: ٧ – ٨) ومرةً أخرى يقول: "وَلاَ تَضْطَهِدِ الْغَرِيبَ وَلاَ تُضَايِقْهُ لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ. لاَ تُسِئْ إِلَى أَرْمَلَةٍ مَا وَلاَ يَتِيمٍ. إِنْ أَسَأْتَ إِلَيْهِ فَإِنِّي إِنْ صَرَخَ إِلَيَّ أَسْمَعُ صُرَاخَهُ. فَيَحْمَى غَضَبِي وَأَقْتُلُكُمْ بِالسَّيْفِ فَتَصِيرُ نِسَاؤُكُمْ أَرَامِلَ وَأَوْلاَدُكُمْ يَتَامَى. إِنْ أَقْرَضْتَ فِضَّةً لِشَعْبِي الْفَقِيرِ الَّذِي عِنْدَكَ فَلاَ تَكُنْ لَهُ كَالْمُرَابِي. لاَ تَضَعُوا عَلَيْهِ رِباً. إِنِ ارْتَهَنْتَ ثَوْبَ صَاحِبِكَ فَإِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ تَرُدُّهُ لَهُ. لأَنَّهُ وَحْدَهُ غِطَاؤُهُ. هُوَ ثَوْبُهُ لِجِلْدِهِ. فِي مَاذَا يَنَامُ؟ فَيَكُونُ إِذَا

١- يشرح القديس يوحنا ذهبي الفم كيف نكون متسامحين وشفوقين في سياق تفسيره لنص أفسس "وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضاً فِي الْمَسِيحِ" (أف ٤: ٣٢)، إذ يقول: "لاحظ، بحسب قانون الصالح والأصلحَ أو الأفضل، كيف أن المطوب بولس يُنقي ويفلح الأرضَ التي إستأمنه عليها الخالق. إنه يُهلِك البذور المغشوشة، وفيما بعد يترجى أن نحتفظ بالنباتات الحقيقية، كشيء نافع. يقول "كونوا لطفاء" لأنه إن بقيت الأرض غير مُفلَحه بعد أن تُقتلع منها الأشواك، فإن الحشائش الضارة ستنبت مرة أخرى. من أجل هذا ينبغي أن نتجنب هذا الكسل وهذا الخمول، وذلك بزرع بذور ونبتات جيدة. أمحو الغضب وضع مكانه رقة المشاعر وطيبة القلب، إنزع المرارة وضع مكانها أحشاء رأفة، إقطع الخبث والتجديف وأزرع الصفح بدلاً منهما، لأن هذا هو معنى "متسامحين". يقول كونوا متسامحين، هذه العطية هي أعظم من عطية المال. لأن الذي ترك مالاً لمن إقترض منه، يكون قد عمل عملاً لم يُسمع عنه من قبل، ويستحق الإعجاب. إلا أن هذه العطية محدودة، بالرغم من أن هذا يجلب لنفسه المكافأة الروحية. أما الذي سامح عن خطايا، فقد أفاد نفسه، وأفاد مَن نال هذه المسامحة، لأنه لم يجعل نفسه فقط بهذه الطريقة أكثر رأفة، بل ونفس ذاك الذي سامحه. لأنه عندما نعاقب بقسوة مَن ظلمونا، فإننا لا نُحزِن نفوسهم، بقدر ما يحدث عندما نسامحهم، فإننا بهذا نؤنبهم ونُخجلهم" تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ٢٣٩.

صَرَخَ إِلَيَّ أَنِّي أَسْمَعُ لأَنِّي رَأُوفٌ" (خر ٢٢: ٢١ - ٢٧). هل سمعت كيف يقدم تعليماً حسناً عن محبة الآخرين؟ وكيف يهدد بغضبه أولئك الذين أنعم عليهم بإحسانه؛ إذا لم يُظهِروا الرحمةَ نحو الاخوة، إذ يقول: "إنني رؤوف"، أي أنني صالحٌ بطبيعتي وإله رؤوف؛ لهذا سوف أقبل صراخ الشخص الذي وقع عليه الظلم، وسأرحم دموع الذين قهرهم الفقر الشديد، لذلك لا يجب أن تتسبب تصرفاتنا مع الفقير في أن يصرخ ضدنا إلى الله. ولكي يؤكد أننا يجب أن نكون شفوقين وأن نُظهر اهتماماً شديداً بمحبة الفقراء، ينصحنا أيضاً في سفر التثنية قائلاً: "لا تَظْلِمْ أَجِيراً مِسْكِيناً وَفَقِيراً مِنْ إِخْوَتِكَ أَوْ مِنَ الْغُرَبَاءِ الذِينَ فِي أَرْضِكَ فِي أَبْوَابِكَ. فِي يَوْمِهِ تُعْطِيهِ أُجْرَتَهُ وَلا تَغْرُبْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ لأَنَّهُ فَقِيرٌ وَإِلَيْهَا حَامِلٌ نَفْسَهُ لِئَلا يَصْرُخَ عَلَيْكَ إِلى الرَّبِّ فَتَكُونَ عَلَيْكَ خَطِيَّةٌ" (تث ٢٤: ١٤ - ١٥).

وهكذا ترى أنه لا يحثنا على أن نرتعب من صراخ الفقير[1] ضدنا فقط، بل وعلى محبة الآخرين أيضاً، وبالأحرى فإن العهد الجديد الذي صار بالمسيح يُظهر لنا الصلاح الكامل، يقول: "بِيعُوا مَا لَكُمْ وَأَعْطُوا صَدَقَةً" (لو ١٢: ٣٣). وهذا ما فعله بعض المؤمنين في العهد الجديد، إذ يقول في سفر الأعمال: "إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ مُحْتَاجاً لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ كَانُوا أَصْحَابَ حُقُولٍ أَوْ بُيُوتٍ كَانُوا يَبِيعُونَهَا وَيَأْتُونَ بِأَثْمَانِ الْمَبِيعَاتِ. وَيَضَعُونَهَا عِنْدَ أَرْجُلِ الرُّسُلِ فَكَانَ يُوزَّعُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ كَمَا يَكُونُ لَهُ احْتِيَاجٌ" (أع ٤: ٣٤ - ٣٥). والناموس، إذ يضع الأُسس ويقود إلى بدايات وصايا الله، يُعلّمنا أن نترك القليل والبواقي لننال بركة الرب الوافرة، إذ يقول: "إِذَا حَصَدْتَ حَصِيدَكَ فِي حَقْلِكَ وَنَسِيتَ حُزْمَةً فِي الحَقْلِ فَلا تَرْجِعْ لِتَأْخُذَهَا. لِلغَرِيبِ وَاليَتِيمِ وَالأَرْمَلةِ تَكُونُ لِيُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي كُلِّ عَمَلِ يَدَيْكَ. وَإِذَا خَبَطْتَ زَيْتُونَكَ فَلا تُرَاجِعِ الأَغْصَانَ وَرَاءَكَ. لِلغَرِيبِ وَاليَتِيمِ وَالأَرْمَلةِ يَكُونُ. إِذَا قَطَفْتَ كَرْمَكَ فَلا تُعَلِّلْهُ وَرَاءَكَ. لِلغَرِيبِ وَاليَتِيمِ وَالأَرْمَلةِ يَكُونُ" (تث ٢٤: ١٩ - ٢٢). وهذا يعني أنه من الجيد أن تتذكر آلامك القديمة

١- يحثنا العهد القديم على أن لا ننسى وحدانيةِ الروحِ التي تجعل الجميع واحداً، إذ يقول القديس يوحنا ذهبي الفم في سياق تعليقه على قول القديس بولس "مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ" (عب ٤:٣) إذ يقول: "ما هي وحدانية الروح؟ هي تماماً كما يحدث في الجسد، إذ توجد روح تجمع كل الأعضاء معاً، وإن كانت أعضاء متنوعة، هكذا هنا أيضاً. لأنه لأجل هذا أُعطيَ الروح، لكي يُوحّد أولئك الذين تفرقوا بسبب الجنس أو بسبب إختلاف أساليب الحياة. فالروح يجعل الجميع واحداً الشيخ والشاب، الفقير والغني، الطفل والمراهق، المرأة والرجل، الجميع في وحدة واحدة أكثر مما لو كانوا جسداً واحداً لأن هذه القرابة الروحية، هي أعظم بكثير من القرابة الجسدية، وهذه الوحدة الروحية هي الأكمل. لأن إتحاد الروح هو أكمل، إذ هو بسيط بطبيعته" تفسير الرسالة إلى أفسس، الإصحاح الرابع، ص ١٦١.



في أوقات الفرح؛ لأن هذا يساعدك على محبة الفقير، فلا ينبغي أن ننسى أحوال اللذين يعيشون في الفقر، عندما نكون في حالة الرخاء.

بلاديوس: هذا صحيح.

شريعة الإقراض

كيرلس: لاحظ حكمة الناموس في كيفية دعوته لأن نخلع عاداتنا السيئة، وأن نتحرر من العداوة، ويقودنا في نفس الوقت إلى الأمور الأفضل، ويُدخِلنا إلى طريق محبة الآخر. فهو ينصحنا أن نقرِض اخوتنا المحتاجين، وينهانا عن أخذ أرباحٍ منهم، ويأمرنا بمقاومة الطمع. وأنه لا يجب أن نثقِّل على الذين أقرضناهم، ولا أن نضغط عليهم، بل بالحري يأمرنا أن نلغي ديوننا عليهم إذ يقول: "لا تُقْرِضْ أَخَاكَ بِرِباً رِبَا فِضَّةٍ أَوْ رِبَا طَعَامٍ أَوْ رِبَا شَيْءٍ مَا مِمَّا يُقْرَضُ بِرِباً. لِلأَجْنَبِيِّ تُقْرِضُ بِرِباً وَلكِنْ لأَخِيكَ لا تُقْرِضْ بِرِباً لِيُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِليْهِ يَدُكَ فِي الأَرْضِ التِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِليْهَا لِتَمْتَلِكَهَا" (تث ٢٣: ١٩ - ٢١). وكل ما يقصده المشرع هنا هو تعضيد الاخوة الغرباء الذين هم من جنسنا، وذلك بعمل الخير، والعطاء بسخاء؛ لأن المسيح يقول: "وَكُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلاَ تُطَالِبْهُ" (لو ٦: ٣٠). ولكن لأن ذهن الناس القدماء لم يكن قادراً في البداية على التصرف الصحيح، أي على تتميم الصلاح كاملاً، يتقدم الناموس قليلاً قليلاً لكي يُربِّي الإنسانَ على الصلاح وعلى عمل الرحمة مع الاخوة والجيران، وخدمة الغرباء بكرم، وتقديم المحبة للجميع، وذلك في انتظار الكمال الأكثر عند حضور المسيح؛ لأن الظلال تشير فقط إلى الكمال، لكنها ليست هي الكمال.

بلاديوس: ما قلته حسن جداً.

تحريم الطمع وترك الديون

كيرلس: وإذ أمر الناموس بإقراض المحتاجين، فإنه حرَّم الطمع، ووعد كل من يطيعون بنوال بركته، وهو يأمر أيضاً بترك الديون بعد مرور سبع سنوات عليها مشيراً بذلك إلى وقت ترك كل شيء، أي وقت حضور المسيح الذي فيه

تبررنا كلنا بالإيمان، وحصلنا على الصفح عن ديوننا القديمة. وقد وهبنا هذا؛ إذ سمَّر على صليبه الصَّكَّ الذي كان ضداً لنا، وقد رفعه من الوسط، أي الديون التي كان علينا أن نعطي عنها جواباً أمام الديان العادل. ويقول في سفر التثنية ما يلي: "فِي آخِرِ سَبْعِ سِنِينَ تَعْمَلُ إِبْرَاءً. وَهَذَا هُوَ حُكْمُ الإِبْرَاءِ: يُبْرِئُ كُلُّ صَاحِبِ دَيْنٍ يَدَهُ مِمَّا أَقْرَضَ صَاحِبَهُ. لا يُطَالِبُ صَاحِبَهُ وَلا أَخَاهُ لأَنَّهُ قَدْ نُودِيَ بِإِبْرَاءٍ لِلرَّبِّ. الأَجْنَبِيَّ تُطَالِبُ وَأَمَّا مَا كَانَ لكَ عِنْدَ أَخِيكَ فَتُبْرِئُهُ يَدُكَ مِنْهُ" (تث ١٥: ١ - ٤). وبعد قليل يضيف أيضاً: "إِنْ كَانَ فِيكَ فَقِيرٌ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَتِكَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ فِي أَرْضِكَ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فَلا تُقَسِّ قَلبَكَ وَلا تَقْبِضْ يَدَكَ عَنْ أَخِيكَ الفَقِيرِ. بَلِ افْتَحْ يَدَكَ لهُ وَأَقْرِضْهُ مِقْدَارَ مَا يَحْتَاجُ إِليْهِ. احْتَرِزْ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعَ قَلبِكَ كَلامٌ لئِيمٌ قَائِلاً: قَدْ قَرُبَتِ السَّنَةُ السَّابِعَةُ سَنَةُ الإِبْرَاءِ وَتَسُوءُ عَيْنُكَ بِأَخِيكَ الفَقِيرِ وَلا تُعْطِيهِ فَيَصْرُخَ عَليْكَ إِلى الرَّبِّ فَتَكُونُ عَليْكَ خَطِيَّةٌ" (تث ١٥: ٧ - ١٠). أي أنه يقول عليك ألَّا تكون حزيناً وأنت تعطِه؛ لأن الرسول بولس يقول لنا: "لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ" (٢ كو ٩: ٧).

بلاديوس: نعم، لكن كيف يشير هذا العام السابع إلى حضور مخلِّصنا، والذي فيه يكون الصفح للكل، وينال الجميع البر الكامل؟

كيرلس: ألا تذكر ما قلناه قبل ذلك من أن الكتاب المقدس اعتاد أن يشبِّه زماننا الحاضر كله بأسبوع، وأن نهاية هذا الأسبوع هو السبت، وأن اليوم التالي له مباشرةً هو الثامن، وهو الذي يحمل لنا بداية عصر جديد بقيامة المسيح.

بلاديوس: نعم أتذكر هذا.

كيرلس: لقد جاء المسيح في نهاية هذا العصر حسب الكتب، أي أنه جاء في السبت، وقد منح الغفران لكل الذين كانوا مقيدين بسلاسل خطاياهم، وكانوا مدينين بسبب تعدياتهم، لهذا يشبههم الإنجيل بالمديونين بقوله: "كَانَ لِمُدَايِنٍ مَدْيُونَانِ. عَلَى الْوَاحِدِ خَمْسُ مِئَةِ دِينَارٍ وَعَلَى الآخَرِ خَمْسُونَ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَا يُوفِيَانِ سَامَحَهُمَا جَمِيعاً. فَقُلْ: أَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبّاً لَهُ؟" (لو ٧: ٤١ - ٤٢). وأكثر من هذا، أعطانا مثالاً بقوله: "فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ. خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ. وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضاً لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا" (مت

٦: ٩ – ١٢). فالناموس أعلن لنا السر الإلهي بطريقة غير مباشرة وخفيَّة، إذ أمرنا أن نمنح العفو كل سبع سنوات، وهكذا وضعنا في طريق الصلاح إذ يعلِّمنا أن محبتنا لإخوتنا هي أفضل من المال، ويحثنا أن نغدق بسخاء على اخوتنا، وأن نكون محسنين، وهو بطريقةٍ ما يحدد الإحسان إلى أخينا وجارنا كنموذج للمحبة العظيمة التي تتسع لجميع الناس.

بلاديوس: هذا صحيح وأنت تهتم بذِكر الأمور الحسنة.

كيرلس: وأنت سوف تُدهش يا بلاديوس إذا عرفت ما هو أعظم.

بلاديوس: وما هو هذا؟

كيرلس: الناموس يريدنا أن نتقدم إلى مستوى الصلاح ومحبة الآخر لدرجة أن نعتبر أن شيئاً ما لا يعادل المحبة لإخوتنا[1]. وأن نشاركهم بإخلاص في آلامهم، إلى الدرجة التي فيها ننتصر على غضبنا في حالة عدم سلوكهم كما يجب من نحونا، أو في حالة إحزانهم لنا بسبب نقص محبتهم لنا. وأعطيك المثال لهذا الأمر من سفر العدد، إذ يقول: ”وَأَرْسَل مُوسَى رُسُلاً مِنْ قَادِشَ إِلى مَلِكِ أَدُومَ: «هَكَذَا يَقُولُ أَخُوكَ إِسْرَائِيلُ قَدْ عَرَفْتَ كُل المَشَقَّةِ التِي أَصَابَتْنَا. إِنَّ آبَاءَنَا انْحَدَرُوا إِلى مِصْرَ وَأَقَمْنَا فِي مِصْرَ أَيَّاماً كَثِيرَةً وَأَسَاءَ المِصْرِيُّونَ إِليْنَا وَإِلى آبَائِنَا. فَصَرَخْنَا إِلى الرَّبِّ فَسَمِعَ صَوْتَنَا وَأَرْسَل مَلاكاً وَأَخْرَجَنَا مِنْ مِصْرَ. وَهَا نَحْنُ فِي قَادِشَ مَدِينَةٍ فِي طَرَفِ تُخُومِكَ. دَعْنَا نَمُرَّ فِي أَرْضِكَ. لا نَمُرُّ فِي حَقْلٍ وَلا فِي كَرْمٍ وَلا نَشْرَبُ مَاءَ بِئْرٍ. فِي طَرِيقِ المَلِكِ نَمْشِي لا نَمِيلُ يَمِيناً وَلا يَسَاراً حَتَّى نَتَجَاوَزَ تُخُومَكَ». فَقَال لهُ أَدُومُ: «لا تَمُرُّ بِي لِئَلا أَخْرُجَ لِلِقَائِكَ بِالسَّيْفِ». فَقَال لهُ بَنُو إِسْرَائِيل: «فِي السِّكَّةِ نَصْعَدُ. وَإِذَا شَرِبْنَا أَنَا وَمَوَاشِيَّ مِنْ مَائِكَ أَدْفَعُ ثَمَنَهُ. لا شَيْءَ. أَمُرُّ بِرِجْليَّ فَقَطْ. فَقَال: «لا تَمُرُّ». وَخَرَجَ أَدُومُ لِلِقَائِهِ بِشَعْبٍ غَفِيرٍ وَبِيَدٍ شَدِيدَةٍ. وَأَبَى أَدُومُ أَنْ يَسْمَحَ لآِسْرَائِيل بِالمُرُورِ فِي تُخُومِهِ فَتَحَوَّل إِسْرَائِيلُ عَنْهُ“ (عد ٢٠: ١٤ – ٢١)، أترى كيف أن المنحدرين من نسل إسرائيل وهم كثيرون جداً، يصفون المشقات التي قابلوها في مصر ومضايقة الطغاة لهم، وهم يطلبون خدمةً بريئةً من أناس من نفس جنسهم؟ لأن الأدوميين كانوا من نسل عيسو أخو يعقوب،

١- يؤكد القديس كيرلس -في سياق حديثه عن مقابلة يعقوب لأخيه عيسو- على أولوية وتفوق محبة الأخوة على أي شيء آخر، إذ يقول: ”لأن السلام أسمى من الأموال والممتلكات، وينبغي أن تكون الأولوية لمحبة الأخوة قبل الممتلكات الوقتية“ جيلافيرا على سفر التكوين، المقالة الخامسة، أبريل ٢٠٠٤.

لكن الأدوميين بدلاً من أن يُظهِروا شفقةً للإسرائيليين، ويسمحوا لهم بما هو ضروري ونافع لهم، فإنهم أظهروا -مما حدث منهم- كم كانوا فاسدين وقساة ولا يشاركون في آلام اخوتهم، وهكذا أغلقوا الطريق عليهم، رغم أن الشعب لن يضر أي شيء من كرومهم أو حقولهم، بل حتى الماء الذي يأخذونه سوف يدفعون ثمنه. وهكذا رفض الأدوميون ما طلبه الإسرائيليون وأخذوا في الحال يتسلحون، واصطفوا أمامهم بكل جيشهم. وماذا فعل الإسرائيليون أمام هذه الموقف؟ لقد ظهر أنهم أرقى من أولئك الأشرار القساة إذ يقول الكتاب: "فَتَحَوَّلَ إِسْرَائِيلُ عَنْهُ"، أي غيَّروا الطريق، متجنبين المشاجرة مع الاخوة، محترمين بذلك ناموس القرابة بتسامح كبير. أم تظن أن الأمر ليس هكذا؟

بلاديوس: أظن أنه هكذا.

كيرلس: إذاً، فنحن نعتبر أن المحبة نحو اخوتنا تجعلنا نوقف السخط، وأن يضبط الواحد منا غضبه، وأن يقيس العقوبة بما يناسب العصيان، بل ويجب أن تصير أحكامنا مستقيمة وطاهرة تماماً من نحو كل واحد. هذا كله ثمرة المحبة بحق.

بلاديوس: هذا الأمر صحيح تماماً.

سر الآم المسيح الخلاصية

كيرلس: أيضاً من السهل أن تقتنع -إذا أردت- بكل ما قاله سابقاً: "لاَ تَنْتَقِمْ وَلاَ تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ" (لا ١٩: ١٨) وأيضاً: "إِذَا كَانَتْ خُصُومَةٌ بَيْنَ أُنَاسٍ وَتَقَدَّمُوا إِلى القَضَاءِ لِيَقْضِيَ القُضَاةُ بَيْنَهُمْ فَلْيُبَرِّرُوا البَارَّ وَيَحْكُمُوا عَلى المذْنِبِ. فَإِنْ كَانَ المذْنِبُ مُسْتَوْجِبَ الضَّرْبِ يَطْرَحُهُ القَاضِي وَيَجْلِدُونَهُ أَمَامَهُ عَلى قَدَرِ ذَنْبِهِ بِالعَدَدِ. أَرْبَعِينَ يَجْلِدُهُ. لا يَزِدْ لِئَلا إِذَا زَادَ فِي جَلدِهِ عَلى هَذِهِ ضَرَبَاتٍ كَثِيرَةً يُحْتَقَرَ أَخُوكَ فِي عَيْنَيْكَ" (تث ٢٥: ١ - ٣).

بلاديوس: وكيف نستطيع أن نفهم الوصية بأن نحكم على المذنبين بأربعين جلدة فقط؟ وإن زادت الجلدات عن هذا العدد، تقع بالأكثر أمورٌ مؤسفة؟

كيرلس: نجد تصويراً حسناً لسر المسيح بواسطة الوصية القديمة، ونجد فيها أيضاً

إشارةً إلى الآلام الخلاصية التي بها تحررنا من الشيطان الذي كان يستطيع أن يفعل بنا الشر، ويُلقينا في مصائب كثيرة. وكما قلت من قبل إن العتق من الديون بعد سبع سنوات يشير إلى زمن الصفح عن كل شيء؛ لأننا قد تبررنا بنعمة المسيح وتعلمنا أن نقول في صلواتنا إلى إلهنا وأبينا السماوي: "وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا" (مت ٦: ١٢). هكذا هنا أيضاً، فإن الضربات الأربعين التي يُجلد بها المذنبون تشير إلى الزمن الذي كنا ننتظره بشوق، أي زمن حضور الوحيد الجنس بالجسد الذي فيه شُفينا بآلامه[1]. وهذا (الوحيد الجنس) ظهر بالجسد من أجل ضعف خطايانا. فعندما اندفع الإسرائيليون ضده كسكارى، جَلَدَه بيلاطس على ظهره، أمَّا نحن فقد نجونا من العقاب. لأن الضربات التي كان يُضرب بها الخاطئ قديماً كانت كثيرة كما يقول الكتاب: "كَثِيرَةٌ هِيَ نَكَبَاتُ الشِّرِّيرِ" (مز ٣٢: ١٠). ولكن المسيح قَبِلَ الجَلْدَ لأجلنا، كما أنه مات من أجل الجميع. وعندما جُلد المسيحُ بسياطٍ، كان نائباً عن الكل فيما احتمله. أمَّا العدد أربعين، فإذا قسمته على خمسة يكون الناتج ثمانية، وهنا تجد إشارةً إلى الزمن الخامس والزمن الثامن. فالوحيد الجنس ظهر في العالم في الزمن الخامس، وذلك بحسب ما يشير إليه المثل الإنجيلي الذي فيه أجَّر صاحب الكرم فعلةً ليعملوا في كرمه خمس مرات؛ إذ خرج في الساعة الأولى، وفي الثالثة، وفي السادسة، وفي التاسعة، وفي الحادية عشر (انظر مت ٢٠: ١ – ١٦). أمَّا الزمن الثامن، فهذا يشير إلى قيامة الرب في اليوم الثامن مُبطلاً سلطانَ الموت، وأيضاً أبطل الخطية التي هي سبب الفساد الذي دخل إلينا. وإذا أُبطلت الخطية، يتحتم أن تُلغى الجلدات والعقوبات المترتبة عليها. إذاً فالناموس لا يسمح أن تتعدى الجلدات أربعين واحدة، أي إلى وقت مجيء المسيح، وهو الذي أوقف الضربات وأعلن زمن الفصح (أي العبور إلى الحياة). فأمثلة الحقيقة تختص

---

١ - لقد أراد الابن أن يحرر الطبيعة البشرية من أوجاعها لذلك اجتاز - بكونه إنساناً - كل الآلام التي تجتازها هذه الطبيعة، وهذا ما ذكره في موضع آخر القديس كيرلس، إذ يقول: "كما أن إبادة الموت لم تتم بطريقة أخرى غير موت المخلِّص، هكذا أيضاً من جهة كل ألم من آلام الجسد: فلو لم يشعر بالخوف، لما أمكن للطبيعة البشرية أن تتحرر من الخوف، ولو لم يكن قد اختبر الحزن، لما كان هناك تحرر من الحزن على الإطلاق، ولو لم يكن قد اضطرب وانزعج، لما وُجِدَ أي مهرب من هذه المشاعر. ومن جهة كل انفعال من الانفعالات التي تتعرض لها الطبيعة البشرية، فإنك ستجد المقابل لها بالضبط في المسيح. فانفعالات الجسد كانت تتحرك، لا لكي تكون لها السيطرة كما يحدث في حالتنا نحن، بل لكي حينما تتحرك، فإنها يتم إخضاعها كلية بقوة الكلمة الساكن في الجسد، وهكذا فإن طبيعة الإنسان تجتاز تغيُّرا نحو الأفضل". شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق، الجزء السابع، الإصحاح الثاني عشر ص ٣٨.

بأمور جيدة. ويجب أن تعرف أن الإسرائيليين ضلوا في البرية أربعين سنةً بسبب اصطدامهم بإرادة الله، لأن الله لم يَدَعهم يدخلون أرض الميعاد. وقد حدث هذا بسبب غضب الله عليهم، لكن غضب الله زال بعد ذلك، وعَبرَ أولادهم الأردن، ودخلوا إلى الأرض قبل أن يصل الغضب إلى نهاية الأربعين سنة. وهذه كانت إشارةً واضحة عن أن الضربات لا تتجاوز الأربعين.

فالوقت الحاضر هو وقت الصفح، وهو الذي أشار إليه الكتاب قديماً بعبور الأردن، وبالسكاكين الحجرية التي خُتن بها يشوع الشعب والتي تشير إلى الختان الروحي الذي أتمه المسيح، والذي صار قائداً لنا ورئيساً بدلاً من موسى والناموس.

بلاديوس: الآن قد أقنعتني.

تنظيم القضاء، والمملكة

كيرلس: ولكي تتلاشى الاختلافات باستقامة ونزاهة، ولكي تختفي طرق التسلط القهري يقول الناموس: "قُضَاةً وَعُرَفَاءَ تَجْعَلُ لكَ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِكَ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ حَسَبَ أَسْبَاطِكَ فَيَقْضُونَ لِلشَّعْبِ قَضَاءًعَادِلاً ... وَلا تَأْخُذْ رَشْوَةً لأَنَّ الرَّشْوَةَ تُعْمِي أَعْيُنَ الحُكَمَاءِ وَتُعَوِّجُ كَلامَ الصِّدِّيقِينَ" (تث ١٦: ١٨ – ١٩). أي أن الناموس رأى أنه يجب على الذين يُعيَّنون للقضاء أن يكونوا أسمى من الأموال، كما أنهم لا يجب أن يتحرجوا من أي شخص، ويمنحوا العفو مخالفين للناموس على حساب الاستقامة والنزاهة، أي أن يرفضوا المحاباة لأنها أمر رديء وأن يقيسوا كل شيء بحسب الناموس، وأن يتمثلوا بديان الجميع الذي أشار إليه الناموس مسبقاً بوضوح، أي المسيح الإله وديان الجميع.

وبعد ذلك يقول ما يلي: "مَتَى أَتَيْتَ إِلى الأَرْضِ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ وَامْتَلكْتَهَا وَسَكَنْتَ فِيهَا فَإِنْ قُلتَ: أَجْعَلُ عَليَّ مَلِكاً كَجَمِيعِ الأُمَمِ الذِينَ حَوْلِي. فَإِنَّكَ تَجْعَلُ عَليْكَ مَلِكاً الذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ. مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِكَ تَجْعَلُ عَليْكَ مَلِكاً. لا يَحِلُّ لكَ أَنْ تَجْعَل عَليْكَ رَجُلاً أَجْنَبِيّاً ليْسَ هُوَ أَخَاكَ" (تث ١٧: ١٤ – ١٥). يجب علينا –إذاً– طالما رفضنا أن نعبد المخلوقات بدلاً عن الله

خالقنا، أن نحني رؤوسنا لكلمات الحق، وكما في أرضٍ مقدسةٍ، أي أرض الله، أن ندعو في داخلنا بالمسيح، والإيمان به ابناًمولوداً من الله، وأن نقيمه في داخلنا رئيساً وديَّاناً رغم تنازله ليصير إنساناً مثلنا[1]. وهو الذي تنبأ عنه المزمور قائلاً: ''أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيَوْنَ جَبَلِ قُدْسِي'' (مز ٢: ٦ - ٧). فلا نقبل أحداً آخر سواه، ولا نحني أعناقنا لنير الأمم، لأن رئيسنا واحدٌ، هو المسيح. أمَّا اليهود التعساء، فقد ظلوا خارجاً بسبب عدم إيمانهم به، ولم يقبلوا المسيح كرئيس وديان، وبالرغم من أنه نزل من السماء بإرادة الله الآب، إلَّا أنهم أقاموا إنساناً غريباً كرئيسٍ عليهم. أي ضد المسيح، وهو ليس فقط من سبط آخر ومن جنس آخر، بل أنه حتى ليس من دم إسرائيل، رغم أن ناموسهم حرَّم ذلك بوضوح بقوله: ''لا يَحِلُّ لكَ أَنْ تَجْعَل عَلَيْكَ رَجُلاً أَجْنَبِيّاً لَيْسَ هُوَ أَخَاكَ'' (تث ١٧: ١٥). وقد سمعوا المسيح نفسه يقول: ''أَنَا قَدْ أَتَيْتُ بِاسْمِ أَبِي وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَنِي'' (يو ٥: ٤٣). إذاً المسيح ظهر في العالم لمجد الله الآب. أمَّا ''ابن الهلاك''، فسوف يأتي في وقته ليس لمجد الآب، فهذا ما أعتقد أنه معنى ''باسم الآب''، بل إن ذلك الشقي سوف يصنع ''اسم الإلوهية'' خاتماً به على رأسه كما يقول الرسول: ''حَتَّى إِنَّهُ يَجْلِسُ فِي هَيْكَلِ اللهِ كَإِلَهٍ مُظْهِراً نَفْسَهُ أَنَّهُ إِلَهٌ'' (٢ تس ٢: ٤). واليهود تجاهلوا المكتوب قديماً في الناموس وقبلوا شخصاً ما أجنبياً عن إسرائيل، وهكذا رفضوا أن يسجدوا للمسيح، ولم يقبلوه على أنه المسيا الذي من اخوتهم، إذ أن الناموس أعلن مسبقاً وبوضح أن المسيح سوف يأتي من دم إسرائيل.

بلاديوس: لذلك سوف ينالون من ثمر طريقهم الذي اتبعوه (انظر أم ١: ٣١). وسينالون العقوبة المناسبة لعدم تبصرهم الردئ.

كيرلس: هذا صحيح؛ لأن الله الذي يدين الكل سوف يجازي كل واحد بحسب أعماله. وأعتقد أن ما قلناه في هذا الخصوص كافٍ. والناموس يقول لهؤلاء الذين يجلسون على منصة القضاء: ''لاَ تَقْبَلْ خَبَراً كَاذِباً'' (خر ٢٣: ١). ويُكمِل قائلاً: ''لاَ تَتْبَعِ الْكَثِيرِينَ إِلَى فِعْلِ الشَّرِّ'' (خر ٢٣: ٢). وهذا معناه

١- يلخص القديس كيرلس هنا الدعوة الخلاصية التي هي رسالة الكنيسة الكرازية في الآتي: ١- رفض عبادة المخلوقات (مال، ممتلكات، لذات جسدية، ..الخ) ٢- عبادة الله الخالق ٣- قبول المسيح بالإيمان بأنه الإبن الذي وُلِدَ من الله ورغم ذلك تنازل وصار مثلنا لأجل خلاصنا ٤- قبول المسيح ليسكن ويقيم داخلنا والإعتراف بالمسيح رئيساً علينا وديانا.

أنه لا يجوز قبول أي كذب أو وشاية ثم يقول أيضاً: ''لاَ تُحَرِّفْ حَقَّ فَقِيرِكَ فِي دَعْوَاهُ. اِبْتَعِدْ عَنْ كَلاَمِ الْكَذِبِ وَلاَ تَقْتُلِ الْبَرِيءَ وَالْبَارَّ لأَنِّي لاَ أُبَرِّرُ الْمُذْنِبَ'' (خر ٢٣: ٦ – ٧). لأن الأسباب يجب أن تكون واضحة بالنسبة للذين يعملون في القضاء، كما أنه من الضروري جداً لمن يحكم برأي في أية تهمة أن يتكلم باستقامة حسب إرادة المشرّع. كما يضيف أيضاً للمنفعة: ''لاَ تُحَابِ مَعَ الْمِسْكِينِ فِي دَعْوَاهُ'' (خر ٢٣: ٣). لأنه من السهل جداً على القضاة، وهم يرون الجانبين الظالم والمظلوم، إذا كان المظلوم فقيراً، أن يميل القضاة عادةً إلى ظلم الإنسان الذي ظلمه. وأحياناً يحدث أن لا يقول الإنسان الفقير الحق، بهدف أن يستثير شفقة القضاة. لهذا يمنع الناموس القضاة من أن يظلموا، ومن أن يُشفقوا على الفقراء بدون حكمةٍ. وبذلك يحفظ الناموس الحق دون أن يتشوَّه، إذ يعيِّن في كل مكان قاضياً يقضي بالعدل، إذ يقول: ''العَدْلَ العَدْلَ تَتَّبِعُ لِكَيْ تَحْيَا وَتَمْتَلِكَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ'' (تث ١٦: ٢٠). ووفقاً لكل ما سبق فمن يخالف الناموس، حتى لو كانت مخالفته تبدو له أمراً حسناً، فإنه يوصف بأنه مخطئ وذلك بحسب المكتوب: ''قَدْ يَكُونُ بَارٌّ يَبِيدُ فِي بِرِّهِ وَقَدْ يَكُونُ شِرِّيرٌ يَطُولُ فِي شَرِّهِ'' (جا ٧: ١٥). إذاً فالصلاح يحتاج إلى تمييز، لأن الشفقة في غير وقتها تجلب على الإنسان تهمة التعدي على الناموس.

وهكذا أيضاً يُصلح الناموس اللذين يُضبَطون بسبب ارتكابهم خطايا عادية، بضربات الجلد. ولاحظ كيف أن هذه العقوبة تعبِّر عن إذلال، فلا تتعجب لأن هؤلاء جميعاً كانوا تحت العبودية. أمَّا ناموس المسيح فلا يُقر بالضربات مثل الناموس القديم[1]. ففي العهد الجديد توجد قوانين تتناسب مع الأحرار، وهى عطايا مبهجة ومستحبة وتعطي خيرات روحية عن طريق وعود وتطوبيات تناسب الأعمال الروحية الباهرة. وتوجد نصائح وإرشادات تقود إلى الفضيلة؛لأن موسى أُرسل كخادم مثل أولئك الخدام القُدماء (الأنبياء)، بينما المسيح فهو ابن حقيقي، وقد أُرسل وأتى من الله الآب كابن إلى أبناء وإلى اخوة بحسب نعمة التبني.

بلاديوس: هذا صحيح تماماً.

١- يميز هنا القديس كيرلس بين العهد القديم والعهد الجديد، بين عهد العبودية والتي يجوز فيها العقاب بالجلد وعهد الحرية والنعمة التي فيها نصائح وإرشادات ووعود وتطوبيات تتناسب مع الأعمال الروحية .



شريعة القتل والضرب

كيرلس: أمَّا بالنسبة للقاتل، فإن الناموس يعاقبه بالموت، أي بنفس الفعل الذي أتاه، وذلك حتى يُلجِّم الوقاحةَ غير المنضبطة والغضب الشديد، بعقوبة شديدة. والذين يسيرون في الشر بتطرفٍ، يعاقبهم حسب نية الجاني. فإن كان هناك تعدٍّ على الناموس عن إرادة وقصد، فلا يجوز ممارسة الرحمة في هذه الحالة، لأنه لا ينبغي أن يسمح للشفقة على الآخر أن تقوده إلى أعمال سيئة. كما لا يجوز إبداء أي رقة وحنان في أوقات غير ملائمة، فلا ينبغي أن تكون محبتنا للغير مجرد عواطف أو مشاعر مشابهة لعواطف امرأة سريعة التأثر. إذ يقول الناموس: "وَإِذَا بَغَى إِنْسَانٌ عَلَى صَاحِبِهِ لِيَقْتُلَهُ بِغَدْرٍ فَمِنْ عِنْدِ مَذْبَحِي تَأْخُذُهُ لِلْمَوْتِ" (خر ٢١: ١٤). لكن إذا كان الأمر أن إنساناً ضرب إنساناً آخر وألحق به ضرراً، فإن الناموس يفرض عقوبة تتناسب مع حجم الضرر. إذ يأمر أن تنحصر العقوبة في التعويض المالي. لأنه قال ما يلي: "وَإِذَا تَخَاصَمَ رَجُلاَنِ فَضَرَبَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ بِحَجَرٍ أَوْ بِلَكْمَةٍ وَلَمْ يُقْتَلْ بَلْ سَقَطَ فِي الْفِرَاشِ. فَإِنْ قَامَ وَتَمَشَّى خَارِجاً عَلَى عُكَّازِهِ يَكُونُ الضَّارِبُ بَرِيئاً. إِلاَّ أَنَّهُ يُعَوِّضُ عُطْلَتَهُ وَيُنْفِقُ عَلَى شِفَائِهِ" (خر ٢١: ١٨ - ١٩). هذا هو تعليم الناموس، أما المخلّص الذي منحنا الصلاح الكامل، فهو يقول: "مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً" (مت ٥: ٣٩) والناموس يُشرّع أيضاً ما يلي: "وَإِذَا ضَرَبَ إِنْسَانٌ عَبْدَهُ أَوْ أَمَتَهُ بِالْعَصَا فَمَاتَ تَحْتَ يَدِهِ يُنْتَقَمُ مِنْهُ. لَكِنْ إِنْ بَقِيَ يَوْماً أَوْ يَوْمَيْنِ لاَ يُنْتَقَمُ مِنْهُ لأَنَّهُ مَالُهُ" (خر ٢١: ٢٠ - ٢١). إذاً، فإن مَن يغضب إلى حد الإفراط في غضبه يُنتقم منه، وحتى إذا كنا قد صرنا سادةً بحسب الإمكانيات التي لنا، فهذا لا يعني أن يسمح الله لنا أن ننزع الحياة من اللذين هم تحت أيدينا وسلطتنا. لكنه يأمرنا أن نستعمل الرحمة مع الجاني إذا كان المجني عليه لم يمت، إذ يقول: "لَكِنْ إِنْ بَقِيَ يَوْماً أَوْ يَوْمَيْنِ لاَ يُنْتَقَمُ مِنْهُ لأَنَّهُ مَالُهُ"، أي كأنه يقول بطريقة أخرى: إن ما حدث لم يكن عن عمد من السيد الذي غضب، وذلك إذا حدث تحسّنٌ بدرجةٍ ما في صحة العبد. لأن أي شخص عاقل لا يريد أن يفقد العبد الذي يملكه، والذي كان قد اشتراه بأمواله. فإذا حدث منه قتلٌ عن غير قصدٍ، فإن الناموس يحاكمه بعقوبة الهروب المستمر، إذ يمزج هنا العقوبة بمحبته



للبشر حيث لا يجعل عقوبة الجريمة التي هي عن غير قصد، في نفس مستوى الجرائم العمدية. لذلك أمر الناموس أن تحدد ثلاثَ مدنٍ أسماها مدن الملجأ لكي يلجأ إليها كل الذين يرتكبون أخطاء غير مقصودة. بل ويحدد أيضاً زمن الصفح لهؤلاء الذين يعيشون في هذه المدن في حالة بؤس، وهو الزمن الذي يموت فيه الكاهن العظيم، إذ يكتب في سفر العدد ما يلي: "وَلكِنْ إِنْ دَفَعَهُ بَغْتَةً بِلا عَدَاوَةٍ أَوْ أَلقَى عَليْهِ أَدَاةً مَا بِلا تَعَمُّدٍ. أَوْ حَجَراً مَا مِمَّا يُقْتَلُ بِهِ بِلا رُؤْيَةٍ. أَسْقَطَهُ عَليْهِ فَمَاتَ وَهُوَ ليْسَ عَدُوّاً لهُ وَلا طَالِباً أَذِيَّتَهُ. تَقْضِي الجَمَاعَةُ بَيْنَ القَاتِلِ وَبَيْنَ وَلِيِّ الدَّمِ حَسَبَ هَذِهِ الأَحْكَامِ. وَتُنْقِذُ الجَمَاعَةُ القَاتِل مِنْ يَدِ وَلِيِّ الدَّمِ وَتَرُدُّهُ الجَمَاعَةُ إِلى مَدِينَةِ مَلجَئِهِ التِي هَرَبَ إِليْهَا فَيُقِيمُ هُنَاكَ إِلى مَوْتِ الكَاهِنِ العَظِيمِ الذِي مُسِحَ بِالدُّهْنِ المُقَدَّسِ" (عد ٣٥: ٢٢ – ٢٥).

وبعد ذلك بقليل يقول: "لأَنَّهُ فِي مَدِينَةِ مَلجَئِهِ يُقِيمُ إِلى مَوْتِ الكَاهِنِ العَظِيمِ. وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِ الكَاهِنِ العَظِيمِ فَيَرْجِعُ القَاتِلُ إِلى أَرْضِ مُلكِهِ" (عد ٣٥: ٢٨).

بلاديوس: إذاً فإنَّ نفيِّهم ينتهي بموت رئيس الكهنة الذي ذكرناه الآن.

كيرلس: هذا هو المثال والرمز الخارجي، إذ أن الظلال تخفى في داخلها سر المسيح.

بلاديوس: كيف؟

كيرلس: ليس أمراً غير متوقع أن يُحسب كل الذين أُسروا بخطاياهم، كأنهم قاتلون لأنفسهم، بالرغم من أنهم انجرفوا إلى هذا الوضع السيئ دون اراداتهم، وصاروا مخالفين لله كما يقول الكتاب: "لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ" (تك ٨: ٢١). فكما ساد ناموس الشهوة الجسدية غير الملجَّمة على أعضاء الجسد، هكذا تُعاقَب نفس الإنسان التعيسة، بالهرب من العالم ومن الجسد في منفى، كما لو كان في مدينة بعيدةٍ. وهذا يشير إلى أقسام الأرض السُفلى، أي الهاوية[1] التي تنزل إليها النفس بالموت، كما حدث قديماً وقضت النفوس أزمنةً هناك، ولكن عندما جاء رئيس الكهنة المسيح ومات من أجل الجميع، ونزل إلى الجحيم، فتح أبوابه وحرّر النفوس من القيود، قائلاً للأسرى: "اخْرُجُوا. لِلَّذِينَ فِي الظَّلاَمِ: اظْهَرُوا" (إش ٤٩: ٩).

١ـ بحسب القديس يوحنا ذهبي الفم: "يقول: "نزل إلى أقسام الأرض السفلى"، والتي لا يوجد بعدها أقسام أخري، وصعد فوق الجميع، والذي لا يوجد بعده أي شيء آخر. أي ملأ الكل من سيادته وسلطانه، ومن ناحية أخرى، قبل أن يحدث هذا، كان كل شيء ممتلئاً (بحضوره فيه)] تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ١٦٠.

بلاديوس: حديثك هذا واضح جداً.

خطايا النجاسة

كيرلس: على أن الناموس لم يكن ليحاول أن يحث الأقدمين على النمو والتقدم بطريقة واضحة، بل جعلهم ينتفعون من كل الطرق بقدر الإمكان؛ لكي يكون إنسان الله كاملاً وتاماً متأهباً لكل عمل صالح. وهكذا فإن الناموس ينظِّم أيضاً العلاقات الزوجية، لتكون في وقار تام ويوضِّح لهم ما ينبغي أن يفعلوه لكي يعيشوا بطريقة غير ملومة أمام الله والناس، فهو طبعاً يُنهي عن النجاسة والدعارة تماماً، كذلك يُحرِّم تماماً الفسق ومضاجعة الذكور "وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ امْرَأَةِ صَاحِبِكَ مَضْجَعَكَ لِزَرْعٍ فَتَتَنَجَّسَ بِهَا. وَلاَ تُعْطِ مِنْ زَرْعِكَ لِلْإِجَازَةِ لِمُولَكَ لِئَلَّا تُدَنِّسَ اسْمَ إِلَهِكَ. أَنَا الرَّبُّ. وَلاَ تُضَاجِعْ ذَكَراً مُضَاجَعَةَ امْرَأَةٍ. إِنَّهُ رِجْسٌ" (لا ١٨: ٢٠ – ٢٢). هذه الأمور من السهل جداً لأي أحد أن يميزها، ويتحقق من بشاعة الرائحة النتنة الموجودة فيها، ولن يحتاج إلى جهد مضنٍ لكي يتيقن من أن هؤلاء الذين يفعلون هكذا قد وصلوا إلى درجة بشعة من الفحشاء، حتى أن الطبيعة نفسها تدينهم، لذلك يقول الناموس في سفر التثنية: "أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ. لا تَخْمِشُوا أَجْسَامَكُمْ وَلا تَجْعَلُوا قَرْعَةً بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ لأَجْلِ مَيِّتٍ. لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِتَكُونَ لهُ شَعْباً خَاصّاً فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الذِينَ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ. لا تَأْكُل رِجْساً مَا. هَذِهِ هِيَ البَهَائِمُ التِي تَأْكُلُونَهَا: البَقَرُ وَالضَّأْنُ وَالمعْزُ" (تث ٢٤: ١ – ٤). فهذه التي انفصلت عن الرجل لأسباب منطقية، وقبلت أن تتدنس مع شخص آخر (بالإقامة معه)، ليست جديرة بالثقة لتكون زوجة حقيقية لأحد، لأنها حماقةٌ واضحة كما يقول الكتاب: "الذي يعيش مع زانية هو قليل الفهم" (أم ١٨: ٢٢س).

فالناموس يُحرِّم العيش مع امرأة زانية، كما أنه لا يسمح بالإساءة إلى سمعة الزواج الشرعي الموقر، فلا ينبغي إضفاء أيُ تبريرٍ على علاقةٍ خاطئة، وكأنها علاقة شرعية لأن الكتاب يقول: "وَيْلٌ لِلْقَائِلِينَ لِلشَّرِّ خَيْراً وَلِلْخَيْرِ شَرّاً الْجَاعِلِينَ الظَّلاَمَ نُوراً وَالنُّورَ ظَلاَماً الْجَاعِلِينَ الْمُرَّ حُلْواً وَالْحُلْوَ مُرّاً" (إش ٥: ٢٠). إذاً فلا

يُسمح لتلك التي طُردت من البيت أن تصير مقبولةً مرةً أخرى. كما لا يجوز أن تُوقَّع عقوبةٌ على من لم يُدانوا بأي ذنب.

التشنيع على الزوجة بدون مبرر

كذلك يقول الناموس: ''إِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَحِينَ دَخَل عَلَيْهَا أَبْغَضَهَا. وَنَسَبَ إِلَيْهَا أَسْبَابَ كَلامٍ وَأَشَاعَ عَنْهَا اسْماً رَدِيئاً وَقَال: هَذِهِ المَرْأَةُ اتَّخَذْتُهَا وَلمَّا دَنَوْتُ مِنْهَا لمْ أَجِدْ لهَا عُذْرَةً. يَأْخُذُ الفَتَاةَ أَبُوهَا وَأُمُّهَا وَيُخْرِجَانِ عَلامَةَ عُذْرَتِهَا إِلى شُيُوخِ المَدِينَةِ إِلى البَابِ. وَيَقُولُ أَبُو الفَتَاةِ لِلشُّيُوخِ: أَعْطَيْتُ هَذَا الرَّجُل ابْنَتِي زَوْجَةً فَأَبْغَضَهَا. وَهَا هُوَ قَدْ جَعَل أَسْبَابَ كَلامٍ قَائِلاً: لمْ أَجِدْ لِبِنْتِكَ عُذْرَةً. وَهَذِهِ عَلامَةُ عُذْرَةِ ابْنَتِي. وَيَبْسُطَانِ الثَّوْبَ أَمَامَ شُيُوخِ المَدِينَةِ. فَيَأْخُذُ شُيُوخُ تِلكَ المَدِينَةِ الرَّجُل وَيُؤَدِّبُونَهُ. وَيُغَرِّمُونَهُ بِمِئَةٍ مِنَ الفِضَّةِ وَيُعْطُونَهَا لأَبِي الفَتَاةِ لأَنَّهُ أَشَاعَ اسْماً رَدِيئاً عَنْ عَذْرَاءَ مِنْ إِسْرَائِيل. فَتَكُونُ لهُ زَوْجَةً. لا يَقْدِرُ أَنْ يُطَلِّقَهَا كُل أَيَّامِهِ'' (تث ٢٢: ١٣ – ١٩). هكذا ترى أن المجمع لا يترك مَن ظلم زوجته التي لم تخطئ، دون عقاب.

الغيرة من أجل الصلاح

يجب أن نكون غيورين من أجل الصلاح، وألَّا نتردد في منع الإساءة إلى الأمور الموقرة كأنها غير موقرة، بل بالحري يجب أن نهتم بكل ما هو صالح، وأن نسلك بما يليق بالاسم الحسن، لأن مَن يكن حريصاً ويقظاً يصل في النهاية إلى الهدف الذي وضعه بطريقةٍ حسنة. وهذا ما يشير إليه الناموس عندما يصرخ: ''إِذَا بَنَيْتَ بَيْتاً جَدِيداً فَاعْمَل حَائِطاً لِسَطْحِكَ لِئَلا تَجْلِبَ دَماً عَلى بَيْتِكَ إِذَا سَقَطَ عَنْهُ سَاقِطٌ'' (تث ٢٢: ٨). فكما أن البيت الذي لا سور له، والذي لم تُضف له زوايا ثلاثة على السطح، يسبب ضرراً، هكذا أيضاً كل عمل صالح نعمله، إذا لم نكمِّله، فلا يكون مقبولاً. والأمر لا يتوقف عند هذا الحد فقط؛ لأن الذين يتكاسلون، سوف يتعرضون لذلك الخطر. هذا ما أعتقد أنه معنى سقوط شخص من البيت. إذ يقول: ''مَلْعُونٌ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلَ الرَّبِّ بِرِخَاءٍ'' (إر ٤٨: ١٠). إذاً فالناموس يرشدنا إلى ما هو نافع لنا بآلاف الطرق، لكن رغم هذه الآلاف الكثيرة من الطرق، إلَّا أنها



كلها تُعتبر بدائية جداً بالمقارنة بسر المسيح. فنحن نعلم طبعاً أن الناموس روحيٌّ، إلَّا أن كل ما يتصل بالظلال والأمثلة ليس مناسباً أن يؤخذ كغذاءٍ كما هو إجبارياً، لكنه يصير غذاءً حقاً؛ إذا تحول إلى التعليم الإنجيلي، وإلى إدراك سر المسيح[١]. وهذا ما سوف تفهمه بشكلٍ حسن جداً من موسى الحكيم، إذ يكتب في سفر اللاويين ما يلي: "وَمَتَى دَخَلْتُمُ الأَرْضَ وَغَرَسْتُمْ كُلَّ شَجَرَةٍ لِلطَّعَامِ تَحْسِبُونَ ثَمَرَهَا غُرْلَتَهَا. ثَلاَثَ سِنِينَ تَكُونُ لَكُمْ غَلْفَاءَ. لاَ يُؤْكَلْ مِنْهَا. وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ يَكُونُ كُلُّ ثَمَرِهَا قُدْساً لِتَمْجِيدِ الرَّبِّ. وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ تَأْكُلُونَ ثَمَرَهَا لِتَزِيدَ لَكُمْ غَلَّتَهَا. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ" (لا ١٩: ٢٣ - ٢٥).

اتساع نطاق الناموس

يبدو لي أن الناموس يشير بواسطة الأشجار الكثيرة لكل أنواع التشريع، باعتبار أنه يعطي ناموساً لكل مسألة. وفي كل شجرة أو كل مسألة من مسائل الناموس، عليك أن تقطع الجزء الخشبي للحرف؛ لكيما تصل إلى قلب النبات، أي إلى الثمر الداخلي للناموس. وهذا الثمر الداخلي سيكون غذاءً لك. وعندما يقول: "ثَلاَثَ سِنِينَ تَكُونُ لَكُمْ غَلْفَاءَ لاَ يُؤْكَلْ مِنْهَا"، فإنه يشير بذلك إلى الأزمنة الثلاثة الأولى التي كان فيها الناموس غير واضح. وكان محملاً بأثقال التاريخ ومحاطاً بالظلال بطريقةٍ ما. والأزمنة الثلاثة التي أقصدها هى: زمن موسى، وزمن يشوع بن نون، وزمن القضاة. أمَّا الزمن الرابع بعد هذه الأزمنة، فهو الزمن الذي ظهر فيه خورس الأنبياء القديسين[٢]. عندئذٍ بدأ يظهر ثمرٌ مقدسٌ من الناموس جديرٌ بالتمجيد.

١- سبق للقديس يوستينوس شرح العهد القديم شرحاً خريستولوجياً وتاريخياً Ἱστορική علي أساس أن المسيح هو مركز الكتاب كله، فالعهد القديم في نظره هو عبارة عن كتاب نبوي يتكلم عن شخص المسيح، وهو تاريخ مقدس مملوء بأمور لم تكتمل وتحتاج إلي تحقيق، إلى أن يصير هذا التاريخ تام وكامل. كذلك يرى يوستينوس أن حياة المسيح سنجدها بغِنى في نبوات العهد القديم كما في تلك الحوادث التاريخية لحياته داخل الأناجيل. وهذا الرأي المدهش ليوستينوس لا يُفهم إلّا إذا أخذنا فى الاعتبار منهجه في شرح العهد القديم والذي يستند علي البحث عن الظلال والنماذج والأمثلة والأشخاص والحوادث التاريخية التي تجد ملئها وتحقيقها عند ربطها بالمسيح والكنيسة. إنه المنهج الطيبولوجي، أو المثلاني. هكذا تتحول الظلال والامثلة إلى تعاليم إنجيلية ووسيلة لإدراك سر المسيح.

٢- يقسم القديس كيرلس الأزمنة إلى خمسة أقسام، وذلك في سياق حديثه عن مثل: الأجراء وصاحب الكرمه مت ٢٠:١ - ٧، إذ يقول: "زمننا هذا قد قُسِّم إلى خمس فترات؟ الفترة الأولى هي التي عاش فيها آدم، الأب الأول في الفردوس. والفترة الثانية كمثل "الساعة الثالثة"، ويقصد بها الزمن الذي عاش فيه نوح والذين كانوا معه. والفترة الثالثة هي مثل "الساعة السادسة" في المثَل وهي تُشير إلى الفترة الزمنية التي تبدأ بدعوة إبراهيم لكي يعرف الإله الحقيقي. والفترة الرابعة هي أيضاً مثل "الساعة التاسعة"، ويُقصد بها الفترة التي عاش فيها موسى والأنبياء. أمَّا الفترة الخامسة أي "نحو



فقد بدأت -منذ هؤلاء الأنبياء القديسين- تختفي أوامر الناموس، وما يقال عنها ظلال، وبدأوا يكرزون بوضوح عن الحقيقة المختفية، إذ أنبأوا عن سر حضور المسيح، والسابق له مباشرةً الذي كرز قائلاً: ''تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّماوَاتِ'' (مت ٣: ٢). إذاً فالزمن الرابع كان هو بداية الارتقاء بالناموس بواسطة الأنبياء، وكان ثمرُ هذا الزمن مقدساً. أمَّا ما هو مناسبٌ للأكل، فقد ظهر في الزمن الخامس الذي فيه تحقق حضور المسيح الذي شُهد له من الناموس والأنبياء. لهذا يقول: ''لِتَزِيدَ لَكُمْ غَلَّتَهَا'' (لا ١٩: ٢٥)، أي أنه بواسطة العظات الإنجيلية والدراسة في الناموس؛ إذ يُفسَّر بطريقةٍ روحيةٍ، فإنه ينفع المحبين للمعرفة كما قال المخلص: ''كُلُّ كَاتِبٍ مُتَعَلِّمٍ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ يُشْبِهُ رَجُلاً رَبَّ بَيْتٍ يُخْرِجُ مِنْ كَنْزِهِ جُدُداً وَعُتَقَاءَ'' (مت ١٣: ٥٢). فالأمور المتعلقة بالناموس توصف بالقديمة، أمَّا الأناجيل فتوصف بالجديدة، وهى التي تقدم لنا معرفة المسيح بسخاء.

الساعة الحادية عشر''، أي التي فيها ينتهي اليوم، ويصل الزمن الحاضر إلى نهايته، في هذه الفترة استأجر السيد المسيح الأمم الذين لم يكونوا قد دُعوا بعد من أي أحد آخر أثناء الفترات السابقة. لذلك أجاب هؤلاء الآخرون قائلين: ''لم يستأجرنا أحد'' جيلافيرا على سفر الخروج، المقالة الثانية، الكتاب الشهري، ديسمبر ٢٠٠٩.

المقالة التاسعة

الخيمة المقدسة
كانت مثالاً لكنيسة المسيح

خيمة العهد الجديد

كيرلس: تتألق مفاخر المحبة لله والمحبة للإخوة، وبهما يكتمل الناموس. وكلُّ شخصٍ يصل إلى مثل هذه الدرجة من البهاء والتألق يكون جديراً بالإعجاب ويُعد ضمن الأُصلاء في رِفعتهم، الأمر الذي كرز به المسيح قائلاً: ''نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ. كُنْتَ أَمِيناً فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. ادْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ'' (مت ٢٥: ٢١). ومثل هذا يأتي إلى أورشليم السماوية، ويخلد في المساكن الفوقانية مستمتعاً بالخيرات السماوية التي تفوق العقل والنطق.

لقد قال إشعياء النبي مثل هذا الأمر: ''أُنْظُرْ صِهْيَوْنَ مَدِينَةَ أَعْيَادِنَا. عَيْنَاكَ تَرَيَانِ أُورُشَلِيمَ مَسْكَناً مُطْمَئِنّاً خَيْمَةً لاَ تَنْتَقِلُ. لاَ تُقْلَعُ أَوْتَادُهَا إِلَى الأَبَدِ وَشَيْءٌ مِنْ أَطْنَابِهَا لاَ يَنْقَطِعُ'' (إش ٣٣: ٢٠)، لأن ''هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمِ تَزُولُ''، وفقاً للكُتب المقدسة (١ كو ٧: ٣١). فإن كان الرجاء في الأمور الأخروية مؤسَّساً وغير متزعزعٍ على أية حال، وكانت كل هذه (أي هيئة هذا العالم) تنحل كما يؤكد على ذلك تلميذ مخلصنا، فأي موقف علينا أن نتخذه نحن (راجع ٢ بط٣: ١١)؟

أمامنا قديسين وأبرار يكرمونه بذبائح روحية[1] كمخلصٍ وفادٍ، عائشين حياة القداسة وفق النواميس الإنجيلية.

١- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: ''لنا في السماء الكاهن الذبيح، وفي السماء الكاهن، وفي السماء الذبيحة. وبناء على ذلك فلنقدم مثل هذه الذبائح التي يمكن أن نُقدمها على ذلك المذبح، ليس بعد خراف وعجول، ليس دم، ودخان ورائحة شواء. كل هذا قد أبطِل، وحلّ محله العبادة العقلية. وما هي العبادة العقلية؟ هي تلك التي تُقدم بالنفس وبالروح، لأنه يقول '' الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا''، أي كل مَنْ هو ليس في إحتياج للجسد، والأعضاء، والأماكن'' تفسير إلى رسالة العبرانيين، الإصحاح السادس، ص ١٨٣.



وقد رسم الناموس –بالتأكيد– للأقدمين الحياة الفاضلة والجديرة بالإعجاب آمراً بتقديم ذبائح الحملان الدموية، وتقديم عشورٍ من كل نوع من الباكورات لتُخصَّص لله، هذا إلى جوار الشكر. لكنه لم يشرِّع لهم أن يفعلوا كل هذا خارج الخيمة. وقد خُصِّص سبط اللاويين لله، وأُختير من بين الأسباط الأخرى، واضعاً هذا الأمر كمثالٍ لنا؛ لأن الكتب المقدسة تدعونا: "جِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ" (١ بط ٢: ٩).

نحن نأتي إلى الخيمة الحقيقية[1] التي أقامها الرب وليس إنسان (انظر عب ٨: ٢) أي الكنيسة، لا لكي نستعطف خالق الكل بعجولٍ وثيران، لكن بإيماننا المستقيم الذي بلا لوم، وبثمار روحية مقدِّمين –عقلياً– رائحة بخورٍ ذكيةٍ؛ لأن "بِذَبَائِحَ مِثْلِ هَذِهِ يُسَرُّ اللهُ" (عب ٨: ١٦)، ولأن "اَللَّهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا" (يو ٤: ٢٤) وفق كلام المخلص.

بلاديوس: لقد تكلمت بالصواب. يجب أن نتطلع إلى الذبائح التي هي أسمى من ذبائح الناموس. طبعاً أوافقك، ولكن دعني استوضحك شيئاً آخر: لقد أُقيمت الخيمة القديمة في الصحراء لكي تمثل بالنسبة لنا نموذج كنيسة الأمم، ألا يُظهر ذلك –ولو قليلاً– جمال الخيمة الحقيقية؟

خيمة العهد القديم وطقوسها نموذج للخيمة الحقيقية

كيرلس: بالتأكيد. لقد قُلت هذا منذ قليل، وبالإضافة إلى ذلك، يجب أن ندرك جيداً أن تلك الطقوس المقدسة التي انحدرت من السبط اللاوى، يمكن أن تُعتبر أيضا نموذجاً لأولئك الذين دُعُوا إلى الحياة المقدسة والتي بلا لوم، أقصد الحياة بحسب تعاليم المسيح.

١- في سياق حديثه عن نص العبرانيين: "وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد" (عب ٩: ١١)، يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "المسكن أو الجسد الذي يقصده هنا هو (جسد المسيح). وبالصواب قد دعاه "الأعظم" و"الأكمل"، إما لأن الله الكلمة وكل طاقة الروح، يسكنان فيه لأن "الله لا يعطي الروح بمكيال"، أو لأنه أكمل، طالما هو غير مدرك، ويحقق الأمور الأعظم. " أي الذي ليس من هذه الخليقة". ها هو قد أتى من الخيمة التي هي أعظم، لأنه ما كان له أن يكون (أي الجسد) صنيعة الروح لو كان قد صنعه إنسان. ثم يقول " ليس من هذه الخليقة". أي ليس من مخلوقات هذا العالم، بل من العالم الروحي، لأنه (أي الجسد) صنيعة الروح القدس. أرأيت كيف يدعو الجسد "بالخيمة" و " المسكن" و " السماء"؟ يقول "فبالمسكن الأعظم والأكمل"، ثم بعد ذلك "فبالمسكن أي هذا الجسد"، وأيضاً " إلى داخل المسكن" وأيضاً " الذي يأتي إلى قدس الأقداس"، لكي يقف أمام الله. ولماذا يفعل هذا؟ لأنه يرغب في أن يُعلمنا من خلال كل واحدة من هذه الأشياء، الأهمية المختلفة التي لها، والأسباب (التي من أجلها وُجدت). أقصد بهذا الآتي: أن السماء هي مسكن، فكما أن الأقداس تحجب المسكن، هكذا الجسد يحجب الألوهية، والسماء أيضاً هي خيمة، لأن هناك في الداخل يوجد الكاهن" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، الإصحاح التاسع، ص ٢٣٤.



بلاديوس: إذن، هل تريد أن نتحدث عن الخيمة المقدسة والكهنوت وفق الناموس ونفحص التشريعات الإلهية الخاصة بهما؟

كيرلس: الأمر بالتأكيد ليس خالياً من الصعوبة، لأن فهم هذه الأمور وتحليلها يحتاج إلى جُهدٍ مضنٍ يا بلاديوس. لأنه مكتوب بوضوح وأنت تعرف ذلك: "فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَنْ صَنَعَ لِلإِنْسَانِ فَماً أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيراً أَوْ أَعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟ فَالآنَ اذْهَبْ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَأُعَلِّمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ»" (خر ٤: ١١ - ١٢).

بلاديوس: إذن أمض وخُذ مانح الحكمة معيناً لك.

كيرلس: حسناً سوف أمضي وأقدِّم لك بدقة شهادات الكتب المقدسة.

إن الله خالق الجميع نزل بشكل نارٍ على جبل سيناء، وحدَّد نواميساً تنظِّم كل عملٍ ليصير عملاً مستقيماً وصالحاً. وبعدما حرَّرهم من الضلال القديم وأبعدهم عن عبادة الأوثان في مصر، كلَّم موسى –الذي كان حينذاك الوسيط– وقال له: "«هَكَذَا تقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ أَنَّنِي مِنَ السَّمَاءِ تَكَلَّمْتُ مَعَكُمْ. لاَ تَصْنَعُوا مَعِي آلِهَةَ فِضَّةٍ وَلاَ تَصْنَعُوا لَكُمْ آلِهَةَ ذَهَبٍ" (خر ٢٠: ٢٢ - ٢٣). فهو لم يسمح لهم بأن يعبدوا آلهةً كاذبةً، بل بالعكس أمرهم بأنه ينبغي عليهم أن يبقوا بالقرب من الذي أتى من السماء، والذي بالحق يفرض سلطانه على الكل، الذي لا يُظهر بهاؤه في ألوان المادة الجميلة فقط، لكن في إظهاره أن السماءَ ملكٌ له. لذا كان من الحتمي على الذين أُمروا بأن يهجروا العبادة القديمة الدنسة، أن ينتقلوا مباشرةً إلى طريق أخرى للحياة، وأن يقبلوا –كَنِيرٍ– عبادة الإله الحقيقي. لأن العقل المنفلت لا يعوقه شيءٌ، وهو مهيأٌ جداً أن يُغوَى بأي شيء من الأمور غير العاقلة، بينما عندما يهدده الخوف والهموم، يُسرع بدون تباطؤٍ نحو الطريق المستقيم ويلتفت تجاه ما هو نافع.

فنحن لا نقترب إلى الآب إلّا بواسطة الابن[1]، حسب قوله: "لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي

١- الإبن هو الوسيط كما يؤكد القديس كيرلس في سياق المقارنة بين موسى والمسيح، إذ يقول: "إن موسي هو وسيط لكنه مجرد رمزاً علي هيئة أمثلة وظلال، بينما الوسيط الحقيقي هو المسيح الذي وحدّنا بشخصه، حيث إنه حقاً نزل إلينا وصار إنساناً لكي نصير نحن أيضاً شركاء طبيعته متحدين معه بشركة الروح القدس ونعمة الله" جيلافيرا على سفر الخروج، المقالة الثالثة، الكتاب الشهري ديسمبر ٢٠١٠.

إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي" (يو ١٤: ٦). وإذا كان الإتيان إلى الآب بواسطة الابن بمثابة قانون حتمي، فقد وضع لهم شريعة الأمثلة الحاملة للثمار بواسطته قائلاً: "مَذْبَحاً مِنْ تُرَابٍ تَصْنَعُ لِي وَتَذْبَحُ عَلَيْهِ مُحْرَقَاتِكَ وَذَبَائِحَ سَلاَمَتِكَ غَنَمَكَ وَبَقَرَكَ. فِي كُلِّ الأَمَاكِنِ الَّتِي فِيهَا أَصْنَعُ لاِسْمِي ذِكْراً آتِي إِلَيْكَ وَأُبَارِكُكَ. وَإِنْ صَنَعْتَ لِي مَذْبَحاً مِنْ حِجَارَةٍ فَلاَ تَبْنِهِ مِنْهَا مَنْحُوتَةً. إِذَا رَفَعْتَ عَلَيْهَا إِزْمِيلَكَ تُدَنِّسُهَا" (خر ٢٠: ٢٤ - ٢٥).

عمانوئيل هو المذبح

وتأكيداً لذلك، يُشير المذبح التُرابي إلى عمانوئيل؛ لأنه يقول: "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً" (يو ١: ١٤). وإذا كانت طبيعة الجسد هي تراب من تراب، إذن فكلُ ثمرةٍ وكلُ اقترابٍ، يصير بالمسيح؛ لأنه هو نفسه الذي قال: "بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً" (يو ١٥: ٥). وكما أننا نحقق اقترابنا إلى الآب بواسطته، هكذا تصير كل ذبيحة لأولئك الذين قبلوا الإيمان، مقبولةً بواسطته؛ لأنه يَعد أولئك الذين أقاموا مذبحاً من ترابٍ، أن يأتي إليهم ويباركهم؛ لأنه يقول: "آتِي إِلَيْكَ وَأُبَارِكُكَ".

وإذا كنا قد قبلنا نماذج أو أمثلة الحق من موسى الحكيم، فقد ظهر لنا -نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور- لمعان الحق نفسه، أي المسيح الذي بواسطته قبلنا -بغنىً- بركة الآب من السماء وختم الروح القدس للتبني بيسوع المسيح (راجع ١ كور ١٠: ١١).

وعندما يقول: "وَإِنْ صَنَعْتَ لِي مَذْبَحاً مِنْ حِجَارَةٍ فَلاَ تَبْنِهِ مِنْهَا مَنْحُوتَةً"، فهو يعني أنه من غير المسموح أن يضربَ الحديدُ الحجارةَ المخصصة لله. لأن الحجر المختار وحجر الزاوية والحجر الكريم -بالتأكيد- هو المسيح، الطاهر من الخطايا، والذي لا تجد جروح الشيطان أي طريق فيه، ولا هو منقسم بين الله والعالم، فبالرغم من أنه صار جسداً إلَّا أنه كله قدوس، دون أن يُقسَّم إلى إله وإنسان من بعد الاتحاد الذي لا يُوصف، أي بعد اتحاده بالجسد، لكنه إلهٌ واحد، وفي الوقت نفسه هو إنسان، أي أنه غير منفصلٍ[1] بأيةِ طريقةٍ كما كتب بولس الحكيم (راجع ١ كو ١١: ٤).

١- يقول القديس كيرلس الأسكندرى في رسالته (٣٩) إلى نسطور موضحاً هذا الأمر: "نعترف أن ربنا يسوع المسيح، ابن الله، الوحيد، هو إله كامل وإنسان كامل ذو نفس عاقلة وجسم، وهو مولود من الآب قبل الدهور بحسب لاهوته، وأنه

بلاديوس: إذن هل المذبح الترابي والحجارة غير المنقوشة يشيران إلى المسيح بالطُّرق التي ذكرناها؟

معنى الكنيسة وشكلها

كيرلس: هذا هو ما أقوله. ولأن الناموسَ روحيٌّ وفق الكتب المقدسة، ولأنه صوَّر سر المسيح والإتيان إلى الله بواسطته بطريقة سرية، هكذا أيضاً فَكَّر الله أن يُعلِن شكل الكنيسة. فقد كان حسناً أنْ دعا موسى ومعه يشوع إلى جبل سيناء. ولعلك تلاحظ من هذا أن الآب صار قريباً من هؤلاء الأنبياء القديسين بواسطة الابن، فقد صعد موسى ويشوع معاً، لأنه مكتوب: "وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذُوا لِي تَقْدِمَةً. مِنْ كُلِّ مَنْ يَحُثُّهُ قَلْبُهُ تَأْخُذُونَ تَقْدِمَتِي. وَهَذِهِ هِيَ التَّقْدِمَةُ الَّتِي تَأْخُذُونَهَا مِنْهُمْ: ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ وَنُحَاسٌ. وَأَسْمَانْجُونِيٌّ وَأُرْجُوَانٌ وَقِرْمِزٌ وَبُوصٌ وَشَعْرُ مِعْزَى. وَجُلُودُ كِبَاشٍ مُحَمَّرَةٌ وَجُلُودُ تُخَسٍ وَخَشَبُ سَنْطٍ. وَزَيْتٌ لِلْمَنَارَةِ وَأَطْيَابٌ لِدُهْنِ الْمَسْحَةِ وَلِلْبَخُورِ الْعَطِرِ. وَحِجَارَةُ جَزْعٍ وَحِجَارَةُ تَرْصِيعٍ لِلرِّدَاءِ وَالصُّدْرَةِ. فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِساً لأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ" (خر ٢٥: ١ - ٨).

أرأيت كيف وهو يستعرض كل ما هو ضروري لإقامة الكنيسة، يحثُّ العالم أن يقدِّموا –باستعدادٍ مفرحٍ– أشياء تتماثل مع قوتهم وإرادتهم؟ لأنه لم يطلب ذهباً فقط، أو ما كان صعباً أن يجده الأقدمون، لكنه طلب أيضاً شعر معزي وجلود كباش مُبيِّناً هكذا أن الأشياء قليلة القيمة تُقبل من الله، فالذي يقدِّم شيئاً ليس بثمين لا يُرفض من الله. وربما تتساوى هذه التقدمة مع الأشياء الثمينة أو تُمدح بالأكثر، مثلما لم يترك المسيح الأرملة في أورشليم دون أن يمدحها، تلك المرأة التي قدمت شيئاً قليلاً وزهيداً جداً، لكنه عظيم ربما لأولئك الذين هم في فقرٍ مدقعٍ، يعانون من الحرمان الشديد.

هو نفسه في الأيام الأخيرة، من أجلنا ومن أجل خلاصنا وُلِدَ من مريم العذراء بحسب ناسوته،وهو نفسه من الجوهر نفسه الذي للآب حسب لاهوته، ومن نفس الجوهر الذي لنا بحسب ناسوته. لأنه قد حدث اتحاد بين اللاهوت والناسوت. لأجل هذا نعترف بمسيح واحد، ابن واحد، رب واحد. وبحسب هذا المفهوم للاتحاد بدون اختلاط نعترف بأن العذراء القديسة هي والدة الإله، لأن الله الكلمة قد تجسد وتأنس، ومنذ ذات الحمل به وحّد الهيكل الذي أخذه منها، مع ذاته. ونحن نعرف أن اللاهوتيين ينسبون بعض أقوال البشيرين والرسل عن الرب باعتبارهما تشير بصفة عامة إلى شخص واحد، ويقسمون أقوالاً أخرى بأنها تشير إلى (لاهوته وناسوته)، فتلك التي تليق بالله ينسبونها إلى لاهوت المسيح، أما تلك الأقوال المتواضعة فينسبونها إلى ناسوته" رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكى، مركز دراسات الآباء، والدكتور نصحى عبد الشهيد، يوليو ١٩٨٨، ص ٤٣ - ٤٤.

وعندما تؤخذ التقدمات، يقول: "فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِساً لأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ". بمعنى أن يظهر المسيحُ في الكنيسة ويتمجد في كل أعضائها كما تقول المزامير: "الرَّبُّ هُوَ اللهُ وَقَدْ أَنَارَ لَنَا" (مز ١١٨: ٢٧). لاحظ هذا أيضا، بالرغم من أنه نزل إلى الجبل على شكل نار ورآه كل الشعب، فقد كُتب هكذا مع أنه لم يظهر بعد؛ لأنه يقول: "فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِساً لأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ". يمكننا إذن أن نرى بوضوح كيف أن تلك الرؤى، إنما هي فقط ظلالٌ للرؤية الإلهية الحقيقية.

إن الظهور الحقيقي لله هو المسيح الذي في شخصه رأينا الآب نفسه. لذلك وبَّخ الربُّ اليهودَ كأغبياء، قائلاً: "لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ وَلاَ أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ. وَلَيْسَتْ لَكُمْ كَلِمَتُهُ ثَابِتَةً فِيكُمْ لأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ هُوَ لَسْتُمْ أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِهِ" (يو ٥: ٣٧ – ٣٨)، بينما هم ظنوا أنهم رأوا إله الجميع حقاً على جبل سيناء.

إذن، يقول سأظهر لكم عندما يُبنى مقدسي. هذا بالطبع كان مثالاً للكنيسة التي صارت لكي تكون مطابقة للسماويات. لأنه حقاً يقول: "بِحَسَبِ جَمِيعِ مَا أَنَا أُرِيكَ مِنْ مِثَالِ الْمَسْكَنِ وَمِثَالِ جَمِيعِ آنِيَتِهِ هكَذَا تَصْنَعُونَ" (خر ٢٥: ٩). إذن، فقد ظهر لموسى الطوباوي -كما قُلت- مثالٌ للكنائس المقدسة وبطرق كثيرة. ظهر في ظلال ذاك الذي صار إنساناً لأجلنا. وبالتأكيد، كل النماذج تحتاج إلى حديث طويل ومملوء بالتفصيلات. لكن هناك أمثلةً متعددة لها خصوصيتها وتناسبها مع صناعة الأشياء التي تمت، بينما هناك أمثلةٌ أخرى تقتصر على الالتزام بالأمور التي أُظهرت، فلنمضِ إذن في الحديث عن الأمور المفيدة في هذا، ودعنا نترك الأمور الأخرى.

بلاديوس: لا أفهم مقصدك من هذا القول.

تابوت العهد

كيرلس: انتبه إذن لِما أقوله لك؛ لأنك سوف تفهم بدون أية مشقة. لقد أَمَرَ أن يُصنع التابوت من الخشب الغير القابل للتسوس، ويكون مغطىً من الداخل ومن الخارج بذهبٍ نقي (انظر خر ٢٥: ١٠ – ١١)[١]، ويحمل في داخله

١ـ "فَيَصْنَعُونَ تَابُوتاً مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ طُولُهُ ذِرَاعَانِ وَنِصْفٌ وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ وَارْتِفَاعُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ. وَتُغَشِّيهِ بِذَهَبٍ نَقِيٍّ. مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ تُغَشِّيهِ. وَتَصْنَعُ عَلَيْهِ إِكْلِيلاً مِنْ ذَهَبٍ حَوَالَيْهِ".

الشهادة، أي الناموس المكتوب على اللوحين. ولم يقتصر الأمر على ذلك؛ لأنه أمَرَ أيضاً أن تُصنع عصوان من خشب غير قابل للتسوس وتغطيان بذهب، وحلقات مذهبة حول العصوين. ولصناعة التابوت حدَّد الطول والعرض والارتفاع. لكن إذا أراد أحدٌ أن يفحص بالتفصيل مفهوم وسر كل هذه الأمور، عليه أن يكتشف ماذا يعني التابوت والشهادة داخله؟ ولماذا كانت الحاجة إلى أخشابٍ غير قابلةٍ للتسوس؟ أيضاً ما الذي أراد أن يعلنه بواسطة الذهب في التابوت، وكل الأشياء المستخدمة للتزيين بحسب ترتيبها، أقصد الأشكال المموَّجة، والحلقات الذهبية والعصوين؟ تلك الأشياء التي إذا أراد المرء أن يفتش عنها بالتفصيل، فسوف يجد صعوبة شديدة، ولن يستطيع أن يصل إلى المفهوم السري للتابوت، وربما ينتهي إلى كلام لا معنى له، بعد أن يكون قد صب آلاف الكلمات –التي لا هدف لها– في آذان محبي التعلم.

على أن حديثنا لن يقتصر –حقيقةً– على التابوت فقط، لأني سأحاول أن يكون هذا الحديث عن الأمور الأخرى التي أمر أن يتم الالتزام بها.

بلاديوس: لا يبدو ما ذكرته لي صعباً. لذا، بينما وأنت تتجنب الحديث عما ذكرته من تماثلٍ وقياس، أرجو أن تُسرع لكي تصل إلى ما هو ضروري في التقييم الروحي للأمر، بمعنى أن توضح –بدون تأخير– بأية طريقة يُظهر لنا المسيح نفسه بالأمثلة التي استُخدِمت، أو بالمصنوعات التي صُنعت.

كيرلس: سوف أحاول أن أتأمل وأُعبِّر قدر استطاعتي. لكني أرجو المعذرة إذا ما اقتربت قليلاً جداً من السمو اللائق بالمفاهيم، دون أن أنجح في إظهار الحق. فرغم اليقظة والحكمة، قد يخطئ العقل، إذا كان المرء يشاهد شيئاً في مرآةٍ أو لغز.

بلاديوس: بالصواب تحدثت.

كيرلس: التابوت، يا بلاديوس، يمكن أن يكون مثالاً وأيقونةً للمسيح[1]. لأنه في تفسيرنا لطريقة تأنس الوحيد الجنس روحياً، سوف نرى اللوغوس

١- ثيؤطوكية الأحد - القطعة الثانية (أ) (تى كيفوتوس إتوشج / التابوت المصفح بالذهب): "التابوت المصفح بالذهب من كل ناحية المصنوع من خشب لا يسوس. سبق أن دلنا على الله الكلمة الذى صار إنساناً بغير افتراق. واحد من اثنين لاهوت قدوس بغير فساد مساو للآب. وناسوت طاهر بغير مباضعة مساو لنا كالتدبير. هذا الذى اخذه منك ايتها الغير الدنسة واتحد به كأقنوم".

ساكناً في هيكل العذراء[1] كما لو كان داخل التابوت. لأنه وفق الكتب المقدسة ''فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيّاً'' (كو ٢: ٩). إذن، اللوغوس -بالتأكيد- هو ما يشير إليه لوحا الشهادة بالتابوت. والخشب أيضا كان من النوع الذي لا يصاب بالفساد، وكان مغطىً بذهبٍ نقي وخالص من الداخل والخارج. لأن جسد المسيح غير فاسدٍ، محفوظٌ في عدم الفساد بقوة وبهاء اللوغوس الذي يسكن داخله بطبيعته، وفعل الروح القدس المحيي. لأجل هذا بالتأكيد يُقال إن المسيح يُحيي. فلأن اللوغوس -باعتباره كلمة الله الآب- حيٌّ بحسب طبيعته، فإنه بقوة الروح يُعيد إحياء هيكله جاعلا إياه أسمى من الفساد. لأن ''جسده لم يرَ فساداً'' وفقاً لكلام بطرس القديس (أع ٢: ٣١).

وقد وجَّه الرب أيضاً حديثه مرةً إلى اليهود وقال لهم عن جسده: ''انْقُضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ'' (يو ٢: ١٩). وبطرس يقول: ''مُمَاتاً فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ'' (١ بط ٣: ١٨).

الذهبُ إذن، هو رمزٌ للإلوهية فائقة البهاء التي اتحدت بالجسد المقدس، وانسكبت داخله بالمجد وعدم الفساد بطريقةٍ فائقةٍ، بقدر ما تعتبر معرفة الطبيعة الإلهية في حد ذاتها، أعلى من العقل. لأنه إذا كان الأبرار يضيئون كالشمس في ملكوت أبيهم (راجع مت ١٣: ٤٣)، فماذا يكون عندئذ مجد المسيح نفسه؟ وإشعاعاته أيضاً كيف لا تكون أعلى من أي عقل أو منطق؟

أمَّا العصوان الذهبيتان، فترفعان التابوت. كما أن الحلقات مذهبةٌ أيضاً، وكذلك كل ما هو موجود في التابوت، أي أن المحيطين به (أي بالمسيح) يشتركون في مجد محبته، والملتصقون به مقدسون. مثل هؤلاء كان التلاميذ الطوباويون الذين قبلوا قوته الإلهية واكتسبوا -بالشركة- غنى بهاء العظمة السماوية، لذلك استطاعوا أن يحققوا المعجزات.

بلاديوس: تتحدث بالصواب.

كيرلس: وبخصوص تابوت العهد، يقول: ''وَتَصْنَعُ غِطَاءً مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ طُولُهُ ذِرَاعَانِ

١ـ هذا ما تؤكده ثيؤطوكية الثلاثاء: ''كرامة العذراء لا يُنطق بها. لأن الله أرادها وجاء وسكن فيها. الساكن في النور غير المقترب إليه. حل في بطنها تسعة شهور. غير المنظور، غير المحدود ولدته مريم وهي عذراء''.



وَنِصْفٌ وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ. وَتَصْنَعُ كَرُوبَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ. صَنْعَةَ خِرَاطَةٍ تَصْنَعُهُمَا عَلَى طَرَفَيِ الْغِطَاءِ. فَاصْنَعْ كَرُوباً وَاحِداً عَلَى الطَّرَفِ مِنْ هُنَا وَكَرُوباً آخَرَ عَلَى الطَّرَفِ مِنْ هُنَاكَ. مِنَ الْغِطَاءِ تَصْنَعُونَ الْكَرُوبَيْنِ عَلَى طَرَفَيْهِ. وَيَكُونُ الْكَرُوبَانِ بَاسِطَيْنِ أَجْنِحَتَهُمَا إِلَى فَوْقُ مُظَلِّلَيْنِ بِأَجْنِحَتِهِمَا عَلَى الْغِطَاءِ وَوَجْهَاهُمَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى الآخَرِ. نَحْوَ الْغِطَاءِ يَكُونُ وَجْهَا الْكَرُوبَيْنِ. وَتَجْعَلُ الْغِطَاءَ عَلَى التَّابُوتِ مِنْ فَوْقُ. وَفِي التَّابُوتِ تَضَعُ الشَّهَادَةَ الَّتِي أُعْطِيكَ" (خر ٢٥: ١٧ - ٢١).

بلاديوس: وماذا تقول عما يعنيه بالغطاء؟

غطاء التابوت، وكاروبا المجد

كيرلس: فيما يخص الحرف والظلال، فقد صُنع الغطاء من ذهبٍ نقي، وكان موضوعاً فوق التابوت، لذلك سُمي "لفافةً"، وعندما يلتف المكرَّمون برتبة الكهنوت حوله لينظروه، يؤمنون أنهم ينظرون الله.

أمَّا غطاء التابوت[1] -بالمعنى الروحي- فنقول عنه إنه يشير إلى ذاك الذي صار إنساناً لأجلنا "الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ لإِظْهَارِ بِرِّهِ مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ" (رو ٣: ٢٥) كما يقول بولس. وأيضا يكتب لنا يوحنا التلميذ الحكيم في رسالته: "يَا أَوْلاَدِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذَا لِكَيْ لاَ تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضاً" (١ يو ٢: ١ - ٢). فبواسطة المسيح تتحقق كفارتنا حقاً، في كل توسلٍ وطلبٍ للصلاح؛ لأنه يقول: "أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ" (يو ١٧: ٢٤). وبالتالي، هذا هو الكفارة والغطاء بالنسبة لنا. لأن الآبَ صار لنا رحوماً بواسطته، فيه وجدنا غايةً لتوسلاتنا، وبواسطته نستطيع أن نقترب إلى الله، وبخلاف ذلك لا نصير مقبولين. لذلك يقول: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ" (يو ١٤: ٦) و"أنا هو الباب" (يو ١٠: ٧)، و"لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي" (يو ١٤: ٦). ومع أنه صار مثلنا ونزل اللوغوس وحيد الجنس ذاته إلى مستوى

[1] ثيؤطوكية الأحد - القطعة الثالثة (أ) (بى إيلأستيريون / الغطاء المظلل): "الغطاء المظلل عليه بالكروبين المصورين. أى الله الكلمة الذى تجسد منك أيتها التى بلا عيب بغير تغير. وصار تطهيراً لخطايانا و غافراً لآثامنا "

الإنسان في إخلائه، لكن علينا أن ندركه بالمجد اللائق بإلوهيته وبسموه الذي يتجاوز الخليقة، كما -بالضبط- قبل أن يأخذ جسداً. لذلك، الكروبان[1] يقفان فوق الغطاء، باسطين أجنحتهما مظللين الغطاء ماثلين أمامه كل واحد وجهه للآخر، ووضعُهما على اليمين واليسار هو برهان عدم الاعتراض. والنظر المستمر للكاروبين نحو الغطاء، يشير إلى رغبة القوات السماوية الشديدة للتطلع نحو رؤيته.

وبنفس الشكل يصف النبي إشعياء الابنَ قائلاً: "رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِساً عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ. السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ. بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ وَبِاثْنَيْنِ يُغَطِّي رِجْلَيْهِ وَبَاثْنَيْنِ يَطِيرُ" (إش ٦: ١ - ٢). ويمكننا أن نؤكد أنه ليس شيئاً غريباً على الإطلاق إذا ما تخيَّل أحدٌ أن السيرافيم يغطون وجه الله، وكذلك رجليه[2]؛ لأنه إذا نقلنا مفهوم كلمة "السيرافيم" إلى اللغة اليونانية، لوجدنا أنها تعني كلمة "المعرفة" في صيغة الجمع، أي تدفق الحكمة. وبالتالي، فإن القوات السامية وكلية الحكمة تعلن أنه غير مسموح أن يرى أحدٌ وجه الله؛ لأن الطبيعة التي تفوق العقل غير منظورة تماماً، فهو بحسب كلام بولس: "سَاكِناً فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ" (١ تيمو ٦: ١٦). أيضاً "لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ" (خر ٣٣: ٢٠) وفق ما قاله هو نفسه لموسى. كما أن آثاره وطُرقه تستعصي على المعرفة، لأنه مكتوب: "يَا لَعُمْقِ

١- ثيؤطوكية الأحد - القطعة الثالثة (ب) (شيروفيم إسناف / كروبا ذهب): "كروبا ذهب مصوران مظللان على الغطاء بأجنحتهما كل حين. يظللان على موضع قدس الأقداس فى القبة الثانية. وانت أيضاً يامريم ألوف ألوف وربوات ربوات يظللون عليك. مسبحين خالقهم وهو في بطنك هذا الذى أخذ شبهنا ماخلا الخطية والتغيير".

٢- علينا أن نلاحظ هنا أن القديس كيرلس لا يتكلم عن نص اشعياء ٦: ٢ بشكل مجرد، فالنص لا يقول إن السيرافيم يغطون وجه الله أو رجليه، وإنما يغطي أحد السيرافيم وجهه هو ورجليه هو. إن القديس كيرلس في هذا المقطع يدمج بعض العناصر معاً ويستخرج منها رؤية خاصة به على درجة في غاية الجمال والذكاء. فهو أولاً يستفيد من نص سفر الخروج ٢١: ١٧ - ٢٥ والذي سبق الإشارة إليه، وبالتحديد "ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظللين بأجنحتهما على الغطاء". وهو ثانياً يؤكد على ما يرمز إليه الغطاء أو الكفارة أي الابن المتجسد. وهو ثالثاً يستدعي المعنى اليوناني لكلمة "سيرافيم" أي المعرفة في صيغة الجمع، (أي المعرفة الكاملة)، ذلك لأن المعنى العبري لكلمة ساراف وهي الأصل الاشتقاقي لكلمة سيرافيم تعني "المشتعل أو المحترق"، ربما للدلالة على نقاوتهم كخدام لله. وهو رابعاً يرى الله كياناً كاملاً يعبَّر عنه بالوجه الذي يمثل البداية والأرجل التي تمثل النهاية، فإذا ما أدمجت هذه العناصر معاً، ومع الأخذ في الاعتبار أنه يعي اللغزية المختبئة وراء الكلمات في دلالتها على السيد المسيح له المجد، كان من السهل أن ندرك أن معرفة الله هي بلا حدود، وإن وجود الكاروبين على التابوت يظللان (أو يحجبان) الغطاء أو الكفارة، إنما هو رمزٌ وظل لعدم إدراك الله، أو عدم خضوعه لحدود المعرفة الإنسانية. وبالتالي، فإذا ما وضعت كل هذه العناصر معاً، فإنه لا يعد شيئاً غريباً على الإطلاق أن يتخيل أحد إن السيرافيم يغطون وجه الله وأيضاً رجليه. وبهذه المناسبة علينا أن نلاحظ أن القديس كيرلس لم يقتصر في تفسيره على الرموز التي تخص السيد له المجد في تدبير الخلاص، ولكنه توسع في ذلك حتى شملت رؤيته ما كان ظلاً أو رمزاً للكنيسة والرسل والكرازة ... إلخ، بل وحتى لليهود الذين عاشوا أيام السيد المسيح حسبما سيجيء.

غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاِسْتِقْصَاءِ!''(رو ١١: ٣٣). كذلك يرنم داود الطوباوي، وهو يعزف على ربابته لحناً عذباً: ''فِي الْبَحْرِ طَرِيقُكَ وَسُبُلُكَ فِي الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ وَآثَارُكَ لَمْ تُعْرَفْ'' (مز ٧٧: ١٩). وكما لا يستطيع المرء أن يرى أثراً على المياه لإنسان أو لمركب لأولئك الذين يسبحون فيها، هكذا لا يستطيع أن يفهم المرء الطرق الإلهية.

والمِثال المؤكَّد لهذه الأمور هي الأرجل. فإذا افترض أحدٌ أن السارافيم يغطون وجوههم بأجنحتهم، عندئذٍ يجب أن ندرك أنه لا يُسمح لنا أن نرى بداية أو نهاية الحكمة، أي معرفة الله؛ لأنه غير مُدرَك ويفوق العقل البشري. فبدايةُ أي جسدٍ هو الرأس ونهايته الأرجل. إذن كفارتنا هو المسيح الذي، وهو في الجسد عندما ظهر، لم يكن أبداً أقل من إله ورب من جهة الطبيعة، وأن القوات الفائقة كانت حقاً حوله تخدمه. فقد قالت لنا الكلمة المقدسة (مت ٤: ١١)، إنه بعد أن ترك الشيطانُ المسيحَ بعد التجربة حين صام لأجلنا، أن الملائكة ذهبت لتخدمه. لأنه مكتوب: ''أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحاً خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ!'' (عب ١: ١٤).

''فوق الغطاء سوف أظهر''، يقول: ''وسوف أتحدث إليك''. وبهذا القول -على ما أعتقد- يعلن أمرين: فبالرغم من أن المسيحَ إنسانٌ، إلَّا أنه سوف يعلن عما يفوق الطبيعة البشرية، ولن ينحصر فقط داخل مقاييس الإخلاء، وذلك بسبب أنه الله ومولودٌ من الله بالطبيعة. لأنه يقول: ''أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ'' (يو ١٠: ٣٠)، و''اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ''(يو ١٤: ٩). وسوف يعلن ذلك بشكلٍ يفوق مجد الغطاء ويفوق مجد الكاروبين، أي بعظمةٍ ومجدٍ، بل وأسمى من الكائنات المخلوقة، حتى الساروفيم التي هي أكثر سمواً، وذلك بالرغم من أنه صار جسداً، وبرغم أن الغطاء والسيرافيم هما أيضاً من ذهب. أي أن الطبيعة الممجدة والفائقة الجمال هي الله، بينما هذه المخلوقات (السيرافيم) تتشبه به بالوجود بالقرب منه. هكذا يضفي شركة مجده على هذه المخلوقات الموجودة بالقرب منه، والتي تعكس نوره إذ يشرق بهاؤه على كل ما يوجد أمامه.

بلاديوس: حديثك صحيح، والعرض ممتاز، لدرجة أن الحقيقة بدت واضحة.

خبز الوجوه

كيرلس: بعد صناعة الغطاء، رَسَم لنا بطريقةٍ أخرى سرَّ المسيح قائلا: "وتصنع المائدة من ذهبٍ صافٍ" (خر ٢٥: ٢٣س). وقد أمر أيضاً أن تُصنع لها حلقات وتضع عصوين من ذهبٍ، محدِّداً بوضوحٍ، المقاييسَ وطرق العمل التقني لتكون ذات شكل جمالي رائع. وتضع "عَلَى الْمَائِدَةِ خُبْزَ الْوُجُوهِ أَمَامِي دَائِماً" (خر ٢٥: ٣٠). وقد أمر أيضا أن تكون أوانيها من الذهب: صحافها وكؤوسها ومباخرها وكذلك الجامات للسكيب. ألم يُظهر لنا -بوضوح- الخبز الذي نزل من السماء، والذي سوف يوضع على الموائد المقدسة للكنائس معطياً الحياة للعالم؟

بلاديوس: بالتأكيد

كيرلس: أوليست الصحاف والمباخر والكؤوس والجامات وكل تلك التي بواسطتها تتم الأمور المقدسة والسرائرية للمائدة المقدسة، هي مثال يا صديقي للكنوز الإلهية؟

بلاديوس: بالتأكيد

كيرلس: هكذا هي بالتأكيد في سفر الخروج. لكن المشرِّع أعطى أوامره في اللاويين بالنسبة للمائدة ولإضافة الخبز. ففي اللاويين يشرح الوصية ويعلِّم بوضوح الطريقة التي سوف تصير بها الإضافة قائلاً: "وَتَأْخُذُ دَقِيقاً وَتَخْبِزُهُ اثْنَيْ عَشَرَ قُرْصاً. عُشْرَيْنِ يَكُونُ الْقُرْصُ الْوَاحِدُ. وَتَجْعَلُهَا صَفَّيْنِ كُلَّ صَفٍّ سِتَّةً عَلَى الْمَائِدَةِ الطَّاهِرَةِ أَمَامَ الرَّبِّ. وَتَجْعَلُ عَلَى كُلِّ صَفٍّ لُبَاناً نَقِيّاً فَيَكُونُ لِلْخُبْزِ تِذْكَاراً وَقُوداً لِلرَّبِّ. فِي كُلِّ يَوْمِ سَبْتٍ يُرَتِّبُهُ أَمَامَ الرَّبِّ دَائِماً مِنْ عِنْدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِيثَاقاً دَهْرِيّاً. فَيَكُونُ لِهَارُونَ وَبَنِيهِ فَيَأْكُلُونَهُ فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ لأَنَّهُ قُدْسُ أَقْدَاسٍ لَهُ مِنْ وَقَائِدِ الرَّبِّ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً»" (لا ٢٤: ٥ - ٩).

وفي سفر العدد أيضاً يتحدث عن الخبز الواحد الذي أتى من السماء وتجسد. لأن اللوغوس، بينما كان إلهاً بطبيعته، صار مثلنا وسكن داخلنا (يو ١: ١٤). حسناً قال لموسى النبي: "قُل لِبَنِي إِسْرَائِيل: مَتَى دَخَلتُمْ الأَرْضَ التِي أَنَا آتٍ بِكُمْ إِليْهَا. فَعِنْدَمَا تَأْكُلُونَ مِنْ خُبْزِ الأَرْضِ تَرْفَعُونَ رَفِيعَةً لِلرَّبِّ. أَوَّل عَجِينِكُمْ تَرْفَعُونَ قُرْصاً رَفِيعَةً. كَرَفِيعَةِ البَيْدَرِ هَكَذَا تَرْفَعُونَهُ. مِنْ أَوَّلِ عَجِينِكُمْ تُعْطُونَ

لِلرَّبِّ رَفِيعَةً فِي أَجْيَالِكُمْ" (عد ١٥: ١٧ - ٢١).

إذن، يستطيع المرء -دون مشقةٍ- أن يدرك من كل هذا سر الحق. وإن كنا سوف نتحدث مرةً أخرى بالتفصيل وبدقة عندما ننقل حديثنا إلى نصٍ صعبٍ آخر. هكذا في هذا النص يستطيع المرء -يا بلاديوس- أن ينظر بإعجاب إلى ذاك.

بلاديوس: إلى مَن تشير بهذا القول؟

المنارة الذهب مثالٌ للمسيح

كيرلس: أقصد عمانوئيل. فبينما بطرقٍ كثيرة أشار لنا بوضوح إليه، هكذا أعطانا صورةً واضحةً عنه في حديث آخر. لأنه يقول لموسى: "وَتَجْعَلُ عَلَى الْمَائِدَةِ خُبْزَ الْوُجُوهِ أَمَامِي دَائِماً «وَتَصْنَعُ مَنَارَةً مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ. عَمَلَ الْخِرَاطَةِ تُصْنَعُ الْمَنَارَةُ قَاعِدَتُهَا وَسَاقُهَا. تَكُونُ كَأْسَاتُهَا وَعُجَرُهَا وَأَزْهَارُهَا مِنْهَا. وَسِتُّ شُعَبٍ خَارِجَةٌ مِنْ جَانِبَيْهَا. مِنْ جَانِبِهَا الْوَاحِدِ ثَلاَثُ شُعَبِ مَنَارَةٍ. وَمِنْ جَانِبِهَا الثَّانِي ثَلاَثُ شُعَبِ مَنَارَةٍ" (خر ٢٥: ٣٠ - ٣٢). ويضيف بعد هذا ويقول: "تَكُونُ عُجَرُهَا وَشُعَبُهَا مِنْهَا. جَمِيعُهَا خِرَاطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ. وَتَصْنَعُ سُرُجَهَا سَبْعَةً. فَتُصْعَدُ سُرُجُهَا لِتُضِيءَ إِلَى مُقَابِلِهَا. وَمِلاَقِطُهَا وَمَنَافِضُهَا مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ. مِنْ وَزْنَةِ ذَهَبٍ نَقِيٍّ تُصْنَعُ مَعَ جَمِيعِ هَذِهِ الأَوَانِي. وَانْظُرْ فَاصْنَعْهَا عَلَى مِثَالِهَا الَّذِي أُظْهِرَ لَكَ فِي الْجَبَلِ" (خر ٢٥: ٣٦ - ٤٠).

إذن، فالمنارة من ذهب[1]، وهي بذلك تعطي مثالاً للمسيح؛ لأنه إلهٌ حقيقيٌ بطبيعته، ويجب أن نشبِّهه بالذهب مثلما أشرنا سابقاً إلى البهاء الإلهي وعظمته بالذهب.

والمنارةُ أيضاً تكون مخروطةً؛ لأن عمانوئيل من جهة الجمال الذهني، فائق الجمال بطريقةٍ أبلغ من أي تعبير بالتأكيد. لأنه مكتوب عنه: "أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي الْبَشَرِ" (مز ٤٥: ٢). إذن هذه الخراطة الواحدة للمنارة،

١- ثيؤطوكية الأحد - القطعة الخامسة (أ) (إنتثوتى تى ليخنيا / أنت المنارة الذهب): "أنت المنارة الذهب النقى الحاملة المصباح المتقد كل حين. الذى هو نور العالم غير المقترب إليه الذى من النور غير المدنى منه. الإله الحق من الإله الحق الذى تجسد منك بغير تغيير. بظهوره أضاء علينا نحن الجلوس في الظلمة وظلال الموت. وقوَّم أرجلنا إلى طريق السلام بشركة أسراره المقدسة".

بالمنظر المدهش، أي الذي يليق بالله، أظهرت لنا عمانوئيل بشكلٍ ممتاز. وعلى اليمين واليسار كفروعٍ تنبت من شجرة وترتفع بعامود في المنتصف، وهذا الارتفاع -كما يقول- متساوٍ في الدرجة؛ لأنه المونوجينيس. (الابن الوحيد) الذي هو واحد بطبيعته وبسيط في جوهره كإله، ويظهر أيضاً أنه متعدد من جهة أفعاله.

لكن لا يوجد فيه شيءٌ مُضافٌ من الخارج أو غريب. فهو من جهة مكانته الإلهية ليس عادياً، لأننا نعتبره نوراً وحياةً وقوةً وعدمَ فسادٍ.

ولأنه أراد أن يعلِّمنا أنه لا يوجد فيه شيءٌ من الخارج أضاف قائلاً: "تَكُونُ عُجَرُهَا وَشُعَبُهَا مِنْهَا. جَمِيعُهَا خِرَاطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ" (خر ٢٥: ٣٦). بمعنى أنه كله بالكامل إلهٌ، وليس مجرد قديس مساوي للموجودات المخلوقة، ولا هو مثل الملائكة ذات الطبيعة الروحانية، لأنهم مضيئون بنعمته هو وببهائه، وممسوحين مثل الذهب النقي بعطية الروح. أمَّا هو، فله نفس طبيعة الله، الطبيعة الكلية النقاء والفائقة السمو.

أمَّا المنارات، فهي سبعٌ؛ لأن استنارتنا من المسيح تتحقق بطرق كثيرة، وكما يقول: "فَإِنَّهُ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلاَمُ حِكْمَةٍ. وَلآخَرَ كَلاَمُ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ" (١ كو ١٢: ٨ ... الخ).

والعدد سبعة هو أيضاً علامةٌ للكمال. وعمانوئيل هو كلي الكمال، فهو إله بطبيعته، وبمنحه المواهب -يكونُ كاملاً- في أولئك الجديرين بنوالها. لأنه "لَيْسَ بِكَيْلٍ يُعْطِي اللَّهُ الرُّوحَ" (يو ٣: ٣٤). كما يقول يوحنا: "وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعاً أَخَذْنَا وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ"(يو ١: ١٦).

مكتوب بعد ذلك: "فَتُصْعَدُ سُرُجُهَا لِتُضِيءَ إِلَى مُقَابِلِهَا" (خر ٢٥: ٣٧). وقد أشار إلى هذا الوضع بوضوح في سفر العدد قائلاً: "وَقَال الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُل لِهَارُونَ: مَتَى رَفَعْتَ السُّرُجَ فَإِلى قُدَّامِ المَنَارَةِ تُضِيءُ السُّرُجُ السَّبْعَةُ». فَفَعَل هَارُونُ هَكَذَا. إِلى قُدَّامِ المَنَارَةِ رَفَعَ سُرُجَهَا كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى" (عد ٨: ١ - ٣).

لاحظ إذن، أن السُّرج السبعة الكائنة قدام المنارة، تلقي نورها نحو أولئك الذين ينظرون إليها. بمعنى أن النور الإلهي والعقلي لا ينير أولئك الذين أداروا وجوههم بعيداً عن الله، لكن للذين -بالتقديس- يلتفتون نحو الله

ويشاهدونه ويرونه وجهاً لوجه بيقين الإيمان وبحياتهم المستقيمة والفاضلة. ولأن الدناءة والعصيان هما أمران مكروهان ومرفوضان، لذلك يكرم الله أولئك الذين يطيعون، ويعتني بمن يقبلون التأديب. وهو يقول لليهود -الذين فضَّلوا أن يتصرفوا تجاهه بغير لياقة- بفم إشعياء النبي: "فَحِينَ تبْسُطُونَ أَيْدِيكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ وَإِنْ كَثَّرْتُمُ الصَّلاَةَ لاَ أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دماً" (إش ١: ١٥). وبحسب نشيد المزامير "عَيْنَا الرَّبِّ نَحْوَ الصِّدِّيقِينَ وَأُذُنَاهُ إِلَى صُرَاخِهِمْ" (مز ٣٤: ١٥).

بلاديوس: لا شك أن ما قلته حق.

كيرلس: ويشير زكريا النبي إلى هذه المنارة المقدسة أيضاً؛ لأنه يقول: "قَدْ نَظَرْتُ وَإِذَا بِمَنَارَةٍ كُلُّهَا ذَهَبٌ وَكُوزُهَا عَلَى رَأْسِهَا وَسَبْعَةُ سُرُجٍ عَلَيْهَا وَسَبْعُ أَنَابِيب لِلسُّرُجِ الَّتِي عَلَى رَأْسِهَا. وَعِنْدَهَا زَيْتُونَتَانِ إِحْدَاهُمَا عَنْ يَمِينِ الْكُوزِ وَالأُخْرَى عَنْ يَسَارِهِ. فَسَأَلْتُ الْمَلاَكِ الَّذِي كَلَّمَنِي: مَا هَذِهِ يَا سَيِّدِي؟ فَأَجَابَ الْمَلاَكُ الَّذِي كَلَّمَنِي: أَمَا تَعْلَمُ مَا هَذِهِ؟ فَقُلْتُ: لاَ يَا سَيِّدِي" (زك ٤: ١ - ٥). حسنا يتساءل النبي الطوباوى: "مَا هَذِهِ يَا سَيِّدِي؟". والملاك يشرح الرؤية ويشير -بواسطة صناعة المنارة- إلى المسيح قائلاً عن السبع منارات: "إِنَّمَا هِيَ أَعْيُنُ الرَّبِّ الْجَائِلَةُ فِي الأَرْضِ كُلِّهَا" (زك ٤: ١٠).

وإن كان يجب أن أقول -بشكلٍ مادي- ما هو أكثر: فإن الإلوهية ترانا بآلاف الأعين، وتُشرف على الأمور البشرية مميزةً كل ما هو موجود في الظلام وفق ذاك الذي كُتب "وَعِنْدَهُ يَسْكُنُ النُّورُ" (دا ٢: ٢٢). لأنه إذ أرسل الله لنا نوره نحن البشر، فإن هذا كائن في طبيعته قبل أن يعطيه للآخرين. فإذا كان البعض يرون أن الأمر ليس هكذا، فقد حان الوقت أن نصرخ نحوهم قائلين: "اِفْهَمُوا أَيُّهَا الْبُلَدَاءُ فِي الشَّعْبِ وَيَا جُهَلاَءُ مَتَى تَعْقِلُونَ؟. الْغَارِسُ الأُذُنَ أَلاَ يَسْمَعُ؟ الصَّانِعُ الْعَيْنَ أَلاَ يُبْصِرُ؟" (مز ٩٤: ٨ - ٩). "لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ. وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذَلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا" (عب ٤: ١٢ - ١٣).

فالمسيح إذن ينير كل شيء[1]، ويرى كل شيء. لذلك قال بفم النبي: ''أَلَعَلِّي إِلَهٌ مِنْ قَرِيبٍ يَقُولُ الرَّبُّ وَلَسْتُ إِلَهاً مِنْ بَعِيدٍ. إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ يَقُولُ الرَّبُّ؟'' (إر ٢٣: ٢٣ - ٢٤). إذن لا شيء يستطيع أن يهرب من الكلمة الذي يعرف كل شيء. ألا تعتقد أنني أفكر بطريقةٍ صحيحة؟

بلاديوس: صحيح.

كيرلس: وحين رأى النبي أن المنارة لها فروع زيتون، ولم يكن ذلك شيئاً معتاداً، سأل عنها: ''مَا هَاتَانِ الزَّيْتُونَتَانِ عَنْ يَمِينِ الْمَنَارَةِ وَعَنْ يَسَارِهَا؟ وَسَأَلْتُهُ ثَانِيَةً: مَا فَرْعَا الزَّيْتُونِ اللَّذَانِ بِجَانِبِ الأَنَابِيبِ مِنْ ذَهَبٍ الْمُفْرِغَانِ مِنْ أَنْفُسِهِمَا الذَّهَبِيَّ؟ فَأَجَابَنِي: أَمَا تَعْلَمُ مَا هَاتَانِ؟ فَقُلْتُ: لاَ يَا سَيِّدِي. فَقَالَ: هَاتَانِ هُمَا ابْنَا الزَّيْتِ الْوَاقِفَانِ عِنْدَ سَيِّدِ الأَرْضِ كُلِّهَا'' (زك ٤: ١١ - ١٤).

بلاديوس: إذن، ما الضرورة التي ألجئت النبي الطوباوي لأن يسأل مرةً أخرى، عندما يقول: ''وأجبت ثانيةً لأقول له''؟

كيرلس: ألم أقل يا بلاديوس إنه برهانٌ للحكمة، إذ يجب على مَن يريدون أن يتصرفوا دائماً باستقامة، أن يسألوا عن معلومات دقيقة وصحيحة لهذه الأشياء الهامة؟

بلاديوس: بالتأكيد كُنت تقول هذا؟

ابْنَا الزَّيْتِ الْوَاقِفَانِ عِنْدَ سَيِّدِ الأَرْضِ كُلِّهَا

كيرلس: إذن، بالرغم من أن النبي رأى فروع الزيتون وهي مملوءة بالأوراق الجديدة

١ـ يلفت القديس كيرلس النظر إلى أن نستفيد من أن المسيح هو النور الذي ينير لكل إنسان وألّا نجعل الظلمة تسود علينا مثلما فعل اليهود وذلك أثناء شرح نص: (يو ١٢: ٣٥): ''فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «النُّورُ مَعَكُمْ زَمَاناً قَلِيلاً بَعْدُ، فَسِيرُوا مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ لِئَلاَّ يُدْرِكَكُمُ الظَّلاَمُ. وَالَّذِي يَسِيرُ فِي الظَّلاَمِ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ''، إذ يقول: ''المسيح لا يكشف بوضوح لليهود السرَّ العميق لكلامه، لأنهم لا يفهمون ولا يؤمنون. ولكنه يسرع في الحال لكي ينطق بكلام آخر لكي يشرح لهم ما ينفعهم وفي نفس الوقت أيضاً لكي يريهم السبب في عدم فهمهم كلمات الكتب المقدسة، وإنهم إن لم يؤمنوا بذاك الذي هو النور، فإن ظلمة الجهل سوف تسود عليهم تماماً، وسوف يخسرون فوائد مجيء النور. لأنهم بقدر ما تكون توقعاتهم مستمدة من الكتاب، يكون تطلعهم لمجيء المسيا كنور. ولكن حينما جاء، فإن كل آمالهم سارت نحو الاتجاه المضاد؛ لأن الظلام ساد عليهم بسبب عدم إيمانهم. لذلك (فهو يقول)، أرجعوا بسرعة، ما دام ممكناً لكم أن تربحوا ولو نصيباً قليلاً من بهاء ''النور الإلهي''؛ لكي لا يستولى عليكم ظلام الخطيَّة. وبالصواب يقول إنه بعد النور يأتي الظلام. لأن الظلام يتعقب بشدة مسار النور وهو في طريقه للغروب. وهو قد تحدث عن ''النور''، مستخدماً أداة التعريف، مشيراً بذلك إلى نفسه، لأنه هو وحده ''النور'' بالحقيقة'' شرح إنجيل يوحنا، المجلد الثاني، ص ٨٢.

والناعمة، فقد سأل عن الزيتون، وليس عن فروع الزيتون. ولكن الملاك صَمَتَ منتظراً السؤال الأكثر أهميةً وحقاً. ولأن الفضول استولى على النبي، فتكلم عن فرعين من الزيتون وترجَّى أن يعرف إلى أي شيء يرمزان، عرف مباشرةً بإجابة الملاك: "هَاتَانِ هُمَا ابْنَا الزَّيْتِ الْوَاقِفَانِ عِنْدَ سَيِّدِ الأَرْضِ كُلِّهَا"، إنهما يتابعان شعب إسرائيل وشعب الوثنيين الذين -يقول عنهما- واقفين أمام سيد الأرض كلها، شارحاً بوضوح وبطريقة نقية أن الفن المرسوم على المنارة والذي به فرعا الزيتون يميناً ويساراً، هو مثالٌ للمسيح. وإنه بوضعهما الدائري هذا ينسكب الزيت فيهما، وهذا الزيت يشير إلى الروح القدس، وهو الذي يروي عقول المؤمنين وفق المكتوب: "مَسَحْتَ بِالدُّهْنِ رَأْسِي" (مز ٢٣: ٥).

بلاديوس: ولماذا لم يقل زيتون، بل فضَّل أن يدعوها فروع الزيتون؟

كيرلس: لأنه -يا عزيزي- كما نقتلع من الزيتونة النبتات الصغيرة والفروع الجافة، هكذا كل الذين يؤمنون، يُعاد تطعيمهم بالإيمان في التقوى، فالبعض آتون من مجمع اليهود، والآخرون آتون من الأمم. لأنه ليس كل الإسرائيليين آمنوا، ولا بالتأكيد أتى إلى الإيمان كل جمع الأمم. إذن، فروع الزيتون هي كل الذين اقتطعوا من جمع اليهود كما من شجرة، وأيضا من الوثنيين، وصاروا داخل النور الإلهي، وينالون الآن -بغنىً- فيض الروح القدس الذي أُعطى لهم. هذا ما أعلن عنه "فَرْعَا الزَّيْتُونِ اللَّذَانِ بِجَانِبِ الأَنَابِيبِ مِنْ ذَهَبٍ الْمُفْرِغَانِ مِنْ أَنْفُسِهِمَا الذَّهَبِيَّ؟" (زك ٤: ١٢).

لقد تذكَّر هذه الفروع -مرةً- المرنم الطوباوي تجاه مخلص الجميع المسيح، قائلاً عن العروس التي اتَّحد بها، أي الكنيسة وأبنائها اللذين هم ثمار الإيمان: "امْرَأَتُكَ مِثْلُ كَرْمَةٍ مُثْمِرَةٍ فِي جَوَانِبِ بَيْتِكَ. بَنُوكَ مِثْلُ غُرُوسِ الزَّيْتُونِ حَوْلَ مَائِدَتِكَ" (مز ١٢٨: ٣). ونحن نحيا مشتركين في الروح، آخذين الحياة من مائدة المسيح المقدسة، معلنين إيماننا بالمسيح.

بلاديوس: نعم، إنك تتحدث بالصواب. لأنه يقول: "أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَداً" (يو ٦: ٣٥).

المذبح النحاس

كيرلس: دعنا الآن نحصر تفكيرنا في هذه الأمور السابقة المتعلقة بالمنارة وكل ما نراه فيها.

حسنا، فلنتحدث الآن عن المذبح النحاس، الذي هو أساسيٌّ في عبادة الناموس. لأنه مكتوب: "وَتَصْنَعُ الْمَذْبَحَ مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ طُولُهُ خَمْسُ أَذْرُعٍ وَعَرْضُهُ خَمْسُ أَذْرُعٍ. مُرَبَّعاً يَكُونُ الْمَذْبَحُ. وَارْتِفَاعُهُ ثَلاَثُ أَذْرُعٍ. وَتَصْنَعُ قُرُونَهُ عَلَى زَوَايَاهُ الأَرْبَعِ. مِنْهُ تَكُونُ قُرُونُهُ. وَتُغَشِّيهِ بِنُحَاسٍ. وَتَصْنَعُ قُدُورَهُ لِرَفْعِ رَمَادِهِ وَرُفُوشَهُ وَمَرَاكِنَهُ وَمَنَاشِلَهُ وَمَجَامِرَهُ. جَمِيعَ آنِيَتِهِ تَصْنَعُهَا مِنْ نُحَاسٍ. وَتَصْنَعُ لَهُ شُبَّاكَةً صَنْعَةَ الشَّبَكَةِ مِنْ نُحَاسٍ. وَتَصْنَعُ عَلَى الشَّبَكَةِ أَرْبَعَ حَلَقَاتٍ مِنْ نُحَاسٍ عَلَى أَرْبَعَةِ أَطْرَافِهِ" (خر ٢٧: ١ – ٤). إذن فطول المذبح وعرضه خمسة أذرع. وهو ما يعني أن هناك احتياج لقياس ومكان متسع. لأن فوقه تُقطَّع وتُقدَّم قطعٌ من العجول ومحرقةٌ من الخراف والثيران التي سوف تقدم إلى الله. لذلك وُجدت فوقه شبكة من النحاس وقدور ومجامر، وجميع هذه الآنية من النحاس، حتى يستطيعوا أن يقدموا الذبائح وفقاً للناموس، ولا يستهينوا بالنار الآكلة. فلنُضِف أيضاً التاج والقرون إلى جمال التصنيع. لأنه لا شيء يكون بدون فائدة عند الله كُلي الحكمة. والآن دعنا نستعيد حديثنا ثانية عن تلك الأوصاف، على أن يكون حديثُنا بدقةٍ شديدة عن كل واحد منها.

لقد أمر أن يصير المذبح متمشيا ومناسباً للذبائح بحسب الناموس، مع ملاحظة أنه لا شيء هنا مصنوعٌ من الذهب كما نرى في التابوت، أو في المنارة، أو في المائدة وما حولها.

بلاديوس: وما معنى هذا؟

كيرلس: ألم نقل يا بلاديوس، إن الذهب يُظهر العظمة بامتياز أمام الكل، وأقصد هنا العظمة والبهاء الذهني، أي البهاء الفائق للطبيعة الإلهية؟

بلاديوس: نعم هذا ما قُلناه.

كيرلس: انتبه إذن، لم يُصنع مذبح العبادة الناموسية من الذهب، وهذا رمزٌ وضَعَه لنا الله، وهو رمزٌ واضحٌ جداً، وهذا يعني أن الناموس لا يعطي الروح القدس، وإن قوة العبادة الرمزية لم تُكرَّم بهذه النعمة. لأن روح العبودية

سادت على الإسرائيليين، بينما العطية (عطية الروح) مُنحت لنا بالمسيح بعد قيامته من بين الأموات. لأنه مكتوبٌ: "نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ: اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ" (يو ٢٠: ٢٢). لذلك، فإن بولس يتوجّه إلى الذين آمنوا قائلاً: "لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضاً لِلْخَوْفِ بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: «يَا أَبَا الآبُ!»" (رو ٨: ١٥).

وأمَّا أن العبادة الناموسية، لم تكن فيها عطية الروح القدس، لكن أُعطي هذا بالحري لأولئك الذين تبرروا بالإيمان، فقد أخبرنا عنها يوحنا الحكيم قائلاً: "لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ" (يو ٧: ٣٩)، أي لأن المسيح لم يكن قد قام بعد. ولكن بعد ذلك تزيَّنت الطبيعة البشرية بالروح وبشركتها مع المسيح. لذلك أمر أن يُصنع المذبحُ بدون ذهب. ولكن علينا أن نسرع إلى بيان السبب الذي من أجله صار المذبح نحاساً، وستكون هناك استفادة من ذلك لمحبي التعلم؛ لأن البحث يمكنه أن يُخرِج إلى النور شيئا مفيداً كما يقول الحكيم: "في كل تعب منفعة" (أم ١٤: ٢٣).

بلاديوس: ماذا عندك أيضاً لتقوله عن هذا الأمر؟

كيرلس: اسمع إذن. يقول الكتاب المقدس إنه بقرار سماوي رُسِم هارون كاهناً ورئيساً. ولكن قورح وداثان والجمع الشرس الذي تبعهما، أهانوا –بغباءٍ– القرار السماوي وتمردوا ضد النواميس الإلهية. فقد أحضروا مجامر دون أن يدعوهم أحدٌ، بل اندفعوا ناحية هذا العمل سارقين الكرامة التي لم تُعط لهم. وبغباءٍ شديد ووقاحة، ثاروا على الكاهن الذي أُختير رئيساً وأُفرز من بين كل الآخرين (راجع عد ١٦: ١).

لا شك أن هذه الأمور تعتبر ظلالاً للغباء الذي سيُظهِره اليهود ضد المسيح. لأن هذا هو رئيس كهنتنا الذي رُسم في هذه الرتبة بقرار من الآب. وإذا كان أولئك (قورح وداثان) قد نالوا جزاءهما من أجل وقاحتهما، فإن اليهود أيضاً –الذين صاروا مذنبين– من بعد هؤلاء، سوف ينالون جزائهم كمجرمين. فلقد قال الله لموسى النبي: "«قُل لأَلِعَازَارَ بْنِ هَارُونَ الكَاهِنِ أَنْ يَرْفَعَ المجَامِرَ مِنَ الحَرِيقِ وَاذْرِ النَّارَ هُنَاكَ فَإِنَّهُنَّ قَدْ تَقَدَّسْنَ. مَجَامِرَ هَؤُلاءِ المخْطِئِينَ



ضِدَّ نُفُوسِهِمْ فَلْيَعْمَلُوهَا صَفَائِحَ مَطْرُوقَةً غِشَاءً لِلمَذْبَحِ لأَنَّهُمْ قَدْ قَدَّمُوهَا أَمَامَ الرَّبِّ فَتَقَدَّسَتْ. فَتَكُونُ عَلامَةً لِبَنِي إِسْرَائِيل» " (عد ١٦: ٣٧، ٣٨).

وكتب أيضاً في سفر الخروج عن بصلئيل بن أوري الذي كان من سبط دان (خر ٣١: ١)، وهو الذي أشرف على كل الأعمال الفنية لخيمة الاجتماع وما فيها.

بلاديوس: ماذا يعني هذا؟

كيرلس: سوف يفيدنا كثيراً أن نعرف أن التابوت صُنع كمثالٍ للمسيح، وبالمثل أيضاً الأشياء الأخرى، أقصد المنارة والغطاء والمائدة الذهبية. فطالما قدَّم كل واحد من أفراد الشعب وخصص ما تمتلكه يداه، فهم مقبولون عند الله الآب، وبالمثل الذين يثمرون الأعمال الصالحة عند المسيح ويقدمون العطايا الروحية هذه التي كانت تشير إليها تقدمات الإسرائيليين.

إن مذبح العبادة الناموسية كان مذبح الغضب والتمرد -وأقول- بل والعصيان الذي أُعلن ضد الكاهن العظيم. لقد كانت عملية تصنيع هذا المذبح تذكيراً وإعلاناً مسبقاً يُفهم بطريقة سرية وتدبيرية. هل صار واضحاً لك هذا الرمز؟

مذبح البخور

إن هارون هو مثالٌ للمسيح. وقد قام اليهود ضد مجد المسيح، وهذا ما أشار إليه تمرد اليهود ضد هارون والمذبح الناموسي. ولأن عبادة الظلال توقفت، أصبحنا -بالإيمان بالمسيح- نرسل إلى الآب طِيب الرائحة العقلي. وهذا أيضاً قد أشار إليه بظلالٍ قائلاً: "وَتَصْنَعُ مَذْبَحاً لإِيقَادِ الْبَخُورِ. مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ تَصْنَعُهُ. طُولُهُ ذِرَاعٌ وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ. مُرَبَّعاً يَكُونُ. وَارْتِفَاعُهُ ذِرَاعَانِ. مِنْهُ تَكُونُ قُرُونُهُ. وَتُغَشِّيهِ بِذَهَبٍ نَقِيٍّ: سَطْحَهُ وَحِيطَانَهُ حَوَالَيْهِ وَقُرُونَهُ. وَتَصْنَعُ لَهُ إِكْلِيلاً مِنْ ذَهَبٍ حَوَالَيْهِ" (خر ٣٠: ١ – ٣). وعندما أضاف إلى هذا عصوين وحلقتين لتسند المذبح، قال: "وَتَجْعَلُهُ قُدَّامَ الْحِجَابِ الَّذِي أَمَامَ تَابُوتِ الشَّهَادَةِ. قُدَّامَ الْغِطَاءِ الَّذِي عَلَى الشَّهَادَةِ حَيْثُ أَجْتَمِعُ بِكَ. فَيُوقِدُ عَلَيْهِ هَارُونُ بَخُوراً عَطِراً كُلَّ صَبَاحٍ. حِينَ يُصْلِحُ السُّرُجَ يُوقِدُهُ. وَحِينَ يُصْعِدُ هَارُونُ السُّرُجَ فِي الْعَشِيَّةِ يُوقِدُهُ.



بَخُوراً دَائِماً أَمَامَ الرَّبِّ فِي أَجْيَالِكُمْ. لاَ تُصْعِدُوا عَلَيْهِ بَخُوراً غَرِيباً وَلاَ مُحْرَقَةً أَوْ تَقْدِمَةً وَلاَ تَسْكُبُوا عَلَيْهِ سَكِيباً. وَيَصْنَعُ هَارُونُ كَفَّارَةً عَلَى قُرُونِهِ مَرَّةً فِي السَّنَةِ. مِنْ دَمِ ذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ الَّتِي لِلْكَفَّارَةِ مَرَّةً فِي السَّنَةِ يَصْنَعُ كَفَّارَةً عَلَيْهِ فِي أَجْيَالِكُمْ. قُدْسُ أَقْدَاسٍ هُوَ لِلرَّبِّ»" (خر ٣٠: ٦ - ١٠).

بلاديوس: إذن فهذا هو مثالٌ للمسيح؟

كيرلس: بالتأكيد يا بلاديوس. إنه سرٌّ حقيقي بالتأكيد، وسوف يَظهر هذا السر الكريم والعميق، وبسهولة جدا، للذين يريدون أن يفحصوا هذه المسائل بالتفصيل.

لقد صار المذبح من الخشب الذي لا يعتريه الفساد وكان كله مُغَشىً بالذهب. لأن جسد المسيح غير فاسد ويحوي في داخله غنى الطبيعة الإلهية، "الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا" (يو ١: ١٤). إذن المسيح هو بدايتنا وأصل جنسنا[١]، جنسنا هذا الذي أُعيدَ خلقه لعدم الفساد. وبالاتحاد بالله، وعدم الفساد يمكن أن يُفهم باعتباره استثناء من جهة الله.

وقرون المذبح هي -بطريقةٍ ما- أيدٍ مفرودةٍ، ترمز مسبقاً لشكل الصليب المكرم. وإذا قال أحدٌ إن القرون هي أربعة، فلن يعطل ذلك محب التعلم عن أن يفكر باستقامة. لأن المذبح مربعٌ ومتساوِ الأوجه، ومنظر القرون واحد من كل الجهات. وما هو السبب في ذلك؟ إن المسيح المصلوب يُعترف به في كل مكان، وهذا هو فخرٌ مجيدٌ للذين يؤمنون به[٢]. فحسناً يقول بولس العظيم: "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ

١- وهذا ما أكده القديس كيرلس حين تحدث عن يعقوب البطريرك الذي يشير إلى عمانوئيل، إذ يقول: "إن شخص يعقوب يشير روحياً أحياناً إلى الرسل القديسين، إذ صار بداية لأولئك الذين تقدَّسوا بالروح وتبرروا بالإيمان، وأحياناً يشير إلى المسيح كبداية للبشرية التي تجددت ونالت عدم الفساد، أي كبكر بين إخوة كثيرين (انظر رو ٨: ٢٨)، وكآدم ثانٍ وجذر ثانٍ للجنس البشري. إذاً رؤيتنا الروحية يجب أن تتجه إليه لأن الابتعاد عن هذا المسار يجعل تفسيراتنا الروحيةَ عقيمة وبلا نعمة". جيلافيرا، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم، الكتاب الشهري، عدد مايو ٢٠٠٦.

٢- والقديس يوحنا ذهبى الفم أيضاً فى عظته عن "الصليب" يدعونا بأن نفتخر بالصليب، إذ يقول: "إذا عرفت بأي طريقة انتصر المسيح، سوف يصير إعجابك أعظم. فبنفس الأسلحة التي غلب الشيطان بها الإنسان، انتصر المسيح عليه. واسمع كيف؟ عذراء وخشبة وموت هي رموز هزيمتنا. العذراء كانت حواء، لأنها لم تكن قد عرفت رجلها. الخشبة كانت الشجرة (التي أوصى الله آدم بألاّ يأكل منها) والموت كان عقابٍ آدم. لكن العذراء والخشبة والموت التى كانت رموزاً لهزيمتنا، صارت رموزاً للانتصار. لأن لدينا مريم العذراء بدلاً من حواء، ولدينا خشبة الصليب بدلاً من شجرة معرفة الخير والشر، ولدينا موت المسيح بدلا من موت آدم. هل رأيت، فالشيطان هُزم بنفس الأسلحة التي انتصر بها قديماً؟!" انظر كتاب "الصليب" عظتان للقديس يوحنا ذهبى الفم، ترجمة د. جوزيف موريس فلتس، ود. جورج عوض إبراهيم، المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، ابريل ٢٠٠٤، العظة الثانية، ص ٢٨ و ٢٩.

الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ" (غلا ٦: ١٤).

ولقد أضافوا التاج المشغول على هذه المشغولات -والذي يمثل زينةً للمذبح- تأكيداً على أن عمانوئيل هو بالحقيقة "أبرع جمالا من بني البشر" (مز ٤٥: ٣).

وقد أضافوا أيضاً كل الأمور الأخرى الضرورية مثل العصوين وبعض الأشياء الأخرى؛ لأن المذبح كان يجب أن يُنقل في حالات التنقل أينما ذهبوا. وهذا ما فعله التلاميذ ناقلين المسيح بكرازتهم بلياقة ونظام، كخدام الله ومدبري أسرار المسيح (انظر ١ كو ٤: ١). لأنه يقول: "وَتَجْعَلُهُ قُدَّامَ الْحِجَابِ الَّذِي أَمَامَ تَابُوتِ الشَّهَادَةِ. قُدَّامَ الْغِطَاءِ الَّذِي عَلَى الشَّهَادَةِ حَيْثُ أَجْتَمِعُ بِكَ" (خر ٣٠: ٦).

بلاديوس: لكننا نتساءل، ما هي ضرورة تعيين أماكن محددة لهذه الأشياء؟

طبوغرافية الخيمة

كيرلس: لا شك أن السبب عميقٌ جداً وغامضٌ جداً، لكن سوف أوضِّح رأيي بقدر الإمكان، وأنا أثق في الله الذي يعطي المعرفة للعميان.

يقول، يجب أن يُصنع التابوت من خشب السنط الذي لا يعتريه فساد، ومن الذهب الخالص، وداخله كان الناموس، أي الكلمة الإلهية، والشهادة. هذا كان بالتأكيد مثالاً للكلمة المولود من الله والذي سكن بيننا آخذاً شبه الجسد كما في الكتب المقدسة. كما يجب أن يكون هناك ستارٌ يمتد على أربعة قوائم، قال عنه إنه يجب أن يهتز فوق التابوت، واسم الستار "الغطاء" (الكفَّارة)، وهذا يعني المسيح، لأنه مكتوب: "الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ لإِظْهَارِ بِرِّهِ مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ" (رو ٣: ٢٥)، لأنه هكذا يدعوه بولس. وكان الكاروبان مرسومين بطريقةٍ دائرية على الغطاء، حتى ما يُظهر خدمة القوات السماوية لله (لأن الكلمة هو الله)، وبذلك أعلنوا -بطريقةٍ حسنةٍ جداً- حضورهم القريب جداً، وأنهم موجودون بجواره لكي يخدمونه. ثم قال الله لموسى: "وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ

بِكُلِّ مَا أُوصِيكَ بِهِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ" (خر ٢٥: ٢٢). لكن -كما قُلت- كان التابوت هو المسيح، الله اللوغوس في جسد غير فاسد، وكان التابوت -بالتأكيد- فوق الأرض، لكن وحيد الجنس نزل إلى حقارتنا ووضاعتنا. لأنه أخذ الشكل الذي يليق بالعبد ووضع ذاته (في ٢: ٧). هذا أيضاً هو الغطاء الموضوع عالياً، والقوات السماوية عون له.

ولكن الابن لم يُعرف بالنسبة لنا من طريقة تواضعه فقط، لكن أيضاً من كونه إلهاً وسيداً للكل[١]. لأنه بالرغم من أنه وضع ذاته بسبب شكله البشري الذي أخذه نازلا بحسب التدبير إلينا، لكن "رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ" (في ٢: ٩). ولذلك فإن وضع الغطاء عالياً ومرسوماً عليه الكاروبيم يميناً ويساراً يمكن أن يكون مثالاً. لأنه حيث تُعلن الخدمة التي تليق بالله، فهناك -فقط بالتأكيد- يوجد على أية حال مجد الإلوهية وعظمة المكانة التي تفوق الكلام. لأن رب الكل يقول: "وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبَيْنِ" (خر ٢٥: ٢٢)، آمراً بذلك ألا يُفتَّشُ بين المخلوقات عن الطبيعة التي لا تُوصف، إذ هي أسمى من هذه المخلوقات التي خُلِقَت من العدم. لأن الكلام عن طبيعة الله ومكانته يجب أن يكون لائقاً تماماً بالله، فهما يشكلان مجالاً أسمى وفوق كل مخلوق. وبالتالي، المكان الذي هو فوق الكاروبيم والموصوف بطريقة محسوسة في الخيمة المقدسة، يجعل الطبيعة الإلهية واضحة لنا كل الوضوح لنا نحن البشر.

وهكذا، أمر بأن يُوضع (التابوت) أمام مذبح الذهب، الذي صار نموذجاً للمسيح، وهو الذي يتحدث من فوق الكاروبيم، الأمر الذي يشير إلى أن المسيح سوف يقودنا أمام أعين الله الآب. ولأن الإنسان سبق وأن ابتعد

١- يشرح القديس يوحنا ذهبي الفم هذا الإخلاء وتلك العظمة التي هي للكلمة أثناء تفسير نص العبرانيين: "من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء" (عب ٢: ١٧)، إذ يقول: "من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء" (عب ٢: ١٧). ماذا يعني بعبارة "في كل شيء"؟ تعني أنه وُلِد، تغذي، ونما، وعانى بكل ما عاناه، وأخيراً مات. هذا هو معنى "كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء". إذاً فبعدما تكلّم كثيراً عن عظمته، وعن مجده السمائي، تكلّم عن تدبير الله. ولاحظ كيف يقدمه بهذا القدر الكبير من الحكمة والقوة وقد تخلى عن الكثير جداً، حتى يصير شبهنا، الأمر الذي يظهر إهتمامه الكبير، لأنه بعدما قال قبلاً "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم أشترك هو أيضاً فيهما"، وهنا يقول "كان ينبغي أن يشبه أخوته في كل شيء". كما لو كان يقول، إن ذاك الذي هو فائق العظمة، بهاء مجد الله، ورسم جوهره، ذاك الذي خلق العالم، الذي يجلس عن يمين الآب، هو نفسه أراد وحرص على أن يصير أخاً لنا، ولهذا ترك الملائكة، والقوات السمائية، ونزل إلينا، وأتى لكي يُمسِك بطبيعتنا" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ٩٧.



عن الله واصطدم به بسبب المخالفة والخطية الكثيرة، أحضره المسيحُ مرةً أخرى أمام الله كما فعل هو نفسه أولاً بذاته. لأن المسيح، كما قال بولس الرسول: "لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ الْحَقِيقِيَّةِ، بَلْ إِلَى السَّمَاءِ عَيْنِهَا، لِيَظْهَرَ الآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ لأَجْلِنَا" (عب ٩: ٢٤). فالذي هو دائماً مع أبيه، قيل عنه إنه سوف يظهر أمام أبيه مقدِّماً أمامه ما حصل للطبيعة البشرية من تغيير بحسب ما فعل هو لذاته أولاً، مبطلاً ذلك الابتعاد القديم[1]، "لأنه هو سلامنا" وفقاً الكتب المقدسة (عب ٢: ١٤).

بلاديوس: إذن يُستنتج من ذلك أن المذبح الذهبي هو أيضاً صورةٌ للمسيح.

كيرلس: ليس ذلك فقط، بل يمكننا أيضاً أن نفهمه هو نفسه كبخورٍ عَطِرٍ. لأن رئيس الكهنة نفسه يقول: "فَيُوقِدُ عَلَيْهِ هَارُونُ بَخُوراً عَطِراً كُلَّ صَبَاحٍ" (خر ٣٠: ٧). والبخورُ عَطِرٌ، أي مكونٌ من بخورٍ وعِطرٍ؛ لأن الله الكلمة صار جسداً، واتحد اللاهوت بالناسوت بطريقة سرية في شخص عمانوئيل. والبخورُ لم يكن على غلاظة (مادية) العبادة الناموسية، بل كان رقيقاً. لأنه يقول: "بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ. أُذُنَيَّ فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ. حِينَئِذٍ قُلْتُ: هَئَنَذَا جِئْتُ. بِدَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي. أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلَهِي سُرِرْتُ" (مز ٤٠: ٦ – ٨). وما هي إرادة الآب؟ هو نفسه (أي المسيح) يعلِّمنا إياها سرياً في الأناجيل قائلاً: "لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي. وَهَذِهِ مَشِيئَةُ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَانِي لاَ أُتْلِفُ مِنْهُ شَيْئاً بَلْ أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ. لأَنَّ هَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ»" (يو ٦: ٣٨ – ٤٠). أمَا وقد قدَّم المسيح ذاته لأجلنا تقدمةً ذكيةً حقاً، لذلك كان هو رئيسُ الكهنة.

هذا إذن هو رئيس الكهنة، هذا هو البخور العَطِرُ والرفيع. وسوف يؤكد ذلك بولس قائلاً: "وَلَكِنْ شُكْراً لِلَّهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ، وَيُظْهِرُ بِنَا رَائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ. لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ لِلَّهِ، فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ وَفِي الَّذِينَ يَهْلِكُونَ. لِهَؤُلاَءِ رَائِحَةُ مَوْتٍ لِمَوْتٍ، وَلأُولَئِكَ رَائِحَةُ

١- تعلمنا الكنيسة أن كل التدبير الخلاصي من الإخلاء مروراً بالصلب والقيامة والصعود والجلوس عن يمين الله هو لأجلنا ولأجل خلاصنا، وهو ما ورد نصاً في قانون الإيمان.



حَيَاةٍ لِحَيَاةٍ" (٢كو ٢: ١٤ - ١٦)، ولذلك قال أيضاً: "فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللهِ كَأَوْلاَدٍ أَحِبَّاءَ، وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضاً وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَاناً وَذَبِيحَةً لِلَّهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً" (أف ٥: ١ - ٢).

مواعيد رفع البخور

كما يحدد الناموس أيضاً بوضوح وقت رفع البخور، مشرِّعاً أن يصير كل شيء بنظام ولياقة. لأنه يقول: "كل صباح ومساء حين يصلح السُرُج يوقده" (خر ٣٠: ٧س). "المساء والصباح"، أي الاستمرارية بدون انقطاع، بينما "حين يصلح السُرُج" يقدمون بخوراً يشير بوضوح إلى أنه عندما ينير لنا النور الإلهي، عندئذ -بالضبط- نفيض بالغنى من رائحة المسيح الذكية، عندئذ نشعر بأن الخيرات الموجودة في داخل الخيمة، تشير إلى خيرات نوال المواهب الإلهية التي يمنحها المسيح للمستحقين.

وهكذا، مَن لم يوجد بعد في النور بواسطة الإيمان، يكون -على أية حال- غير مشاركٍ للرائحة العقلية الذكية، طالما لم يعرف بعد سر المسيح. لأنه يقول: "إن لم تؤمنوا فلا تفهموا" (إش ٧: ٩س). لأن الإيمان هو وسيلة مناسبة تقود إلى الفهم، وهو يفتح العقل إلى قبول النور الإلهي.

وعندما يصف عملية إيقاد البخور بكلمة "دائماً": "بخوراً دائماً أمام الرب" (خر ٣٠: ٨)، فهو يعني أنه لا توجد لحظة لا يفوح المسيح فيها برائحته الذكية في الخيمة المقدسة، أي في الكنيسة.

كفاية المسيح

ممنوعٌ تماماً أن يوجد فوقه، أي فوق مذبح المسيح (في العهد الجديد)، سكيبٌ أو تقدمة ذبيحة. لأن فرائض الناموس أُبطلت بالمسيح، والظلال وصلت إلى نهايتها. هذا ما يشير إليه عدم إصعاد محرقة أو تقدمةٍ أو سكيبٍ فوق مذبح البخور. وهو ما يؤكده النبي قائلاً: "انْقَطَعَتِ التَّقْدِمَةُ وَالسَّكِيبُ عَنْ بَيْتِ الرَّبِّ. نَاحَتِ الْكَهَنَةُ خُدَّامُ الرَّبِّ" (يؤ ١: ٩). أي أنه طالما ظهر السجود والعبادة بالروح والحق، صارت الظلال عديمة النفع، وعبادة

النماذج صارت بلا فائدة تماماً. لأن خليقةً جديدةً صارت بالمسيح[1].

ولذلك، فإن كل الذين يطلبون برّهم –بعد مجيء الحق– في الناموس، يفقدون النعمة. لأنه يقول: ''لا تصعِدوا عليه بخوراً غريباً'' (خر ٣٠: ٩).

وبالتالي، لا يمكننا أن نقبل بجانب المسيح آخر مطلقاً. لا يمكن أن نقول لآخر يا مُعلِّم. لأن واحداً فقط هو المعلم لنا، وواحداً فقط هو من ندعوه قائلين: ''اسْمُكَ دُهْنٌ مُهْرَاقٌ لِذَلِكَ أَحَبَّتْكَ الْعَذَارَى. اُجْذُبْنِي وَرَاءَكَ فَنَجْرِيَ. أَدْخَلَنِي الْمَلِكُ إِلَى حِجَالِهِ. نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِكَ. نَذْكُرُ حُبَّكَ أَكْثَرَ مِنَ الْخَمْرِ. بِالْحَقِّ يُحِبُّونَكَ'' (نش ١: ٣ – ٤).

ربما لا يعني بكل هذا قوله: ''لاَ تُصْعِدُوا عَلَيْهِ بَخُوراً غَرِيباً'' (خر ٣٠: ٩). ولكن داخل الكنيسة، رائحةُ المسيح الذكية كافيةٌ لأولئك الذين يتصرفون باستقامة ولا يشتهون أية رائحةٍ غريبة. وبالعكس من ذلك، فإن اليهود التعساء الذين أساءوا بغبائهم إلى البخور العَطِر، أي المسيح، ظلوا غير مشاركين للرائحة المقدسة والإلهية، بل يقبلون واحداً آخراً، ابن الهلاك ''الْمُقَاوِمُ وَالْمُرْتَفِعُ عَلَى كُلِّ مَا يُدْعَى إِلَهاً أَوْ مَعْبُوداً، حَتَّى إِنَّهُ يَجْلِسُ فِي هَيْكَلِ اللهِ كَإِلَهٍ مُظْهِراً نَفْسَهُ أَنَّهُ إِلَهٌ'' (٢ تس ٢: ٤)، الذي يلوث الخيمة الإلهية؛ لأنه دخان غريب ورائحة شيطانية. لأنه مكتوب: ''الَّذِي مَجِيئُهُ بِعَمَلِ الشَّيْطَانِ'' (٢ تس ٢: ٩).

بلاديوس: أنا أدرك ما تقوله، لأن حديثك واضح جداً.

كيرلس: لقد أمر هارون أن تصير الكفارة فوق مذبح البخور مرةً واحدةً في السنة ماسحاً بدم الكفارة قرون المذبح؛ لأنه يقول: ''قُدْسُ أَقْدَاسٍ هُوَ لِلرَّبِّ'' (خر ٣٠: ١٠). وهذا ما سوف يوضِّحه بولس العظيم قائلاً: ''وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ، فَبِالْمَسْكَنِ الأَعْظَمِ وَالأَكْمَلِ، غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْخَلِيقَةِ. وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيّاً'' (عب ٩: ١١ – ١٢) لأنه كما قال أيضاً هو نفسه: ''عَالِمِينَ أَنَّ الْمَسِيحَ بَعْدَمَا أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يَمُوتُ

١ـ في تفسير القديس كيرلس لإشعياء ٢٦: ١٩ يؤكد على أن المسيح القائم من بين الأموات هو أصل الخليقة الجديدة، إذ يقول: ''إن ربنا يسوع المسيح لمَّا ذاق الموت من أجل الجميع، بل وقام في اليوم الثالث؛ قد صار بذلك ''باكورة للراقدين''، وأصلاً للذين يُخلقون من جديد بواسطته للحياة، كبداية لطبيعة بشرية (جديدة) قد خلعت عنها الفساد'' PG 70, 588; 75, 1213.

أَيْضاً. لاَ يَسُودُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدُ. لأَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي مَاتَهُ قَدْ مَاتَهُ لِلْخَطِيَّةِ مَرَّةً وَاحِدَةً وَالْحَيَاةُ الَّتِي يَحْيَاهَا فَيَحْيَاهَا لِلَّهِ" (رو ٦: ٩ – ١٠). حسناً. إذن، كان هارون يدخل مرةً واحدةً في السنة إلى قدس الأقداس بدم الكفارة. ويجب أن نلاحظ أيضا أن المسيح رشَّ دَمَ صليبه الذي هو صليب الخلاص والحياة للجميع. لأن القرون هي مثال الصليب، والتي كانت تمتد هنا وهناك مثل الأيدي ودخول هارون مرةً واحدةً في السنة يشير إلى موت المسيح -الذي هو قدوس القديسين كإلهٍ بطبيعته- مرةً واحدةً[1]. لأن يوحنا كان صادقاً بالتأكيد حين قال: "وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعاً أَخَذْنَا" (يو ١:١٦). ذلك؛ لأن كل الخليقة غير المنظورة والمنظورة تشترك في المسيح. لأن الملائكة أيضاً ورؤساء الملائكة وكل المخلوقات الروحية الفائقة عن الملائكة -مثل الساروفيم أنفسهم- ليس لها قداسةً من آخرٍ، سوى المسيح فقط بنعمة الروح القدس.

إذن، هذا هو المذبح، هذا هو البخور ورئيس الكهنة، أيضاً هذا هو دم تطهير الخطايا.

الدم والماء، وسائل التطهير

بلاديوس: أوافقك؛ إذ تتحدث بالصواب. لكن ماذا يعني بالضبط دم تطهير الخطايا، لا أستطيع أن أفهم ذلك بوضوح.

كيرلس: لقد صوَّر الناموس التطهير بواسطة دم المسيح الذبيح القدوس، الذي بواسطته قد خلُصنا هاربين من الدنس المسكوب داخلنا بسبب الخطية، صوَّر هذا التطهير قائلاً الآتي في سفر اللاويين: "وَإِنْ سَهَا كُلُّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ وَأُخْفِيَ أَمْرٌ عَنْ أَعْيُنِ الْمَجْمَعِ وَعَمِلُوا وَاحِدَةً مِنْ جَمِيعِ مَنَاهِي الرَّبِّ الَّتِي لاَ يَنْبَغِي عَمَلُهَا وَأَثِمُوا. ثُمَّ عُرِفَتِ الْخَطِيَّةُ الَّتِي أَخْطَأُوا بِهَا يُقَرِّبُ الْمَجْمَعُ ثَوْراً ابْنَ بَقَرٍ ذَبِيحَةَ

١- أيضاً أثناء شرحه لإنجيل يوحنا يؤكد القديس كيرلس على موت المسيح مرة واحدة، إذ يقول: "فنحن إن فحصنا سر عمله كما ينبغي، فسنجد إنه لم يمت لنفسه، ولا لأجل نفسه خاصة، بل إنه من أجل البشرية تألم، وأكمل الآلام والقيامة التي تبعتها. لأنه مات حسب الجسد، وبذلك قدَّم حياته كمقابل لأجل حياة الكل، وبتقديمه إرضاء كاملاً لأجل الجميع، فقد حقق في نفسه إبطال فعل اللعنة القديمة إبطالاً تاماً. ولأنه قام من بين الأموات إلى حياة لا تفنى ولا تنتهي، فهو يقيم - في نفسه - كل الطبيعة. لأنه إذ قد مات مرَّة عن الجميع، فإنه لا يعود يموت فيما بعد، كما هو مكتوب: "عَالِمِينَ أَنَّ الْمَسِيحَ بَعْدَمَا أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يَمُوتُ أَيْضاً. لاَ يَسُودُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدُ. لأَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي مَاتَهُ قَدْ مَاتَهُ لِلْخَطِيَّةِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَالْحَيَاةُ الَّتِي يَحْيَاهَا فَيَحْيَاهَا للهِ" (رو ٦:٩، ١٠)" شرح يوحنا، ١٢، ص ١٢١.

خَطِيَّةٍ. يَأْتُونَ بِهِ إِلَى قُدَّامِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. وَيَضَعُ شُيُوخُ الْجَمَاعَةِ أَيْدِيَهُمْ عَلَى رَأْسِ الثَّوْرِ أَمَامَ الرَّبِّ وَيَذْبَحُوا الثَّوْرَ أَمَامَ الرَّبِّ. وَيُدْخِلُ الْكَاهِنُ الْمَمْسُوحُ مِنْ دَمِ الثَّوْرِ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. وَيَغْمِسُ الْكَاهِنُ إِصْبِعَهُ فِي الدَّمِ وَيَنْضِحُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَمَامَ الرَّبِّ لَدَى الْحِجَابِ. وَيَجْعَلُ مِنَ الدَّمِ عَلَى قُرُونِ الْمَذْبَحِ الَّذِي أَمَامَ الرَّبِّ فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ" (لا ٤: ١٣ ـ ١٨).

سوف نتحدث عن هذه الأمور بالتفصيل في الوقت المناسب. لكن لاحظ أن عمانوئيل ذُبح أيضاً لأجلنا مثلما ذُبِحَ الثور، خلَّصنا من العقاب داخلاً إلى الخيمة العظيمة والكاملة، ليس بدم تيوس وعجول، لكن بدم نفسه حيث ذاق الموت مرةً واحدة، لأنه فوق خشبة الصليب من فتحة جنبه خرج دم وماء. وكما قلنا سابقاً القرون هي مثال للصليب.

بلاديوس: تتحدث جيداً.

كيرلس: ولكن الناموس يأمر -بطريقةٍ رمزيةٍ- أن يصير التطهير ليس فقط بالدم، لكن بالماء المقدس. لأن هذه الطريقة هي الأكمل وفق سر المسيح.

بلاديوس: كيف أظهر لنا ذلك وبأية طريقة؟

كيرلس: مكتوب الآتي: "وَتَصْنَعُ مِرْحَضَةً مِنْ نُحَاسٍ وَقَاعِدَتَهَا مِنْ نُحَاسٍ لِلاِغْتِسَالِ. وَتَجْعَلُهَا بَيْنَ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ وَالْمَذْبَحِ وَتَجْعَلُ فِيهَا مَاءً. فَيَغْسِلُ هَارُونُ وَبَنُوهُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْهَا. عِنْدَ دُخُولِهِمْ إِلَى خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ يَغْسِلُونَ بِمَاءٍ لِئَلاَّ يَمُوتُوا. أَوْ عِنْدَ اقْتِرَابِهِمْ إِلَى الْمَذْبَحِ لِلْخِدْمَةِ لِيُوقِدُوا وَقُوداً لِلرَّبِّ. يَغْسِلُونَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ لِئَلاَّ يَمُوتُوا. وَيَكُونُ لَهُمْ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً لَهُ وَلِنَسْلِهِ فِي أَجْيَالِهِمْ»" (خر ٣٠: ١٨ - ٢١).

واضحٌ جداً أن هذه الأقوال تشير إلى نعمة المعمودية. فنحن نعتمد ليس لإزالة الأوساخ الجسدية، لكن لنتخلص من أدناس الذهن والقلب، ولكي نغتسل من أوساخ خطايانا بنعمة ومحبة ذاك الذي دعانا إلى الخلاص. لأننا قد تبررنا ليس بأعمال الناموس -وفق الكتب المقدسة- لكن بالإيمان بيسوع المسيح.

ولعلك تلاحظ كيف أن هارون بالرغم من أنه كان مقدَّساً وفقاً للناموس، وكذلك أيضاً الذين كانوا معينين ليخدموا معه، إلَّا أنه كان يجب عليهم أن يغسلوا أيديهم وأرجلهم بالماء، وهكذا يتممون أعمالهم المقدسة، ويدخلون



إلى قدس الأقداس وهم أحرارٌ من المخاوف، معلناً الناموس بذلك إن مَن يقف أمام الله -إن لم يغتسل بالماء- ما يزال دنساً حتى ولو كان معتبَراً أنه مقدسٌ وفقاً للناموس. والطاهر لا يحتاج إلى تطهير، بل بالحري غير الطاهر والمملوء بالأدناس هو الذي يحتاج للتطهير، والمسيح قال مثل هذا الأمر: "اَلَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلاَّ إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ" (يو ١٣: ١٠). لكن بولس الحكيم يقول: "لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا" (عب ١٠: ٤). إذن، لا يمكن أن يكون الناموس كاملاً من جهة التقديس، إن لم ينل المتعطشون للاتحاد بالله نعمة المعمودية الخلاصية[1]، لذلك فإن يوحنا العظيم (أي المعمدان) بالرغم من أنه تزيَّن بمفاخر عظيمة وعرف جيداً السلوك في طريق الفضيلة، حتى أنه وصل إلى قمتها، إلَّا أنه توسل ليعتمد من المخلص قائلاً: "أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ" (مت ٣: ١٤).

بلاديوس: هذا حقيقي.

كيرلس: الآن، تشير الأيدي والأرجل المغسولة إلى الطهارة، كما تعلن أصالة العمل والمسيرة تجاه هذه الأمور كلٌ على حدة. وعندما نفعل هذا، يُسمح لنا أن ندخل إلى الخيمة الداخلية ونقدم إلى الله ذبائح روحية، ونقدم -كنوع من البخور- رائحةَ حياتنا الإنجيلية[2]. وهذا كله يعطي بالتأكيد إعلاناً مفيداً عن أن الذين يريدون أن يدخلوا إلى قدس الأقداس ويقوموا بالأعمال المقدسة يجب أن يغتسلوا حتى لا يموتوا. فإنه لأَمرٌ خطير للغاية أن يتقدم المرء أمام الله دون تطهير. لذلك ينصحنا بولس الحكيم، إذا أردنا أن ننال

١- يتم تفعيل نعمة المعمودية بالروح القدس كما يقول القديس غريغوريوس النزينزي: "من الروح القدس قد نلنا الميلاد الجديد (يو ٣:٥)، وبالميلاد الجديد نلنا الخليقة الجديدة، وبالخليقة الجديدة نلنا معرفة فائقة لسمو الذي خلقنا من جديد ... الروح القدس هو الروح الخالق (مز ١٠٤:٣٠)، بل هو الذي يجدِّد الخلقة بالمعمودية وبالقيامة. هو الروح الذي يعرف كل شيء، (اكو ٢:١٠)، وهو الذي يعلِّمنا كل شيء (يو ١٤:٢٦). هو الذي يهبُّ حيث يشاء (يو ٣:٨)، وهو الذي يُرشدنا (إلى جميع الحق) (يو ١٦:١٣). هو «روح الإعلان» (أف ١:١٧)، وهو الذي ينير (أف ١:١٨)، ويُحيي (يو ٦:٦٣)، بل وهو بذاته النور والحياة. هو الذي يجعلنا هياكل لله (اكو ٣:١٦)، بل ويؤلِّهنا أيضاً. هو الذي يسبق ويؤهِّل للمعمودية (أع ١١: ١٧)، وهو الذي من بعد المعمودية نطلبه بإلحاح (لو ١١:١٣). هو الذي يصنع كل هذه كإله، والذي ينقسم كألسنة من نار (أع ٢:٣)، ويوزِّع المواهب (اكو ١٢:١١)" عظة ٣١:٢٨و٢٩ عن الروح القدس ٣٣٤ - ٣٣٢ ,٢٥٠ SC.

٢- يحثنا القديس كليمندس الإسكندري على حياة الطهارة ذات الرائحة الإنجلية ويدعوها الإستشهاد اليومي، إذ يقول: "إن كان الاعتراف من أجل الله يُعتبر شهادة، فإن كل نفس تسلك بالطهارة وبمعرفة الله وتحفظ وصاياه فإنها تكون شاهدة (أو شهيدة) بسيرتها وبكلامها، حتى أنها مهما كانت الطريقة التي تفارق بها جسدها فهي تسكب إيمانها عوض الدم طوال حياتها وحتى إلى وقت خروجها " المتفرقات 4:4. BEΠ 8, 55-56.

البركة السرية[1]، علينا أن نفحص ذواتنا، وهكذا ندخل. لأن اللامبالاة من جهة هذا الأمر (التطهير) يجعل الوقوف أمام الله أمراً مملوءاً بالخطر، وهو ما يعلنه لنا قائلا: "مِنْ أَجْلِ هَذَا فِيكُمْ كَثِيرُونَ ضُعَفَاءُ وَمَرْضَى وَكَثِيرُونَ يَرْقُدُونَ. لأَنَّنَا لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا لَمَا حُكِمَ عَلَيْنَا. وَلَكِنْ إِذْ قَدْ حُكِمَ عَلَيْنَا نُؤَدَّبُ مِنَ الرَّبِّ لِكَيْ لاَ نُدَانَ مَعَ الْعَالَمِ" (١ كو ١١: ٣٠ – ٣٢).

بلاديوس: يمكننا إذن أن نستنتج أن المرحضة المقدسة تصوِّر لنا نعمة المعمودية المقدسة.

كيرلس: بالفعل هي هكذا، ولا ينبغي أن تشك في هذا الأمر على الإطلاق. وعليك الآن أن تلاحظ طريقة صنع المرحضة، ولسوف يدهشك هذا كثيراً. لأنه مكتوب عن بصلئيل الذي صنع كل ما تحتويه الخيمة الآتي: "وَوَضَعَ الْمِرْحَضَةَ بَيْنَ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ وَالْمَذْبَحِ. وَجَعَلَ فِيهَا مَاءً لِلاِغْتِسَالِ. لِيَغْسِلَ مِنْهَا مُوسَى وَهَارُونُ وَبَنُوهُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ. عِنْدَ دُخُولِهِمْ إِلَى خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ وَعِنْدَ اقْتِرَابِهِمْ إِلَى الْمَذْبَحِ يَغْسِلُونَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى" (خر ٤٠: ٣٠ – ٣٢).

بلاديوس: إذن ماذا عن المرايات، ومن هن النساء اللواتي صُمن[2]؟

كيرلس: هناك حوادث كثيرة يرويها لنا الكتاب المقدس بغموض، إذ يعلنها هكذا باقتضاب مثل هذا الحدث. حسناً، أين أو مَن هن اللواتي صُمن؟ لم يقل لنا موسى. لكن كون أن هذا الأمر قد حدث، فهذا لا يشكك فيه أحدٌ. لأن الكتاب قد ذكره بالرغم من أنه ذكره بغير وضوح. فلنترك إذن هذا الأمر ونأتي إلى أمر آخر.

بلاديوس: أي أمر تقصد؟

كيرلس: ما هو النموذج أو المثال الذي تقدمه هؤلاء النساء اللواتي صُمن؟ وماذا يعني صنع المرحاض النحاس من المرايا؟

بلاديوس: عليك أن تخبرني عن هذا الأمر، فهو من واجباتك.

١- على الأرجح يقصد القديس كيرلس "بالبركة السرية" نوال الجسد والدم من الإفخارستيا، كما يتضح من الاقتباس الذي يستشهد به بعد ذلك من رسالة كورنثوس الأولى ١١.

٢- إشارة إلى خروج ٣٨: ٨ "وصنع المرحضة من نحاس وقاعدتها من نحاس. من مراءي (مرايات) وفي السبعينية "مرايا النساء اللواتي صمن عند أبواب خيمة الشهادة". المتجندات اللواتي تجندن عند باب خيمة الاجتماع". وتفسير هذا أن النساء المتجندات المذكورات في النص المترجم عن العبرية، كن يُقمن عند باب خيمة الاجتماع وهن صائمات، وهذا ما يذكره النص في النسخة السبعينية التي يستعملها القديس كيرلس في هذا الشرح (انظر خر ٣٨:٢٦س).



كيرلس: اسمع إذن. عَبَدَ الإسرائيليون الأصنام عندما كانوا تحت نير المصريين، وقد مرَّت سنين عديدة وهم يحيون بتلك النواميس، وكان المصريون قد اعتادوا، وكذلك النساء أن يأتوا إلى المقدسات وهم لابسين ملابس كتان ممسكين -بوقارٍ- مرآةً في اليد اليُسرى، وجرساً في اليد اليمنى. ولذلك، فالنساء من الجنس الإسرائيلي اللاتي وجدن بقايا العبادة المصرية ضمن أوانيهُن، أحضرن هذه المرايا[1] لكي يقدِّمنها، وقد أُعيد تصنيع هذه المرايا واستخدمت في المرحضة. وهكذا، عندما أُقيمت الخيمة المقدسة، أقام البعض منهن أمام أبواب الخيمة، وكن صائمات وعشن كل حياتهن نقيات.

هذا الأمر يشير إلى ما يحدث الآن عندما ظهرت الخيمة الحقيقية، أي الكنيسة التي بناها الرب وليس إنسان كما كتب بولس العظيم. لقد آن الأوان لأولئك الذين كانوا قبلاً مكرسين لتمجيد حشد الشياطين، أن يتغيروا إلى أوانٍ مقدسةٍ مناسبةٍ لقبول المعمودية المقدسة حتى يستطيعوا أن يتزينوا بفضائلهم التي تفوق تلك التي للناموس. لأن هذا ما تعنيه صناعة المرحضة النحاسية من المرايا اليونانية، أي من جوهرةٍ شيطانية، تلك المرحضة التي كان يوجد فيها الماء الذي غَسل به موسى نفسه، وكانت مفيدةً لكهنوت الناموس للاغتسال، وواضح أنه يشير للاغتسال الذهني. ألا تتفق معي يا بلاديوس على أن الذين ضلّوا وعبدوا الشياطين هم أوانِ شيطانية؟

بلاديوس: لا أستطيع أن أقول غير ذلك.

كيرلس: إذن، فقد صام هؤلاء النساء عند أبواب الخيمة المقدسة، وهن بذلك يمثلن إشارة جميلة وحكيمة، فالذين خلصوا بقوة المسيح عليهم أن لا يسرعوا بتقدمات مادية إلى الكنائس، لكن عليهم بالحري أن يهتموا بالإمساك أو الانضباط الذي هو إماتة الجسد كتقدمة روحية لله[2]، لأنه مكتوب:

١ـ كانت تُصنع هذه المرايا من النحاس المصقول.

٢ـ طالما نحن آنية مختاره فيجب انِ نحرص على الإغتسال الذهني لكي نقدم حياتنا كتقدمة روحية، وهذا ما أكد عليه القديس يوحنا ذهبي الفم، إذ يقول: "فَكِر في الكلام الذي ينطق به فمك وأيِ مائدة مستحق لها، فَكِر في أية فائدة سيجنيها ويلمسها، وما الذي يتذوقه، وما هو الطعام الذي يتمتع به. هل تعتقد وأنت تُدين أخاك، أنك لا تفعل خطية؟ وكيف ندعوه حينئذ أخاً؟ وإن لم يكن أخاك، فكيف تقول "أبانا"؟ لأن ضمير الملكية في كلمة "أبانا"، يُعلن عنِ وجود أشخاصٍ كثيرين. فَكِر مع مَنْ تقف أثناء ممارسة الأسرار، إنك تقف مع الشاروبيم. إن السارفيم لا يشتمون، بل فَمهم ممتلئ حتماً بالتمجيد والتسبيح لله. إذن كيف يمكن أن تسبح معهم وتقول "قدوس قدوس قدوس"، عندما تستخدم فمك للإهانة؟ فلتخبرني إذن؟ لو أن هناك إناء مختار ممتليء دائماً بأشياء متميزه، ولأجل هذا أعتِبر كإناء مُميز، ثم جاء بعد ذلك وإستخدمه أحد للروث،

"فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ" (رو ١٢: ١)، وأيضا يقول: "مَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ" (١ كو ٦: ٢٠).

إذن، فهؤلاء اللواتي صُمن أثناء إقامة الخيمة المقدسة يمثلن صورة النفوس التي لا تسلك بالوصايا الموسوية، بل تلك التي تقدم بالفعل الحياة الروحية والإنجيلية، ويدوسون اللذات الأرضية بلا تردد مصوِّبين وجوههم نحو الجمال الإلهي الخالد، لأنهم لا يطيقون تحمل سهام محبة الجسد المكروهة والدنسة. أليست هذه طريقة الحياة بالنسبة لنا نحن الذين دُعينا إلى قداسة المسيح والنقاوة الروحية؟

بلاديوس: هذه هي بالتأكيد.

صناعة الخيمة المقدسة ومكوناتها

كيرلس: فلنكتفِ الآن بما قلناه عن الأواني المقدسة. لكن دعنا -إذا أردت- أن نفحص الخيمة نفسها، ما هو وضعها وصناعتها؟

إن الشروع في هذا العمل هو فوق إمكانياتنا، لكن -بحسب رأيي- لا يوجد أي ضرر إذا استعرضنا كل الآراء والشواهد، وبحثناها من كل جانب للاستفادة، وبقدر ما نستطيع، نحاول أن نفهم كل ما هو فوق إدراكنا.

بلاديوس: تتحدث بالصواب.

كيرلس: لو أراد المرء أن يشرح هذه الأمور بالتفصيل، لطال الحديث عن كل أمر وتعددت جوانبه. ولكن علينا أن نعرف أن بعض الأواني تقترب في فهمها الروحي من المعاني والأقوال السرية، والبعض الآخر تم صُنعها لمجرد الزينة وخدمة الخيمة. لذلك سوف أتحدث بكلام قليل مختصر.

حسناً. يقول الكتاب: "وَأَمَّا الْمَسْكَنُ فَتَصْنَعُهُ مِنْ عَشَرِ شُقَقِ بُوصٍ مَبْرُومٍ وَأَسْمَانْجُونِيٍّ وَأُرْجُوَانٍ وَقِرْمِزٍ. بِكَرُوبِيمَ صَنْعَةَ حَائِكٍ حَاذِقٍ تَصْنَعُهَا. طُولُ الشُّقَّةِ الْوَاحِدَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ ذِرَاعاً وَعَرْضُ الشُّقَّةِ الْوَاحِدَةِ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ. قِيَاساً وَاحِداً لِجَمِيعِ

فهل سيتجرأ أحد أن يضع هذا الأناء المملوء بالروث مع الآنية الأخرى التي خصصت للأشياء المتميزه؟ بالطبع لا. الإهانة والسب هما شيء مثل هذا" تفسير الرسالة إلى أفسس، الإصحاح الرابع، ص ٢٢٣.

الشُّقَقِ. تَكُونُ خَمْسٌ مِنَ الشُّقَقِ بَعْضُهَا مَوْصُولٌ بِبَعْضٍ وَخَمْسُ شُقَقٍ بَعْضُهَا مَوْصُولٌ بِبَعْضٍ" (خر ٢٦: ١ – ٣).

إذن، عشرةٌ هي الشقق، ومتصلةٌ بعضها ببعض بشدة. لأنه في بيت الآب توجد منازل كثيرة، وهدف كل الذين يسكنون فيها هو هدف واحدٌ مقدس، وواحدةٌ هي معرفة الله. لأنه وفق المكتوب: "اللهَ قَدْ دَعَانَا فِي السَّلاَمِ" (١ كو ٧: ١٥).

ويمكنك أن تقبل –إذا أردت– وتعتقد أن العشر شقق هي جميع الكنائس –المنتشرة في كل العالم– رُبطت معاً بشدة في واحد، وذلك من خلال وحدة الإيمان بالمسيح. لأنه يوجد للكل "رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ" (أف ٤: ٥).

عرض الشُقة الواحدة أربعةُ أذرعٍ، بينما طولها ثمان وعشرون ذراعاً. الرمزُ دقيقٌ وعجيب، لكني أعتقد أنه يُظهر أن العيش بالناموس بالنسبة للكنيسة، صعبٌ جداً لأن الحرفَ مظلمٌ. إذ أن تربية الناموس –بمرور الزمن– وصلت إلى نهايتها في سر المسيح، أي في اليوم الثامن الذي حدثت فيه قيامة المسيح. لأن غاية الناموس والأنبياء هو المسيح الذي إليه صرخ داود العظيم قائلاً: "أَمَّا وَصِيَّتُكَ فَوَاسِعَةٌ جِدّاً" (مز ١١٩: ٩٦). وبولس العظيم يكتب لأولئك الذين فضّلوا العبادة الناموسية عن الإيمان بالمسيح قائلاً: "فَمُنَا مَفْتُوحٌ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْكُورِنْثِيُّونَ. قَلْبُنَا مُتَّسِعٌ. لَسْتُمْ مُتَضَيِّقِينَ فِينَا بَلْ مُتَضَيِّقِينَ فِي أَحْشَائِكُمْ. فَجَزَاءً لِذَلِكَ أَقُولُ كَمَا لأَوْلاَدِي: كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً مُتَّسِعِينَ! لاَ تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَ الإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟" (٢ كو ٦: ١١ – ١٤).

هل أدركت أن المرء الذي يريد أن يرتبط باليهود الذين أظهروا عدم إيمان، ومازالوا يتحدثون عن ضرورة التزام حرف الناموس بعد الإيمان بالمسيح، يجعل القلوب تتنافر؟

بلاديوس: نعم أدركت هذا.

كيرلس: أقمشة الشقق ستكون من البُوص المبروم الأسمانجوني وأرجوان وقرمز. أي أن زينة الكنيسة متنوعة، وهذا بالضبط ما أنشَدَه داود العظيم قائلاً: "جُعِلَتِ



الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ بِذَهَبِ أُوفِيرٍ" (مز ٤٥: ٩). والمسيح هو الجوهرة[1] والزينة المتعددة الأشكال، الذي هو واحد في طبيعته، لكنه يُفهم أو يُدرك بأمثلة كثيرة ومتنوعة، مثله في ذلك مثل خيط شجرة الكرز المغزول. فالكلمة رقيقٌ حقاً، وبلا جسدٍ بطبيعته، لكنه منسوجٌ آخذاً شكلاً باتخاذه جسداً. إذن، هو منسوجٌ بخيط شجرة الكرز، وفي الوقت نفسه أيضاً مثل الياقوت، لأنه لم يأتِ من الأرض، لكن من فوق، أي من السماء.

وكالأرجوان؛ لأنه عبدٌ هو باعتباره مولودٌ، وهو ملك الكل ورب الكل باعتباره آتٍ من الله. وكمنسوجٍ بنسيجٍ أحمر؛ لأنه -كما قلت- اتخذ جسداً، وهو أيضاً في الوقت نفسه الكلمة، وقد بذل دمه لأجلنا. لأن علامة الدم هي اللون الأحمر.

الشاروبيم مرسومون فوق الجلود، وهذا الأمر يشير جيداً إلى أن ما هو تحت متَّحدٌ بما هو فوق، وأن الكنيسة الأرضية متَّحدةٌ بالقوات السماوية. وينبغي أن نعرف أن سليمان الحكيم رسم الشاروبيم على حوائط الهيكل. وبنفس الطريقة تم تزيين المسكن الذي رآه حزقيال (انظر حز ٤١).

وأغطية الشُّقق كانت من الجلود الملتف حولها الشرائط والحلقات. والأغطية أيضاً كانت بالتأكيد من جلودٍ بلون الياقوت الأزرق، وجلود من الشاةِ مصبوغةٍ بالأحمر، والتي تشير إلى غطاء كنيسة المسيح. فالياقوت يشير إلى أنه أتى من السماء ومن فوق، بينما اللون الأحمر يشير إلى أنه لبس الجسد. لأنه بمثل هذا اللون كان لون الجسد.

بلاديوس: لا شك أن هذه التفاسير منطقية تماماً.

كيرلس: أمَّا ألواح (أعمدة) المسكن، فكان عرض الواحد منها ذراعاً ونصف، بينما الطول كان عشرةَ أذرعٍ مذهَّبةٍ عند الرؤوس والجسم، وتستند على

١- يوضح القديس كيرلس هذه الحقيقة أثناء حديثة عن نبوة يعقوب عن أشير: "أشير خُبزه سمين وهو يعطي لذَّاتِ مُلوك" (تك ٤٩:٢٠) إذ يقول: " اسم أشير يعني "الغني". لأن هذا هو ترجمة الاسم حرفياً. وأعتقد أنه يشير إلى ذاك "المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم" (كو ٢:٣)، أقصد المسيح الذي هو "كنز مخفي في الحقل" (مت ١٣:٤٤)، "والجوهرة كثيرة الثمن" والذي يقول بفم الحكيم "عندي الغني والكرامة. قنية فاخرة وحظ" (أمثال ٨:١٨). إنه ذاك الذي قال عنه داود "تعهدت الأرض وجعلتها تفيض" (مز ٦٥:٩). أيضاً بولس الحكيم يكتب لنا عنه، قائلاً: "أشكر إلهي في كل حين من جهتكم على نعمة الله المعطاة لكم في يسوع المسيح. إنكم في كل شيء استغنيتم فيه في كل كلمة وكل علم" (١كو ١:٤ - ٥). لأنه إفتقر معنا أيضاً بالرغم من أنه غني حتى بفقره نصير نحن أغنياء" جيلافيرا على سفر التكوين، المقالة السابعة، الكتاب الشهري فبراير ٢٠٠٩.

قواعد فضية مزدوجة. واللوح (العمود) يُقصد به المسيح، معضِّد الكنيسة ومؤسِّس الحق وفقاً لقول بولس (انظر ١ تي ٣: ١٥). لأنه هو الذي يعضِّد ويحفظ كل شيء.

وعرض اللوح (العمود) ذراعٌ ونصف، وهو يشير إلى أن (المسيح) كاملٌ بحسب طبيعته، وصغيرٌ بحسب المقاييس البشرية. وليس من السذاجة في شيء إذا قلنا إن المسيح هو كلي الكمال كمثل الذراع الواحد، لأنه هو الله بحسب الطبيعة، لكنه صغير مثل نصف الذراع بسبب طبيعته البشرية، ووحيد الجنس كان غنياً، لكنه صار فقيراً لأجلنا (٢ كو ٨: ٩)، ووضع ذاته بالإخلاء من عظمته الإلهية.

بلاديوس: هذا صحيح حقاً.

كيرلس: بالتالي لا يمكن للطبيعة البشرية أن تقف على قدم المساواة أمام الألوهية الفائقة، فهي أقل منها بكثير. لذلك، قال بحسب مشابهته لنا: "أبي أعظم مني" (يو ١٤: ٢٨). وبالرغم من أنه -من جهة طبيعته الإلهية- مساو للآب بالتأكيد، فإن كونه ابناً لا يجعله أقل من الآب[١]. لأن المسيح هو كلي الكمال من جهة إلوهيته؛ لأن العدد عشرة في الكتاب المقدس يُفهم كعلامة للكمال. ورأس اللوح سيكون من الذهب، والجسد أيضاً من الذهب. الهيكل الذي أتى من العذراء له امتياز سكنى الطبيعة الفائقة. الذهب رمزٌ للإلوهية، لأنه عظيمَ ويفوق كل المعادن الأخرى. القاعدة كانت من الفضة ومزدوجة. المسيح لامعٌ ومنيرٌ على الأرض وفقاً للمزمور: "الرَّبُّ هُوَ اللهُ وَقَدْ أَنَارَ لَنَا" (مز ١١٨: ٢٧)، ويُعرف بلاهوته وناسوته؛ لأنه هو إله وإنسان معاً. وهذا -على ما أعتقد- هو ما يعنيه أن القاعدة مزدوجة ومصنوعة من الفضة.

بلاديوس: إن حدسَكَ صحيح.

كيرلس: لاحظ أيضاً يا صديقي ما هو آت.

١- يشرح القديس كيرلس -بمنطقية- مساواة الابن بالآب، إذ يقول في موضع آخر: "يقول المسيح لتلاميذه موضحاً أنه مساوٍ للآب: "اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ" (يو ١٤: ٩)، فكيف يُعلن الذي هو بطبيعته كائن بذاته، ذلك، وهو أقلُ من الآب؟ فإذ كان أقلَّ من الآب وهو يُعلِن الآب بدون وساطة أو تغيير فإنه إذا استمر في إعلان الآب سوف يصبح مثل الآب، لأن الابن صورة الآب. ولكن هذا مستحيل. فالأقل لا يمكن أن يعلن الأعظم منه، إذن الذي فيه الآب والذي يعلن الآب لابد وأن يكون كاملاً لأنه صورة الكامل أي الآب". شرح يوحنا، المجلد الأول، ص ٦٠.



بلاديوس: ماذا لديك؟

كيرلس: بعدما نظَّم كل الخيمة واتسعت إلى عشر شقق، أضاف: "وَتَصْنَعُ شُقَقاً مِنْ شَعْرِ مِعْزَى خَيْمَةً عَلَى الْمَسْكَنِ. إِحْدَى عَشَرَةَ شُقَّةً تَصْنَعُهَا. طُولُ الشُّقَّةِ الْوَاحِدَةِ ثَلاَثُونَ ذِرَاعاً وَعَرْضُ الشُّقَّةِ الْوَاحِدَةِ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ. قِيَاساً وَاحِداً لِلإِحْدَى عَشَرَةَ شُقَّةً. وَتَصِلُ خَمْساً مِنَ الشُّقَقِ وَحْدَهَا وَسِتّاً مِنَ الشُّقَقِ وَحْدَهَا. وَتَثْنِي الشُّقَّةَ السَّادِسَةَ فِي وَجْهِ الْخَيْمَةِ. وَتَصْنَعُ خَمْسِينَ عُرْوَةً عَلَى حَاشِيَةِ الشُّقَّةِ الْوَاحِدَةِ الطَّرَفِيَّةِ مِنَ الْمُوَصَّلِ الْوَاحِدِ وَخَمْسِينَ عُرْوَةً عَلَى حَاشِيَةِ الشُّقَّةِ مِنَ الْمُوَصَّلِ الثَّانِي" (خر ٢٦: ٧ – ١٠).
ما الذي أراد أن يعلنه يا بلاديوس بهذا الأمر؟ لأنه إذ صنع عشر شقق للمسكن، يقول: "وَتَصِلُ خَمْساً مِنَ الشُّقَقِ وَحْدَهَا وَسِتّاً مِنَ الشُّقَقِ وَحْدَهَا"، فلماذا لم يتساوَ عدد الشقق المصنوعة من شعر المعزي، بل زاد واحدة، أي الحادية عشر؟

بلاديوس: لا أعرف ماذا أقول لك.

كيرلس: إن عرض رأيي سيزيد موضوعنا وضوحاً.

بلاديوس: هات ما عندك.

كيرلس: قال إنه يجب أن تخيط بشدة خمسَ شققٍ فيما بينها، وخمساً آخرين بالتماثل، بنفس الترتيب وبنفس الطريقة. بينما يتصلون فيما بينهم بالتماثل باتجاه الشمال نحو الجنوب أو من الشرق نحو الغرب بواسطة الشقة الحادية عشر التي صارت كمُفصَّلةٍ في وسط العشر شققٍ، ماسكةً بهما بسيور وحلقات من الجانبين. لقد كانت الألواح مثل هذه الشقق، إلَّا أنها قليلةٌ في العدد. إذن العشر شقق –كما قلت سابقاً– تمتد بطول ثماني وعشرين ذراعاً بينما الحادية عشرة لها نفس الطول ولكن عرضها خمسة أذرع، أما الأخرى فكان عرضها أربعة أذرع. لذلك يقول "وتثني الشقة السادسة في وجه الخيمة"؛ حتى لا تفسد هذه الشقة الزائدة جمال الخيمة. عند هذه الشقة التي هي بين الشقق الأخرى تُوضع الأواني المقدسة، وهي تشير بطرق متنوعة إلى عمانوئيل. والعدد يُظهر هذا بالضبط، إنه في الأزمنة الأخيرة وفي الساعة الحادية عشر يظهر المسيح والخيمة التي فيها المسيح، أي الكنيسة.

بلاديوس: يبدو لي أن تفكيرنا بهذه الطريقة صحيح وشرحك لهذا الأمر صواب.

الدار الخارجية

كيرلس: بعد هذه الأقوال والنماذج الخاصة بالخيمة يقول: "وَتَصْنَعُ دَارَ الْمَسْكَنِ. إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ نَحْوَ التَّيَمَنِ لِلدَّارِ أَسْتَارٌ مِنْ بُوصٍ مَبْرُومٍ مِئَةُ ذِرَاعٍ طُولاً إِلَى الْجِهَةِ الْوَاحِدَةِ. وَأَعْمِدَتُهَا عِشْرُونَ وَقَوَاعِدُهَا عِشْرُونَ مِنْ نُحَاسٍ. رُزَزُ الأَعْمِدَةِ وَقُضْبَانُهَا مِنْ فِضَّةٍ. وَكَذلِكَ إِلَى جِهَةِ الشِّمَالِ فِي الطُّولِ أَسْتَارٌ مِئَةُ ذِرَاعٍ طُولاً. وَأَعْمِدَتُهَا عِشْرُونَ وَقَوَاعِدُهَا عِشْرُونَ مِنْ نُحَاسٍ. رُزَزُ الأَعْمِدَةِ وَقُضْبَانُهَا مِنْ فِضَّةٍ. وَفِي عَرْضِ الدَّارِ إِلَى جِهَةِ الْغَرْبِ أَسْتَارٌ خَمْسُونَ ذِرَاعاً. أَعْمِدَتُهَا عَشَرَةٌ وَقَوَاعِدُهَا عَشَرٌ" (خر ٢٧: ٩ - ١٢). لاحظ إذن أن الأبعاد الأولى كانت قليلة تصل إلى ثلاثين ذراعاً والعرض أربعة أذرع، والطول ثماني وعشرون. لكن بعد ذلك، كانت الأبعاد أكثر اتساعاً في العرض والطول، كانت مائة في مائة، وخمسون في خمسين، والواحدة كانت تطل على الشرق والأخرى على الغرب والجنوب.

بلاديوس: إذن ما هو القصد من هذا؟

كيرلس: ألا يوضحُ ذلك بجلاء ما سبق وتنبأ به إشعياء عن الكنيسة التي سوف تظهر في الأيام الأخيرة؟ "أَوْسِعِي مَكَانَ خَيْمَتِكِ وَلْتُبْسَطْ شُقَقُ مَسَاكِنِكِ. لاَ تُمْسِكِي. أَطِيلِي أَطْنَابَكِ وَشَدِّدِي أَوْتَادَكِ" (إش ٥٤: ٢). لقد كانت كنيسةُ المسيح محدودةً في البداية، ولكنها امتدت بعد ذلك نحو الشرق والغرب، نحو الشمال والجنوب وتوجد في كل مكان[1].

بلاديوس: هذا حق.

كيرلس: وعليك أن تلاحظ أيضاً أنه أَمَرَ أن تكون كل الألواح الأخرى التي للشقق العشرة والعُرى التي بينهما، مذهبةً وتستند على قواعد مزدوجة مصنوعة من الفضة. فما هو السبب؟ أعتقد أنني قُلت هذا. وهناك أيضاً سبب آخر لاختلاف الألواح بحسب طول الشقق وعرضها. فيقول عن الألواح إنه يجب أن تكون من الفضة من القمة حتى القاعدة، وتستند على قواعد نحاسية مفضضة. ويمكننا أن نرى في هذا مثالاً للمسيح؛ لأنه أشرق

1- الكنيسة هنا تحتضن كل الخليقة، وأوشية السلام في الطقس القبطى تعبر بوضوح عن هذه الحقيقة. يقول الشماس: صلوا من أجل سلامة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية الأرثوذكسية كنيسة الله. يقول الشعب: يا رب ارحم. يقول الكاهن: هذه الكائنة من أقاصى المسكونة إلى أقاصيها. ومن هنا نستطيع أن نُعرّف مصطلح المسكونية على أنه ليس مرادفاً للعالمية *universal* بل مرادف لمصطلح الكنيسة الجامعة kaqolikç Ekklhséia .

كالنور[1] أي أبرق بلمعانٍ عقلي لأنه إله، كما تعلن الفضةُ ذلك. وكنوره، كذلك كانت كلمته لامعةً وحلوة السمع على الأرض، أي كرازة الإنجيل، التي يُعلنها النحاس المزين بالفضة. لأن النحاس رنان، بينما الفضة أكثر لمعانا ونوراً. ويمكننا أن نرى هذه الأمور في كرازة الإنجيل، ويمكن للمرء أن يتحقق من أن كلمة المخلص لها نقاء ونورُ التقوى الشديد، وأنها ترن في كل المسكونة.

ويمكن للمرء -إذا أراد- أن يقول إن هذه الألواح تعتبر مثالاً للرسل والإنجيليين القديسين، وهذا تفكير منطقي جداً. لأنهم حقاً كأنهم من فضة، لأنهم اتحدوا بالمسيح الذي ينير. لذلك يقول: ''أَنِرْ بِوَجْهِكَ فَنَخْلُصَ'' (مز ٨٠: ١٩)، وقد دُعُوا أيضاً: ''نُورُ الْعَالَمِ'' (مت ٥: ١٤)، كأنهم حقاً داخل نحاس مزين بالفضة. وسندهم الكلمة المنيرة والرنانة التي يستخدمونها. لأنه يقول: ''الرَّبُّ يُعْطِي كَلِمَةً. الْمُبَشِّرَاتُ بِهَا جُنْدٌ كَثِيرٌ'' (مز ٦٨: ١١). أيضاً مكتوب: ''مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ قَدَمَيِ الْمُبَشِّرِ الْمُخْبِرِ بِالسَّلاَمِ الْمُبَشِّرِ بِالْخَيْرِ'' (إش ٥٢: ٧).

بلاديوس: لا شك أن كلامك عميق ويوضح الحقيقة.

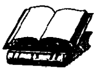
التقدمات اللازمة للعبادة في الخيمة

كيرلس: وإذ اكتملت الأوامر بخصوص الأبعاد، يمضي إلى تجهيز الزيت والمسحة والبخور قائلا الآتي: ''وَأَنْتَ تَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُقَدِّمُوا إِلَيْكَ زَيْتَ زَيْتُونٍ مَرْضُوضٍ نَقِيّاً لِلضَّوْءِ لإِصْعَادِ السُّرُجِ دَائِماً. فِي خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ خَارِجَ الْحِجَابِ الَّذِي أَمَامَ الشَّهَادَةِ يُرَتِّبُهَا هَارُونُ وَبَنُوهُ مِنَ الْمَسَاءِ إِلَى الصَّبَاحِ أَمَامَ الرَّبِّ. فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِهِمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ'' (خر ٢٧: ٢٠ - ٢١).

بلاديوس: وماذا يعني هذا؟

كيرلس: هامٌ جداً ما يعلنه هذا القول، وينطوي أيضاً على حكمةٍ على ما أعتقد.

1- حين يشرق نور المسيح علينا ترسم سماته الروحية فينا، وهذا ما يؤكده القديس كيرلس، قائلاً: ''فمع أن الابن لا يحوّل أحداً قط من المخلوقين إلى طبيعة لاهوته الخاص -لأن هذا مستحيل- إلا أن سماته الروحية ترتسم بنوعٍ ما في الذين صاروا شركاء طبيعته الإلهية بقبول الروح القدس، وبهاء لاهوته غير المفحوص يضيء مثل البرق فيِ نفوس القديسين'' ضد نسطور 3:2 PG 76, 129.



فالمنارات السبع تضيء دائماً وتنير في الخيمة المقدسة، لذلك يجب أن نتشبه جيداً بنور المسيح الذي يلمع دائماً بقوة ويُنير ذاتياً، أي يملأ بالنور ذهن أولئك الذين يؤمنون به؛ وكل الذين يحتاجون أن يكون لهم اكتفاء ينيرون أيضاً[1]. لأن العدد سبعة يعبِّر دائماً عن الكمال. وعلى سبيل المثال الحالة التي يقول فيها: "الْعَاقِرَ وَلَدَتْ سَبْعَةً" (١ صم ٢: ٥)، أي كثير جداً.

فهارون ينير المنارات، وكذلك الآخرون، وبعد ذلك الكهنة. هكذا أيضاً نور المسيح في الكنائس، يُحفظ دون أن يُطفأ بالعناية اليقظة لأولئك الذين نالوا نصيب الكهنوت، لأنهم -باستقامة سرائرهم- ينيرون أذهان المؤمنين. لأن هذا على -ما اعتقد- هو ما يعنيه بجعله المنارات تنير دائماً من المساء حتى الصباح. فالظلام هو ضلال الشيطان والظلمة المعنوية التي تغطي عقول البشر. إذن فلسوف يظل نور المخلص ظاهراً في الكنائس طالما ظلَّ المعلمون فيها يفسرون التعاليم الإلهية والإنجيلية باستقامة.

وأمَّا الزيت فيكون نقياً؛ لأنه نقيٌ تماماً من أي شائبة ومن أي دنسٍ. أقول هذا عن العقائد الإلهية المستقيمة والكلمة الحقيقية النقية من أي انحراف والتي تحتوي دائماً على نور المخلص الدائم. هذه الاستنارة -بالتأكيد- لا تضِف شيئاً من ذاتها على بهاء المسيح (لأنه من الغباء المفرط أن نعتقد أنه يحتاج للإنسان)، فعن طريق النور الحقيقي للمسيح، وإشعاع الآب يبدو -بكلمات التعاليم المستقيمة- في ذهن أولئك الذين يؤمنون به، أن هذا بالضبط هو الحق.

بلاديوس: ولماذا يقول إن الزيت من الزيتون؟ لأن هذه التسمية الدقيقة، لا بد وأن تحمل مفهوماً روحياً.

كيرلس: أنت تفكر بطريقةٍ حسنة، وسوف أقول لك ما خطر على ذهني.

من المعتاد يا بلاديوس، أن لا يتم تجهيز أو إعداد الزيت من أشجار الزيتون

١- يقول أيضاً القديس كيرلس في موضع آخر: "ولَمَا كان النور الإلهي لم يكن قد أشرق بعدٍ؛ لأن الأرض كانت ما تزال غارقةً في ظلام الجهل، وقد لوَّث رؤساء هذا الظلام قلوب الجميع. لذلك عندما أتى المخلِّص قال: "أنا هو نور العالم" (يو ٨: ١٢، ٩: ٥)، وبما أن القديسون يُعتَبرون بمثابة مصابيح العالم التي تشع بكلمة الحياة، لذا كانوا جديرين أن يسمعوا قول المخلِّص: "أنتم نور العالم" (مت ٥: ١٤)، حتى يمكنهم أن ينيروا الذين في الظلمة" جيلافيرا على سفر الخروج، المقالة الثانية، الكتاب الشهري ديسمبر ٢٠٠٩.

فقط، لكن من بذور أخرى قد تكون مغشوشة[1]، أو من بذور أخرى. أمَّا زيت الزيتون النقي، فهو المستخرج من الزيتون الأكثر جودة، وهو يحتاج إلى طرق فنية وجهد مضنٍ لتنقيته. بعكس الزيتون الذي من الدرجة الثانية، فهو ليس حقيقياً، أقصد الزيتون الذي يخرج من بذور مغشوشة. بالتالي يجب أن يتشابه زيت الزيتون الحقيقي بالكلمة الحقيقية والأصيلة، بينما ذاك الذي ابتُدع من الفكر البشري والإلهام الشيطاني، إنما يشبه الخمر المغشوشة المصنَّعة والموجودة بكثرة في الحانة.

فالكلام المغشوش غير مفيد، بل ومرفوض؛ لأنه لا يسهم في إنارتنا لمعرفة المسيح. لذلك فهو مرفوض في الكنائس لأن رائحة الروح القدس الذكية ليست فيه؛ لأنه يقول: "وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَسُوعُ رَبٌّ» إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ" (١ كو ١٢: ٣).

ولعلك تلاحظ أيضاً أن الناموس يقول إن الزيت المستخرَج من الزيتون هذا يجب أن يقدمه الإسرائيليون. أي كما قلت منذ قليل، إن الكلمة الحقيقية هي ثمرة وتقدمة روحية للتقدمات التي تُقدَّم إلى الله من جانبنا، والتي لا تسمح بأن يضعف نور المسيح في هؤلاء الذين يحيون في الحق.

لاحظ أيضاً مكان المنارات حيث تقع خارج المسكن، وكذلك الحرارة المنبعثة منها. بمعنى أن المسيح حقاً هو نورٌ بحسب طبيعته، فهو لا يحتاج إلى النور، لكنه يُشرق[2] بنوره داخلنا؛ لأجلنا نحن الذين لسنا من طبيعته الإلهية؛ لأننا مخلوقون. والتابوت كان بالداخل؛ إذ يشير إلى المسيح.

بلاديوس: تتحدث بالصواب.

١- أثناء حديثه عن قول بولس: "كونوا لطفاء" يوضح القديس يوحنا ذهبي الفم بُعد آخر للبذور المغشوشة، قائلاً: "ولاحظ، بحسب قانون الصالح والأصلح أو الأفضل، كيف أن المطوب بولس يُنقي ويفلح الأرض التي إستأمنه عليها الخالق. إنه يُهلك البذور المغشوشة، وفيما بعد يترجى أن نحتفظ بالنباتات الحقيقية، كشيء نافع. يقول "كونوا لطفاء" لأنه إن بقيت الأرض غير مُفلَحه بعد أن تُقتلع منها الأشواك، فإن الحشائش الضارة ستنبت مرة أخرى. من أجل هذا ينبغي أن نتجنب هذا الكسل وهذا الخمول، وذلك بزرع بذور ونبتات جيدة. أمحو الغضب وضع مكانه رقة المشاعر وطيبة القلب، إنزع المرارة وضع مكانها أحشاء رأفة، إقطع الخبث والتجديف وأزرع الصفح بدلاً منهما، لأن هذا هو معنى "متسامحين". يقول كونوا متسامحين، هذه العطية هي أعظم من عطية المال. لأن الذي ترك مالاً لمن إقترض منه، يكون قد عمل عملاً لم يُسمع عنه من قبل، ويستحق الإعجاب. إلا أن هذه العطية محدودة، بالرغم من أن هذا يجلب لنفسه المكافأة الروحية. أما الذي سامح عن خطايا، فقد أفاد نفسه، وأفاد مَن نال هذه المسامحة، لأنه لم يجعل نفسه فقط بهذه الطريقة أكثر رأفة، بل ونفس ذاك الذي سامحه. لأنه عندما نعاقب بقسوة مَن ظلمونا، فإننا لا نُحزِن نفوسهم، بقدر ما يحدث عندما نسامحهم، فإننا بهذا نؤنبهم ونُخجلهم" تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ٢٣٩.

٢- وعن الابن نسبح في ثيؤطوكية الاثنين مرد كل ربع: "أشرق جسدياً من العذراء بغير زرع بشر حتى خلصنا".

مكونات دُهن المسحة

كيرلس: ثم يقول: ''وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «وَأَنْتَ تَأْخُذُ لَكَ أَفْخَرَ الأَطْيَابِ: مُراً قَاطِراً خَمْسَ مِئَةِ شَاقِلٍ، وَقِرْفَةً عَطِرَةً نِصْفَ ذلِكَ: مِئَتَيْنِ وَخَمْسِينَ، وَقَصَبَ الذَّرِيرَةِ مِئَتَيْنِ وَخَمْسِينَ، وَسَلِيخَةً خَمْسَ مِئَةٍ بِشَاقِلِ الْقُدْسِ، وَمِنْ زَيْتِ الزَّيْتُونِ هِيناً. وَتَصْنَعُهُ دُهْناً مُقَدَّساً لِلْمَسْحَةِ. عِطْرَ عِطَارَةٍ صَنْعَةَ الْعَطَّارِ. دُهْناً مُقَدَّساً لِلْمَسْحَةِ يَكُونُ. وَتَمْسَحُ بِهِ خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ، وَتَابُوتَ الشَّهَادَةِ، وَالْمَائِدَةَ وَكُلَّ آنِيَتِهَا، وَالْمَنَارَةَ وَآنِيَتَهَا، وَمَذْبَحَ الْبَخُورِ، وَمَذْبَحَ الْمُحْرَقَةِ وَكُلَّ آنِيَتِهِ، وَالْمِرْحَضَةَ وَقَاعِدَتَهَا. وَتُقَدِّسُهَا فَتَكُونُ قُدْسَ أَقْدَاسٍ. كُلُّ مَا مَسَّهَا يَكُونُ مُقَدَّساً. وَتَمْسَحُ هَارُونَ وَبَنِيهِ وَتُقَدِّسُهُمْ لِيَكْهَنُوا لِي. وَتُكَلِّمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: يَكُونُ هذَا لِي دُهْناً مُقَدَّساً لِلْمَسْحَةِ فِي أَجْيَالِكُمْ. عَلَى جَسَدِ إِنْسَانٍ لاَ يُسْكَبُ، وَعَلَى مَقَادِيرِهِ لاَ تَصْنَعُوا مِثْلَهُ. مُقَدَّسٌ هُوَ، وَيَكُونُ مُقَدَّساً عِنْدَكُمْ. كُلُّ مَنْ رَكَّبَ مِثْلَهُ وَمَنْ جَعَلَ مِنْهُ عَلَى أَجْنَبِيٍّ يُقْطَعُ مِنْ شَعْبِهِ» (خر ٣٠: ٢٢ – ٣٣). أمَّا بخصوص النوعية والتكوين واختلاف الأوزان، أقصد الأنواع التي ذُكرت، فليس لي أن أقول شيئاً؛ لأن المتعقلون عادةً يحبون قول الحق. لكن الزيت المختلط بالطيب يعلن –على ما أعتقد– تقديس المسيح الذي يُعطى بواسطة الروح إلى الرحماء بحسب المزمور: «مَسَحْتَ بِالدُّهْنِ رَأْسِي» (مز ٢٣: ٥). لقد مُسحت كل الخيمة وكل ما هو بداخلها، هكذا يشترك المكان الآن في التقديس بواسطة ذاك الذي يسكن فيه. والأواني تتقدس أيضاً بالطريقة التي تليق بها، لأنها مفيدة وتستخدم لعبادة الله، وتقدِّس كل من يلمسها. لكن يجب أن تكون هذه المقدسات بعيدة عن متناول غير المؤمنين. لأنه بحسب المكتوب «أَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟» (٢ كو ٦: ١٤). ممنوعٌ منعاً باتاً أن يصنعوا مثل هذا الزيت لأنفسهم. لأن التقديس هو لله وحده[1]، وهذا الأمر حقاً مقصور عليه فقط، فكيف إذن يمكن للطبيعة المخلوقة أن تقدِّس الآخرين؟ إن الطبيعة المخلوقة لا تهب القداسة لذاتها

١- التقديس هو لله وحده كما أكد أيضاً القديس كيرلس في موضع آخر: ''إذا كانت بعض الملامح التي تميِّز الطبيعة الإلهية لا توجد بطريقة طبيعية وأساسية في أي كائنٍ من المخلوقات، بل تكون موضوعةً فيهم من خالقهم، بالتحديد الأمر الذي كشف عنه بولس عندما قال: ''وَأَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ؟'' (١ كور ٤: ٧)، لأصبح من الواضح أن القداسة، إنما توجد فقط في الله، بينما تخلو منها الكائنات الأخرى؛ فهذه الكائنات لا تستطيع أن تُقدِّس، بل تتقدَّس هذه الكائنات من الله القدوس، وتقبل منه التقديس بكونه مصدر الصالحات. فإذا لم يكن لأيٍ من المخلوقات أن يُقَدِّس، في حين أن المسيح يظهر وهو يفعل هذا الأمر، فهو إذن مختلفٌ بحسب الطبيعة من جهة هذه الأمور. ولذلك، فغير المخلوق، والذي يمتلك خصائص الطبيعة الإلهية، كيف لا يكون إلهاً بالطبيعة؟'' الكنوز ٣٢: ٤٩، ص ٤٥٤.

ولكن باشتراكها بالطبيعة السماوية، فمن اللائق إذن أن يتجه المرء إلى هذه الطبيعة إذ يقول لنا الرسول: «لأَنَّهُ مَنْ يُمَيِّزُكَ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ؟» (١ كو ٤: ٧).

وبما أن يوحنا يقول عن الابن الوحيد: «وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعاً أَخَذْنَا» (يو ١: ١٦)، و»لأَنَّهُ لَيْسَ بِكَيْلٍ يُعْطِي اللَّهُ الرُّوحَ» (يو ٣: ٣٤)، وبما أنه هو نفسه حقاً مصدر القداسة، فإنه يمنح الروح بأيدٍ ممدودةٍ إلى المستحقين ويقدِّس الخليقة العقلية.

ومع أنه يقول: «عَلَى جَسَدِ إِنْسَانٍ لاَ يُسْكَبُ»، إلَّا أنه أمَرَ بوجوب أن يُمسح الكل بواسطة هارون والعاملين معه.

وبالتالي فالجنس المقدس هو فوق الإنسان (الطبيعي)؛ لأنه يشارك المسيح الذي يتفوق على الخليقة. لذلك يقودنا إلى امتياز أسمى من الطبيعة (المخلوقة) ويفصلنا عن الأرضيات، ويكتبنا في السماوات. لأنه يقول: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ وَأَنْتُمْ جَمِيعاً إِخْوَةٌ. وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَباً عَلَى الأَرْضِ لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (مت ٢٣: ٨ - ٩).

إن التساهل في عرض أسرار الإيمان التي تتناسب فقط مع القديسين على غير المؤمنين، أمرٌ لا يخلو من المخاطر؛ لأن أولئك الدنسين الذين يبقون في قذارتهم لا يتقدسون، بل فقط أولئك الذين تطهروا فعلاً بواسطة المعمودية المقدسة[1].

بلاديوس: هذا حقيقي.

مكونات البخور

كيرلس: بنفس الطريقة والقول، حدَّدَ أن يُصنع البخور قائلا: ''وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «خُذْ لَكَ أَعْطَاراً: مَيْعَةً وَأَظْفَاراً وَقِنَّةً عَطِرَةً وَلُبَاناً نَقِياً. تَكُونُ أَجْزَاءً مُتَسَاوِيَةً، فَتَصْنَعُهَا بَخُوراً عَطِراً صَنْعَةَ الْعَطَّارِ، مُمَلَّحاً نَقِياً مُقَدَّساً. وَتَسْحَقُ مِنْهُ نَاعِماً، وَتَجْعَلُ مِنْهُ قُدَّامَ الشَّهَادَةِ فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ حَيْثُ أَجْتَمِعُ بِكَ. قُدْسَ أَقْدَاسٍ يَكُونُ عِنْدَكُمْ. وَالْبَخُورُ

١- من هذا المنطلق تحرص الكنيسة على مغادرة الموعظين بعد انتهاء العظة أثناء القداس الإلهي لأن قداس الأسرار هو للذين تقدسوا بواسطة المعمودية.



الَّذِي تَصْنَعُهُ عَلَى مَقَادِيرِهِ لاَ تَصْنَعُوا لأَنْفُسِكُمْ. يَكُونُ عِنْدَكَ مُقَدَّساً لِلرَّبِّ. كُلُّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَهُ لِيَشُمَّهُ يُقْطَعُ مِنْ شَعْبِهِ»(خر ٣٠: ٣٤ – ٣٨). فهنا أيضاً يعلن لنا الكلام عن البخور، أن كل ما ينتمي إلى الطبيعة الأسمى من كل الطبائع، لا يشترك في جوهره أيٌ من المخلوقات. فالخليقة ليس لديها شيء مشترك مع الخالق والرب، من جهة عظمة الكرامة.

دعنا نتذكر الآن أننا قد أشرنا إلى أن المذبح الذهبي وهذا المزيج من البخور يشيران إلى المسيح، فالاثنان (المذبح والبخور) يعلنان لنا عمانوئيل نفسه. إذن، فطالما أن البخور يشير إلى المسيح[1] (لأن رائحته ليس لها مثيل)، فلا يمكن أن نصنع لذواتنا بخوراً مثل هذا البخور. بمعنى أنه لا يمكننا أن نقبل إطلاقاً أحداً في مكان المسيح أياً كان، مثل اليهود التعساء الذين؛ إذ قبلوا ابن المعصية، يدركون أنهم صنعوا لذواتهم بخوراً مماثلاً لتلك الرائحة التي للإله الحقيقي الذي أظهر لنا رائحة معرفته في ابنه[2]، والذي به نفوح نحن، لا كأن هذا البخور من ذواتنا، لكن باعتبارنا مشاركين للبخور الحقيقي وممسوحين كلنا بنعمة الروح القدس، مرتفعين بالتعليم الحسن في المسيح.

بلاديوس: إذن، فقد صُوِّر لنا سر المخلص.بكل شيء موجود في الخيمة المقدسة.

كيرلس: بل وأكثر من هذا، فسوف تمتلئ بالدهشة، إذا علمت أن هؤلاء الفنيين الذين صنعوا الخيمة المقدسة يرمزون أيضاً إلى المسيح.

بلاديوس: كيف ذلك؟ إنني لا أستطيع أن أدرك هذا الأمر.

صانعو الخيمة

كيرلس: مكتوب: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «اُنْظُرْ. قَدْ دَعَوْتُ بَصَلْئِيلَ بْنَ أُورِي بْنَ حُورَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا بِاسْمِهِ، وَمَلأْتُهُ مِنْ رُوحِ اللهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَكُلِّ صَنْعَةٍ،

١- يؤكد القديس كيرلس على أن المسيح هو الرائحة الزكية، إذ يقول: "ما هو دنس يتطهر باسم المسيح، والنجس يصير بواسطته طاهراً وغير المقبول يصير مقبولاً. أي بسبب أننا كُنا خطاة ونجسين صار هو ذاته لأجلنا ذبيحة مقدسة ورائحة ذكية. لأنه مات لأجل الخطاة، البار لأجل الآثمة والطاهر لأجل الدنسين" جيلافيرا، الكتاب الشهري، فبراير ٢٠١٠

٢- إن البخور الذي طلب الله من موسى أن يصنعه، هو قدس أقداس للرب، ولذلك أمر الرب ألَّا يصنعوا منه لأنفسهم بنفس المقادير؛ لأنه مخصص لعبادة الرب في الخيمة. فإذا صنع أحدٌ لنفسه بخوراً بنفس المقادير يكون قد رفض عمل الرب وارتضى لنفسه بخوراً آخراً أي عبادةً أخرى. وهنا لا يقصد القديس كيرلس أن رائحة هذا البخور هي مثل رائحة البخور الغريبة، ولكن يقصد أنهم اتخذوا لهم بخوراً آخر على غرار بخور العبادة الحقيقية وهو ليس كذلك. ولذلك إذا فاحت رائحة البخور من المؤمنين، فهي ليست من ذواتهم، ولكنها رائحة الإله الحقيقي

لاخْتِرَاعِ مُخْتَرَعَاتٍ لِيَعْمَلَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ، وَنَقْشِ حِجَارَةٍ لِلتَّرْصِيعِ، وَنِجَارَةِ الْخَشَبِ، لِيَعْمَلَ فِي كُلِّ صَنْعَةٍ. وَهَا أَنَا قَدْ جَعَلْتُ مَعَهُ أُهُولِيآبَ بْنَ أَخِيسَامَاكَ مِنْ سِبْطِ دَانَ. وَفِي قَلْبِ كُلِّ حَكِيمِ الْقَلْبِ جَعَلْتُ حِكْمَةً، لِيَصْنَعُوا كُلَّ مَا أَمَرْتُكَ» (خر ٣١: ١ – ٦). لاحظ كيف يشرف بصلئيل على الأعمال وكيف ينفذ أهولياَب الأعمال.

بلاديوس: ماذا يعني هذا؟

كيرلس: تعرف أن يهوذا ودان كانا ابنين ليعقوب، لكن الواحد من الحرة ليئة والآخر من العبدة بِلهَة (انظر تك ٣٠: ٣)، وعلى ذلك، فبصلئيل هو مثال واضح للمسيح الذي ظهر لنا بالجسد من سبط يهوذا وبطبيعته الحرة حقاً، أي الطبيعة الإلهية الفائقة. أما أهولياَب فيشير إلى الرسل العاملين مع المسيح والإنجيليين والذين ينحدرون من أورشليم والذين هم عبيد. لأنه كان يوجد عاملون مع المسيح الذين كابدوا وتمموا كل ما هو مطلوب لتأسيس الكنائس المقدسة. لقد ساهم كل الفاهمين بدراساتهم وفنهم في أعمال الخيمة معطين صورة للمعلمين الذين كانت عنايتهم واهتمامهم أن يعملوا أعمال الله وكل ما يسهم في فائدة كنيسة المسيح.

المقالة العاشرة

استكمالاً للحديث السابق عن الخيمة المقدسة، وعن الأشياء الموجودة فيها

عودٌ على بدء

كيرلس: أعتقد يا بلاديوس، إنَّ العرضَ الذي بسطناه سابقاً عن الخيمة المقدسة، وعن كل محتوياتها، واضحٌ وكافٍ.

بلاديوس: بالتأكيد واضحٌ جداً، ولكنه ليس كافياً.

كيرلس: إذن، تعال نستكمل ما غاب من أمورٍ في حديثنا السابق عن الخيمة، طالما أنك تريد أنْ تستوضح بعض الأمور عن الطريقة التي أُقيمت بها، ومتى وكيف اكتملت فيها متطلبات البر والناموس، وأيضاً عن تدشينها وتقديسها، وكذلك صدرة القضاء[1].

بلاديوس: تحدَّث إذن عن كل أمرٍ على حدة؛ لأنك تفكر بطريقة صحيحة.

كيرلس: سوف أفعل، لكن أرجو أنْ تغفر لي -وأن تضع في حسبانك الصعوبة البالغة في شرح هذه الأمور- إنْ بدا في حديثي ما هو غير دقيق، وسوف أتركُ لك إعادة الصياغة والتصحيح؛ لأني أعتبرك شريكاً معي، ومعاوناً لي في كل ما سوف أقوله.

بلاديوس: ثق في الله وامضِ في حديثك.

موسى وسيط المسكن القديم

كيرلس: حسناً. عندما أُنجزت أعمال الخيمة المقدسة على ما يُرام، وأُتقن صنع كل آنيةٍ من أوانيها بحكمةٍ وفن، بحسب المثال الجميل الذي كان على الجبل،

١ـ سيتعرض القديس كيرلس لهذا الأمر في بداية المقالة الحادية عشر.

تحدَّث الرب إلى موسى وقال: ''فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ، فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ، تُقِيمُ مَسْكَنَ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ'' (خر ٤٠: ٢)، وبعد ذلك بقليل يُضيف قائلاً: ''فَفَعَلَ مُوسَى بِحَسَبِ كُلِّ مَا أَمَرَهُ الرَّبُّ. هكَذَا فَعَلَ. وَكَانَ فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ أَنَّ الْمَسْكَنَ أُقِيمَ'' (خر ٤٠: ١٦ – ١٧).

هكذا أُقيمت –بحسب إرادة الله– الخيمة القديمة، والتي قدَّمت لنا بوضوحٍ مثالاً لكنيسة المسيح.

دعنا نفحص بالتفصيل –إذا أردت– الحديث المتعلق بإقامتها بواسطة موسى، مرجئين –مؤقتاً– الحديث الخاص بيشوع بن نون بالرغم من أنه كان موجوداً دائماً بالقرب من موسى، وصعد معه على جبل سيناء، وحارب عماليق كما أمره موسى، عندما قال له: ''انْتَخِبْ لَنَا رِجَالاً وَاخْرُجْ حَارِبْ عَمَالِيقَ. وَغَداً أَقِفُ أَنَا عَلَى رَأْسِ التَّلَّةِ وَعَصَا اللهِ فِي يَدِي'' (خر ١٧: ٩). وامتثل يشوع للحق ونال النصر (راجع خر ١٧: ١٣). حسناً. ما الذي حدث؟ ألا يستحق أنْ نفحصه؟

بلاديوس: لا شك أنَّ الأمرَ جديرٌ بالفحص.

كيرلس: حسناً. لو أمكن للمرء أنْ يدقِّق –بقدر ما يستطيع– في الكلام المختص بكل سرٍّ، فسوف تتملكه الدهشة صارخاً: ''يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ'' (رو ١١: ٣٣). ولذلك عليك أنْ تلاحظ ما كانت عليه أشياء الخيمة من دقة. ولاحظ أيضاً أنه عندما يصعد موسى العظيم إلى الجبل يصعد معه يشوع أيضاً. وهذا يرمز إلى أنَّ الآب لا يمكن أنْ يُقترب منه إلَّا بهذه الطريقة، أقصد أنه لا يمكن الاقتراب منه إلَّا بواسطة الابن[1]. لأنه حقاً صادقةٌ هي الكلمة: ''لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلَّا بِي'' (يو ١٤: ٦).

ويمكننا أنْ نؤكِّد أنه حتى القديسون، إنما يقتربون إليه بواسطة المسيح. لأنه لا يمكن لأحدٍ أنْ يرتقي إلى معاينة سامية وفائقةٍ للطبيعة، وكأنه يصعد إلى جبلٍ، وبالأحرى لا يمكنه أن يوجد بالقرب من الله، إنْ لم يكن متَّحداً مع عمانوئيل، وهكذا لا يكون هناك ما يعوق مسيرة البشر للاقتراب إلى الآب. وهذا هو ما قيل بصوت إشعياء: ''كُلُّ وِطَاءٍ يَرْتَفِعُ، وَكُلُّ جَبَلٍ وَأَكَمَةٍ يَنْخَفِضُ، وَيَصِيرُ الْمُعْوَجُّ مُسْتَقِيماً، وَالْعَرَاقِيبُ سَهْلاً'' (إش ٤٠: ٤)، أي بالمسيح

١- يؤكد القديس كيرلس على ذلك في المقالة التاسعة في هذا المجلد.

تستقيم المعوجات، وكل وطاءٍ يرتفع، وتصير العراقيب طريقاً سهلةً. لأنه كما يقول أيضاً النبي نفسه في موضع آخر: "طَرِيقُ الصِّدِّيقِ اسْتِقَامَةٌ. تُمَهِّدُ أَيُّهَا الْمُسْتَقِيمُ سَبِيلَ الصِّدِّيقِ" (إش ٢٦: ٧). إذن، فقد صعد يشوع (الذي يرمز إلى المسيح) مع موسى الحكيم؛ لأن الاقتراب من الآب -كما قلت- لا يكون إلَّا بواسطة الابن، فهو الوسيط[1] الذي يربطنا بالآب بواسطة ذاته، ويُصعِدُنا إلى المرتفعات التي تفوق الطبيعة.

لقد واجه يشوعُ عماليقَ برجالٍ مختارين، وانتصر عليهم مثلما انتصر المسيح على رئيس هذا العالم بقديسين مختارين، هم تلاميذه الملهَمين.

وكان موسى يعطى الأوامر، وكان يشوع يخضع لها، مثلما خضع الابن تحت الناموس، بالرغم من أنه كان هو الله المشرَّع بالتأكيد.

وكما كانت المعركة في اليوم التالي لليوم الذي دار فيه هذا الحوار بين موسى ويشوع بن نون، هكذا بشَّر الناموس -بشكل كاف- بما هو عتيد أنْ يحدث، وقدَّم سرداً مجيداً لمنجزات المخلِّص، هذا إذا نظرنا إلى هذا السرد نظرةً روحيةً.

إذن، فقد أقام موسى الخيمة المقدسة، لما لها من فائدة تربوية -من جهة الناموس- في تأسيس الكنيسة. لأنَّ الناموس يقود إلى المسيح الذي هو رأس الكنيسة ومؤسِّسُها، عمود الحق وقاعدته بحسب المكتوب (انظر ١ تيمو ٣: ١٥). والمسيح نفسه قال لليهود: "لأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي، لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي" (يو ٥: ٤٦). وهو ما يعنى أنَّ تربية الناموس من خلال بناء الخيمة، ومن خلال ما يقوله موسى، تُنبئ -رمزياً- عن كنيسة المسيح، وعن السر المتعلق بها؛ لأنَّ شخص موسى كان ممثلاً للناموس الذي أُعطى بواسطته بحسب المكتوب في الأمثال الإنجيلية: "عِنْدَهُمْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءُ، لِيَسْمَعُوا مِنْهُمْ" (لو ١٦: ٢٩).

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب.

١- سبق للقديس إيرينيوس التأكيد على وساطة الابن التي بفضلها صارت لنا الشركة مع الله، إذ يقول: "إن المسيح كما قلنا، قد ألَّف ووحَّد الإنسان مع الله، لأنه لو لم يكن الإنسان قد اتَّحد بالله لما إستطاع أبداً أن يشترك في الخلود. لذلك كان ينبغي أن الوسيط بين الله والناس، بسبب انتسابه لكل منهما، يعيد بينهما الألفة والتوافق حتى إن الله يقبل إليه الإنسان، والإنسان يقدِّم نفسه لله. فبأيٍ وسيلة كان يمكننا أنٍ ننال التبنِّي لله، إلَّا بأن نحصل بواسطة الابن على الشركة مع الله، وذلك بأن يصير كلمة الله مشاركاً لنا، بأن يصير جسداً؟! لذلك فقد جاء مجتازاً في جميع القامات حتى يسترجع للجميع الشركة مع الله" ضد الهرطقات 7:18:3 SC 211, pp 365-367.

زمن تأسيس الكنيسة

كيرلس: فما الذي كان يقصده بقوله: "ينبغي اليوم"[1]، وأيضاً: "في اليوم الأول من الشهر الأول"؟ وماذا يقصد كذلك بقوله: "فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ أَنَّ الْمَسْكَنَ أُقِيمَ" (خر ٤٠: ١٧)؟ دعنا نجيب باحثين عن الحق الذي يفيد قرائنا.

"اليوم": يُقصد به زمن الخلاص المنتظَر، الذي فيه صار وحيدُ الجنس إنساناً وملكاً على البشر الذين على الأرض بموته بالجسد، وقادهم إلى الله الآب. هذا الوقتُ واحدٌ للجميع؛ لأنه طالما مات مرةً واحدةً، فإنه لن يموت مرةً أخرى، والموت لن يسود عليه بعد بحسب الكتب (انظر رو ٦: ٩). لن يموت الابنُ ثانيةً من أجلنا، ومن أجل الأرواح التي هي في الجحيم، لن يكون الابنُ بدايةً ثانيةً للأموات[2]. إنَّ هذا الوقتَ، واحدٌ بالنسبة له كما قلت من قبل، وقد ذكر النبي إشعياء -كممثل لله- هذا اليوم: "هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: فِي وَقْتِ الْقُبُولِ اسْتَجَبْتُكَ، وَفِي يَوْمِ الْخَلاَصِ أَعَنْتُكَ" (إش ٤٩: ٨). أيضاً بولس الحكيم يقول "هُوَذَا الآنَ وَقْتٌ مَقْبُولٌ. هُوَذَا الآنَ يَوْمُ خَلاَصٍ" (٢كو ٦: ٢). فالمسيح قد قام في هذا اليوم من الأموات مُبدِّداً ظلام مملكة الموت، وجعل الرسل القديسين مثل البنائين، وجعلهم أرواحاً خادمةً لكنيسة الأمم قائلاً: "فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ" (مت ٢٨: ١٩ – ٢٠). ألا ترى أنَّ هذا يعتبر بمثابة تأسيسٍ للكنيسة؟

بلاديوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: أقصد الإيمان الذي استلمناه من المعلِّمين القديسين، والتعليم الذي كرزوا به: أي الإيمان بالمسيح، والاتحاد بالله بواسطة المعمودية وشركة الروح القدس. لأنَّ هذا هو ما قاله لنا بولس الرسول: "الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّباً

١- يقصد القديس كيرلس أن الرب كلم موسى قائلاً: «فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ، فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ، تُقِيمُ مَسْكَنَ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ" خر ٤٠: ١ - ٢.

٢- أي لا يوجد زمن آخر غير هذا الزمن سوف يقوم فيه الابن بعمل الفداء ثانيةً، خصوصاً وأن فدائه هذا سرى على الكل حتى الأرواح التي في الجحيم.

مَعاً، يَنْمُو هَيْكَلاً مُقَدَّساً فِي الرَّبِّ. الَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضاً مَبْنِيُّونَ مَعاً، مَسْكَناً للهِ فِي الرُّوحِ" (أف ٢: ٢١ - ٢٢).

فقد رُمِزَ للمسيح في الماضي بعدة أشياء في الخيمة المقدسة مثل: مذبح البخور الذهبي، والتابوت، والمنارة، وأيضاً المائدة وكل ما هو موضوع عليها. ولذلك، فأنا أعتقد أنَّ كل واحدٍ من الذين آمنوا في الوقت الحاضر يعتبر مسكناً وهيكلاً لله، وهؤلاء يُقيم فيهم المسيح؛ لأنه يسكن داخل قلوبنا بالإيمان كما هو مكتوب (انظر أف ٣: ١٧). وبالرغم من أنه واحدٌ بطبيعته، لأنه يقول: "لكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ" (١ كو ٨: ٦) إلَّا أننا نحن الذين في الجسد نُدركُ وجوده؛ فنحن نُدرك -بطرقٍ مختلفة- جمال إلوهيته ذات الخصائص المتنوعة، حيث ندرك داخلياً أنه كلمة الله، وكذلك هو الحكمة والنور والحياة، والخبز الحيّ الذي نزل من السماء.

بلاديوس: أنا أُدرك ما تقوله.

كيرلس: إذن، فقد رُمِزَ -في الماضي- لكلٍ من زمن التجسد، وكذلك ليوم القيامة من الأموات، بالكلمات الإلهية هكذا: "في ذلك اليوم تقيم الخيمة".

بداية الزمن الجديد

كما أنَّ عبارة "في أول الشهر" يا بلاديوس، عبارةٌ مفيدةٌ أيضاً. أعنى كما أنَّ بداية الشهر هو اليوم الأول من عدد أيامه، هكذا فإنَّ بداية الزمن الجديد، وبداية ظهور الأزمنة الجديدة هو وقت مجيء المسيح على الأرض. لأنه يقول: "إِذاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً" (٢ كو ٥: ١٧). إذن، فقد بزغ هذا الزمن الذي نراه الآن بالرجاء، بينما نحن نحيا فيه بفضل الإله الذي قادنا بنوره مع الملائكة القديسين إلى مجد الآب، آخذاً معه أولئك الذين اختاروا أنْ يحيوا حياةً جديدةً واكتسبوا في نفوسهم بصبرهم غنى التعليم الإنجيلي بجماله الفائق، وهكذا قادهم إلى المجد والملكوت المنتَظر منذ القديم.

إنَّ رمزية الشهر الأول تشير إلى الخليقة الجديدة والأوقات الجديدة التي



أزهرت فيها تعاليم المسيح مثلما يزدهر النبتُ الجميل في أول الشهر، وتزدهر النباتات في المراعى، ويُشتَّم شذى ألوفٍ من الورود الجميلة برائحة الربيع الزكية. لأنَّ المسيحَ في مثل هذا الوقت، دعا كنيسة الأمم قائلاً: ''قُومِي يَا حَبِيبَتِي، يَا جَمِيلَتِي وَتَعَالَيْ. لأَنَّ الشِّتَاءَ قَدْ مَضَى، وَالْمَطَرَ مَرَّ وَزَالَ'' (نش ٢: ١٠ - ١١).

هكذا ازدهرت طبيعة الإنسان مرةً أخرى مثل النبات، بعدما أصابها الذبول جرَّاء الموت بسبب مخالفة آدم والخطية التي تملَّكت علينا. اسمع ما يقوله المسيح بفم واحد من الأنبياء القديسين: ''أنا هو الذي أتحدث إليك مثل الربيع على الجبال'' (إش ٥٢: ٦س). فكما أنَّ الربيع يتوِّجُ الجبال والغابات بنباتات وزروع جديدة، هكذا فإن حضور المسيح يحقق لنا نفس الأمر، لذا يقول: ''في السنة الثانية''، وليس ''الأولى'' التي فيها كان يسري الناموس وزمن الأنبياء، وفيها كان الموت يملك على الجميع. لأنه قد مَلكَ الموت من آدم حتى موسى (انظر رو ٥: ١٤). ''في السنة الثانية''، أي في الزمن الذي فيه وصل إلينا اسم المسيح الذي هو غاية الناموس والأنبياء. هل تعتقد أنَّ حديثنا يسير باستقامة وحق؟

بلاديوس: نعم.

كيرلس: أنا أعتقد إنَّ صوت إشعياء قد أعلن لنا مسبقاً الخيمة الحقيقية التي كانت محط أنظار كل واحدٍ من الذين قد دُعُوا ليتبرروا بالإيمان، إذ يقول: ''أُنْظُرْ صِهْيَوْنَ مَدِينَةَ أَعْيَادِنَا. عَيْنَاكَ تَرَيَانِ أُورُشَلِيمَ مَسْكِناً مُطْمَئِنّاً، خَيْمَةً لاَ تَنْتَقِلُ، لاَ تُقْلَعُ أَوْتَادُهَا إِلَى الأَبَدِ، وَشَيْءٌ مِنْ أَطْنَابِهَا لاَ يَنْقَطِعُ'' (إش ٣٣: ٢٠). لأنَّ الكنيسة هي مدينة الله، وهي التي قال عنها داود العظيم: ''قَدْ قِيلَ بِكِ أَمْجَادٌ يَا مَدِينَةَ اللهِ'' (مز ٨٧: ٣). بمعنى أنها غنيةٌ بعطايا سماوية ومزينةٌ بمواهب سماوية، وأساساتها غير مزعزعة وثابتة بحسب كلام المخلّص، ''وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا'' (مت ١٦: ١٨).

بلاديوس: كل ما تفكر فيه صحيح ومنطقي.

كيرلس: عندما نُصبت الخيمة كان ينبغي أنْ يكون كل ما فيها من أشياء وأوانٍ، مُرتَّباً غير مبعثرٍ. ويعلِّمنا هذا إله الجميع قائلا: ''وَتَضَعُ فِيهِ تَابُوتَ الشَّهَادَةِ.

وَتَسْتُرُ التَّابُوتَ بِالْحِجَابِ. وَتُدْخِلُ الْمَائِدَةَ وَتُرَتِّبُ تَرْتِيبَهَا. وَتُدْخِلُ الْمَنَارَةَ وَتُصْعِدُ سُرُجَهَا. وَتَجْعَلُ مَذْبَحَ الذَّهَبِ لِلْبَخُورِ أَمَامَ تَابُوتِ الشَّهَادَةِ. وَتَضَعُ سَجْفَ الْبَابِ لِلْمَسْكَنِ. وَتَجْعَلُ مَذْبَحَ الْمُحْرَقَةِ قُدَّامَ بَابِ مَسْكَنِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ" (خر ٤٠: ٣ - ٦).

يمكنك طبعاً أنْ ترى الآنية المقدسة بين هذه الأشياء التي نُقلت ووُضعت في الخيمة المقدسة، ويمكنك أيضاً أنْ ترى –بوضوح– المكان الذي يحتويها، ويليق بكل واحدة من هذه الأواني. هل تريد الآن أنْ نُفصِّل بدقة ما يجب أنْ تعرفه عن التعليمات الخاصة بالخيمة؟

بلاديوس: بكل سرور.

كيرلس: حسناً. قال الله لموسى: "وَتَصْنَعُ حِجَاباً مِنْ أَسْمَانْجُونِيٍّ وَأُرْجُوَانٍ وَقِرْمِزٍ وَبُوصٍ مَبْرُومٍ. صَنْعَةَ حَائِكٍ حَاذِقٍ يَصْنَعُهُ بِكَرُوبِيمَ. وَتَجْعَلُهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَعْمِدَةٍ مِنْ سَنْطٍ مُغَشَّاةٍ بِذَهَبٍ. رُزَزُهَا مِنْ ذَهَبٍ. عَلَى أَرْبَعِ قَوَاعِدَ مِنْ فِضَّةٍ. وَتَجْعَلُ الْحِجَابَ تَحْتَ الأَشِظَّةِ. وَتُدْخِلُ إِلَى هُنَاكَ دَاخِلَ الْحِجَابِ تَابُوتَ الشَّهَادَةِ، فَيَفْصِلُ لَكُمُ الْحِجَابُ بَيْنَ الْقُدْسِ وَقُدْسِ الأَقْدَاسِ. وَتَجْعَلُ الْغِطَاءَ عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ فِي قُدْسِ الأَقْدَاسِ. وَتَضَعُ الْمَائِدَةَ خَارِجَ الْحِجَابِ، وَالْمَنَارَةَ مُقَابِلَ الْمَائِدَةِ عَلَى جَانِبِ الْمَسْكَنِ نَحْوَ التَّيْمَنِ، وَتَجْعَلُ الْمَائِدَةَ عَلَى جَانِبِ الشِّمَالِ. وَتَصْنَعُ سَجْفاً لِمَدْخَلِ الْخَيْمَةِ مِنْ أَسْمَانْجُونِيٍّ وَأُرْجُوَانٍ وَقِرْمِزٍ وَبُوصٍ مَبْرُومٍ صَنْعَةَ الطَّرَّازِ. وَتَصْنَعُ لِلسَّجْفِ خَمْسَةَ أَعْمِدَةٍ مِنْ سَنْطٍ وَتُغَشِّيهَا بِذَهَبٍ. رُزَزُهَا مِنْ ذَهَبٍ، وَتَسْبِكُ لَهَا خَمْسَ قَوَاعِدَ مِنْ نُحَاسٍ" (خر ٢٦: ٣١ - ٣٧).

وعن المرحضة يقول الآتي: "وَتَصْنَعُ مِرْحَضَةً مِنْ نُحَاسٍ، وَقَاعِدَتَهَا مِنْ نُحَاسٍ، لِلاغْتِسَالِ. وَتَجْعَلُهَا بَيْنَ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ وَالْمَذْبَحِ، وَتَجْعَلُ فِيهَا مَاءً. فَيَغْسِلُ هَارُونُ وَبَنُوهُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْهَا" (خر ٣٠: ١٨ - ١٩). هل كل ما يقوله عن كل واحدة من هذه الآنية واضح؟

بلاديوس: غير واضح طبعاً؛ لأني لا أعرف. لذلك فأنا في حيرة لعدم معرفة ما تعنيه هذه الأقوال.

كيرلس: سوف أجعل حديثي واضحاً وسهلاً بقدر المستطاع، مستفيداً من الشرح السابق الذي قلناه عن كل ما في الخيمة من أشياء.

حسناً يا بلاديوس. لقد أُقيمت الخيمة المقدسة في الصحراء، وجاء تقسيم المكان، إلى جزئين تقسيماً رائعاً. فقد كان هناك مكان بالداخل يُسمى قدس الأقداس، أمَّا المكان الآخر، فيقع قبل المدخل ويُدعى القدس. وقد وُضع تابوت العهد في داخل الخيمة (قدس الأقداس) فوق أربعة أعمدة من السنط المغشَّى بالذهب، وغطى الأعمدة بحجابٍ من اسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم. وبما أنه قد سبق لنا أنْ تحدثنا بما فيه الكفاية –كما أعتقد– عن البوص المبروم والأرجوان والقُرمز، لذا سوف نتجنب تكرار الكلام[1].

حجاب الخيمة

أمَّا الآن، فسوف أتحدث عن الحجاب الذي يستند على أربعة أعمدة من السنط المغشَّى بالذهب، وأربع قواعد من الفضة. إنَّ كل هذه الأشياء تعلن سر المسيح، فما المقصود؟ ألم يدعُ بولس الحكيمُ الحجابَ جسد المسيح قائلاً: "طَرِيقاً كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثاً حَيّاً، بِالْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ" (عب ١٠: ٢٠)؟

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب.

كيرلس: حسناً. لاحظ إذن، أنَّ الكلمة، بالرغم من أنه هو الله بطبيعته، وأنه أتى من الله الآب، إلَّا أنه –في إطار الظلال والرموز– وُجِدَ في تابوت الذهب الذي لم يعتريه فسادٌ، أي في الهيكل الذي قدَّمته العذراء؛ لأنَّ جسد المسيح لم يفسد، بل هو ثمينٌ، وقد احتجب الكلمة خلف الستار آخذاً جسداً.

وعندما نقول إنَّ الكلمةَ احتجب، فإننا لا نعني أنه انحصر في جسد صغير؛ لأنَّ الابنَ موجودٌ دائماً في الكل، لكنه احتجب بحسب التدبير وانتظر وقتاً حتى يُعلن عن نفسه للكل، وكانت قيامته من بين الأموات هي ميعاد ظهوره للكل. فقد أوصى تلاميذه قبل الصليب المقدس ألَّا يُظهروه وفق ما هو مكتوب (انظر مت ١٦: ١٦)، بينما بعد قيامته من بين الأموات قال لهم: "فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ.

١- انظر ما جاء من شرح لهذا الموضوع بالمقالة التاسعة في هذا الكتاب.

وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ" (مت ٢٨: ١٩ - ٢٠).

إذن، كان الحجابُ معلقاً على الأعمدة، مغطياً التابوت الذي كان في الداخل، الأمر الذي يمكن أنْ يكون مثالاً المسيح الذي رُفِعَ عالياً بكرازة الإنجيليين. كما يبدو (المسيح) ظاهراً في مجد الإلوهية لمن هم داخل الخيمة، أي الكنيسة.

هكذا أيضاً يتساوي عدد كل من الأعمدة المغشَّاة بالذهب، وقواعد الفضة الأربع، مع عدد الإنجيليين الأربعة الممجَّدين.

إذن، كان التابوتُ في الخيمة، وكان الحجابُ معلَّقاً من فوق إلى أسفل، وكان الحجابُ مصنوعاً من أسمانجوني وأرجوان وقرمز بحيث لا يُظهر التابوت الذي كان في الداخل. وفوق الحجاب كان الشاروبيم على الجانب الأيسر والأيمن. وكان الله يظهر ويعطى الوصايا، وهذا يبيّن أنه فوق كل الخليقة. والسيرافيم الذين يمتازون عن كل المخلوقات الملائكية يوجدون أسفل المجد الإلهي الذي لا يُوصف، ويلتفون حول الابن نفسه بالرغم من أنه صار جسداً وهو في حالة إخلاء من جهة أنه مساوٍ للآب في الجوهر (المجد الذي كان له عند الآب) حيث صار إنساناً. لذلك قال: "أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي" (يو ١٤: ٢٨)، وبينما هو مساوٍ للآب بطبيعته، يقول إنه أقل منه -فقط- بسبب طبيعته البشرية. لذلك نجد الشاروبيم موجودين في الخيمة المقدسة دائرياً على الحجاب محيطين بالابن الذي هو إله. لكن فوق الحجاب نفسه يقول: "وسوف أظهر من هناك، وسوف أتحدث إليك"، أي الآب الذي هو فوق كل الخليقة، وهو هنا يبدو كما لو كان فوق عمانوئيل نفسه، لكن ليس من جهة لاهوته إذ هو مساوٍ للآب في كل شيء، بل من جهة أنه أخلى نفسه آخذاً شكل العبد، ونزل إلى مقاييس البشرية.

بلاديوس: حديثك دقيقٌ وعميق.

كيرلس: لكن لم يبتعد هذا الحديث عن الهدف.

بلاديوس: أوافقك على هذا.

كيرلس: بعد ذلك يقول: "وَأَمَّا الْمَسْكَنُ فَتَصْنَعُهُ مِنْ عَشَرِ شُقَقِ بُوصٍ مَبْرُومٍ وَأَسْمَانْجُونِيٍّ

وَأُرْجُوَانٍ وَقِرْمِزٍ. بِكَرُوبِيمَ صَنْعَةَ حَائِكٍ حَاذِقٍ تَصْنَعُهَا. طُولُ الشُّقَّةِ الْوَاحِدَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ ذِرَاعاً، وَعَرْضُ الشُّقَّةِ الْوَاحِدَةِ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ. قِيَاساً وَاحِداً لِجَمِيعِ الشُّقَقِ. تَكُونُ خَمْسٌ مِنَ الشُّقَقِ بَعْضُهَا مَوْصُولٌ بِبَعْضٍ، وَخَمْسُ شُقَقٍ بَعْضُهَا مَوْصُولٌ بِبَعْضٍ. وَتَصْنَعُ عُرًى مِنْ أَسْمَانْجُونِيٍّ عَلَى حَاشِيَةِ الشُّقَّةِ الْوَاحِدَةِ فِي الطَّرَفِ مِنَ الْمُوَصَّلِ الْوَاحِدِ. وَكَذلِكَ تَصْنَعُ فِي حَاشِيَةِ الشُّقَّةِ الطَّرَفِيَّةِ مِنَ الْمُوَصَّلِ الثَّانِي. خَمْسِينَ عُرْوَةً تَصْنَعُ فِي الشُّقَّةِ الْوَاحِدَةِ، وَخَمْسِينَ عُرْوَةً تَصْنَعُ فِي طَرَفِ الشُّقَّةِ الَّذِي فِي الْمُوَصَّلِ الثَّانِي. تَكُونُ الْعُرَى بَعْضُهَا مُقَابِلٌ لِبَعْضٍ. وَتَصْنَعُ خَمْسِينَ شِظَاظاً مِنْ ذَهَبٍ، وَتَصِلُ الشُّقَّتَيْنِ بَعْضَهُمَا بِبَعْضٍ بِالأَشِظَّةِ. فَيَصِيرُ الْمَسْكَنُ وَاحِداً" (خر ٣٠: ١ – ٦).

إنَّ مذبح البخور الذهبي هو المسيح، وقد سبق أن قُلت هذا مراراً[١]. وقد وُضع هذا المذبح أمام التابوت خلف الحجاب. وكان السيرافيم على شكل دائري، ومن أعلا كان الله (يتحدَّث) مُظهراً رائحة عمانوئيل الفائقة؛ لأنه لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه غشٌ كما هو مكتوب (انظر إش ٥٣: ٩، ١ بط ٢: ٢٢)، لذلك قال هو نفسه: "اَلآبُ يُحِبُّ الابْنَ" (يو ٣: ٣٥).

كذلك نحن، فقد صِرنا مقبولين من الله إذ تفوح مِنّا مسحة المسيح. وهذا ما يؤكده بولس الرسول قائلاً: "شُكْراً للهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ، وَيُظْهِرُ بِنَا رَائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ. لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ للهِ، فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ وَفِي الَّذِينَ يَهْلِكُونَ" (٢ كو ٢: ١٤ – ١٥).

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب.

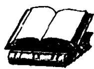
مزيدٌ من الإيضاح

كيرلس: دعنا نتعمق في الأمر بأكثر دقة، ونحن متنبهون لما هو مكتوب.

لقد وُضع التابوت داخل خيمة الاجتماع تجاه الغرب، وأمامه المذبح النُحاسي ناحية الشرق. وذلك لأنَّ الشرق والغرب والشمال والجنوب قد امتلئوا من المؤمنين الذين آمنوا بالمسيح.

وهكذا كان مكان المنارة جنوب الخيمة، بينما المائدة كانت تجاه الشمال،

١- يؤكد القديس كيرلس أن مذبح الذهب صار رمزاً للمسيح، ولذلك فالبخور يوقد باستمرار، وهذا يعني أنه لا توجد لحظة لا يفوح المسيح فيها برائحته الذكية، كما أنه ممنوع تماماً أن يوجد سكيبٌ فوق هذا المذبح أو ذبيحة؛ لأن فرائض الناموس أبطلت بالمسيح. راجع المقالة التاسعة في هذا الكتاب.



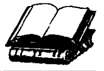
وبكلتيهما أُعلن المسيح، وقد سبق لنا أنْ برهنّا على ذلك في حديثنا السابق[1]. أمّا كونُ المسيحِ نوراً، فقد أعلنته المنارة، وكونه الحياةَ والخبز الذي يعطي حياةً، فقد أظهرته المائدة وكل ما وُضع فوقها.

لكن عليك أنْ تتأمل أمراً آخراً، وتلاحظ ما ينطوي عليه من سرٍّ: يقع موطن اليهود في الجنوب، بينما موطن الأمم في الشمال. فإذا أخذنا في الاعتبار مكان كلٍ من المنارة والمائدة، فسوف يُدرك مَن يريد، أنَّ المسيحَ قد أشرق كنورٍ على اليهود وكرز لهم قائلاً: "أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ" (يو ٨: ١٢). لأنه قد أُرسل إلى خراف بيت إسرائيل الضالة (مت ١٥: ٢٤)، وبحسب الكتب المقدسة "لأنَّ لهم المواعيد" (رو ٩: ٤). لكن بما أنهم لم يقبلوا نور الحق، صار المسيحُ للأمم هو الحياةَ والخبزَ النازل من السماء، وهكذا لم يبقَ الأممُ بدون نور. وهذا ما تراه من جهة أنَّ النورَ يُشرق على شمال الخيمة؛ لأنَّ المنارةَ وُضعت فوق المائدة التي كانت جنوباً. وما ساعد على إظهار ذلك، أنَّ الخيمةَ كانت محدودة القياس.

هذا المثال يُظهر لنا أنه حيثما يُشرق النور الإلهي، فهناك إمكانية للمستحقين، أن يصيروا شركاء المسيح الخبز الحي الحقيقي. هكذا انضم الأمم لجسد المسيح، وصاروا شركاء في المسيح. لذا يقول بولس الرسول: "أَنَّ الأُمَمَ شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ بِالإِنْجِيلِ" (أف ٣: ٦). وأيضاً قال تلميذٌ آخرٌ للمسيح: "إِلَى أَنْ يَنْفَجِرَ النَّهَارُ، وَيَطْلَعَ كَوْكَبُ الصُّبْحِ فِي قُلُوبِكُمْ" (٢ بط ١: ١٩).

وبعد أنْ أمر الله بوضع كل الآنية الموجودة هكذا في قدس الأقداس، أمر أيضاً أنْ يُصنع سجفٌ من أسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص مبروم (انظر خر ٢٦: ٣٦). وهذا –كما قال– يكون معلقاً على امتداد مدخل الخيمة وذلك على خمسة أعمدةٍ مغشّاةٍ بالذهب يكون لها خمسُ قواعد من النحاس. ويستخدم هذا "السجف" –بالتأكيد– كستار للباب؛ وعن طريق الحلقات الرفيعة المتصلة بها تُسحب الستارة، فينكشف المدخل، ثم يُسحب من الجهة المقابلة ويمتد بالعرض كله، فيغطي على المقدَّسات الموجودة داخل الخيمة.

١- المرجع السابق.



وتُشير الأعمدة الخمسة المغشَّاة بالذهب والفضة إلى معلّمي الكنائس وقادتها في الوقت الخامس[1] الذي أتى فيه المسيح. وهم الذين يكرزون بكلمة الحق باستقامة، وقيمة هؤلاء ثمينة مثل الذهب، ولهم صدىً ورنيناً مفرحاً مثل النحاس. لأنه يقول: "فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ" (مز ١٩: ٤). هؤلاء فتحوا -بتعليمهم الروحي والسرائري- البابَ لأولئك الذين يريدون الدخول إلى قدس الأقداس، أي إلى داخل الخيمة المغطاة بالحجاب، وكذلك الجزء الثاني من الخيمة الذي يُلحق به، والذي يوجد به مذبح المحرقة حيث تقدَّم كل الذبائح الدموية (انظر خر ٢٩: ١ - ١٨)، كما يوجد به أيضاً المرحضة النحاسية. لاحظ أيضاً أن مذبح المحرقة كان يبدو ظاهراً بالقرب من أبواب الخيمة في الدار الخارجية، أمَّا المرحضة فكانت في الداخل[2].

١ـ يقسِّم القديس كيرلس تاريخ علاقة الله مع الإنسان إلى خمسة أقسام، ويستند في ذلك إلى رمزية الأيام الخمسة التي يتم فيها حفظ خروف الفصح من اليوم العاشر للشهر حتى اليوم الرابع عشر منه، وإلى مثل أصحاب الساعة الحادية عشر، فيقول: "نلاحظ أنَّ الخروف يوضع تحت الحفظ من اليوم العاشر للشهر حتى اليوم الرابع عشر منه لكي يُذبَح في المساء. وإذا تساءلنا عن سبب ذلك، وجدنا أن هناك دلالةً هامة لتلك الأمور. ما المشكلة لو أخِذ الخروف في اليوم الأول من الشهر؟ وما هو الهدف الذي شرَّع الله لأجله أن يُحفظ الخروف لمدة خمسة أيام، ومن ثم يُذبَح في المساء؟ ولماذا بدأنا العدَّ من اليوم العاشر حتى الرابع عشر، حتى يكون الناتج خمسة؟ أمَّا من جهة أنَّه لا يجب أن يُؤخذ الخروف للحفظ من اليوم الأول للشهر، فهذا يدُل -رمزياً- على أنَّ زمننا هذا، قد أتى بعد أن كانت قد مرَّت قبلنا أزمنةٌ كثيرة وأجيالٌ طويلة، لم تكن خالية أبداً من وجود الله. لأن فترة الخمسة أيام التي سبق أن أشير إليها قُسِّمت إلى خمس فترات زمنية. وهذا هو الأمر الذي اتضح من المثل الذي قاله المخلِّص: "فإن ملكوت الله يشبه رجلاً ربَّ بيتٍ خرج مع الصبح ليستأجر فعلةً لكرمه. فاتفق مع الفعلة على دينار في اليوم وأرسلهم إلى كرمه. ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياماً في السوق بطالين. فقال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم. فمضوا. وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك. ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياماً بطالين. فقال لهم لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين. قالوا له لأنه لم يستأجرنا أحدٌ. قال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم" (مت ٢٠: ١ ـ ٧). هل اتضح لك من هذه الأقوال أن زمننا هذا قد قُسِّم إلى خمس فترات؟ الفترة الأولى هي التي عاش فيها آدم، الأب الأول في الفردوس. والفترة الثانية كمثل "الساعة الثالثة"، ويقصد بها الزمن الذي عاش فيه نوح والذين كانوا معه. والفترة الثالثة هي مثل "الساعة السادسة" في المثَل وهي تُشير إلى الفترة الزمنية التي تبدأ بدعوة إبراهيم لكي يعرف الإله الحقيقي. كذلك الفترة الرابعة هي أيضاً مثل "الساعة التاسعة"، ويُقصد بها الفترة التي عاش فيها موسى والأنبياء. أمَّا الفترة الخامسة أي "نحو الساعة الحادية عشر"، أي التي فيها ينتهي اليوم، ويصل الزمن الحاضر إلى نهايته، في هذا الزمن استأجر السيد المسيح الأمم الذين لم يكونوا قد دُعوا بعد من أي أحد آخر أثناء الفترات السابقة. لذلك أجاب هؤلاء الآخرون قائلين: "لم يستأجرنا أحد". راجع في ذلك: المسيح فصحنا الجديد – ترجمة د. جورج عوض إبراهيم، مراجعة د. نصحي عبد الشهيد – ص ١٢ وما بعدها ـ سلسلة نصوص آبائية رقم ٨٨ – مايو ٢٠٠٥ – المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. ويستعيد القديس كيرلس نفس الرؤية عندما يشرح معنى الشقة الحادية عشر من الشقق التي تغطي الخيمة في المقالة التاسعة من السجود والعبادة بالروح والحق، يقول: "والعدد يظهر بالضبط أنه في الأزمنة الأخيرة وفي الساعة الحادية عشر يظهر المسيح والخيمة التي فيها المسيح، أي الكنيسة" راجع في ذلك المقالة التاسعة في هذا الكتاب.

٢ـ يقصد القديس كيرلس أن المرحضة كانت تقع داخل خيمة الاجتماع، وذلك بحسب ما ورد في سفر الخروج: "وتصنع مرحضةً من نحاس وقاعدتها من نحاس للاغتسال. وتجعلها بين خيمة الاجتماع والمذبح وتجعل فيها ماءً. فيغسل هرون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها" (خر ٣٠: ١٨ ـ ١٩).

بلاديوس: لكن ما هو المعنى الذي تخفيه هذه الملاحظة؟

كيرلس: يا بلاديوس، يتميز الكتاب المقدس بالدقة، ولا يوجد فيه شيءٌ بلا فائدة. بل لعلك تلاحظ كيف أنَّ الرمزَ يُظهر لنا أنَّ الناموسَ إنما يعمل كمربٍّ يقودنا إلى المسيح. ويتضح لنا هذا من أنَّ مذبحَ العبادة الناموسية، وُضع بالقرب من المداخل التي تؤدى إلى قدس الأقداس. أي أنَّ الناموس يقودنا إلى بداية أسرار المسيح، وإلى مبادئ الدخول لمعرفته الدقيقة. لكن لا يقودنا أبداً إلى قدس الأقداس، أي إلى الخيمة الداخلية حيث يوجد المسيحُ الفائق الجمال، كلمة الله، والنور، والخبز الحي، والرائحة الذكية لله الآب. ألا ترى معي إنَّ بداءة أقوال الله هي دراسة العبادة الناموسية؟

بلاديوس: هذا حقيقي.

كيرلس: وكون أنَّ الناموس لا يُكمِّل شيئاً (انظر عب ٧: ١٩)؛ فلأنه: "لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا" (عب ١٠: ٤)، وهو ما سوف تعرفه مباشرةً دون أدنى تعب عندما تتأمَّل في استخدام المرحضة. فقد كانت المرحضة موجودة بشكل بارز في المسكن الأول من الخيمة، حيث يغتسل فيها بالماء أولئك الذين يأتون إلى قدس الأقداس. وكان هذا الاغتسال قد فُرض -كقانونٍ- على الكهنة. وهو ما يُظهر نقص ما كان يبدو في الناموس من كمال، معلناً أنَّ التطهيرَ، إنما يكون بواسطة المعمودية التي تميِّز الجنس المقدس، أقصد هؤلاء الذين تبرروا بالإيمانَ، وهم الذين توجَّه إليهم التلميذ العظيم بقوله: "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ" (١ بط ٢: ٩).

برقع موسى

ويجب أنْ تعرف أنَّ ستارةً كانت قد امتدت حول الباب الخارجي للخيمة حتى لا يكون القدسُ عارياً وظاهراً للذين هم في الخارج، أي في القسم الأول من الخيمة حيث يوجد مذبح الناموس. وأعتقد أنَّ هذا المثال يُعلن أيضاً أنه ليس من قبيل الصدفة ألَّا يكون الناموسُ واضحاً؛ لأنَّ الحرف قد غشَّاهُ بُرقعٌ كثيف، وقد لبس غموض الظل.

بلاديوس: هكذا هو بالفعل.

كيرلس: في القسم الأول من الخيمة يوجد كلٌ من المرحضة والمذبح. أمَّا في القسم الثاني العميق من الخيمة، فيوجد التابوت والمنارة، وطبعاً مذبح البخور الذهبي حيث البخور زكي الرائحة، والمائدةُ والخبز عليها. ويذكر بولس الرسول أيضاً القسط الذهبي الذي به المنْ. كما يذكر أيضاً عصا هارون التي وُضِعت في قدس الأقداس؛ لأنَّ بولس دَرَسَ الكتب المقدسة وامتلأ بمعرفة كل ما كان قد شُرِّع في تلك الأوقات، وأُعلن لموسى الطوباوي بواسطة الكلمة.

وكان بولس يعرف أنَّ كلاً من المائدة والمنارة توجدان في المسكن الأول. وعن العهدين يكتب الآتي: "فَإِذْ قَالَ «جَدِيداً» عَتَّقَ الأَوَّلَ. وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الاضْمِحْلاَلِ ثُمَّ الْعَهْدُ الأَوَّلُ كَانَ لَهُ أَيْضاً فَرَائِضُ خِدْمَةٍ وَالْقُدْسُ الْعَالَمِيُّ، لأَنَّهُ نُصِبَ الْمَسْكَنُ الأَوَّلُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «الْقُدْسُ» الَّذِي كَانَ فِيهِ الْمَنَارَةُ، وَالْمَائِدَةُ، وَخُبْزُ التَّقْدِمَةِ. وَوَرَاءَ الْحِجَابِ الثَّانِي الْمَسْكَنُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «قُدْسُ الأَقْدَاسِ» فِيهِ مِبْخَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَتَابُوتُ الْعَهْدِ مُغَشًّى مِنْ كُلِّ جِهَةٍ بِالذَّهَبِ، الَّذِي فِيهِ قِسْطٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ الْمَنُّ، وَعَصَا هَارُونَ الَّتِي أَفْرَخَتْ، وَلَوْحَا الْعَهْدِ. وَفَوْقَهُ كَرُوبَا الْمَجْدِ مُظَلِّلَيْنِ الْغِطَاءَ. أَشْيَاءُ لَيْسَ لَنَا الآنَ أَنْ نَتَكَلَّمَ عَنْهَا بِالتَّفْصِيلِ" (عب ٨: ١٣ - ٩: ١ - ٥).

بلاديوس: ما الذي سوف نقوله إذا أراد أحدٌ أنْ يعرف أسباب وضع وصناعة كل هذه الأشياء؟

كيرلس: يا بلاديوس، لقد أمر بإنجاز أشياء معينة قبل أنْ تُصنع الخيمة المقدسة، وأشياء أخرى بعد التصنيع. ففي سفر الخروج، قبلما تظهر الأمثلة عن الخيمة المقدسة، وقبلما تُعطى الأوامر عنها، أعلن الحديث عن القسط الذهبي (راجع خر ١٦: ٣٣)، عارفاً ما سوف يصير. وفي سفر العدد، وبعد إقامة الخيمة، نجد عصا هرون وقد وُضعت في قدس الأقداس (راجع عد ١٧: ٣ - ٥). وفي سفر اللاويين أيضاً شرَّع الله الشرائع الخاصة بالمنارة وبمائدة مسكن الخيمة الأول (راجع لا ٢٤: ٤).

لقد كان بولس الحكيم يعرف الناموسَ معرفةً عميقةً حقاً، ولم يكن ليغيب



عنه أي شيء من الأحداث، لكنه يذكرها كلها. وهو لا يذكر فقط كل الأمور الأولى والأخيرة، بل وأيضاً ما بين هذه وتلك.

بلاديوس: حديثُك جيدٌ، لذا اخبرني الآن عن كل شيء بوضوحٍ وتأنٍّ؛ لأنَّ الحديثَ عن هذه الأمور لا شك عميق.

قسطُ المَنِّ

كيرلس: نعم، رأيك صائبٌ، فالحديثُ عميقٌ فعلاً.

قسط المن: سوف أبدأ حديثي عن القسط. وحقيقة الأمر هي كالآتي: لقد أعطى الله المنْ -مثل مطرٍ- للإسرائيليين في الصحراء. لذا كان المنُ بالنسبة لهم طعاماً وخبزاً من فوق، أي من السماء. لكن هذا الأمر (نزول المنِّ) -الذي صار وقتذاك- لا يتوقف عند الرؤية المادية والمحسوسة، بل يقودنا -من خلال المثال والظل- إلى الإشارة "للكلمة" الآتي من فوق، من الآب أي الخبزِ الذي من السماء[1]. وكانت هذه الرؤية هي التي قصدها داود العظيم قائلاً: "أَكَلَ الإِنْسَانُ خُبزَ الْمَلاَئِكَةِ. أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ زَاداً لِلشِّبَعِ" (مز ٧٨: ٢٥).

وطبعاً، نحن لا نقول إنَّ المنَّ المادي هو خبزٌ من السماء، أو هو خبز الملائكة؛ لأنَّ الروح تغتذي على طعامٍ روحي، كما يتغذى الجسد بطبيعته بالطعام المادي. لكن طعام الملائكة والخبز الذي يتناسب مع السموات والأرواح السماوية هو كلمة الله الآب. إذن، فالمنُّ يشير إلى المسيح. وإنْ لم تصِر هذه الحقيقة مقبولة، فالظل إذن لا يعلن شيئاً مفيداً. إذ أن الظل لم يَصِر ظلاً لعِلةٍ في ذاته، بل لكي يرمز إلى أمرٍ من الأمور الحسنة. لذلك وبَّخ المسيحُ جمعَ اليهود توبيخاً واضحاً لأنهم لم يكرِّموه بالرغم من أنه كان هو الحق، بينما كان موسى خادماً للظلال. لذلك قال لهم المسيح: "الْحَقَّ

١-القديس أمبرسيوس يقول: "هذا المَنْ هو معجزة عظيمة حيث أنزله الله إلي الآباء الأولين. لقد أطعموهم السمائيون بطعام يومي، كما هو مكتوب: "أكل الإنسان خبز الملائكة" (مز ٧٨:٥). لكن الذين أكلوا مثل هذا الطعام ماتوا في البرية. لكن الطعام الذي تقبله أنت، أي الخبز النازل من السماء، ينقل لك أساس الحياة الأبدية. إنه جسد المسيح وكما أن النور هو أعظم من الظلال والحقيقة من المثال، هكذا جسد الخالق أعظم من المَنْ السماوي". De Myst. 46. Botte. 123..
وهذا ما قاله أيضاً أغسطينوس: "المَنْ يعلن الخبز (الإفخارستي)، مذبح الله يعلن الخبز (الإفخارستي)، لكن هذان الاثنان هما فعلاً من ضمن الأسرار. الأمور الظاهرية تختلف، لكن الحقيقة هي نفسها. الطعام الجسدي هو شيء آخر، حيث أولئك أكلوا من المَنْ ونحن (نأكل) شيء آخر. لكن الطعام الروحي كان هو نفسه لأولئك ولنا نحن". PLXXXV. 1612.



الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ مُوسَى أَعْطَاكُمُ الْخُبْزَ مِنَ السَّمَاءِ، بَلْ أَبِي يُعْطِيكُمُ الْخُبْزَ الْحَقِيقِيَّ مِنَ السَّمَاءِ، لأَنَّ خُبْزَ اللهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ. فَقَالُوا لَهُ: يَا سَيِّدُ، أَعْطِنَا فِي كُلِّ حِينٍ هذَا الْخُبْزَ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَداً" (يو ٦: ٣٢ - ٣٥).

هكذا تنبَّأ اللهُ بواسطة موسى عن قسط المنِّ موضحاً إنَّ المنَّ هو صورةٌ ترمز إلى الكلمة الذي نزل من فوق، من السماء، فقد كُتِبَ الآتي: "وَقَالَ مُوسَى: هذَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ. مِلْءُ الْعُمِرِ مِنْهُ يَكُونُ لِلْحِفْظِ فِي أَجْيَالِكُمْ. لِكَيْ يَرَوْا الْخُبْزَ الَّذِي أَطْعَمْتُكُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ حِينَ أَخْرَجْتُكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: خُذْ قِسْطاً وَاحِداً وَاجْعَلْ فِيهِ مِلْءَ الْعُمِرِ مَنّاً، وَضَعْهُ أَمَامَ الرَّبِّ لِلْحِفْظِ فِي أَجْيَالِكُمْ. كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى وَضَعَهُ هَارُونُ أَمَامَ الشَّهَادَةِ لِلْحِفْظِ" (خر ١٦: ٣٢ - ٣٤).

وكما قلنا إنَّ التابوت الإلهي الذي يحتوى على الكلمة الإلهية، يُعلِنُ عن عمانوئيل؛ لأنَّ كلمةَ الله أتى إلى داخل الهيكل المقدس، أي الهيكل الذي قدَّمته العذراء. إذن، بنفس الطريقة، يُظهر القسط الذهبي[1] -الذي يحتوى في باطنه المنَّ المادي- الكلمةَ السماوي والحي، أي الذي أتى من الآب متحداً بجسدٍ مقدسٍ طاهرٍ.

وطبقاً لكلام بولس الطوباوي (انظر عب ٩: ١ - ٥)، كان القسطُ مملوءاً من المنِّ: "لأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلاَمِ اللهِ. لأَنَّهُ لَيْسَ بِكَيْلٍ يُعْطِي اللهُ الرُّوحَ" (يو ٣: ٣٤)، لأنَّ المسيحَ كُلِّيُّ الكمالِ.

إذن، كان القسطُ هناك لكي يُحفظ لأجيال بني إسرائيل؛ لأنَّ المسيحَ غيرُ فاسدٍ، بل هو باقٍ إلى الأبد، وهو حاضرٌ في كل وقت وفي كل زمانٍ، ماثلٌ أمام الرب، أي أمام أعين الآب. لأنَّ وحيدَ الجنسِ عندما صار إنساناً دخل بعد ذلك إلى قُدس الأقداس في الخيمة الأعظم والأكمل، أي في السماء لكي يظهر الآن أمام الله لأجلنا، كما هو مكتوب (انظر عب ٩: ٢٤). لأنه لا يقدِّم ذاته أمام الآب لأجل نفسه، بل يقدِّمنا في ذاته إلى الآب، بالرغم من أننا ضللنا من أمام وجه الآب بسبب مخالفة

١- أنظر ثيؤطوكية الأحد ـ القطعة الرابعة (أ) (إنثو بى بى إستامنوس / أنت هي قسط الذهب): "أنت هي قسط الذهب النقى المخفى المن في وسطه. خبز الحياة الذى نزل لنا من السماء وأعطى الحياة للعالم".



آدم، وبسبب الخطية التي مَلكَت وسادت على الكل. إذن، فقد اقتادنا المسيحُ، وبواسطته تمكَّنَّا من الحضور إلى مدخل الأقداس كما قال لنا بولس الرسول[1]. لأنه مثلما قُمنا مع المسيح، وجلسنا معه في السماويات، هكذا أيضاً نُوجد معه أمام الآب.

نكتفي إذن، بهذا الحديث عن القسط المقدس، ودعنا ننتقل -إذا أردت- إلى الحديث عن عصا هرون التي تشير إلى المسيح.

عصا هارون

بلاديوس: تملأُني الرغبةُ في هذا الحديث.

كيرلس: كان قورح وأبيرام ومعهم داثان ينحدرون من سبط لاوي. وبالرغم من أن العمل الليتورجي القانوني في الخيمة المقدسة كان قد أُوكِل إليهم بقرار من السماء، إلَّا أنهم غاروا من مجد موسى وهرون، وأرادوا أنْ يسرقوا الكرامة لذواتهم، دون أن يدعوهم الله لهذا العمل[2]. هكذا، وبينما هم تحت تأثير سيطرة وقاحةٍ شنيعة، وغيرةٍ شديدةٍ اشتكوا ضد الأخوين (موسى وهرون)، وبطريقة غير مقبولة أبعدوهما كأنهما ثيرانٌ منعزلةٌ ملقين عن كاهلهما خدمة الله، وأقنعوا فُجَّاراً آخرين لكي يتمردوا عليهما. لكن هؤلاء نالوا بالتأكيد عقابهم على كل ما أقدموا عليه؛ إذ ابتلعت الأرض -فاتحةً فاها مع أهلهم وخيمتهم وثرواتهم- هذا الجمع الحسود إلى الهاوية.

وبقرار من السماء، وليس بإرادة موسى، أخذ هرون المكان الأول في الكهنوت. وحين أراد الله المشرِّع أنْ يعلن هذا الأمر قال لموسى العظيم: ''كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخُذْ مِنْهُمْ عَصاً عَصاً لِكُلِّ بَيْتِ أَبٍ مِنْ جَمِيعِ رُؤَسَائِهِمْ حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمِ. اثْنَتَيْ عَشَرَةَ عَصاً. وَاسْمُ كُلِّ وَاحِدٍ تَكْتُبُهُ عَلَى عَصَاهُ. وَاسْمُ هَارُونَ تَكْتُبُهُ عَلَى عَصَا لاَوِي، لأَنَّ لِرَأْسِ بَيْتِ آبَائِهِمْ عَصاً وَاحِدَةً. وَضَعْهَا فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ أَمَامَ الشَّهَادَةِ حَيْثُ أَجْتَمِعُ بِكُمْ. فَالرَّجُلُ الَّذِي أَخْتَارُهُ تُفْرِخُ عَصَاهُ،

١- ''لأن به لنا كلينا قُدُوماً في روحٍ واحدٍ إلى الآب'' (انظر أف ٢: ١٨).

٢- المقصود بالعمل هنا هو عمل الكهنوت: ''وقال موسى لقورح اسمعوا يا بني لاوي. أقليلٌ عليكم أن إله إسرائيل أفرزكم من جماعة إسرائيل ليقربكم إليه لكي تعملوا خدمة مسكن الرب وتقفوا قدام الجماعة لخدمتها. فقربك وجميع اخوتك بني لاوي معك وتطلبون كهنوتاً. إذن أنت وكل جماعتك متفقون على الرب. وأما هرون فما هو حتى تتذمروا عليه'' (عدد ١٦: ٨ - ١١).



فَأُسَكِّنُ عَنِّي تَذَمُّرَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي يَتَذَمَّرُونَهَا عَلَيْكُمَا. فَكَلَّمَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَعْطَاهُ جَمِيعُ رُؤَسَائِهِمْ عَصاً عَصاً لِكُلِّ رَئِيسٍ حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمِ. اثْنَتَيْ عَشَرَةَ عَصاً. وَعَصَا هَارُونَ بَيْنَ عِصِيِّهِمْ. فَوَضَعَ مُوسَى الْعِصِيَّ أَمَامَ الرَّبِّ فِي خَيْمَةِ الشَّهَادَةِ. وَفِي الْغَدِ دَخَلَ مُوسَى إِلَى خَيْمَةِ الشَّهَادَةِ، وَإِذَا عَصَا هَارُونَ لِبَيْتِ لاَوِي قَدْ أَفْرَخَتْ. أَخْرَجَتْ فُرُوخاً وَأَزْهَرَتْ زَهْراً وَأَنْضَجَتْ لَوْزاً. فَأَخْرَجَ مُوسَى جَمِيعَ الْعِصِيِّ مِنْ أَمَامِ الرَّبِّ إِلَى جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَظَرُوا وَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ عَصَاهُ. وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: رُدَّ عَصَا هَارُونَ إِلَى أَمَامِ الشَّهَادَةِ لأَجْلِ الْحِفْظِ، عَلاَمَةً لِبَنِي التَّمَرُّدِ، فَتَكُفَّ تَذَمُّرَاتُهُمْ عَنِّي لِكَيْ لاَ يَمُوتُوا" (عد ١٧: ٢ – ١٠). إذن، كان إنباتُ عصا هرون علامةً واضحةً، واختياراً –بطريقةٍ باهرةٍ وممتازة– للقيام بالعمل المقدس؛ لأنَّ هرون العظيم كان من نسل لاوي (انظر عب ٧: ٥). لكن لو نظرنا لهذا الحدث من منظارٍ روحيٍ، لأشرق لنا سرُّ المسيح في هذه الأمثلة الغنية.

بلاديوس: كيف ذلك؟

كيرلس: لقد عُيِّن عمانوئيل حقاً كمشرِّعٍ، ورئيسِ كهنةٍ لأجلنا بواسطة الله الآب مقدِّماً ذاته ذبيحةً لأجلنا (انظر عب ٩: ١٤)؛ لأنَّ الناموس، كما يقول بولس الطوباوى: "يُقِيمُ أُنَاساً بِهِمْ ضَعْفٌ رُؤَسَاءَ كَهَنَةٍ. وَأَمَّا كَلِمَةُ الْقَسَمِ الَّتِي بَعْدَ النَّامُوسِ فَتُقِيمُ ابْناً مُكَمَّلاً إِلَى الأَبَدِ " (عب ٧: ٢٨). إذن، فقد نزل الكلمةُ من السماء وصار مشابهاً لنا، خادماً للأقداس والخيمة الحقيقية التي أقامها الرب، وليس أيُ إنسان. لكن الذين انحدروا من دم إسرائيل لم يقبلوا تدبير تجسده، وعدُّوه عدواً لهم، فضربوه بشتى الطرق، بسهام الحسد والغيرة، ولم يتورَّعوا عن استخدام اللسان والوقاحة والمبررات السخيفة ضده، بينما التعساءُ منهم انجرّوا إلى هلاك ذواتهم وحكموا عليه بالصلب.

لكن العصا التي خرجت من جذر يسى، نبتت مرةً أخرى[1]، أي قام المسيحُ ودبَّتْ فيه الحياةُ مرةً ثانيةً "ناقضاً أوجاعَ الموت" –كما هو مكتوبٌ– (انظر أع ٢: ٢٤). لقد كان حقاً هو الحياةُ بطبيعته، أي بلاهوته، فكيف يمكنُ أنْ يُمسكَ من الموت ولا ينتصر على الفساد؟!

ومثلما أُحييت العصا، ونبَتَ مرةً أخرى –بالفعل– السِّبط الميِّت، وكان هذا الأمر بالنسبة للأقدمين علامةً على أنَّ هرون قد عُيِّن رئيسُ كهنةٍ

١- "ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله" إش ١١: ١.

بقرار السماء، هكذا نستند على أنَّ البرهان الساطع والحي والكافي على أنَّ عمانوئيل هو الإلهُ بطبيعته، هو أنه داس الموت، وأنه قام من الأموات كما يليق بإلهٍ. وأنه هو نفسه المسيح الذي، بالرغم من أنه كان يمكنه -دون أي تعب- أنْ يستجيب لأولئك الذين طلبوا منه علامةً، إلَّا أنه قال: "هذَا الْجِيلُ شِرِّيرٌ. يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلَّا آيَةُ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ آيَةً لأَهْلِ نِينَوَى، كَذلِكَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضاً لِهذَا الْجِيلِ" (لو ١١: ٢٩ - ٣٠).

إذن، فقد صار من المعروف أنَّ علامةً حقيقيةً وساطعةً قد أُعطيت لكي يؤمن البشر الصُرحاء حقاً أنه هو الله بطبيعته، وإنه قد أتى من الله الآب، وأنَّ الابنَ قد أبطل الموت والفساد ونَبَتَ مرةً أخرى في الحياة. لأنَّ المسيحَ قام الآن "مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ" (١ كو ١٥: ٢٠). وأعطى علامةً لأبناء المعصية؛ لكي يعرفوا أنه -بقرارٍ من الله الآب- صار المسيحُ لأجلنا رئيسَ كهنةٍ "قُدُّوسٌ بِلاَ شَرّ وَلاَ دَنَسٍ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ" كما هو مكتوب (عب ٧: ٢٦).

بلاديوس: بالفعل، لقد أزهرت عصا هرون لأجلنا. هذا ما قالته لنا الكلمة المقدسة منذ قليل: هذه العصا أثمرت لوزاً. لكني لا أفهم ماذا يعنى هذا الرمز؟

كيرلس: ليس غريباً إطلاقاً يا بلاديوس أنْ نُشير إلى أنَّ العصا قد جاءت من شجرة اللوز. إذ اعتاد الأقدمون على استخدام مثل هذه العُصي. ولكي يجيء الحديثُ منسجماً مع التفسيرات، أُشير أيضاً إلى الأمر الذي صار تقليداً، إذ يرى البعضُ أنَّ عصا اللوز لها قوة تجلب يقظةً وسهراً، إذا ما وضعها الشخص بالقرب من رأسه، الأمر الذي يمكن أنْ يصير بقدراتٍ طبيعيةٍ بسماح من الله. وهذا الأمر يؤكده لنا كلِّيُّ المعرفة وخالق الجميع عندما تحدث مع إرميا قائلاً: "مَاذَا أَنْتَ رَاءٍ يَا إِرْمِيَا؟ فَقُلْتُ: أَنَا رَاءٍ قَضِيبَ لَوْزٍ. فَقَالَ الرَّبُّ لِي: أَحْسَنْتَ الرُّؤْيَةَ، لأَنِّي أَنَا سَاهِرٌ عَلَى كَلِمَتِي لأُجْرِيَهَا" (إر ١: ١١ - ١٢). إذاً عصا اللوز يمكن أنْ تعتبر حقاً رمزاً لليقظة والسهر. اليقظةُ من النوم إذن هي قيامة المسيح من بين الأموات. لذلك يقول المرنم على الربابة: "أَنَا اضْطَجَعْتُ وَنِمْتُ. اسْتَيْقَظْتُ لأَنَّ الرَّبَّ يَعْضُدُنِي" (مز ٣: ٥).

بلاديوس: حديثُك صادقٌ.



المنارة والمائدة

كيرلس: أمَّا المنارةُ والمائدةُ اللتان كانتا موجودتين في المسكن الأول، فمكتوبٌ عنهما الآتي: ''وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُقَدِّمُوا إِلَيْكَ زَيْتَ زَيْتُونٍ مَرْضُوضٍ نَقِيّاً لِلضَّوْءِ لإِيقَادِ السُّرُجِ دَائِماً. خَارِجَ حِجَابِ الشَّهَادَةِ فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ يُرَتِّبُهَا هَارُونُ مِنَ الْمَسَاءِ إِلَى الصَّبَاحِ أَمَامَ الرَّبِّ دَائِماً فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ. عَلَى الْمَنَارَةِ الطَّاهِرَةِ يُرَتِّبُ السُّرُجَ أَمَامَ الرَّبِّ دَائِماً. وَتَأْخُذُ دَقِيقاً وَتَخْبِزُهُ اثْنَيْ عَشَرَ قُرْصاً. عُشْرَيْنِ يَكُونُ الْقُرْصُ الْوَاحِدُ. وَتَجْعَلُهَا صَفَّيْنِ، كُلَّ صَفّ سِتَّةً عَلَى الْمَائِدَةِ الطَّاهِرَةِ أَمَامَ الرَّبِّ. وَتَجْعَلُ عَلَى كُلِّ صَفّ لُبَاناً نَقِيّاً فَيَكُونُ لِلْخُبْزِ تَذْكَاراً وَقُوداً لِلرَّبِّ. فِي كُلِّ يَوْمِ سَبْتٍ يُرَتِّبُهُ أَمَامَ الرَّبِّ دَائِماً، مِنْ عِنْدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِيثَاقاً دَهْرِيّاً. فَيَكُونُ لِهَارُونَ وَبَنِيهِ، فَيَأْكُلُونَهُ فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ، لأَنَّهُ قُدْسُ أَقْدَاسٍ لَهُ مِنْ وَقَائِدِ الرَّبِّ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً'' (لا ٢٤: ١ – ٩).

حسناً. يكون الزيتُ نقياً إذن، ويكون من الزيتون، وليس من بذورٍ أخرى أرضية، والتي يخرجون منها –بالعصر، زيتاً ليس نقياً تماماً، بل– زيتاً مُخلَّقاً. فالنور داخل الكنائس دائماً ما يكون نقياً وأصيلاً. ونورُ المسيح بواسطة الروح القدس يظل ظاهراً ومنيراً حتى وإنْ كان يُخدم بواسطة القديسين الذين قال لهم المسيح: ''أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ'' (مت ٥: ١٤). وليس ذلك غريباً على الإطلاق؛ لأنَّ أولئك دعاهم إخوةً، وجعلهم شركاءه، ومنح لهم مجده.

هكذا، أنار المصباح في المسكن الأوَل. ولهذا الأمر معنىً مزدوجاً. ففي المسكن الداخلي سبعةُ مصابيح تنير في الصباح وتُرسل نوراً عظيماً لأولئك الذين يدخلون إلى المسكن. المصباحُ كان هو المسيحُ الذي أشرق على الذين أرادوا أنْ يدخلوا إلى قدس الأقداس بنورٍ وفيرٍ ''نَظَرُوا إِلَيْهِ وَاسْتَنَارُوا'' (مز ٣٤: ٥).

كما تعني إنارة المصابيح حتى الصباح، موعد التأنُّس. لأنه أشرق كالنهار، ولمع بنورٍ ذهني طارداً ظلام الجهل القديم، ومبدداً مثل الليل الضباب الذي انقضَّ على قلوب الجميع. هكذا ترجَّى النبي من أجل قدوم الرب قائلاً: ''يَا رَبُّ، بِالْغَدَاةِ تَسْمَعُ صَوْتِي. بِالْغَدَاةِ أُوَجِّهُ صَلاَتِي نَحْوَكَ وَأَنْتَظِرُ'' (مز ٥: ٣). أي منذ أنْ صارت صلواتنا مقبولة، إذ كنا قديماً ضالين، أمَّا الآن فإننا



نتقدم إلى الله في تضرعٍ وروحانية وطاعة وإيمان، حيث أشرق علينا نورٌ من السماء، أي المسيح.

إذن، في الخيمة الداخلية يوجد نورٌ نقيٌ وغنيٌ. ففي المسكن الأول أنار المصباح مُظهراً أنَّ أولئك الذين يسلكون بحسب الناموس، لا يحيون بدون النور الإلهي، هذا يعلن الأمر كله. لأنَّ الناموس الموسوي دعا الشعب من عبادة الآلهة إلى معرفة الله الحقيقي بطبيعته، وبذلك منع الأقدمين من أنْ يعبدوا المخلوق دون الخالق، وهذا ما لم تستطع تلك الأنفس (أى الذين عبدوا المخلوقات) -التي كانت تحيا بدون النور الذهني- أنْ تحققه.

ويمكنني أنْ أقول أيضاً إنَّ إنارة المسيح لهؤلاء الموجودين في قدس الأقداس، غنيةٌ ووفيرةٌ، لكنها أقل بالنسبة لأولئك الذين يحيون بالناموس. وهذا القول صادقٌ، لأنه لا يتساوى -بأي شكلٍ- ظِلُّ الناموس مع التعاليم الإنجيلية من جهة البهاء الروحي؛ لأنَّ هذه التعاليم تشرق على كل المسكونة، بينما الناموس كان مقتصراً فقط على الإسرائيليين.

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب.

كيرلس: لكن يبدو يا بلاديوس إنَّ المائدة والمصباح اللذان كانا في المسكن الأول يشيران إلى أمور أخرى.

بلاديوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: يرمز المصباح إلى يوحنا المعمدان، بينما يشير الاثنا عشر رغيفاً الموضوعين فوق المائدة إلى الاثنى عشر رسولاً.

بلاديوس: كيف؟

كيرلس: ألا تعرف أنَّ يوحنا المعمدان الذي سبق المسيح، كان لأولئك الذين يحيون بحسب الناموس كمثل المصباح، وعنه أعلن الله الآب ''رَتَّبْتُ سِرَاجاً لِمَسِيحِي'' (مز ١٣٢: ١٧)؟ والمخلِّص نفسه أعطى تأكيداً قائلاً لقادة اليهود: ''كَانَ هُوَ السِّرَاجَ الْمُوقَدَ الْمُنِيرَ، وَأَنْتُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبْتَهِجُوا بِنُورِهِ سَاعَةً'' (يو ٥: ٣٥).

إذاً لاحظ كيف جعلنا بولس الطوباوي -الذي كان عارفاً بالناموس- نتذكر مصباح المسكن الأول. فقد أمر المشرِّع أنْ يكون المصباح منيراً قائلاً: ''أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُقَدِّمُوا إِلَيْكَ زَيْتَ زَيْتُونٍ مَرْضُوضٍ نَقِيّاً لِلضَّوْءِ لإِيقَادِ



السُّرُجِ دَائِماً. خَارِجَ حِجَابِ الشَّهَادَةِ فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ يُرَتِّبُهَا هَارُونُ مِنَ الْمَسَاءِ إِلَى الصَّبَاحِ أَمَامَ الرَّبِّ دَائِماً فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ" (لا ٢٤: ٢ - ٣).

لقد استمتع اليهود -في وقت وجيز سريع- بنوره، إذ أسرعوا إلى المعمودية التي منحها إياهم، وبينما كانوا معجبين به كثيراً، سلَّموه إلى الموت وأطفئوا المصباح الذي كان دائماً منيراً. وإنْ قالوا إنَّ هيرودس كان متهوراً في مسألة قتله، أقول إنَّ هيرودس أيضاً كان له أصلٌ مشترك مع اليهود، لذلك قال المسيح مشتكياً وقاحة اليهود ضد أي نبي: "لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَهْلِكَ نَبِيٌّ خَارِجاً عَنْ أُورُشَلِيمَ" (لو ١٣: ٣٣).

بلاديوس: بالتالي، كان المصباح -قياساً على التشبُّه بالمسيح- بالنسبة للذين عاشوا بالناموس في إسرائيل، يشير إلى يوحنا المعمدان.

كيرلس: هكذا أقول. وعلى ذات القياس، نقول إنه يجب أنْ ندرك أنَّ الأثنى عشر رغيفاً يشيرون للرسل القديسين؛ لأنَّ واحداً هو الخبز الحقيقي السماوي والحي، أمَّا الأرغفة، فهي تشير إلى المعلِّمين الإلهيين اللذين يمنحون التقوى بالتشبُّه بالمسيح الخبز الحقيقي والطبيعي والمتَّحد بهم، إذ يضعون في نفوسنا كلام الحياة، ويسدُّون جوعَ نفوسِ المؤمنين إلى المعرفة. وتتساوى الأرغفة في العدد مع التلاميذ؛ لأنَّ الأرغفة كانت اثنتا عشرة موضوعة في مجموعتين: ستةٌ على جانب واحد، وستةٌ أخرى على الجانب الآخر بطريقة دائرية، وفي المنتصف لدينا رغيفٌ من السماء[1]، أي المسيح. وكل رغيف كان من عُشرين (انظر لا ٢٤: ٥)، أي من قياسين كاملين. لأنَّ التلاميذ الرسل كانوا كاملين في الأمرين[2]، وكانوا أرغفةً من جهة كل صلاحٍ، بارعين في عملهم وفي حديثهم.

أيضاً كان اللُّبان والملح يُرشَّان فوق الخبز. واللُّبان كان يُشير إلى عطر نقاوة ورائحة المسيح الذكية، ويُشير الملح إلى رجاحة العقل. إذ كان حديثُ

١- لا يتكلم نص سفر اللاويين بالطبع عن رغيف في الوسط، ولكن القديس كيرلس إذ يرى في الخبز الموضوع على المذبح رمزاً مسبقاً للإفخارستيا، يتجاوز هذا النص بخصوص رؤيته للخبز الحي الحقيقي؛ فلا يرى التلاميذ إلا وهم محيطون بالمسيح، والمسيح منهم في مركز الوسط، فيستوحي منظر العشاء الإفخارستي الذي كان فيه المسيح الخبز الحي الحقيقي -باعتباره رغيفاً من السماء- في الوسط، ومن حوله تلاميذه في منظر يصف فيه الكنيسة التي تجتمع مع رأسها؛ لأن الأرغفة الاثنا عشر لا قيمة لها بدون الرغيف الواحد، فمنه تستمد قوتها وفاعليتها. (المترجم)

٢- أي في العمل والكلام كما يوضح هو فوراً.

القديسين مملوءاً بالفرح والاتزان، ومصلّحاً بملح كما هو مكتوب (انظر كو ٤: ٦)، ويعطي نعمة لهؤلاء الذين يسمعونه (انظر أف ٤: ٢٩). أيضاً قال لهم المسيح: "أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ" (مت ٥: ١٣).

وكان وضع الأرغفة فوق المائدة يصير في يوم السبت؛ لأنَّ تكليف الرسل كان وقت السبت العقلي، أي وقت حضور المسيح، والذي بسبب عدم فهم اليهود له، قال لهم بولس الرسول: "لأَنَّهُ لَوْ كَانَ يَشُوعُ قَدْ أَرَاحَهُمْ لَمَا تَكَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ يَوْمٍ آخَرَ. إذاً بَقِيَتْ رَاحَةٌ لِشَعْبِ اللهِ!" (عب ٤: ٨ – ٩). لأنهم لم يأتوا إلى راحته طالما أنهم لم يؤمنوا به. إذاً يوم الراحة العقلي والحقيقي هو وقت قدوم المخلّص.

كما إنَّ وضع الأرغفة سوف يصير أمام الله وأمام الإسرائيليين؛ لأنه يقول: "فِي كُلِّ يَوْمِ سَبْتٍ يُرَتِّبُهُ أَمَامَ الرَّبِّ دَائِماً مِنْ عِنْدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِيثَاقاً دَهْرِيّاً" (لا ٢٤: ٨)، لأنَّ الربَ سوف يرى هؤلاء القديسين ويعلن استحقاقهم وهم تحت بصره دائماً. لأنه يقول: "عيون الرب حالة حول الأبرار" (مز ٣٤: ٧س). وهكذا يكون على الإسرائيليين أنْ يلاحظوا هؤلاء، وأنْ تتجه عيون ذهنهم إليهم، وذلك على مثال العين الجسدية.

ويقول أيضاً: "فَيَكُونُ لِهَارُونَ وَبَنِيهِ فَيَأْكُلُونَهُ فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ لأَنَّهُ قُدْسُ أَقْدَاسٍ لَهُ مِنْ وَقَائِدِ الرَّبِّ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً»" (لا ٢٤: ٩). أي أنَّ كتابات الرسل القديسين التي كتبوها لأجلنا وُضِعَت أمامَنا لغذائنا نحن الذين خلُصنا بالإيمان، وصرنا جنساً مقدساً وشعباً خاصاً له يرعانا بعنايته، ومختارين ومختومين بنعمة الروح القدس (انظر ١ بط ٢: ٩).

بلاديوس: إنَّ حديثَك جيدٌ، لذا أوافقك على ما تقول. لكن ما هو السبب في عدم وجود نماذج أو أمثلة تشير إلى يوحنا المعمدان والرسل القديسين في قدس الأقداس، بل ولا حتى في المسكن الأول؟

كيرلس: لأنَّ كثيراً من هذه النماذج كانت تُشير بشكل مشترَك للقديسين وللمسيح، لكن حيث يكون المسيح، يجيء القديسون في مرتبةٍ ثانيةٍ؛ لأنَّ كل ما يخص الله يكون بعيداً ومنفصلاً تماماً عن الأمور البشرية، والحديثُ يُظهر أنَّ طبيعة ومجد المسيح يختلفان تماماً عما هو للقديسين. ولما كانت هذه

النماذج قد جاءت من العبادة الناموسية، لذا فإنَّ مكان هذه الأمثلة هو المسكن الأول حيث يوجد مذبح المحرقة كمثالٍ ونموذج. ألم تَصِر دعوة التلاميذ القديسين من بين جنس الإسرائيليين، وبالتالي تبدو وكأنها من المسكن الأول؟

بلاديوس: حسناً جداً.

المسكن الأول والثاني

كيرلس: إذاً، طالما أنَّ الحديث عن هذه الأمور كان كافياً ومرضياً، دعنا نضيف -إذا أردت- ما قاله بولس الرسول حيث أعلن -بطريقةٍ مناسبةٍ- الشهادةَ عن المسكن الأول والثاني. فقد كتب الآتي: ”ثُمَّ إِذْ صَارَتْ هذِهِ مُهَيَّأَةً هكَذَا، يَدْخُلُ الْكَهَنَةُ إِلَى الْمَسْكَنِ الأَوَّلِ كُلَّ حِينٍ، صَانِعِينَ الْخِدْمَةَ. وَأَمَّا إِلَى الثَّانِي فَرَئِيسُ الْكَهَنَةِ فَقَطْ مَرَّةً فِي السَّنَةِ، لَيْسَ بِلاَ دَمٍ يُقَدِّمُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ جَهَالاَتِ الشَّعْبِ، مُعْلِناً الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهذَا أَنَّ طَرِيقَ الأَقْدَاسِ لَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ، مَا دَامَ الْمَسْكَنُ الأَوَّلُ لَهُ إِقَامَةٌ، الَّذِي هُوَ رَمْزٌ لِلْوَقْتِ الْحَاضِرِ، الَّذِي فِيهِ تُقَدَّمُ قَرَابِينُ وَذَبَائِحُ، لاَ يُمْكِنُ مِنْ جِهَةِ الضَّمِيرِ أَنْ تُكَمِّلَ الَّذِي يَخْدِمُ، وَهِيَ قَائِمَةٌ بِأَطْعِمَةٍ وَأَشْرِبَةٍ وَغَسَلاَتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَفَرَائِضَ جَسَدِيَّةٍ فَقَطْ، مَوْضُوعَةٍ إِلَى وَقْتِ الإِصْلاَحِ. وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ، فَبِالْمَسْكَنِ الأَعْظَمِ وَالأَكْمَلِ، غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هذِهِ الْخَلِيقَةِ، وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُول، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيّاً“ (عب ٩: ٦ - ١٢).

أرأيت إذاً أنَّ الطقوس في المسكن الأول كان يتممها الكهنةُ الذين ليس لهم حق الدخول إلى قدس الأقداس. هكذا تكون العبادة بحسب الناموس؛ لأنها حُصِرت في الظلال.

وهذه الطقوس أيضاً لا فائدة لها من جهة التطهير والاغتسال من الخطايا. فقد سمعت منذ قليل بولس يصرخ قائلاً: ”لاَ يُمْكِنُ مِنْ جِهَةِ الضَّمِيرِ أَنْ تُكَمِّلَ الَّذِي يَخْدِمُ“ (عب ٩: ٩). ولقد حفظوا هذا الطقس إلى أنْ جاء وقت الإصلاح (التقويم) أي تأنُّس وحيد الجنس، حين تركت الظلال مكانها للحقيقة: ”وَأَمَّا إِلَى الثَّانِي فَرَئِيسُ الْكَهَنَةِ فَقَطْ مَرَّةً فِي السَّنَةِ، لَيْسَ بِلاَ دَمٍ يُقَدِّمُهُ



عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ جَهَالاَتِ الشَّعْبِ'' (عب ٩: ٧). وسوف يوضح بولس الرسول هذا الأمر قائلاً عن المسيح: ''إِذْ يَقُولُ آنِفاً:إِنَّكَ ذَبِيحَةً وَقُرْبَاناً وَمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُرِدْ وَلاَ سُرِرْتَ بِهَا. الَّتِي تُقَدَّمُ حَسَبَ النَّامُوسِ. ثُمَّ قَالَ: هنَذَا أَجِيءُ لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا أَللهُ. يَنْزِعُ الأَوَّلَ لِكَيْ يُثَبِّتَ الثَّانِيَ. فَبِهذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً. وَكُلُّ كَاهِنٍ يَقُومُ كُلَّ يَوْمٍ يَخْدِمُ وَيُقَدِّمُ مِرَاراً كَثِيرَةً تِلْكَ الذَّبَائِحَ عَيْنَهَا، الَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ الْبَتَّةَ أَنْ تَنْزِعَ الْخَطِيَّةَ. وَأَمَّا هذَا فَبَعْدَمَا قَدَّمَ عَنِ الْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً، جَلَسَ إِلَى الأَبَدِ عَنْ يَمِينِ اللهِ، مُنْتَظِراً بَعْدَ ذلِكَ حَتَّى تُوضَعَ أَعْدَاؤُهُ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْهِ. لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ'' (عب ١٠: ٨ - ١٤). لأنه مات مرةً واحدةً بحسب الكتب (انظر رو ٦: ٩). ولأنه حمل خطايا كثيرين، ''لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ الْحَقِيقِيَّةِ، بَلْ إِلَى السَّمَاءِ عَيْنِهَا، لِيَظْهَرَ الآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ لأَجْلِنَا'' (عب ٩: ٢٤).

بلاديوس: كل ما تقوله واضحٌ. لكن الآن حوّل اجتهادك إلى أمرٍ آخر. فماذا يعنى أيضاً ذلك الدم الذي كان عادةً ما يقدِّمه عن نفسه وعن جهالات الشعب؟ أريدك أنْ تجيب على هذا السؤال؟

تقدمات الذبائح الدموية

كيرلس: لأنَّ بولس كان عارفاً بالناموس، وكان قد درس بدقة وصايا موسى، تكلم إلى اليهود مقتبساً دائماً شواهد كثيرة من الكتاب ليذكِّرهم بأمورٍ معروفةٍ عندهم، لذا تجنَّب السرد الموسَّع المتعلِّق بالأمور التقوية والسرية. وهذا شيءٌ طبيعيٌ باعتبار أنَّ اليهود أيضاً كانوا عارفين بالناموس.

سوف أتحدث -إذا أردت- عن الناموس لمن يتوق إلى معرفة الأمور المفيدة ويبتغي الدقة والمرونة في توضيح الشروحات. مكتوب في سفر اللاويين: ''وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: إِذَا أَخْطَأَتْ نَفْسٌ سَهْواً فِي شَيْءٍ مِنْ جَمِيعِ مَنَاهِي الرَّبِّ الَّتِي لاَ يَنْبَغِي عَمَلُهَا، وَعَمِلَتْ وَاحِدَةً مِنْهَا: إِنْ كَانَ الْكَاهِنُ الْمَمْسُوحُ يُخْطِئُ لإِثْمِ الشَّعْبِ، يُقَرِّبُ عَنْ خَطِيَّتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ ثَوْراً ابْنَ بَقَرٍ صَحِيحاً لِلرَّبِّ، ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ. يُقَدِّمُ الثَّوْرَ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ أَمَامَ الرَّبِّ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الثَّوْرِ، وَيَذْبَحُ الثَّوْرَ أَمَامَ الرَّبِّ. وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ الْمَمْسُوحُ مِنْ دَمِ الثَّوْرِ وَيَدْخُلُ بِهِ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، وَيَغْمِسُ الْكَاهِنُ إِصْبَعَهُ فِي الدَّمِ وَيَنْضِحُ مِنَ الدَّمِ

سَبْعَ مَرَّاتٍ أَمَامَ الرَّبِّ لَدَى حِجَابِ الْقُدْسِ. وَيَجْعَلُ الْكَاهِنُ مِنَ الدَّمِ عَلَى قُرُونِ مَذْبَحِ الْبَخُورِ الْعَطِرِ الَّذِي فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ أَمَامَ الرَّبِّ، وَسَائِرُ دَمِ الثَّوْرِ يَصُبُّهُ إِلَى أَسْفَلِ مَذْبَحِ الْمُحْرَقَةِ الَّذِي لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. وَجَمِيعُ شَحْمِ ثَوْرِ الْخَطِيَّةِ يَنْزِعُهُ عَنْهُ. الشَّحْمَ الَّذِي يُغَشِّي الأَحْشَاءَ، وَسَائِرَ الشَّحْمِ الَّذِي عَلَى الأَحْشَاءِ، وَالْكُلْيَتَيْنِ وَالشَّحْمَ الَّذِي عَلَيْهِمَا الَّذِي عَلَى الْخَاصِرَتَيْنِ، وَزِيَادَةَ الْكَبِدِ مَعَ الْكُلْيَتَيْنِ يَنْزِعُهَا، كَمَا تُنْزَعُ مِنْ ثَوْرِ ذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ. وَيُوقِدُهُنَّ الْكَاهِنُ عَلَى مَذْبَحِ الْمُحْرَقَةِ. وَأَمَّا جِلْدُ الثَّوْرِ وَكُلُّ لَحْمِهِ مَعَ رَأْسِهِ وَأَكَارِعِهِ وَأَحْشَائِهِ وَفَرْثِهِ فَيُخْرِجُ سَائِرَ الثَّوْرِ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ إِلَى مَكَانٍ طَاهِرٍ، إِلَى مَرْمَى الرَّمَادِ، وَيُحْرِقُهَا عَلَى حَطَبٍ بِالنَّارِ. عَلَى مَرْمَى الرَّمَادِ تُحْرَقُ" (لا ٤: ١ - ١٢).

هذا هو ما أمر به الناموس إذا أخطأ الكاهن عن جهل. أيضاً يتم تقديم ذبيحة ثور عن خطايا الشعب عن جهل، ويُذبح الثور عند باب خيمة الشهادة أمام الرب حيث يضع كهنة الخدمة أيديهم فوقه، ويُنقل دمه داخل قدس الأقداس. ولكي أُبسِّط الأمر أقول إنَّ كل ما كان يتمم (سواء بالنسبة للكهنة أو للشعب)، إنما كان يتم بوضع الأيدي فوق الذبيحة كمثل الذبيحة المقدمة عن هارون. أمَّا (معطي) الطهارة لكلٍ من الكهنة والشعب، فهو المسيح؛ "لأنه خلّصنا، وصرنا طاهرين من دنس الخطية بواسطته". وهذا ما سوف يصير واضحاً لكل واحدٍ منَّا من خلال ما سيجيء من شروحات. لأننا سنتعرَّض بالشرح لكل أمر من الأمور التي كُتبت بالتفصيل. ولسوف يمضي حديثي بوضوح وتوسُّع بقدر المستطاع، ليجيب على ما كان خفياً في هذه الأمور.

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب.

كيرلس: إذاً يأخذون الثور[1] الذي بلا لوم، وهو يرمز إلى المسيح، الذي هو حقاً

١ـ سبق للقديس كيرلس أثناء حديثه عن نبؤة يعقوب: "شمعون ولاوي أخوان. آلات ظُلم سيوفهما. في مجلسهما لا تدخل نفسي. بمجمعهما لا تتحد كرامتي. لأنهما في غضبهما قتلا إنساناً وفي رضاهما عرقبا ثوراً. ملعون غضبهما فإنه شديد وسخطهما فإنه قاس. أقسِّمهما في يعقوب وأفرقهما في إسرائيل" (تك٤٩:٥ـ٧)، التأكيد على ان الثور يرمز إلى المسيح، إذ يقول: "انتبه، إذن، إلى المفهوم العميق لهذا الحديث. لأنه يقول، قتلوا إلبشر وعرقبوا الثور. قتلوا ـ إذن ـ القديسين الذين ماتوا على رجاء القيامة المنتظرة. لكنه كمثل ثورٍ قد عرقبه نِسر، فقد أنهِك المسيح ووقع على الأرض محتملاً بإرادته موت جسده لكنه لم يُمسَك في قبضة الموت بل ظلّ حياً بلاهوته. وُصِف المسيح بالثور لأن هذا الحيوان قوي جداً وطاهر ومقدس. والابن هو رب القوات الذي لم يرتكب خطية (انظر ١بط٢:٢٢)، بل بالحري قدَّم ذاته لأجلنا لله الآب رائحة طيبة (انظر أفسس ٥:٢)" جيلافيرا على سفر التكوين، الكتاب الشهري، سبتمبر ٢٠٠٨.

بلا لوم لأنه لم يعاني من جُرح الخطية، لأنه مكتوب: "رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ" (يو ١٤: ٣٠) وهو "لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ" كما هو مكتوب (١ بط ٢: ٢٢).

حسناً، يُساق الثور بالقرب من أبواب الخيمة أمام الرب دون أنْ يعترض على التألمُّ، من أجل الخيمة المقدسة، أي الكنيسة التي كرَّس المسيح نفسه لأجلها كرائحةٍ زكيةٍ أمام الله الآب. لذلك قال: "وَلأَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي" (يو ١٧: ١٩)، وهو يستخدم "أقدِّس" بدلاً من "أُقدِّم وأُكرِّس تقدمةً بلا لوم لله الآب". لأنَّ ما يُكرَّس لله مكتوبٌ عنه "يُقدَّس": "هُوَ شَرَكٌ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَلْغُوَ قَائِلاً: «مُقَدَّسٌ»، وَبَعْدَ النَّذْرِ أَنْ يَسْأَلَ" (أم ٢٠: ٢٥). وأمَّا أنْ تكون التقدمة مقبولة وحسنة عند الله، فهو ما تعلنه عبارة "أمام الرب". هل أدركت الآن ما سبق أنْ كُتِبَ عن الأخوين، أقصد قايين وهابيل؛ لأنه مكتوب: "فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ، وَلكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ" (تك ٤: ٤ – ٥). فمن الواضح أنه نظر إلى ما يسُرَّه، ولكنه يكره ولا يلتفت إلى العكس. فعندما تستند أيدي ذاك الذي فعل الخطية فوق الثور، عندئذٍ يصير الذبح، وحسناً "أمام الرب"؛ لأنَّ "عَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا" (إش ٥٣: ١١) وهو مذبوحٌ. اليد هنا مثالٌ للعمل والأعمال. هكذا ذبحه يصير أمام الرب، معطياً بذلك إشارة إلى موافقة الآب على أنه يجب أنْ يموت الابن، ولم يرفع نظره بينما كان يُذبح. لكنه على أية حال، لا يستعذب الألم[1] الذي تعانيه الذبيحة ويثني عليه، إلَّا أنه يعرف أنَّ ألم عمانوئيل هو لأجل خلاص العالم. إذاً، فقد حمل المسيح خطايانا، وتألَّمَ لأجلنا مُحتملاً الذبح فوق الصليب الكريم.

وبعد ذلك يأخذ الكاهنُ الدمَ بأُصبعه ويرُش سبعُ مراتٍ حجابَ القُدسِ الذي كان يغطي التابوت الذي كان يُدعى كفَّارةً. ويمسح قرون مذبح البخور، أي صار المسيحُ كفَّارةً لأجلنا، وذبيحة تكفير. وبدم العهد الأبدي منحنا كمال التطهير. لأنَّ هذا هو ما يقصده برش الدم سبعُ مراتٍ لدى حجاب القُدس؛ لأنَّ العدد سبعة هو رمز الكمال. فقد أفاح موته رائحةَ خلاص العالم الزكية، والإيمان بالاقتراب منه. لأنه طبقاً للكتب

١- ينفي القديس كيرلس عن الآب أنه يستعذب الألم بل هو يدرك تماماً أن في موت الإبن خلاص للعالم كله.



المقدسة ''إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ، فَالْجَمِيعُ إِذاً مَاتُوا. وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ'' (٢كو ٥: ١٤ - ١٥). بالتالي فإنَّ مسح مذبح البخور بالدم يعلن رائحة الموت الزكية. والدم الباقي يُرشُّ أسفل مذبح المحرقة (أي على قاعدته) الذي يوجد في المسكن الأول. ويُشير الدم طبعاً إلى النفس، وعمانوئيل لم يبذل نفسه لأجل كنيسة الأمم فقط، بل لأولئك الذين عاشوا بالناموس، أي للإسرائيليين. لأن الجميع قد تحرروا بدم المسيح: يونانيون ويهود، ويؤكد هذا بولس الرسول حين قال: ''أَمِ اللهُ لِلْيَهُودِ فَقَطْ؟ أَلَيْسَ لِلأُمَمِ أَيْضاً؟ بَلَى، لِلأُمَمِ أَيْضاً لأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ، هُوَ الَّذِي سَيُبَرِّرُ الْخِتَانَ بِالإِيمَانِ وَالْغُرْلَةَ بِالإِيمَانِ'' (رو ٣: ٢٩ - ٣٠).

وبعد نزع الشحم من الأحشاء ووضعها على المذبح، يتم حرق بقية جسد الثور خارج الخيمة. هكذا تكون الذبيحة المقدسة التي تفوح بالفضائل التي رُمز إليها بالأحشاء، لأن الفضائل تكون مختفيةٌ في داخلنا وساكنةٌ في ذهننا. هذا هو المسيح الذي عانى خارج الباب، وبموت جسده يطهِّر الأدناس لأنه يقول: ''إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى الْمُنَجَّسِينَ يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ'' (عب ٩: ١٣). بالتالي، تفوح رائحة عمانوئيل الذي هو واحدٌ في الخيام المقدسة، أي الكنائس. لقد تألَّمَ أيضاً خارج الباب حيث يجب علينا أن نخرج ونحمل عاره كما قال بولس الرسول (انظر عب ١٣: ١٣).

وكان الثور أيضاً يُقدم من أجل خطايا الشعب عن جهل في درجة مساوية (لما يُقدَّم من أجل الكهنة)، وهكذا كان سبب تقديم الذبيحة واحدٌ للجميع (أي للشعب والكهنة). بنفس الطريقة إذن قدَّم عمانوئيل نفسه للصغار والكبار، للشعب والكهنة. أليس ما أقوله صحيح؟

بلاديوس: كيف لا ؟!!

كيرلس: حسناً، هل تريد أنْ نرجع بحديثنا إلى الكلام المتعلق بالخيمة؟

بلاديوس: نعم أريد جداً.

تقديس الخيمة وآنيتها

كيرلس: عندما انتهوا من إتمام كل الأعمال بوضع كل آنية من الأواني في مكانها اللائق، أمر الرب أنْ تتقدس هذه الآنية والخيمة قائلاً لموسى: "وَتَصْنَعُهُ دُهْناً مُقَدَّساً لِلْمَسْحَةِ. عِطْرَ عِطَارَةٍ صَنْعَةَ الْعَطَّارِ. دُهْناً مُقَدَّساً لِلْمَسْحَةِ يَكُونُ. وَتَمْسَحُ بِهِ خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ، وَتَابُوتَ الشَّهَادَةِ، وَالْمَائِدَةَ وَكُلَّ آنِيَتِهَا، وَالْمَنَارَةَ وَآنِيَتَهَا، وَمَذْبَحَ الْبَخُورِ، وَمَذْبَحَ الْمُحْرَقَةِ وَكُلَّ آنِيَتِهِ، وَالْمِرْحَضَةَ وَقَاعِدَتَهَا. وَتُقَدِّسُهَا فَتَكُونُ قُدْسَ أَقْدَاسٍ. كُلُّ مَا مَسَّهَا يَكُونُ مُقَدَّساً" (خر ٣٠: ٢٥ - ٢٩).

أرأيت إذاً التابوت ممسوحاً بالزيت المقدس، وطبعاً المائدة والمصباح فوقها، وأيضاً المذبح الذهبي. بالطبع، سبق لنا أنْ أوضحنا -بعرضٍ مطوَّلٍ- أنها ترمز لعمانوئيل بالفعل.

بلاديوس: هذا حق.

كيرلس: حسناً تأمل ما يترنم به داود عنه: "أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ" (مز ٤٥: ٧). أيضاً بولس الرسول يكتب: "لأَنَّ الْمُقَدِّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ" (عب ٢: ١١). ويجب أن نعرف -طبقاً لهذا القول الذي بلا عيب- أنَّ المسيح الذي يمنح القداسة ويعطيها للجميع لأنه إلهٌ، مع الله الآب، إنما يتقدَّس معنا كإنسان، وهذا هو الإخلاء (انظر فيلبى ٦: ٢ - ٧). فقد قِيل عَمَنْ هو بطبيعته قدوس لأنه الإله: إنه احتاج إلى الله ليقدِّسه. وهذا ما يقوله بطرس الطوباوي: "يَسُوعُ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ مَسَحَهُ اللهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ" (أع ١٠: ٣٨). إذاً، المسحةُ وتقديس الجسد يخصان بشريته، أي (ناسوت) المسيح الذي هو قدوسٌ؛ لأنه من جهة لاهوته هو واحد مع الله الآب، أمَّا التقديس بالنسبة للمخلوقات، فيأتي من الخارج بقبول النعمة الغنية من الله.

إذن، يُمسح مذبح العبادة الناموسية مع كل الأشياء؛ لأنَّ الناموسَ مقدسٌ أيضاً، إذ يدعو إلى معرفة الله، ويمنح مستمعيه معرفة البر، ويرشد أولئك الذين يقودهم إلى بداية الصلاح؛ لأنه يقول: "بداية الحياة الفاضلة هي أن يفعل المرء البر" (أم ١٦: ٥ س). كما قال بولس الرسول أيضاً: "إِذاً النَّامُوسُ مُقَدَّسٌ، وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ" (رو ٧: ١٢). والناموسُ مقدسٌ، ليس

طبعاً بكونه ظلاً للخيرات العتيدة، بل بالمفهوم الروحي لتلك الظلال. لأن هذه النماذج والظلال تصرخ عندئذٍ بأنها تشير إلى المسيح قدُّوسُ القدِّيسين حقاً؛ إذ أنه يُقدِّس كالله ماسحاً -بالروح نفسه- هؤلاء الذين يشاركونه بالإيمان.

هكذا أُقيمت الخيمة المقدسة، ومُسحت بالكامل بالزيت المقدس، علينا إذن أنْ نتحدث -إذا أردت- عما صار بعد هذه الأمور.

بلاديوس: أريد طبعاً.

الحضور الإلهي في الخيمة

كيرلس: مكتوب الآتي: ”ثُمَّ غَطَّتِ السَّحَابَةُ خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ وَمَلأَ بَهَاءُ الرَّبِّ الْمَسْكَنَ. فَلَمْ يَقْدِرْ مُوسَى أَنْ يَدْخُلَ خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ، لأَنَّ السَّحَابَةَ حَلَّتْ عَلَيْهَا وَبَهَاءُ الرَّبِّ مَلأَ الْمَسْكَنَ. وَعِنْدَ ارْتِفَاعِ السَّحَابَةِ عَنِ الْمَسْكَنِ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَرْتَحِلُونَ فِي جَمِيعِ رِحْلاَتِهِمْ. وَإِنْ لَمْ تَرْتَفِعِ السَّحَابَةُ لاَ يَرْتَحِلُونَ إِلَى يَوْمِ ارْتِفَاعِهَا، لأَنَّ سَحَابَةَ الرَّبِّ كَانَتْ عَلَى الْمَسْكَنِ نَهَاراً. وَكَانَتْ فِيهَا نَارٌ لَيْلاً أَمَامَ عُيُونِ كُلِّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ فِي جَمِيعِ رِحْلاَتِهِمْ“ (خر ٤٠: ٣٤ - ٣٨).

عندما جاءت الخيمة المقدسة والحقيقية -أي الكنيسة التي من الأمم- إلى العالم، واستنارت بنور المسيح، والسحابة كظلٍّ روحيٍّ من السماء، أغدقت علينا بفرحٍ غنى غَمَرَ هيكل الله. وعندما يقول إنَّ موسى لم يستطع أنْ يدخل، فهذا يعني أنَّ بني إسرائيل لم يدخلوا لأنهم لم يستطيعوا أنْ يحتملوا النور الإلهي. على الجانب الآخر، لم يفهموا سر المسيح، ولا قَبِلوا الاستنارة الروحية، ولا رأوا -بأعين الذهن- مجد الرب الذي ظهر في مثال السحابة.

عندما ارتحل الرب من العالم ومضى إلى فوق، نرتحل نحن معه تابعين آثاره الربانية، لأنه دشَّنَ لأجلنا طريقاً جديداً وحيَّاً، أقصد الطريق الذي يقود إلى فوق، أي إلى السماء. وعندما استراح، استرحنا نحن معه، وظللنا بالقرب منه. هكذا عندما ارتحلت السحابة ارتحل معها الشعب، بينما عندما ظلت في مكانها بقي الشعب لأنه يقول: ”لأَنَّ سَحَابَةَ الرَّبِّ كَانَتْ عَلَى الْمَسْكَنِ نَهَاراً. وَكَانَتْ فِيهَا نَارٌ لَيْلاً أَمَامَ عُيُونِ كُلِّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ فِي جَمِيعِ

رِحْلاَتِهِمْ" (خر ٤٠: ٣٨). وهو ما يعني أنَّ المسيحَ يملأ مَن هم أحياءٌ بغنى المواهب الروحية كأنهم في نور النهار لأنهم اختاروا أنْ يعرفوه بتدقيقٍ واجتهاد، وصار ذهنهم مستنيراً. كما يعني أيضاً أولئك الذين مازالوا في ظلام الجهل؛ لأن ظلمة الضلال العالمي لا توجد في الكنائس؛ لأنَّ المسيح ينيرها كلها ويُشرق دائماً بالنور غير المحسوس على الكون، لأننا لسنا أبناء الليل والظلمة لكن أبناء النور والنهار كما هو مكتوب (١ تس ٥: ٥).

بلاديوس: إن ما تقوله صحيحٌ جداً.

كيرلس: بما أننا تكلمنا عن النواميس الخاصة بالخيمة والتقدمات المقدَّمة من الشعب، وكذلك ارتحال الشعب وسكناه، دعنا إذن نمضي في حديثنا لأنه يسير هكذا في الطريق الصحيح.

بلاديوس: أوافقك.

تنظيم التقدمات الحيوانية

كيرلس: كان المشرع والقاضي محِقًّاً حين أمر بضرورة تتميم الذبائح في الخيمة المقدسة، محاولاً بذلك أن يبعدهم عن العبادة الزائفة التي لا أساس لها، أقصد العبادة المصرية القديمة، حيث كان يوجد هزلٌ كثيرٌ في عبادة الأصنام، وحشدٌ متناقضٌ من الآلهة الكاذبة، كان مِن المستحيل على مَن كانوا يعبدونهم أنْ يعرفوهم. وكان هناك أيضاً فوضى في الذبائح بحسب ما يريد كل واحدٍ، وذلك طبقاً لحديث مرتجل لأحد حكماء اليونان الذي يقول: "إنَّ كل واحد يذبح لإله آخر".

إذاً، فقد أراد أنْ يبعدهم عن مثل هذه الوقاحة والسخافة والانشغال الدنس بعبادة غبية تماماً، ولذلك قال أيضاً في سفر اللاويين: "كَلِّمْ هَارُونَ وَبَنِيهِ وَجَمِيعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: هذَا هُوَ الأَمْرُ الَّذِي يُوصِي بِهِ الرَّبُّ قَائِلاً: كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ يَذْبَحُ بَقَراً أَوْ غَنَماً أَوْ مِعْزًى فِي الْمَحَلَّةِ، أَوْ يَذْبَحُ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ، وَإِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لاَ يَأْتِي بِهِ لِيُقَرِّبَ قُرْبَاناً لِلرَّبِّ أَمَامَ مَسْكَنِ الرَّبِّ، يُحْسَبُ عَلَى ذلِكَ الإِنْسَانِ دَمٌ. قَدْ سَفَكَ دَماً. فَيُقْطَعُ ذلِكَ الإِنْسَانُ مِنْ شَعْبِهِ" (لا ١٧: ٢ - ٤).

وكونُه يسكبُ دماً؛ فلأنه عُدَّ مذنباً بجريمة القتل، ذلك الإنسان الذي ذبح خارج الخيمة. فمن يحاول ألَّا يقدِّم الذبيحة للإله بطبيعته، بل يقدِّمها إلى أحجارٍ وتماثيلَ من خشبٍ، وإلى ضلالاتٍ شيطانية، يصير قاتلاً لذاته ويُهلك نفسه.

أمَّا أنه لم يأمر بأن تُساق الذبيحة عامةً إلى أبواب الخيمة، بل تُقدَّم تحديداً إلى الله، فهو ما يظهره بوضوح قائلاً: ''وَلاَ يَذْبَحُوا بَعْدُ ذَبَائِحَهُمْ لِلتُّيُوسِ الَّتِي هُمْ يَزْنُونَ وَرَاءَهَا'' (لا ١٧: ٧). إذاً، فهو يحرِّم تماماً الذبائح التي يقدمها كل واحد إلى ما يريد دون تمييز، ويوصي -بوضوح- أن تُتمم العبادة للإله بطبيعته فقط.

بلاديوس: عرضك لهذا الأمر واضحٌ جداً وممتاز.

كيرلس: سيكون مفيد لنا لو فكرنا -بطريقةٍ أخرى- في أن تصير الذبائح وتُقدَّم الضحايا المقدسة داخل الخيمة المقدسة.

بلاديوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: ألم نقُل إنَّ الثَّورَ هو مثالٌ لعمانوئيل الذي ذُبح بالقرب من الخيمة المقدسة من أجل الكاهن وخطايا الشعب عن جهل؟

بلاديوس: نعم قلنا هذا.

كيرلس: إذاً، هكذا نقول إنَّ سر المسيح يجبِ أن يتُمم داخل كنائس الله كما لو كانت خيمة مقدسةً، وهو ما نراه -رمزياً- في علامةٍ أخرى، حيث شرَّع سلفاً -حين ارتحل الإسرائيليون من أرض مصر- الطريقة التي يجب أن يُذبح بها الخروف كمثال للمسيح، فقال: ''فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ يُؤْكَلُ. لاَ تُخْرِجْ مِنَ اللَّحْمِ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى خَارِجٍ'' (خر ١٢: ٤٦). إذاً، فبالرغم من وجود خيمةٌ حقيقيةٌ مقدسةٌ، يخالف الهراطقةُ إرادة الله عندما يقيم هؤلاء لأنفسهم خياماً أخرى ويذبحون الخروف وينقلونه بعيداً جداً عن المسكن، مجزِّئين بذلك مَن لا يقبل التجزئة. لأنَّ المسيحَ واحدٌ وكاملٌ في كل شيءٍ.

أيضاً ينصح الشارح الحكيم لمقدسات موسى في سفر التثنية قائلاً: ''اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تُصْعِدَ مُحْرَقَاتِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ تَرَاهُ. بَلْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ فِي أَحَدِ أَسْبَاطِكَ. هُنَاكَ تُصْعِدُ مُحْرَقَاتِكَ، وَهُنَاكَ تَعْمَلُ كُلَّ مَا أَنَا أُوصِيكَ بِهِ. وَلكِنْ مِنْ كُلِّ



مَا تَشْتَهِي نَفْسُكَ تَذْبَحُ وَتَأْكُلُ لَحْماً فِي جَمِيعِ أَبْوَابِكَ، حَسَبَ بَرَكَةِ الرَّبِّ إِلهِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ. النَّجِسُ وَالطَّاهِرُ يَأْكُلاَنِهِ كَالظَّبْيِ وَالإِيَّلِ. وَأَمَّا الدَّمُ فَلاَ تَأْكُلْهُ. عَلَى الأَرْضِ تَسْفِكُهُ كَالْمَاءِ'' (تث ١٢: ١٣ - ١٦). إذاً، خطيةً وجرماً لذهنٍ دنسٍ إذا ما أصعد ذبيحةً في كل مكان، ولم يُتمم سر المسيح في بيت الله.

بلاديوس: أنت تقول الصواب. ولكن دعنا -إذا أردت- نعرض لكل ما شُرِّع بخصوص هذا الموضوع في سفر اللاويين.

كيرلس: مكتوب الآتي: ''وَكُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمِنَ الْغُرَبَاءِ النَّازِلِينَ فِي وَسَطِكُمْ يَأْكُلُ دَماً، أَجْعَلُ وَجْهِي ضِدَّ النَّفْسِ الآكِلَةِ الدَّمَ وَأَقْطَعُهَا مِنْ شَعْبِهَا، لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ، فَأَنَا أَعْطَيْتُكُمْ إِيَّاهُ عَلَى الْمَذْبَحِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نُفُوسِكُمْ، لأَنَّ الدَّمَ يُكَفِّرُ عَنِ النَّفْسِ. لِذلِكَ قُلْتُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: لاَ تَأْكُلْ نَفْسٌ مِنْكُمْ دَماً، وَلاَ يَأْكُلِ الْغَرِيبُ النَّازِلُ فِي وَسَطِكُمْ دَماً. وَكُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمِنَ الْغُرَبَاءِ النَّازِلِينَ فِي وَسَطِكُمْ يَصْطَادُ صَيْداً، وَحْشاً أَوْ طَائِراً يُؤْكَلُ، يَسْفِكُ دَمَهُ وَيُغَطِّيهِ بِالتُّرَابِ. لأَنَّ نَفْسَ كُلِّ جَسَدٍ دَمُهُ هُوَ بِنَفْسِهِ، فَقُلْتُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: لاَ تَأْكُلُوا دَمَ جَسَدٍ مَا، لأَنَّ نَفْسَ كُلِّ جَسَدٍ هِيَ دَمُهُ. كُلُّ مَنْ أَكَلَهُ يُقْطَعُ'' (لا ١٧: ١٠ -١٤). إذاً لاحظ كيف يعتبر الدم -بوضوحٍ- مثالاً للنفس.

بلاديوس: إنني أفهم ما تقوله.

كيرلس: إذن، يفصلُ الناموس وينزعُ الدمَ عن جسد الذبائح الحيوانية مُعلِّماً إيانا الحقيقةَ الحكيمةَ المقبولةَ في إيماننا والتي تكرِّمها كنائسنا، وهي أنَّ نفس الإنسان العاقلة خُلِقَتْ على غير فساد، وهي تتصرف باعتبارها خالدة لا يصيبها الموتُ بالفساد، مثلما تفسد الأجساد الأرضية. بل بالحري يحررها الخالق من الأرضيات ويُصعدها إلى السماء نازعاً عنها الآلام ومانحاً لها الحياة. لأنَّ الإنسانَ منذ البداية خُلِقَ كنفسٍ حيةٍ، ووضع الله فيها نسمة الحياة، هكذا مكتوب (انظر تك ٢: ٧).

وإذا قلنا إنَّ النفسَ التي صارت لكي تحيا، دُمِّرَتْ مثلها مثل الأجساد الوقتية (الفانية)، فلا بُد وأن ننتهي -كما أعتقد- إلى أنَّ هناك ضعفاً يكمن في الحياة التي تحيي كلَّ شيءٍ. وفي المقابل، عندما نؤمن بخلودها بسبب أنَّ الله الخالق يريد ذلك (وإنه هو الذي يعطيها الحياة)، فإننا سوف نتوَّج بالفهم الجميل؛ إذ ''بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ'' (أع ١٧: ٢٨).

ترتيباتٍ أخرى

هذا هو الحديث الخاص بالتشريع. لكن دعنا نمضي في الحديث عن الترتيبات الأخرى المتعلقة بالخيمة. قال الله في سفر الخروج: "لاَ تَذْبَحْ عَلَى خَمِيرٍ دَمَ ذَبِيحَتِي" (خر ٣٤: ٢٥). الدمُ المسكوب يجب أنْ يكون بدون خُبزٍ مختمرٍ، لذا على مَن يقدِّم الذبيحةَ إلى الله ألَّا يضيف إليها الخبز المختمر. بمعنى أنه يجب علينا أنْ نكون أطهاراً وبدون خمير، أي دون أنْ يكون في ذهننا أي دناءة أو خبث. لكن علينا أن نكرس نفوسنا -والتي يرمز لها هنا بالدم- لله. وبولس يدعو أولئك الذين يحفظون نفوسهم نقية وطاهرة من الدناءة -وذلك بالإيمان بالمسيح والمحبة الكاملة- يدعوهم بالعجين الجديد والفطير (المنزوعة منه الخميرة العتيقة) (انظر ١ كو ٥: ٧).

أيضا يقول: "وَلاَ يَبِتْ شَحْمُ عِيدِي إِلَى الْغَدِ" (خر ٢٣: ١٨) أي لا تقدِّم شحماً باقياً من الأمس وتعتبره تقدمةً زكيةً. على الجانب الآخر نرى في سفر اللاويين هذا الأمر واضحاً جداً إذ يقول لمن يقدِّم الذبيحة: "وَإِنْ كَانَتْ ذَبِيحَةُ قُرْبَانِهِ نَذْراً أَوْ نَافِلَةً، فَفِي يَوْمِ تَقْرِيبِهِ ذَبِيحَتَهُ تُؤْكَلُ. وَفِي الْغَدِ يُؤْكَلُ مَا فَضَلَ مِنْهَا. وَأَمَّا الْفَاضِلُ مِنْ لَحْمِ الذَّبِيحَةِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَيُحْرَقُ بِالنَّارِ. وَإِنْ أُكِلَ مِنْ لَحْمِ ذَبِيحَةِ سَلاَمَتِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ لاَ تُقْبَلُ. الَّذِي يُقَرِّبُهَا لاَ تُحْسَبُ لَهُ، تَكُونُ نَجَاسَةً، وَالنَّفْسُ الَّتِي تَأْكُلُ مِنْهَا تَحْمِلُ ذَنْبَهَا" (لا ٧: ١٦ - ١٨). إذن، فهو يرفض -الذبيحة- الضحية التي من أول أمس، ويوضِّح هذا قائلاً: "وَمَتَى ذَبَحْتُمْ ذَبِيحَةَ شُكْرٍ لِلرَّبِّ، فَلِلرِّضَا عَنْكُمْ تَذْبَحُونَهَا. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تُؤْكَلُ. لاَ تُبْقُوا مِنْهَا إِلَى الْغَدِ. أَنَا الرَّبُّ" (لا ٢٢: ٢٩ - ٣٠). "وَالنَّفْسُ الَّتِي تَأْكُلُ مِنْهَا تَحْمِلُ ذَنْبَهَا" (لا ٧: ١٨).

بلاديوس: وما هو القصد من هذه الأمور؟

كيرلس: لقد أظهر لنا الناموس -مراتٍ كثيرةٍ- أنَّ الكتاب المقدس أعتاد أنْ يعطي الزمن بُعدين: الزمن الذي كان يسري فيه الناموس، والزمن الذي أشرق فيه المسيح علينا. وأحيانا يدعوه البُعد الثالث؛ لأن الفترة البينية التي أشرق فيها خورس الأنبياء كانت فترة البُعد الثاني.

نهاية العبادة الناموسية

ونلاحظ أنه في زمن موسى والأنبياء، كانت طريقة العبادة واحدة، إذ كانت ظلالُ الناموس سائدةً. لكن، عندما يصير الغد، أي عندما يبدأ الوقت الثالث، وينير المسكونةَ النورُ غير المادي، أي المسيح، ينحل الضباب القديم، لذا لا تعود مقبولةٌ طريقة العبادة القديمة، ولا يُقبل شحمُ ذبيحةِ أمس أو أول أمس أمام الرب، بل يكون دنساً بالنسبة لأولئك الذين يقدِّمون شحم هذه الذبيحة المرفوضة من قِبل الله إذا قُدِّمت في وقتٍ مخالفٍ.

ألا تعتقد أن هذا يتفق مع الحق، أي عندما أنار المسيح -بتعاليمه الإنجيلية- نفوس القديسين، وقادهم بامتياز إلى العبادة الروحية، وصارت الأوامر الناموسية الطقسية نافلةً بلا فائدة؟

بلاديوس: هذا حقٌ. وسوف أذكر بولس الرسول الذي دعا مفاخر الناموس نفايةً وخسارةً بسبب عظمة معرفة المسيح (انظر فيلبي ٣: ٨). وأعرف أنه كتب لبعض الأشخاص قائلا: "أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنِ اخْتَتَنْتُمْ لاَ يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً" (غلا ٥: ٢).

كيرلس: أنت تقول الصواب. من الخطيئة والدنس -بعد ظهور المسيح وانقضاء وقت الناموس والأنبياء- أنْ نظل في عبادة الظِّل ونرغب في تقديم خرافٍ أو شحمٍ إلى الله، بينما الابن يقول بكل وضوح إلى الله الآب: "بذبيحةٍ وتقدمةٍ لم تُسرَّ. لكن هيأت لي جسداً. محرقةً وذبيحة خطية لم تطلب. حينئذ قلت هاأنذا جئت. بدرج الكتاب مكتوبٌ عنى أنْ أفعل مشيئتك يا إلهي سررت. وشريعتك في وسط أحشائي" (مز ٤٠: ٦ - ٨ س).

وبما أنَّ الابن قدَّم ذاته لأجلنا كذبيحةٍ مقدسةٍ كاملةٍ، فقد وضع نهايةً للعبادة الناموسية التي لم تستطع أنْ تزيل الخطايا؛ لأن غاية الناموس والأنبياء هو المسيح.

بلاديوس: تتحدث الصواب.

كيرلس: إذن، كان الآبُ لا يدنى منه بالعبادة الناموسية، بينما بعد التكميل الذي صار بواسطة المسيح أصبح يُقترَبُ إليه -فقط- بواسطة الابن. لذلك

يقول: "لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلَّا بِي" (يو ١٤: ٦). وكون أنَّ الشيء الذي لا يصير بواسطة المسيح يكون غير مناسبٍ وليس كاملاً، بينما الشيء الذي يصير بواسطة المسيح ومن خلاله يكون مقبولاً ومقدساً، فهذا ما يوضحه الناموس في سفر الخروج، فقد كُتِب: "لاَ تَطْبُخْ جَدْياً بِلَبَنِ أُمِّهِ" (خر ٣٤: ٢٦). وفي سفر اللاويين: "مَتَى وُلِدَ بَقَرٌ أَوْ غَنَمٌ أَوْ مِعْزًى يَكُونُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ تَحْتَ أُمِّهِ، ثُمَّ مِنَ الْيَوْمِ الثَّامِنِ فَصَاعِداً يُرْضَى بِهِ قُرْبَانَ وَقُودٍ لِلرَّبِّ. وَأَمَّا الْبَقَرَةُ أَوِ الشَّاةُ فَلاَ تَذْبَحُوهَا وَابْنَهَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ" (لا ٢٢: ٢٧ - ٢٨).

لا يَسمح بذبح الخروف إذا كان حديث الولادة، أو رضيعاً؛ لأنه لم يكتمل ولم ينضج، ولم يكن بعدُ مقدَّساً، ولذلك فهو غير مقبول من الله. أمثال هذا هم بعض الأغبياء وقليلي المعرفة الذين كتب إليهم بولس الرسول قائلاً: "لأَنَّكُمْ -إِذْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونُوا مُعَلِّمِينَ لِسَبَبِ طُولِ الزَّمَانِ- تَحْتَاجُونَ أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ مَا هِيَ أَرْكَانُ بَدَاءَةِ أَقْوَالِ اللهِ، وَصِرْتُمْ مُحْتَاجِينَ إِلَى اللَّبَنِ، لاَ إِلَى طَعَامٍ قَوِيٍّ" (عب ٥: ١٢). إذن، من لا يزال يشربُ لبناً ويرضع فهو ليس كاملاً، أقصد من جهة الفهم والقوة الروحية، لكن ليت حديثنا ينتقل من الأمثلة والأمور المحسوسة والمصنوعة بالأيدي إلى الأمور الفوق حسية والأمور الذهنية، وسوف تفهم جيداً أنَّ الكل قد صار بواسطة المسيح كاملاً ومقبولاً. بمعنى أنَّ الحيوانات التي تُجمَع وتقدَّم إلى الله -مكتوبٌ- يجب أنْ تكون سبعة أيام مع أمهاتها، بينما في اليوم الثامن، وبعد ذلك اليوم يمكن أنْ تقدَّم وتصير ذبائح لله.

بلاديوس: ليس السببُ واضحاً بعد.

كيرلس: ألا تعتقد أنَّ اليوم الثامن هو يوم قيامة المخلص؟ وهو بدايةُ زمنٍ جديدٍ حيث انقضى زمن الناموس مثلما انقضت الأيام السبعة الأولى للمولود؟

بلاديوس: أعتقد بالطبع أنه يوم قيامة المخلِّص.

كيرلس: بناءً على ذلك، الذي ما يزال في زمن الناموس لم يتقدَّس بعد، ولم يُقدَّم بعد. في حين أنه يمكن تقديم أي شيء ينتمي إلى زمن المسيح (أي من اليوم الثامن فصاعداً)، ويصير مقبولاً من الله. لأنَّ دعوة المسيح لم تنتهِ لأنها قد بدأت بالقيامة. وهذا ما قاله الابنُ مرةً: "وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ

أَجْذِبُ إلى الْجَمِيعَ" (يو ١٢: ٣٢) وأيضا قال: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ" (يو ١٢: ٢٤).

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب. ولكن ماذا يعني عدم ذبح الأم (البقرة أو الشاة) وابنها في بطنها؟

الكمال بواسطة المسيح

كيرلس: حين شرَّعَ ما يتعلق بالمسيح، وأعلن -بطريقةٍ حسنةٍ جداً- الكمالَ بواسطة المسيح، لم يجهل -كإله- عصيان اليهود وعناد أورشليم، ولأجل هذا السبب، سيَهلك الإسرائيليون باعتبارهم قاتلي المسيحيين، وبسبب سلوكهم الوحشي والمخالف ضد الابن. غير أنَّ أورشليم لن تُنقض من أساساتها مرةً واحدةً وإلى الأبد، ولكنها ستظل خربةً من الأولاد منتظرةً خلاصها في الأزمنة الأخيرة، وهى مسرعةٌ خلف الأمم؛ لأنها ستمتد ناحية الجنوب، أي إلى الخلف وفق كلام المرنم: "سيضعهم على الأكتاف" (مز ٢١: ١٣ س). أي سيخلص جميع بني إسرائيل (انظر رو ١١: ٢٦)، لأن كل الجمع من الأمم سيسكن أولاً في المساكن الإلهية.

إذن، لا يسمح ناموس الطبيعة[١] بحدوث فساد ودمار شامل وعام، ولكنه يعلن إنَّ الغضب على العاصين، إنما هو ممزوجٌ بالوداعة، وفى نفس الوقت يستخدم الحرف للمعرفة عن طريق الأمثلة والنماذج. فالكائنات لا تُساق تماماً نحو العدم، يسودها فسادٌ طائشٌ، لكنها تبقى بتعاقب الواحد من خلال الآخر، والواحد سيخلُصُ من خلال الآخر قياساً بالقرابة والجنس اللذان ينتسبان إليهما. هكذا أبعد الله الهلاك الشامل عن مخلوقاته إذ مكتوب الآتي: "فإنه خلق كل شيءٍ لكي يكون، وإنَّ خلائق العالم مفيدة وليس فيها سُمٌ مُهلكٌ، ولا مُلك لمثوى الأموات على الأرض؛ لأنَّ البِرَ خالدٌ" (حكمة سليمان ١: ١٤).

١- لا يقصد القديس كيرلس هنا الناموس بمعنى شريعة موسى، ولكنه يتكلم عن الناموس الذي وضعه الله للخلق واستمرار الحياة، ولذلك فهو يستشهد بعملية تعاقب الكائنات من خلال التناسل، فالفساد لم يطوح بالخليقة إلى العدم بغير رجعة، ولكن صلاح الله حال بين الخليقة وبين العدم؛ "لأن الخليقة أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله" (رو ٨: ٢١). (المترجم)

إذن، الحاجةُ هي إلى إعلانٍ إلهيٍّ، وطبعاً إلى النبوات عن المسيح الذي منه وبه يخلُص كل ما هو موجودٌ في (حالة) الفساد، ومَن ساد عليه الموت يزدهر مرةً أخرى وينال الحياة؛ لأنَّ جذر الجنس البشرى قد هلك لأنه أتى من أُمٍ مثلما صار في حالة آدم، لكن كل الذين أتوا منها، أي نحن، ازدهرنا بموت المسيح وصرنا موجودين ومحفوظين آخذين المسيح الحياة والجذر الثاني للجنس البشرى[1].

بلاديوس: حديثك جميل ولطيف ومبدع!!

تحذير من عبادة الأوثان

كيرلس: جديرٌ بنا أيضاً يا بلاديوس أنْ نضيف إلى ما قلناه الآتي: "لاَ تَنْصُبْ لِنَفْسِكَ سَارِيَةً مِنْ شَجَرَةٍ مَّا بِجَانِبِ مَذْبَحِ الرَّبِّ إِلهِكَ الَّذِي تَصْنَعُهُ لَكَ، وَلاَ تُقِمْ لَكَ نَصَباً. الشَّيْءَ الَّذِي يُبْغِضُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ" (تث ١٦: ٢١ – ٢٢).

لاحظ إذن، كيف يبتعد السجود للحق تماماً عن ضلال عبادة الأوثان، فلا يسمح إطلاقاً باستخدام عادات اليونانيين، ويأمرهم أنْ يُلقوا عن كاهلهم هذه العادات حتى لو كان حفظها لا يجلب تعاسةً.

بلاديوس: ماذا تريد أنْ تقول؟

كيرلس: يختار اليونانيون الأشجار التي تحمل فروعاً جيدة، وكل غابةٍ كثيفة الظلالِ يبنون فيها هياكل لتقدَّم فيها ذبائح إلى الشياطين. ثم يرتِّبون بعض المتع العالمية التي تشغل الذهن. لأن الضعف هو المرض الطبيعي للمزيِّفين. وفي مراتٍ كثيرةٍ يتجمَّلون بزينةٍ خارجيةٍ مثل النساء غير الفاضلات. لكن ما الذي يحتاجه المرء من زينةٍ خارجيةٍ إذا كان المذبح الإلهي يلمع بالجمال

١- أثناء الحديث عن نبوة إسحق ليعقوب الواردة في تك ٢٧: ٢٧ ـ ٢٨ "رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب. فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض. وكثرة حنطة وخمر" يؤكد القديس كيرلس أن المسيح هو بمثابة جذر ثان للبشرية، إذ يقول: "هكذا فإن مفهوم النبوة يتناسب مع الشعب الجديد ومع المسيح نفسه الذي هو البداية والأصل، فهو آدم الثاني حقاً وبمثابة جذرٍ ثاني للبشرية لأن كل ما في المسيح هو خليقة جديدة. لقد تجددنا ثانية بالمسيح من جهة القداسة والحياة والخلود. أيضاً أعتقد أن حديث البركة يعني الرائحة الروحية الذكية التي في المسيح، كالرائحة الجميلة والمفرحة التي تأتي من ورود الربيع في الحقول اليانعة والمزهرة. هكذا قدم لنا المسيح ذاته في نشيد الإنشاد قائلاً: "أنا نرجس شارون سوسنة الأودية" (نش ٢: ١). حقاً كان سوسنة ونرجس، هو الذي نبت من الأرض كإنسان، لكن بدون أن يعرف خطية، إذ تفوح منه عبق الرائحة الذكية على كل المسكونة. إذاً المسيح يشبه حقلاً مباركاً من الله حيث هو بالحق رائحة معرفة الله الآب الذكية لأن بولس الرسول قال: "شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين ويُظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان" (٢ كو ٢: ١٤)". جيلافيرا، الكتاب الشهري، ديسمبر ٢٠٠٥.

الحقيقي ولا يحتاج إلى زيناتٍ باطلة؟ لأن المذبح الإلهي لا يُقترب إليه بمسراتٍ عالمية، ولا بذهنٍ فاسدٍ[1] ينشغل –فقط– بالجسديات، بل بذهنٍ يقظ يُحدِّق –فقط– ناحية الأمور العالية، أي إلى السماء.

ويمكنني أنْ أقول إنه لو حدث أنْ أُقيم مذبحاً إلهياً على قطعةٍ من جذع شجرة، فإنَّ ذلك لا يُلحِق ضرراً بالسجود المستقيم والحقيقي للمخلِّص. لكن، ولأنَّ ذلك العُرف يونانيٌ تماماً، فيجب أن يُهجر التشبُّه به –بالضبط– مثلما يخلو ذهن المؤمن الثابت في معرفة الحق من أيِّ صنمٍ في العالم، وكما لا يرغب أيضاً في أنْ يأكل ما ذُبح للأوثان، وذلك لأجل ضمير الضعفاء من جهة الإيمان؛ لأنه يقول: "أَقُولُ «الضَّمِيرُ»، لَيْسَ ضَمِيرَكَ أَنْتَ، بَلْ ضَمِيرُ الآخَرِ. لأَنَّهُ لِمَاذَا يُحْكَمُ فِي حُرِّيَّتِي مِنْ ضَمِيرِ آخَرَ؟ فَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَتَنَاوَلُ بِشُكْرٍ، فَلِمَاذَا يُفْتَرَى عَلَيَّ لأَجْلِ مَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ" (١ كو ١٠: ٢٩ – ٣٠).

إذن، يوصي الله أنْ نتجنب محاكاة اليونانيين من جهة موضع الذبيحة ومن جهة سلوكيات إتمام الطقس الديني.

بلاديوس: أوافقك.

لا تقف أمام الله بأيد فارغة

كيرلس: أمَّا أنه يجب أنْ ننتج ثماراً لمجد الله، وألَّا ندخلَ بأيدٍ فارغةٍ إلى الخيمة المقدسة، فسيوضِّحه أيضاً الكتابُ المقدس في سفر العدد قائلاً: "وَيَوْمَ فَرَغَ مُوسَى مِنْ إِقَامَةِ الْمَسْكَنِ، وَمَسَحَهُ وَقَدَّسَهُ وَجَمِيعَ أَمْتِعَتِهِ، وَالْمَذْبَحَ وَجَمِيعَ أَمْتِعَتِهِ وَمَسَحَهَا وَقَدَّسَهَا، قَرَّبَ رُؤَسَاءُ إِسْرَائِيلَ، رُؤُوسُ بُيُوتِ آبَائِهِمْ، هُمْ رُؤَسَاءُ الأَسْبَاطِ الَّذِينَ وَقَفُوا عَلَى الْمَعْدُودِينَ. أَتَوْا بِقَرَابِينِهِمْ أَمَامَ الرَّبِّ: سِتَّ عَجَلاَتٍ مُغَطَّاةً، وَاثْنَيْ عَشَرَ ثَوْراً. لِكُلِّ رَئِيسَيْنِ عَجَلَةٌ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ ثَوْرٌ، وَقَدَّمُوهَا أَمَامَ الْمَسْكَنِ. فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: خُذْهَا مِنْهُمْ فَتَكُونَ لِعَمَلِ خِدْمَةِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، وَأَعْطِهَا

١- ذهن فاسد أو باطل كما يقول القديس بولس: "فَأَقُولُ هذَا وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ: أَنْ لاَ تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الأُمَمِ أَيْضاً بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ، إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ. اَلَّذِينَ إِذْ هُمْ قَدْ فَقَدُوا الْحِسَّ، أَسْلَمُوا نُفُوسَهُمْ لِلدَّعَارَةِ لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي الطَّمَعِ" (أف ٤:١٧ - ١٩). ويعلق القديس يوحنا ذهبي الفم على هذا القول، قائلاً: "يقول "ببُطل ذهنهم". ماذا يعني بعبارة ببُطل الذهن؟ أن تنشغل بأمور باطلة. وما هي الأمور الباطلة، سوى كل الأمور الأرضية؟ التي يقول عنها كاتب سفر الجامعة "باطل الأباطيل الكل باطل" (جا ١: ٢)" تفسير الرسالة إلى أفسس، الإصحاح الرابع، ص ١٩٣.

لِلاَّوِيِّينَ، لِكُلٍّ وَاحِدٍ حَسَبَ خِدْمَتِهِ. فَأَخَذَ مُوسَى الْعَجَلاَتِ وَالثِّيرَانَ وَأَعْطَاهَا لِلاَّوِيِّينَ" (عدد ٧: ١ – ٦).

ولم يتوقف رؤساء القبائل إلى هنا، بل أضافوا أشياءً أخرى لأنه مكتوب: "وَقَرَّبَ الرُّؤَسَاءُ لِتَدْشِينِ الْمَذْبَحِ يَوْمَ مَسْحِهِ. وَقَدَّمَ الرُّؤَسَاءُ قَرَابِينَهُمْ أَمَامَ الْمَذْبَحِ. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: رَئِيساً رَئِيساً فِي كُلِّ يَوْمٍ يُقَرِّبُونَ قَرَابِينَهُمْ لِتَدْشِينِ الْمَذْبَحِ. وَالَّذِي قَرَّبَ قُرْبَانَهُ فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ نَحْشُونُ بْنُ عَمِّينَادَابَ، مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا. وَقُرْبَانُهُ طَبَقٌ وَاحِدٌ مِنْ فِضَّةٍ وَزْنُهُ مِئَةٌ وَثَلاَثُونَ شَاقِلاً، وَمِنْضَحَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ فِضَّةٍ سَبْعُونَ شَاقِلاً عَلَى شَاقِلِ الْقُدْسِ، كِلْتَاهُمَا مَمْلُوءَتَانِ دَقِيقاً مَلْتُوتاً بِزَيْتٍ لِتَقْدِمَةٍ، وَصَحْنٌ وَاحِدٌ عَشَرَةُ شَوَاقِلَ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٌ بَخُوراً، وَثَوْرٌ وَاحِدٌ ابْنُ بَقَرٍ وَكَبْشٌ وَاحِدٌ وَخَرُوفٌ وَاحِدٌ حَوْلِيٌّ لِمُحْرَقَةٍ، وَتَيْسٌ وَاحِدٌ مِنَ الْمَعَزِ لِذَبِيحَةِ خَطِيَّةٍ، وَلِذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ ثَوْرَانِ وَخَمْسَةُ كِبَاشٍ وَخَمْسَةُ تُيُوسٍ وَخَمْسَةُ خِرَافٍ حَوْلِيَّةٍ. هذَا قُرْبَانُ نَحْشُونَ بْنِ عَمِّينَادَابَ" (عدد ٧: ١٠ – ١٧).

إذن، فقد أحضر الآخرون تقدماتهم، في اليوم الذي حُدِّد لكل واحد منهم، كل واحد بدوره حتى الثاني عشر، الكل قدَّم بنفس الطريقة. بكرمٍ ليس له نظير، لأنه هكذا أمر الله.

بلاديوس: وما السبب الذي من أجله قدَّموا أنواعاً كثيرةً جداً؟

التقدمات اليومية

كيرلس: يا بلاديوس الأمرُ يتعلق بالأثمار، ويصاحب هذا معنى سرّي ينقل الرمز إلى عمانوئيل ولنا نحن أنفسنا. سأعرض لك الأمر بقدر المستطاع: عندما ظهرت الخيمة المقدسة الحقيقية، أي الكنيسة في العالم، وأشرق المسيح فيها بطرقٍ كثيرةٍ، قُدِّمت فديةٌ وتعويضٌ لأجل حياة الكل كذبيحةٍ مقدسةٍ إلى الله، الواحد في الجوهر مع كل البشر. أي بسبب أنَّ وحيدَ الجنسِ صار إنساناً كواحدٍ منَّا قدَّم ذاته إلى الله كخميرةٍ واحدةٍ ممتازةٍ، وبدايةٍ للطبيعة البشرية (الجديدة)[1]، والذي تفوح منه القداسة الموجودة فيه من طبيعته وجوهره لأنه

١ـ يشرح لنا القديس يوحنا ذهبي الفم كيف صار لنا المسيح بداية لخليقة جديدة أثناء تفسيره لما قاله بولس الرسول: "لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ الله فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا" (أف ٢: ١٠)، إذ يقول: "فَكِّر في ما يقول، إنه يشير هنا إلى الولادة الجديدة، فهي بالحقيقة خليقة جديدة. لقد جاء بنا من العدم إلى الوجود، فقد كُنا أمواتاً، بسبب الوضع الذي كنّا عليه قبلاً، أي وضع الإنسان العتيق، أما ما وصلنا إليه الآن، فلم نكن نحياه من قبل. إذن فهذا العمل هو بالحق خليقة جديدة، وأفضل بكثير من الخليقة الأولي، لأن ما أخذناه من الخليقة الأولي، هو أننا نلنا



هو الله. ورغم أن المسيحَ واحدٌ، إلَّا أنه رُمِزَ إليه بطرقٍ كثيرةٍ مثلما نرى في تقدمة الرؤساء، ويُخدم عن طريق الرؤساء، ومكرَّمٌ بألقابٍ مختلفةٍ.

التقدمة اليومية تشير إلى استمرارية ذبيحة المسيح كل يوم وعدم انقطاعها، والثمار تشير إلى أولئك الذين خلصوا بالإيمان. لأن السجود له لن ينقطع، ولا تقديم العطايا. سوف يظهر المسيح بواسطتنا ولأجلنا مقدِّماً نفسه ذبيحةً بطريقةٍ سرّيةٍ في الخيمة المقدسة. وهو نفسه يكون تقدُمتنا الأولى الممتازة. لأنه يقدِّم ذاته ذبيحةً إلى أبيه، وليس بالتأكيد لأجل ذاته وفق التعليم المستقيم، لكن لأجلنا نحن الذين كُنَّا تحت نير وثقل الخطية. ونحن نتشبه حقاً بذاك ونصير نحن ذبيحةً مقدسةً ونموت عن العالم (انظر رو ٦: ٥) لأن الخطية ماتت فينا ونحيا لله حياة القداسة. هذه الأمور أُعلنت لنا عن طريق تقدمة الرؤساء. لكن هل تريد أنْ نفحصها مجمِّعين علامةً إلى علامةٍ بقدر استطاعتنا لنشرح هذه الأمور شرحاً أفضل؟

بلاديوس: حسناً جداً.

كيرلس: لقد قُدِّم ثورٌ واحدٌ من كل واحدٍ من الرؤساء، ووُزِّعت العربات –والتي كان عددها ستة– على أعمال الخيمة المقدسة. ثم قُدِّم من كل واحدٍ طبقٌ ومنضحةٌ من الفضة، مكتوبٌ أنَّ كلتيهما مملوئين دقيقاً ملتوتاً بزيتٍ لتقدمةٍ، وصحنٌ مملوءٌ بالبخور، وكبشٌ واحدٌ وخروفٌ واحدٌ حوليٌّ لمحرقةٍ، وتيسٌ واحدٌ من المعز للتكفير عن الخطايا. كما قدَّموا أيضاً تقدمات للذبيحة عن الخلاص، ثورين وخمسةَ كباشٍ، وخمسةَ تيوسٍ، وخمسةَ خرافٍ حوليةٍ (انظر عدد ٧: ١٢ – ١٧).

ذبيحة المحرقة وذبيحة السلامة

بلاديوس: اخبرني إذن –قبل أيةِ أمورٍ أخرى– ما علاقة هذه الأمور ببعضها البعض، وما هو الاختلاف بين ذبيحة المحرقة وذبيحة الخلاص (السلامة)؟

كيرلس: اسمع إذن. الحيوانات المقدَّمة لذبيحة المحرقة يجب أن تُحرق كلها بالنيران، في

الحياة فقط، أما الولادة الجديدة، فقد منحتنا القدرة على أن نعيش الحياة كما ينبغي في جمالها الروحي" تفسير الرسالة إلى أفسس، الإصحاح الثاني، ص ٨١.



نارٍ مقدَّسةٍ لا تُطفئ، دون استثناء لأيةِ قطعةٍ من الذبيحة، إذ أنَّ كلَّ ذرةٍ وكل عضو منها يُشعل إلى الله تُشتم كرائحةٍ ذكيةٍ.

لكن ما يُذبح لذبيحة الخلاص (السلامة) يُقدَّمُ بعضه مثل الكتف الأيمن، الرأس، الأرجل أو الكُلى والكبد، أو أجزاء أخرى داخل الحيوان مع الأمعاء.

إذن، ذبيحةُ المحرقةِ ترمز إلى المسيح[1]؛ لأنه حقاً كليُّ القداسة، وكله رائحةٌ ذكيةٌ، بينما ذبيحة الخلاص (السلامة) تشير إلينا لأننا لسنا كُلّيِّ القداسةِ، إذ يوجد داخلنا دنسٌ ما بسبب الخطية. وهذا وفق المكتوب: "مَنْ يُخْرِجُ الطَّاهِرَ مِنَ النَّجِسِ؟ لاَ أَحَدٌ" (أيوب ١٤: ٤) وأيضاً: "اَلسَّهَوَاتُ مَنْ يَشْعُرُ بِهَا" (مز ١٩: ١٢). لذلك حدَّد الناموس جيداً ألَّا تُحرق ذبيحةُ الخلاص (السلامة) كلها، بل فقط أجزاءٌ منها. أليس حديثي يا بلاديوس واضحاً وكافياً لكي تفهم هذا الأمر جيداً؟

بلاديوس: حديثُك حسنٌ جداً.

كيرلس: إذن، هيا بنا الآن نقول شيئاً عن تلك التقدمات التي يقدمها كل واحد، ولندرك أنَّ هذا هامٌ لفائدتنا.

بلاديوس: هيا بنا.

تقدمة الرئيس

كيرلس: ما يقدِّمه كلُ رئيسٍ كان طبقاً من الفضة وكأساً، والاثنان مملوءان من دقيقٍ ملتوتٍ بزيت. الطبقُ تحتاجه المائدة، ومفيدٌ للطعام كما علَّم المسيح نفسه عندما سأله تلميذه يوحنا من الذي يسلمك: "الذي يغمس يده معي في الصحفة" (مت ٢٦: ٣، يو١٣: ٢٦). ولاستخدام الكأس، ماذا أقول؟

١ـ سبق للقديس يوحنا ذهبي الفم أن ركز على رمزية الذبائح بأنها تشير إلى المسيح أثناء تفسيره لما قاله بولس الرسول: "فإن الحيوانات التي يدخل بدمها عن الخطية إلي الأقداس بيد رئيس الكهنة تُحرق أجسامها خارج المحلة لذلك يسوع أيضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب" (عب ١٣: ١١ ـ ١٢)، إذ يقول: "يُبطِل الذبيحة بالمثال، ويوجه الكلام إلي الأصل قائلاً "فإن الحيوانات التي يدخل بدمها عن الخطية إلي الأقداس بيد رئيس الكهنة تُحرق أجسامها خارج المحلة لذلك يسوع أيضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب". وبناء علي ذلك فإن تلك الذبائح كانت رمزاً أو مثالاً لتلك الأحداث، وهكذا فإن يسوع الذي صُلب خارج الباب، قد أتم أو أكمل كل شئ. هنا هو يُظهر أنه قدم ذاته ذبيحة بإرادته، لأنه يُظهر أن تلك الذبائح لم تكن مصادفة، بل كانت مثالاً أو رمزاً، والتدبير نفسه كان مرتبط بالألم، بل إن الحمل المذبوح قد إنتقل إلي السماء" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ٤٢٢.

فالأمر واضح جداً!! الدقيقُ يُشير إلى الخبز؛ لأن الخبز يُصنع منه، وخبزُ الحياةِ هو المسيح. إذن، هكذا بالطبق والكأس والدقيق الموجود في الاثنين (لأنهما كانا مملوئين من الدقيق) في الطعام والشراب يُعلِنُ المسيحُ الحياةَ. لأنه يقول: ''الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ'' (يو ٦: ٥٣).

يقول أيضاً إنَّ الدقيق يجب أن يكون ملتوتاً بالزيت، وهذا الأمر نراه في المزامير: ''أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ'' (مز ٤٥: ٧).

والصحنُ الذي أخذ شكلَ مبخرةٍ كان مملوءاً من البخور. لأنَّ المسيحَ هو الرائحةُ الذكيةُ، والمذبحُ الذي لا يكتسب رائحته من الخارج، مثلما يحدث معنا نحن الذين نحصل عليها عن طريق ما تجلبُه علينا التقوى والفضيلة والقداسة؛ أمَّا هو فهو إلهٌ بطبيعته، ولذلك فهو يملك في داخله غنىً وفيراً يملأ كلَّ المسكونةِ برائحته الزكية التي يفيض بها على الخليقة.

ولأنه حقاً إلهٌ حقيقيٌ بطبيعته، ويملك في طبيعته رائحةَ معرفةِ أبيه الزكية، صار مُدرَكاً هكذا بسهولةٍ؛ إذ أنه (رمزياً) الصحنُ المملوءُ بخوراً. لذلك يُقدَّمُ (المسيحُ) عن طريق الذبائح مثل الثور والكبش والخروف والتيس وكل الأشياء الأخرى المصاحبة للتقدمة.

فيُرمز إليه بالثور بسبب قوته العظيمة، وبسبب أنَّ الثورَ –من بين الحيوانات الطاهرة والأليفة– يملك عَظَمَةً، خصوصاً من جهة حجم جسده. والمسيحُ له كل العظمة الروحية والفائق عن الكل بسبب فرادته.

أيضاً يُرمز للمسيح بالكبشِ بسبب كمالِه، وبالخروفِ بسبب براءته، لأنه يقول: ''وَأَنَا كَخَرُوفٍ دَاجِنٍ يُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَلَمْ أَعْلَمْ'' (إر ١١: ١٩). وبالتيسِ لأنه يُذبح لأجل أولئك الذين فعلوا الخطية؛ إذ أنَّ التيسَ –وفق الناموس– هو ذبيحةٌ لغفران الخطايا. وقد تألَّم عمانوئيل من أجلنا وفدانا من خطايانا القديمة بفضل أنه قَدَّم ذاته ذبيحةً لأجلنا. أم أنك تُنكر أنَّ هذا هو الحق؟

بلاديوس: كيف لا يكون هذا هو الحق؟

كيرلس: لاحظ أيضاً أنَّ الثيران تُقدَّم وتُعطى لأجل إنجاز أعمال الخيمة بحيث تنقل القائمون على الخدمة في الخيمة على عَجَلات حتى لا يُرهقون من التعب والإجهاد. بمعنى أنَّ الكنيسةَ تستريح فوق المسيح، وينقلنا هو نفسُه ولا يترك الجنسَ المقدس والكريم والشعب المختبَر في أعمالٍ مقدسةٍ، ويضع عليهم أتعاباً فوق قدراتهم.

إذن، هكذا يجب أنْ نقدِّم للمسيح كل ما قلناه سابقاً. الأشياءُ المحددةُ مسبقاً (التجهيزات) لأجل ذبيحة الخلاص يُقدِّمها الرؤساءُ من ذواتهم ويخصصونها للخيمة المقدسة ويقدِّمونها لله لكي يَشتَمَ رائحتَهم الذكية. وهذه التقدمات كانت ثورين وخمسةَ كباشٍ، وخمسةَ تيوسٍ، وخمسةَ خرافٍ حوليةٍ.

والثورُ –بالتأكيد– رمزٌ للمسيح، بينما الكباش ترمز لنا نحن. والسببُ واضحٌ وحقيقيٌ؛ لأنَّ الذَّكرَ هو دائماً القائد ويحظى بالشرف والمجد من جانب الله، والطبيعةُ شاهدةٌ وتعترف بهذا الأمر. والنساءُ يتبعن الرجال في قوتهم ومجدهم. هكذا بالثور الذَّكر يُرمز إلى المسيح الذي هو رئيسنا. ونحن خاضعون تحت نيره بقوة ونتبعه ولنا مجد أقل مما يخصه، وبمسافةٍ كبيرةٍ فائقةٍ فيما بيننا وبينه. وبالرغم من أنه صار شبيهاً لنا (لأن الكبشَ شبيهٌ بالثور)، لكنه أسمى منَّا بكثير؛ لأنه يقول: ''مَنْ فِي السَّمَاءِ يُعَادِلُ الرَّبَّ. مَنْ يُشْبِهُ الرَّبَّ بَيْنَ أَبْنَاءِ اللهِ'' (مز ٨٩: ٧). أي أنَّ المسيحَ شبيهٌ بنا، وفى نفس الوقت بعظمة إلوهيته هو أعلا منا جميعاً، بالرغم من أنه صار جسداً.

كان عددُ الكباشِ اثنين، ويرمزان إلى الشعبين اللذين اتحدا إلى واحدٍ، ووحَّدهما ذاك الذي تشبَّه بنا وصار إنساناً لأجلنا، في وحدةٍ روحيةٍ بالإيمان. كما يُشير العدد المتساوي للكباش والخراف والتيوس إلى جَمْع الذين يؤمنون، وهو ما سوف يحدث في الوقت الخامس[1] عندما يتحقق مجيء ذاك إلى الأرض، إذ يقول: ''وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَى الْجَمِيعَ'' (يو ١٢: ٣٢).

الكباشُ تُشير إلى الكمال في تصرُّف أولئك الذين آمنوا، وإلى نضوج عمرهم الروحي داخل مجال نعمة المسيح، بينما الخرافُ تشير إلى كمال

١- راجع ما قلناه سابقاً في هذه المقالة في الحاشية عن الوقت الخامس.

البساطة والبراءة. إذ يقول: "أَيُّهَا الإِخْوَةُ، لاَ تَكُونُوا أَوْلاَداً فِي أَذْهَانِكُمْ، بَلْ كُونُوا أَوْلاَداً فِي الشَّرِّ، وَأَمَّا فِي الأَذْهَانِ فَكُونُوا كَامِلِينَ" (١ كو ١٤: ٢٠). لذلك تعلَّمنا أنْ نقول في صلواتنا: "اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا" (مت ٦: ١٢). لأنه لا توجد ساعةٌ تخلو من ضرورةٍ أن يصرخ أصحاب العقول السليمة، والذين يدركون ضعف الطبيعة البشرية أنْ يصرخوا: "اَلسَّهَوَاتُ مَنْ يَشْعُرُ بِهَا، مِنَ الْخَطَايَا الْمُسْتَتِرَةِ أَبْرِئْنِي" (مز ١٩: ١٢). هذه هي الذبيحة الروحية المرسلة لله كرائحة زكية لخلاص نفوسنا.

بلاديوس: هذا حقٌ.

كيرلس: حسناً، لقد قلت إنَّ الثورَ، والكباش والخراف، كذلك التيوس، والأشياء الأخرى تُشير إلى المسيح. وهذا الرأي لا أعتقد أنه خطأ. لكن لو أراد أحدٌ أنْ يأتي إلينا بتفسيرٍ آخر لهذه الأفكار، فلا مانع لدينا.

بلاديوس: أيُّ تفسير تقصد؟

كيرلس: يقدِّم الإسرائيليون الذبائح بحسب الناموس، ويسكبون الدم على المذبح، وهذا العمل -كأنه في ظلالٍ- يعلِنُ أنه يجب أنْ نكرس نفوسنا إلى الله.

بلاديوس: ما قلته صحيح.

كيرلس: إذن، تُقدَّم الذبائح لأجلنا، ونحن نقدِّم أنفسنا كذبيحةٍ وفق مثال ذبائح الناموس.

بلاديوس: هذا حقيقي.

كيرلس: إذن، تعالَ نفحص بالتفصيل وباستقامةٍ، الترتيبات التي كانت تُقدَّم من الجميع بيد رؤسائهم لنرى جمال الرؤية الروحية.

حسناً، الأشياءُ التي كانت تُقدَّم هي آنيةُ فضةٍ، أقصد الطبق والكأس، ودقيقٌ ملتوتٌ بزيت. الفضةُ رمز اللَّمعان والبهاء، والدقيقُ هو رمز الحياة؛ لأنَّ منه يصير الخبز الذي يجعل الحياةَ تستمر، والزيتُ يرمز للابتهاج. إذاً دعنا نقدِّم ذات هذه الأمور من جانبنا إلى الله بابتهاجٍ نابعٍ من بهاءِ حياتنا برجائنا في المسيح؛ لأنه مكتوب: "فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ" (رو ١٢: ١٢). كيف لا يكون هؤلاء -الذين حافظوا على وصايا مخلصنا- مملوءين من الفرح العظيم، وقد مارسوا بامتيازٍ، البهاءَ في الحياة والتعليم، إذ حفظوا الوصايا

التي بدونها لا نصير مشاركين في غنى مجد الله؟ لأنه مكتوب: ''لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ. مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ فِي الْمَجْدِ'' (كو ٣: ٣ – ٤).

حسناً، الدقيقُ ملتوتٌ بزيت، أي يحمل حياة القديسين والبهجة برجاء المجد، أي ببهاء القداسة والبر. الصحنُ الذهبي المملوء بالبخور يصوِّر جمال القديسين ورائحة القداسة الذكية التي توجد داخل الآنية المختارة كتقدمة حقيقية إلى الله. ألا نعتبر –يا بلاديوس– أنَّ القديسين هم آنيةٌ بهيةٌ ومختارةٌ؟

بلاديوس: بالتأكيد هم آنية بهية ومختارة.

كيرلس: كلُّ واحدٍ أعطى ثوراً، والجميع معاً اثنا عشر. هذه الثيران تنقل الخيمة المقدسة كل اثنين في عربة، ونيرٍ واحدٍ، كما يكونان أيضاً في خدمة اللاويين. وهو ما يُعَدُ مثالاً للشعبين اللذين ليسا بعد منفصلين، في عدم تشابه العقائد والحياة، بل متحدين ومتفقين تحت نير المخلص الواحد بصبرٍ وإحسان. لأنه مكتوب: ''انْتَظِرِ الرَّبَّ. لِيَتَشَدَّدْ وَلْيَتَشَجَّعْ قَلْبُكَ، وَانْتَظِرِ الرَّبَّ'' (مز ٢٧: ١٤).

الثورُ حيوانٌ صبورٌ وشديد القوة. وهذا يشير إلى الذين اختاروا التقوى آخذين في أعناقهم المسيحَ كنيرٍ مثلما أُشير إليه مسبقاً في الخيمة المقدسة. وبولس الرسول يسمي الكنيسةَ جسده. لقد قال الرب لحنانيا عن بولس الرسول: ''اذْهَبْ! لأَنَّ هذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ'' (أع ٩: ١٥).

بالإضافة إلى هذا، يُعلِن كلاً من الكبش وأيضاً الخروف اللذين قُدِّما، ما قدَّمه الشعب القديم والجديد من دخولٍ للإيمان وتكريسٍ روحيٍ لله. لأنه كما بالثيران نتحقق من الصبر والشجاعة، بنفس الطريقة تَظهَرُ بالخراف ثمارُ وداعةِ أولئك الذين تبرروا بالإيمان؛ لأن الخروفَ وديعٌ وخصيب. مثلُ هؤلاء، كل العاملين المجتهدين في التعاليم الإنجيلية والذين قال لهم المسيح نفسه: ''وَكُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلاَ تُطَالِبْهُ'' (لو ٦: ٣٠). أيضاً قال بولس الرسول: ''وَعَبْدُ الرَّبِّ لاَ يَجِبُ أَنْ يُخَاصِمَ، بَلْ يَكُونُ مُتَرَفِّقاً بِالْجَمِيعِ، صَالِحاً لِلتَّعْلِيمِ، صَبُوراً عَلَى الْمَشَقَّاتِ'' (٢ تيمو ٢: ٢٤).

وأمَّا أنه يجب -مع كل ما قلته- أنْ تصير تقدمة الماعز، فهو ما لا يُظهِر شيئاً آخراً إلَّا ذاك الذي قلته للتو، بمعنى أنَّ الكلَّ لهم احتياج للتطهير بالتوبة وغفران الزلات، حتى لو كان البعضُ صالحين من طبيعتهم. وأيضاً لأن داود النبي كان يعرف هذا، فقال: ''إِنْ كُنْتَ تُرَاقِبُ الآثَامَ يَارَبُّ، يَا سَيِّدُ، فَمَنْ يَقِفُ'' (مز ١٣٠: ٣).

وإذا كان التيسُ -وفقاً للناموس القديم- يقدَّمُ ذبيحةً من أجل غفران الخطايا، لكن الآن، الذبيحةَ المقدسةَ لأجلنا هي التوبةُ وطلب الصفح حيث نقترب من الله روحياً وحقيقياً لأنه يقول: ''ذَكِّرْنِي فَنَتَحَاكَمَ مَعاً. حَدِّثْ لِكَيْ تَتَبَرَّرَ'' (إش ٤٣: ٢٦). وداود يترنم قائلاً: ''أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلاَ أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي، وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي'' (مز ٣٢: ٥) هل صار حديثي واضحاً عن تقدمات الرؤساء؟

بلاديوس: واضحٌ جداً.

كيرلس: يجب أنْ نقول إنه عندما قُدِّمت التقدمة من كل واحدٍ وللجميع، بدأ الله يتحدَّث إلى موسى في الخيمة المقدسة عن تفسير الأقوال الإلهية. مكتوب أيضاً في سفر العدد الآتي: ''فَلَمَّا دَخَلَ مُوسَى إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ، كَانَ يَسْمَعُ الصَّوْتَ يُكَلِّمُهُ مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ الَّذِي عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبَيْنِ، فَكَلَّمَهُ'' (عد ٧: ٨٩). طالما انتهى العمل في الخيمة المقدسة، وبزيناتٍ مختلفةٍ، ظهرت الخيمة الحقيقية المقدسة أي الكنيسة، عندئذ تحدَّث لنا الله الآب؛ لأنه يقول: ''كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ'' (عب ١: ٢)، والذي نقول عنه -وفق الكتب المقدسة- إنه كفَّارةٌ لأجل خطايانا (١ يو ٢: ٢).

الصوتُ أتى من فوق الكروبيم؛ لأنَّ الله يوجد فوق، عالياً جداً أسمى من كل الخليقة، إذ أنه أعظم بحسب جوهره من أي خليقة. الابنُ، الكفَّارةُ الحقيقيةُ حين أخبرنا بكلام الله الآب، قال: ''تَعْلِيمِي لَيْسَ لِي بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي'' (يو ٧: ١٦). سُمِعَ الصوت فوق غطاء الكفَّارة، وسوف تندهش اندهاشاً عظيماً وأنت تفحص مسألة مجيء رؤساء القبائل، حيث حُدِّد لكل واحدٍ يوماً بمفرده، يجب فيه أنْ يتمم كل ما أُمر به، ويُحضِر تقدمَته

آتياً بنظامٍ معيَّنٍ كما حدَّد المشرع. وهذا الترتيب لا يعتمد على العمر، وهو ليس عشوائياً أيضاً، لكن خضع هذا الترتيب الخاص بالرؤساء لتدبير سرى.

بلاديوس: لكني لا أستطيع أنْ أفهم هذا الذي تقوله، حدثني بوضوح.

ترتيب حضوررؤساء القبائل للخيمة

كيرلس: إذا أردت أنْ يصير أمر هذا الترتيب واضحاً، يجب أنْ نتحدث عن ترتيب أبناء يعقوب. هل ترغب في ذلك؟

بلاديوس: نعم تماماً.

كيرلس: حسناً، رأوبين هو البكر، ثم شمعون ولاوى ويهوذا من الأم ليئة. وكان دان ونفتالي من بلهة الخادمة، وجاد وأشير من زلفة خادمة ليئة. أيضاً فيما عدا الأربعة الأولون، ولدت ليئة يساكر وزبولون، ومن راحيل وُلد يوسف وبنيامين.

إذن، الأولون كانوا أبناء ليئة، أي أربعة من الحُرّة: رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا. أمَّا الأربعة الآخرون من الخادمتين بلهة وزلفة هم: دان ونفتالي وجاد وأشير. فيما عدا هؤلاء، الأربعة الأولون والأربعة الآخرون كان هناك اثنان من ليئة: يساكر وزبولون، ومن راحيل يوسف وبنيامين. ونذكر أيضاً إن نصيب يوسف قُسِّم على سبطين، على افرايم ومنسى اللذان وُلدا منه.

بلاديوس: طبعاً أعرف جيداً ترتيب الأسماء، لكن ماذا تريد من ذلك؟ يجب عليك أنْ توضح لي الأمر.

كيرلس: إنَّ ترتيبهم يا بلاديوس أثناء تقدماتهم لم يكن وفق السن. فقد أتى يهوذا أولاً بالرغم من أنَّ ترتيبه الرابع من جهة الولادة. ثم التاسع يساكر ومعهم زبولون العاشر. ثم المجموعة الثانية كانت تتكون من البكر رأوبين، وبعده الثاني شمعون. ومعهم أُضيف دان من العبدة. ثم المجموعة الثالثة من الأمهات الحُرّات افرايم ومنسى وبنيامين. أخيراً المجموعة الرابعة كل من وُلِدَ من الجواري وكانوا ثلاثة: دان وأشير ونفتالي، بالرغم ممن انضموا في الترتيب معهم أقصد افرايم ومنسى وبنيامين. ألا تعتبر إذن أنَّ الفحص التفصيلي لهذا الأمر مُهم؟

بلاديوس: بل هامٌ جداً. حسناً، حاول أنْ تخبرني ما هو السبب.

كيرلس: الأمر كما أعتقد له مغزى، فالأمور التي تشير إلى المسيح هي الأسبق في الترتيب عند الله عن تلك التي للناموس، كما أنَّ الآخِرين صاروا أوَّلين، والعكس صار الأولون آخِرين. فالمتقدمون في السن زمنياً، الذين هم أبكار، أي الإسرائيليون أتوا في الترتيب بعد الأمم. وكل الذين عندهم روح عبودية، وهم أبناء أورشليم العبدة، سوف يتركون عظمتهم في المجد لأبناء الحُرّة التي هي أمٌ لنا، نحن الذين خلُصنا بالإيمان بالمسيح ودُعينا إلى الرُتبة الحُرّة بروح الحرية.

إذن، لاحظ إذا أردت، دِقةَ شرحي. الأول سبط يهوذا يقدِّم تقدمته، ذلك السبط الذي منه وُلِدَ المسيح بحسب الجسد. ثم بعد هذا السبط مباشرةً الأسباط أشير وزوبولون، والاثنان كانا أحراراً من أمهات حُرّات. ثم رأوبين البكر وشمعون وجاد. إذاً دعنا نمضي في التحدث عن كل واحد مركِّزين في نبوءة يعقوب عنهم.

حسناً، قال يعقوب العظيم: ''رأوبين أنت بِكري قوتي وأول قدرتي، قاسٍ في تصرفه وقاسٍ ووقح'' (تك ٤٩: ٣ – ٤س).

وأيضاً ''شِمْعُونُ وَلاَوِي أَخَوَانِ، آلاَتُ ظُلْمٍ سُيُوفُهُمَا. فِي مَجْلِسِهِمَا لاَ تَدْخُلُ نَفْسِي. بِمَجْمَعِهِمَا لاَ تَتَّحِدُ كَرَامَتِي. لأَنَّهُمَا فِي غَضَبِهِمَا قَتَلاَ إِنْسَاناً، وَفِي رِضَاهُمَا عَرْقَبَا ثَوْراً. مَلْعُونٌ غَضَبُهُمَا فَإِنَّهُ شَدِيدٌ، وَسَخَطُهُمَا فَإِنَّهُ قَاسٍ. أُقَسِّمُهُمَا فِي يَعْقُوبَ، وَأُفَرِّقُهُمَا فِي إِسْرَائِيلَ'' (تك ٤٩: ٥ – ٧).

وعن جاد قال الآتي: ''جَادُ، يَزْحَمُهُ جَيْشٌ، وَلكِنَّهُ يَزْحَمُ مُؤَخَّرَهُ'' (تك ٤٩: ١٩).

إذن، برأوبين يشير إلى إسرائيل، الشعب البكر من ناحية الزمن، الذي كان قاسياً ووقحاً وشتّاماً. وعن شمعون الذي يُصاحبه اللاوي الذي كان جاهزاً للقتل، وقد قتل قدِّيسين يقول: ''أَيُّ الأَنْبِيَاءِ لَمْ يَضْطَهِدْهُ آبَاؤُكُمْ'' (أع ٧: ٥٢). والثور الذي أرادوا أنْ يقتلوه هو رمزٌ للمسيح. وهو لم يضبطهم فقط في أنهم يُقدِمون على إتيان أفعالٍ مضادةٍ للقديسين وله، بل تعاون الجالسون منهم بالقرب من المذبح، أي الكتبة والفريسيون مع اللاوى،



أي الجنس الكهنوتي. لذلك -في نبوات يعقوب أبو الآباء- ارتبط شمعون ولاوى ومعهم جاد الذي وُلِدَ من الخادمة (العبدة) وكان مزعجاً. أضف إلى ذلك أنَّ إسرائيل كان وضيعاً في رأيه، وكان يضايق المسيح وينصب له الفخاخ لكي يُلحِقوا الضرر به، إذ اقتربوا منه وقالوا: ''أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ'' (مت ٢٢: ١٧).

سأعود بحديثي إلى بداية الكلام. إسرائيل -البِكر من جهة الزمن- القاسي، والوقح والشتّام والمتأهِّب للقتل الذي امتلأ بغضبٍ ملعون، إسرائيل الذي قتل بشراً (الأنبياء) والثور (المسيح)، إسرائيل المبتذل والمخادع الذي نصب الفخاخ للمسيح، جاء في المرتبة الثانية بعد هؤلاء الذين آمنوا بالمسيح وهم أحرار، وبالرغم من أنه كان حُرّاً، إلَّا أنه بالكاد يمكنه أنْ يتقابل مع الله بعدنا.

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب.

كيرلس: سوف تفهم هذا لو لاحظت جيداً الأمور الآتية: ثلاثةٌ أحضروا تقدماتهم الواحد بعد الآخر من راحيل الحُرّة: إفرايم ومنسى وبنيامين. وثلاثةٌ أيضاً الواحد بعد الآخر بعد السابقين مولودون من جاريات هم دان، أشير ونفتالي.

هل أدركت إذن أنهم اصطفوا بكرامات عظيمة، أولاد الحُرّة أولاً، وبعد ذلك تبعهم أولاد الجواري. أليس واضحاً الكلام الذي كتبه بولس الرسول، إذ يقول: ''أَنَّ الْقَسَاوَةَ قَدْ حَصَلَتْ جُزْئِيّاً لإِسْرَائِيلَ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ مِلْؤُ الأُمَمِ، وَهكَذَا سَيَخْلُصُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ'' (رو ١١: ٢٥).

بلاديوس: حديثُك مستقيمٌ، وملاحظتُك دقيقة.

كيرلس: وكون أنَّ الأمر يتفق مع الحق، فهو ما سوف تعرفه بسهولة جداً؛ لأن الكتاب يؤكده لنا مباشرةً. وهناك آراءٌ أخرى. لقد أمر الله أن يكون كل شيءٍ بنظام لائقٍ سواء بالنسبة للمرتحلين والواقفين، أو المخيِّمين من الإسرائيليين. وأعتقد أنَّ هذا ما ترنَّم به داود الطوباوي: ''فَأَطُوفُ بِمَذْبَحِكَ يَا رَبُّ، لأُسَمِّعَ بِصَوْتِ الْحَمْدِ، وَأُحَدِّثَ بِجَمِيعِ عَجَائِبِكَ'' (مز ٢٦: ٦ - ٧)، وأيضاً: ''وَالآنَ يَرْتَفِعُ رَأْسِي عَلَى أَعْدَائِي حَوْلِي، فَأَذْبَحُ فِي خَيْمَتِهِ ذَبَائِحَ الْهُتَافِ

" (مز ٢٧: ٦). وهنا نلاحظ أنَّ هذا مِثالٌ لنا للتعليم. بمعنى أنه لا يجب أنْ نبتعد نحن عن الله، لكن لنظهر بالقرب منه، كما يجب أن نقف دائرياً حوله دون أنْ تدخل بيننا الخطية، ودون أنْ تفصلنا اللذة العالمية، بل إن الذهن المستقيم، والاستعداد من جانب كل واحد للعمل المستحق كل ثناء، يجمعنا في وحدةٍ روحيةٍ. لأن الالتزام بتقديم العطايا، يتفق تماماً مع هؤلاء الذين يختارون هذا الثناء. لأنه مكتوب: "أَنْذُرُوا وَأَوْفُوا لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ يَا جَمِيعَ الَّذِينَ حَوْلَهُ. لِيُقَدِّمُوا هَدِيَّةً لِلْمَهُوبِ" (مز ٧٦: ١١).

لذلك أمر أنْ يتحركوا مع الخيمة، ويسيروا دائرياً، وأيضاً بنظامٍ ليس بحسب السن، لكن أن يتقدموا -بترتيبٍ- من الأولين إلى الآخرين، ومرتبطين هكذا على مثال وضعهم في تقدمة العطايا. ومكتوب أيضاً في سفر العدد الآتي: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلاً: يَنْزِلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ كُلٌّ عِنْدَ رَايَتِهِ بِأَعْلاَمٍ لِبُيُوتِ آبَائِهِمْ. قُبَالَةَ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ حَوْلَهَا يَنْزِلُونَ" (عد ٢: ١ - ٢). ثم أظهر لكل واحدٍ الموضعَ الذي حُدِّد له، أي كيف، ومَن هم الذين ينزلون؟ لأنه يضيف الآتي: "(الأولون) النَّازِلُونَ إِلَى الشَّرْقِ، نَحْوَ الشُّرُوقِ، رَايَةُ مَحَلَّةِ يَهُوذَا حَسَبَ أَجْنَادِهِمْ، وَالرَّئِيسُ لِبَنِي يَهُوذَا نَحْشُونُ بْنُ عَمِّينَادَابَ، وَجُنْدُهُ الْمَعْدُودُونَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ وَسَبْعُونَ أَلْفاً وَسِتُّ مِئَةٍ. وَالنَّازِلُونَ مَعَهُ سِبْطُ يَسَّاكَرَ، وَالرَّئِيسُ لِبَنِي يَسَّاكَرَ نَثَنَائِيلُ بْنُ صُوغَرَ" (عد ٢: ٣ - ٥).

بعد ذلك يذكر المجموعة الثانية، فيقول: "رَايَةُ مَحَلَّةِ رَأُوبَيْنَ إِلَى التَّيْمَنِ حَسَبَ أَجْنَادِهِمْ، وَالرَّئِيسُ لِبَنِي رَأُوبَيْنَ أَلِيصُورُ بْنُ شَدَيْئُورَ، وَجُنْدُهُ الْمَعْدُودُونَ مِنْهُ سِتَّةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفاً وَخَمْسُ مِئَةٍ. وَالنَّازِلُونَ مَعَهُ سِبْطُ شِمْعُونَ، وَالرَّئِيسُ لِبَنِي شِمْعُونَ شَلُومِيئِيلُ بْنُ صُورِيشَدَّاي، وَجُنْدُهُ الْمَعْدُودُونَ مِنْهُمْ تِسْعَةٌ وَخَمْسُونَ أَلْفاً وَثَلاَثُ مِئَةٍ. وَسِبْطُ جَادَ، وَالرَّئِيسُ لِبَنِي جَادَ أَلِيَاسَافُ بْنُ رَعُوئِيلَ" (عد ٢: ١٠ - ١٤). ويلخص المجموعة الثانية قائلاً: "ثُمَّ تَرْتَحِلُ خَيْمَةُ الاجْتِمَاعِ. مَحَلَّةُ اللاَّوِيِّينَ فِي وَسَطِ الْمَحَلاَّتِ. كَمَا يَنْزِلُونَ كَذلِكَ يَرْتَحِلُونَ. كُلٌّ فِي مَوْضِعِهِ بِرَايَاتِهِمْ. رَايَةُ مَحَلَّةِ أَفْرَايِمَ حَسَبَ أَجْنَادِهِمْ إِلَى الْغَرْبِ، وَالرَّئِيسُ لِبَنِي أَفْرَايِمَ أَلِيشَمَعُ بْنُ عَمِّيهُودَ، وَجُنْدُهُ الْمَعْدُودُونَ مِنْهُمْ أَرْبَعُونَ أَلْفاً وَخَمْسُ مِئَةٍ. وَمَعَهُ سِبْطُ مَنَسَّى، وَالرَّئِيسُ لِبَنِي مَنَسَّى جَمْلِيئِيلُ بْنُ فَدَهْصُورَ، وَجُنْدُهُ الْمَعْدُودُونَ مِنْهُمُ اثْنَانِ وَثَلاَثُونَ أَلْفاً وَمِئَتَانِ. وَسِبْطُ بَنْيَامِينَ، وَالرَّئِيسُ لِبَنِي بَنْيَامِينَ أَبِيدَنُ بْنُ جِدْعُونِي" (عد ٢: ١٧ - ٢٢).

ويذكر المجموعة الرابعة مباشرةً قائلاً: "رَايَةُ مَحَلَّةِ دَانَ إِلَى الشِّمَالِ حَسَبَ أَجْنَادِهِمْ، وَالرَّئِيسُ لِبَنِي دَانَ أَخِيعَزَرُ بْنُ عَمِّيشَدَّايَ، وَجُنْدُهُ الْمَعْدُودُونَ مِنْهُمُ اثْنَانِ وَسِتُّونَ أَلْفاً وَسَبْعُ مِئَةٍ. وَالنَّازِلُونَ مَعَهُ سِبْطُ أَشِيرَ، وَالرَّئِيسُ لِبَنِي أَشِيرَ فَجْعِيئِيلُ بْنُ عُكْرَنَ، وَجُنْدُهُ الْمَعْدُودُونَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفاً وَخَمْسُ مِئَةٍ. وَسِبْطُ نَفْتَالِي، وَالرَّئِيسُ لِبَنِي نَفْتَالِي أَخِيرَعُ بْنُ عِينَنَ، وَجُنْدُهُ الْمَعْدُودُونَ مِنْهُمْ ثَلاَثَةٌ وَخَمْسُونَ أَلْفاً وَأَرْبَعُ مِئَةٍ. جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ لِمَحَلَّةِ دَانٍ مِئَةُ أَلْفٍ وَسَبْعَةٌ وَخَمْسُونَ أَلْفاً وَسِتُّ مِئَةٍ. يَرْتَحِلُونَ أَخِيراً بِرَايَاتِهِمْ" (عد ٢: ٢٥ – ٣١).

هل رأيت أنَّ يهوذا ومَن له قد أُمِّرُّوا وأُعطيَ لهم موضع مختار تجاه الشرق والجنوب؟ لأن مؤمني المسيح يحيون في النور[1] ولهم روح مشتعلة. اصطف رأوبين ومَن له في المرتبة الثانية. والترتيب الثالث كان من نصيب أولئك الذين أتوا من الحرّة. بعد هؤلاء ثلاثة آخرون الذين انحدروا من جاريات قيل لهم: "ستنطلقون في الأخير". أليس واضحاً دون أي تردد أنَّ الثاني دُعيَ وفُضِّل عن البِكر، أي أنَّ المؤمنين بالمسيح صاروا في المرتبة الأولى بدلاً من أبناء العبودية؟ هؤلاء هم المؤمنين الأحرار من جهة الإيمان أي أنَّ هؤلاء يتزعَّمون لأنَّ قائدهم المسيح القادم من سبط يهوذا، بينما يأتي الآخرون بعدهم بصعوبة، ويصطفُّون في الترتيب الثاني.

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب، وأنا أمدحك لأجل فكرك الثاقب الدقيق.

١ـ في شرحه لنص (يو ١٢: ٣٦) يقول القديس كيرلس: "مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ آمِنُوا بِالنُّورِ لِتَصِيرُوا أَبْنَاءَ النُّورِ" يؤكد على أننا صرنا أبناء النور، إذ يقول: "لذلك، فهو يؤكد أن الإيمان بشخصه هو (المسيح)، الذي بواسطته يأتي الإنسان أيضاً إلى معرفة الآب، هذا الإيمان هو طريق الخلاص. وهو يدعو الذين يؤمنون، "أبناء النور" سواء أبناءه هو أو أبناء الآب، لأنه يتحدث عن الآب "كنور"، بعد أن تحدث عن نفسه "كنور" لكي يُوضّح أن طبيعته وطبيعة الآب هي واحدة: ونحن نصير أبناء الآب، حينما، بواسطة الإيمان بالمسيح، نقبل الآب الذي هو "نور"؛ لأننا حينئذ سنُلقب بلقب أولاد الله" شرح إنجيل يوحنا، المجلد الثاني، ص ٨٢.

المقالة الحادية عشر

عن الكهنوت،
وأنَّ الكهنوت بحسب الناموس،
كان ظِلاً للكهنوت بحسب المسيح

كيرلس: لقد تحدثنا حديثاً كافياً عن الخيمة وعن كل ما أعلنه الله بخصوصها، وكان حديثنا فعالاً وجاء مناسباً من جهة الشرح الروحي المفصَّل. علينا أيضاً -بحسب رأيي- وأظنك توافقني، أنْ نشرح تقدمات الكهنوت، وإنه بكهنوت الظل والناموس أُشير إلى الكهنوت الحقيقي، أي إلى الكهنوت بحسب المسيح، والذي بواسطته تقدَّس الجنس المقدَّس من خلال المسيح. وأقصد بهم أولئك الذين قد استُنيروا بالإيمان، وحصلوا على غنى الاتحاد مع الله، إذ ظلوا في حالة شركة مع الروح القدس.

بلاديوس: أوافق بالتأكيد، وكلامُك حَسِنٌ.

اختيار الكهنة

كيرلس: حسناً، طالما اكتملت الخيمة المقدسة كما يليق، وتشبَّهت في الشكل بالمثال الذي ظهر لموسى على الجبل، مضى الله في اختيار الكهنة قائلاً: ''وَقَرِّبْ إِلَيْكَ هَارُونَ أَخَاكَ وَبَنِيهِ مَعَهُ مِنْ بَيْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَكْهَنَ لِي. هَارُونَ نَادَابَ وَأَبِيهُوَ أَلِعَازَارَ وَإِيثَامَارَ بَنِي هَارُونَ'' (خر ٢٨: ١). إنَّ كل الذين أُختيروا للخدمة الكهنوتية المقدسة، دُعُوا بأسمائهم. لأنه وفق المكتوب ''لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ هذِهِ الْوَظِيفَةَ بِنَفْسِهِ، بَلِ الْمَدْعُوُّ مِنَ اللهِ، كَمَا هَارُونُ أَيْضاً'' (عب ٥: ٤). إذن، لا أحد يأتي من نفسه إلى كهنوت الله لكن عليه أنْ ينتظر الدعوة، لأنه إنْ شَرَعَ أحدٌ في أنْ يخطف هذه الدعوة السماوية التي ليست له، فسوف

يخضع لتأديب داثان وأبيرام. ولا تتشكك في أنَّ الدعوة الذاتية (أي تلك التي يُقحِم الإنسان نفسه فيها) تكون غير لائقة، إذ يكتب بولس عن المسيح قائلاً: ''كَذلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضاً لَمْ يُمَجِّدْ نَفْسَهُ لِيَصِيرَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ، بَلِ الَّذِي قَالَ لَهُ: أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. كَمَا يَقُولُ أَيْضاً فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ'' (عب ٥: ٥ – ٦).

هارون مثال للكاهن الحقيقي

إذن، الدعوة التي قيلت للمسيح، تمت الإشارة إليها أيضاً فيما قيل مراراً لموسى: ''وقرِّب إليك هرون أخاك وبنيه معه من بين بني إسرائيل ليكهن لي''. ثمَّ ألا تعني كلمة ''قرِّب''، ''أدعوه وخُذه بالقرب منك''؟ لقد دُعيَ المسيحُ ليصير رئيسَ كهنةٍ بقرار الآب. كما دُعيَ أيضاً وعُيِّن معه التلاميذ القديسين المشاركين له في الخدمة المقدسة. لذلك كرزوا بتعبيرات فائقة للوصف قائلين: ''نحن عاملون مع الله'' (١ كو ٣: ٩، رو ١٦: ٣)، متجولين في كل المسكونة كارزين للأمم بإنجيل المسيح. فقد دُعُوا لرسالتهم بواسطة المسيح والكلمة، وهذا صحيح، لكن هذا الأمر كان على أية حال حسب مسرة الآب، إذ أنَّ فكر الآب وحكمته وإرادته هو الابن.

هرون إذن، هو مثالٌ للمسيح مقدِّماً لنا الكهنوت الروحي والحقيقي من خلال الظلال الباهتة. ولاحظ أنَّ موسى أخذ أمراً بشأن دعوة هرون بالقرب منه، لأنَّ الناموسَ ضعيفٌ وناقصٌ إذا ابتعد عن المسيح. لأنه مكتوب ''لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا'' (عب ١٠: ٤). لكن المسيح، إذ قُدِّم ذبيحةٌ لأجل الخطايا، جعل كل الذين تقدَّسوا كاملين إلى الأبد. إذن، فليعرف محبُّو الظل ومكرِّمو الوصايا الناموسية، والذين مازالوا يُصرُّون بغيرةٍ على عبادة الظلال أنه إنْ لم يحضروا بالقرب من رئيس الكهنة ورسول إيماننا يسوع المسيح، فإنهم لن يستفيدوا شيئاً. ما هي فائدة مفاخر الحياة بحسب الناموس عند الله الذي يُكرِّم الفضائل؟ لذلك بسبب عظمة معرفة المسيح يقول إنه يعتبر أمور العالم نفاية ويفضِّل الأمور الروحية (انظر في ٣: ٨). وهذا المعنى نراه في أمر الله لموسى بأنْ يدعو هرون بالقرب منه.



بلاديوس: إنني أفهم ما تقوله وحديثك واضح.

كيرلس: مكتوب: "ادعُ بالقرب منك أخيك هرون" (خر ٢٨: ١)[1]. وأعتقد أن الأمر مفيدٌ روحياً. انتبه إذن لما أقوله. لقد أُرسِل موسى لكي يُخرِج الإسرائيليين من العبودية في مصر، وقد رأى موسى أنَّ الأمر يتجاوز بكثير ضعفه البشرى، إذ تخطى -بكثير- قدرته وفصاحته، عندئذٍ يترجى الله ويقول: "لَسْتُ أَنَا صَاحِبَ كَلاَمٍ مُنْذُ أَمْسِ وَلاَ أَوَّلِ مِنْ أَمْسِ، وَلاَ مِنْ حِينِ كَلَّمْتَ عَبْدَكَ، بَلْ أَنَا ثَقِيلُ الْفَمِ وَاللِّسَانِ" (خر ٤: ١٠). عندئذٍ قال له الله: "مَنْ صَنَعَ لِلإِنْسَانِ فَماً؟ أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيراً أَوْ أَعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنَا الرَّبُّ" (خر ٤: ١١). ولكن موسى وقد تملَّكه الخوف والهلع من حجم العمل المكلف به قال: "اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَرْسِلْ بِيَدِ مَنْ تُرْسِلُ" (خر ٤: ١٣). عندئذٍ عيَّن الله مباشرةً، هرون كمثالٍ للمسيح الذي يستطيع أن ينجز كل شيء بسهولة، إذ ليس في الإمكان أنْ يُفدي إسرائيل إنْ لم يُعطَ له المسيح -الذي أُشير إليه بشخص هرون- معيناً في خوفه وضعفه. لقد أُكمل ضعف الناموس بشخص المسيح، إذ ربط هرون بموسى الطوباوي بعدما اختاره للكهنوت. لأنَّ الناموس[2] لا يكفي للفداء وليس لديه القدرة لكي يقدِّس المفديِّين من الخطية. لكن الفداء طبعاً، والقداسة يصيران بالعمل المشترك للقديسين مع المسيح، مثلما فعل موسى -بالضبط- مع هرون في مصر، وكذلك أبناء هرون مع هرون نفسه.

لقد عَمِل التلاميذ القديسون مع المسيح رئيس الكهنة والقائد، ذاك الذي يمكنه -بالتأكيد- أنْ يحقق كل شيء، ولكن هؤلاء التلاميذ -بعملهم المشترك معه- لا يساعدونه لضعفٍ فيه، لكن لأنهم دُعُوا ليخدموا، فقد أُختيروا كأناسٍ ممتازين، إضافةً إلى أنهم سوف يحصلون منه على القوة التي تجعلهم ينجزون كل شيء. وهذا ما يؤكده بولس الرسول قائلاً: "أَسْتَطِيعُ

١- هكذا ورد النص عند ق كيرلس، والنص هو "وقرّب إليك هرون أخاك وبنيه معه من بين بني إسرائيل ليكهن لي.هرون ناداب وابيهو العازار وايثامار بني هرون".

٢- يقول القديس كيرلس في موضع آخر: "إن الله لا يُقتَرب إليه بعبادة الناموس، ويمكن أن نقترب إليه فقط بواسطة المسيح. لأنه لأجل هذا حصلنا على نعمة قدومنا بروح واحد إلى الآب (انظر أفسس ٢:١٨)، أي في اليوم الثامن حيث إنقضى بالفعل ناموس السبت وأتينا إلى اليوم الثامن الأشمل والأكمل بالمقارنة بالناموس. لأن الناموس لم يُحضِر أحداً إلى الكمال (انظر عب ٧:١٩) بل المسيح قادنا إلى الكمال. لأن هؤلاء الذين قد آمنوا هم كاملون في الفضيلة ولديهم معرفة كاملة بنعمة المسيح" جيلافيرا على سفر الخروج، المقالة الثانية، الكتاب الشهري فبراير ٢٠١٠.

كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي" (في ٤: ١٣).

بلاديوس: إذن، فقد دُعِيَ هرون وآخرين بأسمائهم -كمختارين- إلى الواجب المقدس.

بهاء الكهنوت

كيرلس: بالإضافة إلى هذا، فقد شرَّع أنْ يُصنع لهؤلاء ملابس بهيةً ولائقةً للقداسة قائلاً: "وَاصْنَعْ ثِيَاباً مُقَدَّسَةً لِهَارُونَ أَخِيكَ لِلْمَجْدِ وَالْبَهَاءِ. وَتُكَلِّمُ جَمِيعَ حُكَمَاءِ الْقُلُوبِ الَّذِينَ مَلأْتُهُمْ رُوحَ حِكْمَةٍ، أَنْ يَصْنَعُوا ثِيَابَ هَارُونَ لِتَقْدِيسِهِ لِيَكْهَنَ لِي" (خر ٢٨: ٢ – ٣). ولذلك ينصح بولس الحكيم، أولئك الذين خلصوا بالإيمان أنْ يلبسوا اللُباس المقدس الحقيقي والسماوي قائلاً: "الْبَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ، وَلاَ تَصْنَعُوا تَدْبِيراً لِلْجَسَدِ لأَجْلِ الشَّهَوَاتِ" (رو ١٣: ١٤). هذا ما أعلنه أيضاً -بالتأكيد- النبي إشعياء نيابةً عن الكنيسة قائلاً: "تَبْتَهِجُ نَفْسِي بِإِلَهِي، لأَنَّهُ قَدْ أَلْبَسَنِي ثِيَابَ الْخَلاَصِ" (إش ٦١: ١٠). إذن، فالمسيح حقاً، هو اللُباس المجيد والبهي والمقدس للجنس الكهنوتي، إنه الزينة البهيّة والفائقة لنفوس القديسين. لأنه يقول: "كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ" (غلا ٣: ٢٧) والقول حقٌ هو.

لقد زيَّن الناموس -بظلاله- هرون في اقترابه من المسيح، آخذاً المجد من زينة المسيح المتنوعة. لأنَّ صناعة الملابس تنطوي على مغزىً سريٍّ يُعلِن -بطريقةٍ رمزيةٍ- مجد المخلِّص. ولعلك تلاحظ كيف يقول إنَّ صُنَّاعَ الزينة مملوءون من الفهم الممنوح لهم من الله، أي ذلك الفهم الذي يقودهم إلى طباعة زينة زاهية متنوعة، أي مجد المسيح، فوق الملابس الكهنوتية.

والملابس المصنوعة تشمل الصدرة والرداء والجُبة والقميص المخرَّم والعمامة والمِنطقة، وملابس أخرى سوف نتحدث عنها بقدر استطاعتنا في المكان المناسب. لقد قال لأولئك الذين أخذوا على عاتقهم هذه الأعمال: "فَيَصْنَعُونَ ثِيَاباً مُقَدَّسَةً لِهَارُونَ أَخِيكَ وَلِبَنِيهِ لِيَكْهَنَ لِي" (خر ٢٨: ٤ – ٥). من فضلك، دع فكرك يتأمل فيما قلناه ولاحظ هذا الأمر.

بلاديوس: ما الذي تريد أنْ تقوله؟

كيرلس: ألم يُصنع كل ما هو موجود في الخيمة من ذهب وبوص مبروم وأسمانجوني وأرجوان وقرمز (انظر خر ٢٦: ١)، وهذا يُرمز إلى المسيح؟

بلاديوس: بالفعل، كل شيء يرمز إلى المسيح.

كيرلس: حسناً، لاحظ أنَّ ثياب الكهنوت صُنعت بنفس المواد لكي تشير -كما في صورةٍ ومثال- إلى مجد المسيح. لأنَّ الأقوال نفسها، تُظهر جمال المسيح. فالذهب يشير إلى إلوهيته، والأرجوان يشير إلى رتبة المسيح الملوكية، والبوص (قماش أبيض شفاف من اللينوه الرقيق) يشير إلى الكلمة قبل تجسده، والقرمز (الأحمر) يشير إلى الجسد الذي اتخذه، والأسمانجوني (الأزرق السماوي) الذي هو لون الياقوت يشير إلى أنه أتى من فوق، أي من السماء. أليس كلمة الله الآب هو إلهٌ وملكٌ معاً؟

بلاديوس: كيف لا يكون؟!

كيرلس: أليس حقاً أنَّ كلمة الآب الذي هو روح بغير جسد (الرقيق)، اتخذ جسداً وأتى من فوق؟ (انظر يو ١: ١٤).

بلاديوس: هذا حق.

كيرلس: هكذا يتفق أمر المواد التي صُنعت منها الملابس، مع كل تلك التي توجد داخل الخيمة المقدسة من جهة هذه الرؤية الدقيقة.

لقد حان الوقت لكي نتحدث عن تلك الملابس المتنوعة التي صُنعت لهرون. حسناً، يقول: "فَيَصْنَعُونَ الرِّدَاءَ مِنْ ذَهَبٍ وَأَسْمَانْجُونِيٍّ وَأُرْجُوَانٍ وَقِرْمِزٍ وَبُوصٍ مَبْرُومٍ صَنْعَةَ حَائِكٍ حَاذِقٍ. يَكُونُ لَهُ كَتِفَانِ مَوْصُولاَنِ فِي طَرَفَيْهِ لِيَتَّصِلَ. وَزُنَّارُ شَدِّهِ الَّذِي عَلَيْهِ يَكُونُ مِنْهُ كَصَنْعَتِهِ. مِنْ ذَهَبٍ وَأَسْمَانْجُونِيٍّ وَقِرْمِزٍ وَبُوصٍ مَبْرُومٍ" (خر ٢٨: ٦ - ٨).

وحيث إنه حدد المواد التي تكلّمنا عنها بخصوص الأقمشة أضاف قائلاً: "وَتَأْخُذُ حَجَرَيْ جَزْعٍ وَتَنْقُشُ عَلَيْهِمَا أَسْمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. سِتَّةً مِنْ أَسْمَائِهِمْ عَلَى الْحَجَرِ الْوَاحِدِ، وَأَسْمَاءَ السِّتَّةِ الْبَاقِينَ عَلَى الْحَجَرِ الثَّانِي حَسَبَ مَوَالِيدِهِمْ. صَنْعَةَ نَقَّاشِ الْحِجَارَةِ نَقْشَ الْخَاتِمِ تَنْقُشُ الْحَجَرَيْنِ عَلَى حَسَبِ أَسْمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. مُحَاطَيْنِ بِطَوْقَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ تَصْنَعُهُمَا. وَتَضَعُ الْحَجَرَيْنِ عَلَى كَتِفَيِ الرِّدَاءِ حَجَرَيْ تَذْكَارٍ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. فَيَحْمِلُ هَارُونُ أَسْمَاءَهُمْ أَمَامَ الرَّبِّ عَلَى كَتِفَيْهِ لِلتَّذْكَارِ" (خر ٢٨: ٩ - ١٢).

بلاديوس: شرحُك عميقٌ. لكن حاول أولاً أنْ تخبرني ماذا يعني الثوب الذي يُدعى ''الرداء''؟ وما هو مغزى صناعته؟

كيرلس: لقد أمر أنْ يُصنع ملبساً شبيهاً بالرداء ويصل حتى الصدر (عظمة القص) موضوعاً فوق الملابس التي كانت بالداخل، وتصل حتى الأرجل مُشعةٌ ببهاء الذهب والأرجوان، يستدعي هذا الرداء منظراً تقوياً ولائقاً بالقداسة لعيون ناظريه. هذا يُسميه رداءً (صدرة) لأن اللُباس كان صغيراً وبالكاد يغطي الكتفين. وقد حدد بوضوح أنْ يُوضع على هذا الرداء حجرين جذع زُمرد وتنقش عليهما أسماء أسباط بني إسرائيل الاثنى عشر، ستة في كل واحدة. ما هو السبب؟ هو نفسه يوضح قائلاً: ''فَيَحْمِلُ هَارُونُ أَسْمَاءَهُمْ أَمَامَ الرَّبِّ عَلَى كَتِفَيْهِ لِلتَّذْكَارِ'' (خر ٢٨: ١٢).

بلاديوس: ما الذي تعتقده بخصوص الحجرين والنقش؟

كيرلس: اسمع إذن. حجر الجذع (الزمرد) هو حجر أزرق نرى فيه أشكال بيضاوية تسبح في العمق ويمتزج فيها النور مع الظلمة، وكأن كل واحد منهما يريد أن ينتصر على الآخر. بالتالي يا بلاديوس، فالعين الجسدية وهى تنظر إلى فوق في الأعالي، وتتفحص عمق الأثير (الغلاف الجوي) والسماء، ألا ترى مثل هذا المنظر؟ لأنَّ الأثيرَ أزرقٌ ومظلمٌ في العمق، يتخلله بصيصٌ من النور.

بلاديوس: إنه كما تقول.

كيرلس: نرى في الكتاب المقدس أنَّ حجر الجذع يشير إلى السماء، وأحياناً يشير الزفير (الياقوت الأزرق) أيضاً إلى السماء؛ لأنه شاحبٌ ويشبه كثيراً حجر الجذع (الزمرد). مكتوب في سفر الخروج: ''ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، وَرَأَوْا إِلهَ إِسْرَائِيلَ، وَتَحْتَ رِجْلَيْهِ شِبْهُ صَنْعَةٍ مِنَ الْعَقِيقِ الأَزْرَقِ الشَّفَّافِ، وَكَذَاتِ السَّمَاءِ فِي النَّقَاوَةِ'' (خر ٢٤: ٩ – ١٠). هكذا شاهد الإسرائيليون ربَّ الجميع واقفاً والكل تحت رجليه، فهو ربُّ السموات، وذلك لأنهم عندما ذهبوا إلى مصر كانوا قد عبدوا الخليقة ودعوا السماء إلهاً، ولأجل خيرهم ظهر لهم هكذا. أرأيت إذن أنَّ الكتاب المقدس يرى في حجر العقيق الأزرق الشفاف الشاحب اللون الذي يتخلله



بصيصٌ من النور مثالاً وصورةً للسماء؟ إذ من طبيعة هذا الحجر أنْ يلمع بلونٍ أزرقٍ!

بلاديوس: لقد عبَّرت تعبيراً حسناً.

كيرلس: إذن، حجر الجذع هو علامةٌ وإشارةٌ إلى السماء، ومكتوب عليه كل الشعب الإسرائيلي بحسب جنسه، ومكان هذا الحجر هو الرداء، وهذا يقودنا لنتأمل فيمَن اختارهم لكي تُكتب أسماءهم في السماء، كيف أنهم سوف يستريحون على المسيح ويكونون محمولين على أكتافه كأبناءٍ محبوبين. مثل هذا الأمر قاله موسى العظيم مكرِّماً إسرائيل الذي يحميه الله ''كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ عُشَّهُ وَعَلَى فِرَاخِهِ يَرِفُّ، وَيَبْسُطُ جَنَاحَيْهِ وَيَأْخُذُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنَاكِبِهِ'' (تث ٣٢: ١١). أيضاً داود يرنِّم عن كل قديس يتمتع بمعونة الرب قائلاً: ''بِخَوَافِيهِ يُظَلِّلُكَ'' (مز ٩١: ٤).

والأجزاء التي تقع أسفل العُنق هي الأجزاء التي تحمل، وبالتالي هو يقصد الأكتاف وليس الظهر. وفق ما قاله النبي (انظر هوشع ١١: ٣)[1] سيقفون فوق أكتافه، وسوف يأخذهم بقبضة يديه، مثل افرايم القويم، هؤلاء هم الذين اختارهم لتُكتب أسماءهم في السماء[2]. هذا الأمر وصفه المخلِّص نفسه على أنه أمرٌ ممجَّدٍ وعجيبٍ ويفوق المواهب الإلهية حين قال لتلاميذه: ''لاَ تَفْرَحُوا بِهذَا: أَنَّ الأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ، بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ'' (لو ١٠: ٢٠). سيشاهد الربُّ أسماء الإسرائيليين المنقوشة فوق الأحجار الثمينة على صدر هارون، فيُذكَرُ الإسرائيليون دائماً عند الرب. بمعنى أنَّ الله الآب يقبلنا ويتذكرنا في شخص المسيح، وبواسطة المسيح نصير معروفين ومستحقين أنْ نكون تحت بصره ومكتوبين في كتاب الله (رؤ ١٣: ٨).

١- ''وأنا درّجت افرايم ممسكا إياهم بأذرعهم فلم يعرفوا إني شفيتهم''.

٢- عن تسجيل الأسماء يقول القديس غريغوريوس النيصي للمقبلين على العماد: ''أعطوني أسمائكم لكي اكتبها بحبر. الرب نفسه سوف يسطرها فوق الألواح العديمة الفساد مثل ناموس العبرانيين'' P.G. 46, 417B. هذا يعني أن التسجيل المنظور في سجلات الكنيسة هو صورة لتسجيل المختارين في الألواح السماوية. هذه الفكرة نجدها في (خروج ٣٢: ٣١، ٣٢) ''فرجع موسى الي الرب وقال آه قد اخطأ هذا الشعب خطية عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب والآن أن غفرت خطيتهم. والإ فامُحني من كتابك الذي كتبت'' وفي (لوقا ١٠: ٢٠) يقول المسيح للتلاميذ ''ولكن لا تفرحون لهذا أن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كتبت في السموات'' وفي (رؤيا ٣: ٥) ''من يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضا ولن أمحو اسمه من سفر الحياة وسأعترف باسمه أمام أبي وأمام ملائكته''.



بلاديوس: أنت تتحدث باستقامة.

كيرلس: يأمر المشرِّع أنْ يضيف الزينة الثانية ''وَتَصْنَعُ طَوْقَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، وَسِلْسِلَتَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ. مَجْدُولَتَيْنِ تَصْنَعُهُمَا صَنْعَةَ الضَّفْرِ، وَتَجْعَلُ سِلْسِلَتَيِ الضَّفَائِرِ فِي الطَّوْقَيْنِ. وَتَصْنَعُ صُدْرَةَ قَضَاءٍ. صَنْعَةَ حَائِكٍ حَاذِقٍ كَصَنْعَةِ الرِّدَاءِ تَصْنَعُهَا. مِنْ ذَهَبٍ وَأَسْمَانْجُونِيٍّ وَأُرْجُوَانٍ وَقِرْمِزٍ وَبُوصٍ مَبْرُومٍ تَصْنَعُهَا. تَكُونُ مُرَبَّعَةً مَثْنِيَّةً، طُولُهَا شِبْرٌ وَعَرْضُهَا شِبْرٌ. وَتُرَصِّعُ فِيهَا تَرْصِيعَ حَجَرٍ أَرْبَعَةَ صُفُوفِ حِجَارَةٍ. صَفٌّ: عَقِيق أَحْمَرَ وَيَاقُوتٍ أَصْفَرَ وَزُمُرُّدٍ، الصَّفُّ الأَوَّلُ'' (خر ٢٨: ١٣ – ١٧). ثم بعد ذلك، حيث ذكر أسماءهم أضاف قائلاً: ''وَتَكُونُ الْحِجَارَةُ عَلَى أَسْمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ اثْنَيْ عَشَرَ عَلَى أَسْمَائِهِمْ. كَنَقْشِ الْخَاتَمِ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى اسْمِهِ تَكُونُ لِلاِثْنَيْ عَشَرَ سِبْطاً'' (خر ٢٨: ٢١). ثم بعد قليل يقول: ''فَيَحْمِلُ هَارُونُ أَسْمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي صُدْرَةِ الْقَضَاءِ عَلَى قَلْبِهِ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْقُدْسِ لِلتَّذْكَارِ أَمَامَ الرَّبِّ دَائِماً'' (خر ٢٨: ٢٩).

بلاديوس: إنَّ الأمور المتعلّقة بالصدرة غامضة، ويبدو لي أنَّ طريقة صناعتها أيضاً صعبة الفهم جداً.

صدرة القضاء

كيرلس: إذن يجب أنْ ننتقل بحديثنا إلى هذه الأمور لكي نقترب من الحق حتى لو كانت هناك صعوبةٌ تُعيقنا عن الوصول التام إليها. فالأشياء الغامضة جداً، من الأفضل أنْ ننظرها كما لو كانت في مرآة بدلاً من عدم رؤيتها بالمرة. وسوف أشرح هذه الأمور بقدر استطاعتي وبقدر ما يسمح لي عقلي. لقد أمر أن يُصنع طوقين من ذهب بقُطرٍ أكبر من العُملة، ولكن بنفس الشكل؛ لأنَّ العُملةَ دائريةٌ. ثم بعد ذلك تُصنع سلسلتان من الذهب النقي بضفائر من الورد. السلسلتان لهما شكلٌ مختلفٌ، وهما ملونتان بألوان وأشكال الورود. وكانت هذه الألوان قُرمزي وأرجوان وذهب مجدول وخيط أزرق وأحمر. بعد ذلك يجب أن يُصنع قماشٌ مربعٌ شبيهٌ بمكعبٍ متساوي الأوجه طوله شبر وعرضه شبر. ويجب أن يُنسج نسجاً جيداً ويُرصِّع فيها ترصيعُ حجرٍ أربعةُ صفوفٍ حجارة، كل صفٍ ثلاثة حجارة، وتكون الحجارة على أسماء بني إسرائيل أثنى عشر على أسماءهم. وكانت تُصنع على



الصدرة حلقتان من ذهب، وتكون الحلقتان على طرفي الصدرة. وضفيرتا الذهب في الحلقتين على طرفي الصدرة، أمَّا طرفا الضفيرتين الأُخريين فتكونان في الطوقين، وكانتا تبدوان موضوعتين عالياً على الكتفين وتتدلى على الصدر. وتُربط الصدرة بحلقتي الرداء بسلاسل. وكان إعجاب أولئك الذين يرون الرداء عظيماً، إنه عملٌ عظيمٌ مزينٌ بالأحجار والذهب والمواد الأخرى المتعددة الألوان. وكان الهدف من هذا العمل أنْ يذكر هرون الإسرائيليين أمام الله عندما يدخل إلى القدس. هل اتضحت لك الطريقة التي عُملت بها كل هذه المشغولات؟

بلاديوس: بالطبع صارت واضحة جداً. لكن لماذا سُمِّي هذا العمل الفني الجميل بصدرة القضاء؟

كيرلس: ونحن لم نقل لماذا سُمِّيَ رداءٌ عندما تحدثنا سابقاً عنه، فذلك لأنه يمتد ليُغطي الكتفين؟

بلاديوس: نعم. لكن ما علاقة هذا بسؤالنا؟

كيرلس: اصطلاحاً وقياساً على ما قلته، سُمِّيت صدرة القضاء؛ لأنها توضع فوق القلب والأحشاء؛ لأنَّ القلب والأحشاء هما مسكن العقل الذي يضع في داخلنا الحكم المستقيم على أي عمل، ذلك الحُكم الخالي من أية ميول شيطانية، بمعنى أنَّ العقل يقوم بعمل التقييم العادل واللائق لكل شيء. أم أنه لا يوجد أي تعقُّلٍ داخلنا يزنَ الأعمال، ويفصل بين ما هو جيد وما هو غير نافع؟

بلاديوس: يُوجد بالتأكيد.

كيرلس: اعتاد الكتاب المقدس على تسمية الاستقامة والحق بالقضاء (أو الحكم العادل والبار). وداود العظيم يترنم قائلاً: "طُوبَى لِلْحَافِظِينَ الْحَقَّ وَلِلصَّانِعِ الْبِرَّ فِي كُلِّ حِينٍ" (مز ١٠٦: ٣). وأيضاً يقول: "وَعِزُّ الْمَلِكِ أَنْ يُحِبَّ الْحَقَّ. أَنْتَ ثَبَّتَّ الاسْتِقَامَةَ. أَنْتَ أَجْرَيْتَ حَقّاً وَعَدْلاً فِي يَعْقُوبَ" (مز ٩٩: ٤). فكرامة الملك ومجده يكون بهيّاً عندما يحب العدل. إذن، صدرة القضاء توضع على القلب والصدر، أي في مكان العقل حيث الاستقامة والعدل.

يوجد اثنا عشر حجراً فوق هذه الصدرة مكتوب عليهم أسماء الأسباط

الاثنى عشر. وهذا يشير إلى الرجال القديسين الممجَّدين والمكرَّمين كمثل الأحجار الكريمة المختارة والموجودة في فكر وقلب المسيح. وحقاً، يستحق هؤلاء الرجال القديسون أنْ يمثلوا أمام الله بسبب مهارتهم الفائقة في ممارسة الفضيلة وقداستهم التي لا تُقدّر بثمن. أمَّا السلاسل الذهبية التي تتعلق في صدرة القضاء، فتشير إلى العدد الكثير والذي لا يُحصى من فضائل القديسين. أيضاً داود الطوباوي يقول إنَّ الزينة الكريمة للكنيسة توجد في ثيابها المطرزة من الفضائل (انظر مز ٤٥: ١٤).

بلاديوس: إنَّ شرحَك مقنعٌ.

كيرلس: تمتدُ سلسلةٌ جميلةٌ كثيرةُ الألوان بالحلقات الذهبية المربوطة من صدرة القضاء -كما قُلنا- تمتد السلاسل من الطوقين وتصل إلى طرف الرداء حيث الأحجار منقوشةٌ فوقها الأسماء. ألا يستحق أنْ ترى ماذا يعني هذا؟

يبدو لي أنَّ هذا الأمر يشير إلى أسلحة البر. فالقديسون المجاهدون الذين هم مثل الأحجار الثمينة في ذاكرة المسيح، والذين سُجِّلت أسماءهم في السماء، حققوا هدفهم بأسلحة البر التي على اليمين والتي على اليسار. لأنه هكذا يكتب بوضوح بولس الرسول، إذ يقول: ''الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ'' (أف ٦: ١١).

إن أسلحة الملك ذهبيةٌ، وكذلك الأطواق ذهبية أيضاً، وهي تشير بطريقة رمزية إلى سلاح الله الكامل. وليستَ هناك طريقة نوجَد بها في ذاكرة الله وفي كتابه إنْ لم نستخدم أسلحة البر في جهادنا. وكون أنَّ الصدرة تتعلق في الرداء، فهذا يعني أنَّ كل ما هو أسفل، إنما يرتبط بما هو أعلى بواسطة المسيح. لأنه بحسب الكتاب هو ''سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِداً'' (أف ٢: ١٤)، لأنه -برباط المحبة- وحَّد البشر بجنود الملائكة القديسين.

ينبغي أنْ نعرف أيضاً من الطوباوي حزقيال ما قاله عن رئيس صور من أنه كان لابساً كل أنواع الأحجار الثمينة. وذكر نفس الأحجار الثمينة التي قال عنها موسى إنها وُضعت على صدرة القضاء. وهذه الأحجار كانت عقيق أحمر وياقوت أصفر وعقيق أبيض وزبرجد وجذع ويشب وياقوت أزرق وبهرمان وزمرد وذهب (انظر حز ٢٨: ١٣). وهذه الأحجار كانت



موضوعة في أربعة صفوف، كل ثلاثة معاً في صف، ووضعهم هكذا يشير إلى ثبات إيمان أولئك الموجودين في قلب المسيح وذاكرته. ووضع الثلاثة معاً يشير إلى الإيمان، إذ يرمز للثالوث، بينما الثبات نراه في الشكل الرباعي الأوجه والمتساوي من كل الوجوه؛ لأنه هكذا صُنعت الصدرة وفوقها الحجارة، وكانت اثنا عشر حجراً.

بلاديوس: إنني أصدق ما تقوله.

الأورين والتُّميم

كيرلس: إضافةً إلى هذا، فقد أمر (المشرِّع) أنْ يُضيفَ شيئاً آخر على الأحجار الاثنى عشر قائلاً: ”وَتَجْعَلُ فِي صُدْرَةِ الْقَضَاءِ الأُورِيمَ وَالتُّمِّيمَ لِتَكُونَ عَلَى قَلْبِ هَارُونَ عِنْدَ دُخُولِهِ أَمَامَ الرَّبِّ“ (خر ٢٨: ٣٠). يذكر هنا اسمين: الأوريم والتميم (الإعلان والحق) لكن لم يقل لنا بوضوح هل هي من الحجارة، أم أنه أمَرَ أنْ يُكتب الاسمان في سبورةٍ صغيرةٍ (إعلان صغير). إنني أتذكر النبي الذي قال: ”لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَيَقْعُدُونَ أَيَّاماً كَثِيرَةً بِلاَ مَلِكٍ، وَبِلاَ رَئِيسٍ، وَبِلاَ ذَبِيحَةٍ، وَبِلاَ تِمْثَال، وَبِلاَ أَفُودٍ وَتَرَافِيمَ“ (هوشع ٣: ٤). لكن سواء كانا من حجارة ثمينة، أو مكتوبان بحروف ذهبية على سبورة، فإننا على يقين بأنَّ هذين الاسمين وضعا لكي يرمزا للمسيح الحاضر مع القديسين؛ لأنه يقول: ”هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ“ (مت٢٨: ٢٠)، فالإعلان والحق هما المسيح. الأوريم والتميم (الإعلان والحق) هما المسيح. إذ في شخصه عرفنا الآب، وأوضح لنا إرادة الله الصالحة، وكذلك الكمال والقناعة والرضا وفق المكتوب (انظر رو ١٢: ٢). لأن المسيح قال: ”لاَ أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيداً، لأَنَّ الْعَبْدَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ، لكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي“ (يو١٥: ١٥).

على الجانب الآخر، فالحق هو عمانوئيل[1]؛ لأنه هو الابن بطبيعته،

١- أيضاً أثناء حديثه عن المن يؤكد القديس كيرلس على أن المسيح هو الحق، إذ يقول: ”المنّ الذي جُمِع من قبل لأجلنا بالناموس ليس عليه أي إدانة حتى عندما يُحفَظ بحسب السبت الروحي. لأننا ننشغل بتعاليم الظلال التي أعطيت بواسطة موسى نحن الذين نحفظ السبت في اسم المسيح، مفتشين عن الحق في هذه الظِلال. إنه يصف باللعنة والإدانة مسألة جمع المنّ يوم السبت. أيضاً نحن نحفظ السبت روحياً في اسم المسيح ولا نجمع بعد تلك التي أعطيت بأمثلة وظلال. لأننا لم نختتن جسدياً ولا نقدم ذبائح من البقر والخرفان وبالحري نرفض الجزء المادي للنماذج والأمثلة والظلال طالما لدينا الحق ذاته، أي المسيح“ جيلافيرا على سفر الخروج، المقالة الثانية، الكتاب الشهري مايو ٢٠١٠.

وحيث أنه إلهٌ من إلهٍ، فهو وحده القدوس، وهو وحده الرب، وبالمشاركة فيه والتشبُّه به نستطيع أنْ نفهم كل ما هو له من خلال مخلوقاته. هكذا هو مع القديسين. والأوريم والتميم (الإعلان والحق) يُقصد بهما المسيح الذي يقدِّم أمام الآب كل ما يتعلق بنا، وهو حيٌّ دائماً يتوسط لأجلنا. لأن هذا ما يعلنه بقوله: "فَيَحْمِلُ هَارُونُ قَضَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى قَلْبِهِ أَمَامَ الرَّبِّ دَائِماً" (خر ٢٨: ٣٠).

بلاديوس: هكذا يكون.

كيرلس: كما أمر أيضاً أنْ يُصنع الزيُّ المقدس قائلاً: "وَتَصْنَعُ جُبَّةَ الرِّدَاءِ كُلَّهَا مِنْ أَسْمَانْجُونِيٍّ، وَتَكُونُ فَتْحَةُ رَأْسِهَا فِي وَسَطِهَا، وَيَكُونُ لِفَتْحَتِهَا حَاشِيَةٌ حَوَالَيْهَا صَنْعَةَ الْحَائِكِ. كَفَتْحَةِ الدِّرْعِ يَكُونُ لَهَا. لاَ تُشَقُّ. وَتَصْنَعُ عَلَى أَذْيَالِهَا رُمَّانَاتٍ مِنْ أَسْمَانْجُونِيٍّ وَأُرْجُوانٍ وَقِرْمِزٍ، عَلَى أَذْيَالِهَا حَوَالَيْهَا، وَجَلاَجِلَ مِنْ ذَهَبٍ بَيْنَهَا حَوَالَيْهَا. جُلْجُلَ ذَهَبٍ وَرُمَّانَةً، جُلْجُلَ ذَهَبٍ وَرُمَّانَةً، عَلَى أَذْيَالِ الْجُبَّةِ حَوَالَيْهَا. فَتَكُونُ عَلَى هَارُونَ لِلْخِدْمَةِ لِيُسْمَعَ صَوْتُهَا عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْقُدْسِ أَمَامَ الرَّبِّ، وَعِنْدَ خُرُوجِهِ، لِئَلاَّ يَمُوتَ" (خر ٢٨: ٣١ - ٣٥).

إذاً هو يتحدث بوضوح عن الرداء الداخلي القصير، والرداء الطويل حتى الأرجل. ويحدد اللون على أنه أزرق لأنه يرمز للخلود (لعدم الفساد)، أي للمسيح. هذا بالضبط هو ما أعلنه داود العظيم قائلاً –من جانب الله– عن أولئك الذين يخدمون الخدمة المقدسة في الكنائس: "كَهَنَتَهَا أُلْبِسُ خَلاَصاً" (مز ١٣٢: ١٦). أيضاً بولس الرسول يكتب في رسالته "الْبَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ" (رو ١٣: ١٤). وهذا هو مسكننا السماوي بحسب قول النبي (انظر إش ٤١: ١٠). فاللون الأزرق –كما قُلنا بوضوح– هو رمزٌ للسماء.

ويكون هذا القول حقيقياً أيضاً لو حملناه على كل ما حدث لنا. لأننا قد لبِسنا الخلود (عدم الفساد) السماوي، بالرغم من أنَّ المقصود بهرون، هو المسيح نفسه لابساً مثله رداءً. والقول هنا حقٌّ؛ لأن وحيد الجنس باعتباره إلهاً حقاً بحسب طبيعته، جعل جسده غير فاسدٍ محيطاً إياه بالحياة السمائية، وجعله أقوى من سلطان الموت. وكون أنَّ المسيحَ خالدٌ، وهو الحياةُ بطبيعته وليس نتيجة اشتراكه، فهو ما سوف تدركه منه حينما قال: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ" (يو ١١: ٢٥).

ولأنه أُحييَ بحسب طبيعته البشرية يقول: "لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، كَذلِكَ أَعْطَى الابْنَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ" (يو ٥: ٢٦). هكذا أيضاً يكون الأمر حتى لو كان المسيح نفسه هو المقصود بما قيل عن أنه أُحيط بالخلود السماوي، فهذا لا يُخرج حديثنا عن الحدود اللائقة.

الجلاجل الذهبية

كذلك أيضاً كانت توضع رُمانات صغيرة وجلاجل حواليها. الرُمانات كانت مربوطةً ربطاً مُحكماً بينما الجلاجل ذهبيةٌ لكي يصدر منها صوت جميل، وحين كان يدخل هرون إلى قدس الأقداس كانت تُصدر صوتاً عند دخوله. هكذا يشير هذا الأمر للخلاص ولحكمة تدبيره، إذ يرمز إلى الكرازة الإلهية والإنجيلية، حيث ملأ رنينها كل مدينة من وقت أنْ أتى رئيس الكهنة الأعظم لأجلنا كذبيحةٍ كاملةٍ إلى قُدس الأقداس محققاً خلاصنا الأبدي. لأنه يقول: "بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ" (عب ١٠: ١٤). الرمز هنا واضح جداً، فالجلاجل الذهبية ترمز إلى الكرازة الخلاصية، بينما الرُمانات الصغيرة ترمز إلى المدن.

بلاديوس: بأية طريقة؟

كيرلس: بمعنى أنَّ المدينةَ تكون محاطةً بالسور، لكنها تحوي في داخلها كل الأحياء، هكذا -بنفس الطريقة- تكون الرُمانةُ محاطةٌ خارجياً بقشرة، بينما -داخلياً- تكون الحبات منفصلة الواحدة عن الأخرى بأردية رقيقة وتتجمع في أحياء. أليست الأمور هكذا؟

بلاديوس: أوافقك.

كيرلس: كذلك بجوار كل رُمانةٍ توجد واحدةٌ من الجلاجل (جرس) لأن كل مدينة لها معلِّمها الذي يعزف العقائد الإلهية، والصوت الحلو يجعل دخول مخلِّصُنا إلى قُدس الأقداس واضحاً ومسموعاً للكل. إنْ لم ترن جيداً ضربات (اهتزاز) الجلاجل، فإن خوفَ الموت معلقٌ لأولئك المكلفين بالخدمة المقدسة، ولهارون في قُدس الأقداس. لأنَّ الصمتَ غيرُ ملائم بالنسبة للمعلِّمين. وهذا ما قاله بولس الرسول: "فَوَيْلٌ لِي إِنْ كُنْتُ لاَ أُبَشِّرُ" (١ كو ٩: ١٦).

بلاديوس: هكذا يبدو لي أنك تشرح الأمر بدقةٍ وصواب.

قُدسٌ للرب

كيرلس: بالإضافة إلى هذا يقول: "وَتَصْنَعُ صَفِيحَةً مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ، وَتَنْقُشُ عَلَيْهَا نَقْشَ خَاتِمٍ: قُدْسٌ لِلرَّبِّ. وَتَضَعُهَا عَلَى خَيْطٍ أَسْمَانْجُونِيٍّ لِتَكُونَ عَلَى الْعِمَامَةِ. إِلَى قُدَّامِ الْعِمَامَةِ تَكُونُ. فَتَكُونُ عَلَى جِبْهَةِ هَارُونَ، فَيَحْمِلُ هَارُونُ إِثْمَ الأَقْدَاسِ الَّتِي يُقَدِّسُهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ، جَمِيعِ عَطَايَا أَقْدَاسِهِمْ. وَتَكُونُ عَلَى جِبْهَتِهِ دَائِماً لِلرِّضَا عَنْهُمْ أَمَامَ الرَّبِّ" (خر ٢٨: ٣٦ – ٣٨). العمامة من قماش إسمانجوني بينما الصفيحة من ذهب نقي، وفوقها يوجد نقشُ كتابةٍ، سِرُّ المسيح، إعلانٌ واضحٌ لرسالته في هذا العالم. إذ يقول يحمل عبارةً مكتوبةً: "قُدسٌ للرب"، ألا تقول لنا (هذه العبارة بوضوح) إنَّ عمانوئيل قُدِّس بواسطة الله الآب؟

بلاديوس: بالتأكيد تقول هكذا. وسوف أذكر ما قاله لليهود: "إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ، فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لأَنِّي قُلْتُ: إِنِّي ابْنُ اللهِ؟" (يو ١٠: ٣٥ – ٣٦).

كيرلس: عندما يقول الكتاب إنَّ الابن قُدِّس من الله الآب، يقصد أنه عُيِّنَ وأُرسلَ. إذن، عبارةُ "قُدسٌ للرب" تعني اختياره وإرساله إلى هذا العالم لكي يملك ويتمجد. لأنه هكذا جعل هارون كاملاً؛ إذ وضع على جبهته الصفيحة الذهبية.

الملكُ وربُّ الكلِ هو المسيح بطبيعته، وفي نفس الوقت بإتحاده. لأنه بينما هو إلهٌ بطبيعته أخلى ذاته[1] ونزل آخذاً شكل العبد. وقَبِلَ الملكَ كما يتمشى ذلك مع شكله البشرى. بالرغم من أنه كان بالتأكيد في السماء من البداية عند الله الآب مشاركاً إياه في رئاسة الكل.

لاحظ أيضاً إنَّ عمامته كانت من قماشٍ أزرقٍ (اسمانجوني) وعليها علامة

١- حين أخلى ذاته كان ذلك لأجلنا، وكذلك حين قيل إنه أخذ، فهذا لأجلنا. وحين تقدس، فهذا أيضاً لأجلنا، كما سبق وأكد القديس أثناسيوس، قائلاً: "وكما أنه وهو الذي يقدّس الجميع، يقول أيضاً أنه يقدس نفسه للآب من أجلنا ـ ليس بالطبع لكي يكون اللوغوس مقدّسا، بل لكي بتقديس ذاته يقدسنا جميعاً في ذاته. وهكذا بنفس المعنى ينبغي أن نفهم ما يقال الآن أنه "تمجد". ليس لكي يمجِّد هو (أي اللوغوس) نفسه -إذ أنه هو الأعلى- بل لكي هو ذاته يصير براً "من أجلنا". ضد الأريوسيين، المقالة الأولى، فقرة ٤١ ص ١٠٧.



لامعة للمملكة، أقصد الصفيحة الذهبية. اللون الأزرق هو علامة للسماء. تذكّر المسيح الذي يقول: ''مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ'' (يو ١٨: ٣٦). ليس المسيح هو الملك الأرضي، بل السماوي، والخليقةُ كلها عند قدميه. وحين قال: ''فَيَحْمِلُ هَارُونُ إِثْمَ الأَقْدَاسِ الَّتِي يُقَدِّسُهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ، جَمِيعِ عَطَايَا أَقْدَاسِهِمْ'' (خر ٢٨: ٣٨)، فقد أعلن بوضوح كامل، إنَّ أيَ اقترابٍ إلى الله، وأيَ كمالٍ، إنما يصير بالمسيح، وكل برٍّ يصير بالإيمان به وبواسطته، وهو الذي يمحو خطايانا القديمة. لأن المسيح يحمل خطايانا، وبواسطته صرنا مقبولين عندما نقدم تقدماتنا إلى الله الآب.

بلاديوس: أنت تقول الصواب.

كيرلس: وبقوله عن الصفيحة التي هي فوق العمامة: ''وَتَكُونُ عَلَى جِبْهَتِهِ'' (خر ٢٨: ٣٨)، يُظهِرُ -بجمالٍ فائقٍ- أنَّ مملكة مخلِّصنا ثابتةٌ ومستمرةٌ وممتدةٌ إلى الأزمنة الأبدية.

أتساءل -بعد كل هذا- ألن ينقشع الحديث الوقح الذي تفوَّه به الهراطقة الأغبياء بثرثرتهم قائلين إنَّ مملكة المسيح ستكون لها نهاية، وإنَّ عمانوئيل سيُسلِّم المملكة إلى الله الآب تاركاً عرش الإلوهية؟ فهم يتباهون بتعاليم باطلة ويستحقون أنْ نقول لهم: ''تَضِلُّونَ إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ'' (مت ٢٢: ٢٩). ها نحن نرى -بوضوحٍ شديد- أنَّه بينما يتوِّج اللهُ الآب هارونَ بمجدٍ وكرامةٍ وبزينة المملكة، فإن هؤلاءَ يخلعون عنه التاج، ويسرقون منه العمامة المقدسة التي تلمع على جبهته.

بلاديوس: هذا حقيقي.

كيرلس: ''وَتَصْنَعُ صَفِيحَةً مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ ... وَتَضَعُهَا عَلَى خَيْطٍ أَسْمَانْجُونِيٍّ لِتَكُونَ عَلَى الْعِمَامَةِ'' (خر ٢٨: ٣٦ - ٣٧). يبدو وجه هرون، وكأنه عسكريٌّ لابساً خوذةً وحزاماً تُشبه القلنسوة. لأن المسيح حارب لأجلنا ''بيدٍ خفيةٍ'' حسب الكتاب ''مَدَّ قَوْسَهُ وَهَيَّأَهَا، وَسَدَّدَ نَحْوَهُ آلةَ الْمَوْتِ. يَجْعَلُ سِهَامَهُ مُلْتَهِبَةً'' (مز ٧: ١٢ - ١٣). وأنزل رؤساءَ من كراسيهم وانتصر على القوات المحارِبة، وزعزع السلاطين وحرَّر البشر الذين كانوا مأسورين على الأرض. وكون أنَّ الحرب لم تكن منظورةً أو ماديةً ملموسةً، ولا هي حربٌ ضد دمٍ



ولحمٍ، فهذا ما يُعلنه -كما في لغزٍ- بأن الوعاء الحربي، القلنسوة (الخوذة) والمِنطقة (الخيط) قد صارا فقط من الاسمانجوني الذي هو رقيقٌ جداً. إذن، فقد ظهر هرون في الكتاب بلباسٍ مقدّسٍ وعجيب.

ملابس بني هارون

كما أمره المشرّع أيضاً قائلاً: ''وَلِبَنِي هَارُونَ تَصْنَعُ أَقْمِصَةً، وَتَصْنَعُ لَهُمْ مَنَاطِقَ، وَتَصْنَعُ لَهُمْ قَلاَنِسَ لِلْمَجْدِ وَالْبَهَاءِ. وَتُلْبِسُ هَارُونَ أَخَاكَ إِيَّاهَا وَبَنِيهِ مَعَهُ، وَتَمْسَحُهُمْ، وَتَمْلأُ أَيَادِيهِمْ، وَتُقَدِّسُهُمْ لِيَكْهَنُوا لِي. وَتَصْنَعُ لَهُمْ سَرَاوِيلَ مِنْ كَتَّانٍ لِسَتْرِ الْعَوْرَةِ. مِنَ الْحَقْوَيْنِ إِلَى الْفَخْذَيْنِ تَكُونُ. فَتَكُونُ عَلَى هَارُونَ وَبَنِيهِ عِنْدَ دُخُولِهِمْ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، أَوْ عِنْدَ اقْتِرَابِهِمْ إِلَى الْمَذْبَحِ لِلْخِدْمَةِ فِي الْقُدْسِ، لِئَلاَّ يَحْمِلُوا إِثْماً وَيَمُوتُوا. فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً لَهُ وَلِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ'' (خر ٢٨: ٤٠ - ٤٣). أرأيت كيف يجب أن يظهر نسل هرون أيضاً بشكلٍ عسكريٍّ. وهو لا يعرف أنْ يحارب ضد دمٍ ولحم، بل يعيش ويحارب الخطية الدنسة، ويدافع بالقوة العاقلة عن عقائد الحق، ويأسر أيَ فكرٍ جاعلاً إياه يخضع للمسيح كما هو مكتوب (انظر ٢ كو ١٠: ٥ - ٦).

ويلبس كلٌ منهم سروالاً من الكتان لكي يغطى جيداً قباحة منظر الأفخاذ. فكل ما يفعله القديسون هو فاضلٌ، ولا يوجد لديهم أي شيء قبيح. والكتان الذي يغطي الأجزاء السفلية من الجسم، يشير إلى أنَّ إيقاف اللذات الجسدية هو ما يتمشى ويتناسب مع القديسين؛ لأنَّ الكتانَ مادةٌ (قطنيةٌ) رطبةٌ. وعلى العكس من ذلك، فإنَّ سخونة الشهوات الفارغة هي غريبة عن أي قديس.

ونستطيع أن نشرح ونقول إنه كان يجب أنْ تكون ملابس وسراويل أولئك الذين أُختيروا للكهنوت من الكتان. لأنه يتحتم عليهم أنْ يتحرروا من الأعمال الميتة، ورمز الإماتة هو ما نأخذه من الجسد الذي يموت من حمل الأثقال. والأعمال الميتة يُرمز إليها أيضاً بالثياب من الكتان وليس من الحرير، وهذا ناموسٌ مقدسٌ ودائمٌ، يتبعه بالضرورة أنْ يموتوا إذا أُهمل ما هو لائق. لذلك أعلن أنْ يكون لهؤلاء التقديس اللائق محدَّداً ما الذي يجب

أن يلبسوه. هكذا لا يمكن للخطية أن تكون فوقهم مثقلة لهم، فيموتوا.

بلاديوس: إنَّ الناموسَ آمنٌ، إذ يُظهر لكل واحدٍ ما هو المفيد، موضحاً للكل ما يقودهم إلى منهج حياة فاضل.

شريعة تكريس الكهنة

كيرلس: هكذا يكون الناموس. وبالتأكيد -بمثل هذا اللُّباس- يتجمَّل الجنس المقدس والمختار، كما جرَّده أيضاً من الدنس، ليس بطريقةٍ غامضةٍ، لكن بالمسيح. لأنه مكتوب: "وَهذَا مَا تَصْنَعُهُ لَهُمْ لِتَقْدِيسِهِمْ لِيَكْهَنُوا لِي: خُذْ ثَوْراً وَاحِداً ابْنَ بَقَرٍ، وَكَبْشَيْنِ صَحِيحَيْنِ، وَخُبْزَ فَطِيرٍ، وَأَقْرَاصَ فَطِيرٍ مَلْتُوتَةً بِزَيْتٍ، وَرِقَاقَ فَطِيرٍ مَدْهُونَةً بِزَيْتٍ. مِنْ دَقِيقِ حِنْطَةٍ تَصْنَعُهَا. وَتَجْعَلُهَا فِي سَلَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَتُقَدِّمُهَا فِي السَّلَّةِ مَعَ الثَّوْرِ وَالْكَبْشَيْنِ. وَتُقَدِّمُ هَارُونَ وَبَنِيهِ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ وَتَغْسِلُهُمْ بِمَاءٍ. وَتَأْخُذُ الثِّيَابَ وَتُلْبِسُ هَارُونَ الْقَمِيصَ وَجُبَّةَ الرِّدَاءِ وَالرِّدَاءَ وَالصُّدْرَةَ، وَتَشُدُّهُ بِزُنَّارِ الرِّدَاءِ، وَتَضَعُ الْعِمَامَةَ عَلَى رَأْسِهِ، وَتَجْعَلُ الإِكْلِيلَ الْمُقَدَّسَ عَلَى الْعِمَامَةِ، وَتَأْخُذُ دُهْنَ الْمَسْحَةِ وَتَسْكُبُهُ عَلَى رَأْسِهِ وَتَمْسَحُهُ. وَتُقَدِّمُ بَنِيهِ وَتُلْبِسُهُمْ أَقْمِصَةً. وَتُنَطِّقُهُمْ بِمَنَاطِقَ، هَارُونَ وَبَنِيهِ، وَتَشُدُّ لَهُمْ قَلاَنِسَ. فَيَكُونُ لَهُمْ كَهَنُوتٌ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً. وَتَمْلأُ يَدَ هَارُونَ وَأَيْدِيَ بَنِيهِ" (خر ٢٩: ١ – ٩).

إذن، فقد أمَرَ أنْ يُقدَّم ثورٌ وكبشان، كذلك دقيقُ حنطةٍ في سلةٍ. هذا الأمرُ مثالٌ للنقاوة الحقيقية، وهو يمثِّل إعلاناً مسبقاً للنقاوة. لأنه ألبس هارون لُباساً مقدَّساً غاسلاً إياه مسبقاً بالماء. فبما أننا احتممنا بالمعمودية المقدسة، وبما أننا تنقينا من أي نوع من النجاسة، فإننا قَبِلنا غنى النعمة السماوية من فوق، حاملين رداء العفة وفق الوصية التي تقول: "الْبَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ" (رو ١٣: ١٤)[١].

لقد برهن حديثُنا على أنَّ المسيح ظهر بطرقٍ متنوعةٍ من خلال الملابس التي زيَّنت هرون. ثم بعد ذلك مَسَحَ بالزيت المقدس رأسَه. وهكذا سبَّح

١- إن الملابس البيضاء التي يلبسها المعمدون تحل محل الملابس القديمة، وهي رمز للإنسان الجديد أو بالحري تعلن أننا صرنا خليقة جديدة. يقول عنها القديس كيرلس الأورشليمي "لباس عدم الفساد"، "لباس النور" PG, 33, 908C. ويقول القديس بولس الرسول: "أنتم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح" (غل ٣:٢٧)، والملابس أيضاً تشير إلى نقاوة النفس وعدم فساد الجسد. ويؤكد القديس غريغوريوس النيصى على أن: "المُعمد يرتدى فوقه لباس المسيح، لامعاً مثل الشمس، هذا لباس النقاوة وعدم الفساد والتي كان يلبسها "المسيح" عندما صعد إلى جبل التجلي" PG, 44, 1005C.

داود قائلاً: ''مَسَحْتَ بِالدُّهْنِ رَأْسِي'' (مز ٢٣: ٥)، ويشير الزيت هنا إلى صوت القديسين المبهج، بمعنى زيارة السماء المفرحة. لأننا، نحن الذين آمنا قد دُهِنَّا بزيتٍ، ونحن مباركون من الرب وممسوحون بعطية الروح في الذهن. بنفس هذه الطريقة يتقدَّس الكهنة حيث يغتسلون بالماء ويُمسحون بالزيت، وحيث إنهم هكذا يُمسحون، فإنهم يلبسون ملابسهم المقدسة ويتقدسون من جهة الأيدي حتى تكون مناسبة لأداء واجبهم ويتممون الذبائح بالتمام وبنقاء.

إذن، هكذا تنقينا وابتهجنا بالفرح السماوي، ومُسحنا للكمال الروحي، لذا بجرأة شديدة وبأيدٍ طاهرةٍ نقدِّم إلى الله تقدماتنا الروحية. هذا الأمر هو ما يعلنه بالتأكيد نشيد داود الطوباوي لكل واحد يصعد إلى جبل الرب: ''اَلطَّاهِرُ الْيَدَيْنِ، وَالنَّقِيُّ الْقَلْبِ'' (مز ٢٤: ٤).

بلاديوس: هكذا يبدو.

الذبائح التي تقدَّم لأجل الكهنة

كيرلس: ويتحدث أيضاً عن الطريقة التي يجب أن تُتمم بها الذبائح لأجل الكهنة، فيقول: ''وَتُقَدِّمُ الثَّوْرَ إِلَى قُدَّامِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، فَيَضَعُ هَارُونُ وَبَنُوهُ أَيْدِيَهُمْ عَلَى رَأْسِ الثَّوْرِ. فَتَذْبَحُ الثَّوْرَ أَمَامَ الرَّبِّ عِنْدَ بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. وَتَأْخُذُ مِنْ دَمِ الثَّوْرِ وَتَجْعَلُهُ عَلَى قُرُونِ الْمَذْبَحِ بِإِصْبِعِكَ، وَسَائِرَ الدَّمِ تَصُبُّهُ إِلَى أَسْفَلِ الْمَذْبَحِ. وَتَأْخُذُ كُلَّ الشَّحْمِ الَّذِي يُغَشِّي الْجَوْفَ، وَزِيَادَةَ الْكَبِدِ وَالْكُلْيَتَيْنِ وَالشَّحْمَ الَّذِي عَلَيْهِمَا، وَتُوقِدُهَا عَلَى الْمَذْبَحِ. وَأَمَّا لَحْمُ الثَّوْرِ وَجِلْدُهُ وَفَرْثُهُ فَتَحْرِقُهَا بِنَارٍ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ. هُوَ ذَبِيحَةُ خَطِيَّةٍ. وَتَأْخُذُ الْكَبْشَ الْوَاحِدَ، فَيَضَعُ هَارُونُ وَبَنُوهُ أَيْدِيَهُمْ عَلَى رَأْسِ الْكَبْشِ. فَتَذْبَحُ الْكَبْشَ وَتَأْخُذُ دَمَهُ وَتَرُشُّهُ عَلَى الْمَذْبَحِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ. وَتُقَطِّعُ الْكَبْشَ إِلَى قِطَعِهِ، وَتَغْسِلُ جَوْفَهُ وَأَكَارِعَهُ وَتَجْعَلُهَا عَلَى قِطَعِهِ وَعَلَى رَأْسِهِ، وَتُوقِدُ كُلَّ الْكَبْشِ عَلَى الْمَذْبَحِ. هُوَ مُحْرَقَةٌ لِلرَّبِّ. رَائِحَةُ سُرُورٍ، وَقُودٌ هُوَ لِلرَّبِّ. وَتَأْخُذُ الْكَبْشَ الثَّانِي، فَيَضَعُ هَارُونُ وَبَنُوهُ أَيْدِيَهُمْ عَلَى رَأْسِ الْكَبْشِ. فَتَذْبَحُ الْكَبْشَ وَتَأْخُذُ مِنْ دَمِهِ وَتَجْعَلُ عَلَى شَحْمَةِ أُذُنِ هَارُونَ، وَعَلَى شَحْمِ آذَانِ بَنِيهِ الْيُمْنَى، وَعَلَى أَبَاهِمِ أَيْدِيهِمِ الْيُمْنَى، وَعَلَى أَبَاهِمِ أَرْجُلِهِمِ الْيُمْنَى. وَتَرُشُّ الدَّمَ عَلَى الْمَذْبَحِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ. وَتَأْخُذُ مِنَ



الدَّمِ الَّذِي عَلَى الْمَذْبَحِ وَمِنْ دُهْنِ الْمَسْحَةِ، وَتَنْضِحُ عَلَى هَارُونَ وَثِيَابِهِ، وَعَلَى بَنِيهِ وَثِيَابِ بَنِيهِ مَعَهُ، فَيَتَقَدَّسُ هُوَ وَثِيَابُهُ وَبَنُوهُ وَثِيَابُ بَنِيهِ مَعَهُ. ثُمَّ تَأْخُذُ مِنَ الْكَبْشِ: الشَّحْمَ وَالإِلْيَةَ وَالشَّحْمَ الَّذِي يُغَشِّي الْجَوْفَ، وَزِيَادَةَ الْكَبِدِ وَالْكُلْيَتَيْنِ، وَالشَّحْمَ الَّذِي عَلَيْهِمَا، وَالسَّاقَ الْيُمْنَى. فَإِنَّهُ كَبْشُ مِلْءٍ. وَرَغِيفاً وَاحِداً مِنَ الْخُبْزِ، وَقُرْصاً وَاحِداً مِنَ الْخُبْزِ بِزَيْتٍ، وَرُقَاقَةً وَاحِدَةً مِنْ سَلَّةِ الْفَطِيرِ الَّتِي أَمَامَ الرَّبِّ. وَتَضَعُ الْجَمِيعَ فِي يَدَيْ هَارُونَ وَفِي أَيْدِي بَنِيهِ، وَتُرَدِّدُهَا تَرْدِيداً أَمَامَ الرَّبِّ. ثُمَّ تَأْخُذُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَتُوقِدُهَا عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْمُحْرَقَةِ رَائِحَةَ سُرُورٍ أَمَامَ الرَّبِّ. وَقُودٌ هُوَ لِلرَّبِّ. ثُمَّ تَأْخُذُ الْقَصَّ مِنْ كَبْشِ الْمِلْءِ الَّذِي لِهَارُونَ، وَتُرَدِّدُهُ تَرْدِيداً أَمَامَ الرَّبِّ، فَيَكُونُ لَكَ نَصِيباً. وَتُقَدِّسُ قَصَّ التَّرْدِيدِ وَسَاقَ الرَّفِيعَةِ الَّذِي رُدِّدَ وَالَّذِي رُفِعَ مِنْ كَبْشِ الْمِلْءِ مِمَّا لِهَارُونَ وَلِبَنِيهِ، فَيَكُونَانِ لِهَارُونَ وَبَنِيهِ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُمَا رَفِيعَةٌ. وَيَكُونَانِ رَفِيعَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ ذَبَائِحِ سَلاَمَتِهِمْ، رَفِيعَتَهُمْ لِلرَّبِّ" (خر ٢٩: ١٠ – ٢٨).

وبعد ذلك يقول: "وَأَمَّا كَبْشُ الْمِلْءِ فَتَأْخُذُهُ وَتَطْبُخُ لَحْمَهُ فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ. فَيَأْكُلُ هَارُونُ وَبَنُوهُ لَحْمَ الْكَبْشِ وَالْخُبْزَ الَّذِي فِي السَّلَّةِ عِنْدَ بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. يَأْكُلُهَا الَّذِينَ كُفِّرَ بِهَا عَنْهُمْ لِمِلْءِ أَيْدِيهِمْ لِتَقْدِيسِهِمْ. وَأَمَّا الأَجْنَبِيُّ فَلاَ يَأْكُلُ لأَنَّهَا مُقَدَّسَةٌ. وَإِنْ بَقِيَ شَيْءٌ مِنْ لَحْمِ الْمِلْءِ أَوْ مِنَ الْخُبْزِ إِلَى الصَّبَاحِ، تُحْرِقُ الْبَاقِيَ بِالنَّارِ. لاَ يُؤْكَلُ لأَنَّهُ مُقَدَّسٌ" (خر ٢٩: ٣١ – ٣٤).

بلاديوس: إن هذه التوصيات الناموسية عميقة جداً وغامضة.

كيرلس: هي حقاً عميقة جداً –بالصواب تتكلم– لكنها ليست غامضة تماماً، طالما يشرق في داخلنا الروح القدس بالاستنارة الإلهية. إذن، لنمضِ في فحص هذه التوصيات واحدةً واحدةً بقدر استطاعتنا.

بآلاف الطُرق طهَّرنا ربنا يسوع المسيح، وجعلنا قديسين ومقبولين. لأننا بواسطته وبقوته استطعنا أنْ نأتي إلى الله، ولم نعُد ممقوتون من الله الآب. إن موت المسيح وقيامته مفيدان وضروريان لخلاصنا –نحن الموجودون في الفساد والخطية– وعلاوةً على ذلك، فإن كمالنا هو بجسده ودمه. لأنَّ الكمال يوجد في المسيح، وليس في الناموس.

بلاديوس: لقد تكلمت بالصواب.



الخلاص بذبيحة المسيح

كيرلس: إذن، من خلال الأمثلة والنماذج التي تخبرنا عنها الوصايا الناموسية التي تشير إلى المسيح تيقَّنَّا من أننا خلُصنا وتقدَّسنا وصرنا أطهاراً وقديسين بنعمة المسيح، الذي قُدِّم ذبيحةً. وقد أُشير إليه بالثور الذي ذُبِحَ بالقرب من الخيمة المقدسة بعدما وُضعت الأيدي فوقه. ثم بعد ذلك سال دمه على قاعدة المذبح بعد ما مسحوا قرونه. وحُرقت الأحشاءُ مع بخورٍ ذكي. وفي النهاية حُرقت بقايا الذبيحة حيث نُقلت خارج الخيمة. إذن، الثورُ يرمز إلى المسيح الذي ليس تحت نير، وفي نفس الوقت صار تحت نير. إذ بينما هو إلهٌ بطبيعته دخل تحت سلطة الناموس بسبب طبيعته البشرية التي اتخذها.

إذن، الثور الجديد لا يكون معتاداً على النير، لكنه بحسب طبيعته يمكنه أنْ يدخل تحت النير، أليس كذلك؟

بلاديوس: هو هكذا بالفعل.

كيرلس: لقد رُمِزَ للمسيحُ بثورٍ بحسب التدبير؛ لكي ندرك أنَّ إلوهية الكلمة لا تقبل أي نير أو عبودية، ولكي ندرك أيضاً أن خضوعه تحت النير كان وفق طبيعته البشرية. لقد ذُبح الثورُ لأجل الخيمة المقدسة، ولأجل أولئك الذين وَضَعوا أيديهم فوقه[1]، وهؤلاء كانوا لاويين وكهنة؛ والمسيح مات لأجل الكنيسة، ولأجل أولئك الذين قدَّسهم بالإيمان.

وكون أنَّ موت عمانوئيل هو موتٌ مقدَّسٌ، وإنَّ طريقة تقديم ذبيحته طريقةٌ

١- لا يجب أن يفسر طقس وضع الأيدي علي أنه يعبِّر عن انتقال الخطايا فوق الذبيحة. كذلك أيضاً لا يجب أن يُفسَّر ذبح الحيوان بأية طريقة علي أنه عقاب أو زوال للحامل الليتورجي للخطايا. وضع الأيدي هي حركة تطابق، لذلك موت الذبيحة هو تقدمة حياة والتي تشتمل علي الإنسان الخاطئ. الإنسان الذي يطلب التكفير يتطابق بإشارة وضع الأيدي مع الذبيحة، لذا يشترك بسبب هذا التطابق في موت الحيوان. هذا يعني أنه في الموت النيابي للحيوان يتحقق موت الخاطئ نفسه. هنا يحدث تقدمة للحياة نفسها كتقدمة إلى الله. هذا الرأي، بمعني تقدمة الحياة إلى الله يعبِّر عنه الطقس الدموي، حيث يقوم الكاهن برش دم الحيوان –الذي يتطابق مع الخاطئ بواسطة وضع الأيدي– علي المذبح أمام قدس الأقداس: أي التكفير بوضع الدم فوق تابوت العهد، أي في محضر الله وظهور مجده. دم الحيوان هو جوهر الحياة بالمعني العبادي (راجع لا ١٧: ١١، ١٤). وعندما يتطابق دم الحيوان مع الإنسان الذي يقدِّم ذبيحةً، هذا يعني في طقس التقدمة أن الدم يحل محل تقدمة الحياة الإنسانية إلى الله نفسه. هكذا الخاطئ يأتي، بواسطة حدث التقدمة النيابية الكاملة، في إتصال بالله القدوس. هذه التقدمة التكفيرية ليست مجرد عمل سلبي لرفع الخطايا ولكن هي الاقتراب من الله بواسطة دينونه الموت. هدف ومفهوم العمل التكفيري هو منح شركة جديدة خلاصيه مع الله. هذا ما حدث بموت المسيح، إذ كُنا فيه وصرنا شركاء في الحياة الجديدة، لأنه قدَّم حياته لأجلنا وعنا. هكذا تطابق المسيح مع الخاطئ، حتى بواسطة تقدمة حياته ودمه يربطه بالله، يقدم له الشركة الجديدة مع الله.



مقبولةٌ عند الله الآب، فهو ما يمكنك أنْ تدركه من انسكاب الدم على المذبح المقدس، ومن مسح الأحشاء التي ترمز إلى الفضائل الروحية داخلنا، والتي تُكسبنا الرائحة الروحية الذكية، ليس بطريقة واحدة لأنَّ الأحشاء متنوعةٌ، الدسم، الكُلى والكَبد. بقايا جسم الذبيحة يُحرق خارج الخيمة كإشارة إلى أن المسيحَ تألمَّ خارج المحلة كما هو مكتوب (انظر عب ١٣: ١٢).

كما أنَّ حرق الجسد بالنار يمثل إعلاناً واضحاً عن إنَّ تألُّمَه وموته كانا بلا كرامةٍ وبلا مجدٍ، لكنهما سينتهيان إلى مجدٍ لامعٍ ومتلألئٍ. إذ أنَّ الطبيعة الإلهية ظهرت للبشر على شكل نارٍ، هكذا نزل الله على جبل سيناء. ولكي يحل المسيح سلطان الموت خضع للموت بحسب التدبير لكي نمجّده نحن كإله. إذن، فقد انتهى موته إلى المجد الإلهي اللائق وإلى حياةٍ إلهيةٍ، بينما وضاعة الألم هُزمت من المجد الفائق وتلاشت. وهذا ما أُشير إليه بطريقة رمزية بأنَّ الثور الميت أكلته النيران، إذ صارت آلام المسيح لأجل التكفير عن الخطية. وهو الأمر الواضح.

بلاديوس: حقاً هكذا.

كيرلس: بعد ذلك أخذوا الكبش الأول وذبحوه مثل الثور، ورشوا دماءه على المذبح حيث فصلوه إلى قطع وقدَّموه كذبيحةٍ غاسلين الأحشاء بالماء مع الرأس والأرجل لكي تكون بمثابة بخور. وهذه التوصيات وُضعت لأجلنا لندرك أنها تشير إلى المسيح الكامل كالكبش الملء (الكامل) إذ هو قدوسٌ وكلّي القداسة.

وهذا هو أيضاً ما يشير إليه رشُّ الدم على المذبح، فالدم هو رمزٌ للحياة ويُقدَّم إلى الله الآب لكي يشتَمَ رائحته الذكية، وفي نفس الوقت التقدمة هي للجميع معاً وأيضاً لكل واحدٍ على حدة. كما يعتبر هذا أيضاً مثالاً لأنَّ الكبشَ قُدِّم كله على المذبح لكن منفصلاً إلى أعضاء. والأعضاء هي نحن، وكلُ واحدٍ منا هو عضو للمسيح، وكلنا معاً جسدٌ واحدٌ (انظر رو ١٢: ٥).

وكون أنَّه كُلِّيُّ القداسةِ والطهارةِ، الذي ليست فيه أيةُ بقعة دنسة، فهذا ما يعلنه غسل الأحشاء. كما تُقدَّم الرأس والأكارع (الأرجل) مع الأحشاء

معلناً من البداية حتى النهاية رائحة السرور الكاملة للقداسة في حياة المخلّص. لأنَّ بداية كل كائن حيٍّ هو الرأس ونهاية الجسم كله هي الأرجل (الأكارع).

أليس من الأفضل أنْ نعتبر الرأسَ يشير إلى العقل، والأرجل تشير للأعمال العملية التي تصاحب المسيرة. وإذ يكون الكل في المسيح مملوءً برائحةٍ ذكيةٍ، وتصل المفاهيم الذهنية والأعمال إلى الطهارة الكاملة؛ لأن المسيحَ لم يفعل خطية، لذلك، فإنَّ تقدمةَ الكبشِ هذه تُسمى محرقةٌ وذبيحةٌ؛ لأنَّ القداسةَ لا تنسحب على جانب واحد. هكذا لا يوافقنا أنْ يكون (المسيحُ) ضعيفاً ويُمسَكُ في خطايا، بل أنْ يكون كُلِّيَّ القداسة. لأنَّ أحداً (من البشر) ليس طاهراً من الخطايا (انظر أيوب ١٩: ٤)، والكل يسقط في خطايا كثيرة كما هو مكتوب (انظر يع ٣: ٢).

بلاديوس: وكيف يمكن للمرء أن يؤمن بأن هذه الحياة التي أخذها المسيح هي لأجلنا؟

كيرلس: سوف تفهم هذا بسهولة جداً عندما تتفكر في أننا صرنا شركاء مخالفة آدم، ومن جراء أخطائه عُوقبنا، إذ طالت اللعنةُ الجميعَ والغضبُ امتد على نسله. لذلك تنازل وحيد الجنس وأخضع ذاته لله الآب وصار إنساناً وسكن بيننا. لأنه يقول: "وأطاع حتى الموت" (في ٢: ٨)، ماحياً نتائج عصيان الكل، وعصيان كل واحدٍ علىَ حدة، وبهذا قد خلَّصَنا. ويشهد على ذلك بولس الذي قال: "فَإِذاً كَمَا بِخَطِيَّةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ، هكَذَا بِبِرّ وَاحِدٍ صَارَتِ الْهِبَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ. لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً، هكَذَا أَيْضاً بِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَاراً" (رو ٥: ١٨ - ١٩).

هل رأيت إذن أنه خلَّصنا، كما تشير إلى ذلك تقديم ذبيحة الثور، إذ مات المسيح لأجلنا، وأرسل رائحتنا إلى الله الآب بطاعته وحياته المقدسة؛ لأنَّ دم الكبش قد سُكب على المذبح المقدس؟

بلاديوس: إنني أفهم ما تقوله.



المسح بالدم

كيرلس: وهو يصيغ نفس هذا الأمر بطرق كثيرة في إطار رمزي فيقول: ''وَتَأْخُذُ الْكَبْشَ الثَّانِي'' (خر ٢٩: ١٩) ويتم تقديمه ذبيحةً مثل الأول. تمسح وتقدِّس هرون وبنيه الكهنة بمسحة الدم على أذن هرون وعلى آذان بنيه اليمنى، وعلى أباهم أيديهم اليمنى وعلى أباهم أرجلهم. تقدِّس أيضاً ثياب الكهنة برش الدم، وكذلك يُرش الدم على المذبح من كل ناحية بحسب وصية الله. أيضاً يأخذون الأحشاء، ورغيفاً من الخبز وفطيراً ملتوتاً بزيت. ويوضع كل هذا في يدي هرون وفي أيدي بنيه ثم يأخذها ويقدمها موسى بدوره. بالإضافة إلى ذلك قال إنه يجب أنْ تُخصَّص للكاهن الساق الرفيعة والصدر ويوضعان معاً مع تلك التي خُصِّصَت. وتُدعى الذبيحةُ ''كَبْشُ الْمِلْءِ'' (خر ٢٩: ٣١). وطالما قُدِّمت الأحشاءُ كذبيحةٍ، عندئذٍ تؤكل بقية الذبيحة مع الخبز، وفي الصباح يُحرق ما تبقى في النار. هذا ما يقوله الكتاب المقدس.

بلاديوس: حديثك عميق جداً.

كيرلس: ملاحظتُك صحيحةٌ، والحديث عميقٌ جداً ويحمل سرَّ المسيح. لأن المسيح صار لأجلنا كبشَ ملءٍ مُقدِّماً إيانا كاملين في عملٍ ممتازٍ مظهِراً إيانا بأننا نتحلى بفضائل بواسطة التقديس الروحي، وقبل أي شيء آخر وضع فينا بركة السمع والطاعة، بمعنى السمع والطاعة اللذان يجعلانا نقبل العقائد الخاصة بالمسيح، ليس سماعُ الثرثرةِ والتشويش وكثرة الكلام الوقح الذي بسببه يعطون فرصةً لأولئك الذين يحاربون الحق بأن يملئوا أنفسهم بتعاليمٍ هي ضد العقائد المستقيمة. لأن هذه هي ثمرة الطاعة المقدسة والسمع المقدس. أيضاً يوحنا الرسول يقول: ''أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟ لأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ. بِهذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ اللهِ: كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللهِ'' (١ يو ٤: ١ – ٢).

وفحص الأقوال لا يصير إلَّا بالآذان. هكذا فإن آذان أولئك الذين يعتنون بالتعاليم العقيدية الدقيقة والمستقيمة هي آذانٌ مقدسة. إنها هبةٌ من المسيح ومنحةٌ من السماء، ومفخرةُ الدم المقدس، لأنَّ كل مفاخرنا الممتازة نحققها من خلاله وبه. بفضله اليدُ تتنقى وتُظهِرُ الفعلَ العملي، والأرجل أيضاً

ترمزُ بوضوح لاستقامة مسيرتنا. لأنه يجب أنْ نفتخر بأعمالنا المقدسة ونسلك جيداً الطريق الذي يعبِّر عن كل تلك الأمور المرضية عند الله، ووفق هذا يُسبِّح داود في المزامير: "تَفَكَّرْتُ فِي طُرُقِي، وَرَدَدْتُ قَدَمَيَّ إِلَى شَهَادَاتِكَ" (مز ١١٩: ٥٩)، أو وفق سفر الأمثال: "مَهِّدْ سَبِيلَ رِجْلِكَ، فَتَثْبُتَ كُلُّ طُرُقِكَ" (أم ٤: ٢٦). ها إنَّ الجنس المقدس والمختار أصبح له طاعةً، وسمعاً مقدساً، ويداً مقدسةً، وأرجلاً مقدسةً وفق التوصيات التي ذكرناها.

كل ما مُسِح يكون في الجهة اليمنى وفي الإبهام أي في الأطراف. وأمَّا قوله بأنْ يمسح طرف الأذن والرجل واليد؛ فلأن أيَّ عملٍ صالحٍ له فاعلية قوية، ويحتل المكانة اليمنى، وليس به نقطة شريرة حتى الأطرافٍ التي تمثِّل محصلة هذا الشخص أو نهايته. يجب على المكرَّسين لله أنْ يكونوا أصحاب اليمين من جهة التقديس حتى النهاية بالصبر. لأنه يقول: "الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلاً صَالِحاً يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (في ١: ٦). لأنه يُعدُّ تناقضاً شديداً أنْ يحاول المرءُ وهو ينظر للوراء أنْ يقدِّم الخيرَ بكسلٍ وخمولٍ. ولأنَّ موسى كان يرمز لله (الآب)، فإنَّ بني هرون كانوا يقدِّمون له الذبيحة، وهو بدوره يقبلها مبرهناً بذلك على أنَّ الله يقبل كل الذين تقدسوا بهذه الطريقة -كما من يدٍ إلى يد- ولا يحتقر ذبيحتهم في المسيح؛ لأنَّ ذبيحتهم لها رائحة المسيح. وهذا ما كان يشير إليه بتقدمة الأحشاء حيث بخَّروا أولاً.

يُخصَّصُ الصدرُ والقصُّ (الأرجل الأمامية) من كبش الملء للكاهن. ويرمز القصُّ للقوة، بينما الصدرُ يشير إلى القلب والكُلى. وهو ما يؤكد أن المسيح أعطى الجنس المقدس والكهنوتي، قوة الله الآب وحكمته. أم أنك ترى أننا لسنا حكماء وأقوياء جداً بقوته؟

بلاديوس: كيف لا؟!! لأنه مكتوبٌ إنَّ المسيحَ هو قوة الله وحكمة الله، لقد صار كل هذا لنا من الله.

القدسات للقديسين

كيرلس: واللحم هو الطعام المقدس للذين أُختيروا لخدمة الله، وهو يُؤخذ مع فطير (خبز بلا خمير) دون أنْ يَسمَحَ بمشاركة أي أحد من جنسٍ آخر، لأنَّ

أيَّ شخصٍ يفعل هذا يموت. بمعنى أنَّ الاشتراك في الطعام المقدس، أي في جسد المسيح يتناسب مع الأنفس المقدسة، وهذه البركة لا يدنو منها مَن هم مِن أُمَمٍ أخرى. والجنس الآخر هو الجنس الذي لم يؤمن بعد ولم يُعمَّد. والمنتمي لهذا الجنس منحرفُ العقل بسلوكيات مختلفة وغير متفقة مع تعاليم القديسين، وهذه السلوكيات تنحدر من تعاليم دنيئة.

أيضاً تؤكل الذبيحة بواسطة النار، وكذلك كل الفائض منها حيث لا يُسمَحُ بأنْ يؤكل منها في اليوم التالي. لأنه وفقاً للحياة الآتية (العتيدة)، توجد طرقٌ أخرى روحية[1]، لا جسدية، والله العارف بكل الأشياء يستطيع أنْ يغيِّرها وينقلها حيث يريد. فالشخص سوف يفهم كلام الله فهماً تاماً بعد القيامة من الأموات، وذلك لأنَّ الفساد سوف يَبطُل تماماً. هكذا، وبينما نحن مع الرب يسوع، سوف نكتشف هناك طريقةً أخرى مختلفةً للتقديس.

وطالما تحدثنا فيما خطر على بالنا، سوف نمضي بحديثنا عن أولئك الذين فكَّروا في الأمور الحُسنى. وربما شيءٌ مثل هذا أعلنه بولس الرسول عندما قال: "وَلكِنْ مَتَى جَاءَ الْكَامِلُ فَحِينَئِذٍ يُبْطَلُ مَا هُوَ بَعْضٌ" (١ كو ١٣: ١٠).

بلاديوس: هكذا يبدو.

تكميل الكهنة

كيرلس: وما قاله المشرِّع من أمور لأجل تكميل الكهنة، يجب أن يُتمم. عندما قام كهنة إسرائيل تجمعوا في اجتماع وأعلن رسمياً تكليفهم بالمسئولية وقال: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: خُذْ هَارُونَ وَبَنِيهِ مَعَهُ، وَالثِّيَابَ وَدُهْنَ الْمَسْحَةِ وَثَوْرَ الْخَطِيَّةِ وَالْكَبْشَيْنِ وَسَلَّ الْفَطِيرِ، وَاجْمَعْ كُلَّ الْجَمَاعَةِ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. فَفَعَلَ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ. فَاجْتَمَعَتِ الْجَمَاعَةُ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. ثُمَّ قَالَ مُوسَى لِلْجَمَاعَةِ: هذَا مَا أَمَرَ الرَّبُّ أَنْ يُفْعَلَ. فَقَدَّمَ مُوسَى هَارُونَ وَبَنِيهِ وَغَسَّلَهُمْ بِمَاءٍ. وَجَعَلَ عَلَيْهِ الْقَمِيصَ وَنَطَّقَهُ بِالْمِنْطَقَةِ وَأَلْبَسَهُ الْجُبَّةَ وَجَعَلَ عَلَيْهِ الرِّدَاءَ، وَنَطَّقَهُ بِزُنَّارِ الرِّدَاءِ وَشَدَّهُ بِهِ" (لا ٨: ١ – ٧). لأنَّ الخيمةَ مقدسةٌ، والمذبحُ غنيٌّ تماماً بتقديس

١- أي أن جسد القيامه سوف لا يخضع لمقاييس الجسد قبل القيامة، بل سوف يكتسب خواصاً تفوق الخواص الأولى مثلما قام المسيح بجسد ممجد ودخل العلية والأبواب مغلقة.

الروح، ولكن ليس بالطريقة التي يتم بها ذلك مع الكائنات العاقلة؛ لأنَّ مذبح الخيمة ليس مقدساً مثل طبيعة الملاك أو نفس الإنسان، على سبيل المثال، لكن تقديس المذبح يتم باتصاله بالتقدمة التي تُوضع فوقه. لأنَّ المكان يتقدَّس حيث يوجد فيه المسيح. إذن، فطالما مُسِحَ المذبح سبعُ مرات، أي بغنىً، هكذا أيضاً قدَّس هرون، أي سكب فوقه زيت المسحة ومعه قدَّم تقدمات من أجله وأبناءه بالطريقة التي تكلّمنا عنها سابقاً.

وطالما أنَّ كل ذلك قد صار وتكمَّل، يعطي وصيةً أخرى قائلاً: "وَمِنْ لَدُنْ بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، لاَ تَخْرُجُونَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ إِلَى يَوْمِ كَمَالِ أَيَّامِ مَلْئِكُمْ، لأَنَّهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ يَمْلأُ أَيْدِيَكُمْ. كَمَا فَعَلَ فِي هذَا الْيَوْمِ، قَدْ أَمَرَ الرَّبُّ أَنْ يُفْعَلَ لِلتَّكْفِيرِ عَنْكُمْ. وَلَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ تُقِيمُونَ نَهَاراً وَلَيْلاً سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَتَحْفَظُونَ شَعَائِرَ الرَّبِّ فَلاَ تَمُوتُونَ، لأَنِّي هكَذَا أُمِرْتُ" (لا ٨: ٣٣ - ٣٥). لقد أوضح حديثنا ما هي الطريقة التي تتم بها أية ذبيحة؛ لذلك فلنترك التفاصيل في هذه المواضيع ونمضي بحديثنا في أمرٍ آخر.

لا يسمح الناموس لهؤلاء الذين صاروا أغنياء بهذا النصيب المقدس (الخدمة الكهنوتية) وتطهَّروا وتكمَّلوا من أجل هذا العمل المقدس، أنْ يخرجوا خارج الخيمة المقدسة. بل يجب أنْ يبقوا بالداخل سبعة أيام، وبطريقةٍ ما سَمَّرَ الأبواب حتى لا يعبروا العتبة. وإغلاق المكان المقدس هو رمزٌ للثبات والإقامة في القداسة[1]. بمعنى أنه يجب أنْ نكون غير منتقلين عن ممارسة الفضيلة نحن الذين أسرعنا لنستند على الله بدون أنْ نخرج عن حدود عملنا ولا نبتعد عن معرفتنا المقدسة، لكن لنسكن دائماً بالقرب من الله وفق ما قيل بفم النبي: "إِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَ فَاطْلُبُوا. ارْجِعُوا، تَعَالَوْا" (إش ٢١: ١٢).

---

١ ـ عن الثبات يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "فإن كان يجب على المتنافس في جولات الملاكمة والمصارعة أن يكون ثابتاً بكل قوة قبل بداية المباراه، فكم بالحري في الحروب والشؤن العسكرية. فالإنسان الثابت غير المهتز، الذي لا يستند على آخر لا يمكن أن يسقط أبداً، فموقف الثبات الدقيق، يتضح في الطريقة التي بها يقف المرء. فالكائنات القائمة باستقامة، هذه قد ثبتت، أما التي لم تثبت، فستصبح عرضه للإنحلال والتفكك. فمحب اللذة لا يقف بثبات، بل يستند على شيء ما، كذلك محب الشهوة، ومُحب المال. فمن يعرف أن يثبت، سيكون الصراع سهلاً بالنسبة له، بسبب ثباته في موقفه، كأنه مدعوم بدعم ما. يقول "فأثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق"، لا يتكلم عن حزام أو منطقة حقيقية، لأن كل ما جاء في هذا الجزء يتكلم عنه بشكل رمزي، ولاحظ كيف يتقدم في كلامه بشكل مُنظم. فهو أولاً يُمنطق الجندي من جديد. ماذا يعني هذا؟ يعني أنه يوقف العمل بتلك المنطقة المتحلله والمتفسخة، بسبب الشهوات، ولا يسمح أن يُعاق، بسبب الثياب المتشابكة حول الساق، بل يتركه يركض بأرجل مَرنة. "فأثبتوا ممنطقين أحقاءكم" ما يعنيه هنا بالأحقاء هو الآتي: فكما هو الحال بالنسبة للقوارب، يكون الأساس هو الجزء الأسفل في الهيكل الكامل للقارب، هكذا بالنسبة لنا فإن الأحقاء هي الأساس لكل الجسد، وكأنه الأساس الذي فوقه يُبني كل شيء، كما يقول الأطباء" تفسير الرسالة إلى أفسس، الإصحاح السادس، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦.



هذا هو ما أُمِرَ به موسى بالنسبة لما سيحدث في الأيام السبعة، والعدد "سبعة" يعني أنه يجب أنْ يظلّوا في أي ظرف بالقرب من الله، أي كل الوقت وفي كل الأحوال. وبينما هم لا يزالون في الخيمة، يعطي وصيةً ليحفظوا أوامر الرب مظهِراً الطاعة كثمرة للإقامة الدائمة بالقرب من الله[1]، ويفعلون كل ما يريده المشرّع. إذاً دعنا نظل دائماً بالقرب من ربِّ الكل؛ لأن الخمول بالنسبة لعمل الخيرات له نهاية في أواخر الأوقات، لذلك أضاف تعبير: "فَلاَ تَمُوتُونَ، لأَنِّي هكَذَا أُمِرْتُ" (لا ٨: ٣٥).

بلاديوس: ما تقوله صحيح.

تطهير القائمين على الخدمة الكهنوتية

كيرلس: بدأ القائم بالخدمة الليتورجية هارون في تتميم الوصايا من أجل الطهارة والكمال. ودعنا نمضي ونقول بأيةِ طريقةٍ. لأنه مكتوب أيضاً في سفر اللاويين: "وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ دَعَا مُوسَى هَارُونَ وَبَنِيهِ وَشُيُوخَ إِسْرَائِيلَ. وَقَالَ لِهَارُونَ: خُذْ لَكَ عِجْلاً ابْنَ بَقَرٍ لِذَبِيحَةِ خَطِيَّةٍ، وَكَبْشاً لِمُحْرَقَةٍ صَحِيحَيْنِ، وَقَدِّمْهُمَا أَمَامَ الرَّبِّ. وَكَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: خُذُوا تَيْساً مِنَ الْمَعْزِ لِذَبِيحَةِ خَطِيَّةٍ، وَعِجْلاً وَخَرُوفاً حَوْلِيَّيْنِ صَحِيحَيْنِ لِمُحْرَقَةٍ، وَثَوْراً وَكَبْشاً لِذَبِيحَةِ سَلاَمَةٍ لِلذَّبْحِ أَمَامَ الرَّبِّ، وَتَقْدِمَةً مَلْتُوتَةً بِزَيْتٍ. لأَنَّ الرَّبَّ الْيَوْمَ يَتَرَاءَى لَكُمْ. فَأَخَذُوا مَا أَمَرَ بِهِ مُوسَى إِلَى قُدَّامِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. وَتَقَدَّمَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ وَوَقَفُوا أَمَامَ الرَّبِّ. فَقَالَ مُوسَى: هذَا مَا أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ. تَعْمَلُونَهُ فَيَتَرَاءَى لَكُمْ مَجْدُ الرَّبِّ. ثُمَّ قَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: تَقَدَّمْ إِلَى الْمَذْبَحِ وَاعْمَلْ ذَبِيحَةَ خَطِيَّتِكَ وَمُحْرَقَتَكَ، وَكَفِّرْ عَنْ نَفْسِكَ وَعَنِ الشَّعْبِ. وَاعْمَلْ قُرْبَانَ الشَّعْبِ وَكَفِّرْ عَنْهُمْ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ" (لا ٩: ١ – ٧).

يا بلاديوس لو سمحت لعقلك أن يدخل إلى الكتابات المقدسة ويتأمل فيها بالتفصيل، سوف تكتشف سرَّ المسيح بوضوح.

١- المسيح ضَمَنَ لنا الإقامة الدائمة مع الله، وهذا ما شرحه القديس كيرلس بكل وضوح في موضع آخر، قائلاً: "جميعاً ندعى أبناء الله، إذ هو أب الجميع، إذ قد أوجدهم بالخلقة وأتى بهم من العدم إلى الوجود. وأعطى لنا أيضاً منذ البداية أن نكون مخلوقين على صورته، وقد أعطى لنا السيادة على كل المخلوقات الأرضية، وحُسبنا مستحقين للعهد الإلهي، وَوَهبَ لنا التمتّع بحياة الفردوس وسعادته. أما الشيطان فلم يكن يريد أن نظل في تلك الحالة، ولذلك شتتّنا بطرق متنوعة، إذ أضلّ الإنسان عن حالة القرب من الله. ولكن المسيح جمعنا معاً مرة أخرى وعن طريق الإيمان أدخلنا إلى حظيرة واحدة أى الكنيسة، ووحدّنا تحت نير واحد، فصرنا جميعاً واحداً، يهوداً ويونانيين وبرابرة وسكيثين، وهكذا فهو يشكّلنا مرّة أخرى لنكون إنساناً واحداً جديداً، ونعبد إلهاً واحداً" شرح يوحنا، المجلد الثاني، ص ٥٩.

بلاديوس: بأية طريقة؟

كيرلس: توقَّف موسى في اليوم الثامن عن ممارسة رتبته الكهنوتية. وإنْ كان هرون قد بدأ الخدمة بالتأكيد، إلَّا أنَّ موسى لم يصمت، بالرغم من أنَّ هارون أخذ على عاتقه واجبات الكهنوت. لأنَّ زمن كهنوت المسيح يُعتبر –قانونياً– هو زمن ما بعد الناموس، أي ما يُرمز إليه باليوم الثامن الذي بمقتضاه صارت قيامة المسيح وبداية العهد الجديد وفق المكتوب: "إِذاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ" (٢ كو ٥: ١٧)، فبظهور المسيح في اليوم الثامن انتهت أعمال موسى. لأننا لا نعبد بعدُ برموزٍ وظلال. لكن التربية من خلال الناموس لم تتوقف، لأنَّ الناموس هو روحيٌ للروحيين، وهو يكرز دائماً بسرِّ المسيح.

إذن، وعدهم موسى بأنهم سيَرون مجد الرب في اليوم الثامن. بمعنى أنَّ الناموس أعلن زمن قدوم الرب على الأرض. ويعطي أيضاً أمراً آخراً، أنْ يقدم هرون أولاً ذبيحةً لأجل ذاته ثم ذبيحة لكل الشعب. هذا الأمر يعتبر مثالاً للأمور الخاصة بنا، وتُعلِن بوضوح ونقاء أنَّ الذين أُختيروا للكهنوت وقبلوا التطهير بالإيمان، يجب بسهولة أنْ يكونوا قديسين وأطهار، أمَّا بخصوص كيفية التقديم، فسوف نوضح هذا الأمر بقدر المستطاع.

إذن، فقد ذُبح الثور من أجل تطهير القائمين على الخدمة الكهنوتية، وسُكب دمه على المذبح المقدس، والأحشاء قُدِّمت كرائحة بخور، وحُرقت بقية الذبيحة بالنيران. وقُدِّم الكبشُ أيضاً ذبيحة محرقة وفق الناموس. أمَّا الذبيحة التي قُدِّمت من أجل الشعب للتطهير فكانت تيساً. كلاً من العجل والخروف كانا ذبيحة محرقة، بينما الكبش والثور ذبيحةَ شكرٍ عن الخلاص (أى ذبيحة سلامة). قُدِّم أيضاً على المذبح دقيقٌ مقدار قبضة اليد على جانب المذبح. ثم قال: "ثُمَّ رَفَعَ هَارُونُ يَدَهُ نَحْوَ الشَّعْبِ وَبَارَكَهُمْ، وَانْحَدَرَ مِنْ عَمَلِ ذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ وَالْمُحْرَقَةِ وَذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ. وَدَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، ثُمَّ خَرَجَا وَبَارَكَا الشَّعْبَ، فَتَرَاءَى مَجْدُ الرَّبِّ لِكُلِّ الشَّعْبِ وَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأَحْرَقَتْ عَلَى الْمَذْبَحِ الْمُحْرَقَةَ وَالشَّحْمَ. فَرَأَى جَمِيعُ الشَّعْبِ وَهَتَفُوا وَسَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِم" (لا ٩: ٢٢ – ٢٤).

بلاديوس: ما الذي لديك لتقوله عن هذه الأمور؟

كيرلس: حسناً، لقد ظهر مجدُ الرب في اليوم الثامن، بمعنى أن الابن مجدُ الله الآب قد ظهر. لأنه هكذا دعاه حين قال لموسى: ''حَيٌّ أَنَا فَتُمْلأُ كُلُّ الأَرْضِ مِنْ مَجْدِ الرَّبِّ'' (عد ١٤: ٢١). هذا هو نفسه المذبوحُ لأجلنا، قد برهن لنا على أننا مقدَّسين، كأنه حررنا بذبيحة الثور من الخطية غافراً لنا ما ارتكبناه، غاسلاً إيانا من دنس الإدانة، إنه مثل كبش الملء الذي انبعثت منه رائحةٌ دهنيةٌ كريمةٌ، وهو صار لنا ذبيحةَ خلاصٍ مقدِّساً إيانا بدم نفسه. وهو صار دقيقاً ملتوتاً بزيت مقدِّماً حياته المقدسة، أي ذاته لأجلنا إلى الله الآب.

بلاديوس: إنني أفهم ما تقوله.

كيرلس: أعتقد أنَّ تقديم الذبيحة لأجل هرون ولأجل الشعب يشير بشكل جيد إلى تكريس القديسين لله. والآن حيث أظهَرَ عمانوئيل ذاته بوضوح، وبواسطته دُعينا إلى القداسة، فنحن مقبولون وقديسون وصرنا كرائحة ذكية مقدَّمة إلى الآب. لاحظ أنني قلت للتو إنَّ رسامة الكهنة قد تُممت وفقاً للناموس، وكانوا بواسطته هو نفسه (أي بواسطة المسيح) وبطرقٍ كثيرة مقدسين. لقد سُلِّم -مثل الثور- إلى النيران خارج المحلة من أجل غفران الخطايا، ذبحوه مثل الكبش الذي صار ذبيحة محرقة، وقُسِّم بالكامل لأجل كل واحد وللجميع، وقدَّسهم ماسحاً إياهم بدمه مثل الكبش أثناء ذبيحة الشكر لأجل الخلاص. وأخيراً عندما أتى اليوم الثامن والذي فيه لَمَع بالأكثر مجد المسيح حيث بَطُل الموت وأُبيد الفساد، قدَّم الكهنة والشعوب الثمار إلى الله مكرمين إياه ليس بتقدمات وثنية، بل جاعلين ذواتهم ذبيحةً رائحةً ذكيةً، إذ لا يُسرُّ ربُّ الكل بتقدمات خارجية مثل إسرائيل الجسدي. لأنَّنا نُقدِّس نفوسنا روحياً بهذه الذبائح المقدسة ونقدمها إلى الله مائتين عن العالم وعن السلوك الجسدي متحملين إماتة الأهواء ونحن مصلوبون مع المسيح. وهكذا ننتقل إلى الحياة المقدسة وغير الملومة ونحيا وفق إرادته. مثل هذا الأمر كتبه بولس الرسول قائلاً: ''حَامِلِينَ فِي الْجَسَدِ كُلَّ حِينٍ إِمَاتَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضاً فِي جَسَدِنَا'' (٢ كو ٤: ١٠). وفي موضع آخر قال: ''إِنْ كُنَّا نَصْبِرُ فَسَنَمْلِكُ أَيْضاً مَعَهُ'' (٢ تيمو ٢: ١٢). لو تمثلنا بموته وآلامه كما هو مكتوب (انظر رو ٨: ٢٩)، سنصير شركاء قيامته ومجده.

هكذا مات المسيح لأجلنا خارج المحلة كما كتب بولس الطوباوي (انظر عب ١٣: ١٢). إذن، دعنا نخرج نحن حاملين عاره[1] خارج المحلة مذبوحين بنفس الطريقة مثل الثور ونصير محرقةً مثل الكبش، عندئذٍ ينبعث منا تعليم المسيح كرائحة ذكية إلى الله.

وهذه الذبائح المقدسة كانت تُقدَّم لأجل هارون والذين معه وكل الذين انحدروا منه، بينما كان التيس (ذكر الماعز) ذبيحةً عن الخطية لأجل الشعب.

ولكن ما هو السبب في تقديم الثور ذبيحةً عن الخطية لأجل تطهير الكهنة؟

الأمور الخاصة بالكهنة، ومنها تقدمات الذبائح والتطهير والتقديس تحتل المكانة الأولى. فالثور هو أكبر جسماً من التيس، ويشير بذلك إلى عظمة الأمور الروحية.

الثور وكبش المحرقة يشيران إلى قوة وعنفوان المؤمنين المقدَّسين في اسم المسيح. كذلك الثور والكبش يشيران إلى الصبر وشدة الاحتمال، وكذلك إلى ثمار الوداعة، فالثور هو مثال للصبر، بينما الكبش مثال للقوة.

والدقيق الملتوت بالزيت يُظهر بوضوح وبطريقة رمزية بهاء رجاء الحياة وفق روح المسيح. لأننا لا ينبغي أنْ نحزن أو نبكِ في حضرة المسيح، بل نكون مبتهجين وسعداء. لأنَّ هذا ما أراد أنْ يعلنه المرنم بنصيحته حين قال: "هَلُمَّ نُرَنِّمُ لِلرَّبِّ، نَهْتِفُ لِصَخْرَةِ خَلاَصِنَا" (مز ٩٥: ١).

هكذا ينبعث من مجد المسيح نوره النقي واللامع، وسوف يقبلُ –بفرح عظيم– ثمار القديسين مثلما نزل الله بكل مجده مثل نار وأكل الذبائح. إنَّ طعامه ولذته هو نجاح أولئك الذين تقدَّسوا بالإيمان. حينذاك (أي في العهد القديم) أرسل الله شعلة نار لتسقط فوق الذبائح المشقوقة وتلمس التقدمات، وذلك لأنَّ العنصر الإلهي يحضر دائماً على شكل طبيعة النار.

١- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره" (عب ١٣:١٣). بمعني أن نُعاني ما عاناه، وأن نصبح شركاء في آلامه. لقد صُلب الرب خارج الباب، كمُتهم محكوم عليه، إذاً ينبغي ألا نخجل نحن أيضاً من أن نخرج خارج العالم، لأن هذا هو ما يعنيه بقوله "خارج المحلة" و"خارج الباب". ثم يقول: "لأنه ليس لنا هنا مدينه باقية لكننا نطلب العتيدة" (عب ١٣:١٤). هكذا يُفهم معني الخروج "خارج المحلة وخارج الباب"، لأننا نطلب المدينة العتيدة" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، الإصحاح الثالث عشر، ص ٤٢٢.



أمَّا الآن حيث نُقدِّم الذبيحة العقلية[1] لا يلمس تقدماتنا على شكل نارٍ، لكنه يعمل بالروح القدس، ويُظهِر المسيحَ حياً لأولئك الذين يريدون أن يصيروا شركاؤه. ونحن نقبل هذا الأمر كحقيقة.

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب.

كيرلس: وعندما يرفع هارون يديه يتبارك الشعب. ولاحظ كيف يفرد هارون يديه ويضعها لتكون على الشعب. وهذا يعني أنَّ هارون الحقيقي بارك الجميع كهنةً وشعباً، صغاراً وكباراً وفق المكتوب[2] واضعاً يديه فوقهم. إن وضع الأيدي يمثل علامةً واضحةً تشير إلى حلول الروح القدس علينا. ولا يوجد وضع الأيدي (وحلول الروح القدس) قبل كهنوت هارون. لأنه وفق كلام يوحنا: ''لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ'' (يو ٧: ٣٩).

بلاديوس: كلامك مقنع.

صيغة البركة

كيرلس: وقد حدد أيضاً الطريقة التي يجب أنْ يصلي الكهنة بها مستخدماً في كلامه طريقة متماشية مع نبوّات مسبقة عن آلام المسيح، قائلاً: ''كَلِّمْ هَارُونَ وَبَنِيهِ قَائِلاً: هكَذَا تُبَارِكُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلِينَ لَهُمْ: يُبَارِكُكَ الرَّبُّ وَيَحْرُسُكَ. يُضِيءُ الرَّبُّ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ. يَرْفَعُ الرَّبُّ وَجْهَهُ عَلَيْكَ وَيَمْنَحُكَ سَلاَماً. فَيَجْعَلُونَ اسْمِي عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنَا أُبَارِكُهُمْ'' (عد ٦: ٢٣ - ٢٧).

إذن، فقد أمر أولئك الذين نالوا رتبة الكهنوت أنْ يباركوا الشعب، لكنه أراد أنْ يبعدهم بطريقةٍ مناسبةٍ عن الأفكار الباطلة، مُظهراً لهم أنه يباركهم ليس بيد بشرية، بل يباركهم بنفسه وذلك وفق المكتوب: ''كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ

---

١ - الكلام هنا عن العبادة العقلية كما وضحها القديس يوحنا ذهبي الفم، قائلاً: ''وكما أن الفرق كبير بين المسيح وبين هرون، هكذا هو الفرق بيننا وبين اليهود. إذاً فلنلاحظ أن لنا في السماء الكاهن الذبيح، وفي السماء الكاهن، وفي السماء الذبيحة. وبناء على ذلك فلنقدم مثل هذه الذبائح التي يمكن أن نقدمها على ذلك المذبح، ليس بعد خراف وعجول، ليس دم، ودخان ورائحة شواء. كل هذا قد أبطِل، وحلّ محله العبادة العقلية. وما هي العبادة العقلية؟ هي تلك التي تُقدم بالنفس وبالروح، لأنه يقول ''الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا'' يو ٤:٢٤، أي كل مَنْ هو ليس في إحتياج للجسد، والأعضاء، والأماكن. مثل هذه الأمور، هي الرأفة، والتعقل، والرحمة، والتسامح، والإحتمال، والتواضع'' تفسير الرسالة إلى العبرانيين، الإصحاح السادس، ص ١٨٣.

٢- انظر مز ١١٥: ١٢ - ١٣.

مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ، الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ" (يع ١: ١٧)، بمعنى أنَّ المسيح هو طريق البركة، وهو مُعطي الخيرات السماوية، والكل من أبينا (الله) يُمنح بواسطته ومنه. أيضاً بولس الرسول يقول: "نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (رو ١: ٧).

إذن، فنحن نتبارك في اسم الله، لكن كيف يمكن لطريقة إعطاء البركة هذه أنْ تكون مناسبة؟ سنتحقق من ذلك بطريقة جميلة، إذ مكتوب أنَّ الكاهن الذي يصلي يجب أنْ يضيف قائلاً: "يُبَارِكُكَ الرَّبُّ وَيَحْرُسُكَ. يُضِيءُ الرَّبُّ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ. يَرْفَعُ الرَّبُّ وَجْهَهُ عَلَيْكَ وَيَمْنَحُكَ سَلاَماً" (عد ٦: ٢٤ - ٢٦).

حسناً، البركة تصون، وتُبطل اللعنة، وتُعيد تشكيل المخطئ حتى يمكنه أنْ يكون محلَّ ثناءٍ ومدحٍ من المسيح. وبولس الرسول يشهد بذلك عندما كتب: "مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ" (أف ١: ٣ - ٥).

أرأيت كيف صار الإنسان الذي طُرد بسبب عصيانه، مقبولاً بالتبني[1] عندما نال البركة من خلال المسيح بشركة الروح القدس الذي سمح أنْ ينسكب بغنىً علينا، والذي لم يمنحه للقديسين جزئياً، بل وضعه داخلنا بكل كماله.

إنَّ ظهور وجه الله علينا، يجلب لنا الرحمة، إذ أننا بمعرفة الله سوف نشترك في الحياة الأبدية. لأنَّ هذا ما قاله المخلِّص إلى الله الآب السماوي: "هذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ" (يو ١٧: ٣).

١- يشرح القديس إيرينيوس كيفية حصولنا على التبني، إذ يقول: "كيف كان يمكن للإنسان أن يذهب إلى الله، لو لم يكن الله قد جاء أولاً إلى الإنسان؟ وكيف كان يمكن للبشر أن ينعتقوا من ميلادهم الأول المؤدِّي إلى الموت، لو لم يولدوا من جديد بالإيمان بذلك الميلاد الجديد الإعجازي المُعطى من الله كآية للخلاص (انظر إش ٧: ١٤ «يُعطيكم الرب نفسه آية»)، أعني الميلاد الذي صار من العذراء؟ بل، وكيف كان يمكن أن ينالوا التبنِّي لله وهم باقون في ميلادهم الأول الذي بحسب البشر في هذا العالم؟ ... من أجل ذلك صار الكلمة إنساناً، وصار ابن الله ابناً للإنسان؛ لكي يتَّحد الإنسان بالكلمة، فينال التبنِّي ويصير ابناً لله" ضد الهرطقات 4:33:4، 1:19:3 راجع:SC 100 bis, pp 811-813; SC 211, pp 373



فالابنُ، وهو وجه الله الآب[1] الذي ظهر لنا، ولا يمكن أنْ يكون لدينا أيُّ ترددٍ تجاه هذه الحقيقة؛ لأنه هو ختمه ورسم جوهره[2]، وبواسطته وفيه نحصل على معرفة الآب. وبهذه المعرفة يأتي إلينا، لذا يجب أنْ نكون رُحماء؛ لأننا خلصنا بالإيمان وليس من أعمال البر التي نفعلها، لكن بسبب رحمته العظيمة (انظر تي ٣: ٥) ألقينا عن كاهلنا الفساد وأخذنا شكلاً جديداً مناسباً لحياة المسيح الجديدة، بسبب رحمة الله.

ولو نقلنا مفهوم حديثنا إلى اليهود، سنتحقق أنهم قبلوا الرحمة الحقيقية عندما أشرق وحيد الجنس عليهم. بمعنى أنَّ الناموس الديان ضغط عليهم كحِملٍ ثقيل لا يُحمل، إذ عاقب الذين أخطأوا بدون رحمة، لكنهم رُحِموا بأعمالِ النعمة المخلِّصة، وبالكاد نال البعض منهم هذه النعمة بواسطة المسيح الذي انتظروا مجيئه بشغف مترقبين رؤيته صارخين إلى إله الجميع: "يَا اَللهُ أَرْجِعْنَا، وَأَنِرْ بِوَجْهِكَ فَنَخْلُصَ" (مز ٨٠: ٣).

هكذا رُحمنا كلنا بظهور المسيح. وظهور وجه الله يحمل -بالتأكيد- سلاماً، ذلك السلام الذي يمنحه ويعطيه المسيح لأولئك الذين يؤمنون به. لأنه يقول: "سَلاَماً أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ" (يو ١٤: ٢٧). وعندما رفَّعَ الآبُ الابنَ وأعطاه اسماً فوق كل اسم (انظر في ٢: ٩) قائلاً له: "اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي" (مز ١١٠: ١). عندئذٍ أبطل العداوة التي فصلتنا عنه، فاتحدنا فيما بيننا ووجدنا السلام باختيارنا مرةً أخرى، إذ قبلنا وصاياه وسلكنا حسب الروح، وبواسطته وبه صرنا شركاء الطبيعة الإلهية (٢ بط ١: ٤)، وفي هذه الوحدة رَبَطَنَا المسيحُ. لأنه قال مرةً للآب: "لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً،

١- يقول القديس كيرلس في موضعٍ آخر: "الذين سيكونون أقرب إلى الله، وفي أعلى مكان في إكرامه لهم، هم أولئك الذين تكون قلوبهم نقيَّة: ويهبهم المخلص نفسه أيضاً كرامة عظيمة حينما يقول " طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (متى ٥:٨). وكبرهان على صدق هنا القول، نأتي بهذا الإنجيلي الحكيم نفسه. لأنه قد رأي مجد المسيح ـ بحسب كلماته هو نفسها عندما قال: " رأينا مجده، مجداً كما لوحيد من الآب، مملوء نعمة وحقاً" (يوحنا١:١٤). فبالتأكيد لا يستطيع أحد أن يتفرَّس ـ بالعيون الجسديَّة ـ في طبيعة ذاك الذي لا يمكن أن يُرى مطلقاً بالنسبة لكل المخلوقات. لأنه، بحسب كلمات المخلِّص: " ليس أن أحداً رأى الآب إلا الذي من الله" (يو ٦:٤٦)، أي الإبن؛ هو الذي رأى الآب. فالذين يحفظون عقولهم غير ملوثة بصبغة العالم، والذين يتحررون من التصورات الباطلة الخاصة بهذه الحياة، فيبدو أن المسيح يكشف لهم مجده الخاص بطريقة سامية جداً وربما تفوق الإدراك، وبهذا يريهم أيضاً مجد الآب. فلابد أنه بهذا المعنى، قال "من رآني فقد رأي الآب" (يو ١٤:٩)" شرح إنجيل يوحنا، المجلد الثاني، ص ١١١.

٢- الابن هو ختم الآب، وبناء على ذلك هو كامل مثل الآب تماماً، إذ يقول القديس كيرلس في موضع آخر: "وعلى الذين يقاوموننا أن يقولوا لنا: كيف أن الابن هو صورة الآب الكاملة ورسم جوهره ومع ذلك ليس له الكمال في طبيعته الإلهية. فحيث إن الابن هو الختم والصورة فهو أيضاً كامل مثل الآب الذي هو صورته". راجع شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق، المجلد الأول، الإصحاح الأول ص ١٥٧.

كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا'' (يو ١٧: ٢١). وبحسب الكتاب ''فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ'' (١كو ١٠: ١٧). وكون أنَّ الله الآب يرفع وجهه، أي يمجِّد الابن ونقبل نحن غنى السلام شاخصين نحوه، فهذا ما يوضحه هو نفسه قائلاً: ''وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَى الْجَمِيعَ'' (يو ١٢: ٣٢).

بلاديوس: أنت تفكر بالصواب. ''لأَنَّ بِهِ لَنَا كِلَيْنَا قُدُوماً فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الآبِ'' (أف ٢: ١٨).

رسامة الكهنة

كيرلس: هذا ما يقوله لنا الناموس عن الكهنة وعن رسامتهم. يجب على الجنس اللاوى أنْ يتقدس جيداً وطالما تقدَّس بالطرق الواجبة، عندئذٍ يأخذ على عاتقه القيام بالخدمة الكهنوتية التي كُلِّف بها. وهو يقول في سفر العدد الآتي: ''خُذِ اللاَّوِيِّينَ مِنْ بَيْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَطَهِّرْهُمْ. وَهكَذَا تَفْعَلُ لَهُمْ لِتَطْهِيرِهِمِ: انْضِحْ عَلَيْهِمْ مَاءَ الْخَطِيَّةِ، وَلْيُمِرُّوا مُوسَى عَلَى كُلِّ بَشَرِهِمْ، وَيَغْسِلُوا ثِيَابَهُمْ فَيَتَطَهَّرُوا. ثُمَّ يَأْخُذُوا ثَوْراً ابْنَ بَقَرٍ وَتَقْدِمَتَهُ دَقِيقاً مَلْتُوتاً بِزَيْتٍ. وَثَوْراً آخَرَ ابْنَ بَقَرٍ تَأْخُذُ لِذَبِيحَةِ خَطِيَّةٍ. فَتُقَدِّمُ اللاَّوِيِّينَ أَمَامَ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، وَتَجْمَعُ كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَتُقَدِّمُ اللاَّوِيِّينَ أَمَامَ الرَّبِّ، فَيَضَعُ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى اللاَّوِيِّينَ. وَيُرَدِّدُ هَارُونُ اللاَّوِيِّينَ تَرْدِيداً أَمَامَ الرَّبِّ مِنْ عِنْدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيَكُونُونَ لِيَخْدِمُوا خِدْمَةَ الرَّبِّ. ثُمَّ يَضَعُ اللاَّوِيُّونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى رَأْسَيِ الثَّوْرَيْنِ، فَتُقَرِّبُ الْوَاحِدَ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ، وَالآخَرَ مُحْرَقَةً لِلرَّبِّ، لِلتَّكْفِيرِ عَنِ اللاَّوِيِّينَ. فَتُوقِفُ اللاَّوِيِّينَ أَمَامَ هَارُونَ وَبَنِيهِ وَتُرَدِّدُهُمْ تَرْدِيداً لِلرَّبِّ. وَتُفْرِزُ اللاَّوِيِّينَ مِنْ بَيْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيَكُونُ اللاَّوِيُّونَ لِي. وَبَعْدَ ذلِكَ يَأْتِي اللاَّوِيُّونَ لِيَخْدِمُوا خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ فَتُطَهِّرُهُمْ وَتُرَدِّدُهُمْ تَرْدِيداً'' (عد ٨: ٦ – ١٥).

بلاديوس: الآن فلتوضح لنا جيداً كيف نفهم طريقة التطهير التي طُبقت على اللاويين.

كيرلس: يا بلاديوس إنها طريقة سرّية، وتشير أيضاً إلى المسيح. لأنَّ هذا هو تطهيرنا واغتسالنا من أي دنس، وواهب القداسة يقول: ''انضح عليهم ماء للتطهير''. هذا بالتأكيد يعلنه بولس الحكيم قائلاً: ''لأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ

وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى الْمُنَجَّسِينَ، يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ" (عب ٩: ١٣ - ١٤)، وحديث الرسول ينطق بالحق؛ لأنه إذا كانت هناك فائدة من الأمثلة والظلال، ويمكنها أنْ تخلِّص (أي تقدس إلى طهارة الجسد)، فكيف لا يفعل الحق، أي دم المسيح، ما هو أفضل؟!

إذن، فماء التطهير الممزوج برماد العجلة يشير إشارةً واضحةً لما يُقال عن موت المسيح، مثلما يصير لنا نحن أنفسنا هذا الأمر بالإيمان أثناء المعمودية المقدسة (أي الموت). لأنه، كما قال أيضاً بولس الرسول نفسه: "فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ" (رو ٦: ٤). وأيضاً في موضع آخر قال: "حَامِلِينَ فِي الْجَسَدِ كُلَّ حِينٍ إِمَاتَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضاً فِي جَسَدِنَا. لأَنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ نُسَلَّمُ دَائِماً لِلْمَوْتِ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ، لِكَيْ تَظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضاً فِي جَسَدِنَا الْمَائِتِ" (٢ كو ٤: ١٠ - ١١). هذا يعني أنْ يكون المرءُ ميِّتاً عن العالم ويخضع لإماتة المسيح ويحيا مرةً أخرى حياة المسيح. إذن، فرماد العجلة مختلطٌ بالماء، يشير إلى إماتة المسيح التي تتحقق في المعمودية المقدسة[1].

يوصي بأنه -في هذه الإماتة- يجب أنْ يشترك فيها كل الذين ينتمون إلى رتبة كهنوت لاوي، وعليهم أنْ يرفضوا -بمفهوم الظلال أيضاً- أي نوع من الدنس الجسدي. هذا نراه بوضوح شديد في قص الشعر من كل الجسم. لأن "كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ" (عب ٤: ١٢)، ذلك السيف الذي يطرح حركات غرائز الجسد من داخلنا، يطرحها عن العقل مثل الأدناس التي تأتي من الشعر والأظافر. هذا الأمر يدعوه الكتاب المقدس ناموس الخطية الذي سكن في أعضائنا الجسدية ويتمرد على ناموس ذهننا (انظر رو ٧: ٢٣). ومثل السيف الذي لا يطرح الشعر تماماً من الجذور، لكن يقطعه مباشرةً حين ينبت مرةً ثانيةً، هكذا كلمة الله داخلنا، لا تقتطع من الجذر حركة الشهوة الغريزية (لأنَّ القداسة التامة

1- إن بولس الرسول يخبرنا أن المعمودية هي التشبه السرائري بموت وقيامة المسيح، لذلك نجد عند يوحنا ذهبي الفم أن "التغطيس والصعود (في المعمودية)هي صورة النزول إلى الجحيم والصعود منه لذلك بولس الرسول يسمي المعمودية قبراً (دُفنا معه في المعمودية)" Ομ. Α'κορ. 40, PG, 61, 348.

تُحفظ للدهر الآتي)، لكن بالحري تميتها بمجرد أنْ تنبت مرةً أخرى وتبدأ ترتفع داخلنا لتوقظ ناموس الجسد الذي يتوحش في أعضائنا.

هكذا يشيرُ نزعُ الشعرِ إلى نظافة الذهن، والذي يتمم هذا في داخلنا كلمة الله الفعالة والحادة. كما أنَّ غسلَ الملابسِ يشير إلى طريقة الحياة الخارجية البهيّة والأصيلة. لأنه وفق المكتوب ''مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ'' (رو ١٢: ١٧). والمسيح نفسه يقول أيضاً: ''فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ'' (مت ٥: ١٦).

إذن، من الحتمي أنْ يحاط الكهنة والقديسون الحقيقيون الأطهار داخلياً وخارجياً بإماتة المسيح، ويتَّحدون معه بالمعمودية المقدسة.

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب.

كيرلس: لقد قال إنَّ الذبيحة التي تُقدَّم لأجلهم يجب أنْ تتكون من ثورين أحدهما ناضجٌ والآخر ابنُ سنةٍ، أي ليِّناً وطرياً وصغيراً. الناضج سيكون ثوراً للمحرقة ويقدَّم مع دقيق ملتوت بزيت، والثاني يقدَّم كذبيحة عن الخطية التي فعلوها، وسوف يُحرق خارج الخيمة، وهكذا تكتمل تقدمة الذبائح عن الخطايا.

وبالاثنين أيضاً يُرمز إلى المسيح كليِّ القداسة بثور المحرقة، لكي يشتَم الله رائحته الذكية لأجلنا مقدِّماً للقديسين النعمة وفرح حياة الرجاء. لأنه مع الثور يُقدَّم دقيقٌ ملتوتٌ بزيت، الأمر الذي سيتَّبعه على أية حال أولئك الذين أحبوا الحياة بحسب المسيح. كذلك قُدِّم المسيحُ كثورٍ يُحرق في النار لأجل خطايانا، إذ مكتوب: ''وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا'' (إش ٥٣: ٥).

ولاحظ إنَّ الثور الناضج يصير ذبيحة محرقة، بينما الثاني ابن سنة يُذبح من أجل الخطايا. هكذا بالاثنين -بطريقة روحية- تضع في عقلك الواحد، من جهة كمال الفضائل وذهنياً الأكثر ذكاءً، ومن جهة ثانية الذي ذُبح ببساطته وطهارته. لأنه يقول: ''وَأَنَا كَخَرُوفٍ دَاجِنٍ يُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ'' (إر ١١: ١٩). أما أنَّ الجنس الكهنوتي فيُقدَّم تكريساً إلى الله لأجل الكل ومن الكل، فهذا ما نراه في وضع الأيدي عند الإسرائيليين. لأنه يقول: ''فَيَضَعُ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى اللاَّوِيِّينَ'' (عد ٨: ١٠).

وهذا الأمر لا يفعلونه بالتأكيد من أجل أنْ يباركوهم، لكن بوضع الأيدي يعلنون أنَّ الله هو الذي يرفع خطايانا[1]، وهو الذي قدَّم نفسه ذبيحةً لأجلنا "إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدّاً لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّراً إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ" (كو ٢: ١٤)، أي كما أنَّ اللاويين يضعون أيديهم فوق رؤوس الذبائح المقدَّمة لأجلهم كرمزٍ للمسيح من خلال الذبائح التي تُذبح لأجل الشعب، هكذا يجب أن تدرك المعنى اللاهوتي لرسامة اللاويين الذين أُختيروا من جميع الشعب. أي أن الشعب كله بمجموعهم، وضعوا اللاويينَ بدلاً من ذواتهم كمختارين لخدمة الله، ووضعوا أيديهم فوقهم. ومن وقتها صار طقس وضع الأيدي موجوداً. أمَّا الآن حينما الأمور سارت إلى الأفضل، فقد مُنح للجمع (أي للشعب) -بطريقةٍ فائقةٍ- فرصةَ ترشيح أولئك الذين يُدعَون من المسيح للخدمة المقدسة قائلين لهم أثناء الإجتماع الكنسي: "إنهم مستحقون". وهذا الأمر (أي الرسامة للخدمة المقدسة) يتم أمام الجمع الكنسي مثلما حدث للأقدمين عندما وُضعت الأيادي على اللاويين بالقرب من الخيمة المقدسة.

ولذلك، يكون من الواضح تماماً إنَّ الرسامة، إنْ لم تتم في الكنيسة وبحضور الشعب تكون مخالفة لإرادة الله وخارج القوانين المقدسة. وبمجرد تتميم الرسامة يبدأ اللاويون إتمام واجبات الخدمة.

١- هنا وضع اليد يعني أن المسيح قدم نفسه ذبيحة لأجلنا ونيابةً عنَّا لأنه باتحاد اللاهوت والناسوت في شخصه صرنا متحدين به، ووضع اليد إشارة إلى تأكيد التقديم وأن هذه الذبيحة خاصة بمن قدَّمها، وهذا يظهر جلياً من وضع يد الإسرائيليين على اللاويين المكرسين لخدمة الله.

المقالة الثانية عشر

عن الكهنوت

العيوب الجسدية التي تمنع الكهنوت

كيرلس: لقد تحدثنا بوضوح عن ملابس الكهنة، وعن الذبائح التي شرَّعها الله، وكيف أوصى بتتميم سيامات الكهنة. لقد وُضعت آلاف الترتيبات عن هذه الأمور، سواء الخاصة بالخدمة الكهنوتية، أو بالتطهيرات، كما كان هناك تشديداً صارماً على أنه يجب أن تسير الحياة طبقاً لما ينص عليه الناموس، وعلى الحرص على بلوغ الكمال الروحي. بيد أنه ينبغي أن أتحدث عن أمرٍ آخر.

بلاديوس: ماذا تريد أن تقول؟

كيرلس: كان سبط لاوي هو المخصّص لله، والجنس المختار من بين كل الأسباط، وقد منحت شريعة موسى هذا السبط رتبة الكهنوت وقلّده الله هذه الكرامة العظيمة. لكن هذا السبط المقدس لم يُترك دون فحص، ولا مُنحت هذه الرتبة هكذا ببساطة لهذا الجمع المقدس لمجرد أنه أتى من سبط لاوي، بل كان هناك أمرٌ بأنه ينبغي أن يُفحص لئلا يكون فيه عيباً جسدياً، الأمر الذي لا يريده الله. إذ لا يُسرَّ الله بأن تتدنس خيمة الشهادة بأن يدخل أحدٌ بأرجُلَ قذرةٍ؛ لأنه مكتوب في سفر اللاويين ما يلي: "وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُلْ لِهَارُون: إِذَا كَانَ رَجُلٌ مِنْ نَسْلِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ فِيهِ عَيْبٌ فَلاَ يَتَقَدَّمْ لِيُقَرِّبَ خُبزَ إِلَهِهِ. لأَنَّ كُلَّ رَجُلٍ فِيهِ عَيْبٌ لاَ يَتَقَدَّمْ. لاَ رَجُلٌ أَعْمَى وَلاَ أَعْرَجُ وَلاَ أَفْطَسُ وَلاَ زَوَائِدِيٌّ. وَلاَ رَجُلٌ فِيهِ كَسْرُ رِجْلٍ أَوْ كَسْرُ يَدٍ. وَلاَ أَحْدَبُ وَلاَ أَكْشَمُ وَلاَ مَنْ فِي عَيْنِهِ بَيَاضٌ وَلاَ أَجْرَبُ وَلاَ أَكْلَفُ وَلاَ مَرْضُوضُ الْخُصَى. كُلُّ رَجُلٍ فِيهِ عَيْبٌ مِنْ نَسْلِ هَارُونَ الْكَاهِنِ لاَ يَتَقَدَّمْ لِيُقَرِّبَ وَقَائِدَ الرَّبِّ. فِيهِ عَيْبٌ لاَ يَتَقَدَّمْ لِيُقَرِّبَ خُبْزَ إِلَهِهِ. خُبْزَ إِلَهِهِ مِنْ قُدْسِ الأَقْدَاسِ وَمِنَ الْقُدْسِ يَأْكُلُ. لَكِنْ إِلَى



الْحِجَابِ لاَ يَأْتِي وَإِلَى الْمَذْبَحِ لاَ يَقْتَرِبُ لأَنَّ فِيهِ عَيْباً لِئَلا يُدَنِّسَ مَقْدِسِي لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُقَدِّسُهُمْ» (لا ٢١: ١٦ - ٢٣).

بلاديوس: أخبرني إذن، هل يعتبر عجز الجسد جريمة ينسبها الخالق للطبيعة البشرية، في حالة ما إذا قدَّم أحدٌ تقدُمةً وكان به عيبٌ جسديٌ لا دخل له فيه؟

كيرلس: يا بلاديوس أنت تفكر بالصواب؛ لأن هناك تحمل للمسئولية، والاتهام يوجَّه لأولئك الذين -بإرادتهم- ينحرفون ذهنياً تجاه الدناءات، وللذين يميلون لكل ما هو محرَّم. لكن بالنسبة للعيوب الجسدية التي تحدث بطريقة طبيعية -وبدون إرادتنا- أعتقد أنه من القسوة بمكان أن يُتَّهم المرءُ بسببها، كما لا ينبغي اعتبار من صار مرضه هذا رمزاً لجانب روحي، إنساناً تَعِسُ الحظِّ.

معنى العيوب الجسدية

إذن علينا أن نسلِّم بأنَّ خالق الكل لا يمكن أن يدين الطبيعة البشرية بسبب عيوب لا دخل لها فيها، ولا أن يرفض الله المرء من الخدمة الليتورجية، ويعتبره دنساً لمجرد أن به عيباً لا دخل له فيه، بل هو يشحذ عقولنا بأمثالٍ ونماذجَ جسديةٍ[1] لكي نفكر ونتأمل ونرى كثرة الشهوات النفسية وتنوُّعها، وهذا ما يجعلنا ندرك أنَّ الله يمقتها. ألم يوصِ الله بولس الرسول بضرورة فحص الذين يختارون للخدمة من جهة أعمالهم الصالحة، ووجوب خضوعهم لهذا الفحص؟ لأنه مكتوب: ''لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّباً لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ'' (٢ تيمو ٣: ١٧). كما قال بكل وضوح إنه يجب على الأسقف أنْ يكون بلا لوم، وطلب من تيموثاؤس التدقيق الشديد من جهة هذه الأمور (انظر ١ تيمو ٣: ٢ - ٨).

بلاديوس: إنني أوافقك تماماً، لكن ما هو سبب هذه الأمراض المستعصية التي أحصيناها منذ قليل؟ إنني أريد أن أعرف السبب.

كيرلس: إذن دعنا نفحص كلَ مرضٍ على حدة، وسوف نطرح كل ما يخطر على بالنا، ويتناسب مع كل نوع من هذه الأمراض: ''إِذَا كَانَ رَجُلٌ مِنْ نَسْلِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ فِيهِ عَيْبٌ فَلاَ يَتَقَدَّمْ لِيُقَرِّبَ خُبْزَ إِلَهِهِ''. إنَّ التشريعَ مؤلمٌ؛ لأن الناموس

١- يؤكد هنا القديس كيرلس على أن العيوب الجسدية هي مجرد نماذج لعيوب النفس الداخلية أو لأمراض روحية ولا يقصد بها تمييز البشر بسبب إعاقة جسدية.



لا يقصد الذين أتوا فقط من نسل هارون، بل يسري أيضاً على كل جنس النسل المقدس، ويمتد ليشمل كل الأزمنة. وهذا ما نعرفه من عبارة ”مِنْ نَسْلِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ“. فالله لا يقبل إطلاقاً الإنسان الملام الذي لا يستطيع أن يكون مقبولاً ولو لفترة وجيزةٍ، بل يكون مداناً لأجل أمراضه الروحية. الله لا يقبل الملام والمريض، إذ أن المقبول لديه هو الإنسان الكامل في الفضيلة والثابت في القداسة، ومَن يمارس حياة الفضيلة بشوق وصبر وبدون كللٍ وبإدراكٍ مستمر. لذلك جَعَلَ هذا التشريع يمتد ليسري على نسل هارون كله مبرهناً على أن الجنس الكهنوتي جنسٌ أصيل ومختار. وكان ذلك ينطبق آنذاك على سبط لاوي، وعلى كل الأجيال الآتية من هارون، بيد أنه الآن يسري على كل الذين تقدَّسوا بواسطة المسيح، رئيس الكهنة الأعظم والحقيقي الذي اتحد بنا روحياً، وصيَّرنا مقبولين وشركاء لطبيعته (٢ بط ١: ٤). كذلك دَعا –بفرحٍ– جميع الذين تبرَّروا بالإيمان، أخوةً قائلاً: ”هأَنَذَا وَالأَوْلاَدُ الَّذِينَ أَعْطَانِيهِمُ الرَّبُّ“ (إش ٨: ١٨). ألم ينسب الرسول بولس –بحق– هذا الحديث إلى شخص المسيح؟ (انظر عب ٢: ١٣).

بلاديوس: عن حقٍ تماماً.

العمى والعَرَج

كيرلس: إنه يمنع مَنْ كان به عيب من العيوب التي ذكرناها مِن أن يصير كاهناً بسبب أنه يعتبره مريضاً روحياً، لأنه يقول: ”لاَ رَجُلٌ أَعْمَى وَلاَ أَعْرَجُ“. بمعنى أنه إذا كان هذا الإنسان لا يرى بعينيه، ولا يستطيع أن يمشي باتزان، فكيف لا يكون من الأفضل له أن يعيش في هدوء بعيداً عن الكهنوت، إذا كان في الوقت ذاته لا يقدر أن يتحكم في خطواته أثناء السير، فيثير سخرية الآخرين مستخدماً أرجلاً وأعيناً غريبةً؟ لا نريد أن نخوض كثيراً في الحديث عن هذه الأمور، لكن لنكمل حديثنا حول ما هو ضروري لمعرفتنا ورؤيتنا الروحية، متخطّين هذا الجانب المادي لذلك التاريخ المقدس.

إنه يمنع الأعمى والغبي غير الفهيم؛ لأن العين بالنسبة للجسد هي مثل العقل للنفس التي تستنير بواسطة النور الإلهي، وتنجذب إلى الجمال الذي

لا يفنى مُحلِّقةٌ –من خلال الفكر– نحو المعرفة الدقيقة والإيمان المستقيم. هذا ما جاء في سفر الأمثال: ''لِتَنْظُرْ عَيْنَاكَ إِلَى قُدَّامِكَ، وَأَجْفَانُكَ إِلَى أَمَامِكَ مُسْتَقِيماً'' (أم ٤: ٢٥). أمَّا للأمة اليهودية التي لم تستقم رؤيتها، فيقول: ''لأَنَّ عَيْنَيْكَ وَقَلْبَكَ لَيْسَتْ إِلَّا عَلَى خَطْفِكَ، وَعَلَى الدَّمِ الزَّكِيِّ لِتَسْفِكَهُ، وَعَلَى الاغْتِصَابِ وَالظُّلْمِ لِتَعْمَلَهُمَا'' (إر ٢٢: ١٧).

إذاً، فمن غير المناسب أن يقوم بالخدمة الليتورجية من هو أعمى روحياً، أي الغبي تماماً، المريض في عقله وتفكيره. كذلك أيضاً الأعرج، أي الإنسان الذي لا يعرف كيف يسلكُ باستقامة في طريقة حياته. فالعمى –كما قلت مسبقاً– يرمز إلى الغباء الشديد، والعَرَجُ أيضاً يرمز إلى الشلل وخمول الحركة. ولهذا ربما يكون جديراً به أن ينادى بشأن هؤلاء المصابين بقوله: ''شَدِّدُوا الأَيَادِيَ الْمُسْتَرْخِيَةَ، وَالرُّكَبَ الْمُرْتَعِشَةَ ثَبِّتُوهَا'' (إش ٣٥: ٣). والمسيح نفسه أدان جمع اليهود الذين لم يتمكنوا من السير في الطريق المستقيم بسبب عرجهم، بل بالحري انحرفوا عن الأفكار المستقيمة، إذ قال لهم: ''بَنُو الْغُرَبَاءِ يَتَذَلَّلُونَ لِي. بَنُو الْغُرَبَاءِ يَبْلَوْنَ وَيَزْحَفُونَ مِنْ حُصُونِهِمْ'' (مز ١٨: ٤٤ – ٤٥). هاتان الشهوتان متساويتان ومتجاورتان الواحدة بجانب الأخرى، أي عَرَجُ العقل والعمى، فكلاهما يجعل الإدراك والثبات في الأعمال الصالحة بلا جدوى.

أفطس الأنف وأقطع الأذنين

كذلك لا ينبغي أن يتقدم للكهنوت الأفطس أو أقطع الأذنين. ويمكن للمرء أن يرى أن ذلك يشير إلى حاسة الشم التي تميّز الروائح الكريهة، وأيضاً الروائح الذكية، تلك الروائح التي تتناسب مع طبيعة الشيء المنبعثة منه (فالرائحة الكريهة تنبعث من الشيء الكريه، والعكس صحيح، فالرائحة الزكية تنبعث من الشيء الزكي). وهذا يشير إلى الإحساس الذي يفرِّق بين الأمر المفرح والأمر السيئ. لأن الذهن البشري –بقوته– يستطيع أن يميز نوعية الأشياء، فهو يفحص –بعمقٍ– كل شيء على حدة –مثل الصراف– محتفظاً بالجيد ورافضاً كل ما هو سيئ كما هو مكتوب (انظر ١ تس ٥: ٢٢). أي أنه يميِّز ويرفض الأعمال الوقحة والدنسة باعتبارها أشياء

غير نافعةٍ، ويقبل بسهولةٍ الأمر النافع والأفضل.

حسناً، وتشير الأنف المبتورة إلى عدم اكتمال الصحة والجمال من الناحية الجسمية؛ لأنه عن طريق الأنف يمكن التمييز بين الأشياء، فيكون اختيارنا حسناً إذا كانت الأشياء حسنة، وسيئاً إذا كانت سيئةً، وبما أننا نعرف أن نميِّز كل الأشياء، فنحن نُدعىَ -بذلك- حكماء وفهماء. إذاً، فعن طريق الشم فقط يمكن للعقل أن يميِّز بين نوعٍ وآخر.

أمّا الأذن المبتورة، فتعني أن المرء يرفض أن يسمع. أنا لا أقول إن مقطوع الأذن يرفض السمع رفضاً باتاً، بل أعني إن استعداده للسمع يكون ضئيلاً. هذا يعني أنه ضعيفٌ تجاه معرفة المقدسات التي بلا لوم، وبالحري الأسفار المقدسة، الأمر الذي يحدث مع البعض عندما يحولون تماماً -بدون تبصُّرٍ- استعداد النفس، فتسمع أشياءً لا تليق. هؤلاء قال عنهم بولس الحكيم إنهم هم الذين يصرفون مسامعهم عن الحق وينحرفون إلى الخرافات (٢ تيمو ٤ : ٥). إذاً، فالأذن المقطوعة تشير إلى انحراف السمع الداخلي والروحي عن عمله المستقيم إلى عمل منحرف وخاطئ.

أقطع اليد أو الرجل

كما يُستبعد أيضاً -من الكهنوت- مَن تكون يده أو رجله مقطوعةً، إذ هو على نفس مستوى الحالات السابقة. ليت المقطوع اليد أو الرجل يقتنع بأنه ليس مريضاً في أي شيء، وأنا أعني مَن لا يستطيع أن يتمم الأعمال بكل قوته، ومَن لا يستطيع أن يسلك في طريق الحياة والتعلم بكل قوته، فأنا أقصد أنه ليس مريضاً تماماً في أي شيء يوافق الناموس، لأن هؤلاء هم الذين يتممون عمل الرب برخاوة (انظر إر ٤٨ : ١٠).

أمّا العَرَجُ أو الشلل النسبي، فإنه يتساوى مع العَرَج الروحي التام ويتطابق معه؛ لأن الضعف التام في فعل الصالحات يتساوى مع كون المرء لا يؤدي عمله بطريقة مستقيمة. من هنا يبدو أن العَرَجَ يشير إلى الضعف التام بحيث يكون من المستحيل على أحدٍ أن يأتي عملاً ما، بينما تشير اليد أو الرجل المقطوعة إلى كون المرء لا يعمل عملاً ما باستقامة.



بلاديوس: يبدو هذا صحيحاً.

الأحدب والأجرب وذو النمش ومقطوع الخصية

كيرلس: أيضاً يُوضع الأحدب، ومَن لديه نمشٌ ضمن المستبعدين. ويمكننا أن نقول إن الأحدب أو المنحني هو المنكفئ على ذاته والمتجه بعقله نحو الأسفل، وهو الذي يميل نحو الشهوات الجسدية مثبّتاً عينيه تجاه الأرضيات، أي عينيه الذهنية، وقد يصل إلى الحد الذي فيه يمقت النظر إلى أعلى، أقصد التأمل في السماويات. ويمكننا أن ندرج أخطاء اليهود تحت هذا الوصف، كما هو مكتوب ''لِتُظْلِمْ عُيُونُهُمْ عَنِ الْبَصَرِ، وَقَلْقِلْ مُتُونَهُمْ دَائِماً'' (مز ٦٩: ٢٤). كذلك يُستبعد الرجل المصاب بالجرب، وهو المرض الذي ينتشر مسبباً بقعاً سوداء فوق الجلد. هذا المرض يظهر فوق الحاجبين ويغطي كل الوجه. هذا إذن هو الجرب جسدياً، أمَّا روحياً، فإن الوجه القذر وغير النقي يكشف عن قذارة الحياة، في حين أنه يتعين على المرء أن يطبق ما يقوله أحد الحكماء: ''على البشر الحكماء أن يغطُّوا عارهم''.

بلاديوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: يا بلاديوس أليس ما ينغِّص علينا من شهوات هو كثيراً جداً؟

بلاديوس: نعم، لكن ماذا تعني بهذا؟

كيرلس: يا عزيزي إنَّ كل واحدٍ يقع في الشهوات. ولكن، وعلى الرغم من أن الشخص يكون مهزوماً من شهواته، إلَّا أنه كثيراً ما يستتر –بسبب الخجل من إخوته– ويعطي انطباعاً للآخرين بأنه معافى، مفضِّلاً أن يظل في شروره سراً.

بلاديوس: بالصواب تكلّمت.

كيرلس: فإنْ وصل شخصٌ إلى مستوى من السفاهة وعدم الخجل، لا يقيم معه حساباً لما يقترفه علناً من سوء، ولا يقيم وزناً للشعور العام، ألا يعتبر هذا الشخص غريباً عن الجنس المقدس؟

بلاديوس: بالطبع، بالتأكيد.

كيرلس: هذا هو حكم الجرب، فبسبب أنه لا يعرف، ولا يريد أن يستر مرضه والشهوة التي تنتابه، فإننا نسمي ذاك الذي لا يمكنه أن يرى بطريقة مستقيمة، ومن لا قوةَ له على الرؤية باستقامةٍ، بصاحب العينين المنزوعة الشعر. أمثال هؤلاء هم بعض الذين يعقلون، لكنهم لا يختارون الطريقة المستقيمة لتدبير أمورهم. بمعنى أن البعض، بالرغم من أنهم يعرفون الصلاح، إلَّا أنهم ينحرفون بإراداتهم تجاه الأمور التي لا تليق. آخرون أيضاً، بينما هم لم يُحرموا من الإيمان المستقيم، إلَّا أنهم يدمِّرون عقولهم بأنفسهم بوقوعهم في مصيدة المعاني والمفاهيم السيئة، إذ يرفضوا قبول أي تعليم مستقيم عن الله. هؤلاء هم الذين يتبعون الهراطقة، أو يتبعون أولئك اليهود الذين إذ يؤمنون بالتأكيد بأن الآب هو الله، يرفضون –بطريقةٍ غبيةٍ– أن يكون الابنُ قد أتى منه بحسب الطبيعة. لذلك تصدِقُ عليهم كلمة النبي إذ قال: "لَهُمْ أَعْيُنٌ وَلاَ يُبْصِرُونَ" (إر ٥: ٢١). وبالرغم من أنهم يبصرون جسدياً، إلَّا أن ذلك لا يفيدهم إطلاقاً، إنْ لم يروا باستقامةٍ، مثلما نقول –عن حق– إنهم ابتُلُوا بالعَرَجِ وكسر الرِّجلِ. لا يوجد اختلافٌ بين ما إذا كان أحدٌ لا يستطيع السير على الإطلاق، أو كان سيره بغير استقامة في طريق الأعمال.

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب.

كيرلس: كذلك، لا يأتي إلى الكهنوت إنسانٌ يعاني من جَرَبٍ أو قوباء، أو مَنْ كانت لديه خصية واحدة فقط، أو مَنْ كان لديه أيُّ عيبٍ. فنحن نعتبر الجرب من أسوأ الشهوات المتوحشة، التي تنقضُ مندفعةً لتهاجم العقلَ متخطيةً كل الحدود، وبينما تكون بدايتها لذيذةً، فإنها تنتهي نهايةٌ مُرَّةٌ. ألا تتفق معي في أنَّ لكل قضيةٍ قياسٌ منظورٌ ومعتدلٌ؟ وأن هناك أيضاً مقياسٌ للشر الزائد عن الحد؟

بلاديوس: ماذا تعني؟

كيرلس: لا يعاني كل مَنْ يُهزم من لذةٍ جسديةٍ ما، بنفس الدرجة التي يعاني منها غيره، بل هناك درجات متعددة، فقد ينهزم البعض دون أن يتجاوز مرضهم حداً معيناً، بينما يصل آخرون إلى قمة الشر، حيث تتوحش لديهم اللذة



توحشاً شديداً للدرجة التي يتجاوزون معها الشهوات الطبيعية، فيرتكبون الفحشاء.

بلاديوس: إنني أُدرك ما تقوله.

كيرلس: يشير الجَرَبُ المتوحشُ إلى ارتكاب الخطأ الذي يفوق القياس المعتاد، فالجرب يشير إلى الشهوة التي تتوغل دائماً بدون توقفٍ تجاه فعل الشر. ولكن الناموس الإلهي يريد أن يحاصر تلك الشهوات التي تسقط علينا باندفاع ويقللها، وهو ما ينبغي عليك أن تدركه عندما تسمع هذه الكلمات: ''إِنْ صَعِدَتْ عَلَيْكَ رُوحُ الْمُتَسَلِّطِ، فَلاَ تَتْرُكْ مَكَانَكَ، لأَنَّ الْهُدُوءَ يُسَكِّنُ خَطَايَا عَظِيمَةً'' (جا ١٠: ٤). لأن الشهوات التي لا تُوقَف، تسير في طريقها دائماً إلى الأسوأ، وتستولي على القلب والعقل، وتقود إلى الدمار الكامل. إذن ينبغي علينا أن نتصدى بعنِف ضد الدناءة وأن نوقفها، حتى يمكن، بما لنا من يقظة روحية، أن نحصرها تدريجياً ونمحوها.

وتشير الخصية الواحدة إلى الرجل الذي حُرِم من الرجولة الكاملة؛ لأنه يقول: ''لاَ زُنَاةٌ وَلاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلاَ فَاسِقُونَ وَلاَ مَأْبُونُونَ وَلاَ مُضَاجِعُو ذُكُورٍ وَلاَ سَارِقُونَ وَلاَ طَمَّاعُونَ وَلاَ سِكِّيرُونَ وَلاَ شَتَّامُونَ وَلاَ خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ'' (١ كو ٦: ٩ - ١٠). يدعوهم مأبونون أي مخنَّثون، فبالرغم من أنهم رجالٌ إلَّا أنهم يزيِّفون رجولتهم ويخنِّثون عقولهم وأجسادهم، وبإراداتهم ينزلقون تجاه الضعف والتخنث. إضافةً إلى ذلك، يكون الرجل قوياً وقادراً عندما يستطيع أن يحقق كل ما يريد، لذا، فإنَّ ''نصف الرَّجُل'' يشير إلى الإنسان المتردد الذي لا يُسرع في سبيل تتميم الأمور التي تناسبه. لأنه لا ينبغي على من يقف أمام الله أنْ يقدم له رجولةً ناقصةً، وتردداً وعدمَ ثباتٍ، ولا ينبغي عليه أن يُظهِر ضعفاً في جانب ما، بل على النقيض، ينبغي أن يكون شجاعاً وقوياً، وفقاً لقول الكتاب (مز ٢٧: ١٤)، وأن يكون مستعداً ومتأهِّباً وكاملاً، ليس واقعاً تحت سلطة الشيطان.

إذن، فمَنْ كان مُداناً بالنقص والضعف، كان غير مناسب للعمل الكهنوتي. على أنه، وإن كان يُمنع بالتأكيد من أداء هذا العمل الكهنوتي، إلَّا أنه لا يُمنع من الاشتراك في الخبز المقدس؛ لأنه يقول: ''خُبْزَ إِلهِهِ مِنْ قُدْسِ الأَقْدَاسِ



وَمِنَ الْقُدْسِ يَأْكُلُ" (لا ٢١: ٢٢). لأن كل المذنبين بسبب الأفكار الخاطئة التي تعتمل داخلهم، يمكنهم أن ينالوا بركة المسيح، ولكن ليس باعتبارهم محسوبين في عداد القديسين، يملكون ذهناً ثابتاً وحياةً دائمةً في الفضائل، بل ينالوا تلك الكرامة بطريقة تناسب الضعفاء حتى يتمكنوا من أن يبتعدوا عن الشر، وأن يتوقفوا عن فعل الخطية بالإماتة عن اللذات واكتساب القوة الروحية. ولأن المسيحَ هو رأس الخليقة الجديدة –بحسب الكتاب (٢كو ٥: ١٧)– فنحن نقبله داخلنا بالجسد المقدس والدم المقدس؛ حتى يتسنى لنا أن نتشكَّل بواسطته وفيه للحياة الجديدة، إذ نخلع الإنسان العتيق الفاسد بسبب الشهوات المضلة، كما هو مكتوب (رو ٦: ٤. أف ٤: ٢٢).

بلاديوس: إن ما تقوله هو عين الصواب.

المصابون بالأمراض العقلية، والبرص، والسيلان

كيرلس: كذلك حَرَمَ المصابين بأمراضٍ عقليةٍ من ممارسة الأعمال المقدسة؛ لأن مَن تلوثُه شهواته الكامنة في أعماقه دائماً، لا يعتبر قديساً. وهكذا، فإذا مَرِضَ أحد الذين هم بلا لوم ولا عيب من جهة ممارسة الأعمال الكهنوتية المقدسة، بسبب الشهوات المشتعلة داخله، فلا يجب أن يُترك دون عقاب، طبقاً لما أمر به الله قائلاً: "قُلْ لِهَارُونَ وَبَنِيهِ أَنْ يَتَوَقَّوا أَقْدَاسَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي يُقَدِّسُونَهَا لِي وَلاَ يُدَنِّسُوا اسْمِي الْقُدُّوسَ. أَنَا الرَّبُّ. قُلْ لَهُمْ: فِي أَجْيَالِكُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ جَمِيعِ نَسْلِكُمُ اقْتَرَبَ إِلَى الأَقْدَاسِ الَّتِي يُقَدِّسُهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لِلرَّبِّ وَنَجَاسَتُهُ عَلَيْهِ تُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ أَمَامِي. أَنَا الرَّبُّ. كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ نَسْلِ هَارُونَ وَهُوَ أَبْرَصُ أَوْ ذُو سَيْلٍ لاَ يَأْكُلْ مِنَ الأَقْدَاسِ حَتَّى يَطْهُرَ. وَمَنْ مَسَّ شَيْئاً نَجِساً لِمَيِّتٍ أَوْ إِنْسَانٌ حَدَثَ مِنْهُ اضْطِجَاعُ زَرْعٍ. أَوْ إِنْسَانٌ مَسَّ دَبِيباً يَتَنَجَّسُ بِهِ أَوْ إِنْسَاناً يَتَنَجَّسُ بِهِ لِنَجَاسَةٍ فِيهِ. فَالَّذِي يَمَسُّ ذَلِكَ يَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ وَلاَ يَأْكُلْ مِنَ الأَقْدَاسِ بَلْ يَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ. فَمَتَى غَرَبَتِ الشَّمْسُ يَكُونُ طَاهِراً ثُمَّ يَأْكُلُ مِنَ الأَقْدَاسِ لأَنَّهَا طَعَامُهُ. مَيِّتَةً أَوْ فَرِيسَةً لاَ يَأْكُلْ فَيَتَنَجَّسَ بِهَا. أَنَا الرَّبُّ. فَيَحْفَظُونَ شَعَائِرِي لِكَيْ لاَ يَحْمِلُوا لأَجْلِهَا خَطِيَّةً يَمُوتُونَ بِهَا لأَنَّهُمْ يُدَنِّسُونَهَا. أَنَا الرَّبُّ مُقَدِّسُهُمْ" (لا ٢٢: ١ – ٩).

فلا ينبغي على الذين يقدمون التقدمات المقدسة من بني إسرائيل أن

يدنسوا اسم الله بتقديم هذه التقدمات قبل أن يتطهروا هم أنفسهم أولاً ويغتسلوا من الدنس العالق بهم، وليعرفوا أنهم سوف ينالون عقاباً شديداً، لأنه يقول: ''أنا هو الرب''، أي لست إلهاً ذو اسمٍ مزيفٍ، فيخطئ أحدٌ أمامي. ''أنا الرب'' لا أطيق أي خطأ أمامي.

ولكنه أراد أن يقوِّمَنَا ويحصِّنَنا ضد الدنس، فعدَّد لنا الطرق التي بها يمكن للقائمين على الأقداس أن يتعلموا طريق الصلاح الذي يتناسب معهم دائماً. وبواسطة هذه الطرق يكونون مقبولين وطاهرين تابعين الحياة التي يُسرُّ بها المشرِّعُ جداً.

بلاديوس: أنت تتحدث باستقامة.

كيرلس: إذن فمَن هو مصابٌ بالبرص أو السيلان، فإنه يُمنع من الخدمة المقدسة ويُؤمر بأن يظل غير مشارك في الأقداس حتى يتخلص من خطاياه ويُبعِد مرضه بعيداً جداً. ومن بين هؤلاء أيضاً مَنْ يمسُّ إنساناً نجساً، أو مَنْ حدث منه سيلان أثناء نومه، أو كل مَنْ مسَّ حيواناً نجساً أو من تدنس بأية وسيلةٍ دنسة.

وبالإشارة إلى الهدف الحقيقي والأصيل من الناموس، فإنه –فيما أعتقد– لا يضع جزاءات للمصابين بأمراض جسدية، بل يستعرض كل ما يصيب النفس، وذلك عن طريق النماذج الجسدية المحسوسة. هكذا يرمز البرص للفساد؛ لأن هذا المرض يستنزفُ الجسد ويأكله ويفضي به إلى حالة غير طبيعية مغايرة لشكل الجسد. كذلك مرض السيلان، فهو يعبِّر عن رفض الإخصاب؛ لأن سيلان الطبيعة يؤدي إلى العدم. وهكذا يمكننا أن نرى كيف يصبح عقل الإنسان الذي استُنزِف بانفتاحه على الفساد، عقيماً جراء عدم استطاعته أن يُدرك أياً من أمور الخلاص الهامة. مثل هؤلاء كان كل مِن هيميناس وفيلتيس اللذَين آمنا وكرزا بأن القيامة قد صارت فعلاً (انظر ٢ تيمو ٢: ١٧ – ١٨). وسوف ينضم إلى هؤلاء، كل الذين يُسرعون بدون لجام عبثاً، ويرفضون –بدون تبصُّرٍ– التعقل منغمسين في اللذات الغبية والمنحلّة.

إذن، فمَن يعاني من البرص أو السيلان، أي مَن التصق بأعمال الموت

(والأعمال التي تميت هي الشهوات الجسدية) ولم يحفظ خصبه الداخلي بعيداً عن الفساد، الفساد المختفي في داخل عقله، فإنه يظَّل بعيداً عن الأقداس إلى أن يتطهَّر. أي كما قال بولس العظيم: "مَنْ أَكَلَ هذَا الْخُبْزَ، أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ، بِدُونِ اسْتِحْقَاق، يَكُونُ مُجْرِماً فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ. وَلكِنْ لِيَمْتَحِنِ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ، وَهكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَأْسِ" (١ كو ١١: ٢٧ – ٢٨).

بلاديوس: وأي ضررٍ يمكن أن يعاني منه مَن كان على اتصالٍ بهؤلاء.

كيرلس: الاتصال الجسدي -بداهةً- لا يلوث نفس الإنسان. الناموسُ روحيٌّ، ويعلمنا أيضاً -بطريقةٍ رمزيةٍ- أن النفوس المذنبة الشهوانية تكون نفوساً دنسةً ومسئولةً عن جُرم الأفعال الدنسة. ومعهم أيضاً يتدنس الذين يمسّونهم، أي هؤلاء الذين يلتصقون بهم، إذ تكون لهم نفس إرادتهم، ويعملون نفس أعمالهم. لأنه يقول: "الْمُعَاشَرَاتِ الرَّدِيَّةَ تُفْسِدُ الأَخْلاَقَ الْجَيِّدَةَ" (١ كو ١٥: ٣٣)، "أَيُّ نَصِيبٍ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ؟" (٢ كو ٦: ١٥)، وأي اتفاق للنور مع الظلمة. وإنه حقاً "مَعَ الرَّحِيمِ تَكُونُ رَحِيماً. مَعَ الرَّجُلِ الْكَامِلِ تَكُونُ كَامِلاً. مَعَ الطَّاهِرِ تَكُونُ طَاهِراً، وَمَعَ الأَعْوَجِ تَكُونُ مُلْتَوِياً" (مز ١٨: ٢٥ – ٢٦).

مَن مسَّ شيئا نجساً أو ميِّتاً

إنهم يمرضون من جراء الشهوات، ونتائج هذه الأمراض تقع فقط على المرضى، أما الذين يسلكون بنفس الأسلوب وبنفس الرأي الذي ينتهجه هؤلاء المرضى، فسوف يتدنسون أيضاً "كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ نَسْلِ هَارُونَ وَهُوَ أَبْرَصُ أَوْ ذُو سَيْلٍ لاَ يَأْكُلْ مِنَ الأَقْدَاسِ حَتَّى يَطْهُرَ. وَمَنْ مَسَّ شَيْئاً نَجِساً لِمَيِّتٍ أَوْ إِنْسَانٌ حَدَثَ مِنْهُ اضْطِجَاعُ زَرْعٍ. أَوْ إِنْسَانٌ مَسَّ دَبِيباً يَتَنَجَّسُ بِهِ أَوْ إِنْسَاناً يَتَنَجَّسُ بِهِ لِنَجَاسَةٍ فِيهِ. فَالَّذِي يَمَسُّ ذلِكَ يَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ وَلاَ يَأْكُلْ مِنَ الأَقْدَاسِ بَلْ يَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ" (لا ٢٢: ٤ – ٦).

إن ما يُقال عن الحيوانات والزواحف المتوحشة والسامة يتفق مع ما هو مكتوب عن هؤلاء الذين "حُمَةُ الأُفْعُوَانِ تَحْتَ شِفَاهِهِمْ" (مز ١٤٠: ٣)، وعن

هؤلاء الذين "فَمُهُمْ مَمْلُوءٌ لَعْنَةً وَمَرَارَةً" (رو ٣: ١٤). فهم الذين قبل الآخرين يُحرِّفون الأمور المستقيمة، ويحدِّثون البسطاء بكلام يؤدي إلى الهلاك، إذ أنهم لا يكلمونهم بمفاهيم مستقيمة، بل بأفكار منحرفة عن الله. إنهم أولئك الذين يقولون: "لِنَأْكُلْ وَنَشْرَبْ، لأَنَّنَا غَداً نَمُوتُ" (إش ٢٢: ١٣، ١ كو ١٥: ٣٢)، لأنهم يريدون أن يجذبوا فكر الجُهَّال إلى محبة اللذة العالمية. وطبقاً لناموس التصرف والسلوك، يكون غير الدنسين معرَّضين؛ للدنس إذا كانت لهم شركة مع الدنسين، هؤلاء قال عنهم بولس الحكيم: "وَأَمَّا الآنَ فَكَتَبْتُ إِلَيْكُمْ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ مَدْعُوٌّ أَخاً زَانِياً أَوْ طَمَّاعاً أَوْ عَابِدَ وَثَنٍ أَوْ شَتَّاماً أَوْ سِكِّيراً أَوْ خَاطِفاً، أَنْ لاَ تُخَالِطُوا وَلاَ تُؤَاكِلُوا مِثْلَ هذَا" (١ كو ٥: ١١). إذن، ألا يكون من الأنسب للجنس المقدس والمختار أن يتجنب معاناة هذه الشرور، وأن لا يختلط بهؤلاء المصابين بهذه الشرور؟

بلاديوس: حسناً. مناسبٌ جداً.

كيرلس: إذن "يَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ" مَنْ يلمسهم، ولا يأكل من الذبيحة إن لم يغسل جسده بالماء. "فَمَتَى غَرَبَتِ الشَّمْسُ يَكُونُ طَاهِراً، ثُمَّ يَأْكُلُ مِنَ الأَقْدَاسِ لأَنَّهَا طَعَامُهُ" (لا ٢٢: ٧). أيضاً يُحرِّم الأكلَ من الميتة أو الفريسة؛ لأنَّ منهما ينتج الدنس. إذن لاحظ يا بلاديوس أن نزع أي دنس، والتخلُّص من الذنوب والآثام لن يتم فينا إلَّا فقط بواسطة المسيح وفي وقت مجيئه إلينا.

بلاديوس: كيف تشرح هذا؟

كيرلس: أمَّا كون أن كل شيء كان دنساً ومملوءاً من الأدناس، وكون أن كل الذين عاشوا قبل مجيء وحيد الجنس لم يكونوا مشاركين للحياة، فقد أظهره لنا قائلاً: "يَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ، وَلاَ يَأْكُلُ مِنَ الأَقْدَاسِ" (لا ٢٢: ٦). ألم يأتِ عمانوئيل في الأيام الأخيرة؟ هذا هو معنى المساء.

بلاديوس: حديثُك واضحٌ.

كيرلس: لقد نلنا الحياة، وها نحن نأكل من الخبز الحقيقي والسماوي، أي المسيح الذي أتى في نهاية الزمان، مثل الشمس حين تشرق، فإنها تغرب في المساء.

بلاديوس: بالتأكيد.

كيرلس: إذاً، هكذا قبل المساء، يكون دنساً كل مَنْ تدنس ولم يشترك في الطعام

المقدس والحي منتظراً وقت التطهير. أمَا وقد اغتسل بماءٍ وأشرقت الشمس، عندئذٍ يكون طاهراً ويأخذ خبزه، الخبز النازل من السماء، بمعنى أن بركة المسيح تكون قد وُزعت لهؤلاء الذين تقدَّسوا بالماء، أي بالمعمودية المقدسة. والمسيح هو -بالتأكيد- الخبز الحي، وهو نفسه أيضاً ذاك الذي نزل من السماء وأعطى الحياةَ للعالم.

أمَّا أن يعني غروب الشمس، وقت مجيء مخلصنا، فهذا ما سوف تعرفه بوضوح مما قاله الله لموسى عن خروف الفصح: ''كَلِّمَا كُلَّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ قَائِلَيْنِ: فِي الْعَاشِرِ مِنْ هذَا الشَّهْرِ يَأْخُذُونَ لَهُمْ كُلُّ وَاحِدٍ شَاةً بِحَسَبِ بُيُوتِ الآبَاءِ، شَاةً لِلْبَيْتِ. وَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ صَغِيراً عَنْ أَنْ يَكُونَ كُفْواً لِشَاةٍ، يَأْخُذُ هُوَ وَجَارُهُ الْقَرِيبُ مِنْ بَيْتِهِ بِحَسَبِ عَدَدِ النُّفُوسِ. كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أُكْلِهِ تَحْسِبُونَ لِلشَّاةِ. تَكُونُ لَكُمْ شَاةً صَحِيحَةً ذَكَراً ابْنَ سَنَةٍ، تَأْخُذُونَهُ مِنَ الْخِرْفَانِ أَوْ مِنَ الْمَوَاعِزِ. وَيَكُونُ عِنْدَكُمْ تَحْتَ الْحِفْظِ إِلَى الْيَوْمِ الرَّابعَ عَشَرَ مِنْ هذَا الشَّهْرِ. ثُمَّ يَذْبَحُهُ كُلُّ جُمْهُورِ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ فِي الْعَشِيَّةِ'' (خر ١٢:٣ - ٦). فاليوم العاشر هو إشارة لليوم الذي فيه ظهر لنا عمانوئيل، ونحو المساء، أي في نهاية الزمان.

وإذا كان الميِّت والفريسة يُسببان الدنس الذهني الذي ليس هو أقل من البرص لكل مَن يتلامس معهما؛ لأن ''الميتة'' تعني الموت التام وخمود حرارة الجسم، بينما ''الفريسة'' تشير بوضوح إلى مَن يقع في قبضة الشيطان؛ لذا، فإن عمل الخلاص يكون في الابتعاد عمن تكون تصرفاته ميتة وقد تجمَّد من جهة الأعمال، وكذلك الابتعاد عن الذين يُطعمون الشيطان من نفوسهم (لأنه يأكل النفوس التي يختارها)، وبالتالي كيف لا يكون واضحاً لأصحاب التصرفات العاقلة والسليمة أنه يجب عليهم أن يحرصوا على الابتعاد بقدر استطاعتهم عن ذاك الذي اعتاد أن يعيش في دنسه؟

بلاديوس: بالضبط كما تقول.

الممنوعون من الطعام المقدس

كيرلس: حسناً. لقد تطرقنا إلى مزيدٍ من التفصيلات، ولكن ما نلفت النظر إليه هو أن الناموس عندما قرر أن الذين يشاركون في الأقداس وفي الأطعمة

المقدسة هم الذين تطهروا وليس الدنسين، كان يهدف إلى أن يبرز بطريقة جيدة ومباشرة تميُّز الجنس المقدس، ويحدد مَن هم المستحقين للبركة والذين يمكنهم أن يصلوا إليها. فمَنْ هم الذين يجب أن يُمنعوا عن الطعام المقدس؟ يوضح هذا الأمر قائلاً: "وَكُلُّ أَجْنَبِيٍّ لاَ يَأْكُلُ قُدْساً. نَزِيلُ كَاهِنٍ وَأَجِيرُهُ لاَ يَأْكُلُونَ قُدْساً. لكِنْ إِذَا اشْتَرَى كَاهِنٌ أَحَداً شِرَاءَ فِضَّةٍ، فَهُوَ يَأْكُلُ مِنْهُ، وَالْمَوْلُودُ فِي بَيْتِهِ. هُمَا يَأْكُلاَنِ مِنْ طَعَامِهِ" (لا ٢٢: ١٠ – ١١).

إذن، فهو يمنع الآتي من جنس آخر وأمة أخرى، أي هذا الذي لا يؤمن، ولا يعرف الإله الحقيقي؛ لأنه يكون ما زال دنساً ونجساً، أي هؤلاء الذين ليس لديهم الإمكانية ليرتبطوا بألفة روحية وذهنية مع المسيح، الكاهن الأعظم والحقيقي[1]. كيف يمكن لهؤلاء أن يصيروا مشاركين لغذائه؟ فنحن لن نعطي القدسات للكلاب (انظر مت ٧: ٦)، ولن يلقِ أحدٌ الجواهر الروحية أمام الخنازير طبقاً لكلام المخلص نفسه.

إذن، فالمنحدِرُ من جنسٍ آخر لن يشارك. كما ينطبق هذا أيضاً بالتأكيد على الغريب والعامل والأجير. فهؤلاء -بحسب رأيي- هم الذين يحيون ويتصرفون بحسب العالم ويتخذون الأرض موطناً لهم، ويتدبرون فقط في أعمال الجسد. وببساطة هم غرباء عن محبة المسيح. فمن جهة الكلام تجدهم متمرسين، أمَّا عن التقوى الحقيقية، فهم مبتعدون عنها تماماً فيما يخص الأعمال والسلوك.

ويأخذ نفس حكم الأجير أيضاً جميع الذين لا يختارون إيمانهم عن تقديرٍ للحق، بل على سبيل الأجرة. فهم يتظاهرون أنهم مسيحيون وممتازون، ويبرهنون على ذلك عندما يعتنون ببعض الأشخاص، ويكونون قادرين على تقديم الفائدة لهم جاعلين التقوى -بتملُّقٍ- وسيلةً للمكسب والاستزادة مستخدمين المظهر الأخلاقي قناعاً لهم.

١- تتحدث الرسالة إلى العبرانيين بتأكيد ووضوح عن عمل المسيح ككاهن عظيم فى الأقداس السماوية وشفيع دائم عنا أمام الآب. فتقول: "وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة فى السموات خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذى نصبه الرب لا إنسان" (عب ٢،٨:١). وأيضاً: "وأما هذا (يسوع) فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول. فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام جميع الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حي فى كل حين ليشفع فيهم" (عب ٢٥،٧:٢٤). وأيضاً: "لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا" (عب ٩:٢٤).

بحسب الناموس، ينضم النزلاء والأُجراء إلى الغرباء الآتين من جنس آخر، وبذلك يبتعدون عن القديسين، لأن الذين يرتكبون جرائم متشابهة يخضعون -عن حقٍ- لنفس العقاب. كما سمح الناموس للساكنين الاشتراك في الذبائح؛ لأنه يقول سيأكل كل من وُلِدَ في بيت الكاهن وكل مَنْ كان عبداً واشتراه الكاهن ويُدعى ملكه ومُشترى بأموال، كذلك الساكن في بيته من جنسه الذي هو أصيل في الإيمان. وروحياً، فهو قد اشتُرِيَ بثمنٍ وفقاً لبولس الطوباوي: "اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ" (غلا ٣: ١٣).

بلاديوس: هذا حق.

كيرلس: أيضاً يعطي أمراً آخراً: فإذا تزوجت بنتُ كاهنٍ شخصاً من جنس آخر، فإنها لا تأكل من باكورات التقدمات المقدسة. يتضح لنا إذاً أنه يُقدِّر مَنْ هو من أهل البيت سامحاً له أن يشترك في القدسات لأنه أصيل وليس من الغرباء، شريطة أن ينفصل عمَن يعاشرونه من أولئك الذين ليسوا من أهل البيت في الإيمان وفي التصرف، هذا الأمر يظل واضحاً لكل الذين يريدون فحص الإيمان الذي قدَّمته الكتب المقدسة بالتفصيل. وكما اعتُبِرَ -طبقاً لما قرأنا سابقاً- الأبرص دنساً، وكذلك مَنْ كان مُصاباً بالجرب، والذين يلمسونهم يصيرون مشاركين للدنس والنجاسة، كذلك فهو هنا يذكر إبنة الكاهن، فهي حتى وإن كانت لها قرابة بالقديسين، إلَّا أنها لا تستفِد شيئاً على الإطلاق؛ إذا كانت مرتبطة بآخر من جنس غريب، ليس من أهل البيت، ولا هو إسرائيلي الأصل.

نكتفي هنا بحديثنا عن الجانب التاريخي، وعلينا أن ننظر إلى الناموس في جانبه الروحي.

تشير إبنة الكاهن إلى أن الإنسان الذي وُلِد ثانيةً بالماء والروح بقوة المسيح يكون مدعواً لينال القداسة. ولكنه لا يشترك في التقدمات إذا اقترب من إنسان غريب، أي إذا اتحد بأشخاص ليسوا بالحقيقة قديسين وليس لهم شركة روحية مع الله. لأن الجسدانيين يتصادقون بطريقة جسدية، أمَّا الروحيون، فبطريقة روحية.

بلاديوس: ومَنْ هم الذين سوف نوجه لهم هذا الاتهام؟

كيرلس: هم أولئك الذين تحذِّر منهم كلمة الحكمة الفاضلة بقولها: "يَا ابْنِي، إِنْ تَمَلَّقَكَ الْخُطَاةُ فَلاَ تَرْضَ. إِنْ قَالُوا: هَلُمَّ مَعَنَا لِنَكْمُنْ لِلدَّمِ. لِنَخْتَفِ لِلْبَرِيءِ بَاطِلاً" (أم ١: ١٠ – ١١). وسوف نضيف عليهم أولئك الذين ابتعدوا بحماقة عن الإيمان المستقيم، وأسرعوا وراء الجسد، الذين لم يقبلوا كلمات الروح القدس، بل أصغوا لأرواح الضلال، الذين وضعوا بنفاقٍ أقوالاً مختلفةً كاذبةً موسومةً ضمائرهم (١ تيمو ٤: ١ – ٢). هؤلاء رفضوا السُكنى مع المسيح واتحدوا مع أناسٍ من جنسٍ آخر، وقبلوا البذور الشيطانية، وأثمروا في ضلالهم أعمال الضلال والهلاك.

حسناً. ويجب أيضاً أن يُعزل مَنْ قُبِض عليه في أفعال دنسة حتى لو كانت نفسه مقدسةً وبارةً؛ لأن مَنْ لم يكن نجساً، يكون –بلا مبالغة– نجساً إذا اقترب من أُناسٍ منحلين ووقحين. ونلفت النظر إلى أن ناموساً آخر قريباً من هذا، قد شُرِّع هو الآتي: "وَأَمَّا ابْنَةُ كَاهِنٍ قَدْ صَارَتْ أَرْمَلَةً أَوْ مُطَلَّقَةً، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا نَسْلٌ، وَرَجَعَتْ إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا كَمَا فِي صِبَاهَا، فَتَأْكُلُ مِنْ طَعَامِ أَبِيهَا. لكِنَّ كُلَّ أَجْنَبِيٍّ لاَ يَأْكُلُ مِنْهُ" (لا ٢٢: ١٣).

مِن كل ما عرفناه تعلَّمنا أنه كان يوجد أبٌ واحدٌ لمجمع اليهود هو موسى العظيم. ولأن موسى كان خادماً للأقداس لأنه كان من جنس وسبط لاوي، إذاً فقد كان المجمع مثل إبنة الكاهن. لكن ابنته تزوجت برجلٍ من جنسٍ آخر معتبرةً ما حدده الله قليل الأهمية، ولم تحسب حساب تعاليم السماء، مهتمةً فقط بتعاليم ووصايا الناس، ولذلك أنتجت ثماراً وفقاً لِما قرره لها الآخرون. لذلك أدانها الله قائلاً بفم أرميا: "اِرْفَعِي عَيْنَيْكِ إِلَى الْهِضَابِ وَانْظُرِي، أَيْنَ لَمْ تُضَاجَعِي؟ فِي الطُّرُقَاتِ جَلَسْتِ لَهُمْ كَأَعْرَابِيٍّ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَنَجَّسْتِ الأَرْضَ بِزِنَاكِ وَبِشَرِّكِ" (إر ٣: ٢). هذه هي جرائم مجمع الشعب اليهودي القديمة. لكن هذه الجرائم القديمة تُماثل الجديدة التي حدثت مع المسيح نفسه. لقد أصغى المجمع (إبنة الكاهن) للكتبة والفريسيين، دون أن يقبل –بتاتاً– العريس السمائي من الله الآب، وبالتالي ارتبط برجلٍ من جنسٍ آخر، وهكذا ظلَّ غير مشارك للمقدسات؛ لأنه لم يأكل من خبز السماء، أي المسيح[1].

١- "إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ أَي الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ بَلْ مِنَ اللهِ" (يو ١: ١١ - ١٣).



كيف رُحِمَ إسرائيل؟

أرأيت توصيف الجرائم، وكذلك العقوبات التي وُضعت مباشرةً من المسيح على هؤلاء الذين ارتكبوا هذا العصيان؟ انتبه الآن، بأية طريقة رُحموا وأتوا ثانيةً إلى الحالة الأولى. مكتوب ''وَأَمَّا ابْنَةُ كَاهِنٍ قَدْ صَارَتْ أَرْمَلَةً أَوْ مُطَلَّقَةً، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا نَسْلٌ، وَرَجَعَتْ إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا كَمَا فِي صِبَاهَا، فَتَأْكُلُ مِنْ طَعَامِ أَبِيهَا. لكِنَّ كُلَّ أَجْنَبِيٍّ لاَ يَأْكُلُ مِنْهُ'' (لا ٢٢: ١٣). الأرملة، والمطرودة بسبب فجورها تجاه المسيح، تشير إلى مجمع الشعب اليهودي، إذ ظلَّ في خطاياه، وبدون أن تكتسب أياً من الخيرات الروحية، وقد ظلَّت سنين عديدة على هذه الحالة. لكنها سترجع إلى بيتها الأبوي. لأنها سوف تُدعى هي أيضاً إلى الإيمان بالله، وستعترف معنا بالآب خالق الكل، وسوف تنال بركة المسيح.
هذا السر يوضحه حديث النبي الذي قال: ''لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَيَقْعُدُونَ أَيَّاماً كَثِيرَةً بِلاَ مَلِكٍ، وَبِلاَ رَئِيسٍ، وَبِلاَ ذَبِيحَةٍ، وَبِلاَ تِمْثَال، وَبِلاَ أَفُودٍ وَتَرَافِيمَ. بَعْدَ ذلِكَ يَعُودُ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَيَطْلُبُونَ الرَّبَّ إِلهَهُمْ وَدَاوُدَ مَلِكَهُمْ، وَيَفْزَعُونَ إِلَى الرَّبِّ وَإِلَى جُودِهِ فِي آخِرِ الأَيَّامِ'' (هو ٣: ٤ – ٥).

بلاديوس: حديثك حقٌّ.

كيرلس: إذن، فكل الذين تتوقف طهارتهم عليهم هم أنفسهم، يُسمح لهم أن يأكلوا ويتناولوا من التقدمات المقدسة، أي القدسات؛ لأنهم بالرغم مما لهم من علاقة مع آخرين غرباء، إلَّا أنهم يتقدمون دون أن يكونوا نجسين أو غير أصحاء؛ لأنه مكتوب: ''وَمَعَ الأَعْوَجِ تَكُونُ مُلْتَوِياً'' (مز ١٨: ٢٧).
ولكن إذا أباح الكهنة الحقيقيون المقدسات للاستخدام العام، ولم يميِّزوا بينها وبين الأشياء الأخرى، فإنهم لن يظلوا بلا عقاب. وهذا واضح حين قال مباشرةً: ''وَإِذَا أَكَلَ إِنْسَانٌ قُدْساً سَهْواً، يَزِيدُ عَلَيْهِ خُمْسَهُ وَيَدْفَعُ الْقُدْسَ لِلْكَاهِنِ. فَلاَ يُدَنِّسُونَ أَقْدَاسَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي يَرْفَعُونَهَا لِلرَّبِّ، فَيُحَمِّلُونَهُمْ ذَنْبَ إِثْمٍ بِأَكْلِهِمْ أَقْدَاسَهُمْ. لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُقَدِّسُهُمْ'' (لا ٢٢: ١٤ – ١٦).

بلاديوس: لا أفهم جيداً المقصود بهذا الكلام.

كيرلس: سوف تعرفه بوضوح تماماً؛ لأنه لا يوجد أي شيء صعب. إن كل ما يُقدَّم ''كرائحة ذكية'' من عجول أو خراف، يوضع جزء منه على المذبح



باستثناء الأكارع، والرأس، والشحوم وأحياناً الكُلي، وكل ما بقى يأكله الكهنة؛ لأنه كما قال بولس العظيم: ''أَلَيْسَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الذَّبَائِحَ هُمْ شُرَكَاءَ الْمَذْبَحِ'' (١ كو ١٠: ١٨)؟

كان ضرورياً أن يتقدس جزءٌ من التقدمة لله بطريقة مناسبة لكل ناموس، أمَّا القائمون على خدمة المذبح فيأخذون بقية الذبيحة. لكن إذا استبقى أحدٌ كل التقدمة في بيته واستخدمها لاحتياجاته، ولم يترك أي جزء للاحتراق، مثلما فعل ذلك أبناء عالي الكاهن، خاطفين الذبائح قبل أن تُقدَّم مدنِّسين بذلك المقدسات قائلين كلاماً مهيناً لأولئك الذين يقدمون الذبائح ''أَعْطِ لَحْماً لِيُشْوَى لِلْكَاهِنِ'' (١ صمو ٢: ١٥)، ولأن تلك الخطايا كانت باختيارهم، وإهانتهم كانت علانيةً؛ لذا فقد عُوقبوا بعقابٍ يتناسب مع ما فعلوه. لكن إذا ''أَكَلَ إِنْسَانٌ قُدْساً سَهْواً، يَزِيدُ عَلَيْهِ خُمْسَهُ وَيَدْفَعُ الْقُدْسَ لِلْكَاهِنِ'' (لا ٢٢: ١٤). هكذا يُمحى الذنب الناتج عن جهلٍ. أمَّا إذا لم يكن المدان جاهلاً، فما الذي يمكن للمرء أن يتخيله من عقاب لما حدث عن كبرياء ووقاحة؟ ليت القائمين على المقدسات يتنحَّوَن قبل أن يطلبوا شيئاً من الذبيحة قبل أن تُقدَّم، وإلَّا فعليهم أن يعرفوا أنهم يرتكبون جُرماً رهيباً، وأنهم سوف يُعاقَبون ويجلبون على أنفسهم العقاب الإلهي. أم تعتقد يا صديقي أن ذلك ليس حقيقياً؟

بلاديوس: حقيقيٌّ تماماً.

كيرلس: ما زال الله يؤكد على أن يكون الكهنةُ مقدسين، وقد اغتسلوا طارحين عنهم تماماً كل ما هو غير مناسب بالنسبة للجسد الميت: ''وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: كَلِّمْ الْكَهَنَةَ بَنِي هَارُونَ وَقُلْ لَهُمْ: لاَ يَتَنَجَّسْ أَحَدٌ مِنْكُمْ لِمَيْتٍ فِي قَوْمِهِ، إِلَّا لأَقْرِبَائِهِ الأَقْرَبِ إِلَيْهِ: أُمِّهِ وَأَبِيهِ وَابْنِهِ وَابْنَتِهِ وَأَخِيهِ وَأُخْتِهِ الْعَذْرَاءِ الْقَرِيبَةِ إِلَيْهِ الَّتِي لَمْ تَصِرْ لِرَجُل. لأَجْلِهَا يَتَنَجَّسُ. كَزَوْجٍ لاَ يَتَنَجَّسْ بِأَهْلِهِ لِتَدْنِيسِهِ. لاَ يَجْعَلُوا قَرْعَةً فِي رُؤُوسِهِمْ، وَلاَ يَحْلِقُوا عَوَارِضَ لِحَاهُمْ، وَلاَ يَجْرَحُوا جِرَاحَةً فِي أَجْسَادِهِمْ. مُقَدَّسِينَ يَكُونُونَ لإِلهِهِمْ، وَلاَ يُدَنِّسُونَ اسْمَ إِلهِهِمْ، لأَنَّهُمْ يُقَرِّبُونَ وَقَائِدَ الرَّبِّ طَعَامَ إِلهِهِمْ، فَيَكُونُونَ قُدْساً. إِمْرَأَةً زَانِيَةً أَوْ مُدَنَّسَةً لاَ يَأْخُذُوا، وَلاَ يَأْخُذُوا امْرَأَةً مُطَلَّقَةً مِنْ زَوْجِهَا. لأَنَّهُ مُقَدَّسٌ لإِلهِهِ. فَتَحْسِبُهُ مُقَدَّساً لأَنَّهُ يُقَرِّبُ خُبْزَ إِلهِكَ. مُقَدَّساً يَكُونُ عِنْدَكَ لأَنِّي قُدُّوسٌ أَنَا الرَّبُّ مُقَدِّسُكُمْ'' (لا ٢١: ١ – ٨).

إذا دقق المرء في كلام الحق، فإنه لن يرتكب -على الإطلاق- أيَّ دنس يؤدِّي إلى موتٍ ثانٍ. فالموت الجسدي رمزٌ لموت النفس، ومن يقترب منه سواء بإرادته أو بأعماله، فإنه بالضرورة يتلوث. لأن المقدَّسين يجب أن يبتعدوا عن الأعمال الميِّتة ويتجنَّبوا كل ما ينتج عنها، ولا يمشون مع المرضى بهذا المرض. هذا حسنٌ؛ لأن ''مَنْ يلمس القار يتلوث''. لأن المرء سوف يتقبل بسهولة خطأ الآخر طالما هو لا يزال مرتبطاً بعلاقة معه. لكن الناموس يسمح لكل الذين تقدَّسوا أن يتعرضوا للنجاسة -بلا عقاب- إذا ما اقتربوا من الأب والأم والأولاد والأخوة، أي اقترابهم من جثث أقربائهم، وذلك تقديراً واحتراماً لقانون القرابة الطبيعي، دون أن يُعيِّروا اهتماماً للتشريعات التي تفرض عقوبات على ارتكاب هذه الأفعال؛ لأنها مجرد أمثلة ونماذج، وحتى لا يظهر عارفو الله كأنهم قساةٌ وأفظاظ وغير رحومين، طالما أن الناموس أوصى مراراً: ''أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ'' (خر ٢٠: ١٢). على أنه بطريقةٍ أخرى، ولأجل سبب آخر منع كل الذين تقدَّسوا من الحزن والنحيب، فبما أنهم خُدامٌ مقدَّسون للحياة ويقدمون لله ذبيحة لإبطال الموت (موت المسيح -الذي رُمز إليه بحملان وعجول- هو الذي أبطل الموت)، فكيف يكون منطقياً إذن أن يتثقلوا بحزن الموت؟

هكذا يوضِّح بولس العظيم لكل الذين تعمَّدوا باسم المسيح برجاء الحياة والقيامة قائلاً: ''ثُمَّ لاَ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ الرَّاقِدِينَ، لِكَيْ لاَ تَحْزَنُوا كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ. لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ، سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضاً مَعَهُ'' (تس ٤: ١٣ - ١٤).

إذن فقد سمح الناموس للذين تقدَّسوا أن يذهبوا إلى الأهل القريبين عندما يموتون. لكنه وضع حدوداً للأمر، فلم يتجاهل حدوث أفعال زائدة لا تليق بكرامة الكهنوت للتعبير عن الحزن، بل حفظ الناموس للكهنوت كرامته ومكانته الفاضلة، فلم يرتضِ لهم ما يفعله الآخرون من حلق الرأس للتعبير عن الحزن، أو حلق اللحية بطريقة تسبب تشوهاً للوجه، ولم يسمح لهم بعمل علامات وحشية كالتشققات التي يصنعها المهوسون بعبادة الأوثان في أجسادهم، فقد حررَّهم من كل ذلك. فقد أمر الناموس باستبعاد هذه

الأمور تماماً من التفكير. وأوصى على النقيض من ذلك بمشاركة الأهل في أحزانهم، فهي ليست على الإطلاق أمرٌ لا يليق مثل الأمور القبيحة وغير المقبولة؛ لأنه يقول: "وَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ بِلِيَاقَةٍ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ" (١ كو ١٤: ٤٠). ولذلك أمرنا المسيح نفسه بأن تكون درجة محبتنا لله تفوق محبة الوالدين قائلاً: "مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمّاً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْناً أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي" (مت ١٠: ٣٧).

بلاديوس: حديثك حسنٌ.

كيرلس: حسناً. إذن فهو يأمر الكهنة ألَّا يتدنسوا باقترابهم من الأموات. لأن القداسة لا تتفق -بالتأكيد- مع النجاسة، وهذا هو ما أظهره بطرقٍ أخرى واضعاً قوانين للزواج قائلاً: "أَمَّا الأَرْمَلَةُ وَالْمُطَلَّقَةُ وَالْمُدَنَّسَةُ وَالزَّانِيَةُ فَمِنْ هؤُلاَءِ لاَ يَأْخُذُ، بَلْ يَتَّخِذُ عَذْرَاءَ مِنْ قَوْمِهِ امْرَأَةً. وَلاَ يُدَنِّسُ زَرْعَهُ بَيْنَ شَعْبِهِ لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُقَدِّسُهُ" (لا ٢١: ١٤ – ١٥). فالمرأة الزانية تكون دنسةً بالفعل وتعتبر مرتكبةً لجُرم الدناءة، فهي مدانة بلا شك. أيضاً كل مَنْ طُرِد من قِبَل زوجته لا يكون خالٍ من الذنب، وليس بغير سبب ارتضى أن يُطرد من بيت زوجته. إذن يجب على كل من خُصِّصوا للعمل الليتورجي الفاضل أن يبتعدوا، ليس فقط عن المخالفات التي لها إدانة واضحة وظاهرة لمن يرتكبها، بل وأيضاً التي تجلب لمرتكبيها سُمعةً دنيئةً وشبهاتٍ وكلاماً سيئاً. ويبدو من الحديث أنه يشير -رمزياً- إلى كارثة أو فضيحة مجمع اليهود الذي زنى مع رُعاةٍ كثيرين، كما هو مكتوب (انظر إر ٣: ١)، فلم يقبل أن يكون مع المسيح في شركة روحية، المسيح الكاهن كُلِّيُّ النقاوة الذي قدَّم -لأجلنا- ذاته إلى الآب كتقدمة ثمينة، أي المسيح القدوس معنا في بشريته، بالرغم من أنه يُقدِّس كل الخليقة حيث أنه إلهٌ من إله. وقد جعل إعلان السر أكثر وضوحاً عندما قال: "وَإِذَا تَدَنَّسَتِ ابْنَةُ كَاهِنٍ بِالزِّنَى فَقَدْ دَنَّسَتْ أَبَاهَا. بِالنَّارِ تُحْرَقُ" (لا ٢١: ٩). بمعنى أن مجمع اليهود قد سُلِّم إلى النار لأنه دنسٌ ومريضٌ بمرضٍ عُضال، إذ صار تابعاً لأراء الكتبة والفريسيين مُسلِّماً كل فكره للوصايا البشرية. لذلك -عن حقٍ- سَمِع ما قاله النبي: "كَيْفَ صَارَتِ الْقَرْيَةُ الأَمِينَةُ زَانِيَةً! مَلآنَةً حَقّاً كَانَ الْعَدْلُ يَبِيتُ فِيهَا" (إش ١: ٢١).

ولأنها صارت زانيةً، ولم تُبقِ العريس السماوي والروحي في فكرها، فقد صارت وقوداً للنيران. لذلك بكى النبي أرميا وسالت دموعه عليها حين قال: ''دَعَا الرَّبُّ اسْمَكِ: زَيْتُونَةً خَضْرَاءَ ذَاتَ ثَمَرٍ جَمِيلِ الصُّورَةِ. بِصَوْتِ ضَجَّةٍ عَظِيمَةٍ أَوْقَدَ نَاراً عَلَيْهَا فَانْكَسَرَتْ أَغْصَانُهَا. وَرَبُّ الْجُنُودِ غَارِسُكِ قَدْ تَكَلَّمَ عَلَيْكِ شَرّاً مِنْ أَجْلِ شَرِّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَبَيْتِ يَهُوذَا الَّذِي صَنَعُوهُ ضِدَّ أَنْفُسِهِمْ لِيُغِيظُونِي بِتَبْخِيرِهِمْ لِلْبَعْلِ'' (إر ١١: ١٦ – ١٧). إذن هذا إعلانٌ عن الزنا الذهني أو الانحراف عن الخط المستقيم، وبرهانٌ على أن المرءَ التصق بمعلمين أدنياء وسفهاء.

بلاديوس: إني أعتقد ذلك.

كيرلس: إن كل الأمثلة التي سُقناها عن الكهنة الآخرين هي أمثلة غامضة جداً، وغير ظاهرة بوضوح، ولكنها تُلقي بضوئها على هارون الذي يرمز إلى المسيح. لأنه يقول أيضاً: ''وَالْكَاهِنُ الأَعْظَمُ بَيْنَ إِخْوَتِهِ الَّذِي صُبَّ عَلَى رَأْسِهِ دُهْنُ الْمَسْحَةِ وَمُلِئَتْ يَدُهُ لِيَلْبِسَ الثِّيَابَ لاَ يَكْشِفُ رَأْسَهُ وَلاَ يَشُقُّ ثِيَابَهُ. وَلاَ يَأْتِي إِلَى نَفْسٍ مَيِّتَةٍ وَلاَ يَتَنَجَّسُ لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ. وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَقْدِسِ لِئَلا يُدَنِّسَ مَقْدِسَ إِلَهِهِ لأَنَّ إِكْلِيلَ دُهْنِ مَسْحَةِ إِلَهِهِ عَلَيْهِ. أَنَا الرَّبُّ. هَذَا يَأْخُذُ امْرَأَةً عَذْرَاءَ. أَمَّا الأَرْمَلَةُ وَالْمُطَلَّقَةُ وَالْمُدَنَّسَةُ وَالزَّانِيَةُ فَمِنْ هَؤُلاَءِ لاَ يَأْخُذُ بَلْ يَتَّخِذُ عَذْرَاءَ مِنْ قَوْمِهِ امْرَأَةً. وَلاَ يُدَنِّسُ زَرْعَهُ بَيْنَ شَعْبِهِ لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُقَدِّسُهُ'' (لا ٢١: ١٠ – ١٥). أرأيت كيف توضِّح الأمثلة التي ضربناها أن المسيح عمانوئيل دُعي مثل هارون كاهناً؛ لأنه مُسِح بالروح وفقاً للكتب المقدسة؟ (انظر على سبيل المثال أش ١١: ٢). لذلك، فإن مجد كهنوته لا يمكن أن يُدرك؛ لأنه يقول: ''لاَ يَكْشِفُ رَأْسَهُ''، أي أنه لن يخلع الشكل اللائق به. لقد قيل حقاً للمخلص وفادي الجميع: ''أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ. عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ قَدْ صَارَ يَسُوعُ ضَامِناً لِعَهْدٍ أَفْضَلَ. وَأُولَئِكَ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً كَثِيرِينَ لأَنَّ الْمَوْتَ مَنَعَهُمْ مِنَ الْبَقَاءِ، وَأَمَّا هَذَا فَلأَنَّهُ يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ، لَهُ كَهَنُوتٌ لاَ يَزُولُ. فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضاً إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ'' (عب ٧: ٢١ – ٢٥)، هذا ما كتبه بولس العظيم. فأمَّا كونهم لا ينزعون الغطاء عن الرأس، فيدل على أن الكهنوت لا يُنزع ''لاَ يَكْشِفُ رَأْسَهُ''. وأمَّا أن مملكته أبدية ولا تتزعزع، فهو ما عليك أن تدركه جيداً من أن غطاء الرأس كان

على الجبهة من فوق، مثبَّتاً بحلقةٍ ذهبيةٍ هي رمزٌ للمملكة. ويقول أيضاً: ''وَلاَ يَشُقُّ ثِيَابَهُ''، فقد كان من المعتاد أن يفعلوا ذلك مع الأموات، وهو الأمر الغريب تماماً بالنسبة للمسيح؛ لأن الحياة لا تذوق أبداً ألم الموت؛ لأنه ليس بها شيئاً ميتاً، بل هي إبطالٌ للموت وتغييرٌ للفساد. لذلك بَكَّتَ المخلِّص أولئك الذين أرادوا أن ينوحوا على إبنة رئيس المجمع قائلاً: ''تنَحَّوْا، فَإِنَّ الصَّبِيَّةَ لَمْ تَمُتْ لكِنَّهَا نَائِمَةٌ'' (مت ٩: ٢٤).

لقد كان غريباً حقاً أن يبكوا الصبيةَ كأنها ماتت، في حين أن المسيحَ حياةُ الجميع كان حاضراً. وإن كان قد بكى[1] هو نفسه على أليعازر (انظر يو ١١: ٣٥)، فإنما كان هذا بدافعٍ من حنانه ومدى محبة صلاحه الإلهي لنا؛ لأن الطبيعةَ التي ساد عليها الموت قد رُحِمَتْ بمجيئه إلينا.

بلاديوس: هذا ما يبدو بالفعل.

كيرلس: ومن جهة أن المسيح لا دنس فيه على الإطلاق، فهذا هو ما أُعِلن بوضوح حين قال إن رئيس الكهنة يجب أن يبتعد عن الموت، وأن لا يقترب إطلاقاً من أي ميِّتٍ غير مبالٍ –بسبب هذا الأمر– بكرامة الأب والأم والأخوة. وعليك أن تلاحظ أن الناموس في إدراكه لذلك، لم يُقِم وزناً يذكر لما يمكن أن يعتبر لائقاً فيما يخص هذه الأمور. فقد أشفق الناموس على طبيعة الكهنة الآخرين، ولذلك أعطاهم تصريحاً أن يفعلوا –دون عقاب– كل ما جرت عليه العادة بالنسبة للأموات من أقربائهم. ولم يُبدِ اهتماماً خاصاً بالخطية أثناء فترة ظلال الناموس. وإذا كانت هذه الجزاءات خاصةٌ بنا، والمثال يشير إلى البشر الذين وقعوا في النجاسة، وهذا شيء يمكن أن يحدث: ''لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا'' (يع ٣: ٢)؛ لأن الخطية هي مرض

١- في شرحه لبكاء يسوع أمام قبر لعازر(يو ١١: ٣٥ - ٣٧) يقول القديس كيرلس: ''وإذ رأى الإنجيلي المسيح يبكي رغم أن الطبيعة الإلهية عديمة البكاء، فإنه دُهِش لأن المعاناة هي أمر خاص بالجسد ولا تلائم الإلوهية. والرب عندما رأى أن الإنسان المخلوق على صورته، قد تشوّه بالفساد، فإنه بكى، وذلك لكي يجعلنا نحن لا نبكي. لأنه لهذا السبب أيضاً قد مات، لكي يحرّرنا من الموت؛ وقد بكى قليلاً، لكي لا يبدو أنه عديم المشاعر ولا يحس بإحساسات البشر، ولكنه أوقف دموعه بسرعة، وذلك لكي يعلّمنا أيضاً إلّا نستسلم للحزن الكثير على الأموات.... فمن أجل هذا، سمح لجسده أن يبكي قليلاً، رغم أنه بطبيعته الإلهية لا يخضع لأية انفعالات حزينة، فهذه هي طبيعته الخاصة. واليهود ظنّوا أنه يبكي بسبب موت لعازر، ولكنه بكى حزناً على البشرية كلها، وهو لا ينوح على لعازر وحده، بل هو يعرف تماماً ما حدث للجميع، بأن كل البشرية صارت خاضعة للموت، إذ أنها بِعَدْل قد سقطت تحت هذا العقاب العظيم'' شرح إنجيل يوحنا، المجلد الثاني، ص ٥٠.

الطبيعة[1]، إلَّا أنه في حالة رئيس الكهنة العظيم، أي المسيح فقد حُفِظَ للمثال نقاءُ الكرامة، وأصالةُ الظِّلال، حتى لا يتزيف جمالُ الحق ظلماً داخل هذه الأمور. لأن المسيح لم يكن نجساً ولا عرف خطيئةً، وكان أسمى من أي خطيئة، أو بالحري كان مملوءً من كل بهاءٍ ونقاءٍ ذهني، فمُهُ كان ينطق بالقداسةِ المطلقةِ، وبهاؤه لا يُستنزَف، حافظاً خواصه بلا تغييرٍ على الدوام. وهذا يظهره القول: "وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَقْدِسِ لِئَلاَّ يُدَنِّسَ مَقْدِسَ إِلهِهِ" (لا ٢١: ١٢).

بالصواب يقول الناموس إنه ينبغي أن يدخل في شركة زواج مع امرأةٍ عذراء، ويعتبر تلك التي طُردت من زوجها غير مناسبةٍ له. لأنها طُرِدت من اتحادها مع زوجها، ولهذا يقول بكلام النبي: "لَيْسَتِ امْرَأَتِي وَأَنَا لَسْتُ رَجُلَهَا" (هو ٢: ٢). على هذا المثال خَطَبَ بولس الرسول أيضاً كنيسة الأمم للمسيح كعذراء نقية وبلا عيبٍ ولا غضن، أو بالحري مقدسة وبلا لوم (انظر ٢ كو ١١: ٢)، وهكذا يكون الرمزُ صادقاً سواء أشار إلى كنيسة الأمم، أو إلى كنيسة اليهود، أي الكنيسة الأم والنموذج، فإنه لا ينقص فيها أي جمال. ولو أراد أحدٌ أن يتبين قوة المعاني في الحديث، نقول إن المسيح لم يتَّحد بنفوسٍ دنسةٍ ومريضةٍ، لكنه يتَّحد -روحياً كما بعذارى- بنفوسٍ كليةِ النقاوة والقداسة، تعطي ثمارها ويدعوها خاصته. لأنه يقول: "لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي" (مت ١٢: ٥٠).

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب.

حالة الكهنة ووظائفهم

كيرلس: إذن ما هي الحالة التي يجب أن يكون عليها كل الذين أُختيروا لرُتب القائم بخدمة الأقداس؟ وما هي الأمور الضرورية التي لابد أن يفعلوها باستقامة؟ وما هي الأمور التي لا يتقيدون بها؟ لقد شرَّع الناموس كل هذا بوضوح. لكن بالإضافة إلى هذا، من الحكمة أن نشرح كيف كان ينبغي عليهم أن

١ـ السقوط أو الخطية بحسب آباء الكنيسة ليست مجرد مخالفة للوصية، بل مرض أصاب الطبيعة البشرية يتطلب شفاءً، لذلك يُلقب المسيح في النصوص الليتورجية بأنه طبيب نفوسنا وأرواحنا وأجسادنا ونصلي في القداس الغريغوري بفم الكاهن: "ربطني بكل الأدوية المؤدية إلى الحياة".

يقوموا بخدمة الأقداس، وكيف كان يجب عليهم أن يرتِّبوا -بقوانين- أنواع الذبائح، وكل خدمة مقدسة؛ لكي يصير عملهم بلا لوم من جانبهم، وتُقبل خدمتهم الليتورجية بسرور.

حسناً. قبل أي شيء يقول: ''وَلاَ تَصْعَدْ بِدَرَجٍ إِلَى مَذْبَحِي كَيْلاَ تَنْكَشِفَ عَوْرَتُكَ عَلَيْهِ'' (خر ٢٠: ٢٦). لكن كيف يتفق هذا مع ما قاله من أن الكهنة يجب أن يلبسوا سروالاً من الكتان ''لكي تغطي عورتك''؟ وبالتالي، فإن كان مضطراً ليقفز عالياً، فلا يرون شيئاً طالما أنهم قد غطّوا العورة. إذن، إلاَمَ ماذا يشير الناموس؟ لقد كان مدعاةً للتفاخر أن يبني عابدو الأوثان هياكلهم على المرتفعات، فقد رأوا ذلك ضرورياً، ولكنهم لم يعطوا أهميةً لضرورة إرتداء ملابس محتشمة. لذلك وضع الناموس -بحكمة- هذه العادة التي اعتادها هؤلاء الوثنيون في حسابه، فرفع الخِدمات المقدسة تجاه الأفضل، وهكذا فإنه بالمثال الجسدي يقتادنا إلى الرؤية الروحية. لأنه يقول: ''وَلاَ تَصْعَدْ بِدَرَجٍ إِلَى مَذْبَحِي كَيْلاَ تَنْكَشِفَ عَوْرَتُكَ عَلَيْهِ''، وهو ما يعنى أن خادم الأقداس الذي تقدَّس لكي يخدمني، عليه أن يطلب الأمور المتواضعة ولا يصعد إلى الأعالي. فليترك الغيرة والتفاخر حتى لا يبدو وكأنه وقحٌ ودنيءٌ. لأن التصرف المندفع والطائش يكشف عن عقل جاحد وقبيح ومريض بمرضٍ عضال. لأنه مكتوب: ''كَمَا أَنَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِالْمُسْتَهْزِئِينَ، هكَذَا يُعْطِي نِعْمَةً لِلْمُتَوَاضِعِينَ'' (أم ٣: ٣٤). أيضاً قال تلميذ المخلص: ''وَلْيَفْتَخِرِ الأَخُ الْمُتَّضِعُ بِارْتِفَاعِهِ، وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَبِاتِّضَاعِهِ، لأَنَّهُ كَزَهْرِ الْعُشْبِ يَزُولُ'' (يع ١: ٩، ١٠). لأن افتخاره سيزول مثل العُشب ولن يختلف في شيء عن الأعشاب.

بلاديوس: أوافقك.

كيرلس: إذن ينبغي -كما قال- أن يتحرر خادم الأقداس من نفخة الكبرياء والغرور. أمَّا كيف سيؤدي عمله المقدّس وفق الناموس دون أي تأنيب، فهذا ما سوف تعرفه بوضوح تام؛ لأنه مكتوب في سفر اللاويين: ''إِذَا أَخْطَأَ أَحَدٌ وَخَانَ خِيَانَةً بِالرَّبِّ، وَجَحَدَ صَاحِبَهُ وَدِيعَةً أَوْ أَمَانَةً أَوْ مَسْلُوباً، أَوِ اغْتَصَبَ مِنْ صَاحِبِهِ، أَوْ وَجَدَ لُقَطَةً وَجَحَدَهَا، وَحَلَفَ كَاذِباً عَلَى شَيْءٍ مِنْ كُلِّ مَا يَفْعَلُهُ الإِنْسَانُ مُخْطِئاً بِهِ، فَإِذَا أَخْطَأَ وَأَذْنَبَ، يَرُدُّ الْمَسْلُوبَ الَّذِي سَلَبَهُ، أَوِ الْمُغْتَصَبَ الَّذِي اغْتَصَبَهُ، أَوِ الْوَدِيعَةَ الَّتِي أُودِعَتْ عِنْدَهُ، أَوِ اللُّقَطَةَ الَّتِي وَجَدَهَا، أَوْ كُلَّ مَا حَلَفَ

عَلَيْهِ كَاذِباً. يُعَوِّضُهُ بِرَأْسِهِ، وَيَزِيدُ عَلَيْهِ خُمْسَهُ. إِلَى الَّذِي هُوَ لَهُ يَدْفَعُهُ يَوْمَ ذَبِيحَةِ إِثْمِهِ. وَيَأْتِي إِلَى الرَّبِّ بِذَبِيحَةٍ لإِثْمِهِ: كَبْشاً صَحِيحاً مِنَ الْغَنَمِ بِتَقْوِيمِكَ، ذَبِيحَةَ إِثْمٍ إِلَى الْكَاهِنِ. فَيُكَفِّرُ عَنْهُ الْكَاهِنُ أَمَامَ الرَّبِّ، فَيُصْفَحُ عَنْهُ فِي الشَّيْءِ مِنْ كُلِّ مَا فَعَلَهُ مُذْنِباً بِهِ». وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: أَوْصِ هَارُونَ وَبَنِيهِ قَائِلاً: هذِهِ شَرِيعَةُ الْمُحْرَقَةِ: هِيَ الْمُحْرَقَةُ تَكُونُ عَلَى الْمَوْقِدَةِ فَوْقَ الْمَذْبَحِ كُلَّ اللَّيْلِ حَتَّى الصَّبَاحِ، وَنَارُ الْمَذْبَحِ تَتَّقِدُ عَلَيْهِ. ثُمَّ يَلْبَسُ الْكَاهِنُ ثَوْبَهُ مِنْ كَتَّانٍ، وَيَلْبَسُ سَرَاوِيلَ مِنْ كَتَّانٍ عَلَى جَسَدِهِ، وَيَرْفَعُ الرَّمَادَ الَّذِي صَيَّرَتِ النَّارُ الْمُحْرَقَةَ إِيَّاهُ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَيَضَعُهُ بِجَانِبِ الْمَذْبَحِ. ثُمَّ يَخْلَعُ ثِيَابَهُ وَيَلْبَسُ ثِيَاباً أُخْرَى، وَيُخْرِجُ الرَّمَادَ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ، إِلَى مَكَانٍ طَاهِرٍ. وَالنَّارُ عَلَى الْمَذْبَحِ تَتَّقِدُ عَلَيْهِ. لاَ تَطْفَأُ. وَيُشْعِلُ عَلَيْهَا الْكَاهِنُ حَطَباً كُلَّ صَبَاحٍ، وَيُرَتِّبُ عَلَيْهَا الْمُحْرَقَةَ، وَيُوقِدُ عَلَيْهَا شَحْمَ ذَبَائِحِ السَّلاَمَةِ. نَارٌ دَائِمَةٌ تَتَّقِدُ عَلَى الْمَذْبَحِ. لاَ تَطْفَأُ" (لا ٦: ١ - ٣).

ونار المذبح هي نارٌ دائمة لا تُطفأ إطلاقاً، وهي ليست غريبة ولا خارجية، بل هي نارٌ إلهية، من أعلى من السماء. وماذا يعني هذا؟ هذا يعني أن مذبحنا المقدّس مملوءٌ من مجد الله. فالطبيعة الإلهية السرية تأخذ شكل النار. وفي نفس الوقت يبدو أن الحديث يعلن جيداً معنىً ما خفيٌّ.

بلاديوس: أي معنى تقصد؟

المذبح الإلهي مثالٌ لعمانوئيل

كيرلس: ألم نقل إن المذبح الإلهي هو مثالٌ لعمانوئيل نفسه الذي بواسطته أتينا إلى الله الآب عابدين العبادة العقلية ومقدِّمين له -كذبيحةٍ- رائحةَ فضائلنا الذكية وقداسة حياتنا الإنجيلية؟ لأنه يقول: "فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ" (رو ١٢: ١).

بلاديوس: لقد قُلنا هذا بالفعل. أنا أتذكره.

كيرلس: لاحظ أن النيران تنزل على المذبح من السماء ولا تتوقف عن أن تحرق، ولا يحدث أن يخفُت اللهب أو يختفي، بل تظل دائماً على المذبح وتشتعل بلا انقطاع.



ويوحنا المعمدان سبق وأعطى شهادةً عن المسيح قائلاً: ''إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ. وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ لَكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لأُعَمِّدَ بِالْمَاءِ ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلاً وَمُسْتَقِرّاً عَلَيْهِ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ'' (يو ١: ٣٢ - ٣٣). وهكذا يقدم -كمثالٍ في الظِل- الروح القدس نازلاً في شكل نار فوق المسيح مستقراً دائماً فوقه. بمعنى أن نار المذبح لا تخبوا أبداً فوقه. وكون أن الروح يشبه طبيعة النار -بالتأكيد- يخبرنا عنه يوحنا المعمدان متحدثاً إلى جمع اليهود: ''أَنَا أُعَمِّدُ بِمَاءٍ وَلَكِنْ فِي وَسَطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي الَّذِي صَارَ قُدَّامِي الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ''. (يو ١: ٢٦ - ٢٧). وقال: ''هو يعمدكم بالروح ونار'' (مت ٣:١١)، إلَّا أننا لم نُعمَّد في نار محسوسة، بل بالروح القدس الذي يُشبَّهُ بنار تُزيل دنس النفس، لأجل هذا مكتوب عن المسيح: ''وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟ لأَنَّهُ مِثْلُ نَارِ الْمُمَحِّصِ وَمِثْلُ أَشْنَانِ الْقَصَّارِ. فَيَجْلِسُ مُمَحِّصاً وَمُنَقِّياً لِلْفِضَّةِ. فَيُنَقِّي بَنِي لاَوِي وَيُصَفِّيهِمْ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لِيَكُونُوا مُقَرَّبِينَ لِلرَّبِّ تَقْدِمَةً بِالْبِرِّ'' (ملا ٣: ٢ - ٣).

نار المذبح والروح القدس

إذن، فنار المذبح لا تُطفأ لأن الروح القدس استقر فوق المسيح، بالرغم أنه موجودٌ فيه بحسب الطبيعة -بالتأكيد- لأنه هو الله. وقد قال الناموس أيضاً إن النارَ ملمحٌ من ملامح المذبح، أي بالرغم من أن وحيد الجنس صار إنساناً حسب هيئة الإنسان، إلَّا أنه صار هكذا (تجسَّد) بالروح، أي الروح الذي فيه وهو حقاً خاصٌ به. ويمكن لأي أحد أن يجد أن حديثنا هذا مفيدٌ إذا طبَّق هذا القول على أولئك الذين تقدَّسوا بالإيمان باسم يسوع المسيح، للدرجة التي يصبحون فيها مثل مذبحٍ إلهي. لأنه ينبغي على الرجال القديسين الذين كرَّسوا حياتهم للمسيح أن يكونوا حارين وملتهبين بالروح في داخلهم، وليت هذا الأمر يحدث دائماً حتى لا يقعوا في فتورٍ بسبب الملذات العالمية، بل دائماً يكون عقلهم ملتهباً بالقداسة في محبة الله والشوق للفضيلة، لأن هذه هي طريقة العبادة العقلية.

هذا ما شرحناه عن المذبح، لكن أُعطي لنا في هذا الحديث أمرٌ مفيد، وهو أنه ينبغي أن يُنقل التراب خارجاً، لكن ليس بواسطة أيٍ من جنسٍ آخر، أي من سبطٍ آخر، بل بمعونة أولئك الذين تقدَّسوا. ولاحظ كيف أنه لم يترك أمراً من تلك الأمور التي تخص الخدمة الإلهية حتى وإن كان يبدو غير مهم، أو غير لائق بالقائمين على الخدمة المقدّسة حتى يتخلوا عن الأمور غير المتعلقة بالعمل المقدّس؛ لأن المقدَّسات لا موضع لها عند غير الأنقياء، لذلك لا يمكن لأحد أن يقترب من المذبح الإلهي.

بتدبيرٍ حكيمٍ أيضاً لا يُسمح للذين أُختيروا للخدمة المقدسة أن يظهروا خارجاً عن الخيمة بملابسهم المقدسة، وذلك لكي يعرف كل الذين أُختيروا للخدمة المقدسة مقدار القداسة الفائقة التي للمذبح الإلهي، ومدى وقار الملابس المقدسة. لأنه يقول إن الذين تقدَّسوا لا ينبغي عليهم أن يتصلوا بغير الطاهرين، إذ أن الذين يتنجسون بسبب اتصالهم بغير الطاهرين يؤثِّرون تأثيراً سيئاً على وقار الخيمة، لذلك يُسمح لهم بأن يجمعوا الرماد وهم مرتدين الملابس المقدسة، إلَّا أنهم عندما ينقلونه خارج الخيمة يغيِّرون ملابسهم، لأنهم سوف يخرجون من الأماكن المقدسة. لقد أُعلن مثل هذا الأمر بفم حزقيال: ”وَلاَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَيَّ لِيَكْهَنُوا لِي، وَلاَ لِلاِقْتِرَابِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ أَقْدَاسِي إِلَى قُدْسِ الأَقْدَاسِ، بَلْ يَحْمِلُونَ خِزْيَهُمْ وَرَجَاسَاتِهِمِ الَّتِي فَعَلُوهَا... أَمَّا الْكَهَنَةُ اللاَّوِيُّونَ أَبْنَاءُ صَادُوقَ الَّذِينَ حَرَسُوا حِرَاسَةَ مَقْدِسِي حِينَ ضَلَّ عَنِّي بَنُو إِسْرَائِيلَ فَهُمْ يَتَقَدَّمُونَ إلى لِيَخْدِمُونِي، وَيَقِفُونَ أَمَامِي لِيُقَرِّبُوا لِي الشَّحْمَ وَالدَّمَ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. هُمْ يَدْخُلُونَ مَقْدِسِي وَيَتَقَدَّمُونَ إِلَى مَائِدَتِي لِيَخْدِمُونِي وَيَحْرُسُوا حِرَاسَتِي. وَيَكُونُ عِنْدَ دُخُولِهِمْ أَبْوَابَ الدَّارِ الدَّاخِلِيَّةِ أَنَّهُمْ يَلْبِسُونَ ثِيَاباً مِنْ كَتَّانٍ، وَلاَ يَأْتِي عَلَيْهِمْ صُوفٌ عِنْدَ خِدْمَتِهِمْ فِي أَبْوَابِ الدَّارِ الدَّاخِلِيَّةِ وَمِنْ دَاخِلٍ. وَلْتَكُنْ عَصَائِبُ مِنْ كَتَّانٍ عَلَى رُؤُوسِهِمْ, وَلْتَكُنْ سَرَاوِيلُ مِنْ كَتَّانٍ عَلَى أَحْقَائِهِمْ. لاَ يَتَنَطَّقُونَ بِمَا يُعَرِّقُ. وَعِنْدَ خُرُوجِهِمْ إِلَى الدَّارِ الْخَارِجِيَّةِ إِلَى الشَّعْبِ إِلَى الدَّارِ الْخَارِجِيَّةِ يَخْلَعُونَ ثِيَابَهُمُ الَّتِي خَدَمُوا بِهَا، وَيَضَعُونَهَا فِي مَخَادِعِ الْقُدْسِ، ثُمَّ يَلْبِسُونَ ثِيَاباً أُخْرَى وَلاَ يُقَدِّسُونَ الشَّعْبَ بِثِيَابِهِمْ“ (حز ٤٤: ١٣ – ١٩).

إذن، فملابس الكهنة مقدسة ولا يلمسها الآخرون. وذبيحة المحرقة تظل تحترق ليلاً ونهاراً لأن رائحة المسيح هي بلا نهاية. أيضاً إذا فكَّرنا في حياة

القديسين نفسها، فإننا نجدها مثل ذبيحة المحرقة لها رائحة دائمة. لأن لهم رائحة المسيح الزكية مقدِّمين -كذبيحة لله- مفاخرهم من نتاج التعاليم الإنجيلية.

بلاديوس: ما تقوله هو حق.

كيفية تقديم المحرقة ومعانيها

كيرلس: إذن كيف يمكن تقديم المحرقة؟ بعد كل ما قلناه لم يبقَ أمرٌ غامضٌ. كيف يمكن إصعاد الذبيحة بطريقة مستقيمة؟ الناموس يأمر بالآتي: ''وَهَذِهِ شَرِيعَةُ التَّقْدِمَةِ: يُقَدِّمُهَا بَنُو هَارُونَ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَى قُدَّامِ الْمَذْبَحِ. وَيَأْخُذُ مِنْهَا بِقَبْضَتِهِ بَعْضَ دَقِيقِ التَّقْدِمَةِ وَزَيْتِهَا وَكُلَّ اللُّبَانِ الَّذِي عَلَى التَّقْدِمَةِ وَيُوقِدُ عَلَى الْمَذْبَحِ رَائِحَةَ سُرُورٍ تِذْكَارَهَا لِلرَّبِّ. وَالْبَاقِي مِنْهَا يَأْكُلُهُ هَارُونُ وَبَنُوهُ. فَطِيراً يُؤْكَلُ فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ. فِي دَارِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ يَأْكُلُونَهُ. لاَ يُخْبَزُ خَمِيراً. قَدْ جَعَلْتُهُ نَصِيبَهُمْ مِنْ وَقَائِدِي. إِنَّهَا قُدْسُ أَقْدَاسٍ كَذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ وَذَبِيحَةِ الإِثْمِ. كُلُّ ذَكَرٍ مِنْ بَنِي هَارُونَ يَأْكُلُ مِنْهَا. فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ مِنْ وَقَائِدِ الرَّبِّ. كُلُّ مَنْ مَسَّهَا يَتَقَدَّسُ'' (لا ٦: ١٤ - ١٨).

تشير المحرقات إلى التكريس التام والشامل للقديسين، بينما تشير التقدمة إلى تقديم جزء من تلك الحياة المقدّسة بحسب وصايا الله. وهذا ما تشير إليه بالتحديد تقدمه الدقيق التي تُقدَّم إلى الله بقبضة الكاهن مع الزيت واللُبان. لأن الحياة التي تُكرس لله، على الرغم من أنها تُكرَّس جزئياً، إلَّا أنها ينبغي أن تكون رائحة ذكية تفيض برغبات غنية وصالحة. أم أنك لا تعتبر أن كل عمل نعمله هو رائحة زكية؟

بلاديوس: أعتبره بالأكثر.

كيرلس: ألا نتمم أعمالنا برغبات صالحة؟

بلاديوس: نعم؛ لأن هذه الأعمال سوف يتبعها مكافأة من الله.

كيرلس: اللُّبان، إذن وتقدمة الدقيق بالزيت يُشيران إلى الحياة الزكية والدسمة.

بلاديوس: أنت تقول الصواب، لكن ما هو جزء الحياة الذي لم نكرسه من جانبنا؟

كيرلس: هي الحياة التي لا تصل إلى قمة حياة القديسين، ولا تتقدم في الطريق الوعر

المليئ بالمرتفعات كما يقول صوت يوحنا أو الرسل. وهي الحياة التي ليست في تقوى ثابتة لأنها تُهزم أحياناً من الحياة المنحدرة إلى أسفل. أليس كل الذين يحيون في العالم ويكوِّنون عائلةً، يريدون أن يحيوا كما يليق، إلَّا أننا نجدهم يوزِّعون حياتهم بين الله والعالم بحسب أقوال بولس الطوباوي (انظر ١ كو ٧: ٣٣)؟

بلاديوس: نعم تتوزع هذه الحياة؟

كيرلس: إن تقدمة قبضة الدقيق التي تتميز بالرائحة الزكية البهيجة هي مِثال الحياة التي لم تُخصَّص كلياً لله، بل هي في وضع متوسط وتنظر إلى الجهتين، تلك التقدمة ستكون بمثابة فريضة للذكرى -كما يقول الناموس- لذاك الذي قدَّم هذه التقدمة بمعونة الكهنة. لأننا بثمارنا الزكية سوف نبقى حقاً ذكرى عند الله. وسيتوسط المسيح لتوصيل هذه التقدمة إلى الله، ورغم أن هذه التقدمة مقدسةٌ تماماً وفي مستوى المحرقات، إلَّا أن مقدمها ليس قديساً تماماً لأنه أعطى جزءً منها فقط لله. ويجب أن تكون التقدمة بلا خمير، وهذا يعني أن كل ما يقدم من جانبنا لمجد الله، يجب أن يكون نقياً.

حسناً. لقد أمَّر المخلص (انظر مت ٦: ١٦، وما بعدها) أن نتجنب الصلاة ونحن في وسط السوق، وأن نكون غير عابسين ونحن صائمين، ولا نبوِّق بطريقةٍ غير لائقةٍ عندما نُحسن إلى الأخوة. لأن هذه هي الخميرة التي تنجِّس المقدسات. لكن ما صار لمجد الله ينبغيَ أن يُحرَّر من الإحساس بالحرص على إرضاء الناس. لأن التقدمة ستكون هكذا حقاً بلا خمير ومقدسة.

أمَّا المتبقي من الذبيحة، فهو من نصيب الكهنة وطعام لهم، يأكله كل ذكرٍ في المكان المقدس. أمَّا أكل الكهنة للذبيحة في المكان المقدس، فهو ما يوجِّه نظرنا نحو حفظ تقوانا تجاه الأقوال السرائرية، أمَّا أن يأكل كل ذكر فقط، فهو ما يُعلِن -بطريقة مناسبة- أن كل الذين اختارهم الله ينبغي عليهم إلَّا يعملوا عمل الله برخاوة؛ لأن ذلك سيكون أمراً سخيفاً وغبياً حقاً. لأن الرخاوة أمرٌ نجس، يحرم صاحبه من البركة الروحية ويُظهره بمظهر غير المشترك في الصالحات التي منحها الله للقديسين. لقد أظهر يهوذا -نتيجة فكره المليء بالنذالة والجُبن- تهاوناً، ثم إنزلق بكامله في محبة الربح

القبيح. وهكذا لم يتذوق خيرات الله، ولم يشترك قط في عطايا القديسين.

بلاديوس: هذا صحيح.

شريعة ذبائح جموع الشعب

كيرلس: وهذا هو الناموس بالنسبة للذبيحة الآتية من جموع الشعب، فقد أمر الله موسى أن تقدم الذبيحة بواسطة الجنس المقدّس، ولكن بطريقة أخرى: "وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: هَذَا قُرْبَانُ هَارُونَ وَبَنِيهِ الَّذِي يُقَرِّبُونَهُ لِلرَّبِّ يَوْمَ مَسْحَتِهِ: عُشْرُ الإِيفَةِ مِنْ دَقِيقٍ تَقْدِمَةً دَائِمَةً نِصْفُهَا صَبَاحاً وَنِصْفُهَا مَسَاءً. عَلَى صَاجٍ تُعْمَلُ بِزَيْتٍ مَرْبُوكَةً تَأْتِي بِهَا. ثَرَائِدَ تَقْدِمَةٍ فُتَاتاً تُقَرِّبُهَا رَائِحَةَ سُرُورٍ لِلرَّبِّ. وَالْكَاهِنُ الْمَمْسُوحُ عِوَضاً عَنْهُ مِنْ بَنِيهِ يَعْمَلُهَا فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً لِلرَّبِّ تُوقَدُ بِكَمَالِهَا. وَكُلُّ تَقْدِمَةِ كَاهِنٍ تُحْرَقُ بِكَمَالِهَا. لاَ تُؤْكَلُ" (لا ٦: ١٩ – ٢٣). لاحظ إذن يا بلاديوس مدى دقة الناموس، إذ توخي الأمان اللائق في التفاصيل الدقيقة جداً. فقد قرر الناموس إلّا تكون ذبائح جموع الشعب من المحرقات؛ وذلك بسبب أن حياتهم ليست مقدسةً بالكامل، بل مقسَّمة بين الله والعالم. أمّا بالنسبة للكهنة، ولأنهم مميَّزون ومن أصحاب النصيب الأعظم المختارين للخدمة الليتورجية المقدسة، فقد حدَّد أن ذبيحة المحرقة التي يقدمونها تكون تقدمة الدقيق ويوقدوا النار أمام الله صباحاً ومساءً، أي كل يوم وفي كل فترة زمنية. لأن كل مَنْ أُختير للخدمة، دائماً ما يُعتبر –بطريقة مَا– قديساً وله رائحة ثابتة لا تنفَذ، وأنا أعني رائحةً روحيةً بالطبع، فهو ليس مقسَّماً بين الله والعالم، بل مسلِّماً ذاته لله بثبات وبلا تزعزع صارخاً بكل كيانه: "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ" (غلا ٢: ٢٠).

إن "عُشر الإيفة من دقيق" هي علامةُ حياةٍ تفوح منها كل لحظة رائحةٌ زكية لأجل الله. أيضاً "عَلَى صَاجٍ تُعْمَلُ بِزَيْتٍ مَرْبُوكَةً تَأْتِي بِهَا. ثَرَائِدَ تَقْدِمَةٍ فُتَاتاً تُقَرِّبُهَا رَائِحَةَ سُرُورٍ لِلرَّبِّ". الصاج –كما أعتقد– يرمز إلى الألم، أمّا العجين بالزيت، فيُشير إلى البهجة الوفيرة. والثرائد (القطع) تعلن رقة وإحساس قلب القديسين. بالتالي نقول إن الحياة المقدسة بالكامل هي حياة تشمل



الألم[1] في داخلها، والرجاء الغني بالله، إضافةً إلى رقة الشعور والإحساس العظيم؛ فطالما مكتوب: ”اَلْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اَللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ“ (مز ٥١: ١٧)، فإن عدم طيبة القلب أمرٌ لا يليق على وجه الإطلاق. أمَّا قلب الشيطان، فهو مثل حجرٍ صلد، ومثل سندانٍ لا يتأثر بمطرقةٍ، هكذا يقول الكتاب المقدس (انظر أيوب ٤١: ١٥). ويلاحظ أن الناموس يسري على الجميع، ويكتمل عندما ينتقل إلى كل الذين يقومون بالخدمة الليتورجية المقدسة؛ لأنهم -بنفس تقديم السابقين- يبرهنون على أنهم متشبهون بالمجد الأبوي، وأنهم مؤسَّسون على آثار أولئك من حيث عبادة الله، وتنبعث منهم رائحة المحبة الفائقة لله، دون أن تكون هذه المحبة موزعة، بل كلها موجَّهة بالكامل لله. هذا هو ما يعنيه القول بأن ”وَكُلُّ تَقْدِمَةِ كَاهِنٍ تُحْرَقُ بِكَمَالِهَا. لاَ تُؤْكَلُ“ (لاو ٦: ٢٣).

شريعة ذبيحة الخطية

بلاديوس: إذن علينا أن نقدم ذواتنا لله، وأن نجعلها كرائحة سرور له، مقتفين آثار حياة القديسين، وتابعين أعمالهم المقدسة، أقصد الروحية طبعاً.

كيرلس: هكذا بالضبط، يا بلاديوس. ولكن لا يستطيع أحد أن يتخلص من النجاسة، ويتجنب الخطية، إلَّا فقط بواسطة المسيح الذي به ومن خلاله تتحقق النقاوة، أي من خلال ذاك الذي تحمّل لأجلنا الصَّلَبَ الخلاصي. هذا ما سوف يتعلمه المرء -دون جهد- من خلال التشريع الموازي والتالي للتشريع السابق، الذي هو الآتي: ”وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: ”كَلِّمْ هَارُونَ وَبَنِيهِ قَائِلاً: هَذِهِ شَرِيعَةُ ذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ. فِي الْمَكَانِ الَّذِي تُذْبَحُ فِيهِ الْمُحْرَقَةُ تُذْبَحُ ذَبِيحَةُ الْخَطِيَّةِ أَمَامَ الرَّبِّ. إِنَّهَا قُدْسُ أَقْدَاسٍ. الْكَاهِنُ الَّذِي يَعْمَلُهَا لِلْخَطِيَّةِ يَأْكُلُهَا. فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ تُؤْكَلُ فِي دَارِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. كُلُّ مَنْ مَسَّ لَحْمَهَا يَتَقَدَّسُ. وَإِذَا

١- يحدثنا القديس غريغوريوس اللاهوتي عن الألم في عظة عن البصخة، قائلاً: ”فصح الرب! في هذه المناسبة ليقدِّم كل واحد ثمراً صالحاً، قرباناً لائقاً بالعيد، سواء كان صغيراً أو كبيراً، من الأشياء الروحية المحبوبة عند الله، كل واحد على قدر طاقته... لنذبح لله ذبيحة التسبيح على المذبح السماوي مع الخوارس العلوية...بل إني أقول ما هو أعظم من ذلك: لنذبح لله ذواتنا! أو بالحري لنقدِّم نفوسنا ذبائح كل يوم وفي كل مناسبة. لنقبل كل شيء من أجل خاطر اللوغوس، لنتمثّل بآلامه بواسطة آلامنا، ولنكرِّم دمه بواسطة دمائنا، ولنصعد على الصليب بشجاعة؛ فإن المسامير حلوة ولو أنها مؤلمة للغاية، لأن الألم مع المسيح ومن أجل المسيح أفضل من الحياة الهنيَّة مع الآخرين!“ عظة في عيد الفصح 45:2و23 .P.G. 36, 625, 656

انْتَشَرَ مِنْ دَمِهَا عَلَى ثَوْبٍ تغْسِلُ مَا انْتَشَرَ عَلَيْهِ فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ. وَأَمَّا إِنَاءُ الْخَزَفِ الَّذِي تُطْبَخُ فِيهِ فَيُكْسَرُ. وَإِنْ طُبِخَتْ فِي إِنَاءِ نُحَاسٍ يُجْلَى وَيُشْطَفُ بِمَاءٍ. كُلُّ ذَكَرٍ مِنَ الْكَهَنَةِ يَأْكُلُ مِنْهَا. إِنَّهَا قُدْسُ أَقْدَاسٍ'' (لا ٦: ٢٤ - ٢٩). إذاً، فالذبيحة المقدسة التي تُقَدَّم لأجل الخطية ليست هي إلَّا عمانوئيل، الذي هو الحمل الحقيقي الذي يرفع خطايا العالم (انظر يو ١: ٢٩). وقد قُدِّم ذبيحةً بدلاً من المحرقة. لأن المسيح لم يكن قدوساً جزئياً مثلنا ''لأنه لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً'' (انظر ١ بط ٢: ٢٢)، بل كان -بالكامل- رائحةً زكيةً ومقدَّساً ويمنَح القداسة للجميع؛ لأنه، بالرغم من أنه أُحيط بالعصاة وأحصي مع الأثمة -بحسب التدبير (انظر إش ٥٣: ١٢)- إلَّا أن الآب قد أقَّر بأن الابن الذي مات هو قدوس، لذلك يقول: ''فِي الْمَكَانِ الَّذِي تُذْبَحُ فِيهِ الْمُحْرَقَةُ تُذْبَحُ ذَبِيحَةُ الْخَطِيَّةِ أَمَامَ الرَّبِّ. إِنَّهَا قُدْسُ أَقْدَاسٍ'' (لا ٦: ٢٥). إذاً، كما أن الابن هو إله الآلهة، هكذا هو قدوس القديسين، وهو يُقدِّس بروحه كل الخليقة؛ لأنه مولود من الآب وهو بالحقيقة الله.

يقول أيضاً إن الكاهن الذي يقدِّم الذبيحة، يأكلها. لأن كل واحد من أولئك الذين يخدمون الخدمة المقدسة يقطف من ثمار أتعابه، ويتغذى من مكافأة خدمته. وبقية الذبيحة تُؤكل في أماكن مقدسة، وفي فناء الخيمة المقدسة. لأن الأسرار تُقدَّم في الكنائس، والجنس المختار استحق مائدة المسيح المقدسة الموجودة داخلها. وحيث يخدم الكاهن الشرعي، يكون المكان الذي يخدم فيه مقدَّساً. والذبيحة تقدِّس كل مَن يقترب منها ويلمسها، وكذلك الرش بالدم. نأتي إلى القديسين، لا لشيء إلَّا لكي نكون مشاركين المسيح من خلال الذبيحة المقدسة السرية والسرائرية. والأواني التي تستخدم في الذبيحة تتطهر أيضاً حتى لا تقع في أيدي أُناسٍ آخرين، ولا تُستخدَم في احتياجات الحياة الخاصة بالذين يخدمون القُدسات. هذا القانون يُحفظ أيضاً ويُنفَّذ في الكنائس. وكون أن البركة يستحقها الشجعان، فهذا ما يوضحه الناموس أيضاً: ''كُلُّ ذَكَرٍ مِنَ الْكَهَنَةِ يَأْكُلُ مِنْهَا'' (لا ٦: ٢٩).

بلاديوس: حديثك واضحٌ.

كيفية تقديم ذبيحة الخطية

كيرلس: إلى جانب ذلك، فقد وضع شريعة خاصة بكيفية تقديم الذبيحة، أقصد ذبيحة الخطية بطريقة جيدة. كما حدد أياً من هذه الذبائح تكون طعام القائمين على الخدمة الليتورجية، وأياً منها تُخصَّص كرائحة زكية. لأنه مكتوب: "وَكُلُّ ذَبِيحَةِ خَطِيَّةٍ يُدْخَلُ مِنْ دَمِهَا إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِلتَّكْفِيرِ فِي الْقُدْسِ لاَ تؤْكَلُ. تُحْرَقُ بِنَارٍ. وَهَذِهِ شَرِيعَةُ ذَبِيحَةِ الإِثْمِ: إِنَّهَا قُدْسُ أَقْدَاسٍ. فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَذْبَحُونَ فِيهِ الْمُحْرَقَةَ يَذْبَحُونَ ذَبِيحَةَ الإِثْمِ. وَيَرُشُّ دَمَهَا عَلَى الْمَذْبَحِ مُسْتَدِيراً. وَيُقَرِّبُ مِنْهَا كُلَّ شَحْمِهَا: الأَلْيَةَ وَالشَّحْمَ الَّذِي يُغَشِّي الأَحْشَاءَ. وَالْكُلْيَتَيْنِ وَالشَّحْمَ الَّذِي عَلَيْهِمَا الَّذِي عَلَى الْخَاصِرَتَيْنِ وَزِيَادَةَ الْكَبِدِ مَعَ الْكُلْيَتَيْنِ يَنْزِعُهَا. وَيُوقِدُهُنَّ الْكَاهِنُ عَلَى الْمَذْبَحِ وَقُوداً لِلرَّبِّ. إِنَّهَا ذَبِيحَةُ إِثْمٍ. كُلُّ ذَكَرٍ مِنَ الْكَهَنَةِ يَأْكُلُ مِنْهَا. فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ تؤْكَلُ. إِنَّهَا قُدْسُ أَقْدَاسٍ. ذَبِيحَةُ الإِثْمِ كَذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ لَهُمَا شَرِيعَةٌ وَاحِدَةٌ. الْكَاهِنُ الَّذِي يُكَفِّرُ بِهَا تَكُونُ لَهُ" (لا ٦: ٣٠ – ٧: ١ – ٧). إذاً فلا يُسمَح بأكل شحم الذبائح المقدسة كطعام، بل يجب أن يُخصَّص بالكامل لله، إنه ملكٌ له، ولذلك فإن عبارة "يُوقِدُهُنَّ الْكَاهِنُ عَلَى الْمَذْبَحِ وَقُوداً لِلرَّبِّ" تشير إلى أنها سوف تُترك فقط للطبيعة الإلهية التي هي فوق الكل، ورمزها هو النار. وعندما تُذبح ذبيحة الإثم يُرشُّ الدمُ على قاعدة المذبح؛ لأن موت المسيح مقدسٌ ورائحةٌ زكيةٌ. كذلك تُقدم الألية والأحشاء والكُليتين وزيادة الكبد؛ لأن هذه الأجزاء هي مثالٌ للفضيلة التي لا تنحصر في رمزٍ واحد، بل تتعدد أشكالها. لأن إعلانات الفضيلة هي كثيرة جداً.

إذاً فقد خلُصنا بقوة المسيح الذي احتمل الموت لأجلنا، وقدَّم ذاته كرائحة سرور أمام الله الآب (انظر أف ٥: ٢). أمَّا كون أننا لن نخدم الله بدون مكافأة، فيوضحه مباشرةً بقوله: "وَالْكَاهِنُ الَّذِي يُقَرِّبُ مُحْرَقَةَ إِنْسَانٍ فَجِلْدُ الْمُحْرَقَةِ الَّتِي يُقَرِّبُهَا يَكُونُ لَهُ. وَكُلُّ تَقْدِمَةٍ خُبِزَتْ فِي التَّنُّورِ وَكُلُّ مَا عُمِلَ فِي طَاجِنٍ أَوْ عَلَى صَاجٍ يَكُونُ لِلْكَاهِنِ الَّذِي يُقَرِّبُهُ. وَكُلُّ تَقْدِمَةٍ مَلْتُوتَةً بِزَيْتٍ أَوْ نَاشِفَةً تَكُونُ لِجَمِيعِ بَنِي هَارُونَ كُلِّ إِنْسَانٍ كَأَخِيهِ" (لا ٧: ٨ – ١٠). وهذا الناموس حُفظ في الكنائس، حيث وُزِّعت عطايا تقدمات الذبيحة غير الدموية بالتساوي على القائمين بالخدمة المقدسة. وهذا ما كان يعرفه بولس، إذ قال: "أَلَسْتُمْ



تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِي الأَشْيَاءِ الْمُقَدَّسَةِ مِنَ الْهَيْكَلِ يَأْكُلُونَ؟ الَّذِينَ يُلاَزِمُونَ الْمَذْبَحَ يُشَارِكُونَ الْمَذْبَحَ" (١كو ٩: ١٣). وكل الذين يقرِّبون الذبائح يشاركون في المذبح، فهو نفسه قال هذا الأمر (انظر ١كو ١٠: ١٨).

بلاديوس: هذا حق.

شريعة ذبيحة السلامة (التسبيح)

كيرلس: كما رتَّب أيضاً ذبيحة التسبيح (السلامة)، وأعلن كيف ينبغي أن تتم قائلاً: "وَهَذِهِ شَرِيعَةُ ذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ. الَّذِي يُقَرِّبُهَا لِلرَّبِّ. إِنْ قَرَّبَهَا لأَجْلِ الشُّكْرِ يُقَرِّبُ عَلَى ذَبِيحَةِ الشُّكْرِ أَقْرَاصَ فَطِيرٍ مَلْتُوتَةً بِزَيْتٍ وَرِقَاقَ فَطِيرٍ مَدْهُونَةً بِزَيْتٍ وَدَقِيقاً مَرْبُوكاً أَقْرَاصاً مَلْتُوتَةً بِزَيْتٍ. مَعَ أَقْرَاصِ خُبْزٍ خَمِيرٍ يُقَرِّبُ قُرْبَانَهُ عَلَى ذَبِيحَةِ شُكْرِ سَلاَمَتِهِ. وَيُقَرِّبُ مِنْهُ وَاحِداً مِنْ كُلِّ قُرْبَانٍ رَفِيعَةً لِلرَّبِّ يَكُونُ لِلْكَاهِنِ الَّذِي يَرُشُّ دَمَ ذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ. وَلَحْمُ ذَبِيحَةِ شُكْرِ سَلاَمَتِهِ يُؤْكَلُ يَوْمَ قُرْبَانِهِ. لاَ يُبْقِي مِنْهُ شَيْئاً إِلَى الصَّبَاحِ". (لا ٧: ١١ – ١٥). لقد أمر بأن تُقدَّم ذبيحة الشكر مع خبزٍ مختمرٍ، على الرغم من أنه في موضع آخر يقول مراراً وبوضوح: "كُلُّ التَّقْدِمَاتِ الَّتِي تُقَرِّبُونَهَا لِلرَّبِّ لاَ تُصْطَنَعُ خَمِيراً لأَنَّ كُلَّ خَمِيرٍ وَكُلَّ عَسَلٍ لاَ تُوقِدُوا مِنْهُمَا وَقُوداً لِلرَّبِّ. قُرْبَانَ أَوَائِلَ تُقَرِّبُونَهُمَا لِلرَّبِّ. لَكِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ لاَ يَصْعَدَانِ لِرَائِحَةِ سُرُورٍ" (لا ٢: ١١ – ١٢).

ألا ترى يا بلاديوس أن الفضول في هذا الموضوع مفيد؟

بلاديوس: نعم مفيد جداً.

كيرلس: إذن فلنمضِ في حديثنا الآن لنشرح كيف رُتِّب هذا العمل، واضعين أمامنا ما يتعلق بهذه الذبيحة بالتفصيل بقدر الإمكان، فاتحين الطريق المخفي. يقول داود العظيم باتفاقٍ مطلقٍ مع الناموس، ضارباً على قيثارته الروحية: "كَأْسَ الْخَلاَصِ أَتَنَاوَلُ، وَبِاسْمِ الرَّبِّ أَدْعُو" (مز ١١٦: ١٣)، داعياً مراراً ذبيحة الشكر "كَأْسَ خَلاَصٍ". ونحن أيضاً نُقدِّم التسبيح[1] مع الحشد

١- التوافق الروحي يجعلنا في شركة مع الله كما يقول القديس أغناطيوس: "وهكذا بسبب توافق مشاعركم وتآلف محبتكم، يُمتدح يسوع المسيح. وتكوِّنون بجميع أفرادكم خورساً واحداً، وأنتم متآلفون معاً في اتفاق الرأي،فتتناغم أصواتكم مع الله في الوحدانية، وتقدِّمون التسبيح بصوت واحد بيسوع المسيح، لله الآب، حتى إنه يسمعكم ويعترف بكم - بسبب الصلاح الذي تعملونه - أنكم حقاً أعضاء ابنه. إذن، فمن النافع لكم أن تكونوا في وحدانية بلا لوم، حتى تكونوا أيضاً على الدوام في شركة مع الله!" الرسالة إلى أفسس ٤.

العظيم في الكنائس بوحدة روحية مجتمعين بالإيمان، كأننا جسدٌ واحدٌ ونفسٌ واحدةٌ. لأنه مكتوب: "وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ" (أع ٤: ٣٢). هكذا نحن أيضاً نرفع تسابيحنا مراتٍ كثيرة بهدوءٍ، وفي كل بيت، نهاراً وليلاً، والأمر معتادٌ لدى الصالحين والودعاء. أليس ما أقوله حق؟

بلاديوس: كيف لا؟

كيرلس: إذن، فالذبيحة تُقدَّم من جانبنا سواء كنا في الكنائس بحشد عظيم، أو في أماكن أخرى، بمشاركة واحد أو اثنين أو ثلاثة أو حتى أكثر، فلا يوجد أي تمييز في تقدمة أولئك الذين اعتادوا أن يمجِّدوا ويجتمعوا معاً لأجل هذا الهدف. لأن الذبيحة يقدِّمها الذين تطهروا بالمعمودية المقدسة، أمَّا الموعوظ، فإنه يقدم التسبيح مع الكاملين، ولكنه لا يشترك في غالبية الطقوس السرائرية ويُمنع من ذبيحة المسيح. لذلك فقد أعلن الناموس مسبقاً استقامة التدبير، وأمر بأن تُقدَّم ذبيحة الشكر بخبزٍ مختَمِر، وبفطير بلا خمير، ويشير كل نوع من النوعين إلى نوع من الحياة: فالخبز المختمر هو مثالٌ للحياة التي لم تتطهَّر بالمعمودية المقدسة، ولم تتحرَّر بعد بالتمام من النجاسة العالمية. أمَّا الفطير بلا خمير، فإنه يعلن الحياة التي تطهَّرت بالفعل للمسيح بالإيمان، أقصد حياة الكاملين الذين خاطبهم بولس الرسول قائلاً: "إِذاً لِنُعَيِّدْ لَيْسَ بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ وَلاَ بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَ الْخُبْثِ بَلْ بِفَطِيرِ الإِخْلاَصِ وَالْحَقِّ" (١ كو ٥: ٨)، وأيضاً: "إِذاً نَقُّوا مِنْكُمُ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ لِكَيْ تَكُونُوا عَجِيناً جَدِيداً كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ. لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضاً الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا" (١ كو ٥: ٧).

بلاديوس: ما تقوله هو حسن جداً.

كيرلس: بالإضافة إلى هذا، فالدقيق الذي لم يُجمع بعد في شكل وحدات مثل الخبز أو الفطير، بل ما زال حبوباً بعد، يشير إلى هؤلاء الذين يقدِّمون التسبيح فردياً وبصفة خاص، كل واحدٍ على حدة. لأن الله يقبلنا عندما نصنع التسابيح، ويقبل كل واحد على حدة، والكل معاً في جمع متحد في وحدة واحدة. ينسكب الزيت في ذبيحة الشكر فوق التقدمات، وهذا يعلن فرح التقدمة، ويتبعه رحمة الله لأولئك الذين اعتادوا أن يقدموا هذه الذبيحة



بانتظام. لأنه يقول: "اِذْبَحْ للهِ حَمْداً وَأَوْفِ الْعَلِيَّ نُذُورَكَ. وَادْعُنِي فِي يَوْمِ الضِّيقِ أُنْقِذْكَ فَتُمَجِّدَنِي" (مز ٥٠: ١٤ – ١٥). وقد كتب تلميذ المسيح: "أَعَلَى أَحَدٍ بَيْنَكُمْ مَشَقَّاتٌ؟ فَلْيُصَلِّ. أَمَسْرُورٌ أَحَدٌ؟ فَلْيُرَتِّلْ" (يع ٥: ١٣). وبالتالي، فقد صوَّر بوضوح أن ذبيحة الشكر يجب أن تتم بخبزٍ مختمِر وبفطير بلا خمير. وطالما أن كل ما تبقى مما يقدَّم من الذبائح، مثل قبضة الدقيق والحمل المذبوح الذي تحرق أحشاؤه وفقاً للناموس، يُستهلك بواسطة أولئك القائمين بتقديم الذبائح، فالناموس بذلك يُظهِر أن الكهنوت ليس شيئاً بدون نفع. لذلك أمر: "وَلَحْمُ ذَبِيحَةِ شُكْرِ سَلاَمَتِهِ يُؤْكَلُ يَوْمَ قُرْبَانِهِ. لاَ يُبْقِي مِنْهُ شَيْئاً إِلَى الصَّبَاحِ" (لا ٧: ١٥). مِن هذا أيضاً يمكننا أن نستنتج شيئاً آخر، عندما يدور الزمن ويمر الدهر الحاضر، وكأنه يوم واحد، فإن طرقَ تسبيحٍ جديدةٍ ومختلفة عن كل ما نعرفه سوف تُرفع لله، مثلما فعل المتحررون من استبداد فرعون وهم فرحون قائلين: "أُرَنِّمُ لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ. الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ. الرَّبُّ قُوَّتِي وَنَشِيدِي وَقَدْ صَارَ خَلاَصِي. هَذَا إِلَهِي فَأُمَجِّدُهُ إِلَهُ أَبِي فَأُرَفِّعُهُ" (خر ١٥: ١).

كذلك، فإن بعض القديسين الذين رأوا بالروح –مسبقاً– المفاخر البهية والسامية والفائقة لمجيء المخلص للعالم سبحوا قائلين: "رَنِّمُوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً" (مز ٩٨: ١). وعندما سلب الجحيم "قَائِلاً لِلأَسْرَى: اخْرُجُوا. لِلَّذِينَ فِي الظَّلاَمِ: اظْهَرُوا. عَلَى الطُّرُقِ يَرْعُونَ وَفِي كُلِّ الْهِضَابِ مَرْعَاهُمْ" (إش ٤٩: ٩). قالوا: "صَعِدَ اللهُ بِهُتَافٍ" (مز ٤٧: ٥). هكذا أيضاً بنفس الطريقة، طالما أُبطِلَ الموت، وانحلَّت الخطية إلى الأبد، لذلك سوف تكون هناك طريقة للتسبيح تتناسب مع ذلك الزمن؛ لأننا سنُسبِّحه لأجل أعمال عظيمة. وطالما اغتنينا بالصالحات التي تفوق العقل والقول، فبمدائح بهية سوف نكلل مانح كل العطايا، المسيح مع الله الآب. لأنه يقول: "وَأَمَّا النُّبُوَّاتُ فَسَتُبْطَلُ وَالأَلْسِنَةُ فَسَتَنْتَهِي وَالْعِلْمُ فَسَيُبْطَلُ. لأَنَّنَا نَعْلَمُ بَعْضَ الْعِلْمِ وَنَتَنَبَّأُ بَعْضَ التَّنَبُّؤِ. وَلَكِنْ مَتَى جَاءَ الْكَامِلُ فَحِينَئِذٍ يُبْطَلُ مَا هُوَ بَعْضٌ" (١ كو ١٣: ٨ – ١٠). وأيضاً المسيح نفسه قال: "قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا بِأَمْثَالٍ وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ حِينَ لاَ أُكَلِّمُكُمْ أَيْضاً بِأَمْثَالٍ بَلْ أُخْبِرُكُمْ عَنِ الآبِ علاَنِيَةً" (يو ١٦: ٢٥). إذن، فتسبيحنا سوف يكون أكثر سمواً مما هو عليه الآن؛ لأننا سوف ننال،

عندئذ، معرفةً أكثر كمالاً.

بلاديوس: حديثك مقنع جداً.

أثر المشاركة الليتورجية للمذبح

كيرلس: إذن، فبما أنه شرَّع القانون الذي يتناسب مع كل ذبيحة، ووصف بالتفصيل كيف يُنفَّذ، فقد تكلم مباشرةً عن المشاركة الليتورجية للمذبح. لأنه مكتوب الآتي: ''وَقَال الرَّبُّ لِهَارُونَ: ''أَنْتَ وَبَنُوكَ وَبَيْتُ أَبِيكَ مَعَكَ تَحْمِلُونَ ذَنْبَ المَقْدِسِ. وَأَنْتَ وَبَنُوكَ مَعَكَ تَحْمِلُونَ ذَنْبَ كَهَنُوتِكُمْ'' (عدد ١٨: ١). وأضاف إلى هذا، أنه ينبغي عليهم أن يمارسوا أعمالهم المقدسة بعقل يقظ ومنتبه. ''وَقَالَ الرَّبُّ لِهَارُونَ:''هَأَنَذَا قَدْ أَعْطَيْتُكَ حِرَاسَةَ رَفَائِعِي، مَعَ جَمِيعِ أَقْدَاسِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَكَ أَعْطَيْتُهَا، حَقَّ الْمَسْحَةِ وَلِبَنِيكَ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً. هذَا يَكُونُ لَكَ مِنْ قُدْسِ الأَقْدَاسِ مِنَ النَّارِ، كُلُّ قَرَابِينِهِمْ مَعَ كُلِّ تَقْدِمَاتِهِمْ وَكُلِّ ذَبَائِحِ خَطَايَاهُمْ وَكُلِّ ذَبَائِحِ آثَامِهِمِ الَّتِي يَرُدُّونَهَا لِي. قُدْسُ أَقْدَاسٍ هِيَ لَكَ وَلِبَنِيكَ. فِي قُدْسِ الأَقْدَاسِ تَأْكُلُهَا. كُلُّ ذَكَرٍ يَأْكُلُهَا. قُدْساً تَكُونُ لَكَ. وَهذِهِ لَكَ: الرَّفِيعَةُ مِنْ عَطَايَاهُمْ مَعَ كُلِّ تَرْدِيدَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. لَكَ أَعْطَيْتُهَا وَلِبَنِيكَ وَبَنَاتِكَ مَعَكَ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً. كُلُّ طَاهِرٍ فِي بَيْتِكَ يَأْكُلُ مِنْهَا. كُلُّ دَسَمِ الزَّيْتِ وَكُلُّ دَسَمِ الْمِسْطَارِ وَالْحِنْطَةِ، أَبْكَارُهُنَّ الَّتِي يُعْطُونَهَا لِلرَّبِّ، لَكَ أَعْطَيْتُهَا. أَبْكَارُ كُلِّ مَا فِي أَرْضِهِمِ الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا لِلرَّبِّ لَكَ تَكُونُ. كُلُّ طَاهِرٍ فِي بَيْتِكَ يَأْكُلُهَا. كُلُّ مُحَرَّمٍ فِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ لَكَ. كُلُّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ يُقَدِّمُونَهُ لِلرَّبِّ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ، يَكُونُ لَكَ. غَيْرَ أَنَّكَ تَقْبَلُ فِدَاءَ بِكْرِ الإِنْسَانِ. وَبِكْرُ الْبَهِيمَةِ النَّجِسَةِ تَقْبَلُ فِدَاءَهُ. وَفِدَاؤُهُ مِنِ ابْنِ شَهْرٍ تَقْبَلُهُ حَسَبَ تَقْوِيمِكَ فِضَّةً، خَمْسَةَ شَوَاقِلَ عَلَى شَاقِلِ الْقُدْسِ. هُوَ عِشْرُونَ جِيرَةً. لكِنْ بِكْرُ الْبَقَرِ أَوْ بِكْرُ الضَّأْنِ أَوْ بِكْرُ الْمَعْزِ لاَ تَقْبَلْ فِدَاءَهُ. إِنَّهُ قُدْسٌ. بَلْ تَرُشُّ دَمَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَتُوقِدُ شَحْمَهُ وَقُوداً رَائِحَةَ سَرُورٍ لِلرَّبِّ. وَلَحْمُهُ يَكُونُ لَكَ، كَصَدْرِ التَّرْدِيدِ وَالسَّاقِ الْيُمْنَى يَكُونُ لَكَ. جَمِيعُ رَفَائِعِ الأَقْدَاسِ الَّتِي يَرْفَعُهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لِلرَّبِّ أَعْطَيْتُهَا لَكَ وَلِبَنِيكَ وَبَنَاتِكَ مَعَكَ حَقّاً دَهْرِيّاً. مِيثَاقَ مِلْحٍ دَهْرِيّاً أَمَامَ الرَّبِّ لَكَ وَلِزَرْعِكَ مَعَكَ'' (عدد ١٨: ٨ – ١٩).

جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا

من كل ما تقدم يظهر لنا بوضوح تام أن الناموس مَنَحَ الجنس المقدس والمختار كل نوع من أنواع الذبائح والتقدمات، وكذلك التقدُمات التي تقدَّم عن كل إثم وعن كل الخطايا، أي ذبائح الإثم وذبائح الخطية. ولأن اسم الذبائح المقدمة لأجل الخطية هو "ذبيحة خطية"، لذلك استخدم أيضاً بولس الحكيم -ناموسياً- نفس الكلمة على المسيح، قائلاً: "إذاً نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ. لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (٢ كو ٥: ٢٠ - ٢١)؛ لأن الابن -وفق الكتاب (انظر إش ٥٣: ٥ - ٧)- ذُبِحَ لأجل خطايانا كحَمَلٍ بلا عيب[1]. وكون أن الذبائح ذُبحت لأجل خطايانا، لذا فقد أعطاها الناموس اسم "خطية"، فهذا ما أوضحه الله قائلاً بفم الأنبياء للقائمين على الخدمة: "يأكلون خطية شعبي" (هوشع ٤: ٨)، أي أن الذبائح لأجل خطية شعبي ستصبح طعاماً للكهنة. إذاً، فقد أعطى لهؤلاء كل بقية الذبيحة، وأمر أن يصنعوا غذاءهم، وحدد أن يكون ذلك في مكان مقدس: "ومن كل الذكور فقط" (انظر لا ٦: ٢٩). فما هو السبب في هذا؟ لقد تحدثنا بالفعل عنها، فقد قلنا سابقاً، إن باكورة الزيت، والقمح والخمر وفداء الأبكار بفدية، وأيضاً المقدسات، لم تكن فقط للذكور، ولم يكن من الضروري أن يأكلوها داخل الفناء المقدس، بل في بيت الكاهن واضعاً إياها للتلذذ بها، ويأكل منها بناتهم ولكل بنيهم أيضاً.

إذن فمن الضروري أن نلاحظ هذا التمييز، فقد كانت بقايا الذبائح تقتصر -فقط- على كل الذين تقدَّسوا، ولا تتعداهم إلى غيرهم من الذين لم يُخصِّص لهم شيءٌ على وجه التحديد، ولذلك كانوا يأكلونها في مكان مقدس يتناسب معهم. أمَّا كل ما تبقى من التقدمات -كأنها أدنى بطريقةٍ ما- فتؤخذ وتُقدَّم لكل بيت من بيوت القائمين بالخدمة الليتورجية، وكان

١- يؤكد القديس كيرلس نفس الفكرة في رسالته إلى أكاكيوس عن التيس المرسل إلى البرية، حيث يقول: "لهذا صار المسيح ذبيحة عنٍ خطايانا حسب الكتب المقدسة (أنظر ١ كو ١٥: ٣)، ولهذا السبب نقول إنه دُعي خطية، وهكذا يكتب بولس الحكيم جداً: (لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطيةً لأجلنا) ٢ كو ٥: ٢١. والمقصود هنا هو الآب (فهو الذي جعله خطية). لأننا لا نقول إن المسيح صار خاطئاً -حاشا- بل لكونه باراً، وبالحري هو البر نفسه، لأنه لم يعرف خطية، فالآب جعله ذبيحة عن خطايا العالم". راجع: رسائل القديس كيرلس – الجزء الثالث – نصوص الآباء: ٣٤ – ديسمبر ١٩٩٥ – مركز دراسات الآباء، ص٦٥ وما بعدها.

كافياً أن يكون البيت طاهراً، أي غير دنس. ووفقاً للناموس، فإن الطاهر هو مَنْ كان مختتناً، أو مَنْ لم يكن من جنس آخر، أو لا يكون أبرصاً، أو لا يكون مصاباً بالسيلان. بينما وفقاً لهدف الكتاب والأمانة الكنسية، فالطاهر هو مَنْ لم يكن دنساً، أي غير مؤمن، بل وقوراً ومحباً لله. لأن كل الذين انتظموا في الخدمة الإلهية يليق بهم أن يكونوا أصدقاء للنفوس الصالحة والممتلئة من المحبة تجاه الله. يضيف على هذا: "وَكُلُّ قُرْبَانٍ مِنْ تَقَادِمِكَ بِالْمِلْحِ تُمَلِّحُهُ وَلاَ تُخْلِ تَقْدِمَتَكَ مِنْ مِلْحِ عَهْدِ إِلَهِكَ. عَلَى جَمِيعِ قَرَابِينِكَ تُقَرِّبُ مِلْحاً" (لا ٢: ١٣). فقد أمر أن يُحفظ دائماً ما قاله في موضع آخر: "هَلْ يُؤْكَلُ الْمَسِيخُ بِلاَ مِلْحٍ أَوْ يُوجَدُ طَعْمٌ فِي مَرَقِ الْبَقْلَةِ؟" (أيوب ٦: ٦). فالذبيحة تُملَّحُ بملح، وهو ما يعني أنه يجب أن نُقدِّم أنفسنا لله بتعقل، ومجيئنا إليه يكون له قبول أمامه. لأن الخبز لا يؤكل بدون ملح وفق كلام المسيح الذي وجهَّه إلى تلاميذه: "أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ" (مت ٥: ١٣).

بلاديوس: أنت تتحدث باستقامة.

كيرلس: هذه هي النواميس التي بمقتضاها يجب أن يمارس البشر –الذين تقدسوا– العمل المقدس. وللذين أُختيروا قال لهم، إنه من الضروري أن نتجنب المصاحبة الدنسة والإنشغال العالمي، الأمر الذي يكون حتى للعقل الثابت بمثابة مُسكر ويدفع بقوة نحو اللذات المحرَّمة، يوضح ذلك ما قاله لهارون: "خَمْراً وَمُسْكِراً لاَ تَشْرَبْ أَنْتَ وَبَنُوكَ مَعَكَ عِنْدَ دُخُولِكُمْ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِكَيْ لاَ تَمُوتُوا. فَرْضاً دَهْرِيّاً فِي أَجْيَالِكُمْ. وَلِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُقَدَّسِ وَالْمُحَلَّلِ وَبَيْنَ النَّجِسِ وَالطَّاهِرِ. وَلِتَعْلِيمِ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَمِيعَ الْفَرَائِضِ الَّتِي كَلَّمَهُمُ الرَّبُّ بِهَا بِيَدِ مُوسَى". (لا ١٠: ٨ – ١١).

لاحظ إذاً أن اليقظة بالنسبة لهؤلاء تُعد ضرورية، وأن العقل المظلم يسبب الموت، والقلب المحمَّل بالهموم يستولي عليه السُكر الدُنيوي، وبالتالي فقد يقترب البعض من الليتورجية المقدسة، وقد سكروا بدون خمر؛ لأن العقل الذي يسقط في النجاسة يكون غير قادر على السير باستقامة، عندئذٍ تسقط المقدسات، وتفقد الأعمال لياقتها إذا حادت عن الطريق المستقيم. فعندما نُوجد في هذه الحالة، فحتماً نصطدم بالله، حينئذٍ نُعاقَب بعقوبات شديدة بسبب خمولنا.

من الضروري إذن أن نكون في حالة يقظة ملقين عن كاهلنا خمر الهموم العالمية. هذا ما يحذِّرنا منه المخلص نفسه، قائلاً: ''فَاحْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ لِئَلاَّ تَثْقُلَ قُلُوبُكُمْ فِي خُمَارٍ وَسُكْرٍ وَهُمُومِ الْحَيَاةِ فَيُصَادِفَكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ بَغْتَةً'' (لو ٢١: ٣٤). أمَّا كيف نستطيع أن نكون متيقظين، أو كيف نبقى وقورين وطاهرين وبعيدين عن العقاب، فهذا هو ما يعلنه مباشرةً، لأنه يقول: ''وَلِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُقَدَّسِ وَالْمُحَلَّلِ وَبَيْنَ النَّجِسِ وَالطَّاهِرِ. وَلِتَعْلِيمِ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَمِيعَ الْفَرَائِضِ الَّتِي كَلَّمَهُمُ الرَّبُّ بِهَا بِيَدِ مُوسَى'' (لا١٠: ١٠ - ١١). هذا يعني بوضوح أن تجنب الكهنة للسُّكر هو ابتعادهم عن البشر عديمي التقوى وغير الطاهرين، لا القديسين. وهو ما يمكن للمرء أن يحققه بسهولة تامة إذا كان وقوراً طاهراً؛ لأنه يقول: ''كُلُّ حيوانٍ يُحِبُّ شبيهَهُ، وكذلِكَ الإنسانُ يُحِبُّ مَثيلَهُ. كُلُّ مَخلوقٍ حَيٍّ يُخالِطُ نوعَهُ، وكذلِكَ الإنسانُ يُلازِمُ أبناءَ جِنْسِهِ'' (يشوع بن سيراخ ١٣: ١٥ - ١٦)، فيما عدا هذا يجب أن نكون حكماء ومعلمين، فإن مَن يكون مدبراً للقطيع العقلي عليه أن يكون يقظاً ومعلماً. وحسناً قال: ''وَلِتَعْلِيمِ بَنِي إِسْرَائِيلَ''، لكي يستطيع السامعون أن يدركوا أن الناموس مربٌّ هو، وأنه ينبئ بسر المسيح. لأنه لا شيء صعب الفهم، فنحن نحتاج -فقط- إلى الشرح لو أن شيئاً ما لم يُدرك روحياً.

إن كلمة التاريخ المقدس هي كلمة بسيطة جداً وخالية من الغموض.

المقالة الثالثة عشر

تكميلاً لموضوع الكهنوت

الشرائع الخاصة باللاويين

كيرلس: إن ما تحدثنا به حتى الآن كان خاصاً بالكهنة وهارون. لكن ينبغي أن نضيف أيضاً الشرائع الخاصة باللاويين، لأننا لم نتحدث عنها. وبذلك يصير عرضنا للموضوع مناسباً.

بلاديوس: تحدث إذاً بوضوح؛ لأنك مستقيم الفكر.

كيرلس: عندما أراد أن يضع نظاماً ممتازاً لتقديم الذبائح، وضع طغمة اللاويين تحت سلطة رئيس الكهنة قائلاً في سفر العدد الآتي: "وَقَال الرَّبُّ لِمُوسَى: "لِلاوِيِّينَ تقُولُ: مَتَى أَخَذْتُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل العُشْرَ الذِي أَعْطَيْتُكُمْ إِيَّاهُ مِنْ عِنْدِهِمْ نَصِيباً لكُمْ ترْفَعُونَ مِنْهُ رَفِيعَةَ الرَّبِّ: عُشْراً مِنَ العُشْرِ. فيُحْسَبُ لكُمْ. إِنَّهُ رَفِيعَتُكُمْ كَالحِنْطَةِ مِنَ البَيْدَرِ وَكَالمِلءِ مِنَ المِعْصَرَةِ. فَهَكَذَا ترْفَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً رَفِيعَةَ الرَّبِّ مِنْ جَمِيعِ عُشُورِكُمُ التِي تَأْخُذُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل. تعْطُونَ مِنْهَا رَفِيعَةَ الرَّبِّ لِهَارُونَ الكَاهِنِ. مِنْ جَمِيعِ عَطَايَاكُمْ ترْفَعُونَ كُل رَفِيعَةِ الرَّبِّ مِنَ الكُلِّ دَسَمَهُ المُقَدَّسَ مِنْهُ. وَتقُولُ لهُمْ: حِينَ ترْفَعُونَ دَسَمَهُ مِنْهُ يُحْسَبُ لِلاوِيِّينَ كَمَحْصُولِ البَيْدَرِ وَكَمَحْصُولِ المِعْصَرَةِ. وَتأْكُلُونَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْتُمْ وَبُيُوتُكُمْ لأَنَّهُ أُجْرَةٌ لكُمْ عِوَضَ خِدْمَتِكُمْ فِي خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ. وَلا تتَحَمَّلُونَ بِسَبَبِهِ خَطِيَّةً إِذَا رَفَعْتُمْ دَسَمَهُ مِنْهُ. وَأَمَّا أَقْدَاسُ بَنِي إِسْرَائِيل فَلا تُدَنِّسُوهَا لِئَلا تمُوتُوا " (عد ١٨: ٢٥ - ٣٢).

أرأيت كيف يظهرُ سرُ المسيح في الظلال ويلمعُ في الأمثلة؟ ولذلك يقول بولس الطوباوي: "الآخِذَ الأَعْشَارَ قَدْ عُشِّرَ" (عب ٧: ٩). لكن هذا المثال آنذاك كان عن ملكي صادق، بينما في زمن موسى حُفظ المثال لهارون الذي يشير إلى المسيح كاهن الكهنة، الرئيس والمدبر للخيمة المقدسة،



أي للكنيسة، قدوس القديسين إله الآلهة، والذي ندين له بكل ثمر. لأنه مكتوب: ''أَنْذُرُوا وَأَوْفُوا لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ يَا جَمِيعَ الَّذِينَ حَوْلَهُ'' (مز ٧٦: ١١). فكما يُعَبَّر عن التعاليم الموسوية بالأمثال، هكذا الآن يُفرِّح حُراس التعاليم الإنجيلية الأصلاء، فاديهم بثمار روحية.

بلاديوس: أنت تتحدث بصوابٍ.

كيرلس: وكون أن سبط لاوي هو سبطٌ مختارٌ ومميَّزٌ عن الآخرين، فهذا ما أظهره عندما أمر أن يُحصى الشعب ويُحسب الجمع بدقةٍ، ليس لأن الخالق يجهل هذا الأمر، لأنه مكتوب: ''مَنْ يَعُدُّ رملَ البِحَارِ، مَنْ يَعُدُّ قَطَراتِ المطَرِ وأيّامَ الدَّهرِ'' (حكمة بن سيراخ ١: ٢)، ولا لأن أحداً يستطيع أن يفلت من العقل الأزلي، لكنه أمر بهذا لكي يعلموا -بشكل واضح تماماً- أن الذين هم بالقرب من الله، وقد دُعُوا شعبه، يُكتبون في سفر الحياة[1] بيد الله، وينضمون إلى عارفيه ويوجدون في ذاكرة الرب.

وعندما تم تسجيل الشعب، لم يحسب الله الجنس المختار المقدس في نفس المستوى، لكنه حفظ له نصيبه منفصلاً عن الكل، قائلاً لموسى الحكيم: ''أَمَّا سِبْطُ لاوِي فَلا تَحْسِبْهُ وَلا تَعُدَّهُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيل'' (عدد ١: ٤٩). لأن قُرعة القديسين مميزة وكرامتهم فائقة. وربما تم تسجيل أسمائهم في كتب أخرى؛ لأن دانيال العظيم لم يرَ كتاباً واحداً، بل كما يقول هو نفسه: ''وفُتِحَت الأسفار'' (دا ٧: ١٠).

اختصاصات سبط لاوي

إذن فقد تم التسجيل بحسب نوعية كل واحد. ولذلك استقل السبط الذي أُعطى له القيام بالخِدمات المقدسة عن بقية الشعب. وأوضح طريقة تقديم الخدمة المقدسة بواسطة اللاويين قائلاً: ''قَدِّمْ سِبْطَ لاوِي وَأَوْقِفْهُمْ قُدَّامَ هَارُونَ

١-التسجيل المنظور في سجلات الكنيسة للمعمدين هو صورة لتسجيل المختارين في الألواح السماوية. هذه الفكرة نجدها في (خروج ٣٢ :٣١، ٣٢): ''فرجع موسى الي الرب وقال آه قد اخطأ هذا الشعب خطية عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب والآن أن غفرت خطيتهم. والإ فامُحني من كتابك الذي كتبت'' وفي(لوقا ١٠ :٢٠) يقول المسيح للتلاميذ: ''ولكن لا تفرحون لهذا أن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كتبت في السموات'' وفي (رؤيا ٣ :٥): ''من يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضا ولن أمحو اسمه من سفرِ الحياة وسأعترف باسمه أمام أبي وأمام ملائكته''. وشهادة الليتورجيا القبطية واضحة فيصلي الكاهن علي المُعمد قائلاً: ''أنت دعوت عبيدك هؤلاء باسمك القدوس المبارك اكتب أسماءهم في كتابك واحسبهم مع شعبك وخائفيك'' صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة، ص ٣١.

الكَاهِنِ وَلِيَخْدِمُوهُ. فَيَحْفَظُونَ شَعَائِرَهُ وَشَعَائِرَ كُلِّ الجَمَاعَةِ قُدَّامَ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ وَيَخْدِمُونَ خِدْمَةَ المِسْكَنِ. فَيَحْرُسُونَ كُل أَمْتِعَةِ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ وَحِرَاسَةَ بَنِي إِسْرَائِيل وَيَخْدِمُونَ خِدْمَةَ المِسْكَنِ. فَتُعْطِي اللاوِيِّينَ لِهَارُونَ وَلِبَنِيهِ. إِنَّهُمْ مَوْهُوبُونَ لهُ هِبَةً مِنْ عِنْدِ بَنِي إِسْرَائِيل. وَتُوَكِّلُ هَارُونَ وَبَنِيهِ فَيَحْرُسُونَ كَهَنُوتَهُمْ. وَالأَجْنَبِيُّ الذِي يَقْتَرِبُ يُقْتَلُ" (عد ٣: ٦ – ١٠).

إذن فقد سُمح للاويين أن يكونوا عاملين ومساعدين للقائمين على الخدمة المقدسة؛ لأنه يجب عليهم أن يحرسوا في مكان هارون ومعهم كل أواني خيمة الشهادة، وكل ما ينبغي أن يحرسه بني إسرائيل. لقد اشتملت طريقة الخدمة حتى مثل هذه الأعمال. لكنه يحدد أيضاً مدبري الخيمة، هارون وأولاده، لأنه يقول: "وَكُلُّ كَاهِنٍ يَقُومُ كُلَّ يَوْمٍ يَخْدِمُ وَيُقَدِّمُ مِرَاراً كَثِيرَةً تِلْكَ الذَّبَائِحَ عَيْنَهَا" (عب ١٠: ١١). أي أنهم يقومون بالأعمال السرية والسرائرية، وكل ما اعتاد أن يفعله أولئك الذين يخدمون المذبح الإلهي. ويذكر رمزاً واضحاً للمسيح الذي وضعه الله مدبراً على بيته، وبيته هو نحن[1]. والذين كانوا يعاونون هارون في الخدمة كانوا يشيرون بوضوح إلى جماعة الرُسل القديسين، هذا الصف المقدس من الجنود الجدير بالإعجاب، الذين عملوا واشتركوا في العمل مع المسيح، لأنهم كانوا عاملين (انظر ١ كو ٣: ٩)، ووكلاء ومدبري أسرار الله (انظر ١ كو ٤: ١)، وأيضاً خُداماً (انظر ٢ كو ٣: ٦)، الذين بواسطتهم آمنَّا نحن. فإذا أراد أحدُ أن يفحص بالتفصيل أيضاً ترتيب الكنيسة، فسوف يندهش ويُعجب بصورتها في الناموس. فقد قال آنذاك للأساقفة أنهم رؤساء، أمَّا أولئك الذين يقودون الرتبة الأدنى أقصد الكهنة، فقد سُلِّم لهم المذبح والحجاب الداخلي، إذ يليق بهم ما قاله لهم: "فَيَحْفَظُونَ شَعَائِرَهُ وَشَعَائِرَ كُلِّ الجَمَاعَةِ قُدَّامَ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ وَيَخْدِمُونَ خِدْمَةَ المِسْكَنِ" (عدد ٣: ٧). أما للخُدام يقول: "فَيَحْرُسُونَ كُل أَمْتِعَةِ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ وَحِرَاسَةِ بَنِي إِسْرَائِيل وَيَخْدِمُونَ خِدْمَةَ المِسْكَنِ" (عدد ٣: ٨). ربما لم يُعطِ هؤلاء تعليماتهم لينادوا في الكنائس، إنه يجب على المؤمنين أن يُسبِّحوا وقوفاً بوقار، وأن يتحلوا بالهدوء، أو يحرضوهم على الصلوات، ولكن ألم

١ـ "لأَنَّ كُلَّ بَيْتٍ يَبْنِيهِ إِنْسَانٌ مَا، وَلَكِنَّ بَانِيَ الْكُلِّ هُوَ اللهُ. وَمُوسَى كَانَ أَمِيناً فِي كُلِّ بَيْتِهِ كَخَادِمٍ، شَهَادَةً لِلْعَتِيدِ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِهِ. وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَكَابْنٍ عَلَى بَيْتِهِ. وَبَيْتُهُ نَحْنُ إِنْ تَمَسَّكْنَا بِثِقَةِ الرَّجَاءِ وَافْتِخَارِهِ ثَابِتَةً إِلَى النِّهَايَةِ" (عب ٣: ٤ ـ ٦).



يجمع هؤلاء الأواني المقدسة بعد رفع الذبيحة غير الدموية، ويحفظون بحرص كل ما هو ضروري؟

بلاديوس: بالتأكيد هؤلاء يفعلون هذه الأمور.

كيرلس: حسناً. الرؤساء يخدمون الخدمة المقدسة، أما اللاويون فيساعدون في الخِدمات الكنسية المقدسة وفق ما أمر به الناموس. وعلى النقيض يُمنع الشعب من أي شيء مقدس، وكل مَنْ يسرق هذه الكرامة يُفرض عليه عقاب شديد. لأنه يقول: ''وَالأَجْنَبِيُّ الذِي يَقْتَرِبُ يُقْتَلُ''.

بلاديوس: هذا حق.

كيرلس: إذن فسبط لاوي لم يُدرج في التسجيل مع القبائل الأخرى، بل تم تسجيله وحده في كتاب الله، لأنه يقول: ''وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ قَائِلاً: عُدَّ بَنِي لاَوِي حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ. كُلَّ ذَكَرٍ مِنِ ابْنِ شَهْرٍ فَصَاعِداً تَعُدُّهُمْ. فَعَدَّهُمْ مُوسَى حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَمَا أُمِرَ. وَكَانَ هؤُلاَءِ بَنِي لاَوِي بِأَسْمَائِهِمْ: جَرْشُونُ وَقَهَاتُ وَمَرَارِي. وَهذَانِ اسْمَا ابْنَيْ جَرْشُونَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمَا: لِبْنِي وَشِمْعِي. وَبَنُو قَهَاتَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ: عَمْرَامُ وَيِصْهَارُ وَحَبْرُونُ وَعُزِّيئِيلُ. وَابْنَا مَرَارِي حَسَبَ عَشَائِرِهِمَا: مَحْلِي وَمُوشِي. هذِهِ هِيَ عَشَائِرُ اللاَّوِيِّينَ حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمْ'' (عد٣: ١٤ - ٢٠).

انتبه الآن يا بلاديوس إلى هذه الملاحظة الدقيقة قبل أي شيء آخر: لقد أُحصي الشعب من سن عشرين سنة فصاعداً؛ لأن الدقة الناموسية اقتضت ألَّا يُسجَّل في سفر الله إلَّا القوي وغير الضعيف من بين الشعب. أي أن كل من يحيون في قوة روحية[1] هم فقط الذين يمكنهم أن ينضموا إلى قائمة القديسين. إذن فالناموس يعطي صورةً مناسبةً للنضج الروحي والجسدي، فكل الذين كانوا فقط في زهرة العمر حَسِبَهم ضمن المختارين، أمَّا الذين لم يصلوا بعد إلى سن النضج، بل كانوا أطفالاً ضعفاء، فلم يضمهم في السفر المقدس. أمَّا بالنسبة للاويين، فقد تم تسجيلهم من ابن شهر فصاعداً؛ لأن رب الكل قَبِلَ بفرحٍ شديد مختاريه الذين حُسبوا

١- القديس يوحنا ذهبي الفم، أثناء حديثه عن يشوع، يشدد على أن القوة الحقيقية هي قوة نعمة العهد الجديد وليست قوة الناموس، إذ يقول: ''هذا (أي يشوع)، أدخلِ الشعب أرض الموعد، كما أدخل يسوع البشر إلي السماء فالناموس لم يُدخِل الشعب للسماء، ولا موسي، بل بقي خارجاً. لم يكن للناموس قوة لكي يُدخِل، بل القوة كانت للنعمة'' تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ٣٥٧.

أطفالاً بحسب المسيح[1]، مثلهم مثل الناضجين؛ لأن المرء لا ينقسم إلى اثنين بل يُحسب طفلاً وناضجاً في آن واحد، أقصد في الفهم وفي البساطة بحسب المسيح. ولذلك يقول بولس العظيم: "أَيُّهَا الإِخْوَةُ لاَ تَكُونُوا أَوْلاَداً فِي أَذْهَانِكُمْ بَلْ كُونُوا أَوْلاَداً فِي الشَّرِّ وَأَمَّا فِي الأَذْهَانِ فَكُونُوا كَامِلِينَ" (١ كو ١٤: ٢٠). والمسيح نفسه يقول: "فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ" (مت ١٠: ١٦). إذن، فبساطة القديسين هي المقبولة.

وبالطبع، فقد تم التعداد بحسب الأسباط والآباء؛ لأن كل الذين يختارهم الله نفسه يكرمهم هو نفسه بتسجيله إياهم، كل واحد منهم على انفراد، وبحسب موقعه بين الشعب، وبحسب موقعه في السبط. وقد أوضح المخلص نفسه معنى هذا الحديث الدقيق للرسل القديسين قائلاً: "أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحَتَّى شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ" (مت ١٠: ٢٩ – ٣٠).

بلاديوس: أنت تتحدث باستقامة.

كيرلس: فيما عدا ما أشرنا إليه من تسجيل للاويين، فقد شرَّع أن يتم تسجيلاً ثانياً يُحدد فيه (الخدمة)[2] التي تتناسب مع كل واحد من هؤلاء، قائلاً: "خُذْ عَدَدَ بَنِي قَهَاتَ مِنْ بَيْنِ بَنِي لاَوِي حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ وَبُيُوتِ آبَائِهِمْ، مِنِ ابْنِ ثَلاَثِينَ سَنَةً فَصَاعِداً إِلَى ابْنِ خَمْسِينَ سَنَةً، كُلَّ دَاخِلٍ فِي الْجُنْدِ لِيَعْمَلَ عَمَلاً فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. هذِهِ خِدْمَةُ بَنِي قَهَاتَ فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ: قُدْسُ الأَقْدَاسِ. يَأْتِي هَارُونُ وَبَنُوهُ عِنْدَ ارْتِحَالِ الْمَحَلَّةِ وَيُنَزِّلُونَ حِجَابَ السَّجْفِ وَيُغَطُّونَ بِهِ تَابُوتَ الشَّهَادَةِ، وَيَجْعَلُونَ عَلَيْهِ غِطَاءً مِنْ جِلْدِ تُخَسٍ، وَيَبْسُطُونَ مِنْ فَوْقُ ثَوْباً كُلُّهُ أَسْمَانْجُونِيٌّ، وَيَضَعُونَ عِصِيَّهُ. وَعَلَى مَائِدَةِ الْوُجُوهِ يَبْسُطُونَ ثَوْبَ أَسْمَانْجُونٍ، وَيَضَعُونَ عَلَيْهِ الصِّحَافَ

١- وصف القديس إيرينيوس الإنسان الأول قبل السقوط بأنه كان طفلاً إيمانياً مدعواً للنضج والكمال، إذ يقول: "وإذ جعل الإنسان (آدم) سيداً على الأرض وكل شئ فيها، فإنه جعله كذلك سيداً على الكائنات التي كان ينبغي أن تخدمه. ولكن بينما كانت هذه الكائنات الأخيرة في قمة قوتها، كان سيدها أي الإنسان لا يزال صغيراً، كان طفلاً عليه أن ينمو لكي يحقق كماله" الكرازة الرسولية، فقرة ١٢، ص ٧٦. هذه الدعوة تحدث عنها القديس باسيليوس الكبير الذي نادى بأن الهبات الإلهية ترمى إلى إصعاد الإنسان إلى حالة الكمال، أي الصعود من الخلق بـ"حسب الصورة" إلى "حسب المثال"، بمعنى تحقيق كل إمكانيات الصورة. وهذا الصعود مستمر ودائم مثل عطايا الله التي هي دائمة ومتجدّدة بالروح القدس. أنظر القديس باسيليوس الكبير، الله ليس مسبباً للشرور، PG31. 345، لاحظ نفسك PG31. 212B-213A، أيضاً عن الروح القدس PG32: 109BC.

٢- الكلمة في الأصل هي الليتورجية، وهي تعني العمل الجماعي، وبالتالي فهو يقصد عمل كل فرد على حدة ضمن عمل الجماعة، باعتبار أن العمل في النهاية جهد مشترك على مستوى الخدمة.

وَالصُّحُونَ وَالأَقْدَاحَ وَكَاسَاتِ السَّكِيبِ، وَيَكُونُ الْخُبْزُ الدَّائِمُ عَلَيْهِ، وَيَبْسُطُونَ عَلَيْهَا ثَوْبَ قِرْمِزٍ وَيُغَطُّونَهُ بِغِطَاءٍ مِنْ جِلْدِ تُخَسٍ وَيَضَعُونَ عِصِيَّهُ. وَيَأْخُذُونَ ثَوْبَ أَسْمَانْجُونِيٍّ وَيُغَطُّونَ مَنَارَةَ الضَّوْءِ وَسُرُجَهَا وَمَلاَقِطَهَا وَمَنَافِضَهَا وَجَمِيعَ آنِيَةِ زَيْتِهَا الَّتِي يَخْدِمُونَهَا بِهَا. وَيَجْعَلُونَهَا وَجَمِيعَ آنِيَتِهَا فِي غِطَاءٍ مِنْ جِلْدِ تُخَسٍ، وَيَجْعَلُونَهُ عَلَى الْعَتَلَةِ. وَعَلَى مَذْبَحِ الذَّهَبِ يَبْسُطُونَ ثَوْبَ أَسْمَانْجُونِيٍّ، وَيُغَطُّونَهُ بِغِطَاءٍ مِنْ جِلْدِ تُخَسٍ وَيَضَعُونَ عِصِيَّهُ. وَيَأْخُذُونَ جَمِيعَ أَمْتِعَةِ الْخِدْمَةِ الَّتِي يَخْدِمُونَ بِهَا فِي الْقُدْسِ، وَيَجْعَلُونَهَا فِي ثَوْبِ أَسْمَانْجُونِيٍّ وَيُغَطُّونَهَا بِغِطَاءٍ مِنْ جِلْدِ تُخَسٍ، وَيَجْعَلُونَهَا عَلَى الْعَتَلَةِ. وَيَرْفَعُونَ رَمَادَ الْمَذْبَحِ، وَيَبْسُطُونَ عَلَيْهِ ثَوْبَ أُرْجُوَانٍ، وَيَجْعَلُونَ عَلَيْهِ جَمِيعَ أَمْتِعَتِهِ الَّتِي يَخْدِمُونَ عَلَيْهِ بِهَا: الْمَجَامِرَ وَالْمَنَاشِلَ وَالرُّفُوشَ وَالْمَنَاضِحَ، كُلَّ أَمْتِعَةِ الْمَذْبَحِ، وَيَبْسُطُونَ عَلَيْهِ غِطَاءً مِنْ جِلْدِ تُخَسٍ، وَيَضَعُونَ عِصِيَّهُ. وَمَتَى فَرَغَ هَارُونُ وَبَنُوهُ مِنْ تَغْطِيَةِ الْقُدْسِ وَجَمِيعِ أَمْتِعَةِ الْقُدْسِ عِنْدَ ارْتِحَالِ الْمَحَلَّةِ، يَأْتِي بَعْدَ ذلِكَ بَنُو قَهَاتَ لِلْحَمْلِ وَلكِنْ لاَ يَمَسُّوا الْقُدْسَ لِئَلاَّ يَمُوتُوا. ذلِكَ حِمْلُ بَنِي قَهَاتَ فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ" (عدد ٤: ٢ - ١٥).

وإذا كان التسجيل من عمر شهر فصاعداً، يُعلِّم بأن براءة القديسين تكون مفرحة ومقبولة من الله، فإن توزيع الأعمال المقدسة، بحسب حدود العُمر بواسطة الناموس، من خمسٍ وعشرين سنةً حتى خمسين عاماً، يُعلن أن الذين يمارسون خدمة الله الحسنة والفائقة هم بالفعل الفاهمون الناضجون، والذين هم على أعتاب الفهم والنضوج. ومن هؤلاء الذين هم في الخامسة والعشرين من عمرهم وكل مَن وصل إلى الخمسين. أما الذي تعدَّى سن الخمسين فيكون قد استنفذ قوته، ولم يعُد بعدُ محصَّناً من الأهواء، بل ينزلق تدريجياً في أهواء العجائز. فلا أحدٌ ضعيف الفهم أو ضعيف الجسد يمكنه أن يخدم الله بشكل تام. إن ما قلناه صحيح؛ لأن أعمال الفكر القوي هي كل ما يرمي إلى ممارسة الفضيلة، والمشرع مدح هذه الأعمال.

بلاديوس: هكذا أعتقد.

خدمة بني قهات

كيرلس: أمَّا الخدمة الموكلة للذين ينتمون لبني قهات، فقد كانت أن ينقلوا كل ما يخص قدس الأقداس بعدما يكون الكهنة قد قاموا أولاً بتغطيته. لأن

الأولين في الرتبة يكونون هم دائماً المتقدمون في الكرامة، وكل ما يخص الله يكون مرتباً ومنظماً[1]، ولا يوجد هناك فوضى على الإطلاق. وقد انضم سبط لاوي إلى الخدمة، فقد حمل على كاهله الواجبات المقدسة للكهنة الأكثر علواً في الرتب، فكان عليهم أن يغطُّوا كلاً من تابوت العهد والمذبح الذهبي، وكذلك المنارة والأواني الليتورجية بالجلود وبثوبٍ أسمانجوني؛ لأن اللون الأسمانجوني يعني كل ما هو سمائي، وما هو فوق. لأن هذا اللون هو لون الأثير الذي فوقنا بعمقه غير المتناهي. أمَّا كون أن الأواني المقدسة هي مثالٌ للمسيح الذي أتى من العلو ومن السماء، فهذا ما برهنَّا عليه بالفعل بحديث مُطوَّل.

وعلى المائدة -إضافة إلى الأسمانجوني المبسوط عليها- يوجد أيضاً ثوبُ قرمزي مثل الفادي الذي ارتدى ثوباً من بروفير فوق الأغطية الأسمانجونية[2]. كما تشير المائدة حيث يُوضع الخبز إلى الذبيحة غير الدموية، التي بها نأخذ البركة، متناولين الخبز السماوي، أي المسيح الذي أخذ شكلنا، بالرغم من أنه كان ويكون وسيظل هكذا، الله الذي أتى من العلاء ومن الآب وهو فوق الكل كملك ورب الكل. ويشير الثوب المبسوط على المائدة، أي الثوب القرمزي الذي غُطِّيت به المائدة، إلى مملكة المسيح. فقد غطَّوا مذبح المحرقات بثوب قرمزي، والثوب المصبوغ بالأحمر نقبله على أنه مِثالٌ للدم؛ لأن المسيح ذُبح بسببنا ولأجلنا، وصعد إلى المذبح الإلهي مثل حملٍ كرائحة زكية لله الآب (انظر أف ٥: ٢). ومع الثوب الأسمانجوني يكون غطاء المرحضة كله بورفير أحمر. فالمرحضة تصوِّر المعمودية المقدسة التي تغسلنا بالماء المقدس لغفران الخطايا، وتنقلنا إلى ملكوت السموات. وأمَّا أن المعمودية هي من العلو ومن السماء، فهذا ما يشير إليه اللون الأسمانجوني. أعتقد أنني أتحدث حسناً عن الرؤى الروحية والمعرفية الصعبة، أليس كذلك؟

بلاديوس: أنت تتحدث حسناً جداً.

١- يقول الرسول بولس: " فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ غَائِباً فِي الْجَسَدِ لَكِنِّي مَعَكُمْ فِي الرُّوحِ، فَرِحاً، وَنَاظِراً تَرْتِيبَكُمْ وَمَتَانَةَ ايمَانِكُمْ فِي الْمَسِيحِ " كو٢:٥.

٢- لاحظ كيف يرى القديس كيرلس المسيح إلهاً متجسداً من خلال الرموز والأمثال، فالأسمانجوني يشير إلى أقنوم الكلمة من فوق، وثوب البروفير يشير إلى الجسد المأخوذ من الطبيعة البشرية.



خدمة بني جرشون وبني مراري

كيرلس: إذاً فهذه كانت خدمة أبناء قهات. أمَّا بني جرشون وبني مراري، فيتم تسجيلهم بنفس الطريقة، من سن خمسة وعشرين سنة حتى الخمسين، بالاسم بحسب العشيرة والآباء. وكانت خدمة عشيرة جرشون تنصب على جلود الخيمة والأغطية، وستائر الأبواب، وستائر الفِناء، فهذا هو المكتوب. أمَّا عمل بني مراري (وهؤلاء كانوا أبناء قسم صغير من اللاويين)، فكان أعمدة الخيمة والقواعد وأوتادها وأعمدة الدار حواليها وفُرضها وأوتادها وأطنابها مع كل أمتعتها وكل خدمتها، ولا شيء غير ذلك. وأبناء جرشون وبني مراري ينقلون دائماً كل ما أُسند لهم من خدِمات على عجلات، بينما بني قهات يسيرون حاملين خدمة القدس على أكتافهم. لأنه مكتوب هكذا في سفر العدد: ''قَرَّبَ رُؤَسَاءُ إِسْرَائِيلَ، رُؤُوسُ بُيُوتِ آبَائِهِمْ، هُمْ رُؤَسَاءُ الأَسْبَاطِ الَّذِينَ وَقَفُوا عَلَى الْمَعْدُودِينَ. أَتَوْا بِقَرَابِينِهِمْ أَمَامَ الرَّبِّ: سِتَّ عَجَلاَتٍ مُغَطَّاةً، وَاثْنَيْ عَشَرَ ثَوْراً. لِكُلِّ رَئِيسَيْنِ عَجَلَةٌ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ ثَوْرٌ، وَقَدَّمُوهَا أَمَامَ الْمَسْكَنِ. فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: خُذْهَا مِنْهُمْ فَتَكُونَ لِعَمَلِ خِدْمَةِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، وَأَعْطِهَا لِلاَّوِيِّينَ، لِكُلِّ وَاحِدٍ حَسَبَ خِدْمَتِهِ. فَأَخَذَ مُوسَى الْعَجَلاَتِ وَالثِّيرَانَ وَأَعْطَاهَا لِلاَّوِيِّينَ: اثْنَتَانِ مِنَ الْعَجَلاَتِ وَأَرْبَعَةٌ مِنَ الثِّيرَانِ أَعْطَاهَا لِبَنِي جَرْشُونَ حَسَبَ خِدْمَتِهِمْ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الْعَجَلاَتِ وَثَمَانِيَةٌ مِنَ الثِّيرَانِ أَعْطَاهَا لِبَنِي مَرَارِي حَسَبَ خِدْمَتِهِمْ بِيَدِ إِيثَامَارَ بْنِ هَارُونَ الْكَاهِنِ. وَأَمَّا بَنُو قَهَاتَ فَلَمْ يُعْطِهِمْ، لأَنَّ خِدْمَةَ الْقُدْسِ كَانَتْ عَلَيْهِمْ، عَلَى الأَكْتَافِ كَانُوا يَحْمِلُونَ''.(عدد ٧: ٢ – ٩). ألم تسمع أن العادة السائدة كانت أن هؤلاء يحملون خدِماتهم على العجلات، بينما بني قهات كانوا ينقلون المقدسات على أكتافهم؟

بلاديوس: لماذا يفعلون هكذا؟

كيرلس: إن القديسين المتفوقين هم أكثر مَن يبذلون أقصى جهد وعرق[1]، ونتيجةً لذلك تجدهم يتعبون ويتحملون آلاماً شديدة، ولذلك فهم لا يتساوون مع الآخرين، إنهم أكثر قداسة وأقرب من الله. أليس ما أقوله حقٌ؟

١- الإنسان المسيحي –يؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم– مثل المصارع الحريص على بذل الجهد في المصارعة والمنافسة، إذ يقول: ''فإذا كان التدريب الجسدي، يتطلب هذا القدر من الإختبار لصفات المتسابق، فكم يكون الأمر هنا، حيث الجهاد روحي والمنافسات روحية؟'' تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ٢٦٠

بلاديوس: بالتأكيد هو حق.

كيرلس: بهذا الترتيب يخدم سبط لاوي، وأظن، أنا على الأقل، أن هذا الأمر هو بمثابة مثال للسر.

بلاديوس: ماذا تعني؟

معنى خدمة بني جرشون وبني مراري

كيرلس: يبدو أن العشيرتين: جرشون وبني مراري، يشيران إلى شعب الناموس، أقصد إلى بني إسرائيل. أمَّا بني قهات فيشيرون إلى كل من تقدَّس في اسم المسيح بالإيمان. فأولئك اعتنوا بستائر الدار وجلود الخيمة والأغطية والأعمدة والألواح والقواعد والأوتاد والعوارض، وقد كانت -كما يقول الكتاب- "كلها من النوافل"، وبهذا يُعلن كل ما كان غير ضروري في الليتورجية. أمَّا الآخرون (بني قهات) فقد عُيِّنوا ليحملوا القُدسات، وبتلك الموجودة في قدس الأقداس، يُعلَن المسيح ليس بطريقة واحدة، بل بطرقٍ كثيرة ومتنوعة مثل تابوت العهد والمائدة والمنارة الذهبية والمذبح الذهبي؛ لأن الله بينما هو بسيط في طبيعته، إلَّا أنه يُعرَف بتنوع العمل بطرق كثيرة. ونحن نقر أن كلمة الآب حيٌّ وفعَّال (انظر عب ٤: ١٢)[١]، فهو الحياة، كما أنه هو أيضاً النور، وهو الرائحة الزكية والروحية.

إذن، كل الذين يقتربون منه بوصايا موسى، فإنهم يخدمون خدمة نوافل (الزائدة)، أي أن الناموس هو بلا نفع، إن لم يُدرك روحياً[٢]. أمَّا كل الذين

١ـ سبق للقديس أثناسيوس شرح الفرق بين كلمة البشر وكلمة الآب، قائلاً: "وكلمة البشر تتركب من مقاطع وهى لا تحيا ولا تعمل شيئاً، بل تعبر فقط عن قصد المتكلم. وبمجرد أن تخرج من الفم تضيع ولا تظهر بعد حيث أنها لم تكن موجودة إطلاقاً قبل أن يُنطَق بها، ولهذا فهى لا تحيا ولا تعمل شيئاً. وهى ليست انساناً إطلاقاً. بل يحدث لها هذا ـ كما سبق أن قلت ـ لأن الانسان الذى ولدها طبيعته نفسها هي من العدم. أما كلمة الله فهو ليس مجرد كلمة منطوقة مثلاً قد يقول أحد، ولا هو همس كلمات. وليس "الابن" هو أمر صادر من الله، بل هو كإشعاع النور مولود كامل من كامل. ولهذا فهو الله كما أنه صورة الله. لأنه مكتوب "وكان الكلمة الله" (يو ١:١). فى حين أن كلام البشر لا يستطيع أن يعمل شيئاً، ولهذا فإن الانسان لا يعمل بواسطة الكلمات، بل بيديه. لأن يديه لهما وجود أما كلمته فليس لها وجود فعال. لكن كلمة الله يقول الرسول: "كلمة الله حيٌّ وفعال. وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارق إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميز لأفكار القلب ونياته. ولا توجد خليقة غير ظاهرة أمامه، بل كل شئ مكشوف وعريان لعينى ذاك الذى نقدم له الحساب" (فهو إذن خالق "وبغيره لم يكن شئ واحد"، ولا يمكن أن شيئاً يكون بدونه" ضد الآريوسيين ٢:٣٥.

٢ـ أيضاً في موضع آخر أثناء حديث القديس كيرلس عن مياة ماره يوضح أن الناموس كحرف ميت وحي روحياً، إذ يقول: "ا كان بولس الطوباوي يُسمى وصايا موسى الحكيم خدمة الدنيونة. وحقاً قال الآتي: " لأَنَّهُ إِنْ كَانَتْ خِدْمَةُ الدَّيْنُونَةِ مَجْداً، فَبِالأَوْلَى كَثِيراً تَزِيدُ خِدْمَةُ الْبِرِّ فِي مَجْدٍ!" (٢كو٣:٩). وأيضاً قال: "الَّذِي جَعَلَنَا كُفَاةً لأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ. لا



تولوا –بدالةٍ– خدمة القُدسات، فهم قديسون بنعمة المسيح، وليس شيءٌ نافلٌ لديهم؛ لأنهم يحملون عمانوئيل نفسه.

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب.

كيرلس: انتبه الآن، لأمر آخر إذا أردت.

بلاديوس: ماذا تعني؟

كيرلس: إن أولئك الذين تولوا حمل زوائد الخيمة المقدسة، حملوها على العجلات. أمَّا بني قهات فكانوا يسيرون واضعين القُدسات ليس فوق عجلاتٍ ولا بطريقة أخرى، بل فوق أكتافهم.

بلاديوس: وماذا يعني هذا؟

كيرلس: يعلن بذلك أن الناموسَ ثقيلٌ وحمله صعب، وهذا يعلنه بوضوح بأنهم لا يرفعون زوائد الخيمة على أكتافهم؛ لأن المرتبطين بالناموس كانوا ضعفاء. لهذا أيضاً قال التلاميذ العظماء لأولئك الذين تمسكوا بعبادة الناموس بعد الإيمان بالمسيح: ''فَالآنَ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ اللهَ بِوَضْعِ نِيرٍ عَلَى عُنُقِ التَّلاَمِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلاَ نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ؟'' (أع ١٥: ١٠)، بينما بني قهات حملوا المقدسات على أكتافهم، تلك التي كانت مِثالاً للمسيح، جاعلين حملهم خفيفاً وسهلا في التنقل. أليس هذا ما قاله المسيح نفسه: ''نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ'' (مت ١١: ٣٠).

بلاديوس: واضح جداً أنه هكذا.

كيرلس: يمكن أن أضيف على ما قلناه أمراً آخراً نافعاً لك. في التسجيل الأول للاويين وُضِعَ أبناء جرشون في البداية، وفي المنتصف بني قهات، وأخيراً بني مراري، وقد كان هؤلاء مجرد عشائر صغيرة في سبط لاوي. أما في التسجيل

الْحَرْفِ بَلِ الرُّوحِ. لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي'' (٢كو٣:٦). أي الحرف يقصد به الناموس، بينما الروح يقصد العبادة الروحية أي الإنجيلية. لأن الناموس كان قاسياً. ومارة تعني ''مُر''. وكون أن تعليم الناموس في حد ذاته وكل ما يخص الأمثلة، لا يقدر أن يخلص الحياة، فهذا واضح جداً. لأن لا أحد، وفق المكتوب، يتبرر بواسطة حفظ الناموس (انظر رو٣:٢٠). لكن الناموس ذاته سوف يصير حياً وسوف يتحرر من قساوة الحرف، حين يقبل سر المسيح: '' لأَنَّ غَايَةَ النَّامُوسِ هِيَ: الْمَسِيحُ لِلْبِرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ'' (رو١٠:٤). طبعاً بالمفهوم الروحي. ومثال واضح لهذا الأمر هو هذا الذي حدث في مارة. لأن الشجرة تُظهر صليب المخلص، أي السر الذي صار فوقه، والذي لو صار مقبولاً لهؤلاء الذين هم في الناموس، سيجدون الناموس المُر حُلواً. لأن لأولئك الذين يؤمنون بالمسيح لن يكون الناموس شاكياً ومعاقباً بل هو يكون حياً بالفعل، لأن التاريخ يتحول بسهولة جداً بالنسبة لنا إلى رؤية روحية ويقود إلى المسيح، الذي هو الحياة ويعطي الحياة '' جيلافيرا على سفر الخروج، المقالة الثانية، الكتاب الشهري مارس ٢٠١٠



الثاني الذي تضمَّن مَن كان عمرهم خمسة وعشرين عاماً فصاعداً، دخل قهات قبل الآخرين وذُكِرَ أولاً. والأخيرين كانوا بني جرشون وبني مراري حيث كانت خدمتهم زوائد الخيمة. كلا العشيرتين كان لهما فقط اثنين من الآباء، بينما الأول، بلغ عدد آبائهم أربعة. هل أدركت المغزى؟

بلاديوس: لا، لم أدركه.

كيرلس: لقد دُعيَ شعب إسرائيل أولاً، ولكن عندما تسلَّل بين جمع الأمم، خرج عن هذا الترتيب. وهكذا -طبقاً لقول المخلص- صار الآخرون أولين، والأولون آخرين.

بلاديوس: صحيح.

كيرلس: وكون أن قليلين هم الذين من بني إسرائيل، وأن جمع الأمم الذي لا يحصي عددهم قد تفوَّق عليهم كثيراً جداً، فهذا واضحٌ أيضاً.

بلاديوس: كيف لا؟

كيرلس: لأجل هذا يقول الله لموسى: ''فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ فَأُصَيِّرَكَ شَعْباً عَظِيماً'' (خر ٣٢: ١٠). إذن فقد كُرِّمَ كل الجنس اللاوي بهذه الخدمات، وكان أساس خدمتهم المقدسة أن يُوجدوا تحت سيادة ذاك الذي هو الأسمى ويعملون كخاضعين لهارون. ولذلك، إذا رغِبوا في خِدمةٍ أعظم من الخِدمات التي حُدِّدتِ بواسطة الله والتي لم يُخَوَّلَ لهم أن يعملوها، فإن ذلك كان يُسبب لهم العقاب والرجم، وقد ثبت هذا الأمر من الخبرة ذاتها. لأنه مكتوب أيضاً في سفر العدد: ''وَأَخَذَ قُورَحُ بْنُ يِصْهَارَ بْنِ قَهَاتَ بْنِ لاَوِي، وَدَاثَانُ وَأَبِيرَامُ ابْنَا أَلِيآبَ، وَأُونُ بْنُ فَالَتَ، بَنُو رَأُوبَيْنَ، يُقَاوِمُونَ مُوسَى مَعَ أُنَاسٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِئَتَيْنِ وَخَمْسِينَ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ مَدْعُوِّينَ لِلاجْتِمَاعِ ذَوِي اسْمٍ. فَاجْتَمَعُوا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالُوا لَهُمَا: «كَفَاكُمَا! إِنَّ كُلَّ الْجَمَاعَةِ بِأَسْرِهَا مُقَدَّسَةٌ وَفِي وَسَطِهَا الرَّبُّ. فَمَا بَالُكُمَا تَرْتَفِعَانِ عَلَى جَمَاعَةِ الرَّبِّ؟»». فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ. ثُمَّ كَلَّمَ قُورَحَ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ قَائِلاً: «غَداً يُعْلِنُ الرَّبُّ مَنْ هُوَ لَهُ، وَمَنِ الْمُقَدَّسُ حَتَّى يُقَرِّبَهُ إِلَيْهِ. فَالَّذِي يَخْتَارُهُ يُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ. اِفْعَلُوا هذَا: خُذُوا لَكُمْ مَجَامِرَ. قُورَحُ وَكُلُّ جَمَاعَتِهِ. وَاجْعَلُوا فِيهَا نَاراً، وَضَعُوا عَلَيْهَا بَخُوراً أَمَامَ الرَّبِّ غَداً. فَالرَّجُلُ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ هُوَ الْمُقَدَّسُ. كَفَاكُمْ يَا بَنِي لاَوِي!». وَقَالَ مُوسَى لِقُورَحَ:



«اسْمَعُوا يَا بَنِي لاَوِي. أَقَلِيلٌ عَلَيْكُمْ أَنَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ أَفْرَزَكُمْ مِنْ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ لِيُقَرِّبَكُمْ إِلَيْهِ لِكَيْ تَعْمَلُوا خِدْمَةَ مَسْكَنِ الرَّبِّ، وَتَقِفُوا قُدَّامَ الْجَمَاعَةِ لِخِدْمَتِهَا؟ فَقَرَّبَكَ وَجَمِيعَ إِخْوَتِكَ بَنِي لاَوِي مَعَكَ، وَتَطْلُبُونَ أَيْضاً كَهَنُوتاً!" (عدد ١٦: ١ - ١٠). فقد أُعطيَ لبني قهات خدمة حمل القدسات على أكتافهم، أمَّا أولئك فقد تشاجروا بغباء على أمور خاصة بالكهنة وتفوق خدمتهم، مريدين أن يخطفوا كرامةً لذواتهم وفق ما هو مكتوب (انظر عب ٥: ٤)، غير مُبالين بالوصية الإلهية، مخالفين النواميس المقدسة بوقاحة، مقللين من أهمية مكانة المدبِّرين عندما قالوا لموسى وهرون: "إِنَّ كُلَّ الْجَمَاعَةِ بِأَسْرِهَا مُقَدَّسَةٌ وَفِي وَسَطِهَا الرَّبُّ" (عد ١٦: ٣).

اسمع كيف يهينون الدرجة التي مُنحت لهؤلاء عندما قالوا إن كرامة رئيس الكهنة هي كرامة مشتركة وعامة للجميع، ليس فقط لعشيرتهم بل للآخرين، وإن هؤلاء ليسوا أكثر كرامةً ولا أبهى لمعاناً، حتى لو كان سبب امتيازهم أنهم أخذوا رتبةً بأمرٍ من الله، وإهانتهم هذه تمثل لوماً واضحاً لأوامر السماء واحتقاراً لإرادة المشرّع. لكن موسى العظيم -في وداعته المعتادة يحذِّرهم، كما لو كانوا مرضى، متوقعاً الغضب العظيم الذي سوف يحل عليهم- يوبخّهم قائلاً لهم: "أَقَلِيلٌ عَلَيْكُمْ أَنَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ أَفْرَزَكُمْ مِنْ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ لِيُقَرِّبَكُمْ إِلَيْهِ لِكَيْ تَعْمَلُوا خِدْمَةَ مَسْكَنِ الرَّبِّ، وَتَقِفُوا قُدَّامَ الْجَمَاعَةِ لِخِدْمَتِهَا؟" (عد ١٦: ٩). أمَّا هؤلاء فقد بقوا أيضاً في غضب وعدم كياسة وكبرياء بلا لجام، والنتيجة، كانت وصولهم لمثل هذه الدرجة من الشَّر، أي لدرجة أن الأرض قد انفتحت وابتلعتهم وأوصلتهم لمثل هذا الهلاك العجيب مع كل ذويهم وخيامهم. لأنه مكتوب: "فَنَزَلُوا هُمْ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُمْ أَحْيَاءً إِلَى الْهَاوِيَةِ وَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمِ الأَرْضُ فَبَادُوا مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ" (عدد ١٦: ٣٣). إن التذمر ضد الرؤساء الذين أخذوا الكرامة الأولى من الله، يُعَدُّ كُفراً، وبالتالي يستحق الموت من قِبل الله. على النقيض من ذلك، فإن إفتخار المرء بما لديه بوقار وشكر لله، يُعَدُّ ثمراً لفهمٍ عظيم يدل على أن مثل هذا الإنسان لا يُخاطر بإقحام نفسه في أشياء تتجاوز الاعتدال أو أن يشتهي تلك العطايا التي لم تُعطَ له، معتقداً أن كل ما يُرسل من السماء هو عامٌ وفي متناول الكثيرين.

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب.

كيرلس: إذاً، فالمقدسات يجب أن تكون منظَّمة بترتيبٍ تام، وليس العكس.

بلاديوس: نعم قولك صائبٌ.

نصيب لاوي

كيرلس: وهو يمنح الاثنين نصيباً مشتركاً من التقدمات والعطايا التي يقدمها مَن هم أدنى منهم. كذلك فإن كل العطايا التي يقدمها أيُ إنسان تكون مخصصة وذبيحة لله، هذه العطايا يجب أن تخصص للكهنة وللاويين أيضاً. لأن هذا ما قاله إله الكل لهارون: "وَقَالَ الرَّبُّ لِهَارُونَ: لاَ تَنَالُ نَصِيباً فِي أَرْضِهِمْ، وَلاَ يَكُونُ لَكَ قِسْمٌ فِي وَسَطِهِمْ. أَنَا قِسْمُكَ وَنَصِيبُكَ فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَأَمَّا بَنُو لاَوِي، فَإِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ كُلَّ عُشْرٍ فِي إِسْرَائِيلَ مِيرَاثاً عِوَضَ خِدْمَتِهِمْ الَّتِي يَخْدِمُونَهَا، خِدْمَةِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. فَلاَ يَقْتَرِبُ أَيْضاً بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِيَحْمِلُوا خَطِيَّةً لِلْمَوْتِ، بَلِ اللاَّوِيُّونَ يَخْدِمُونَ خِدْمَةَ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ ذَنْبَهُمْ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ. وَفِي وَسَطِ إِسْرَائِيلَ لاَ يَنَالُونَ نَصِيباً" (عدد ١٨: ٢٠ – ٢٣).

وفي سفر التثنية أيضاً يذكر نفس الوصية، إذ يقول الآتي: "لاَ يَكُونُ لِلْكَهَنَةِ اللاَّوِيِّينَ، كُلِّ سِبْطِ لاَوِي، قِسْمٌ وَلاَ نَصِيبٌ مَعَ إِسْرَائِيلَ. يَأْكُلُونَ وَقَائِدَ الرَّبِّ وَنَصِيبَهُ. فَلاَ يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ فِي وَسَطِ إِخْوَتِهِ. الرَّبُّ هُوَ نَصِيبُهُ كَمَا قَالَ لَهُ. وَهذَا يَكُونُ حَقُّ الْكَهَنَةِ مِنَ الشَّعْبِ، مِنَ الَّذِينَ يَذْبَحُونَ الذَّبَائِحَ بَقَراً كَانَتْ أَوْ غَنَماً. يُعْطُونَ الْكَاهِنَ السَّاعِدَ وَالْفَكَّيْنِ وَالْكِرْشَ. وَتُعْطِيهِ أَوَّلَ حِنْطَتِكَ وَخَمْرِكَ وَزَيْتِكَ، وَأَوَّلَ جَزَازِ غَنَمِكَ. لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدِ اخْتَارَهُ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِكَ لِكَيْ يَقِفَ وَيَخْدِمَ بِاسْمِ الرَّبِّ، هُوَ وَبَنُوهُ كُلَّ الأَيَّامِ" (تث ١٨: ١ – ٥).

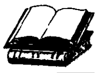
لاحظ إذاً أن الجنس المقدس لم ينضم للشعب، بل استقل عن الآخرين، ليس فقط لأجل خِدماته التي يقدمها، بل للاختلاف من جهة الرجاء المستقبلي أيضاً. لأن الذين يحيون حياةً دنيئة، ويلتصقون بالأمور الأرضية، ويتلهفون على الأمور الوقتية، ويأخذون ويفقدون كل شيء مثل الظلال سوف يُقال لهم: "هَذِهِ قُرْعَتُكِ النَّصِيبُ الْمَكِيلُ لَكِ مِنْ عِنْدِي يَقُولُ الرَّبُّ لأَنَّكِ نَسِيتِنِي وَاتَّكَلْتِ عَلَى الْكَذِبِ" (إر ١٣: ٢٥). والذين أحبُّوا الحياة المقدسة

التي بلا لوم، وأُختيروا بالفعل لأجل فضيلتهم يمكن جداً أن يُقال لهم: ''لاَ تَنَالُ نَصِيباً فِي أَرْضِهِمْ، وَلاَ يَكُونُ لَكَ قِسْمٌ فِي وَسَطِهِمْ''. لأن الرب، عندما اقترب منه شخصٌ، وسأله كيف يرث الحياة الأبدية قال له: ''إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا. قَالَ لَهُ: أَيَّةَ الْوَصَايَا؟ فَقَالَ يَسُوعُ: لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي. فَمَاذَا يُعْوِزُنِي بَعْدُ؟. قَالَ لَهُ يَسُوعُ: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي'' (مت ١٩: ١٦ - ٢١). إذن فالذين يريدون أن يخدموا الله غير منزعجين، ويعتقدون أنه ينبغي عليهم أن يتبعوه، من الضروري لهم أن يتحرروا من قيود الأمور الأرضية، ويعتبرون الله هو فقط نصيبهم، ويتغذون على رجائهم فيه، وذلك وفقاً لما يترنم به المرنم: ''وَتَلَذَّذْ بِالرَّبِّ فَيُعْطِيَكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ. سَلِّمْ لِلرَّبِّ طَرِيقَكَ وَاتَّكِلْ عَلَيْهِ وَهُوَ يُجْرِي'' (مز ٣٧: ٤ - ٥).

وهو يخصص العشور للاويين مكافأةً لأجل أتعابهم في خدماتهم؛ لأن تعب القديسين لا يكون بدون مكافأة، وتكريم هؤلاء يكون بعطايا ممتازة ومكافآت بهية. لأن المخلِّص يقول: ''لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟... لَكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ. فَلاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ لأَنَّ الْغَدَ يَهْتَمُّ بِمَا لِنَفْسِهِ. يَكْفِي الْيَوْمَ شَرُّهُ'' (مت ٦: ٢٥، ٣٤).

وهو يُسمى الذبائح التي تقدَّم لأجل الخطايا، خطايا. وهذه الذبائح تشير إلى المسيح[1] الذي ذُبِحَ لأجلنا، وتحمَّل الذبح لكي يبطل خطية العالم. وهو يسمح فقط لأولئك الذين يتممون الذبائح المقدسة لأجل الخطايا أن يتناولوا هذه الذبائح كغذاء. لأنه غير مسموح للنفوس غير المؤمنة أن تتناول جسد المسيح المقدس، بل للمختارين وللطاهرين الذين يمكن للمرء أن يقول لهم: ''وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ

١- الابن هو الحمل الذي بلا عيب البار والقدوس، وهذا ما أكده القديس كيرلس أثناء حديثة عن التيس المرسل إلى البرية، قائلاً: ''لهذا صار المسيح ذبيحة عن خطايانا حسب الكتب المقدسة (أنظر ١ كو ١٥: ٣)، ولهذا السبب نقول إنه دُعي خطية، وهكذا يكتب بولس الحكيم جداً: ''لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطيةً لأجلنا'' (٢ كو ٥: ٢١). والمقصود هنا هو الآب (فهو الذي جعله خطية). لأننا لا نقول إن المسيح صار خاطئاً – حاشا – بل لكونه باراً، وبالحري هو البر نفسه، لأنه لم يعرف خطية، فالآب جعله ذبيحة عن خطايا العالم''. راجع: رسائل القديس كيرلس، مركز دراسات الآباء، الجزء الثالث، نصوص الآباء: ٣٤، ديسمبر ١٩٩٥ ص ٦٥ وما بعدها.



تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ" (١ بط ٢: ٩).

ويخصص لهؤلاء الذين يقع على عاتقهم أن يخدموا، الساعد والفكين والكرش. فالجنس المختار يجب أن يشعر بقدرته على العمل والنشاط، وهو ما يُرمز له بالساعد، وأمَّا الفكين فهما يرمزان لتقديم التعليم الواضح، كما أن الكرش (الأمعاء) تشير إلى القدرة على الإثمار. ألا ينبغي حقاً على مَن يعرف الله أن يكون قادراً على العمل وقادراً على التعليم، ومثمراً في أعماله؟

بلاديوس: طبعاً ينبغي أن يكون هكذا.

كيرلس: إذاً، فمن جهةٍ حَرَمَ الجنس اللاوي من الميراث، ولكن من جهة أخرى أعطي له ذاته كنصيب ممتاز. لكنه لم يسمح بأي طريقة أن يعطي انطباعاً بأنه لم يأخذ شيئاً بتاتاً بما أنه وُضِع خارجاً عن الآخرين؛ لأنه مكتوب الآتي: "ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ عَلَى أُرْدُنِّ أَرِيحَا قَائِلاً: أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُعْطُوا اللاَّوِيِّينَ مِنْ نَصِيبِ مُلْكِهِمْ مُدُناً لِلسَّكَنِ، وَمَسَارِحَ لِلْمُدُنِ حَوَالَيْهَا تُعْطُونَ اللاَّوِيِّينَ. فَتَكُونُ الْمُدُنُ لَهُمْ لِلسَّكَنِ وَمَسَارِحُهَا تَكُونُ لِبَهَائِمِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَلِسَائِرِ حَيَوَانَاتِهِمْ. وَمَسَارِحُ الْمُدُنِ الَّتِي تُعْطُونَ اللاَّوِيِّينَ تَكُونُ مِنْ سُورِ الْمَدِينَةِ إِلَى جِهَةِ الْخَارِجِ أَلْفَ ذِرَاعٍ حَوَالَيْهَا. فَتَقِيسُونَ مِنْ خَارِجِ الْمَدِينَةِ جَانِبَ الشَّرْقِ أَلْفَيْ ذِرَاعٍ، وَجَانِبَ الْجَنُوبِ أَلْفَيْ ذِرَاعٍ، وَجَانِبَ الْغَرْبِ أَلْفَيْ ذِرَاعٍ، وَجَانِبَ الشِّمَالِ أَلْفَيْ ذِرَاعٍ، وَتَكُونُ الْمَدِينَةُ فِي الْوَسَطِ. هذِهِ تَكُونُ لَهُمْ مَسَارِحَ الْمُدُنِ وَالْمُدُنُ الَّتِي تُعْطُونَ اللاَّوِيِّينَ تَكُونُ سِتٌّ مِنْهَا مُدُناً لِلْمَلْجَإِ. تُعْطُونَهَا لِكَيْ يَهْرُبَ إِلَيْهَا الْقَاتِلُ. وَفَوْقَهَا تُعْطُونَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ مَدِينَةً" (عد ٣٥: ١ – ٦)، فهو يسمح للقديسين في هذا العالم أن يحصلوا على كل ما يكفي لحياتهم[١]، وكل ما يكفي احتياجات الجسد؛ لأنه يقول: "فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوتٌ وَكِسْوَةٌ، فَلْنَكْتَفِ بِهِمَا" (١ تيمو ٦: ٨)، وما زاد على ذلك، فقد يسبب أضرار.

إذن فقد أعطي للقديسين مُدناً كثيرة وحقولاً بمساحات محددة. لأنه هكذا حكم الله بالحق. لم يمنح لهم أكثر مما يحتاجونه، أو ما يقودهم إلى الاستمتاع والرفاهية، كما لم يضغط عليهم بطريقةٍ مُبالغٍ فيها، بل

١- "أصنع معنا حسب صلاحك يا معطياً طعاماً لكل ذي جسدٍ. املأ قلوبنا فرحاً ونعيماً، لكي نحن أيضاً إذ يكون لنا الكفاف في كل شيء كل حين نزداد في كل عمل صالحٍ" (القداس الإلهي).

-بطريقة مناسبة- حارب الفقر الشديد وأزال عنهم الضيق والعوز. أي أنه جعل الاكتفاء متماثلاً مع الاحتياج. وقد أوصى أن يتركوا للاويين مدن الملجأ مطمئناً إلى اعتناء القائمين بالأعمال المقدسة بالمتألمين بآلامٍ فائقة، وبالمحتاجين. ومن هذا يعطي مثالاً للكنائس للاعتناء بالسجناء. لأنه يقول: ''اُذْكُرُوا الْمُقَيَّدِينَ كَأَنَّكُمْ مُقَيَّدُونَ مَعَهُمْ، وَالْمُذَلِّينَ كَأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً فِي الْجَسَدِ'' (عب ١٣: ٣).

بلاديوس: هذا حق.

كيرلس: وكون أن رجاء القائمين على خدمة القدسات يستند على اليقين، وأنهم ذوو نصيب دائم، فهذا ما أُشير إليه أيضاً بالطريقة الآتية؛ لأنه مكتوب في نهاية سفر اللاويين: ''وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي جَبَلِ سِينَاءَ قَائِلاً: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: مَتَى أَتَيْتُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيكُمْ تَسْبِتُ الأَرْضُ سَبْتاً لِلرَّبِّ. سِتَّ سِنِينَ تَزْرَعُ حَقْلَكَ، وَسِتَّ سِنِينَ تَقْضِبُ كَرْمَكَ وَتَجْمَعُ غَلَّتَهُمَا. وَأَمَّا السَّنَةُ السَّابِعَةُ فَفِيهَا يَكُونُ لِلأَرْضِ سَبْتُ عُطْلَةٍ، سَبْتاً لِلرَّبِّ. لاَ تَزْرَعْ حَقْلَكَ وَلاَ تَقْضِبْ كَرْمَكَ'' (لا ٢٥: ١ – ٤).

وطالما أنه حدَّد راحة السبت، فقد أمر أن تظل الأرض بلا زرع وبلا فلاحة في السنة السابعة، وأضاف أيضاً قائلاً: ''وَتَعُدُّ لَكَ سَبْعَةَ سُبُوتِ سِنِينَ. سَبْعَ سِنِينَ سَبْعَ مَرَّاتٍ. فَتَكُونُ لَكَ أَيَّامُ السَّبْعَةِ السُّبُوتِ السَّنَوِيَّةِ تِسْعاً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. ثُمَّ تُعَبِّرُ بُوقَ الْهُتَافِ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ فِي عَاشِرِ الشَّهْرِ. فِي يَوْمِ الْكَفَّارَةِ تُعَبِّرُونَ الْبُوقَ فِي جَمِيعِ أَرْضِكُمْ. وَتُقَدِّسُونَ السَّنَةَ الْخَمْسِينَ، وَتُنَادُونَ بِالْعِتْقِ فِي الأَرْضِ لِجَمِيعِ سُكَّانِهَا. تَكُونُ لَكُمْ يُوبِيلاً، وَتَرْجِعُونَ كُلٌّ إِلَى مُلْكِهِ، وَتَعُودُونَ كُلٌّ إِلَى عَشِيرَتِهِ. يُوبِيلاً تَكُونُ لَكُمُ السَّنَةُ الْخَمْسُونَ. لاَ تَزْرَعُوا وَلاَ تَحْصُدُوا زِرِّيعَهَا، وَلاَ تَقْطِفُوا كَرْمَهَا الْمُحْوِلَ. إِنَّهَا يُوبِيلٌ. مُقَدَّسَةً تَكُونُ لَكُمْ. مِنَ الْحَقْلِ تَأْكُلُونَ غَلَّتَهَا. فِي سَنَةِ الْيُوبِيلِ هذِهِ تَرْجِعُونَ كُلٌّ إِلَى مُلْكِهِ'' (لا ٢٥: ٨ – ١٣).

شريعة العيش في المدن والعيش في القرى

ما هو السبب -إذن- في أن تستريح الأرض ذاتها، وإلى أي شيء تشير سنة الحرية؟ سوف نفحص هذه الأمور عندما تحين الفرصة. يقول أيضاً

إن نصيب اللاويين هو نصيبٌ فائقٌ. حسناً، إنه يقول أيضاً: "وَإِذَا بَاعَ إِنْسَانٌ بَيْتَ سَكَنٍ فِي مَدِينَةٍ ذَاتِ سُورٍ، فَيَكُونُ فِكَاكُهُ إِلَى تَمَامِ سَنَةِ بَيْعِهِ. سَنَةً يَكُونُ فِكَاكُهُ. وَإِنْ لَمْ يُفَكَّ قَبْلَ أَنْ تَكْمُلَ لَهُ سَنَةٌ تَامَّةٌ، وَجَبَ الْبَيْتُ الَّذِي فِي الْمَدِينَةِ ذَاتِ السُّورِ بَتَّةً لِشَارِيهِ فِي أَجْيَالِهِ. لاَ يَخْرُجُ فِي الْيُوبِيلِ. لكِنَّ بُيُوتَ الْقُرَى الَّتِي لَيْسَ لَهَا سُورٌ حَوْلَهَا، فَمَعَ حُقُولِ الأَرْضِ تُحْسَبُ. يَكُونُ لَهَا فِكَاكٌ، وَفِي الْيُوبِيلِ تَخْرُجُ. وَأَمَّا مُدُنُ اللاَّوِيِّينَ، بُيُوتُ مُدُنِ مُلْكِهِمْ، فَيَكُونُ لَهَا فِكَاكٌ مُؤَبَّدٌ لِلاَّوِيِّينَ. وَالَّذِي يَفُكُّهُ مِنَ اللاَّوِيِّينَ الْمَبِيعَ مِنْ بَيْتٍ أَوْ مِنْ مَدِينَةِ مُلْكِهِ يَخْرُجُ فِي الْيُوبِيلِ، لأَنَّ بُيُوتَ مُدُنِ اللاَّوِيِّينَ هِيَ مُلْكُهُمْ فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَأَمَّا حُقُولُ الْمَسَارِحِ لِمُدُنِهِمْ فَلاَ تُبَاعُ، لأَنَّهَا مُلْكٌ دَهْرِيٌّ لَهُمْ" (لا ٢٥: ٢٩ – ٣٤).

بلاديوس: وماذا يقصد الناموس بهذه الحالات؟ إنني لا أفهم هذا الأمر جيداً.

كيرلس: اسمع إذاً، بالنسبة لبيوت المدن التي يشتريها البعض من أصحابها، يُسمح للبائعين أن يستردوا البيت الذي باعوه أثناء السنة الأولى. أمَّا إذا لم يحدث هذا ومرَّت السنة الأولى، فإن المشتري يكون شرعاً هو صاحب هذا البيت، ولا يجب عليه اتخاذ أية إجراءات أخرى. أما بالنسبة لبيوت القرى، فإنه يمكن للبائع أن يسترد البيت لو أنه دفع للمشتري الأموال التي سبق أن أعطاها له. أمَّا إذا لم يدفع البائع الثمن، وأخذ المشتري البيت ثانيةً، فقد أمر أن يُفَك في السنة الخمسين بدون أن يدفع صاحب البيت القديم أي شيء.

أي أن الناموس يحسب لمن اشترى البيت مكسب السنين الكثيرة لإيفاء الدين. هذه الأمور قد شرَّعها الله لشعبه. أمَّا ما يملكه اللاويون، فيكون لهم مُلكاً دهرياً لهم، إذ يقول: "هِيَ مُلْكُهُمْ".

بلاديوس: إذن، أيها النبيل، هل يكون الناموس بذلك قد حقق الهدف منه؟ وهل يمكننا أن نخرج بشيءٍ مفيد لو فحصنا مزيداً من الأمور؟

كيرلس: لو كان الأمر هكذا، فكيف نقول إن الناموس ما يزال له معنىً روحياً بعد؟ وكيف لا يكون مستحقاً أن ندرك ما هو وراء المعنى الظاهري للكتاب المقدس؟ ما هو السبب الذي يمتنع معه أن تُسترد بيوت المدن أثناء السنة الأولى، بينما يجوز ذلك بشكل دائم لكل ما هو خارج المدن، في الحقول؟

يمكننا أن ندرك أن طريق الوصول للمعنى المقصود من أقوال الله كلي الحكمة في التاريخ المقدس ليس طويلاً جداً، فعندما نسير بطريقة ملائمة، تنكشف بدقة جوانب الحق الروحية والأساسية.

بلاديوس: إذن أوضح لي ماذا يقصد الناموس؟

كيرلس: يا بلاديوس، إن عملية الشراء والبيع ليست محددة، وتناولها صعب حتى لو أراد المرء أن يفحصها بمفاهيم بسيطة. لكني سوف أتحدث بقدر ما أستطيع وكيفما يخطر على عقلي. سوف أسألك وقُل لي: أيهما أسهل على الذين اعتادوا السرقة، نهب المدن أم القرى، أخبرني؟ وأيهما يحتاج إلى مجهود كبير، هؤلاء الذين يسكنون داخل الأسوار وفي مدن محصنة تحصيناً جيداً، أم بالحري أولئك الذين يسكنون في الحقول؟

بلاديوس: وهل يوجد أحد غير متأكد من الإجابة؟ فالأمر واضح جداً، كل الذين يعيشون خارج الأسوار يُنهبون بسهولة.

كيرلس: إجابتك صحيحة. ومَنْ هم الذين يحيون –حسب ظنك– حياةً حسنةً وأكثر إنسانية؟ ساكنو المدن والعارفون بالناموس، أم أولئك الذين كبروا في القُرى دون تربية؟ بالتالي، فإن ساكني الخلاء لا يقوون على حماية أنفسهم، بينما الذين يسكنون المدن الحصينة يمكنهم أن يقرروا كل ما هو أفضل لهم، وأن يفكروا –بحسب القوانين– في كل ما هو ضروري لفائدتهم، بقدر ما يتوفر لهم الوقت للتفكير ولإصدار قرار.

بلاديوس: هذا حقيقي، حتى لو تصادف أن انتابتهم هزيمة.

كيرلس: لا يمكن لأحدٍ أن يلوم القرويين عندما يقعون ضحية النهب والأسر؛ إذ ليس لديهم أسوار، وهم في حالة أدنى من أولئك الذين يحيون في المدن حيث يجدون مخرجاً. بينما يمكن لأي شخص أن يدين أولئك الذين بعد أن صدوا أعداءهم وأنقذوا ممتلكاتهم، عادوا فانصاعوا لهؤلاء الأعداء؛ لأن بعض الخائنين والمهزومين أثاروا ضدهم هجمات الأعداء ثانيةً لأنهم جبناء.

بلاديوس: إن ما تقوله هو صواب.

كيرلس: انتبه إذن لليهود الذين يسكنون المدينة المقدسة، التي يقول عنها إله الجميع: ”وَأَنَا يَقُولُ الرَّبُّ أَكُونُ لَهَا سُورَ نَارٍ مِنْ حَوْلِهَا وَأَكُونُ مَجْداً فِي وَسَطِهَا“ (زك ٢:

٥)، وبالإضافة إلى هذا كان لديهم الناموس. لذلك قال: "هنيئا لنا نحن بنو إسرائيل لان ما يرضي الله معروف لدينا" (باروخ ٤: ٤). بالتالي يمكننا أن نقول إنه من الصعب أن يتأثر هؤلاء الناس بهجمات الشياطين، إذا أرادوا أن يحيوا باستقامة ويمتثلوا للنواميس الإلهية.

بلاديوس: بالتأكيد صعب جداً.

كيرلس: الآن ألا يسقط قطعان الأمم ذوي العقول الساذجة في أيدي إبليس الخطاف، وينخدعون بسهولة، إذ أنهم مجردون من المعونة السماوية ولم ينالوا أبداً قسطاً من تربية الناموس؟

بلاديوس: هكذا يبدو.

كيرلس: حسناً، فاليهود الذين يسكنون في مدينة مسورة ومحاطة بالمعونة السماوية، ويتصرفون كمتمدينين ولا يجهلون إرادة الله، ينسون التصرف اللائق بمرور الوقت، جراء الخمول، لذلك يفقدون نصيبهم الذي أُعطي لهم، كما يفقدون أيضاً الرجاء العظيم، وإن لم يستيقظوا من سُكرهم، وفق المكتوب، ولم يحصلوا ثانيةً على ما يخصهم، عندما يأتي عام التحرُّر (اليوبيل)، أي مجيء مخلصنا، فسوف يظلون هناك ويصيرون خاضعين دائماً لذاك الذي اشتراهم، أقصد الشيطان. لأنه يقول: "هُوَذَا مِنْ أَجْلِ آثَامِكُمْ قَدْ بُعْتُمْ وَمِنْ أَجْلِ ذُنُوبِكُمْ طُلِّقَتْ أُمُّكُمْ (صهيون)" (إش ٥٠: ١). بينما جمع الأمم، يُدفع إلى عبودية الآخرين، لأنه على الرغم من أن هؤلاء الأمم بدون معونة على الإطلاق، وذوي عقول ساذجة وجاهلة، إلّا أنه يمكن أن يُفتدوا بسبب رحمة الله. وسوف يأخذون نصيبهم عندما يدعوهم إلى الحرية في عام التحرر، عندما يُحرِّر المسيح كل المسكونة من طغيان الشياطين؛ لأنه سوف يخرج المسكونة من براثن الخطية، عندما يخلِّصها بواسطة الإيمان ويقدِّسها بالروح مُبطلاً بصليبه الصك الذي كان علينا (انظر كو ٢: ١٢ - ١٣).

وعلى النقيض، فكل ما يخص اللاويين لا يسقط لأن نصيب القديسين يُحفظ بأمان؛ لأنه قد تأسس على رجائهم. لأجل هذا قال المسيح عن مريم المحِبَّة للتعلم: "فَاخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا" (لو ١٠: ٤٢). هكذا أيضاً يُحفظ الفداء وأمان الرجاء في المسيح للكهنة صغاراً وكباراً، وللشعب، وللكل بشكل عام.

بلاديوس: حسناً. سوف يبيع الشعب الإسرائيلي هو نفسه ميراثه؛ لأنه لم يُدرك زمن التحرر، بينما يحفَظ الأمم رجائهم، ويستعيدون خيرات طبيعتهم بواسطة المسيح.

كيرلس: أقول هذا. وسوف يختم إله الكل على صدق حديثي معلناً الأمر ذاته بطريقة أخرى، بفم حزقيال النبي: "هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: إِنْ أَعْطَى الرَّئِيسُ رَجُلاً مِنْ بَنِيهِ عَطِيَّةً، فَإِرْثُهَا يَكُونُ لِبَنِيهِ. مُلْكُهُمْ هِيَ بِالْوَرَاثَةِ. فَإِنْ أَعْطَى أَحَداً مِنْ عَبِيدِهِ عَطِيَّةً مِنْ مِيرَاثِهِ فَتَكُونُ لَهُ إِلَى سَنَةِ الْعِتْقِ، ثُمَّ تَرْجِعُ لِلرَّئِيسِ. وَلكِنَّ مِيرَاثَهُ يَكُونُ لأَوْلاَدِهِ. وَلاَ يَأْخُذُ الرَّئِيسُ مِنْ مِيرَاثِ الشَّعْبِ طَرْداً لَهُمْ مِنْ مُلْكِهِمْ. مِنْ مُلْكِهِ يُورِثُ بَنِيهِ، لِكَيْلاَ يُفَرَّقَ شَعْبِي، الرَّجُلُ عَنْ مِلْكِهِ" (حز ٤٦: ١٦ – ١٨).

ليت قول الله يكون واضحاً، وتكون قد فهمت معنى القصة بوضوح؟

بلاديوس: ليس واضحاً تماماً. أنا في شوق عظيم لأن أفهم هذا الأمر.

كيرلس: لاحظ يا بلاديوس، أنه يدعو رئيس الكهنة، الذي أخذ رئاسة الشعب تحت سلطته، رئيساً. لأنه سبق أن وزّع الخدمة على القديسين القائمين عليها، أي الإكليروس المناسبين والممتازين، وأمر أن يُحفظ هؤلاء دائماً، وأن يكونوا غير غرباء. فإذا حدث أن وزّع أحد الرؤساء، القائمين على الخدمة المقدسة على أولاده شيئاً من نصيبه، فهذا الذي أُعطِيَ يبقى أيضاً له، والعطية هذه التي أخذها لا تُباع. لأن النصيب لا يذهب إلى شخص من جنس آخر، بل من كهنة إلى كهنة. أمَّا إذا منح عبده عطيةً، فإن هذا العبد لا يحتفظ بها دائماً، بل عليه أن يُرجعها إلى الرئيس في وقت تحريره. هكذا أمر أن يُبعِد القائم على الخدمة من داخله شهوة أخذ نصيب الآخرين؛ لأن هذا ما يعنيه بقوله: "وَلاَ يَأْخُذُ الرَّئِيسُ مِنْ مِيرَاثِ الشَّعْبِ" (حز ٤٦: ١٨). ألا يكفي هذا الشرح لتوضيح الأمر لك؟

بلاديوس: واضح جداً.

كيرلس: دعنا نسعى وراء المعنى الروحي؛ لأن كل ما قاله الناموس هو عبارة عن أمثلة وإشارات للحق سُطِّرت في ظلال.

بلاديوس: حسناً. هذا حق.

كيرلس: إن الأنصبة الآمنة والدائمة هي الأنصبة التي تأتي من الآباء إلى الأبناء،

أمَّا الأنصبة التي تُفقَد، فهي التي تُعطَى من السادة إلى العبيد. لأن هذا ما يقوله الكتاب المقدس.

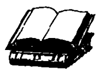
بلاديوس: أوافقك على هذا.

كيرلس: إن المسيح قائدنا ورئيسنا الوحيد، نحن الذين خلُصنا بالإيمان، وهو يملك ميراث الله الآب، لذلك يتوجَّه للآب -في صيغة صلاة- ويقول: ''وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي وَأَنَا مُمَجَّدٌ فِيهِمْ'' (يو ١٧: ١٠). والمرنم أيضاً يترنم قائلاً: ''صَعِدْتَ إِلَى الْعَلاَءِ. سَبَيْتَ سَبْياً. قَبِلْتَ عَطَايَا بَيْنَ النَّاسِ'' (مز ٦٨: ١٨). ويقول الرسول: ''فَوَضَعَ اللهُ أُنَاساً فِي الْكَنِيسَةِ: أَوَّلاً رُسُلاً ثَانِياً أَنْبِيَاءَ ثَالِثاً مُعَلِّمِينَ ثُمَّ قُوَّاتٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ أَعْوَاناً تَدَابِيرَ وَأَنْوَاعَ أَلْسِنَةٍ. فَإِنَّهُ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلاَمُ حِكْمَةٍ. وَلآخَرَ كَلاَمُ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ'' (١ كو ١٢: ٢٨، ٨). وبعبارة واحدة يمكننا أن نقول إنه يملأ بخيراته نفوس أولئك الذين يحبونه. إذاً، فأولئك الذين مُنحوا عطايا، أي الكهنة والأبناء، يكون بناءهم راسخاً وثابتاً. إلَّا أن جميع الذين لديهم روح العبودية، أي الذين انحدروا من أصل إسرائيلي ولم يقبلوا الإيمان الذي يُحرِّر، بل ما زالوا تحت نير الدنس والخطية، فإن العطية التي أعطيت بواسطة موسى، أي معرفة الناموس المربي، تؤخذ منهم وتُبعَد عنهم، لن يأخذوا نصيباً مع القديسين ولا يكون لهم نصيباً مع المسيح؛ لأنه يقول: ''فَإِنَّ مَنْ لَهُ سَيُعْطَى وَيُزَادُ، وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ سَيُؤْخَذُ مِنْهُ'' (مت ١٣: ١٢).

وكون أن إسرائيل بلا نصيب لأنه لم يُرِد أن يؤمن، ولا نال نعمة الحرية، فهذا ما يُظهره الرب معلناً معنى هذا الناموس هكذا. ''إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ. وَالْعَبْدُ لاَ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الأَبَدِ أَمَّا الاِبْنُ فَيَبْقَى إِلَى الأَبَدِ. فَإِنْ حَرَّرَكُمْ الاِبْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَاراً'' (انظر يو ٨: ٣٤ - ٣٦)، بيد أن هذا لا ينطبق بالطبع على الذين يحملون نير العبودية. لأنه يقول: الأبناء يبقون في البيت وليس العبيد.

بلاديوس: هذه صياغة جميلة جداً.

كيرلس: إضافةً إلى ذلك، فقد أوصى الناموس: ''وَلاَ يَأْخُذُ الرَّئِيسُ مِنْ مِيرَاثِ الشَّعْبِ طَرْداً لَهُمْ مِنْ مُلْكِهِمْ. مِنْ مُلْكِهِ يُورِثُ بَنِيهِ، لِكَيْلاَ يُفَرَّقَ شَعْبِي، الرَّجُلُ عَنْ مِلْكِهِ''



(حز ٤٦: ١٨)، وبذلك يكون قد أعلن أنَّ المسيح رئيسنا لم يوزِّع إطلاقاً على القديسين نصيباً لا يتناسب معهم. إذ أن الذين لم يكرسوا حياتهم بالكامل لله، يكون نصيبهم مختلفاً عن نصيب القديسين، هؤلاء الذين وصلوا إلى قمة مجد المسيح؟

بلاديوس: كيف لا يختلف؟

نصيب القديسين

كيرلس: إذاً، فلا يليق بالقديسين أن يطلبوا من المسيح أن يأخذوا كل ما يتناسب مع أهل العالم الذين يحيون حياةً ليست مقدسةً في كل شيء. لا ينبغي أن تطلب شيئاً جسدياً، بل تطلب فقط كل ما هو إلهي وروحي. هكذا أمر المخلص نفسه الرسل أن يصلُّوا معلِّماً إياهم كيف يطلبون في صلاتهم كما يليق بالقديسين. لأنه يقول: ''وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً. وَحِينَمَا تُصَلُّونَ لاَ تُكَرِّرُوا الْكَلاَمَ بَاطِلاً كَالأُمَمِ، فَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ بِكَثْرَةِ كَلاَمِهِمْ يُسْتَجَابُ لَهُمْ. فَلاَ تَتَشَبَّهُوا بِهِمْ. لأَنَّ أَبَاكُمْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ. «فَصَلُّوا أَنْتُمْ هكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ. خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ. وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضاً لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا. وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ. لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْمَجْدَ، إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ'' (مت ٦: ٩ – ١٣).

لذلك، فنحن نقول لهؤلاء الذين لا يعطيهم الرئيس؛ لأنهم لا يطلبون كما يليق، نقول: ''تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيّاً لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَّاتِكُمْ'' (يع ٤: ٣). ويصدق ما يقوله المرنم: ''وَلَكَ يَا رَبُّ الرَّحْمَةُ لأَنَّكَ أَنْتَ تُجَازِي الإِنْسَانَ كَعَمَلِهِ'' (مز ٦٢: ١٢). أيضاً ينبهنا الناموس إلى هذا قائلاً: ''وَلاَ يَأْخُذُ الرَّئِيسُ مِنْ مِيرَاثِ الشَّعْبِ طَرْداً لَهُمْ مِنْ مُلْكِهِمْ. مِنْ مُلْكِهِ يُورِثُ بَنِيهِ، لِكَيْلاَ يُفَرَّقَ شَعْبِي، الرَّجُلُ عَنْ مِلْكِهِ'' (حز ٤٦: ١٨).

لأنه قد أُعِدَّ لكل واحد نصيباً خاصاً به، هو النصيب الذي يعطيه الله للشخص حسب أعماله التي حققها. لكن في موضع آخر يقول إنه من

الغباء أن يغيِّر القديسون الرأي فيشتهون الأشياء التي لدى الذين يعيشون حسب الجسد، في حين أن هذه الأشياء وقتية وجسدية وتُفقد وتزول سريعاً كالظلال.

بلاديوس: هذا حق.

كيرلس: حسناً. فإذا كانت الأنصبة الخاصة، وأيضاً المدن المنفصلة عن المدن الأخرى هي مكافآت الله الثمينة للقائمين على الخدمة المقدسة، إلَّا أنه حدد للجميع مدينةً واحدةً مشهورةً، هي أورشليم. لأنه قرر في سفر التثنية الآتي: ''وَإِذَا جَاءَ لاَوِيٌّ مِنْ أَحَدِ أَبْوَابِكَ مِنْ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ حَيْثُ هُوَ مُتَغَرِّبٌ، وَجَاءَ بِكُلِّ رَغْبَةِ نَفْسِهِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ، وَخَدَمَ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ مِثْلَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ اللاَّوِيِّينَ الْوَاقِفِينَ هُنَاكَ أَمَامَ الرَّبِّ، يَأْكُلُونَ أَقْسَاماً مُتَسَاوِيَةً، عَدَا مَا يَبِيعُهُ عَنْ آبَائِهِ'' (تث ١٨: ٦ – ٨).

أي طالما أن إله الكهنة هو واحدٌ في كل مكان، فعلى كل الذين أُختيروا بأمر إلهي لهذه الخدمة أن يكونوا واحداً معاً. هذا الناموس مكرَّمٌ من جانبنا ومحفوظٌ الآن في كل الكنائس، فكل من أُختير للكهنوت يكون له مدينته، ونصيبه المستقل، ولكنه يشترك أيضاً في الخدمة الليتورجية متى ذهب إلى مدينةٍ أو بلدٍ آخر، ويأكل مع الكهنة وينال معهم بحسب نواميس المحبة. ويبدو لي -بحسب رأيي- أن الناموس يعلن أيضاً أمراً سرائرياً، حيث يوجد آلاف من البلاد والمدن في كل المسكونة يعيش فيها كثير من نفوس القديسين ومحبي الله الذين يخدمونه، بحسب ناموس حياتهم والتعليم الإنجيلي، مقدِّمين له كذبيحةٍ رائحةَ سرورٍ زكيةٍ، أقصد ذبيحةً روحيةً: إيمان، رجاء، محبة، صبر، وداعة، محبة للفقراء. لأن الكتاب يقول: ''بِذَبَائِحَ مِثْلِ هذِهِ يُسَرُّ اللهُ'' (عب ١٣: ١٦)، لكن كل هؤلاء، كأنهم أبناءٌ لأم واحدةٍ، يسرعون معاً نحو كنيسة الأبكار، أورشليم السماوية، المدينة الجميلة النازلة من فوق، الخيمة الحقيقية التي بانيها هو الرب وليس إنسان. (انظر عب ١٢: ٢٢ – ٢٣). هناك، نُقدِّم خدمتنا ونحن أنقياء، طالما أن الخطية طُرِحت تماماً عنا وجُرِّد الأسد والتنين. لأنه مكتوب: ''وَتَكُونُ هُنَاكَ سِكَّةٌ وَطَرِيقٌ يُقَالُ لَهَا الطَّرِيقُ الْمُقَدَّسَةُ. لاَ يَعْبُرُ فِيهَا نَجِسٌ بَلْ هِيَ لَهُمْ. مَنْ سَلَكَ فِي الطَّرِيقِ حَتَّى الْجُهَّالُ لاَ يَضِلُّ. لاَ يَكُونُ هُنَاكَ أَسَدٌ. وَحْشٌ مُفْتَرِسٌ لاَ يَصْعَدُ إِلَيْهَا. لاَ

يُوجَدُ هُنَاكَ. بَلْ يَسْلُكُ الْمَفْدِيُّونَ فِيهَا'' (إش ٣٥: ٨ – ٩). هناك سوف نأكل كل النصيب المعيَّن لنا. لأنه مكتوب: ''لأَنَّكَ تَأْكُلُ تَعَبَ يَدَيْكَ. طُوبَاكَ وَخَيْرٌ لَكَ'' (مز ١٢٨: ٢). فعلى الرغم من أن الخيرات السماوية لا تُعطى قياساً على أتعاب كل واحد، إلَّا أن كرم ربنا يُمنح لنا بقياس عظيم. لأنه يقول: ''أَعْطُوا تُعْطَوْا كَيْلاً جَيِّداً مُلَبَّداً مَهْزُوزاً فَائِضاً يُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ'' (لو ٦: ٣٨).

بلاديوس: لقد تحدثت باستقامة. لكن أخبرني لماذا لم يستطع اللاويُّون أن يخدموا الخدمة المقدسة عندما كانوا في مدنهم وبلادهم؟

كيرلس: لأن الخيمة واحدة، والمذبح واحدٌ الذي يُوجد عليه كل المقدسات، وأيضاً الهيكل الذي في أورشليم الذي بناه سليمان هو واحد، وله شكل تلك الخيمة الأولى. فالناموس يمنع تماماً إمكانية أن يقدم البعض ذبيحة خارج الخيمة، والذين أرادوا أن يفعلوا مثل هذا الشيء، خسروا، وكان جزائهم الهلاك الشديد. لأنه تحدث عن ذلك بوضوح: ''وَتَقُولُ لَهُمْ: كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمِنَ الْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ فِي وَسَطِكُمْ يُصْعِدُ مُحْرَقَةً أَوْ ذَبِيحَةً. وَلاَ يَأْتِي بِهَا إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِيَصْنَعَهَا لِلرَّبِّ يُقْطَعُ ذَلِكَ الإِنْسَانُ مِنْ شَعْبِهِ'' (لا ١٧: ٨ – ٩). ففي تلك الأزمنة كان الذهاب إلى الهيكل وإلى المدينة المقدسة ضرورة مطلقة لكل الذين يريدون أن يقدموا ذبائح ويتمموا المقدسات وفقاً للناموس، فقد كان عليهم أن يقدموا عطاياهم لأولئك الذين من سبط لاوي، وهذا هو ما نعلمه مما يقوله الله مراراً بوضوح في سفر التثنية: ''لاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْكُلَ فِي أَبْوَابِكَ عُشْرَ حِنْطَتِكَ وَخَمْرِكَ وَزَيْتِكَ، وَلاَ أَبْكَارَ بَقَرِكَ وَغَنَمِكَ، وَلاَ شَيْئاً مِنْ نُذُورِكَ الَّتِي تَنْذُرُ، وَنَوَافِلِكَ وَرَفَائِعِ يَدِكَ. بَلْ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ تَأْكُلُهَا فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ، أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَاللاَّوِيُّ الَّذِي فِي أَبْوَابِكَ، وَتَفْرَحُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ بِكُلِّ مَا امْتَدَّتْ إِلَيْهِ يَدُكَ. اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَتْرُكَ اللاَّوِيَّ، كُلَّ أَيَّامِكَ عَلَى أَرْضِكَ'' (تث ١٢: ١٧ – ١٩).

لأن الإلهي لا يُقترب منه، ولا تُقبَل الذبيحة بدون لاوي؛ لأن اللاويين يتوسلون كوسطاء يشيرون إلى المسيح، الوسيط الوحيد بين الله والناس[١].

١- يتحدث أيضاً القديس كيرلس عن المسيح كوسيط بينما موسى كان رمزاً له، في موضع آخر، إذ يقول: ''موسى هو وسيط لكنه مجرد رمز على هيئة أمثلة وظلال، بينما الوسيط الحقيقي هو المسيح الذي وحَّدنا بشخصه، حيث إنه حقاً نزل إلينا وصار إنساناً لكي نصير نحن أيضاً شركاء طبيعته متحدين معه بشركة الروح القدس ونعمة الله'' جيلافيرا على سفر الخروج، المقالة الثالثة، الكتاب الشهري ديسمبر ٢٠١٠



أمّا كون أن الكنيسة واحدة، وسر المسيح واحدٌ، وكون أن الذبيحة الآن لا تنتمي إلى الناموس، وأن الذبيحة التي لا تتم في الكنيسة لا تسر الله، بل تُرفض، فهذا ما أظهره الناموس[1] بوضوح قائلاً إنه لا يجب أن تُتمم الذبائح خارج الخيمة المقدسة. ويمكننا أن نتفهم حاجتنا إلى اليقظة ونحن نتناول هذه الأمور مما يأتي. فلم يكن في الأمر تعصباً على الإطلاق، لأن عدداً كثيراً من المدن المنتشرة في كل اليهودية كانت تبعد عن أورشليم بمسافات كبيرة. وبالرغم من مقدار الجهد والتعب وصعوبة تحقيق ذلك، فقد كان على الذين يريدون أن يقدموا باكورة القمح والزيت والخمر أن ينتقلوا سائرين في طريق طويل جداً. هذا التعب جعل البعض يترددون، وهو أمر سيئ، بل ومن أكثر الأمور غباءً؛ لأنه كان من الصعب على الذين يسكنون بعيداً جداً أن يمتنعوا عن الذهاب ويدمروا جمال الحق المستتر في تجميع التقدمات في الخيمة المقدسة.

ولكي تزول كل العوائق من الوسط لفائدتنا، ويُطبّق الناموس وفق إرادة المشرّع، يعلّم موسى ويوضّح الإرادة الإلهية في سفر التثنية قائلاً: ''تَعْشِيراً تُعَشِّرُ كُلَّ مَحْصُولِ زَرْعِكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْحَقْلِ سَنَةً بِسَنَةٍ. وَتَأْكُلُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ، فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ لِيُحِلَّ اسْمَهُ فِيهِ، عُشْرَ حِنْطَتِكَ وَخَمْرِكَ وَزَيْتِكَ، وَأَبْكَارِ بَقَرِكَ وَغَنَمِكَ، لِكَيْ تَتَعَلَّمَ أَنْ تَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَكَ كُلَّ الأَيَّامِ. وَلكِنْ إِذَا طَالَ عَلَيْكَ الطَّرِيقُ حَتَّى لاَ تَقْدِرَ أَنْ تَحْمِلَهُ. إِذَا كَانَ بَعِيداً عَلَيْكَ الْمَكَانُ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ لِيَجْعَلَ اسْمَهُ فِيهِ، إِذْ يُبَارِكُكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، فَبِعْهُ بِفِضَّةٍ، وَصُرَّ الْفِضَّةَ فِي يَدِكَ وَاذْهَبْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ، وَأَنْفِقِ الْفِضَّةَ فِي كُلِّ مَا تَشْتَهِي نَفْسُكَ فِي الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْخَمْرِ وَالْمُسْكِرِ وَكُلِّ مَا تَطْلُبُ مِنْكَ نَفْسُكَ، وَكُلْ هُنَاكَ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ وَافْرَحْ أَنْتَ وَبَيْتُكَ. وَاللاَّوِيُّ الَّذِي فِي أَبْوَابِكَ لاَ تَتْرُكْهُ، لأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ قِسْمٌ وَلاَ نَصِيبٌ مَعَكَ'' (تث ١٤: ٢٢ - ٢٧).

أرأيت كيف يسهّل الناموس الصعوبات، ويجعل الطرق الوعرة ممهدة ومريحة مزيلاً العوائق؟ فهذا ما كان يقصده حين قال بفم النبي: ''طَرِيقُ الصِّدِّيقِ اسْتِقَامَةٌ.

١ـ واضح عند هذا الحد ضعف التقديس، والبركة وتتميم التقدمات بدون المسيح في ''كنائس'' الهراطقة على الجانب الآخر، يوجد المسيح حيث توجد الكنيسة الجامعة، وتوجد الكنيسة الجامعة حيث يوجد المسيح. الإله المتأنس هو رابطة وحدة المؤمنين معه وأيضاً بينهما.



تُمَهِّدُ أَيُّهَا الْمُسْتَقِيمُ سَبِيلَ الصِّدِّيقِ" (إش ٢٦: ٧). لاحظ أيضاً أن الذبيحة دائماً يجب أن يتسلمها اللاوي، فهكذا أظهر لنا الناموس بوضوح أن إله الجميع لا يقبل أية ذبيحة من أيدٍ غير مقدسة، أو تُقدَّم بغير أوامر الناموس.

كرامة الجنس اللاوي

بلاديوس: إذن فكرامة الجنس اللاوي كرامة جامعة وشاملة.

كيرلس: أكثر شمولاً، يا بلاديوس؛ لأن الكاهن هو مثالٌ ورمزٌ للمسيح، طالما أن عمانوئيل قد دُعي "الوسيط بين الله والناس"، وأيضاً "الرسول ورئيس كهنة اعترافنا" حسب الكتب المقدسة (انظر ١تيمو ٢: ٥، عب ٣: ١)، "الذي ليس بدم تيوس وعجول، لكن بدمه دخل مرةً واحدةً إلى قدس الأقداس وللأبد"، محققاً فداءنا الأبدي. وبالذبيحة التي قدَّمها جعل هؤلاء الذين قدَّسهم كاملين حسب الكتب المقدسة أيضاً (انظر عب ٩: ١٢ - ١٣). ولاحظ -إذا أردت- أنه وفقاً لطريقة أخرى، فإن القائم بالخدمة المقدسة يتوَّج بمجد المسيح، الذي أعلن قائلاً: "لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَداً بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلاِبْنِ. لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الاِبْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الاِبْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ" (يو ٥: ٢٢ - ٢٣).

ويقول أيضاً القديس يعقوب في الكتاب المقدس: "وَاحِدٌ هُوَ وَاضِعُ النَّامُوسِ، الْقَادِرُ أَنْ يُخَلِّصَ وَيُهْلِكَ. فَمَنْ أَنْتَ يَا مَنْ تَدِينُ غَيْرَكَ؟" (يع ٤: ١٢)، لكن داود العظيم أيضاً يترنم قائلاً: "الله هو الديان" (مز ٥٠: ٦). هذه المكانة البهية ينسبها المشرع لهؤلاء الذين انحدروا من الدم المقدس، إذ يقول ذات مرة في سفر التثنية: "إِذَا عَسِرَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فِي الْقَضَاءِ بَيْنَ دَمٍ وَدَمٍ، أَوْ بَيْنَ دَعْوَى وَدَعْوَى، أَوْ بَيْنَ ضَرْبَةٍ وَضَرْبَةٍ مِنْ أُمُورِ الْخُصُومَاتِ فِي أَبْوَابِكَ، فَقُمْ وَاصْعَدْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ، وَاذْهَبْ إِلَى الْكَهَنَةِ اللاَّوِيِّينَ وَإِلَى الْقَاضِي الَّذِي يَكُونُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ، وَاسْأَلْ فَيُخْبِرُوكَ بِأَمْرِ الْقَضَاءِ. فَتَعْمَلُ حَسَبَ الأَمْرِ الَّذِي يُخْبِرُونَكَ بِهِ مِنْ ذلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ، وَتَحْرِصُ أَنْ تَعْمَلَ حَسَبَ كُلِّ مَا يُعَلِّمُونَكَ. حَسَبَ الشَّرِيعَةِ الَّتِي يُعَلِّمُونَكَ وَالْقَضَاءِ الَّذِي يَقُولُونَهُ لَكَ تَعْمَلُ. لاَ تَحِدْ عَنِ الأَمْرِ الَّذِي يُخْبِرُونَكَ بِهِ يَمِيناً أَوْ شِمَالاً. وَالرَّجُلُ الَّذِي يَعْمَلُ بِطُغْيَانٍ، فَلاَ يَسْمَعُ لِلْكَاهِنِ الْوَاقِفِ

هُنَاكَ لِيَخْدِمَ الرَّبَّ إِلهَكَ، أَوْ لِلْقَاضِي، يُقْتَلُ ذلِكَ الرَّجُلُ، فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ إِسْرَائِيلَ. فَيَسْمَعُ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَيَخَافُونَ وَلاَ يَطْغَوْنَ بَعْدُ'' (تث ١٧: ٨ – ١٣).

أرأيت كيف كان الناموس يحدد بوضوح لكل الذين يريدون أن يشتكوا على أحد أن يتخذوا من القائمين على الخدمة المقدسة قضاة وحكاماً؟ لكن لاحظ إنك سوف تعمل كل ما يقررونه لك وفق الناموس. لأنه، مكتوب على فم النبي: ''لأَنَّ شَفَتَيِ الْكَاهِنِ تَحْفَظَانِ مَعْرِفَةً، وَمِنْ فَمِهِ يَطْلُبُونَ الشَّرِيعَةَ'' (ملا ٢: ٧). لأن الكاهن لن يُشرِّع شيئاً، بل بالحري يقود إلى التطبيق المستقيم للناموس شارحاً –بلا محاباةٍ– هذا الذي يريده المشرّع، لأن الحاكم العادل الممتاز يزن قراره لكل حالة بكل دقة، ولهذا فمَنْ يختار طريق العصيان يُستدعى للمحاسبة بتهمة قساوة القلب والغرور، وعلى هؤلاء يُفرَض العقاب الذي يفوق كل العقوبات، أي الموت. لأنه يقول سوف يُعاقَب بالموت مَنْ يحتقر الكاهن الذي يمثل أمام المذبح ويخدم اسم الرب الإله. إنه حقاً عطية عظيمة، وأمر جدير بالإعجاب أن يمثُلَ أحدٌ أمام الله وأن يخدمه، وهذا الذي لا يُكرِّم خادم الله الليتورجي يخضع للحُكم والعقاب، وكل مَنْ يحتقر الرتبة الإلهية سوف يدفع بمرارة ثمن أقواله المتعجرفة. سوف نجد أيضاً ربنا يسوع المسيح نفسه يهتم باحترام هذا الناموس. لأنه تحدث لجمع اليهود وقال: ''عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ. فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ وَلَكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لاَ تَعْمَلُوا لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلاَ يَفْعَلُونَ'' (مت ٢٣: ٢ – ٣).

إذن لا يحق لأحد أن يدين القائم بالخدمة المقدسة حتى لو أظهر إهمالاً ما وخمولاً من جهة الحياة وفق وصايا الناموس، بل عندما يفسِّر الناموس، فليَقدَّم له الطاعة. لأنه يمكن أن يخطئ إذا تعلق الأمر برأيه الخاص، لكنه يشرح الأمور الإلهية باستقامة[1]. إذن لا ينبغي أن نهين الإلهيات بسبب الأخطاء البشرية.

بلاديوس: لا ينبغي بالطبع.

١ـ يوضح هنا القديس كيرلس مهمة الراعي التعلمية خاصةً شرح كلمة الله وإيضاح أهمية معرفة شخص المسيح وعمله الفدائي لأجل البشر، وهذه المهمة غير مسموح ان يخطيء فيها الراعي لأنه يعبر عن إيمان الكنيسة المستقيم، أما الخطأ وارد بالنسبة لآرائه الشخصية في أمور تسمح بتنوع الآراء.

كيرلس: وكون أن رتبة الكهنوت هي رتبةٌ بهيَّةٌ، جديرةٌ بالإعجاب، فسوف تفهمه أيضاً من أنه حدَّد بداية هذه الرتبة وكذلك نهايتها. حسناً، إن أي أحدٍ يأتي إلى هذه المكانة المقدسة، أي من دُعيَ من الله تجاه المساكن الفوقية والنورانية، لا يحول خدمته الكهنوتية لآخر. لأجل هذا أوضح المسيح، لهؤلاء الذين يخدمون الأمم بكرازة الإنجيل، وكذلك أيضاً لبني إسرائيل، كيف أنهم بكل طريقة، وعلى أية حال، سوف تصبح لهم مكانة متميزة، وسوف يحققون مجداً من كل جهةٍ. لأنه يقول: ''لَيْسَ أَحَدٌ يُوقِدُ سِرَاجاً وَيَضَعُهُ فِي خُفْيَةٍ وَلاَ تَحْتَ الْمِكْيَالِ بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ لِكَيْ يَنْظُرَ الدَّاخِلُونَ النُّورَ'' (لو ١١: ٣٣).

وكون أن ما قلناه من أن القائم على الخدمة المقدسة يكتسب بهاءً ومجداً عجيباً، هو قولٌ حقيقي، فهذا ما يُقنعنا به أيضاً إشعياء العظيم: ''عَلَى جَبَلٍ عَالٍ اصْعَدِي، يَا مُبَشِّرَةَ صِهْيَوْنَ'' (إش ٤٠: ٩).

بلاديوس: بالفعل، إن هذه الأمور واضحة هكذا لكل واحد. لكن إشرح لي كيف أشارت الأقوال المقدسة إلى هذا الأمر؟

كيرلس: أيضاً، يا صاحبي، وحسناً بدون تعب إطلاقاً، ترى أن الأمر يُوصف بأمثلة مادية. لأن الله قال في سفر العدد لموسى: ''وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ فِي جَبَلِ هُورٍ عَلَى تُخُمِ أَرْضِ أَدُومَ قَائِلاً: يُضَمُّ هَارُونُ إِلَى قَوْمِهِ لأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الأَرْضَ الَّتِي أَعْطَيْتُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكُمْ عَصَيْتُمْ قَوْلِي عِنْدَ مَاءِ مَرِيبَةَ. خُذْ هَارُونَ وَأَلِعَازَارَ ابْنَهُ وَاصْعَدْ بِهِمَا إِلَى جَبَلِ هُورٍ، وَاخْلَعْ عَنْ هَارُونَ ثِيَابَهُ، وَأَلْبِسْ أَلِعَازَارَ ابْنَهُ إِيَّاهَا. فَيُضَمُّ هَارُونُ وَيَمُوتُ هُنَاكَ. فَفَعَلَ مُوسَى كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ، وَصَعِدُوا إِلَى جَبَلِ هُورٍ أَمَامَ أَعْيُنِ كُلِّ الْجَمَاعَةِ. فَخَلَعَ مُوسَى عَنْ هَارُونَ ثِيَابَهُ وَأَلْبَسَ أَلِعَازَارَ ابْنَهُ إِيَّاهَا. فَمَاتَ هَارُونُ هُنَاكَ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ، ثُمَّ انْحَدَرَ مُوسَى وَأَلِعَازَارُ عَنِ الْجَبَلِ. فَلَمَّا رَأَى كُلُّ الْجَمَاعَةِ أَنَّ هَارُونَ قَدْ مَاتَ، بَكَى جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ عَلَى هَارُونَ ثَلاَثِينَ يَوْماً'' (عد ٢٠: ٢٢ - ٢٩).

أرأيت إذن كيف يُقتاد هارون إلى أعلى إلى الجبل لكي يموت ويُنهي حياته ويخلفه في الكهنوت ألعازار الذي أتى من صُلبه؟ الجبل بالطبع يمكن أن يعني المكانة العالية والمنظورة من كل جهة والمجد البهي.

ليت يُقال عن كل واحد انخرط في الكهنوت: ''لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ'' (مت ٥: ١٤).

المقالة الرابعة عشر

في أنه ينبغي على كل الذين يريدون أن ينغرسوا في الكنائس أن يتطهروا ويغتسلوا من دنس الخطيئة، وهكذا يأتون إلى الله.

متطلبات المؤمنين من غير الإكليروس

كيرلس: حسناً، لقد تحدثت باتساعٍ كبير عن الخيمة المقدسة وأيضاً عن الكهنة وخدمة اللاويين، وفحصتُ الموضوع بالتفصيل. لكن يجب على الذين يريدون أن يحيوا باستقامة ويتوِّجوا رؤوسهم بحياة الكمال اللائق باسم المسيح أن ينصح بعضهم البعض بتأهبٍ قائلين: ''هَلُمَّ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ إِلَى بَيْتِ إِلَهِ يَعْقُوبَ فَيُعَلِّمَنَا مِنْ طُرُقِهِ وَنَسْلُكَ فِي سُبُلِهِ». لأَنَّهُ مِنْ صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ وَمِنْ أُورُشَلِيمَ كَلِمَةُ الرَّبِّ'' (إش ٢: ٣)، لأنه في اللحظة التي يسمع فيها أناس آخرون هذه النصيحة البهية والمفيدة، يقفزون من الفرح قائلين: ''فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب'' (مز ١٢٢: ١). إذاً، ما هو هدف الذين يسيرون إلى بيت الله يا بلاديوس؟ وإلى أين تتجه أفكارهم، وما هو الذي يشتهون تحقيقه وهم مسرعون إلى الخيمة المقدسة الإلهية؟

بلاديوس: الأمر واضح يا صديقي. لأنه مكتوب: ''أسجدوا للرب في زينةٍ مقدسة'' (مز ٩٦: ٩).

كيرلس: إذن، فالبعض يقدمون ذبائح لأجل ذواتهم، ذبائح روحية طبعاً، كما يأتون لأجل السجود الروحي، يدخلون إلى بيت الرب وإلى دياره.

بلاديوس: هذا ما أعتقده.

كيرلس: إذاً، هل يمكن أن نعتبر أنه يكفي للذين يريدون المجيء أن يُسرعوا –بالمجئ– دون أن يكونوا قد تطهروا من الخطية، أو دون أن يكونوا قد تخلصوا من

النجاسة، ودون أن يغتسلوا من دنس محبة الجسد[1]، ودون أن يكون عقلهم وقلبهم مملوءاً بانتقاداتٍ حادةٍ، بل يكونوا مشعين ببهاء المسيح ولامعين بجمال التقوى؟

بلاديوس: هكذا بالضبط. وأنا أعتقد أنه يجب أن نأتي أمام أعين الرب وقد تطهَّر ذهننا من كل نوع من النجاسة.

كيرلس:أنت تتحدث بالصواب؛ لأن الناموس يمقت النجس ويطرده من جماعة القديسين. حسناً. هذا ما كان يدركه بولس الرسول حين كتب: ''فأعزلوا الخبيث من بينكم'' (١ كو ٥: ١٣). على أنني لا أستطيع أن أقول أن كلامه هذا ناتج عن تشدد أخلاقي، بل هو وسيلة حكيمة للحفاظ على سلامة الجماعة؛ لأنه يقول: ''خميرة صغيرة تُخمِّر العجين كله'' (١ كو ٥: ٦). هذا بالتأكيد يصوِّره لنا –كرمزٍ– أيضاً الناموس المقدس؛ لأنه مكتوب في سفر العدد: ''وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَنْفُوا مِنَ الْمَحَلَّةِ كُلَّ أَبْرَصَ، وَكُلَّ ذِي سَيْل، وَكُلَّ مُتَنَجِّسٍ لِمَيْتٍ. الذَّكَرَ وَالأُنْثَى تَنْفُونَ. إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ تَنْفُونَهُمْ لِكَيْلاَ يُنَجِّسُوا مَحَلاَّتِهِمْ حَيْثُ أَنَا سَاكِنٌ فِي وَسَطِهِمْ». فَفَعَلَ هكَذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ وَنَفَوْهُمْ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ. كَمَا كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى هكَذَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ'' (عدد ٥: ١ – ٤).

ألا يحق لنا أن نتساءل في حيرة ونقول إن حِمل الناموس ثقيلٌ، ويصعب أن يحمله أحد؟ لأنك من الوهلة الأولى أدركت من هذه الأقوال أنه يفرض جزاءً أيضاً على الأمراض الجسدية التي تصيب الإنسان دون إرادته، بالرغم

١- يؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم على التطهير بدم المسيح أثناء حديثه عن ما قاله بولس الرسول ''لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد. فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه بلا عيب يُطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي'' (عب ٩:١٣ - ١٤). هكذا يقول، إنه إذا كان دم ثيران يمكن أن يطهر الجسد، فكم بالأحرى دم المسيح القادر على أن يطهر نجاسة النفس. ولكي لا تعتقد وأنت تسمع أن (دم تيوس وثيران) ''يقدس''، وأن هذا الدم هو شيء مهم، فإنه يشير ويُظهر الفرق بين كل من التطهيرين، وكيف أن التطهير بدم المسيح هو أسمى وأعلى بكثير، بينما التطهير (بدم الحيوانات) هو محدود وبسيط. ويقول أن هذا الدم هو دم طبيعي جداً، بينما ذلك الدم كان لتيوس، لكن هذا الدم فهو دم المسيح. ولم يكتف بالاسم فقط، بل يذكر طريقة التقدمة، لأنه يقول: ''الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب''. بمعنى أن الذبيح كان بلا عيب ونقياً من الخطايا. وعبارة ''بروح أزلي''، تعلن أنه لم يُقدم (نفسه) بنار ولا بأشياء أخرى. يقول ''يطهر ضمائركم من أعمال ميتة''. وبالصواب قال ''من أعمال ميتة''، لأنه إن لمس أحد آنذاك ميتاً كان يتنجس، وهنا لو حدث أن شخصاً مارس أعمال ميتة يتنجس ضميره. ثم يقول ''لتخدموا الله الحي'' هنا يظهر أن ذاك الذي يُمارس أعمالا ميتة، لا يمكنه أن يخدم الله الحي. وبالصواب قال '' الله (الحقيقي) الحي''، مُظهراً بهذا أن التقدمات التي تقدم له ينبغي أن تكون هكذا (حية). وبناء على ذلك فكل ما هو لنا (في المسيح) هي أمور حية وحقيقية، أما تلك التي كانت لليهود هي أعمال ميتة وكاذبة، وهي بالحق هكذا'' تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.



من أن الذين حلّت عليهم مثل هذه الأمراض يجب أن يُعاملوا بالرحمة. هكذا يمكن لأحدٍ أن يتساءل: لماذا يُبعَد الأبرص ويُطرد عن الخيمة، وكذلك من يعاني من سيل، وأيضاً ومن نجاسة النفس؟

بلاديوس: يمكنني أن أفهم، إذا شرحت هذا الأمر.

شريعة الأبرص، وذي السيل، والنجس

كيرلس: أنا أعتقد أن الله فيما هو يرسم لنا العبادة الإلهية والروحية لا يكترث كثيراً بالأمور الجسدية والمادية. لأن كل ما يُعد بمثابة مخالفات للناموس، وكل الأمور التي تتخطى الأمر الواجب يُعاقَب عليها الذين يرتكبونها، أمّا المرض الجسدي فإنه لا يخالف الناموس بأية طريقة، وهو بعيدٌ جداً عن أية إدانة، ولا يمكن أن يكون محل نقاش. ألا يتضح للجميع أن أحداً لا يمرض بإرادته، وأن كل واحد يتمنى أن يكون في عافية وصحة[1]؟

بلاديوس: هذا حقيقي.

كيرلس: إذن، حتى لو كان أسلوب هذا الحديث غير منمق، فإنه لا يجب أن يضايقنا إطلاقاً. لأن الأمور الروحية نُظِّمت جيداً طبقاً لإرادة المشرِّع. والبرص يُعدُّ موتاً للجسد، وهو مرض فتّاك، ولذلك امتلأ موسى بالخوف والضيق عندما مرضت مريم، وترجى الله قائلاً: ''أَسْأَلُكَ يَا سَيِّدِي لاَ تَجْعَل عَلَيْنَا الْخَطِيَّةَ الَّتِي حَمِقْنَا وَأَخْطَأْنَا بِهَا. فَلاَ تَكُنْ كَالْمَيِّتِ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ رَحِمِ أُمِّهِ قَدْ أُكِلَ نِصْفُ لَحْمِهِ». فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ: «اللّهُمَّ اشْفِهَا»'' (عدد ١٢: ١١ – ١٣). ماذا أقول لمن يعاني من سَيل؟ ما هو هذا المرض، إنه مرض معروف للجميع. البعض أيضاً هم مرضى في النفس، ويبدو لي أنه يعني شيئاً مثل هذا، أن يلمس أحدٌ ميتاً، أو أن يقترب أحدٌ من جسد ميتٍ، فالناموس يعتبر ذلك شكلاً من الدنس، مُظهراً أن الموت شيءٌ مكروهٌ عند الله الذي يُحيي كل شيء. لكن بطريقة أخرى، نقبل الأمر على أنه مثالٌ لموت العقل والنفس. هكذا العقل الذي ينغلق في الخطية، والذهن الميت، والذي أعتاد أن يبتعد عن الإنجازات الفاخرة التي تقود إلى

١ـ يأخذ القديس كيرلس هنا موقف المرء الذي لا يرى في الأمراض الجسدية جرائم يُعاقب عليها الإنسان. ثم يشرح بعد ذلك أن هذه الأمراض الجسدية هي مجرد أمثلة لأمراض روحية.

الحياة. فإذا حدث أن مات شخصٌ ما، فمن الضرورة الحتمية أن يأتي إليه الأهل والعائلة ويقدمون ما هو معتاد في مثل هذه الحالات. هكذا أيضاً حُسِبَ هؤلاء دنسين وفقاً للناموس، لكن ليس تماماً ودائماً،حيث كانت هناك طريقة لتطهيرهم.

بلاديوس: حسناً جداً.

كيرلس: إذن فلننقل الآن هذا الحدث التاريخي إلى الرؤية الروحية. يكشف لنا البرص عمن هو ملطخٌ بشهوات الشباب. هذه هي أعمال الجسد التي عدَّدها بولس الحكيم مُسمياً إياها: "زِنىً عَهَارَةٌ نَجَاسَةٌ دَعَارَةٌ. عِبَادَةُ الأَوْثَانِ سِحْرٌ عَدَاوَةٌ خِصَامٌ غَيْرَةٌ سَخَطٌ تَحَزُّبٌ شِقَاقٌ بِدْعَةٌ" (غلا ٥: ١٩ - ٢٠).

الآخر الذي يعاني من سَيل، يعلن لنا أيضاً -روحياً- هذا الذي يتدحرج دائماً وبلا هوادة داخل الأدناس، ويُبذِّر -بلا فائدةٍ- إمكانية طبيعتنا الجديرة بالإعجاب في أن تُثمر للفضيلة.

بلاديوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: إذا تحدثت عن كل شيء بالتفصيل، فسوف يتسع نطاق حديثنا، لذا فسوف استخدم مِثالاً واضحاً، بل شديد الوضوح، لكي أُبيِّن كل ما قلته. ألا يستمتع أصحاب الذهن الثاقب والفعّال، الذين يستخدمونه لصياغة الحق، بنعمة استقامة العقائد والحق كثمرة جديرة بالإعجاب؟

بلاديوس: حسناً جداً.

كيرلس: وعلى العكس من ذلك، فالذين ينحرفون بأذهانهم عن جادة الطريق، ويجعلون ذهنهم خادماً لشر العالم، ويجعلون منه أباً للجبن والخداع، ويبذِّرون قدرتهم الطبيعية من جهة الصلاح، في أمور غير مفيدة، إذ يساندون بذهنهم العقائد الفاسدة والمريضة، إنما يكونون مثالاً جيداً لمن يعاني من سيل، وبطريقتهم هذه يُظهِرون بالمرض الجسدي، مرض الطبيعة الروحي[1].

بلاديوس: أنت تتحدث باستقامة.

١- واضح هنا استخدام المصطلح الطبي من جانب آباء الكنيسة الشرقية عندما يُشار إلى الخطية، في نفس الوقت الذي يرفضون فيه المصطلح القانوني، فما يحتاجه الإنسان الخاطيء هو الشفاء وليس العقاب.

كيرلس: كذلك فإن دَنِسَ النفسِ أيضاً، يقدِّم ذاته مثالاً للشخص الخامل، الذي يشترك في خطايا الآخرين، والذي قال له داود: ''إِذَا رَأَيْتَ سَارِقاً وَافَقْتَهُ وَمَعَ الزُّنَاةِ نَصِيبُكَ'' (مز ٥٠: ١٨). ومثلما يدمر ارتكاب الأمور الممنوعة النفسَ، ويميت الذهن، هكذا إذا وافق شخصٌ ما أولئك الذين يفعلون هذه الأمور، فإنه يصير شريكاً لهم في خطيئتهم. لأجل ذلك يقول بولس: ''وَلاَ تَشْتَرِكْ فِي خَطَايَا الآخَرِينَ. احْفَظْ نَفْسَكَ طَاهِراً'' (١ تيمو ٥: ٢٢). هذا هو معنى أن يتدنس أحدٌ من الميِّت.

بلاديوس: هكذا يبدو.

كيرلس: إذن، فقد أمر أن يُبعَد كل ذي سيل أو مَن كان يعاني برصاً أو دنساً نفسياً عن مجمع الشعب، ولم يسمح لمن تدنس بدنسٍ يصعب التطهُّر منه أن يندمج في صفوف القديسين؛ لأنه يقول: ''لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَ الإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟'' (٢ كو ٦: ١٤).

بلاديوس: وبالتالي يكون خطراً أن يذهب المرء إلى بيت الله بأرجل تسلك في طريق الشر.

أُناسٌ خارج جماعة الرب

كيرلس: خطرٌ جداً. وطالما أن هذا حق، فمن الخطورة بمكان أيضاً أن يقاوم أحدٌ إرادة الله. في سفر التثنية يمنع أيضاً آخرين من الدار المقدسة، قائلاً: ''لاَ يَدْخُلْ مَخْصِيٌّ بِالرَّضِّ أَوْ مَجْبُوبٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. لاَ يَدْخُلِ ابْنُ زِنىً فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ لاَ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. لاَ يَدْخُلْ عَمُّونِيٌّ وَلاَ مُوآبِيٌّ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ لاَ يَدْخُلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ إِلَى الأَبَدِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَمْ يُلاَقُوكُمْ بِالْخُبْزِ وَالْمَاءِ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ، وَلأَنَّهُمُ اسْتَأْجَرُوا عَلَيْكَ بَلْعَامَ بْنَ بَعُورَ مِنْ فَتُورِ أَرَامِ النَّهْرَيْنِ لِكَيْ يَلْعَنَكَ. وَلكِنْ لَمْ يَشَإِ الرَّبُّ إِلهُكَ أَنْ يَسْمَعَ لِبَلْعَامَ، فَحَوَّلَ لأَجْلِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ اللَّعْنَةَ إِلَى بَرَكَةٍ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدْ أَحَبَّكَ، لاَ تَلْتَمِسْ سَلاَمَهُمْ وَلاَ خَيْرَهُمْ كُلَّ أَيَّامِكَ إِلَى الأَبَدِ'' (تث ٢٣: ١ – ٦).

بلاديوس: كنت أود أن أعلم مَنْ يقصد بالمخصي، ومَنْ هو العموني والموآبي.

كيرلس: حسناً اسمع. لا يوجد، يا بلاديوس، طريقة واحدة لأنْ يخصي أحدٌ نفسه.

لأن المعنى مزدوج كما يقولون. فبالنسبة للبعض تُقطع وتُنزع أعضاء الذكورة، أمَّا بالنسبة للبعض الآخر فتُعطَّل وتكون بلا استخدام تماماً، أو تكون أعضاء تناسل الجسد غير ناضجة، وبالتالي لا تستطيع أداء وظيفتها، بالرغم من أنهم يصنفون كرجال من جهة طبيعتهم وسنهم وعمرهم. ولأن أعضاء الرجولة هي رمزٌ للتصرف الرجولي، فإننا نعتبر أن الأعضاء الذكورية المعطلة ترمز للنفس والعقل الذي لم يتحطم تماماً، بل يكون توجهه الجاد في داخله، نحو عمل الصلاح معطلاً[1]. أمَّا الذي نَزَعَ هذه الأعضاء، فإنما يشير إلى الإنسان الذي فقد ملامح الرجولة تماماً، وأصبح محروماً منها. لذا يسري نفس الحكم على الاثنين: الذي لا يريد أن يُظهِر الرجولة أبداً، والذي ارتضى بعدم أداء وظيفة أعضاءه.

بلاديوس: ماذا تعني بهذا الأمر؟

كيرلس: البعض أطلق العنان للشهوات الجسدية واستسلموا للشهوة تاركين عقلهم ليقع في الضعف وينغمس في اللذات وفي الخلاعة. أمَّا الآخرون فقد أحبوا الانضباط وجاهدوا بكل قوة من أجل اكتساب هذه الفضيلة، لكنهم خافوا ولم يصمدوا للنهاية، ولأنهم لم يتحملوا بعد هجوم اللذة ارتضوا بالضعف. إذن فمَن بذل محاولةً لإظهار الرجولة، لا يمكن أن ندعوه مقطوعاً، أليس كذلك؟ بينما ذاك الذي أراد أن يظهِر نفس الرجولة، لكن لم يكن لديه من القوة ما يمكِّنه من أن يحقق إنجاز الفضيلة، ألا تعتبره عاطلاً؟ إذن، فشهوات الجسد تشير -بطريقة مناسبة- إلى كل نوع من التصرف على حدة، إذ تعتبر الأمور المحسوسة بمثابة رمزٍ للأمور الذهنية وغير المنظورة[2].

بلاديوس: بالتأكيد.

كيرلس: مع كل هؤلاء يُمنع العموني والموآبي، كدنسين ومقزِّزين وباعتبارهم مثل الأسود، يهاجمون القديسين ويطلقون عليهم سهام الحسد والغيرة وقد

١- ما يجعلنا نفضل الصلاح هو تذكر الله، إذ يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "أمر عظيم أن يتذكّرنا الله، وعظيم أيضاً أن نتذكّره نحن أيضاً، وهذا يجعلنا نفضل الصلاح" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ٣٤٦

٢- هذا هو منهج القديس كيرلس في التفسير مثل أي أب ينتمي لمدرسة الأسكندرية، حيث تعبِّر الأمور المحسوسة عن صور ونماذج ورموز للأمور الروحية

ينجحون في هذا. فبني عمون هم مثال للهراطقة غير المستحقين للرحمة، بينما بني موآب هم مِثال لأولئك الذين ما يزالون في ضلال الأوثان ويخضعون لخبث الشياطين. حيث يُعد الاثنين كارهين لله، يتغذون على الوقاحة ضد القديسين.

بلاديوس: لم أفهم جيداً ما تقوله.

كيرلس: ستفهم حالاً. بني عمون هم من نسل عيسو، ينحدرون من نفس دم نسل يعقوب، أقصد الإسرائيليين، لكنهم تصرفوا -ولا أعرف كيف- تصرفات غير معقولة لا تتفق وطبيعتهم باعتبارهم من نفس طبيعة الإسرائيليين، فقد أنكر نسل عيسو عليهم قرابتهم، وظهروا أمامهم على درجة كبيرة من الفظاعة وعدم الرحمة، في حين أنهم أقاربهم من نفس دمهم، أقصد الإسرائيليين. فعندما رحل الإسرائيليون من مصر مروا بجوار بلاد عمون، وكإخوة لهم طلبوا إليهم أن يسمحوا لهم بالعبور من طرف بلادهم، وأن يُظهروا لهم الرحمة لأنهم تعذبوا كثيراً، لكن هؤلاء لم يسمحوا لهم، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل انتفضوا يحاربونهم بالأسلحة، ولولا أنهم هربوا بإعلان إلهي لوقعوا في مشقات شديدة. هذا ما يقوله الكتاب المقدس كالآتي: ''وَأَرْسَلَ مُوسَى رُسُلاً مِنْ قَادَشَ إِلَى مَلِكِ أَدُومَ: «هكَذَا يَقُولُ أَخُوكَ إِسْرَائِيلُ: قَدْ عَرَفْتَ كُلَّ الْمَشَقَّةِ الَّتِي أَصَابَتْنَا. إِنَّ آبَاءَنَا انْحَدَرُوا إِلَى مِصْرَ، وَأَقَمْنَا فِي مِصْرَ أَيَّاماً كَثِيرَةً وَأَسَاءَ الْمِصْرِيُّونَ إِلَيْنَا وَإِلَى آبَائِنَا، فَصَرَخْنَا إِلَى الرَّبِّ فَسَمِعَ صَوْتَنَا، وَأَرْسَلَ مَلاَكاً وَأَخْرَجَنَا مِنْ مِصْرَ. وَهَا نَحْنُ فِي قَادَشَ، مَدِينَةٍ فِي طَرَفِ تُخُومِكَ. دَعْنَا نَمُرَّ فِي أَرْضِكَ. لاَ نَمُرُّ فِي حَقْلٍ وَلاَ فِي كَرْمٍ، وَلاَ نَشْرَبُ مَاءَ بِئْرٍ. فِي طَرِيقِ الْمَلِكِ نَمْشِي، لاَ نَمِيلُ يَمِيناً وَلاَ يَسَاراً حَتَّى نَتَجَاوَزَ تُخُومَكَ». فَقَالَ لَهُ أَدُومُ: «لاَ تَمُرُّ بِي لِئَلاَّ أَخْرُجَ لِلِقَائِكَ بِالسَّيْفِ»'' (عدد ٢٠: ١٤ – ١٨). ثم بعد ذلك بقليل يقول: ''فَقَالَ: «لاَ تَمُرُّ». وَخَرَجَ أَدُومُ لِلِقَائِهِ بِشَعْبٍ غَفِيرٍ وَبِيَدٍ شَدِيدَةٍ. وَأَبَى أَدُومُ أَنْ يَسْمَحَ لإِسْرَائِيلَ بِالْمُرُورِ فِي تُخُومِهِ، فَتَحَوَّلَ إِسْرَائِيلُ عَنْهُ'' (عدد ٢٠: ٢٠ – ٢١). أعتقد أن هذا الحديث واضح ومحدد، أليس كذلك؟

بلاديوس: ليس كثيراً جداً.

كيرلس: ألا تفهم أنهم كانوا على صِلة قرابة وثيقة مع الإسرائيليين، وبالرغم من ذلك

فقد أظهرتهم مجريات الأمور غير عطوفين وقساة، لا يختلفون في شيء عن الوحوش المفترسة؟ فبينما كان يجب عليهم أن يشعروا بالحزن على إخوتهم الذين تعذَّبوا وتألموا، نجدهم وقد خرجوا للقائهم بسيوف لكي يهلكوهم. لأجل هذا يقول الناموس: "لا يَدْخُل مِنْهُمْ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ إِلَى الأَبَدِ. مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لمْ يُلاقُوكُمْ بِالخُبْزِ وَالماءِ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ وَلأَنَّهُمُ اسْتَأْجَرُوا عَلَيْكَ بَلعَامَ بْنَ بَعُورَ مِنْ فَتُورِ أَرَامِ النَّهْرَيْنِ لِيَلعَنَكَ" (تث ٢٣: ٣ – ٤)، فقد وصلوا إلى درجة من الفظاعة إلى الحد الذي أظهروا فيه عدم إحساسٍ ووحشية شديدة، هكذا الأدوميون هم مثال للهراطقة، وهكذا رؤساؤهم الذين يقفون ضدنا نحن الذين فضَّلنا الطريق المستقيم. فقد غيَّروا بآرائهم أفكار الأخوة من نحونا، في كل ما يخص معرفة الله الواحد الآب، وقبول الإيمان بالابن والروح القدس[1]، بالرغم من أنهم لا يملكون معرفةً صحيحةً ولا حقيقية عن درجة أُخوَّتهم لنا. وعندما كنا مضطَهَدين لم يكتفوا بعدم مساعدتنا، بل بالحري أثقلوا علينا بشرورهم الخبيثة المتنوعة.

لأنهم وفق المكتوب: "مِنَّا خَرَجُوا، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَّا، لأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مِنَّا لَبَقُوا مَعَنَا" (١ يو ٢: ١٩). وهؤلاء بسبب إحساسهم المزيف، ولأنهم لم يعتادوا أن يعملوا الأعمال التي تمجِّد المخلص، يقول لهم المخلص نفسه: "مَنْ لَيْسَ مَعِي فَهُوَ عَلَيَّ وَمَنْ لاَ يَجْمَعُ مَعِي فَهُوَ يُفَرِّقُ" (لو ١١: ٢٣).

هل رأيت إلى أي مدى تشبه مدارس الهراطقة التي تكره الله، بني عمون، هؤلاء الهراطقة الذين يعانون روحياً من مرض ذهني لغياب محبتهم لله وقبولهم له؟

بلاديوس: بالتأكيد.

كيرلس: لاحظ أيضاً أن بني موآب كانوا يحاربون من كانوا يعبدون الإله الواحد؛ لأنهم كانوا عبدة أوثان، وقد سلَّموا أنفسهم -بوقاحةٍ شديدةٍ- للعرافين والسحرة، حتى أنهم كانوا يفزعون بشكلٍ مبالغ فيه عند رؤيتهم الطيور وهي تطير، بل ويصرِّون بأسنانهم غيظاً إذا ما حدثت أمورٌ حسنةٍ للإسرائيليين، وقد وصل بهم الحال إلى حد أنهم دفعوا أموالاً لبلعام لكي يحرِّضوه لكي يلعن بني إسرائيل. هكذا فإن حرب الوثنيين ضدنا، تعتبر رمزاً

١- الهراطقة هنا كما يراهم القديس كيرلس هم الذين لا يؤمنون بأساسيات الإيمان، مثل عدم الإيمان بالثالوث القدوس.

لهذا الأمر. فهم يحسدون مجد مسيحنا، ويحركوا ضدنا كل قوة الشيطان، ولكن النعمة الإلهية والسماوية تزعزع وتذرّي جُبن قطيع الشياطين، مبعثِرَةً إياه في الظلام، وتُبطل أعمال القهر، وتجلب النعمة علينا فرحاً وسروراً.

بلاديوس: صحيح جداً.

كيرلس: واضح إذاً أن المقدسات لا يقترب منها بنو عمون، ولا بنو موآب، وهذا طبيعي جداً؛ لأنه لابد أن تُفرض عليهم عقوبات لأجل تطاولاتهم ووقاحتهم هذه. عليك أن تلاحظ كيف أمَّن الناموس جانب القديسين عندما أبعدهم عنهم وأمرهم ألَّا يتحدثوا معهم قائلاً: ''لاَ تَلْتَمِسْ سَلاَمَهُمْ وَلاَ خَيْرَهُمْ كُلَّ أَيَّامِكَ إِلَى الأَبَدِ'' (تث ٢٣: ٦). أليس هذا ما علَّمنا إياه القديسان بولس ويوحنا؟ فقد قال أحدهما: ''إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِيكُمْ وَلاَ يَجِيءُ بِهَذَا التَّعْلِيمِ، فَلاَ تَقْبَلُوهُ فِي الْبَيْتِ، وَلاَ تَقُولُوا لَهُ سَلاَمٌ'' (٢ يو ١٠). هذا يعني: ''لاَ تَلْتَمِسْ سَلاَمَهُمْ''. والآخر قال: ''اَلرَّجُلُ الْمُبْتَدِعُ بَعْدَ الإِنْذَارِ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ أَعْرِضْ عَنْهُ. عَالِماً أَنَّ مِثْلَ هَذَا قَدِ انْحَرَفَ'' (تيطس ٣: ١٠ – ١١). هذا يعني ''وَلاَ خَيْرَهُمْ كُلَّ أَيَّامِكَ إِلَى الأَبَدِ''. إذن فقد حذَّر الناموس من أن يجتمع أحدٌ على الإطلاق مع الذين انحرفوا؛ لأن تصرفاتهم تتصف بالجنون: ''اسْلُكُوا بِنُورِ نَارِكُمْ وَبِالشَّرَارِ الَّذِي أَوْقَدْتُمُوهُ'' (إش ٥٠: ١١). ويلاحظ أن الناموس منع بني عمون حتى الجيل الثالث، بينما منع بني موآب حتى الجيل العاشر، وهذا الاختلاف الزمني يكشف -كما أعتقد- عن حجم غضب الله على الاثنين. العقاب الأصغر هو عقاب الهراطقة، الذين يمكننا أن نقول لهم مثلما قيل بالضبط لليهود: ''لَهُمْ غَيْرَةً لِلَّهِ وَلَكِنْ لَيْسَ حَسَبَ الْمَعْرِفَةِ'' (رو ١٠: ٢)، فهم يؤمنون بأنهم يتحدثون بالصواب والحِكمة، لكنهم لم يستطيعوا أن يفهموا عقائد الحق فحاربوها، واستولت عليهم غيرة مزيفة، واعتقدوا أنهم بذلك يمجِّدون الله محاربين الذين يفكرون باستقامة. أمَّا بنو موآب، أي حشد الوثنيين، فعن عمدٍ وبدون خجل يحاربون مجد الله، لذلك حفظ الناموس لهم جزاءً ثقيلاً. هكذا يكون الاثنان مطرودين من الحظائر المقدسة كدنسين وكارهين لله.

بلاديوس: إذن لا يمكن لأحد أن ينجو من الدنس، إذا أراد أن يتحدث مع أولئك الذين لهم إيمان مختلف، أو مع مَنْ هم مِن الأمم.

كيرلس: لقد فهمت هذا الأمر جيداً. لأجل هذا أيضاً يمنع الناموس أولئك الذين اغتسلوا وتطهروا وأصبحوا من أهل بيت الله، من أن يتصلوا بأولئك الدنسين، قائلاً: ''مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوباً كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: الْحِثِّيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، سَبْعَ شُعُوبٍ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ. لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْداً، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ. بِنْتَكَ لاَ تُعْطِ لابْنِهِ، وَبِنْتَهُ لاَ تَأْخُذْ لابْنِكَ. لأَنَّهُ يَرُدُّ ابْنَكَ مِنْ وَرَائِي فَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى، فَيَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ وَيُهْلِكُكُمْ سَرِيعاً'' (تث ٧: ١ – ٤).

إذن فالناموس يهدف إلى الأمان؛ لأنه يقول: ''لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْداً، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ''. أي لا تقطع عهداً مع الذي لا علاقة له بالقداسة ولا يتفق معها. كذلك لا تقطع عهداً مع مَن لا زال يوجود في الظلمة والضباب، ولا مع الذي يقبل ما لا يُقبل، ولا مع هؤلاء الذين يدخلون عنوةً إلى الخيمة الإلهية والمقدسة، أولئك الذين هم مقاومون لها.

لماذا يصر الناموس –بحسم– على الفصل بين الطاهر والنجس؟

بلاديوس: لماذا يصر الناموس على أن يفصل بحسمٍ بين الدنس والطاهر، حتى لو كان الشخص في قمة الفضيلة؟

كيرلس: يا صاحبي، هناك خوفٌ عظيم جداً. فربما نفكر في أن الواقف باستقامة، يمكن أن يتزعزع من أجل أمورٍ غير لائقة، فينحرف عن جادة الصواب جراء وقوع حدثٍ ما، أو أن تدفعه لذته إلى الخطأ أو الميل تجاه ما هو موجود في طبيعتنا التي دائماً ما تميل تجاه الشر، مثلما تؤكد الكلمة الإلهية، لأنه يقول: ''تصوَّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته'' (تك ٨: ٢١). وتُعتبر ابنة يعقوب برهاناً واضحاً على ذلك، فقد عانت من كل ما قلناه، إن شئت عرضته لك.

بلاديوس: أعتقد أنك تقصد دينا.

كيرلس: بالضبط، يا بلاديوس. يكتب سفر التكوين الآتي: ''ثُمَّ أَتَى يَعْقُوبُ سَالِماً إِلَى مَدِينَةِ شَكِيمَ الَّتِي فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، حِينَ جَاءَ مِنْ فَدَّانِ أَرَامَ. وَنَزَلَ أَمَامَ الْمَدِينَةِ.

وَابْتَاعَ قِطْعَةَ الْحَقْلِ الَّتِي نَصَبَ فِيهَا خَيْمَتَهُ مِنْ يَدِ بَنِي حَمُورَ أَبِي شَكِيمَ بِمِئَةِ قَسِيطَةٍ. وَأَقَامَ هُنَاكَ مَذْبَحاً وَدَعَاهُ «إِيلَ إِلهَ إِسْرَائِيلَ»، وَخَرَجَتْ دِينَةُ ابْنَةُ لَيْئَةَ الَّتِي وَلَدَتْهَا لِيَعْقُوبَ لِتَنْظُرَ بَنَاتِ الأَرْضِ، فَرَآهَا شَكِيمُ ابْنُ حَمُورَ الْحِوِّيِّ رَئِيسِ الأَرْضِ، وَأَخَذَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَأَذَلَّهَا. وَتَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِدِينَةَ ابْنَةِ يَعْقُوبَ، وَأَحَبَّ الْفَتَاةَ وَلاَطَفَ الْفَتَاةَ" (تك ٣٣: ١٨ - ٢٠، ٣٤: ١ - ٣).

لاحظ إذن، أنه عندما كانت ما تزال ساكنة في خيمة أبيها الذي أقام مذبحاً عظيماً، ودعي إله الإسرائيليين، كانت تفتخر ببتوليتها. لكن عندما خرجت من الخيمة الأبدية وتركت المكان المقدس واختلطت مع عابدي الأوثان، أُجبرت على الخضوع لوضاعة غير معتادة وفقدت عذريتها. وبالرغم من أنها لم تُرِد في البداية خدمة لذة الآخرين، إلّا أنها عادت ورغبت أن تحيا مع ذاك الذي خدعها: "وَتَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِدِينَةَ ابْنَةِ يَعْقُوبَ".

بلاديوس: هذا صحيح.

كيرلس: دعنا إذن نقارن الأمور المحسوسة بصورة الأمور الذهنية، ودعنا نقول إنه عندما يسكن شخصٌ، كأنه داخل خيمة، في حياة ممتازة جداً، فإنه سيكون كُليّ النقاوة، طاهراً وبعيداً عن أي دنس، ولكن إذا خرج خارج هذه البيئة وأسرع إلى بنات قبائل وأمم غريبة، أي إذا فتَّش وتقصَّى عن حياة العائشين في العالم، فسوف يدمر عقله الطاهر والفاضل. لأن الحياة مع الأدنياء ليست بلا خطر للذين وضعوا الحياة الممجَّدة هدفاً لهم. هكذا يبدو لنا أن داود العظيم لم يُرِد أن يخرج من الخيمة المقدسة، ولا أن يسكن بعيداً عنها، بل بالحري أراد أن يأتي إليها وفيها عاش مصلياً، وقال: "وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ: أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ وَأَتَفَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ. لأَنَّهُ يُخَبِّئُنِي فِي مَظَلَّتِهِ فِي يَوْمِ الشَّرِّ. يَسْتُرُنِي بِسِتْرِ خَيْمَتِهِ. عَلَى صَخْرَةٍ يَرْفَعُنِي" (مز ٢٧: ٤ - ٥).

كما يبدو من كل هذا، أن الخيمة الإلهية المقدسة تشير إلى صلابة وثبات الحياة المقدسة، التي عندما يدخل فيها المرء، لا تستطيع الشهوات التي تريد أن تسرقه وتستولي عليه، أن تزعزعه.

بلاديوس: هذا واضح.

كيرلس: ماذا إذن؟ ألا يمكن للمرء أن يعلم -بمزيد من الوضوح والحق- أن من يُعاشر نساء غريبات، إنما يحمل أدناساً أكثر سوءً مما لهؤلاء الذين يظنون أنهم مؤسَّسون جيداً،؟ إن نهاية حياة سليمان، وكل ما قيل له أن يعانيه على عتبة شيخوخته يعتبر برهاناً على ما نقول.

بلاديوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: لقد كانت حياته مجيدة جداً، وقد تحدث الكل عنها كثيراً، فكان مجده لا يُقارن بأحد، لكنه قفز إلى حياة الدناءة، أو بالحري وثب إلى الدرجة الأخيرة من الابتذال وعدم التقوى تجاه الله. إن كل ما حدث له مكتوب في سفر الملوك الأول: "فَتَعَاظَمَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ عَلَى كُلِّ مُلُوكِ الأَرْضِ فِي الْغِنَى وَالْحِكْمَةِ. وَكَانَتْ كُلُّ الأَرْضِ مُلْتَمِسَةً وَجْهَ سُلَيْمَانَ لِتَسْمَعَ حِكْمَتَهُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ فِي قَلْبِهِ" (١ ملوك ١٠: ٢٣ - ٢٤).

هذا الملك الممجَّد والبهي الذي وصل إلى مثل هذا المستوى من الحكمة، إلى الدرجة التي صار معها مدهشا في كل البلاد البعيدة، أخرجته لذة حُب النساء الشريرات عن طريقه، طاردةً إياه من الخيمة الإلهية، وألقته في حُفر عبادة الأوثان. لأنه مكتوب عنه الآتي: "وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ: مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمُ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «لاَ تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لاَ يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ». فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهؤُلاَءِ بِالْمَحَبَّةِ. وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلاَثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ، فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ. وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتُورَثَ إِلهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَمَلْكُومَ رِجْسِ الْعَمُّونِيِّينَ. وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَاماً كَدَاوُدَ أَبِيهِ. حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكَمُوشَ رِجْسِ الْمُوآبِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَ أُورُشَلِيمَ، وَلِمُولَكَ رِجْسِ بَنِي عَمُّونَ" (١ ملوك ١١: ١ - ٧).

ألا يستحق الرثاء هذا الذي عانى مثل هذه الآلام؟ هذا الذي أقام هيكل أورشليم المعروف، والذي وقف أمام العرش الإلهي، وطلب أن ينال الحكمة. هذا الذي كان مدهِشاً في فهمِه الفائق، وذاع صيته في كل أطراف



المسكونة. هذا الذي ظهر كنجم الفجر يلمع في المدن والقرى، هُزِمَ من نساءٍ فاحشات مُسرعاً للخلف من جراء اللذة الدنيئة. لقد سقط في مثل هذه الأمور الغبية حتى إنه لم يضع في اعتباره أبداً الوقار تجاه الله. بالتالي، من الخطر -بدون أدنى شك- أن يتورط أحدٌ مع الأمم الأخرى. فأن يُهزم الإنسان من اللذة الجسدية، ويكون غير طاهر ويمقته الله كُلي الطُهر، فتلك هي المشقة العظمى؛ لأنه بدون فضيلة لا يستطيع الإنسان أن يُقدِّم تقدمةً لله. لأنه مكتوب في سفر التثنية: "لا تَكُنْ زَانِيَةٌ مِنْ بَنَاتِ إِسْرَائِيل وَلا يَكُنْ مَأْبُونٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل. لا تُدْخِل أُجْرَةَ زَانِيَةٍ وَلا ثَمَنَ كَلبٍ إِلى بَيْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ عَنْ نَذْرٍ مَا لأَنَّهُمَا كِليْهِمَا رِجْسٌ لدَى الرَّبِّ إِلهِكَ" (تث ٢٣: ١٧ – ١٨).

بلاديوس: الناموس حاسم جداً إلى حد بعيد.

كيرلس: حسناً، يا بلاديوس، لأنك تفكر باستقامة. سوف تُعجب بالأكثر، إذا فهمت أن المرء عندما يوقف -بحسم شديد- الميل تجاه اللذة، فإنه يطرد الخلاعة والفُجر. انتبه، إذن، كيف يحكم الناموس بالدنس على هؤلاء الذين يمارسون الفحشاء بإرادتهم واختيارهم، ولذلك يقف ضد هؤلاء الذين اعتادوا أن ينجذبوا إلى نفس الدنس وكأنه احتياجٌ مزيف، فيحفظهم بشكل فعال عندما يمنع هذه الأمور التي يريدون أن يمارسوها، ويجعل من الصعب عليهم أن يجدوا مبرراً يدافعون به عن أنفسهم. ولأن الجرائم ليست نتاج الجهل، لذلك تكون الإدانة بسبب الخمول والعِناد.

بلاديوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: ألا يُسرع البعض إلى الزنا بإرادتهم طامعين في أموال امرأةٍ ما؟ أوليس هناك صِغارٌ يبيعون جمال شبابهم لأجل فُحش الآخرين؟

بلاديوس: بالتأكيد.

كيرلس: ماذا أيضاً، ألا تدفع الشهوة بعض التعساء -بدافع المكسب وكَنز الأموال- أن يتاجروا بمن سبق لهم أن اشتروهم من خادمات أو صبايا عبيد، فيقدمونهم ضحايا لمن يريد؟ لهؤلاء أيضاً يقول النبي: "وَأَعْطَوْا الصَّبِيَّ لِزَانِيَةٍ وَبَاعُوا الْبِنْتَ بِخَمْرٍ لِيَشْرَبُوا" (يوئيل ٣: ٣). بل لقد وصل البعض بالفعل إلى درجة من الدناءة والنجاسة، تجرأوا معها مرات كثيرة بطريقة دنسة على

تحصيل ضرائب من الأموال التي تأتي من هذه الأفعال الفاحشة.

بلاديوس: أفهم هذا.

كيرلس: هم إذن بإرادتهم يزنون. لكن بالرغم من أن هناك آخرين ينأون بأنفسهم عن هذا الشر، إلَّا أنهم يسيئون الرأي من جهة هذا الموضوع، فبما أن دفع الضرائب هو أمر حتمي على الجميع، إلَّا أن جامعي الضرائب يقومون -بدون تمييز- بتحصيل الضريبة على أجور الخلاعة التي يحصل عليها هؤلاء الذين يتاجرون في العبيد الذين يملكونهم.

بلاديوس: أنت تتكلم باستقامة.

كيرلس: إذن فقد رفض الناموس -في كل الحالات- هذا الأمر، وهو يعتبر مَن يُدَن لأجل هذا الأمر، نجساً ويحرمه من الخيمة المقدسة، ومن الاقتراب من المذبح الإلهي قائلاً إن الذبيحة غير مقبولة والصلاة غير مقبولة. لأن التقدمات التي تأتي من أموال الزنى هي أموالٌ غير طاهرة بالفعل، وتعتبر في درجة معادلة لثمن الكلب، وهو بمثابة تقدمة ممقوتة ومنبوذة. والكلب، على ما أعتقد، يشير إلى مَن يسهل وقوعه في الدنس، كما أنه يُقدَّم بدون تمييز من جانب الذين يقدمونه، لأن ثمن الكلب هو ما أعطوه للذين يُقدمون الذبيحة.

دع الناموس يصرخ: ''لا تَكُنْ زَانِيَةٌ مِنْ بَنَاتِ إِسْرَائِيل وَلا يَكُنْ مَأْبُونٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل'' (تث ٢٣: ١٧). ودعوا بولس الحكيم يضيف إلى هذا ما كرز به: ''أُهْرُبُوا مِنَ الزِّنَا. كُلُّ خَطِيَّةٍ يَفْعَلُهَا الإِنْسَانُ هِيَ خَارِجَةٌ عَنِ الْجَسَدِ لَكِنَّ الَّذِي يَزْنِي يُخْطِئُ إِلَى جَسَدِهِ'' (١كو ٦: ١٨). وهو يدعو -بدافع الرغبة في الفضائل- هؤلاء الذين ينقضُّون بسخاءٍ نحو جهادات الإنضباط الجديرة بالثناء. لأنه قال أيضاً في موضع آخر: ''فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ. وَلاَ تُشَاكِلُوا هَذَا الدَّهْرَ بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ'' (رو ١٢: ١ - ٢). إذاً، إلى أي حد لا تكون الذبيحة التي يقدمها فاعلوا الفحشاء ذبيحةً مقدسةً وطاهرةً حقاً؟

بلاديوس: أعتقد إنها لا تكون ذبيحة مقدسة وطاهرة على الإطلاق.

علانية الدينونة

كيرلس: الله يفرح عندما نبتعد عن اللذة الجسدية، لكنه يحزن جداً عندما نميل ناحية الشهوات الجسدية، وعندما نفضِّل لذة الجسد، يُعاقبنا. لأنه كم من المرات أجبرتنا اللذة الملتهبة والفاحشة على الابتعاد عن الله؟ وقصة سليمان تصدق على ما أقول. وقبل سليمان نرى أن بني إسرائيل قد سقطوا في الصحراء لأنه مكتوب: ''وَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي شِطِّيمَ وَابْتَدَأَ الشَّعْبُ يَزْنُونَ مَعَ بَنَاتِ مُوآبَ. فَدَعَوْنَ الشَّعْبَ إِلَى ذَبَائِحِ آلِهَتِهِنَّ فَأَكَلَ الشَّعْبُ وَسَجَدُوا لآلِهَتِهِنَّ. وَتَعَلَّقَ إِسْرَائِيلُ بِبَعْلِ فَغُورَ. فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: خُذْ جَمِيعَ رُؤُوسِ الشَّعْبِ وَعَلِّقْهُمْ لِلرَّبِّ مُقَابِلَ الشَّمْسِ فَيَرْتَدَّ حُمُوُّ غَضَبِ الرَّبِّ عَنْ إِسْرَائِيلَ'' (عدد ٢٥: ١ – ٤).

أرأيت كيف أُثيرت الطبيعة الإلهية الهادئة وتحركت تجاههم بغضبٍ غير مرغوب فيه؟ لأنه أمرٌ يتناسب مع الحيوانات، أن يستولي على أحدٍ الهَوَس بجمال النساء. وإذا تجرأ على استبدال اللذة الفاحشة بتقوى الله، يُعاقَب أمام الرب باتجاه الشمس عبرةً لغيره، أي يُعلقونه على خشبةٍ منتصبةٍ متجهاً تجاه الشرق، تلك كانت طريقتهم في العقاب. وهذه الطريقة تشير إلى عدم استطاعة مَن يرتكب تلك المخالفات أن يهرب من الديان العالم بكل شيء، وحتى لو ظل يصرخ، فلن يمكنه الهروب دون جزاء لكنه يُدان، على مرأى من كل إنسان، ويُعاقَب عقاباً مَريراً على كل ما أرتكبه من أخطاء.

بلاديوس: إذن، فقوله: ''مُقابل الشمس'' يعني العقاب الظاهر حتى يصير مِثالاً أمام أعين الله؟

شريعة الزوجة الخائنة

كيرلس: صحيح جداً ما تقوله. الحديث له علاقة بموضوعاتنا. فكل الذين يزنون، وكل الذين يقبلون فعل الزنا سوف يعطون حساباً أمام الله عن حياتهم الفاجرة والدنسة، وكل ما كان خفياً سيظهر، وسوف تُعرف أعمال كل واحد، وهذا هو ما يؤكده لنا في موضع آخر؛ لأنه مكتوب في سفر العدد: ''كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِذَا زَاغَتِ امْرَأَةُ رَجُل وَخَانَتْهُ خِيَانَةً، وَاضْطَجَعَ مَعَهَا



رَجُلٌ اضْطِجَاعَ زَرْعٍ، وَأُخْفِيَ ذلِكَ عَنْ عَيْنَيْ رَجُلِهَا، وَاسْتَتَرَتْ وَهِيَ نَجِسَةٌ وَلَيْسَ شَاهِدٌ عَلَيْهَا، وَهِيَ لَمْ تُؤْخَذْ، فَاعْتَرَاهُ رُوحُ الْغَيْرَةِ وَغَارَ عَلَى امْرَأَتِهِ وَهِيَ نَجِسَةٌ، أَوِ اعْتَرَاهُ رُوحُ الْغَيْرَةِ وَغَارَ عَلَى امْرَأَتِهِ وَهِيَ لَيْسَتْ نَجِسَةً، يَأْتِي الرَّجُلُ بِامْرَأَتِهِ إِلَى الْكَاهِنِ، وَيَأْتِي بِقُرْبَانِهَا مَعَهَا: عُشْرِ الإِيفَةِ مِنْ طَحِينِ شَعِيرٍ، لاَ يَصُبُّ عَلَيْهِ زَيْتاً وَلاَ يَجْعَلُ عَلَيْهِ لُبَاناً، لأَنَّهُ تَقْدِمَةُ غَيْرَةٍ، تَقْدِمَةُ تَذْكَارٍ تُذَكِّرُ ذَنْباً. فَيُقَدِّمُهَا الْكَاهِنُ وَيُوقِفُهَا أَمَامَ الرَّبِّ، وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مَاءً مُقَدَّساً فِي إِنَاءِ خَزَفٍ، وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مِنَ الْغُبَارِ الَّذِي فِي أَرْضِ الْمَسْكَنِ وَيَجْعَلُ فِي الْمَاءِ، وَيُوقِفُ الْكَاهِنُ الْمَرْأَةَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَيَكْشِفُ رَأْسَ الْمَرْأَةِ، وَيَجْعَلُ فِي يَدَيْهَا تَقْدِمَةَ التَّذْكَارِ الَّتِي هِيَ تَقْدِمَةُ الْغَيْرَةِ، وَفِي يَدِ الْكَاهِنِ يَكُونُ مَاءُ اللَّعْنَةِ الْمُرُّ. وَيَسْتَحْلِفُ الْكَاهِنُ الْمَرْأَةَ وَيَقُولُ لَهَا: إِنْ كَانَ لَمْ يَضْطَجِعْ مَعَكِ رَجُلٌ، وَإِنْ كُنْتِ لَمْ تَزِيغِي إِلَى نَجَاسَةٍ مِنْ تَحْتِ رَجُلِكِ، فَكُونِي بَرِيئَةً مِنْ مَاءِ اللَّعْنَةِ هذَا الْمُرِّ. وَلكِنْ إِنْ كُنْتِ قَدْ زُغْتِ مِنْ تَحْتِ رَجُلِكِ وَتَنَجَّسْتِ، وَجَعَلَ مَعَكِ رَجُلٌ غَيْرُ رَجُلِكِ مَضْجَعَهُ. يَسْتَحْلِفُ الْكَاهِنُ الْمَرْأَةَ بِحَلْفِ اللَّعْنَةِ، وَيَقُولُ الْكَاهِنُ لِلْمَرْأَةِ: يَجْعَلُكِ الرَّبُّ لَعْنَةً وَحَلْفاً بَيْنَ شَعْبِكِ، بِأَنْ يَجْعَلَ الرَّبُّ فَخْذَكِ سَاقِطَةً وَبَطْنَكِ وَارِماً. وَيَدْخُلُ مَاءُ اللَّعْنَةِ هذَا فِي أَحْشَائِكِ لِوَرَمِ الْبَطْنِ، وَلإِسْقَاطِ الْفَخْذِ. فَتَقُولُ الْمَرْأَةُ: آمِينَ، آمِينَ. وَيَكْتُبُ الْكَاهِنُ هذِهِ اللَّعْنَاتِ فِي الْكِتَابِ ثُمَّ يَمْحُوهَا فِي الْمَاءِ الْمُرِّ، وَيَسْقِي الْمَرْأَةَ مَاءَ اللَّعْنَةِ الْمُرَّ، فَيَدْخُلُ فِيهَا مَاءُ اللَّعْنَةِ لِلْمَرَارَةِ. وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مِنْ يَدِ الْمَرْأَةِ تَقْدِمَةَ الْغَيْرَةِ، وَيُرَدِّدُ التَّقْدِمَةَ أَمَامَ الرَّبِّ وَيُقَدِّمُهَا إِلَى الْمَذْبَحِ. وَيَقْبِضُ الْكَاهِنُ مِنَ التَّقْدِمَةِ تَذْكَارَهَا وَيُوقِدُهُ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَبَعْدَ ذلِكَ يَسْقِي الْمَرْأَةَ الْمَاءَ. وَمَتَى سَقَاهَا الْمَاءَ، فَإِنْ كَانَتْ قَدْ تَنَجَّسَتْ وَخَانَتْ رَجُلَهَا، يَدْخُلُ فِيهَا مَاءُ اللَّعْنَةِ لِلْمَرَارَةِ، فَيَرِمُ بَطْنُهَا وَتَسْقُطُ فَخْذُهَا، فَتَصِيرُ الْمَرْأَةُ لَعْنَةً فِي وَسَطِ شَعْبِهَا. وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ قَدْ تَنَجَّسَتْ بَلْ كَانَتْ طَاهِرَةً، تَتَبَرَّأُ وَتَحْبَلُ بِزَرْعٍ" (عدد ٥: ١٢ – ٢٨).

هذا ما قاله الناموس. وأنا أود أن أقول إن كل ما سبق أن كُتِبَ بوفرة، عبّر عنه بولس العظيم بكلمات قليلة، إذ قال لنا: "لأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنَّنَا جَمِيعاً نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْراً كَانَ أَمْ شَرّاً" (٢ كو ٥: ١٠).

بلاديوس: كل ما كُتب فهو حق. أرجو فقط أن توضح بالتفصيل كل ما شُرِّع لكل واحد.

كيرلس: إذا اشتُبِه في امرأةٍ أنها ارتكبت الزنا، واشتُكِيَ عليها بغير دليل، يؤتى بها إلى

الكاهن وتقف أمام الله، وهذا يوضِّح أننا سوف نقف جميعاً أمام المسيح. أمَّا طحين الشعير الذي يُقدَّم عنها كتقدمةٍ، فلا يُصب عليه زيتٌ، ولا يُجعَلُ عليه لبانٌ؛ لأنه تقدمةُ غِيرة تُذكِّر بالخطية، وهذا أيضاً يوضِّح أن حياة كل واحد منا تصعد إلى الله كرائحةٍ توجِّه اتهاماً إلى كل الذين أتوا أفعالاً غير لائقةٍ، بأنهم تركوا حياتهم للخمول، أمَّا للذين أبدوا اهتماماً بأن يعيشوا باستقامةٍ، فتشهد لأصالتهم. لأجل ذلك تكون تقدمات النساء غير المثقَّلات بشُبهةٍ مكونةً من دقيق مخلوط باللبان، ويُسكب عليها زيتٌ؛ لأن الحياة البشرية زكية وحلوة الرائحة ويشير إليها دقيق القمح وتكون جديرةً بالقرب من الله الذي يحب الفضيلة. أمَّا طحين الشعير، فيمكننا أن نرى فيه، وبكل وضوح علامة الحياة المزيَّفة التي تليق بالحيوانات؛ لأن الشعير يتناسب بالأكثر مع الحيوانات، ولا يتناسب مع الإنسان. تلك الشهوة المنفلتة التي تسرع إلى اللذات الدنيئة بغير لجام. لأجل هذا تقدم المرأة التي تحيا حياةً ملتهبةً بالغش، طحين الشعير الخالي من اللبان والزيت، أي تقدمةً خاليةً من أي رائحة أو حلاوة؛ لأنها ذبيحة تُذكِّر بالخطية، وحيث تذكار الخطية، فمن أين أو كيف توجد الحلاوة؟ لأن هذا الذي تقدِّم لكي يُدَن، ليس له أن ينتظر الأكاليل، بل عليه أن ينتظر الخوف من العقاب والنار.

بالإضافة إلى هذا، فإنه يؤتى بالمرأة إلى الكاهن حاسرة الرأس، أي دون أن تكون مرتديةً لُباسها اللائق المعتاد، فما هو السبب في ذلك؟ لأنها متهمة بجريمة عدم الحشمة، وهناك اتهام بالدناءة. ولعلك تذكر أن بولس -وهو حجة في الناموس- لم يكن يسمح للمرأة أن تُصلِّ لله دون غطاء مستخدماً ناموس الطبيعة كبرهان؛ لأنه يقول إن "الشَّعر أُعطي لها عِوض بُرقُعٍ" (١ كو ١١: ١٥). إذن فطالما وُجِّه اتهامٌ للمرأة بعدم الحشمة، فعليها أن تجيء أمام الكاهن حاسرة الرأس، وهذا يوضِّح أن الكل أمام أعين الديان عرايا، وأنه لا أحد يستطيع أن يهرب من فاحص القلوب والكُلى، الذي يقول بفم النبي: "أَلَعَلِّي إِلَهٌ مِنْ قَرِيبٍ يَقُولُ الرَّبُّ وَلَسْتُ إِلَهاً مِنْ بَعِيدٍ. إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ يَقُولُ الرَّبُّ؟" (أرميا ٢٣: ٢٣ – ٢٤). وهو، أي الناموس، يعلن

-برمزٍ- أن الديان هو المسيح، لذلك أمر أن يضع ماءَ نبعٍ نقياً في إناءٍ خزفي مع قليل من الغبار من تراب الخيمة، ولأن أسبابَ اللعنة تُغسل بالماء، فقد أمر أن تشرب المرأة التي أُخذت بشبُهة الزنا، ''وَمَتَى سَقَاهَا الْمَاءَ، فَإِنْ كَانَتْ قَدْ تَنَجَّسَتْ وَخَانَتْ رَجُلَهَا، يَدْخُلُ فِيهَا مَاءُ اللَّعْنَةِ لِلْمَرَارَةِ، فَيَرِمُ بَطْنُهَا وَتَسْقُطُ فَخْذُهَا، فَتَصِيرُ الْمَرْأَةُ لَعْنَةً فِي وَسَطِ شَعْبِهَا. وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ قَدْ تَنَجَّسَتْ بَلْ كَانَتْ طَاهِرَةً، تَتَبَرَّأُ وَتَحْبَلُ بِزَرْعٍ'' (عدد ٥: ٢٧ - ٢٨).

بلاديوس: ما هي الأسباب التي من أجلها قيلت هذه الأقوال، وكيف تُعلن هذه الأقوال، المسيح؟

كيرلس: بالماء الحي والنقي، سوف تدرك كلمة الله المحيي الطاهر بالحق، والذي هو بلا لوم تماماً من جهة الخطية، والذي أتى إلينا بجسدٍ كما في إناءٍ خزفي. وكيف نتأكد من أن الجسد -الذي أخذه- هذا الذي ذاق الموت لأجلنا، ينتمي إلى تراب الأرض؟ فقد قيل عن طبيعة الإنسان: ''لأَنَّكَ تُرَابٌ وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ'' (تك ٣: ١٩). كذلك فإنه باللعنة التي سبق أن قيلت، يمكنك أن تدرك بسهولة ذاك الذي لأجلنا صار لعنةً؛ لأنه عُلِّقَ فوق خشبة الصليب طبقاً للمكتوب: ''ملعونٌ كلُّ مَن عُلِّقَ على خشبةٍ'' (تث ٢١: ٢٣، غلا ٣: ١٣). إذن، فعندما ينزل عمانوئيل من طبيعة الله إلى أعماق الذهن البشري، فإنه سوف يدين كل المذنبين من أجل خطاياهم، أمَّا الذين هم بغير خطية، فإنه سوف يكافئهم ويملأهم بالثمار. هذا هو -على ما أظن- ما تُشير إليه عبارة ''وَتَحْبَلُ بِزَرْعٍ''. فالحَبَل الجسدي يشير إلى الثمار التي تحملها النفس.

بلاديوس: لقد تحدثت بطريقة رائعة جداً.

الجسد، ماذا يعني هذا المصطلح؟

كيرلس: حسناً. إذن فالزنا والشهوات الجسدية تفسد الإنسان وتحرمه من السُكنى مع الله؛ لأن الذين يعيشون في الجسد لا يستطيعون أن يُرضوا الله (راجع رو ٨: ٨). ومصطلح ''الجسد'' يشير -كما أعتقد- إلى التصرف الجسدي، فهكذا يمكننا أن ندرك معنى ما هو مكتوب بشكل صحيح. فالطريقة الدنيئة، واعتياد السلوك الأخلاقي الرديء، واستسهال كل ما يجافي

التعقل، يجعلنا غير طاهرين بل نجسين؛ لأن سلوكنا بثبات لا ينبغي أن يقتصر فقط على الشهوات الجسدية، بل يجب أن يتعدى ذلك ليصل إلى التفوق في السلوك الأخلاقي الهادئ، ومدى العناية التي نبديها في محبتنا للإخوة، عندئذٍ نبدو وكأننا متوَّجون بمفاخر البر. إضافة إلى كل هذا، يجب أن يكون لدينا عقلاً مُدرَّباً على هذا، بسيطاً يمكنه الاقتراب من التفكير في الله دون انحرافات، باحثين -دائماً- عن التعليم الصحيح، حتى يكون تفكيرنا بلا لوم. لأن مثل هؤلاء هم الكاملون حقاً، ولا يغيب عنهم شيءٌ من الأمور الحسنة، مثلما يقول لنا بولس العظيم إن إنسان الله يجب أن يكون كاملاً، فإنسانُ الله، يقول: "يَكُونَ ... كَامِلاً، مُتَأَهِّباً لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ" (٢ تيمو ٣: ١٧)، وتكون لديه المقدرة على تحقيق حياة الفضيلة بطريقة جيدة. أليس كذلك؟

بلاديوس: كيف لا؟

كيف صوَّر الناموسُ الأخلاقَ ببعض المخلوقات؟

كيرلس: لاحظ كيف نستفيد بشكل غير محدود من الطريقة التي صوَّر فيها الناموس الأخلاق البشرية ممثلاً إياها بحشدٍ من الحيوانات غير العاقلة البرِّية والمائية والطيور، وغيرها، ولا تتعجب من هذا، ففي اللحظة التي يقدم لنا هذه الحيوانات والنباتات، فإنه يعلن لنا بطريقة جميلة -عن طريق التنوع الطبيعي للمخلوقات- ما يتعلق بكلٍ منا. ففي ذات مرة أعلن الله -بالروائح الذكية- عن حياة أولئك الذين بالإيمان بالمسيح ازدهرت حياتهم وارتقت مرتفعة في درجات الفضيلة، حين قال بفم أشعياء: "أَفْتَحُ عَلَى الْهِضَابِ أَنْهَاراً وَفِي وَسَطِ الْبِقَاعِ يَنَابِيعَ. أَجْعَلُ الْقَفْرَ أَجَمَةَ مَاءٍ وَالأَرْضَ الْيَابِسَةَ مَفَاجِرَ مِيَاهٍ. أَجْعَلُ فِي الْبَرِّيَّةِ الأَرْزَ وَالسَّنْطَ وَالآسَ وَشَجَرَةَ الزَّيْتِ. أَضَعُ فِي الْبَادِيَةِ السَّرْوَ وَالسِّنْدِيَانَ وَالشَّرْبِينَ مَعاً" (أش ٤١: ١٨ - ١٩). وأيضاً يقول: "عِوَضاً عَنِ الشَّوْكِ يَنْبُتُ سَرْوٌ وَعِوَضاً عَنِ الْقَرِيسِ يَطْلَعُ آسٌ" (إش ٥٥: ١٣). فالشوك والقريس يشيران -بطريقة مناسبة- للنفوس التي لم تهدأ بعد وهي تظهر أمام أعين الله شبيهةً بالأشواك الوحشية. ولا يقتصر الأمر على تلك الصور، بل أيضاً يشير بالحجارة إلى جمع القديسين. لأنه يقول: "كَحِجَارَةِ التَّاجِ مَرْفُوعَةً عَلَى

أَرْضِهِ" (زكر ٩: ١٦). كذلك شبَّه المخلِّص ملكوت السموات بخميرةٍ وحبةِ خردلٍ (انظر لو ١٣: ١٩). إذاً، بأمثلةٍ حيَّةٍ وكثيرةٍ، اعتاد الكتاب المقدس أن يعلن الأمور البشرية.

بلاديوس: أوافقك.

كيرلس: لاحظ إذاً أن الناموس قدَّم -بطريقةٍ مفيدةٍ- آلاف الأنواع من الحيوانات البرية والمائية والطيور، فقد قدم أنواعاً منها على أنها غير طاهرة واعتبرها دنسةً تماماً، بينما قَبِلَ أنواعاً أخرى ولم يصفها بهذا الوصف، وذلك كله لكي يتعلم الذين يعبدون الله باستقامة أيُ الأعمال تصير مقبولةً، وأيُها يجب الابتعاد عنها، وأنهم إذا ما أعملوا عقولهم، يتجنبون اللوم ويصيرون ممجدين وجديرين بالقبول والتكريم بقرارٍ سماوي، ويمكننا أن نرى ذلك في الآتي: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلاً لَهُمَا: «كَلِّمَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلَيْنِ: هذِهِ هِيَ الْحَيَوَانَاتُ الَّتِي تَأْكُلُونَهَا مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: كُلُّ مَا شَقَّ ظِلْفاً وَقَسَمَهُ ظِلْفَيْنِ، وَيَجْتَرُّ مِنَ الْبَهَائِمِ، فَإِيَّاهُ تَأْكُلُونَ. إِلَّا هذِهِ فَلاَ تَأْكُلُوهَا مِمَّا يَجْتَرُّ وَمِمَّا يَشُقُّ الظِّلْفَ: الْجَمَلَ، لأَنَّهُ يَجْتَرُّ لكِنَّهُ لاَ يَشُقُّ ظِلْفاً، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. وَالْوَبْرَ، لأَنَّهُ يَجْتَرُّ لكِنَّهُ لاَ يَشُقُّ ظِلْفاً، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. وَالأَرْنَبَ، لأَنَّهُ يَجْتَرُّ لكِنَّهُ لاَ يَشُقُّ ظِلْفاً، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. وَالْخِنْزِيرَ، لأَنَّهُ يَشُقُّ ظِلْفاً وَيَقْسِمُهُ ظِلْفَيْنِ، لكِنَّهُ لاَ يَجْتَرُّ، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. مِنْ لَحْمِهَا لاَ تَأْكُلُوا وَجُثَثَهَا لاَ تَلْمِسُوا. إِنَّهَا نَجِسَةٌ لَكُمْ" (لا ١١: ١ – ٨). كذلك يقول المسيح بوضوح عظيم: "لَيْسَ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ هَذَا يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ" (مت ١٥: ١١). لقد قِيل هذا الكلام لبطرس بينما كان يرى مُلاءةً مملوءةً من كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء، تنزل من فوق مُدلاة بأربعة حبال: "قُمْ يَا بُطْرُسُ اذْبَحْ وَكُلْ" (أع ١٠: ١٣). وعندما صرخ التلميذ خائفاً مما حرَّمه الناموس وقال: "كَلاَّ يَا رَبُّ لأَنِّي لَمْ آكُلْ قَطُّ شَيْئاً دَنِساً أَوْ نَجِساً" قال الله له: "مَا طَهَّرَهُ اللهُ لاَ تُدَنِّسْهُ أَنْتَ!" (أع ١٠: ١٣ – ١٥). كذلك أيضاً قال بولس العظيم: "وَلَكِنَّ الطَّعَامَ لاَ يُقَدِّمُنَا إِلَى اللهِ" (١ كو ٨: ٨). على أنه لا يغيب عن بالنا أن الناموس لم يحكم بالدنس على كل الكائنات، بل يعتبر كل شيء طاهراً للطاهرين. ولكنه على العكس من ذلك، يقارن بين غرائز كل حيوان وما يقابلها من ملامح إنسانية، ليقدم بذلك فائدةً عظيمةً. وبالإضافة إلى



ذلك نتعلم أنَّ الناموس صحيحٌ ولا يرقى إليه أدنى شك، فكل ما نتقزز منه، يأمر بوضوح أن نرفضه، أقصد بذلك الجَمل والقنفذ، وقنديل البحر، والسحلية، والعِرسة إلى آخر تلك الحيوانات المقززة (انظر لا ١١ :٥ – ٦، ٢٩ – ٣٠)، ألا تعتقد أن المشرع يقصد شيئاً ما من كل هذا، يا صاحبي؟

بلاديوس: بالطبع.

كيرلس: يجب إذن أن نطابق بين نوعية الملمح الإنساني وما يقابله من الغرائز الطبيعية لبعض الحيوانات غير العاقلة؛ لأن كل واحد منها، يمكننا أن نقول إنه يصوِّر في داخله ملمحَ إنسانٍ ما، ويعلن أخطائه. ألم نعتَد على وصف الشجعان، أو من يتفوقون على غيرهم في جسارة بالخنازير الوحشية أو الأُسود وما شابه؟ في حين أننا ندعو الهادئين واللُطفاء ذوي النفوس الهادئة حملاناً وحماماً، وأحياناً نتوِّجهم عندما نصف أحدهم بأنه مثل نسمة الريح، وهكذا نشبِّه كل واحد منهم بالمثال التي يتناسب معه بوضوح.

بلاديوس: نحن نفعل هذا الأمر فعلاً.

كيرلس: دعنا نمضي إذاً إلى غاية الناموس من ذلك، ودعنا نفحص بالتفصيل ما الذي يريد أن يخبرنا به.

بلاديوس: فلنمضِ.

كيرلس: مدحُ البر، وعموماً هناك فائدة تتحقق مِن كل مَثلٍ على حدة، وإن كانت تتحقق بطريقتين، وتُعلن بطريقة مزدوجة.

بلاديوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: عندما نريد أن نصنع شيئاً صالحاً لذواتنا، فإننا نقطع اللذات الدنيئة المستحقة للوم، مميتين أعضائنا الأرضية، موجِّهين عقولنا إلى الوداعة والروحانية، ممارسين الفقر، محتفظين بذهننا نقياً وتفكيرنا هادئاً بقدر الإمكان، مُبدين اهتماماً صالحاً نحو الإخوة، مقدِّمين صفحنا عطيةً لأولئك الذين يحزنوننا منقضِّين علينا بغير رحمة، بل وندفع كل الذين ضلوا جرَّاء جهلهم إلى الطريق المضاد، متأهبين للأفضل، مساعدين المعوَزين، ومعتنين بالكل، حريصين أن نفعل كل ما يسر الله. هل اتضح لك كيف يكون طريق البر مزدوجاً، طالما كان يتحقق لنا وللآخرين؟

بلاديوس: هكذا يبدو.

كيرلس: هذا هو ما يبينه الناموس باستخدام تشبيه ظلف الرِّجل المشقوق. فالرِّجلُ دائماً ما تكون رمزاً ومثالاً لمسيرتنا نحو العمل، فنقول عن كل الذين مضوا متأهبين للعمل بغير أخطاء، إنهم يسيرون بأرجُلٍ مستقيمةٍ. لذلك رنَّم داود: "رِجْلِي وَاقِفَةٌ عَلَى سَهْلٍ. فِي الْجَمَاعَاتِ أُبَارِكُ الرَّبَّ" (مز ٢٦: ١٢). أي أنني سرت بعدلٍ في الطريق المستقيم، ومقتُّ المخادعين، بينما عن أولئك المعجبين بالخطية يقول: "أرجلهم مسرعةٌ إلى سفك الدماء". إذن دائما ما ترمز الرِّجل للمسيرة نحو الأعمال، بينما يرمز شق الظلف لقدرتنا على السير باستقامة وبلا أخطاء تجاه الاثنين، فلا نحيد عما يخصنا، وكذلك تجاه ما يخص الآخرين.

بلاديوس: حديثك مقنعٌ.

كيرلس: إذاً، فمن يعرف كيف يسلك باستقامة ويحقق الهدف المزدوج للبر، يمكنه أن يفيد ذاته، وعن طريق سلوكه يفيد الآخرين أيضاً. وبالإضافة إلى كونه رجلاً فهيماً وعاقلاً جداً، تجده يجعل قلبه مسكناً ومكانَ إقامةٍ للأقوال الإلهية، تحيطه التعاليم الإلهية من كل ناحية، بل وتستقر في داخله. ولأجل هذا تجده دائما يبحث فيها بتركيز ومعرفة، كاشفاً -بدقةٍ- بكل طريقة ممكنة عن المعاني السرية والصعبة. هذا يشبَّهُ بحيوانٍ يأكلُ ويجتر، ويعيد مرةً أخرى -من معدته- الطعام إلى فمه، فتتناوله الأسنان بالمضغ والطحن، فيكون بذلك مهيئاً أكثرَ للهضم، وبذلك تتعاظم فائدته.

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب.

كيرلس: يقول الناموس إن الحيوان الطاهر هو الذي له ظلفٌ مشقوق، ويجتر الطعام مستعيداً إياه من بطنه مرةً أخرى. لأن من يكون مفيداً لنفسه وللآخرين، وقد اكتسب فصاحةً واختزن معرفة الله في داخله، هذا يكون كاملاً في الفضيلة وبلا لوم، لذلك ينال إعجابنا في كل ما يخصه. فإذا تصادف إن استطاع أحدٌ أن يصاحب هذا الشخص، فيتعلم منه، وبطريقة ما يتغذى بكلمته ويستمتع بدسمه، فيبتدئ يتمثل به بسبب إعجابه به كنموذج للإنسان الفريد والممتاز، فلا شك أنه لا يعود بعدُ دنساً، بل ويصير طاهراً؛

لأنه تقاسم الحياة مع الطاهر، وبالتالي يقدِّم سلوكه برهاناً للفهم والتعلم. هذا هو معنى أن نأكل من كل حيوانٍ ظلفُ رجليه مشقوق ويجتر طعامه. هذا هو ما يقوله الناموس وفقاً لتحليلنا التام للنص.

بلاديوس: لقد أدركت ما تقوله.

كيرلس: لقد أظهر لنا الناموس –بشكلٍ رمزي– أن الكامل في الفضيلة والممتاز فيها يشبه الحيوان المشقوق الظلف والمجتر طعامه بحسب طبيعته. كما أخبرنا أيضاً كم هو حسنٌ ومفيد أن نبتعد عمَن لا يمتلك مثل هذا النوع من التعليم، إذ يكون –بطريقةٍ ما– أعرجاً في طلب الصلاح والفضيلة التامة. ولذلك فإن الحيوانات التي تجتر دون أن يكون ظلفها مشقوقاً، أو تلك التي تكون مشقوقة الظلف دون أن تجتر، لا تلقي أيَّ استحسان، بل يحكم عليها بالنجاسة، ويصنفها ضمن الحيوانات التي تجلب الدنس. وبما أننا نفكر تفكيراً مستقيماً في هذا الأمور، فقد تحقق لنا أن الظلف المشقوق يعد مثالاً للسلوك العملي وكيفيته، وبالتالي نقلنا كل ما قيل بطريقة رمزية إلى الواقع. الاجترار أيضاً يُعد علامة اتفاق الكلمة التقوية والتعاليم مع الاستقامة والاختبار، أليس كذلك؟

بلاديوس: هذا صحيح طبعاً.

كيرلس: حسناً. هناك نموذج أبعد من أن يكون محلاً لإعجابنا، أي ذاك الذي بالرغم من نقصه في الفضيلة، يفتخر بأعمالها، واستقامة التعليم العقيدي لديه ليست على ما يرام لأنه لا يضع أقوال الحق نُصب عينيه.

كما أن استقامة التعليم العقيدي، وحُسن الاهتمام بالكلمة الإلهية، دون أن يكون ذلك مصحوباً بأعمالٍ صالحة، لا يصنع نموذجاً تاماً للفضيلة. أمَّا مَنْ يمتلك هذا وذاك، فذلك هو مَنْ يمكنه أن يتغلب على أزمات النمو. ومَنْ يفتقر لأيٍ من الاثنين لا يمكن أن تحظى فضيلته بإعجابٍ ما. مثل هذا، ما يعلنه المخلِّص قائلاً سيكون أصغراً في ملكوت السموات مَن يعلِّم فقط، ''أمَّا مَن عَمِل وعلَّمَ فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السموات'' (أنظر مت ٥: ١٩).

ووفقاً للناموس، فإن من يفتقر إلى أحد الاثنين يكون غير طاهرٍ. وكون

أنه ينبغي عليهم أن يتجنبوا هذه الحيوانات الدنسة ولا يتعاملوا معها بأي شكل، فهذا ما يوضحه قائلاً: ''مِنْ لَحْمِهَا لاَ تَأْكُلُوا وَجُثَثَهَا لاَ تَلْمِسُوا. إِنَّهَا نَجِسَةٌ لَكُمْ'' (لا ١١: ٨). لأنه يقول لا تعاشروهم في معيشتهم، وإذا مات أحدهم أحفظوا عقلكم بلا دنس، ولا تلمسوا ما صنعوه، أقصد أقوالهم وكتاباتهم؛ لأن الأقوال والكتابات هي بقايا حياة البشر. فقد اعتاد الهراطقة غير المتعلمين الضالين الذين صاروا أساتذة الجهل أن يتركوا بقايا كفرهم وديعةً لتلاميذهم. وتلاميذُهم يسعدون بقبولها سعادةً بالغةً ويضعونها في عقولهم، وهكذا يكتسبون دنساً يصعب عليهم أن يتطهروا منه، وكأنهم لمسوا لحم ميِّتٍ مملوءٍ دنساً ويتنفسون رائحةً كريهةً.

بلاديوس: هذا صحيح.

كيرلس: لقد استخدم الناموسُ الجَّملَ، وهو حيوانٌ قويٌ ضخم البنية، كمثالٍ لحيوان غير مشقوق الظلف، ولكنه يجتر الطعام، كما استخدم أيضاً الأرنب والقنفذ كمثال للحيوانات الصغيرة أكثر من غيرها، وهكذا بالأمثلة المتطرفة يشمل الكل معاً دون أن يترك مَن كان في حالة وسط، وكأن لسان حاله يقول إن كل واحد من هؤلاء دنسٌ وقذر، بدءً من الأكثر علواً وسمواً وانتهاءً بالأصغر والأدنى، ذلك لأنه لا يوجد عند الله محاباة، كما هو مكتوب (أنظر رو ٢: ١١). فسوف يدان لعدم الطهارة كل مَن لم يكن محلَ ثناءٍ لأجل فضيلته، سواء كان شخصاً عظيماً وغنياً ومحل احترام وفي قمة المجد العالمي، أو كان صغيراً فقيراً يعيش بغير مجد، فكلاهما سوف يحصل على حكمٍ لا مجد فيه ولا كرامة لأنه مدين بتهمة الدناءة. ولا يمكن لأيٍ منهما أن يبرر تفاهته، ولذلك لا يرحمه الديان العادل إن لم يكن لديه أعمالاً بهيةً، أي أعمال التقوى والفضيلة.

واضحٌ إذاً، أن الجمل من جهة، والأرنب والقنفذ من جهة أخرى، تعتبر أمثلةً للكبير والصغير. إلَّا أنه يقدم أيضاً الخنزير كدنسٍ، لأنه بالرغم من أنه مشقوق الظلف إلَّا أنه لا يجتر الطعام، وهكذا يظهر أن الأعمال دون إيمان مستقيم ليست مدعاة للفخر؛ لأنها بغير فائدة، مثلما أن الإيمان بدون أعمال ميِّت (أنظر يع ٢: ٢٠).



وهناك مَن هو ميتٌ بطريقةٍ ما، ذلك هو مَنْ لم تسكن التقوى داخل نفسه، وغابت معرفة الله عن أعماله العالمية المفيدة، فهو أشبه بمن يميل إلى الأرض، ينظر إلى أسفل وكأنه يخاف أن يرفع بصره إلى فوق. وسوف نجد أن كثيرين يعانون من ذات هذا الأمر، فبالرغم من أن حياتهم فاضلة وطاهرة، لكنهم لا يعرفون الإله الحقيقي، محدقين بعيون أذهانهم فقط نحو الأرضيات، هؤلاء أيضاً يحسبون غير أطهار؛ لأنه – وفق المكتوب – ''وَأَيْضاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُجَاهِدُ، لاَ يُكَلَّلُ إِنْ لَمْ يُجَاهِدْ قَانُونِيّاً'' (٢ تيمو ٢: ٥).

بلاديوس: إذاً فنحن نعتبر نجسين، مثلما ينطبق على الخنازير وحيوانات أخرى، لأننا نكون مذنبين بسبب الأعمال التي يعاقب الناموس عليها؟

الأحياء المائية ورمزيتها

كيرلس: هكذا بالضبط. على أن الناموس لا يكتفي بأن يتخذ من هذه الحيوانات وما شابهها صوراً للدنسين، ولكنه –إذ يريد فائدتنا– يقدم لنا –من الخليقة– أنواعاً شتى من الحيوانات المائية والطيور، فاحصاً بالتفصيل وبحرص شديد ما يتميز به كل نوع من خصائص طبيعية، حتى يمكننا أن نتبين وندرك ما هو مُسِرٌّ لدى الله، وما هو ممقوتٌ عنده ومحتقَر. وهكذا نعيش حياتنا وفقاً للناموس في مواجهة قوية لما يمكن أن يدنسنا. فقد قال الناموس ذات مرةٍ: ''وَهذَا تَأْكُلُونَهُ مِنْ جَمِيعِ مَا فِي الْمِيَاهِ: كُلُّ مَا لَهُ زَعَانِفُ وَحَرْشَفٌ فِي الْمِيَاهِ، فِي الْبِحَارِ وَفِي الأَنْهَارِ، فَإِيَّاهُ تَأْكُلُونَ. لكِنْ كُلُّ مَا لَيْسَ لَهُ زَعَانِفُ وَحَرْشَفٌ فِي الْبِحَارِ وَفِي الأَنْهَارِ، مِنْ كُلِّ دَبِيبٍ فِي الْمِيَاهِ وَمِنْ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي الْمِيَاهِ، فَهُوَ مَكْرُوهٌ لَكُمْ، وَمَكْرُوهاً يَكُونُ لَكُمْ. مِنْ لَحْمِهِ لاَ تَأْكُلُوا، وَجُثَّتَهُ تَكْرَهُونَ. كُلُّ مَا لَيْسَ لَهُ زَعَانِفُ وَحَرْشَفٌ فِي الْمِيَاهِ فَهُوَ مَكْرُوهٌ لَكُمْ'' (لا ١١: ٩ – ١٢).

بلاديوس: ما هي الاختلافات التي يمكن أن تسوقها بين كل هذه المخلوقات، أقصد من جهة الرؤية الروحية، لأنني لا أفهم كثيراً هذا الأمر.

كيرلس: أنا على أهبة الاستعداد لشرح معنى هذه الاختلافات، بقدر الإمكان، ناقلاً المعنى الروحي لتلك الأمثلة التي تناولها الناموس حتى تصير واضحة. لقد أبدع خالق الكل كل نوع من الحيوانات المائية وفق ناموسه. فالأسماك دائما ما تجدها سابحةً مستخدمة زعانفها التي تساعدها على التحرك

بثبات حيثما تشاء، وعندما تلقي الشمس بأشعتها على سطح المياه، تتقافز الأسماك على السطح، بل وتتجرأ على الخروج خارج المياه تاركةً مكان إقامتها الدائم في الأعماق، هاربةً من شباك الصيادين. أمَّا تلك الأنواع التي لا قشور لها ولا زعانف، بل تعيش داخل محيط صلب مغلق عليها في محارات لا يمكنهم أبداً الخروج من المياه، لكهنا دائماً ما تتسلل داخل النباتات الموجودة في العمق وتظل قابعة هناك في الطين، ولذلك يسهل اصطيادها لأول وهلة دون تعب ما. إن الحديث عن هذه الحيوانات واضح بالطبع ويتجاوب مع الواقع، دعنا إذاً ننتقل من الصور والأمثال إلى الرؤية الأكثر وضوحاً.

بلاديوس: نعمَ، خصوصاً وأنت دائما مستعد لهذا الفحص.

كيرلس: عندما يريد المرنم أن يوضح لنا صعوبة الحياة وانتشار المرارة والأمور المتقلبة، يستخدم طريقةً مناسبةً لذلك، فيقول: "هَذَا الْبَحْرُ الْكَبِيرُ الْوَاسِعُ الأَطْرَافِ. هُنَاكَ دَبَّابَاتٌ بِلاَ عَدَدٍ. صِغَارُ حَيَوَانٍ مَعَ كِبَارٍ. هُنَاكَ تَجْرِي السُّفُنُ. لَوِيَاثَانُ هَذَا خَلَقْتَهُ لِيَلْعَبَ فِيهِ" (مز ١٠٤: ٢٥ - ٢٦). فهؤلاء الذين يُسرعون من هنا وهناك لا لشيء من الأشياء المفيدة إلَّا لمجرد التغيير، يشبهون الأسماك بدرجة كبيرة، ويبدون وكأنهم جسديون يبذلون جهوداً لا طائل من وراءها.

بلاديوس: أنت تتحدث حسناً جداً.

كيرلس: هؤلاء يبكتهم تلميذ المسيح قائلاً: "هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ: «نَذْهَبُ الْيَوْمَ أَوْ غَداً إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ أَوْ تِلْكَ، وَهُنَاكَ نَصْرِفُ سَنَةً وَاحِدَةً وَنَتَّجِرُ وَنَرْبَحُ»"، ثم يقول: "عِوَضَ أَنْ تَقُولُوا: «إِنْ شَاءَ الرَّبُّ وَعِشْنَا نَفْعَلُ هَذَا أَوْ ذَاكَ». وَأَمَّا الآنَ فَإِنَّكُمْ تَفْتَخِرُونَ فِي تَعَظُّمِكُمْ" (يع ٤: ١٣ - ١٦).

هؤلاء إذن مثل الأسماك يسبحون في البحر الواسع المترامي الأطراف، أي بحر العالم؛ لأن حياة كل واحد مختلفة عن الآخر. فهناك من يرفض تماماً الميل ناحية ارتكاب الخطايا، وهناك البعض الذين اعتادوا أن يسقطوا أحياناً في الشهوات، فيصيروا مدانين بانحرافاتٍ جسدية، إضافة إلى إداناتٍ أخرى؛ لأنه وفقاً للمكتوب: "لأَنَّنَا فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ نَعْثُرُ جَمِيعُنَا" (يع ٣: ٢)، إلَّا أنهم يرفضون أن ينساقوا إلى ارتكاب الفحشاء علانيةً باعتبارها أمر

قبيح، ولأنهم يحرصون تماماً على الهرب، لا يمكن لأحد أن يقنعهم أن يرتكبوا الخطية على الملأ وليس في الخفاء؛ لأنه وفقاً للمكتوب: ''الحكماء يسترون تلك الأشياء التي تُسبب لهم خجلاً'' (أمثال ١٢: ٢٣ س). هذا هو ما تشير إليه القشور التي هي بمثابة غطاء للأسماك. أمَّا حركة الأسماك في صعودها نحو الأعلى، فهذا يدل على أنها لا تتوجه ببصرها دائماً إلى الأسفل، بل عقولهم دائما تجاه الأعلى، هاربين بسهولة من أولئك الذين يريدون أن يصطادونها في شبكة الهلاك، هكذا يمكن للمرء أن يوضح ما لديهم من حركة ذهنية تسمح لهم باستخدام الزعانف بحيوية.

بلاديوس: ما تقوله صحيحٌ جداً. لقد فرض الرمز نفسه على الحديث.

كيرلس: وهناك آخرون لا يرتكبون الفُحش في الخفاء، بل يأتون دناءتهم، هكذا عرايا غير مستورين، لهؤلاء يمكن أن يقال: ''الَّذِينَ نِهَايَتُهُمُ الْهَلاَكُ، الَّذِينَ إِلَهُهُمْ بَطْنُهُمْ وَمَجْدُهُمْ فِي خِزْيِهِمِ، الَّذِينَ يَفْتَكِرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ'' (فيلبي ٣: ١٩)؛ لأنهم يوافقون دائماً على الدنس، يتمرغون في وحلٍ عميق من الطين. هم في الحقيقة تافهون، كسالى، ضعفاء الشخصية، تسيطر عليهم لذة فعل الفحش. أليست هذه هي حياة مَنْ لا رجاء له؟ نساءٌ يرتكبن الفحشاء، ويتزيَّن ويمارسن أفعالاً قبيحةً شاذةً لا تتناسب مع جنسهم الأنثوي، كذلك الذين يسهرون في الملاهي والمسارح، والذين يحبون الجسد حباً لا حدود له، ويحبون ضلال نجاسة عبادة الأوثان، هؤلاء كلهم يحيون حياة اللعنة التي تقود إلى الأدناس القبيحة.

على أن الناموس يعتبر أصحاب الشهوات الجسدية أطهاراً، طالما لم يكن انحرافهم كاملاً، بل يخرجون على السطح دون أن يغطسوا تماماً في الأرضيات، بل يفكرون أيضاً في السماويات (أنظر كو ٣: ١)، وهم بطريقةٍ ما موزَّعون بين الله والعالم. في المقابل يدين أولئك الدنسين الذين في كل تصرفاتهم يمضون بلا هوادةٍ منشغلين بأمور الجسد والعالم، الذين -في سبيل ارتكاب الفحش- نزعوا كل حياءٍ، وأتوا ما أتوا، عرايا مكشوفين. لذا يمنعنا الناموس -لفائدتنا- من التواصل مع هؤلاء؛ لأنه لا أمان في أن يسير أحدٌ مع رجال الفحشاء، بل الأمان مع الفضلاء؛ لأنه وفقاً للمكتوب: ''اَلْمُسَايِرُ الْحُكَمَاءَ يَصِيرُ حَكِيماً وَرَفِيقُ الْجُهَّالِ يُضَرُّ'' (أم ١٣: ٢٠).



أيضاً يقول بولس: ''إِنْ كَانَ أَحَدٌ مَدْعُوٌّ أَخاً زَانِياً أَوْ طَمَّاعاً أَوْ عَابِدَ وَثَنٍ أَوْ شَتَّاماً أَوْ سِكِّيراً أَوْ خَاطِفاً أَنْ لاَ تُخَالِطُوا وَلاَ تُؤَاكِلُوا مِثْلَ هَذَا'' (١كو ٥: ١١).

بلاديوس: ما تقوله حسن.

الطيور ورمزيتها

كيرلس: هذا هو ما قاله لنا الناموس -بطريقة رمزية- عن الذين يحيون في الماء ويسبحون. أمَّا الأمثلة التي عرضها عن ذوات الأجنحة، فقال: ''وَهذِهِ تَكْرَهُونَهَا مِنَ الطُّيُورِ. لاَ تُؤْكَلْ. إِنَّهَا مَكْرُوهَةٌ: اَلنَّسْرُ وَالأَنُوقُ وَالْعُقَابُ وَالْحِدَأَةُ وَالْبَاشِقُ عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَكُلُّ غُرَابٍ عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَالنَّعَامَةُ وَالظَّلِيمُ وَالسَّأَفُ وَالْبَازُ عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَالْبُومُ وَالْغَوَّاصُ وَالْكُرْكِيُّ وَالْبَجَعُ وَالْقُوقُ وَالرَّخَمُ وَاللَّقْلَقُ وَالْبَبْغَا عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَالْهُدْهُدُ وَالْخُفَّاشُ. وَكُلُّ دَبِيبِ الطَّيْرِ الْمَاشِي عَلَى أَرْبَعٍ. فَهُوَ مَكْرُوهٌ لَكُمْ. إِلَّا هذَا تَأْكُلُونَهُ مِنْ جَمِيعِ دَبِيبِ الطَّيْرِ الْمَاشِي عَلَى أَرْبَعٍ: مَا لَهُ كُرَاعَانِ فَوْقَ رِجْلَيْهِ يَثِبُ بِهِمَا عَلَى الأَرْضِ. هذَا مِنْهُ تَأْكُلُونَ: الْجَرَادُ عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَالدَّبَا عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَالْحَرْجُوانُ عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَالْجُنْدُبُ عَلَى أَجْنَاسِهِ. لكِنْ سَائِرُ دَبِيبِ الطَّيْرِ الَّذِي لَهُ أَرْبَعُ أَرْجُل فَهُوَ مَكْرُوهٌ لَكُمْ. مِنْ هذِهِ تَتَنَجَّسُونَ. كُلُّ مَنْ مَسَّ جُثَثَهَا يَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ'' (لا ١١: ١٣ - ٢٤). لا شك أن مفهوم هذه الأقوال أوضح، أليس كذلك؟

بلاديوس: بدرجة قليلة.

كيرلس: ألا تدرك أنه مثلما فعل بالحيوانات الأخرى، يُصوِّر أخلاقياً وبطرق مختلفة الغرائز الطبيعية لكل واحد من الطيور التي ذكرناها؟

بلاديوس: ماذا تقصد؟

كيرلس: هل تريد أن نتحدث عن كل واحدٍ على حِدة فاحصين الأمر بالتفصيل؟

بلاديوس: نعم.

كيرلس: يمنع الناموس النسر، والأنُوق والعُقاب، لأنها تطير عالياً وتفرح كثيراً بالعلو وتكره المنخفضات. لأنه يقول: ''الْجَاعِلِ الْمُتَوَاضِعِينَ فِي الْعُلَى فَيَرْتَفِعُ الْمَحْزُونُونَ إِلَى أَمْنٍ'' (أيوب ٥: ١١). مثل هذا هو المتكبر والمتفاخر المتغطرس، الذي يحتقر عادةً الطيبة والاعتدال، المترفع عن معاشرة المتواضعين.



على نفس مستوى هذه الطيور يأتي كل غراب بأنواعه، والنعامة والظليم والباز بأنواعه، بهذه الطيور، يعلن الناموس بطريقة جيدة عن جنس البشر الذين اعتادوا الخطف، والذين يفعلون الشر بشكل مرعب. النموذج الأول، هو الغراب، بينما الظليم (ذكر النعام) هو نموذج الظلاميين الذين يفعلون الشر في الخفاء بغير تردد، وضعهم الخبيث ليس ظاهراً للكثيرين، بل مخفياً داخلهم. ولأن شهوة كبرياء البشر اللعينة، دائماً ما تكون مزدوجةً، لذلك فهي تنبت لكي تصارع بقدر الإمكان كل من تصادفه، وبمبتكرات متنوعة كثيرة تخضعه، وهكذا تخصصه للخطف بغير شبع. لأجل هذا يضيف قائلاً: ''وَالْحِدَأَةُ وَالْبَاشِقُ''، فهذه الطيور من النوع الذي لا يشبع، فهي تجمع دائماً كل ما تجده أمامها، وبعد ذلك يقول: ''وَكُلُّ غُرَابٍ عَلَى أَجْنَاسِهِ''. وكذلك ''الْبُومُ وَالْغَوَّاصُ وَالْكُرْكِيُّ''، أي كل الذين يصادفونهم لدرجة أنهم لا يترددون في بث الفزع والرُعب والموت في نفوسهم، وإن كان هؤلاء هم الذين يجلبون على ذواتهم هذه الإدانة. فالصقر يهجم برُعب على كل طير ضعيف، فهو ينقضُّ على العصافير ويمسكها ويميتها. كذلك أيضاً البوم والغواص والكركي واللقلق، فهم ينقضون على الأسماك كأنهم في حالة سُعار، إذ يجعلون طعامهم هو هلاك تلك الأسماك.

ترمز هذه الكائنات في سلوكها ووحشيتها إلى جميع الذين لا يتورعون عن تدمير الأشخاص لحساب منفعتهم. هؤلاء يصطدمون بناموس المحبة الأخوية، ويرتطمون بشرائع المحبة، لذا –عن حقٍ– نقول لهم: ''لاَ يَطْلُبْ أَحَدٌ مَا هُوَ لِنَفْسِهِ بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مَا هُوَ لِلآخَرِ'' (١كو ١٠: ٢٤). لأنه يقول: ''اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَصْنَعُ شَرّاً لِلْقَرِيبِ'' (رو ١٣: ١٠).

يجب أيضاً أن يرفض ''الْبُومُ وَالْغَوَّاصُ وَالْكُرْكِيُّ وَالْبَجَعُ وَالْقُوقُ وَالرَّخَمُ وَاللَّقْلَقُ وَالْبَبْغَا عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَالْهُدْهُدُ وَالْخُفَّاشُ''، فهذه الطيور تحب الليل وتفرح بالظلام، ويسعدها أن تطير طالما كان الظلام مخيماً، في مقابل ذلك يعادون نور الشمس، ولا يمكنهم أن يفعلوا شيئاً في النور. هؤلاء يشيرون –بكل وضوح– لمن يرتكب السيئات؛ ''لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّآتِ يُبْغِضُ النُّورَ وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلا تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ. وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ فَيُقْبِلُ إِلَى النُّورِ لِكَيْ تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللَّهِ مَعْمُولَةٌ»'' (يو ٣: ٢٠ – ٢١).

كما يعتبر دنساً أيضاً كل دبيب الطير الذي يمشي على أربع، كالذباب والحشرات الشبيهة به، وهذه بالآلاف منها الصغير والمنفر، ولا تستطيع أن تطير عالياً. لكن ما هو السبب الذي يدعو الناموس كي ينشغل بكل هذا؟

مثلما تحدث الناموس عن الحيوانات البرية، فذكر الجمل، وأضاف إليه الأرنب وساوى بينهما في الدنس، وهذا يشير إلى أنه ينبغي أن يدان الكل على ما ارتكبوه من دنس يستوي في ذلك الصغير مع الكبير؛ لأنه وفقاً للمكتوب: "ليس عند الله محاباة" (رو ٢: ١١)، هكذا أيضاً يذكر النسر باعتباره ملك الطيور، وهو ينقض على أصغر الطيور واضعاً في نفس المصير الصغير والكبير، طالما ارتكبوا أشياء محرمة، وكان ميلهم للشر لا ينطفئ.

لكنه يستثني هذا النوع، الْجَرَادُ عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَالدَّبَا عَلَى أَجْنَاسِهِ، وذلك بسبب ما لهم من قوة على القفز، ولأنهم لا يعجبون أبداً بالمنخفضات، بل دائماً ما يطيرون في علو عظيم ويقفزون بسهولةٍ. مثل هذا النوع، هم مَن يحيون حياة عالميةً لكنها ليست عارية تماماً من المودة ولا من محبة الله، فهؤلاء ليسوا مقيدين تماماً بالأرضيات، ولا يستقرون في الأماكن المنخفضة، بل يهتمون بالتدابير السامية، ودائماً ما يأتون أعمالاً تستحق الإعجاب إذ أنهم يقفزون إلى أعلى ويرتفعون فوق الأرضيات.

كما يحكم الناموس على مَنْ يتدنس لأنه لمس أشياءً دنسة أن يغسل ملابسه، ويقول: نحو الغروب يكون طاهراً معلناً بذلك سر المسيح الذي به تطهرنا، مملوئين من غنى الغفران الذي تمنحه المعمودية المقدسة وقت مجيء الرب، الذي صار بطريقةٍ ما نحو الغروب؛ لأنه بالفعل يسير تجاه نهاية هذا الدهر. ألا نقول إن كلمة الله تأنس في الأيام الأخيرة؟

بلاديوس: بالتأكيد نقول.

حكم لمس دبيب الأرض

كيرلس: ولكن الناموس -بطريقة أخرى- يحكم بالدنس على كل من لمس وحشاً مفترساً، أو حيواناً دنساً، ها هو يقول: "وَكُلُّ مَا يَمْشِي عَلَى كُفُوفِهِ مِنْ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ الْمَاشِيَةِ عَلَى أَرْبَعٍ، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. كُلُّ مَنْ مَسَّ جُثَثَهَا يَكُونُ نَجِساً إِلَى

الْمَسَاءِ. وَمَنْ حَمَلَ جُثَتَهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ. إِنَّهَا نَجِسَةٌ لَكُمْ. «وَهذَا هُوَ النَّجِسُ لَكُمْ مِنَ الدَّبِيبِ الَّذِي يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ: اِبْنُ عِرْسٍ وَالْفَأْرُ وَالضَّبُّ عَلَى أَجْنَاسِهِ، وَالحِرْذَوْنُ وَالْوَرَلُ وَالْوَزَغَةُ وَالْعِظَايَةُ وَالْحِرْبَاءُ. هذِهِ هِيَ النَّجِسَةُ لَكُمْ مِنْ كُلِّ الدَّبِيبِ. كُلُّ مَنْ مَسَّهَا بَعْدَ مَوْتِهَا يَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ، وَكُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ وَاحِدٌ مِنْهَا بَعْدَ مَوْتِهَا يَكُونُ نَجِساً. مِنْ كُلِّ مَتَاعِ خَشَبٍ أَوْ ثَوْبٍ أَوْ جِلْدٍ أَوْ بَلاَسٍ. كُلُّ مَتَاعٍ يُعْمَلُ بِهِ عَمَلٌ يُلْقَى فِي الْمَاءِ وَيَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ ثُمَّ يَطْهُرُ'' (لا ١١: ٢٧ - ٣٢).

ثم أضاف الأقوال الآتية: ''وَكُلُّ مَتَاعِ خَزَفٍ وَقَعَ فِيهِ مِنْهَا فَكُلُّ مَا فِيهِ يَتَنَجَّسُ وَأَمَّا هُوَ فَتَكْسِرُونَهُ. مَا يَأْتِي عَلَيْهِ مَاءٌ مِنْ كُلِّ طَعَامٍ يُؤْكَلُ يَكُونُ نَجِساً. وَكُلُّ شَرَابٍ يُشْرَبُ فِي كُلِّ مَتَاعٍ يَكُونُ نَجِساً.... إِلَّا الْعَيْنَ وَالْبِئْرَ مُجْتَمَعِي الْمَاءِ تَكُونَانِ طَاهِرَتَيْنِ. لَكِنْ مَا مَسَّ جُثَثَهَا يَكُونُ نَجِساً. وَإِذَا وَقَعَتْ وَاحِدَةٌ مِنْ جُثَثِهَا عَلَى شَيْءٍ مِنْ بِزْرِ زَرْعٍ يُزْرَعُ فَهُوَ طَاهِرٌ'' (لا ١١: ٣٣ - ٣٧).

وهنا يبدو أن الناموس يتخذ من الوحوش المفترسة مثالاً لهؤلاء اللصوص، عديمي الإنسانية الذين لا يعملون حساباً للشر الأعظم، أقصد قتل البشر، إذ يلتهمون كل من يصادفهم ويفترسونه بلا رحمة وبدون أي تردد. ومن خلال الفأر والضَّب وما شابهها، أقصد التماسيح البرية، والسحلية أو الحرباء البسيطة منها والمخطط، يُعلِن الجنس المخيف من الأشرار الذين بالرغم من أنهم يتجولون ليلاً عادةً وخفيةً يسرقون النائمين، إلَّا أنهم يرتعبون من القبض عليهم ويفرون من ضحاياهم إذا كانوا متيقظين. ألا يرتعب الفأر ويخاف ويحتمي في جحور الأرض من أقل شيء؟ فما بالك إذا أحدث أحدٌ فرقعةً؟ ألا تفرح السحلية والحرباء وما شابهما بالتجول ليلاً وليس نهاراً.

بلاديوس: هذا صحيح.

كيرلس: يحكم الناموس أيضاً بالدنس على كل مَن يتصرف كاللصوص، أو كانت يداه ملوثتين بالدماء كأحد الوحوش، حتى لو كان ما سرقه شيئاً صغيراً لا يزيد عن الفأر أو الضَّب، أو الحرباء المخططة التي تقفز على الحوائط والسطوح؛ لأن هذه الحيوانات إذا لمس شخص أحدهما اشترك في نجاستها.

وهذا معناه أن الشركة مع هذا النوع من البشر تجعل الإنسان نجساً.

كذلك اعتبر الناموس الأواني الملوثة بمثابة أمثلةٍ للبشر، فكل إنسانٍ يُمَثِّلُ بنوع من الآنية. يُستثنى من الدنس بئر الماء والبِركة والنبع، فإذا تصادف أن سقط في إحداها أحد الحيوانات المصنفة دنسة وفقاً للناموس، فإنه لا يُسمح أبداً للذين يعيشون تحت الناموس أن يعتبروا الماء دنساً؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لترتب على ذلك ضررٌ كبير للدرجة التي قد يضطرون معها للرحيل عن بيوتهم ومدنهم، إذ لا يمكنهم الحصول على احتياجاتهم الضرورية لأن مياههم تكون قد تلوثت، وبذلك لا يتحقق الهدف من حفظ الناموس. إذاً، فالناموس لم يتشدد في هذه الحالة لأجل فائدة أولئك الذين يحيون تحت وصايا الناموس.

بلاديوس: شرحك مُقنعٌ.

حكم لمس جثث الحيوانات الطاهرة

كيرلس: كذلك اعتبر الناموس أيضاً -على قدم المساواة- الميِّت من الحيوانات الطاهرة دنساً، حيث أضاف أن الميت منها يدنس من يلمسه، فقد كتب الآتي: ''وَإِذَا مَاتَ وَاحِدٌ مِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي هِيَ طَعَامٌ لَكُمْ، فَمَنْ مَسَّ جُثَّتَهُ يَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ. وَمَنْ أَكَلَ مِنْ جُثَّتِهِ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ. وَمَنْ حَمَلَ جُثَّتَهُ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ'' (لا ١١: ٣٩ - ٤٠).

هذا يعلن بوضوح -بحسب رأيي- أنه ''إِنْ كَانَ أَحَدٌ مَدْعُوٌّ أَخاً زَانِياً أَوْ طَمَّاعاً أَوْ عَابِدَ وَثَنٍ أَوْ شَتَّاماً أَوْ سِكِّيراً أَوْ خَاطِفاً أَنْ لاَ تُخَالِطُوا وَلاَ تُؤَاكِلُوا مِثْلَ هَذَا'' (١ كو ٥: ١١)؛ لأنه لو أن شخصاً من هؤلاء الذين يُعتبرون جادين وأطهاراً بالفعل، صار مقبولاً بالإيمان في شركة روحية، ولكنه كان يُعاني من موت الخطية، فإنه ''يَكُونُ نَجِساً''؛ لأنه ملوثٌ من الأعمال الميتة، ويُدنس بالتالي مَن يقترب إليه. لكن، يلاحظ أن الناموس يقول إنه وإن كان أحدٌ مازال يُعاني من دنسٍ ما، فإنه سيصير طاهراً بالماء في المساء. ماذا يعني هذا الأمر؟ هذا ما يعلنه لنا الحديث بكل وضوح.

لاحظ الآن أن كل مَن يأكل من الجثث الميتة، أو حتى مجرد أن يلمسها،

فإنه يصير نجساً. وليس الأمر هكذا فقط، بل لن يُبرأ من تلك الإدانة وهذا الاتهام، هذا الذي صار مشاركاً لإماتتهم، ولا يخلص من الذنب أيضاً من يقترب من هذه الجثث الميتة. إذاً، فعلى المرء أن يهرب –بيقظةٍ شديدةٍ– ليس فقط من الاشتراك مع الأشرار في عمل الشر، بل من مجرد أن يتواجد أيضاً معهم. لأنه يقول: ''مَن لمس القطران توسَّخ، ومن عاشر المتكبر أشبهه'' (حكمة سيراخ ١٣: ١). والحديثُ صحيحٌ. وكون أن الناموس يستخدم هذه الأمثلة لكي يُظهر نوعية الأخلاق، فهذا ما سوف يعلمه المرء من كل ما أضافه بعد ذلك. لأنه يقول: ''لاَ تُدَنِّسُوا أَنْفُسَكُمْ بِدَبِيبٍ يَدِبُّ وَلاَ تَتَنَجَّسُوا بِهِ وَلاَ تَكُونُوا بِهِ نَجِسِينَ. إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ فَتَتَقَدَّسُونَ وَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ'' (لا ١١: ٤٣ – ٤٤). فأيُ دنسٍ يسببه الحيوان الميِّت لنفس الإنسان الذي لمس حيواناً ميتاً؟ وأيُ شرٍ يُسببه الطعام الذي يدخل الجوف ويندفع من المخرج، وفق الأقوال التي قالها المخلص (انظر مت ١٥: ١١).

بلاديوس: لا شر، كما أعتقد. فكرك مستقيم.

كيرلس: أقول إنه يجب علينا أن نبتعد عن النجسين، وأن نسير حسب طريقة الحياة التي يريدها الله مثلما يسحب البحارة المهرة سفنهم بالحبال نحو شاطئ هادئ بلا أمواج؛ لأنه لا يمكننا الاقتراب من هذا الشاطئ إلَّا هكذا، ولست في حاجةٍ إلى مزيد من الجهد لتأكيد حقيقة هذا الأمر. لأنه مكتوب أيضاً في سفر الخروج: ''فَقَالَ مُوسَى: أَمِيلُ الآنَ لأَنْظُرَ هذَا الْمَنْظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لاَ تَحْتَرِقُ الْعُلَّيْقَةُ؟. فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَّيْقَةِ وَقَالَ: مُوسَى، مُوسَى!. فَقَالَ: هأَنَذَا. فَقَالَ: «لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى ههُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ»'' (خر ٣: ١ – ٥).

هل أدركت، كيف أن أحداً لم يستطع أن يقترب إلى الله كلي القداسة، إن لم يغسل نفسه من كل دنس، وإن لم تتحرر رجله، أي مسيرته الذهنية من أي موت يلحق بأعماله؟ أليس الحذاء من بقايا حيوان ميت؟

بلاديوس: كيف لا؟

كيرلس: إذن هو مِثالٌ للموت، الذي إذا ألقاه أحدٌ من على كاهله أمكنه أن يكسر القيود وأن يتحرر، عندئذٍ يقترب من الله، ويصير من أهل بيته، لذلك

يمكنه عندئذٍ أن ينقذ الآخرين. إذن، فقد تأهَّب موسى لأجل الرسالة، ولكي يحرر بني إسرائيل. القول المقدس ينصحنا: "إن كنت حكيماً فأنت حكيم لنفسك ولقريبك" (أمثال ٩:١٢س).

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب.

متطلبات الوقوف أمام الله

كيرلس: لكن ماذا؟ ألا نستطيع أن نضيف على هذه الأقوال قولاً آخر؟

بلاديوس: ما هو؟

كيرلس: لأن الله كان سوف يزور جبل سيناء على شكل نارٍ، أخذ موسى أمراً أن يُقدِّم الشعب بطريقة منظمة، وأن يهيِّئهم لرؤية الله. طريقة التأهب هذه حدَّدها ربُّ الكل نفسه. لأنه قال لموسى: "اذْهَبْ إِلَى الشَّعْبِ وَقَدِّسْهُمُ الْيَوْمَ وَغَداً، وَلْيَغْسِلُوا ثِيَابَهُمْ، وَيَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِلْيَوْمِ الثَّالِثِ. لأَنَّهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَنْزِلُ الرَّبُّ أَمَامَ عُيُونِ جَمِيعِ الشَّعْبِ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ" (خر ١٩: ١٠ – ١١).

إذن يجب على من يشتاقون أن يقتربوا من الله، وعلى أولئك الذين يهدفون إلى الوقوف أمام الرب ويخدمونه بكل قوتهم ويستعدون لعمل كل صلاح أن يتطهروا مسبقاً. عندئذٍ يكون هذا الإنسان قادراً أن يرى الله نفسه، وفق قول المخلص: "طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ" (متى ٥: ٨). في هذه الدرجة من البهاء يمكنك أن ترى –إذا أردت– إبراهيم العظيم ذاته. فلنمضِ إذن لنرى واحدة واحدة من الأمور المتعلقة بهذا الموضوع. لأنه مكتوب الآتي: "وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيم: «وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظُ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ. هذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ، فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلاَمَةَ عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. اِبْنَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ: وَلِيدُ الْبَيْتِ، وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّةٍ مِنْ كُلِّ ابْنِ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ. يُخْتَنُ خِتَاناً وَلِيدُ بَيْتِكَ وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّتِكَ، فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْداً أَبَدِيّاً. وَأَمَّا الذَّكَرُ الأَغْلَفُ الَّذِي لاَ يُخْتَنُ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ فَتُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهَا. إِنَّهُ قَدْ نَكَثَ عَهْدِي» (تك ١٧: ٩ – ١٤).

ثم يقول: "فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ ابْنَهُ، وَجَمِيعَ وِلْدَانِ بَيْتِهِ، وَجَمِيعَ الْمُبْتَاعِينَ بِفِضَّتِهِ،

كُلَّ ذَكَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ إِبْرَاهِيمَ، وَخَتَنَ لَحْمَ غُرْلَتِهِمْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ كَمَا كَلَّمَهُ اللهُ'' (تك ١٧: ٢٣).

إذن، ماذا كانت مكافأة الطاعة، وكيف أفاد الختان، سوف تعلمه من الآتي: ''وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ». فَقَالُوا: «هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ» (تك ١٨: ١ – ٥).

إن ختان الجسد هو مِثالٌ واضحٌ جداً للختان الذهني والروحي، الذي بمقتضاه ينزع المسيحُ كل دنسٍ من أذهاننا؛ فهذا يتفق مع ما قاله بولس الطوباوي: ''وَبِهِ ايضاًخُتِنْتُمْ خِتَاناً غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ'' (كو ٢: ١١). وطالما خلعنا الإنسان القديم الذي يفسد من شهوات الباطل، واللذات الجسدية، فبسكين الروح وفعله، نُظهِر ذواتنا جديرة بأن ترى الله، ونصير مسكناً مقدساً للثالوث القدوس والمساوي. كما قال المخلص أيضاً: ''إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كلاَمِي وَيُحِبُّهُ أَبِي وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً'' (يو ١٤: ٢٣).

على إن مكافأة الإيمان لم تتوقف عند هذا الحد، ولكننا نأخذها لأننا صِرنا بالفعل مقبولين، وأصبحنا أهل بيت الله، وسوف نكتسب معرفته، أقصد بالإعلان الذي سوف يكشفه لنا الله. مثلما أُخبِر أبرآم بما يخص هلاك سدوم. لأن الله أعلن له هذا الأمر كصديق. إذن، فتجنُّب الدنسين يكون سبباً للمكافأة عنه بالخيرات. لأجل هذا أيضاً يقول بولس: ''فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ'' (رو ١٢: ١). كذلك كرز أيضاً أرميا النبي بكل وضوح قائلاً: ''اِغْسِلِي مِنَ الشَّرِّ قَلْبَكِ يَا أُورُشَلِيمُ لِتُخَلَّصِي'' (أر ٤: ١٤).

بلاديوس: إذن لا يمكننا أن نقترب من الله كُلي القداسة بنفس دنسة، بل بحياة مقدسة وبلا لوم، وهكذا يمكن أن نصل مباشرةً إلى هذا الذي يليق ويُبتغَى.

كيرلس: بالضبط هكذا يا بلاديوس. ولا يحتاج الأمر لتعب شديد لكي تتأكد من صحة حديثك، إذا أردت أن تفحص -بفهم وبحُب التعلُّم- حياة القديسين بالتفصيل. لأن كل ما صار للأقدمين على شكل أمثلةٍ، كُتب لأجلنا كطريقةٍ للنُصح والإفادة كما قال بولس العظيم (انظر ١ كو ١٠: ١١)[1]. وكون أن الطاهرين والمغتسلين هم فقط الذين يأتون إلى الله، فهذا ما يعرفه المرء من الآتي: دينا بنت يعقوب التي كانت عذراء وفي سن الزواج خرجت لتنظر بنات حمور أبي شكيم، خرجت من خيمة أبيها، لكن شكيم ابن حمور لم يكن متزناً وهادئاً، بل عشق الفتاةَ مباشرةً واستولت عليه شهوةٌ عارمةٌ لتحقيق هدفه. هكذا، انقضَّ الغريبُ وغير المختون ببربرية، وقهر الفتاة العبرية. وبدا الأمر ثقيلٌ على أبناء يعقوب، فأقاموا حرباً ضد هؤلاء الذين مثل السكارى هجموا على بنتٍ عبرية كانت أختهم. فانزعج يعقوب العظيم وخاف وتشكك في أن جيله سوف يُباد، لكن الله ساعده وأنقذه أيضاً، وكيف صار هذا؟ جديرٌ أن نراه. مكتوب الآتي: "فَقَالَ يَعْقُوبُ لِشَمْعُونَ وَلاَوِي: «كَدَّرْتُمَانِي بِتَكْرِيهِكُمَا إِيَّايَ عِنْدَ سُكَّانِ الأَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ، وَأَنَا نَفَرٌ قَلِيلٌ. فَيَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ وَيَضْرِبُونَنِي، فَأَبِيدُ أَنَا وَبَيْتِي». فَقَالاَ: «أَنَظِيرَ زَانِيَةٍ يَفْعَلُ بِأُخْتِنَا؟».ثُمَّ قَالَ اللهُ لِيَعْقُوبَ: «قُمِ اصْعَدْ إِلَى بَيْتِ إِيلَ وَأَقِمْ هُنَاكَ، وَاصْنَعْ هُنَاكَ مَذْبَحاً للهِ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ حِينَ هَرَبْتَ مِنْ وَجْهِ عِيسُو أَخِيكَ». فَقَالَ يَعْقُوبُ لِبَيْتِهِ وَلِكُلِّ مَنْ كَانَ مَعَهُ: «اعْزِلُوا الآلِهَةَ الْغَرِيبَةَ الَّتِي بَيْنَكُمْ وَتَطَهَّرُوا وَأَبْدِلُوا ثِيَابَكُمْ. وَلْنَقُمْ وَنَصْعَدْ إِلَى بَيْتِ إِيلَ، فَأَصْنَعَ هُنَاكَ مَذْبَحاً للهِ الَّذِي اسْتَجَابَ لِي فِي يَوْمِ ضِيقَتِي، وَكَانَ مَعِي فِي الطَّرِيقِ الَّذِي ذَهَبْتُ فِيهِ». فَأَعْطَوْا يَعْقُوبَ كُلَّ الآلِهَةِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي فِي أَيْدِيهِمْ وَالأَقْرَاطَ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ، فَطَمَرَهَا يَعْقُوبُ تَحْتَ الْبُطْمَةِ الَّتِي عِنْدَ شَكِيمَ" (تك ٣٤: ٣٠ - ٣١، ٣٥: ١ - ٤).

هل رأيت كيف ساعد ربُّ الكل البار الذي كان مرتعباً، وأمر أن يُبنى مذبحٌ تنطلق منه رائحة سرورٍ وتكريسٍ بهيٍّ لخلاص ومعونة أكيدة سوف تحدث له. وإذ أدرك يعقوب جيداً أنه ينبغي عليه أن يفعل هذا الأمر، أمر أن يتطهر أهل بيته ويُخرِجون من وسطهم الآلهة الكاذبة، ويلبسون ملابس أخرى نظيفة. وهو يقصد بهذا الأمر -بدون شك- صراحة الإيمان وطهارة

---

١ -"فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً وكتبت لإنذارنا نحن انتهت إلينا أواخر الدهور".



الحياة. لأن إخراج الآلهة الغريبة يشير إلى التصاق الإرادة غير المتغيرة بالله دون تشتت الذهن وعدم الانحصار في المرض، وعدم استخدام بقايا ضلال الشياطين. بينما بتغيير الملابس يُعلن وجوب أن نكتسي بتعاليم نقية. هكذا بدا حسناً ما كتبه بولس الحكيم: "أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ، وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ، وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ" (أف ٤: ٢٢ - ٢٤). وهو يقصد بخلع الإنسان العتيق، إماتة اللذات الجسدية. وأيضاً سليمان قال: "لِتَكُنْ ثِيَابُكَ فِي كُلِّ حِينٍ بَيْضَاءَ" (جا ٩: ٨). وهنا يمكنني أن أقول إن سليمان الحكيم كان يقصد أمراً مباشراً تماماً، فهو لم يحاول أن يقنعنا بمزيد من الكلام –كما لو كنا أطفالاً– أن نفرح بالثياب البيضاء، تلك التي يشبهها بالحياة الطاهرة والحرة من أي دنس، وإلّا كيف يمكن للشخص –بدون ذلك– أن يلبس ربنا يسوع المسيح؟ ألا تعتقد إذن يا صاحبي إن المتزيِّن بلباس التعليم الإنجيلي يحقق بالتأكيد هذا الأمر.

بلاديوس: بالتأكيد.

يوسف، نموذج للرجل البار

كيرلس: ولو أن شخصاً تذكر أيضاً يوسف البار الشهير، فإنه سيجني فائدةً كبيرةً، بل ويكون قد أدرك أنَّ الله سيعمل معه في كل عمل، وسوف يحميه. يكفي أن يرفض الدنس تماماً، لأنه بينما كان يستطيع أن يقضي وقتاً حسناً، وأن يدنو كثيراً من ملذاته مسرعاً بحرية بالقفزات الملتهبة للشباب في ما يسعده ويعجبه تحت سيطرة غرائزه الجامحة، لم يفعل هذا الأمر، بل اعتبر طريق الله هو الأفضل، ووضع مشقة الامتناع في المكانة الأولى أمام أي سعادة لحظية. لأنه يعرف إن إثارة الجسد تكون حلوةً في البداية تلذ العقل كأنها العسل، لكن نهايتها ليست حلوة على الإطلاق. لأن الجزاءات والعقوبات هي النتيجة المتحصلة عن كل هذا، وأيُ شرٍّ مثل هذا يغيب عن تفكير ذاك الذي أخطأ؟ هل تريد أن نذكر ما كُتب من أقوالٍ فيما يتعلق بهذا الأمر؟

بلاديوس: نعم أريد جداً.

كيرلس: يقول الكتاب: ''وَكَانَ مِنْ حِينَ وَكَّلَهُ عَلَى بَيْتِهِ وَعَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ أَنَّ الرَّبَّ بَارَكَ بَيْتَ الْمِصْرِيِّ بِسَبَبِ يُوسُفَ. وَكَانَتْ بَرَكَةُ الرَّبِّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ فِي الْبَيْتِ وَفِي الْحَقْلِ. فَتَرَكَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ فِي يَدِ يُوسُفَ. وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ يَعْرِفُ شَيْئاً إِلَّا الْخُبْزَ الَّذِي يَأْكُلُ. وَكَانَ يُوسُفُ حَسَنَ الصُّورَةِ وَحَسَنَ الْمَنْظَرِ. وَحَدَثَ بَعْدَ هَذِهِ الأُمُورِ أَنَّ امْرَأَةَ سَيِّدِهِ رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا إِلَى يُوسُفَ وَقَالَتِ: ''اضْطَجِعْ مَعِي''. فَأَبَى وَقَالَ لِامْرَأَةِ سَيِّدِهِ: ''هُوَذَا سَيِّدِي لاَ يَعْرِفُ مَعِي مَا فِي الْبَيْتِ وَكُلُّ مَا لَهُ قَدْ دَفَعَهُ إِلَى يَدِي. لَيْسَ هُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَعْظَمَ مِنِّي. وَلَمْ يُمْسِكْ عَنِّي شَيْئاً غَيْرَكِ لأَنَّكِ امْرَأَتُهُ. فَكَيْفَ أَصْنَعُ هَذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللهِ؟''. وَكَانَ إِذْ كَلَّمَتْ يُوسُفَ يَوْماً فَيَوْماً أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ لَهَا أَنْ يَضْطَجِعَ بِجَانِبِهَا لِيَكُونَ مَعَهَا. ثُمَّ حَدَثَ نَحْوَ هَذَا الْوَقْتِ أَنَّهُ دَخَلَ الْبَيْتَ لِيَعْمَلَ عَمَلَهُ وَلَمْ يَكُنْ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ هُنَاكَ فِي الْبَيْتِ. فَأَمْسَكَتْهُ بِثَوْبِهِ قَائِلَةً: ''اضْطَجِعْ مَعِي''. فَتَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ. وَكَانَ لَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ إِلَى خَارِجٍ. أَنَّهَا نَادَتْ أَهْلَ بَيْتِهَا وَقَالَتْ: ''انْظُرُوا! قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا بِرَجُلٍ عِبْرَانِيٍّ لِيُدَاعِبَنَا. دَخَلَ إلى لِيَضْطَجِعَ مَعِي فَصَرَخْتُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ. وَكَانَ لَمَّا سَمِعَ أَنِّي رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ'' (تك ٣٩: ٥ – ١٥).

أرأيت كيف حاولت هذه المرأة أن تجذبه وتوقعه بالقهر في مضجعها، بينما كان عقله منضبطاً غير متزعزع، ولا يستطيع شيءٌ أن ينتصر عليه؟

كان بعدُ فتىً ابن سبعة عشر عاماً، وقد خرج للتو من مرحلته العمرية الأولى إلى وهج اللذات والأهواء، والرغبات العاتية التي لا تميل لقبول النصح؛ فالفتيان عادةً ما يحبون الشهوة بغريزةٍ منفلتة ولا يتحملون بسهولة لجام الانضباط. إلَّا أن يوسف كان غير متزعزع، ولم تكن لديه تلك التربية التي تحضُّ على حرية الشباب دون ضوابط، وهكذا لم يوقعه كونه غريباً وعبداً تحت وطأة الخوف. رغم أن الغربة والعبودية كانتا نتيجة قهر إخوته الذين باعوه للإسماعيليين. ولكن نظراً لأن إنضباطه كان في نفس الوقت أعظم من اللذة المقيتة ومن أهواء الخلاعة، اتهمته المرأة السيئةُ ظلماً، ولأنه لم يخضع لدعوتها، دعته شتاماً، ولهذا السبب أُلقيَ الشابُ في السجن.



لكن النعمة الإلهية أنقذته، فحصل مباشرةً على مكافأة انضباطه، وهي السيادة على كل أرض مصر. إذاً، فحتى لو كان هذا الأمر مملوءً أتعاباً، وكان مجد الانضباط يتطلب جهداً وعرقاً، إلَّا أن من يفضِّل محبة الله لا يقيم وزناً لتلك الأتعاب؛ لأنه بالتأكيد سوف ينال ثناءً مساوياً ومكافآت. لأجل هذا يُعجب داود العظيم بهذه العذابات ويحسبها جديرة بالثناء قائلاً: ''أَرْسَلَ أَمَامَهُمْ رَجُلاً. بِيعَ يُوسُفُ عَبْداً. آذُوا بِالْقَيْدِ رِجْلَيْهِ. فِي الْحَدِيدِ دَخَلَتْ نَفْسُهُ'' (مز ١٠٥: ١٧ – ١٨). أظن أن الحديد يشير إلى قسوة وقوة الآلام التي تستطيع أن تضبط وتوقف الخطية لكي يتحرر من أي دنس، لكي يحقق الحياة المقدسة والطاهرة، أقصد حياة إنجيل المسيح الذي بواسطته، ومعه المجد للآب والروح القدس إلى أبد الآبدين آمين.

المقالة الخامسة عشر

ينبغي أن نحضر أمام الله طاهرين ومغتسلين، وإن نقائنا (طهارتنا) تتحقق بالإيمان بالمسيح

لا خلاص لنا إلّا بالمسيح

نخرج من المناقشة -يا بلاديوس- بنتيجة واضحة جلية، ألا وهي أننا يجب أن ندخل بيت الله ونحن في أروع وأبهى صورة، مشمولين بالطُّهر، إذ صرنا بالقداسة من أهل بيت الله، عندئذٍ نجد أن الله الرحوم، وقد اطلع على حالتنا، يمنحنا عنايته اللائقة بالقديسين؛ لأنه يقول: ''مَيِّزْ مَرَاحِمَكَ يَا مُخَلِّصَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ بِيَمِينِكَ مِنَ الْمُقَاوِمِينَ. احْفَظْنِي مِثْلَ حَدَقَةِ الْعَيْنِ. بِظِلِّ جَنَاحَيْكَ اسْتُرْنِي'' (مز ١٧: ٧ - ٨).

أمَّا مَن يوجد في هذه الحالة، فإنه إذ يرفع يديه حقاً في نقاوة، ويصرخ في أُذن الإلوهية، عندئذٍ تُستجاب سريعاً صلواته التي رفعها، فيقول وهو مملوءٌ فرحاً: ''فِي ضِيقِي دَعَوْتُ الرَّبَّ وَإِلَى إِلَهِي صَرَخْتُ فَسَمِعَ مِنْ هَيْكَلِهِ صَوْتِي وَصُرَاخِي قُدَّامَهُ دَخَلَ أُذُنَيْهِ'' (مز ١٨: ٦). ألم تسمع داود العظيم حين رنَّم بكل وضوح، قائلاً: ''عَيْنَا الرَّبِّ نَحْوَ الصِّدِّيقِينَ وَأُذُنَاهُ إِلَى صُرَاخِهِمْ'' (مز ٣٤: ١٥).

بلاديوس: سمعته طبعا.

كيرلس: وبما أن الحديثَ صحيحٌ، إذن لا ينبغي لنا أن نكون مترددين؛ لأنه كيف يمكن أن نحقق طهارتنا من الأدناس، إن كان الواحد منَّا لا يستطيع أن يشعر بأخطائه (مز ١٩: ١٢)، وكلنا يصنع الكثير من الأخطاء (يع ٣: ٢)؟ فاستسهال فعل الخطية، أصبح مرضاً أصاب طبيعتنا، لذا فهي تنجذب عادةً بسهولة إلى ارتكاب الإثم، كذلك فإن ميلنا تجاه الدناءة يمهِّد لنا طريق اللذة الدنس والشرير.

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب. لذا أوافقك بدون إبطاء لأنك تتحدث باستقامة.

كيرلس: إن ناموس الخطية المحيط بالجسد الترابي يصيبه بالمرض، وعقل الإنسان متأهبٌ للميل نحو الشرور منذ البدء، طبقاً للكتاب المقدس (تك ٨: ٢١). لهذا كشف لنا الكتاب المقدس -بحق- عن تلك القساوة قائلاً: «الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعاً. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ» (رو ٣: ١٢). ونظراً لعدم وجود طريقة للتحرر من الشر، أرسل لنا الآب من السماء، المخلِّص والفادي ابنه ذاته ليخلصنا بالإيمان، وينير الساكنين في الظلمة، ويحررنا من الجزاء، ويجعل غير القادر قادراً تماماً، ويعطي الضال فرصة الرجوع، ويخلص الخاضعين للشيطان من سيادته الشريرة عليهم.

بلاديوس: إذن بقوة المسيح نلقي عن كاهلنا دناءة الخطيئة، وهكذا نتطهر، مبتعدين بعيداً بقدر الإمكان عن أي شيء مشين، مقتربين إلى الآب بواسطة المسيح.

كيرلس: لقد وصل لك المعنى تماماً. كذلك يمكن للمرء أن يسمع الأنبياء أيضاً يكرزون بالنعمة الجديدة المفرحة، فميخا الحكيم يقول: «مَنْ هُوَ إِلَهٌ مِثْلُكَ غَافِرٌ الإِثْمَ وَصَافِحٌ عَنِ الذَّنْبِ لِبَقِيَّةِ مِيرَاثِهِ! لاَ يَحْفَظُ إِلَى الأَبَدِ غَضَبَهُ فَإِنَّهُ يُسَرُّ بِالرَّأْفَةِ» (ميخا ٧: ١٨). وآخر يقول أيضاً: «أُذْكُرْ هَذِهِ يَا يَعْقُوبُ ... يَا إِسْرَائِيلُ لاَ تُنْسَى مِنِّي. قَدْ مَحَوْتُ كَغَيْمٍ ذُنُوبَكَ وَكَسَحَابَةٍ خَطَايَاكَ. ارْجِعْ إِلَيَّ لأَنِّي فَدَيْتُكَ» (أش ٤٤: ٢١ - ٢٢). ويمكن لمن يشاء أن يجمع من الكتاب المقدس ما يبرهن على ذلك بامتياز، وإن كنت أعتقد أنه من الإفراط للذين يهدفون لإيمان واضح، أن يكدِّسوا شواهد أخرى من الكتاب.

بلاديوس: يمكننا أن نؤكد أن الأمر واضح لكل واحد. لكنني كنُت أود أن أتحقق أيضاً من الصور التي استخدمها الناموس عن التطهير بنعمة المسيح.

أنواع الذبائح التي تشير إلى التطهير بنعمة المسيح

كيرلس: إذن عليك أن تلاحظ الطريق الذي أسير فيه، فقد يروقك. لقد أمر الناموس كل من كانوا دنسين، والمدانين بجرائم العصيان أن يقدِّموا ذبائح، غير أنه قسَّم هذه الذبائح إلى نوعين: النوع الأول خاصٌ بعمانوئيل الذي

ذُبِحَ لأجلنا، والنوع الثاني يخصنا نحن الذين مُتنا من جهة العالم مقدِّمين الحياة لله، وخلاصنا كرائحة سرور. ألم نقم بإماتة أعضائنا الأرضية (كو ٣: ٥)، ألم نحرر عقلنا من ضلال العالم واللذات الأرضية؟ إذن، فلنحيا الحياة الإلهية والإنجيلية.

بلاديوس: بالتأكيد.

كيرلس: إذن، الذبيحة هي الطهارة الروحية في موت المسيح، وهي طلبة وعطية في ذات الوقت، وهي تعني من جانبنا أن نخصص لله الحياة في كرامة وقداسة. فإذا كان الناموس يشدد ويؤكد على ضرورة أن تكون طريقة تقديم هذه الذبائح بلا لوم؛ فلأن بعضاً من هذه الذبائح، إنما هي تعلن المسيح، بما أنه قد ذُبِحَ لأجلنا، والبعض الآخر يصوِّرنا نحن الذين نقدِّم حياتنا لله، كأنها بخور. فلأن المسيح بلا لوم لأنه لم يرتكب خطية (١ بط ٢: ٢٢)، فهو يؤكد على ضرورة أن تكون هذه الذبائح كاملة، دون نقص. غير أن الله لن يقبلنا إذا كنُا مازلنا مدنسين، ومرضى جراء دناءة خطيتنا.

الشروط التي يجب توافرها في الذبيحة

حسناً، يكتب في سفر اللاويين: ”وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «كَلِّمْ هَارُونَ وَبَنِيهِ وَجَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمِنَ الْغُرَبَاءِ فِي إِسْرَائِيلَ، قَرَّبَ قُرْبَانَهُ مِنْ جَمِيعِ نُذُورِهِمْ وَجَمِيعِ نَوَافِلِهِمِ الَّتِي يُقَرِّبُونَهَا لِلرَّبِّ مُحْرَقَةً، فَلِلرِّضَا عَنْكُمْ يَكُونُ ذَكَراً صَحِيحاً مِنَ الْبَقَرِ أَوِ الْغَنَمِ أَوِ الْمَعْزِ. كُلُّ مَا كَانَ فِيهِ عَيْبٌ لاَ تُقَرِّبُوهُ لأَنَّهُ لاَ يَكُونُ لِلرِّضَا عَنْكُمْ. وَإِذَا قَرَّبَ إِنْسَانٌ ذَبِيحَةَ سَلاَمَةٍ لِلرَّبِّ وَفَاءً لِنَذْرٍ، أَوْ نَافِلَةً مِنَ الْبَقَرِ أَوِ الأَغْنَامِ، تَكُونُ صَحِيحَةً لِلرِّضَا. كُلُّ عَيْبٍ لاَ يَكُونُ فِيهَا. الأَعْمَى وَالْمَكْسُورُ وَالْمَجْرُوحُ وَالْبَثِيرُ وَالأَجْرَبُ وَالأَكْلَفُ، هذِهِ لاَ تُقَرِّبُوهَا لِلرَّبِّ، وَلاَ تَجْعَلُوا مِنْهَا وَقُوداً عَلَى الْمَذْبَحِ لِلرَّبِّ. وَأَمَّا الثَّوْرُ أَوِ الشَّاةُ الزَّوَائِدِيُّ أَوِ الْقُزُمُ فَنَافِلَةً تَعْمَلُهُ، وَلكِنْ لِنَذْرٍ لاَ يُرْضَى بِهِ. وَمَرْضُوضَ الْخِصْيَةِ وَمَسْحُوقَهَا وَمَقْطُوعَهَا لاَ تُقَرِّبُوا لِلرَّبِّ. وَفِي أَرْضِكُمْ لاَ تَعْمَلُوهَا. وَمِنْ يَدِ ابْنِ الْغَرِيبِ لاَ تُقَرِّبُوا خُبْزَ إِلهِكُمْ مِنْ جَمِيعِ هذِهِ، لأَنَّ فِيهَا فَسَادَهَا. فِيهَا عَيْبٌ لاَ يُرْضَى بِهَا عَنْكُمْ“ (لا ٢٢: ١٧ – ٢٥). إذن، لاحظ أن الناموس يعلن بوضوح وبلا تحفظ لهؤلاء الذين ينحدرون من دم بني إسرائيل، وأيضاً

للذين جاءوا من خارج، أي المهتدين، أنه يجب أن يفحصوا فحصاً جيداً ما يعيب الذبائح المقدسة. فقد أوجب أن نقدِّم الذكَر، والكامل، أي قوتنا ونُصرتنا ضد الشهوات؛ لأن الخمول والميوعة ونقص روحانية العقل تُعد أموراً غير مقبولة تماماً ومحتقرة لدي الله. ألا يبدو دنسا من تكتنفه هذه النواقص؟

بلاديوس: كيف لا؟

كيرلس: إذن، فالضعيف والمشلول يُحسب دنِساً، أمَّا القوي الذي تظهر عليه علامات الرجولة، فهو مقبولٌ إذا كانت حياته بلا لوم. هذه الذبائح تعُد مثالاً واضحاً للمسيح؛ لأن عمانوئيل كان أيضاً ذكراً بلا عيب؛ لأنه في الحقيقة هو قوة الله وحُرٌّ من أية خطية. وبالرغم من أنه كان ذَكَراً، إلَّا أنه كان مختلفاً؛ لأنه يفوق الكل دائماً. ومن بين الكل يَفْضُلُ الذَكَرُ الأنثى من حيث القوة، وفضلاً عن ذلك، فالرئاسة معقودةٌ له. إذن هو الأول، وليس ذلك فقط، بل هو الأول بشكلٍ فائق عن كل الصالحين. وهو قائدنا وزعيمنا وراعي الخراف، الذي بالرغم من أنه الابن، إلَّا أنه صار على ما نحن عليه لأجل فائدتنا.

يُعزلُ أيضاً من الذبائح المقدَّمة، الأعمى والمكسور والمجروح والبثير والأجرب والأكلف والمقطوع اللسان والأُذن والذيل، ومرضوض الخصية أيضاً، بل ومسحوقها ومقطوعها.

المعنى الروحي للعيوب التي تجعل الذبيحة مرفوضة

بلاديوس: إذن يجب أن نوضح ما تشير إليه هذه الأمور في سلوكياتنا وطرق حياتنا.

كيرلس: بالضبط. لأننا بهذه الطريقة فقط يمكننا أن ندرك المعنى الروحي الذي يقصده الناموس. فالله لا يقيم وزناً على الإطلاق لعبادة الظلال، ولا عيَّن أبداً النواميس المتفقة مع هذه العبادة، إن لم تكن هذه النواميس تصوِّر جمال الحق العجيب.

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب. أكمل الآن فحص كل عيب، وأوضح أيضاً مفهوم هذه الأشياء؟

كيرلس: أنا مستعد تماماً لذلك.

حسناً، الأعمى يشير إلى الغبي غير الفاهم الذي ليس فيه النور الإلهي، أي استنارة المسيح بنعمة الروح. وغير العاقل وغير المؤمن يعتبر دنساً؛ لأنه يقول: "إِنْ لَمْ تؤْمِنُوا فَلاَ تَأْمَنُوا" (أش ٧: ٩).

أمَّا المسحوق فيشير إلى المريض بمرضٍ يشمل الجسد كله، لا قوة في أي عضو منه، ولا يمكنه السير باستقامةٍ، وليست لديه القوة لكي يعمل شيئاً صالحاً، طالما كانت قوة المسيح والروح القدس غائبةً عنه تماماً. مثل هؤلاء كتب عنهم أحد الأنبياء قائلاً: "هَئَنَذَا جَاعِلٌ لِهَذَا الشَّعْبِ مَعْثَرَاتٍ فَيَعْثُرُ بِهَا الآبَاءُ وَالأَبْنَاءُ مَعاً. الْجَارُ وَصَاحِبُهُ يَبِيدَانِ" (أر ٦: ٢١). وفي المقابل يقدم المرنِّم الإلهي أولئك الذين خلصوا بالإيمان بالمسيح، فرحين مسبِّحين قائلين: "بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ وَلاَ تَنْسَيْ كُلَّ حَسَنَاتِهِ. الَّذِي يَغْفِرُ جَمِيعَ ذُنُوبِكِ. الَّذِي يَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِكِ. الَّذِي يَفْدِي مِنَ الْحُفْرَةِ حَيَاتَكِ. الَّذِي يُكَلِّلُكِ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ" (مز ١٠٣: ٢ - ٤).

أمَّا أقطع اللسان، فيشير إلى مَنْ لا يمكنه التحدث بالصواب، ومَنْ لا قوة لديه للمناداة بكلمة الإيمان التي نكرز بها وفق المكتوب (رو ٨: ١٠)، ولا يكرز بسؤال ضمير صالح عن الله (١ بط ٣: ٢١)، فيخرجهم هذا الضعف من محضر المسيح، وهو ما يوضحه النبي قائلاً: "الألسنة التي تتلعثم سوف تتعلم سريعاً أن تكرز بالسلام".

"اللسان المقطوع"، يشير إذن إلى مَن يكذب، وإلى مَن تقاعس عن الكرازة بالسلام الذي أرسله لنا الآب من السماء، أي المسيح وكل عمله الخلاصي.

أمَّا هؤلاء المصابون بالجرب والبثور والكَلَف، فيشيرون إلى النفس المملوءة بالشهوات، والتي تعاني من فساد الخطية، وفي نفس الوقت لا يهتمون بالحد من هذه الشهوات، بل بالحري يرغبون في تكديسها متوسعين في عمل الشر. ذلك لأن الكَلَف والبثور والجرب دائماً ما تزداد وتتسع حتى تغطي كل الجسد في بطء. هكذا شهوات نفوسنا تصنع فينا مثل هذا الأمر، ولا تتوقف بل تندفع اندفاعاً جنونياً نحو الأسوأ.

أمَّا مقطوع الأذنين، وكذلك مقطوع الذيل، فيشيران إلى الإنسان غير المطيع الذي لا يؤمن بسهولة، ولا يحفظ كرامته للنهاية، ألا يتضرر مقطوعي الآذان من عدم السمع؟

بلاديوس: طبعاً، يحدث.

كيرلس: هل يمكنك أن تصف الحيوانات المقطوعة الذيل بالجَمَال؟ أبداً؛ فقد أضحت قبيحة الشكل جداً. ولذلك يستخدم الناموس الحيوان أقطع الذيل ليشير بواسطته إلى الشكل المشوَّه القبيح.

كذلك لا يقبل الناموس الذَكَر الذي لا يمكنه أن يؤدي دوره كَذَكَرٍ، أقصد الشخص مقطوع الخصيتين. فهؤلاء أيضاً يشيرون إلى مَنْ يظنون أنهم رجالٌ في ممارسة الفضيلة، لكنهم مصابون بالعقم، وبلا ثمر ومحرومون من القدرة علي إتيان الثمر، إذ لا يبذلون الجهد المطلوب لاكتساب مفاخر الفضيلة؛ لأن عدداً كبيراً من الشهوات تدفعنا قهراً إلى الضعف والخمول وإلى عدم المقدرة علي إتيان الثمر. لذلك يدعو الناموس الحيوان المخصي بأسماء كثيرة، فهم يدعوه –وبحق– الإنسان المسحوق والمكسور، كما يدعوه مقطوع الخصيتين؛ لأن كل هذه الأنواع تشير إلى شهواتنا، وهي –بطرقٍ كثيرةٍ– تقودنا نحو عدم الرجولة وعدم القدرة والعجز.

بلاديوس: شرحك مقنعٌ.

كيرلس: بالإضافة إلى كل هذا، فقد اعتبر الناموسُ تقريب الذبائح إلى الله بأيدي إنسان غريب أمراً مقززاً، وهذا يعلنه قائلاً: ''وَمِنْ يَدِ ابْنِ الْغَرِيبِ لاَ تُقَرِّبُوا خُبْزَ إِلهِكُمْ مِنْ جَمِيعِ هذِهِ، لأَنَّ فِيهَا فَسَادَهَا. فِيهَا عَيْبٌ لاَ يُرْضَى بِهَا عَنْكُمْ'' (لا ٢٢: ٢٥). وهو يتخذ من هذا نموذجاً يُعلِن به أن الآبَ قريبٌ، فقط بواسطة المسيح؛ لأن المسيح حقاً هو رئيس كهنتنا العظيم والكامل (انظر عب ٤: ١٤، ٨: ٦)، وهو الوسيط بحسب التدبير كما كتب بولس العظيم: ''لأَنَّ بِهِ لَنَا كِلَيْنَا قُدُوماً فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الآبِ'' (أف ٢: ١٨). إذن، على كل الذين يريدون أن يخصِّصوا نفوسهم لله الآب بوساطة المسيح، إلَّا يكونوا تحت إدانةٍ ما؛ لأنه يقول: ''تَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ'' (لا ١٩: ٢).

بلاديوس: أنت تتحدث حسناً.

طرق تقديم الذبائح الغير الدموية

كيرلس: وكما رتَّبَ بشكل تام طُرق تقديم الذبيحة بعجولٍ وخراف، أعلن أيضاً بوضوح كيف يأتي إلى الله هؤلاء الذين لهم هذا الحق، بطريقةٍ لا عيب فيها، حيث يقول في سفر اللاويين: ''كُلُّ التَّقْدِمَاتِ الَّتِي تُقَرِّبُونَهَا لِلرَّبِّ لاَ تُصْطَنَعُ خَمِيراً، لأَنَّ كُلَّ خَمِيرٍ، وَكُلَّ عَسَل لاَ تُوقِدُوا مِنْهُمَا وَقُوداً لِلرَّبِّ. قُرْبَانَ أَوَائِلَ تُقَرِّبُونَهُمَا لِلرَّبِّ. لكِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ لاَ يَصْعَدَانِ لِرَائِحَةِ سَرُورٍ. وَكُلُّ قُرْبَانٍ مِنْ تَقَادِمِكَ بِالْمِلْحِ تُمَلِّحُهُ، وَلاَ تُخْلِ تَقْدِمَتَكَ مِنْ مِلْحِ عَهْدِ إِلهِكَ. عَلَى جَمِيعِ قَرَابِينِكَ تُقَرِّبُ مِلْحاً'' (لا ٢: ١١ - ١٣).

يشير الخمير لا إلى الذم فقط، ولكن إلى المكر أيضاً. ولكنه من طرف آخر يشير إلى المكر في الأمر المفيد والممدوح، وهو الأمر الذي وعدت به الحكمة غير الأشرار (انظر أمثال ١: ٤) ، لأن الاسم ''المكر'' يدلُ على وسيلةٍ. وقد يشير العسل في بعض المرات إلى اللذة الجسدية، كما يقول: ''لأَنَّ شَفَتَيِ الْمَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ تَقْطُرَانِ عَسَلاً'' (أمثال ٥: ٣). كما يستخدم أيضاً للتعبير عن صورة الحلاوة الصالحة. لأنه مكتوب: ''يَا ابْنِي كُلْ عَسَلاً لأَنَّهُ طَيِّبٌ وَقَطْرَ الْعَسَلِ حُلْوٌ فِي حَنَكِكَ'' (أمثال ٢٤: ١٣). إذن يحرِّم الناموس أن تقُرَّب لله ذبائح غير دموية تصنع بالخمير والعسل. لأن قُربان الأوائل تقربونها للرب لكن لا يصعدان علي المذبح لرائحة سرور.

بلاديوس: أرجو توضيح ماذا يعني بهذه الإشارة.

كيرلس: الشرح صعبٌ فعلاً يا بلاديوس. ما الذي يقصده بالقول إن هذه التقدمات لا تعتبر غير مقبولة تماماً، لكن فقط لا تقدم كذبيحة محرقة؟ كم هو صعبٌ تفسير هذا الأمر. حسناً، أعتقد أنه إذا أتت النفس –على سبيل التقوى والصلاح– أمراً ما بمكرٍ بحجة تقواها، فإنه لن يكون محتقراً من الله، لكنه لا يُحسب في ذات مستوى الفضيلة التي تفوح منها رائحةٌ ذكيةٌ، ولا يعتبر ذبيحةً روحيةً؛ لأن الله يعطي كرامةً أعظم للبساطة. والكتاب المقدس كثير الإعجاب بيعقوب حيث يقول: ''وَيَعْقُوبُ إِنْسَاناً كَامِلاً (بسيطاً) يَسْكُنُ الْخِيَامَ'' (تك ٢٥: ٢٧). إذن، فهو يستثني مكر (ذكاء) البسطاء. أيضاً قال المخلص للرسل القديسين نفس الأمر: ''كُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ



كَالْحَمَامِ" (مت ١٠: ١٦). إذن، فالله يكرم البساطة كأعظم الصالحات، أمَّا المكر والدهاء فيتناسبان مع إنجاز الرسالة، وقد استخدمهما بولس الطوباوي حتى يتجنب الموت الذي حَكَمَ به عليه أعدائه؛ لأن أوانه لم يكن قد حلَّ بعد. إذن، فاستخدام الدهاء في الأعمال التي ننجزها من أجل الله، يمكن أن يكون مقبولاً، لكنه -إذا فُحِصَ من جهة طبيعته- لا يعتبر أبداً بمثابة رائحةٍ ذكيةٍ للفضيلة.

هكذا العسلُ أيضاً. فلو أخذناه كمثالٍ للذة الجسدية، نجد أنه يشير إلى الحياة العالمية الخاضعة للذات الجسدية. في حين أن الزواجَ مكرَّمٌ بالتأكيد؛ لأنه يخدم التناسل، ومن يطبِّقه وفق الروح بحسب المسيح، لا يُعدُّ مذنباً، لكنه لا يسهم في نمو الفضيلة، ولا يوضع في نفس الخط مع مفاخر الفضيلة. هكذا يكتب بولس الطوباوي في رسالته للمتزوجين قائلاً: "لاَ يَسْلِبْ أَحَدُكُمُ الآخَرَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى مُوافَقَةٍ إِلَى حِينٍ لِكَيْ تَتَفَرَّغُوا لِلصَّوْمِ وَ الصَّلاَةِ ثُمَّ تَجْتَمِعُوا أَيْضاً مَعاً لِكَيْ لاَ يُجَرِّبَكُمُ الشَّيْطَانُ لِسَبَبِ عَدَمِ نَزَاهَتِكُمْ. وَلَكِنْ أَقُولُ هَذَا عَلَى سَبِيلِ الإِذْنِ لاَ عَلَى سَبِيلِ الأَمْرِ" (١ كو ٧: ٥ - ٦). أرأيت أذن كيف يتخلى عن العلاقة الجسدية عند المتزوجين بسهولة؟ إذن كيف يكون فضيلةً ما يسهُل التنازل عنه؟ وللعذراء يقول: "وَلَكِنَّهَا أَكْثَرُ غِبْطَةً إِنْ لَبِثَتْ هَكَذَا" (١ كو ٧: ٤٠)، أي تلبث غير متزوجة. إذنً، فهو لم يرفض العسل، طالما أن الزواج مقبولٌ، لكنه ليس لرائحة سرور، مثل الفضيلة وأشكالها المتنوعة.

كذلك يجب أن تُملَّح الذبائح المقدسة بملحٍ. بمعني أنه يجب علينا -بحسب رأيي- أن تُذبح بحكمةٍ وتعقل، وأن نكونَ على درجة كافية منهما لأجل الصلاح. لأن هذا الذي لا نعمة له ولا مذاق (طعم) لا يتناسب أبداً مع مَن يريدون أن يكونوا أتقياء. لأجل هذا قال المخلِّص لتلاميذه القديسين: "أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ" (مت ٥: ١٣). ويكتب بولس في رسائله: "لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ كُلَّ حِينٍ بِنِعْمَةٍ، مُصْلَحاً بِمِلْحٍ، لِتَعْلَمُوا كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تُجَاوِبُوا كُلَّ وَاحِدٍ" (كو ٤: ٦).

بلاديوس: استنتاجنا إذن، أنَّ الملح يشير إلى التعقل والنعمة.

شريعة ذبيحة الخطية ورمزيتها

كيرلس: هكذا بالضبط. لكن، بما أننا قسَّمنا جيداً -على ما أعتقد- طرق تقديم الذبيحة، علينا أيضاً أن نبيِّن -من الكتاب المقدس ذاته- كيف يمكن للمرضى بمرض الخطية أن يتجنبوه، وكيف لهم أن يواجهوا الأضرار الناتجة عن أخطائهم. حسناً، مكتوب في سفر اللاويين: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: إِذَا أَخْطَأَتْ نَفْسٌ سَهْواً فِي شَيْءٍ مِنْ جَمِيعِ مَنَاهِي الرَّبِّ الَّتِي لاَ يَنْبَغِي عَمَلُهَا، وَعَمِلَتْ وَاحِدَةً مِنْهَا: إِنْ كَانَ الْكَاهِنُ الْمَمْسُوحُ يُخْطِئُ لإِثْمِ الشَّعْبِ، يُقَرِّبُ عَنْ خَطِيَّتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ ثَوْراً ابْنَ بَقَرٍ صَحِيحاً لِلرَّبِّ، ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ. يُقَدِّمُ الثَّوْرَ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ أَمَامَ الرَّبِّ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الثَّوْرِ، وَيَذْبَحُ الثَّوْرَ أَمَامَ الرَّبِّ. وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ الْمَمْسُوحُ مِنْ دَمِ الثَّوْرِ وَيَدْخُلُ بِهِ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، وَيَغْمِسُ الْكَاهِنُ إِصْبَعَهُ فِي الدَّمِ وَيَنْضِحُ مِنَ الدَّمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَمَامَ الرَّبِّ لَدَى حِجَابِ الْقُدْسِ. وَيَجْعَلُ الْكَاهِنُ مِنَ الدَّمِ عَلَى قُرُونِ مَذْبَحِ الْبَخُورِ الْعَطِرِ الَّذِي فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ أَمَامَ الرَّبِّ، وَسَائِرُ دَمِ الثَّوْرِ يَصُبُّهُ إِلَى أَسْفَلِ مَذْبَحِ الْمُحْرَقَةِ الَّذِي لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. وَجَمِيعُ شَحْمِ ثَوْرِ الْخَطِيَّةِ يَنْزِعُهُ عَنْهُ. الشَّحْمَ الَّذِي يُغَشِّي الأَحْشَاءَ، وَسَائِرَ الشَّحْمِ الَّذِي عَلَى الأَحْشَاءِ، وَالْكُلْيَتَيْنِ وَالشَّحْمَ الَّذِي عَلَيْهِمَا الَّذِي عَلَى الْخَاصِرَتَيْنِ، وَزِيَادَةَ الْكَبِدِ مَعَ الْكُلْيَتَيْنِ يَنْزِعُهَا، كَمَا تُنْزَعُ مِنْ ثَوْرِ ذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ. وَيُوقِدُهُنَّ الْكَاهِنُ عَلَى مَذْبَحِ الْمُحْرَقَةِ. وَأَمَّا جِلْدُ الثَّوْرِ وَكُلُّ لَحْمِهِ مَعَ رَأْسِهِ وَأَكَارِعِهِ وَأَحْشَائِهِ وَفَرْثِهِ، فَيُخْرِجُ سَائِرَ الثَّوْرِ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ إِلَى مَكَانٍ طَاهِرٍ، إِلَى مَرْمَى الرَّمَادِ، وَيُحْرِقُهَا عَلَى حَطَبٍ بِالنَّارِ. عَلَى مَرْمَى الرَّمَادِ تُحْرَقُ" (لا ٤: ١ - ١٢).

وعن خطية الجماعة -بما فيها الرئيس- يقول: "وَإِنْ سَهَا كُلُّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ وَأُخْفِيَ أَمْرٌ عَنْ أَعْيُنِ الْمَجْمَعِ وَعَمِلُوا وَاحِدَةً مِنْ جَمِيعِ مَنَاهِي الرَّبِّ الَّتِي لاَ يَنْبَغِي عَمَلُهَا وَأَثِمُوا. ثُمَّ عُرِفَتِ الْخَطِيَّةُ الَّتِي أَخْطَأُوا بِهَا يُقَرِّبُ الْمَجْمَعُ ثَوْراً ابْنَ بَقَرٍ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ. يَأْتُونَ بِهِ إِلَى قُدَّامِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ" (لا ٤: ١٣ - ١٤).

ومن ثمَّ يضيف الوصية الخاصة بالرئيس الذي أخذ علي عاتقة تهيئة الشعب تحت سيادته، إذا انحرف عن فعل ما هو لائق، فعليه بكل وضوح أن يقدم ذبيحةً بنفس الطريقة التي قُدمت بها الذبيحة الأولي. (انظر لا ٤: ٢٢ -٢٣).

بلاديوس: ما هو أيضاً مفهوم هذه الأقوال؟



كيرلس: واضح يا بلاديوس، وليس صعباً على ذوي العقول المستقيمة أنْ يدركوا أنَّ طهارة كهنة الشعب، الصغير والكبير، الكل معاً لا تصير إلَّا باسم المسيح، حتى لو قُبِضَ علينا متلبسين بارتكاب خطأٍ عن جهلٍ بالناموس الإلهي، أو كُنّا قد أُجبرنا –دون إرادةٍ منّا– على فعل ما لم يصدِّق عليه إله الكل؛ لأجل هذا قال داود العظيم: ''لاَ تَذْكُرْ خَطَايَا صِبَايَ وَلاَ مَعَاصِيَّ'' (مز ٢٥: ٧). ولأنه صالحٌ بحسب طبيعته، رحومٌ ورءوف، ويعرف جيداً ضعف طبيعتنا، يحاجه أيوب الطوباوي بخصوص تأخُّرِه وتأجيله لغفرانِ بعض الخطايا، فيقول: ''لِمَاذَا لاَ تغْفِرُ ذَنْبِي وَلاَ تُزِيلُ إِثْمِي'' (أي ٧: ٢١). لهذا نادى الناموس أنه فقط بالمسيح، وبالإيمان به، يخلص المقبوض عليهم بين يدي الخطية؛ لأن هذا (أي المسيح) مثل ثورٍ ذُبِحَ بالقرب من الخيمة المقدسة والإلهية؛ لكي يُسهِّل دخولنا إليها، لأن هذا هو الذي يرفع خطيتنا بحسب قول النبي[1]، وهو ما يعلنه وضع اليد فوق الثور. هذا الذي دخل بدمه قدس الأقداس، وحقق لأجلنا الفداء المقدس، وبتقدمةٍ واحدةٍ أكمل للأبد هؤلاء الذين تقدَّسوا وفق قول بولس الطوباوي (أنظر عب ٩: ١١ وما بعده)، هذا الذي برشٍّ دم نفسه قدَّس الكنيسة بغنىً؛ لأنه يقول: ''وَيَغْمِسُ الْكَاهِنُ إِصْبِعَهُ فِي الدَّمِ وَيَنْضِحُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَمَامَ الرَّبِّ لَدَى الْحِجَابِ'' (لا ٤: ١٧). لأنه يقول: ''بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ: أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ، وَكَنِيسَةِ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى اللهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ، وَإِلَى وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ: يَسُوعَ، وَإِلَى دَمِ رَشٍّ يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلَ'' (عب ١٢: ٢٢ – ٢٤). بمعني أن دم هابيل صرخ إلى الله دائناً القاتل، بينما دم مخلِّص الجميع الكريم، مسيحنا، صرخ لأجلنا إلى الله طالباً كل ما هو حَسن؛ لأنه سُكب عِوضاً عن حياتنا كلنا.

وإذا كان دمُ الثور قد سُكب علي قاعدة المذبح، فهذا لأن موت المسيح هو حقاً مقدَّسٌ وقدوس. وقد وُضِعَ أيضاً علي المذبح الشحم الذي يُغشِّي الأحشاء والكُليتين وزيادة الكبد مع الكُليتين؛ لأن هذا كله مملوءٌ برائحة المسيح الذكية، الأعضاء الخارجية والأعضاء الخفية، إذ كان الكلمةُ قدوساً

١- ''لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ'' (أش ٥٣: ١٢).

ولا شيء غير طاهرٍ يوجد فيه.

أمَّا الجلد وكل البواقي، فتُحرق خارج المحلة، وهو ما يعني أنه حتى مكان الألم لم يحرِّمه الناموس علينا؛ لأجل هذا قال لنا بولس العظيم "فَلْنَخْرُجْ إِذاً إِلَيْهِ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ حَامِلِينَ عَارَهُ" (عب ١٣: ١٣)، أي صليبه لأجلنا؛ لأنه تألَّم بسببنا. والمخلِّص نفسه يقول: "وَمَنْ لاَ يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي" (مت ١٠: ٣٨). وعبارة "خارج المحلة" تعني عند بولس "خارج العالم"؛ لأننا نريد أن نُعلِن أن المسيح أخرجنا من حياة العالم. وهو ما سوف يؤكِّده بولس أيضاً، إذ يقول عن المسيح: "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ" (غلا ٦: ١٤). أي بينما يعيش القديسون على الأرض، يحرصون علي أن يحيوا لا كالأرضيين، بل بالحري كأنهم مواطنون سماويون (أنظر فليبي ٣: ٢٠). وإذا كان تطهير الدنسين يتم بالرماد مع الماء؛ فهذا لأن آلام المسيح قد أزالت الخطية، فالمسيح هو الذي يقدِّسنا بالماء، وهو الذي به نحصل، ليس علي إزالة الوسخ الجسدي، كما يقول الكتاب (أنظر ١بط ٣: ٢١)، بل على التطهير من أدناس النفس؛ لأن القول النبوي يعلن لنا أيضاً منذ القديم: "اِغْتَسِلُوا. تنَقُّوا" (أش ١: ١٦).

بلاديوس: إذن بالثور –كصورةٍ ومثالٍ– يُصوِّر لنا الناموس موت المسيح، الذي صار بسببنا ولأجلنا.

الفرق بين قربان الرئيس و قربان أحد المرؤسين

كيرلس: لقد فهمت الأمر جيداً. لكنك بالإضافة إلى هذا، سوف تندهش إذا ما صوَّبت بصرك ناحية ذاك.

بلاديوس: إلى مَنْ؟

كيرلس: يقول الناموس لو أخطأ الرئيس مع المرءوسين، أي الجمع الذي يُوجد تحت سلطانة، فالذبيحة تكون ثوراً. لكن لو سقط الرئيس في خطايا شخصية، عندئذ، يقول: يقدِّم تيساً ذكراً من الماعز. لو كانت الذبيحة لأجل الشعب فليست هناك حاجة إلى ذكَرٍ، فلتكن الذبيحة أنثي. دعني أقرأ لك –إذا

أردت– النواميس الخاصة بذلك؛ لأنه يقول الآتي: ''إِذَا أَخْطَأَ رَئِيسٌ وَعَمِلَ بِسَهْوٍ وَاحِدَةً مِنْ جَمِيعِ مَنَاهِي الرَّبِّ إِلَهِهِ الَّتِي لاَ يَنْبَغِي عَمَلُهَا وَأَثِمَ. ثُمَّ أُعْلِمَ بِخَطِيَّتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ بِهَا يَأْتِي بِقُرْبَانِهِ تيساً مِنَ الْمَعْزِ ذَكَراً صَحِيحاً. وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ وَيَذْبَحُهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَذْبَحُ فِيهِ الْمُحْرَقَةَ أَمَامَ الرَّبِّ. إِنَّهُ ذَبِيحَةُ خَطِيَّةٍ. وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مِنْ دَمِ ذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ بِإِصْبَعِهِ وَيَجْعَلُ عَلَى قُرُونِ مَذْبَحِ الْمُحْرَقَةِ ثُمَّ يَصُبُّ دَمَهُ إِلَى أَسْفَلِ مَذْبَحِ الْمُحْرَقَةِ. وَجَمِيعَ شَحْمِهِ يُوقِدُهُ عَلَى الْمَذْبَحِ كَشَحْمِ ذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ وَيُكَفِّرُ الْكَاهِنُ عَنْهُ مِنْ خَطِيَّتِهِ فَيُصْفَحُ عَنْهُ'' (لا ٤: ٢٢ – ٢٦). وبالإضافة إلى هذا يقول الآتي: ''وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ مِنْ عَامَّةِ الأَرْضِ سَهْواً، بِعَمَلِهِ وَاحِدَةً مِنْ مَنَاهِي الرَّبِّ الَّتِي لاَ يَنْبَغِي عَمَلُهَا، وَأَثِمَ، ثُمَّ أُعْلِمَ بِخَطِيَّتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ بِهَا، يَأْتِي بِقُرْبَانِهِ عَنْزاً مِنَ الْمَعْزِ أُنْثَى صَحِيحَةً عَنْ خَطِيَّتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ '' (لا ٤: ٢٧ – ٢٨).

وذكر أيضاً طريقة تقديم الذبيحة، وكيف تصير، قائلاً: ''وَإِنْ أَتَى بِقُرْبَانِهِ مِنَ الضَّأْنِ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ يَأْتِي بِهَا أُنْثَى صَحِيحَةً'' (لا ٤: ٣٢). هل أدركت، يا بلاديوس كيف يُصوَّر عمق السر، عند الأقدمين كأنه مرآةٌ وظلال؟ لأن تقدمة الذبائح تتماثل مع حجم الخطايا، ثوراً للرئيس والشعب، عندما يتثقلون بخطية مشتركة. تيساً واحداً لأجل إنسان واحد؛ لأن المسيح قدَّم ذاته في نفس الوقت للجميع، مثل الثور الذي يُعتبر صورةً له، وهو ثقيلٌ وذبيحةٌ عظيمة، لأنه يقول: ''حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدّاً'' (رو ٥: ٢٠).

إذن، كمثل تيسٍ من الماعز، وكمثل حملٍ قُدِّمَ، خاصةً لكل واحدٍ؛ لأنه يقول صار شبيهاً بكل الذين استولت عليهم الخطية ولأنه حُسِبَ من بين الأثمة، بحسب الكتاب المقدس. فالجدي (ذَكَر الماعز) هو مثالٌ للأثيم؛ لأنه عقيمٌ وبلا ثمر. هكذا وضع المسيحُ علي يمينه الخراف وعلي يساره الجِّداء الذين هم فاعلي الإثم. إضافةً إلى ذلك يمكن للمرء –عن طريق الثور أيضاً– أن يتحقق من كم هو ممجدٌ وفائق. وأمَّا كونه أيضاً صار مثلنا وأُحصي مع الأثمة، فهذا ما تدركه من ذَكَر الماعز (الجدي). لكنه يُذبح مثل الحَمَل بسبب هدوءه الطبيعي وعظمته في وداعة ذبيحته؛ لأنه يقول: ''كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ'' (أش ٥٣: ٧).

إذن، لو كان مَن ارتكب الخطيةَ رئيسٌ، تكون الذبيحةُ تيساً ذكراً من الماعز. أمَّا لو كان واحداً من الشعب تكون الذبيحةُ أنثى، سيَّان أن تكون



من الماعز أو من الخراف، وهكذا يعلن الناموس -بواسطة تنوُّع الذبائح- حكمة تدبير مخلصنا؛ لأن الذَّكَر دائماً ما تكون له الرئاسة والكرامة الأولى، بينما الأنثى تتبعه وتأتي في المرتبة الثانية. إذن، فبحسب ذنوب كل واحدٍ، يصير التطهير -بواسطة المسيح- للرؤساء، وللخاضعين لهم، ولكل واحد بمفرده، وللجميع معاً. لأن الرئيس والشعب لا يقتسمان فيما بينهما نفس الذنب عندما يقعان في الخطية، فذنبُ الرؤساءِ أعظم. لأجل هذا أيضاً يصير التطهير بنعمة بأكثر غنى.

بلاديوس: أدركت هذا الذي تريده، الذَّكرُ هو الأقوى من بين الاثنين.

كيرلس: يمكنك أيضاً أن تتحقق من الاختلاف من جهة المجد، في المسيح؛ فهو -بحسب الاعتراف العام- رئيسٌ وقائدٌ للجميع، كإلهٍ وربٍّ. لكنه صار أيضاً الثاني في الترتيب، لأنه صار إنساناً، وخضع للناموس.

بلاديوس: فكرك مقنع.

شريعة شهاد الزور والاستهانة بالقسم

كيرلس: هناك أيضاً نوعٌ أخر من النجاسة أضافه الناموس، وفي المقابل أعلن أن قداسة كل واحدٍ، إنما تكتمل بالمسيح. فقد قال الآتي: "وَإِذَا أَخْطَأَ أَحَدٌ وَسَمِعَ صَوْتَ حَلْفٍ وَهُوَ شَاهِدٌ يُبْصِرُ أَوْ يَعْرِفُ، فَإِنْ لَمْ يُخْبِرْ بِهِ حَمَلَ ذَنْبَهُ. أَوْ إِذَا مَسَّ أَحَدٌ شَيْئاً نَجِساً: جُثَّةَ وَحْشٍ نَجِسٍ، أَوْ جُثَّةَ بَهِيمَةٍ نَجِسَةٍ، أَوْ جُثَّةَ دَبِيبٍ نَجِسٍ، وَأُخْفِيَ عَنْهُ، فَهُوَ نَجِسٌ وَمُذْنِبٌ. أَوْ إِذَا مَسَّ نَجَاسَةَ إِنْسَانٍ مِنْ جَمِيعِ نَجَاسَاتِهِ الَّتِي يَتَنَجَّسُ بِهَا، وَأُخْفِيَ عَنْهُ ثُمَّ عُلِمَ، فَهُوَ مُذْنِبٌ. أَوْ إِذَا حَلَفَ أَحَدٌ مُفْتَرِطاً بِشَفَتَيْهِ لِلإِسَاءَةِ أَوْ لِلإِحْسَانِ مِنْ جَمِيعِ مَا يَفْتَرِطُ بِهِ الإِنْسَانُ فِي الْيَمِينِ، وَأُخْفِيَ عَنْهُ، ثُمَّ عُلِمَ، فَهُوَ مُذْنِبٌ فِي شَيْءٍ مِنْ ذلِكَ. فَإِنْ كَانَ يُذْنِبُ فِي شَيْءٍ مِنْ هذِهِ، يُقِرُّ بِمَا قَدْ أَخْطَأَ بِهِ. وَيَأْتِي إِلَى الرَّبِّ بِذَبِيحَةٍ لإِثْمِهِ عَنْ خَطِيَّتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ بِهَا: أُنْثَى مِنَ الأَغْنَامِ نَعْجَةً أَوْ عَنْزاً مِنَ الْمَعْزِ، ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ، فَيُكَفِّرُ عَنْهُ الْكَاهِنُ مِنْ خَطِيَّتِهِ" (لا ٥: ١ – ٦).

لاحظ إذن، إن مَن يُستدعى للقَسَم، ولم يعطِ أهميةً للأمر، يستوي مع مَن كان مذنباً في أدناس أخري، كلاهما مُدان، إذ يرتكبون أخطاء متعادلة ومتشابهة. فإذا كانت النجاسة تؤدي إلى ارتكاب أفظع الشرور، أي

احتقار الله، وكان هذا الخطأ معادلاً لنفس خطأ الأدناس الجسدية، ألا ينبغي أن نضع تحت نفس الحكم شهادة الزور والاستهانة بالقَسَم؟

بلاديوس: طبعاً؛ لأن المخالفات في أيهما دائماً متعادلة في القوة.

كيرلس: يترتب على هذا أن يعترف بما أخطأ فيه، ويتقدم بذبيحة حملٍ صغير، أي من الخِراف. لأنه يقول: "ذكِّرني فنتحاكم معاً. حَدِّث لكي تتبرر" (أش ٤٣: ٢٦). وأيضاً داود النبي يصرخ قائلاً: "أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلاَ أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي" (مز ٣٢: ٥). لكن لا يكفي للتطهير الكامل؛ لأن موت المسيح يحررنا تماماً، المسيح الذي تألم لأجلنا ورَفَعَ حِملَ كل خطايانا، آخذاً شكل الحيوانات الأليفة، أقصد شكل الثور، وطبعاً الخروف والماعز.

لكن، ولكي لا تكون هناك حُجة (عُذر) بالنسبة لعدم قدرة كل الذين تدنَّسوا وتنجَّسوا على تقديم الذبيحة، في حالة ما إذا لم يكن لدى أحدٍ منهم ثورٌ أو خروف، فقد حثَّهم على أن يقدموا تقدماتهم من كل ما تملكه أيديهم، وبحسب استطاعتهم، قائلاً: "وَإِنْ لَمْ تَنَلْ يَدُهُ كِفَايَةً لِشَاةٍ، فَيَأْتِي بِذَبِيحَةٍ لإِثْمِهِ الَّذِي أَخْطَأَ بِهِ: يَمَامَتَيْنِ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ إِلَى الرَّبِّ، أَحَدُهُمَا ذَبِيحَةُ خَطِيَّةٍ وَالآخَرُ مُحْرَقَةٌ. يَأْتِي بِهِمَا إِلَى الْكَاهِنِ، فَيُقَرِّبُ الَّذِي لِلْخَطِيَّةِ أَوَّلاً. يَحُزُّ رَأْسَهُ مِنْ قَفَاهُ وَلاَ يَفْصِلُهُ. وَيَنْضِحُ مِنْ دَمِ ذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ عَلَى حَائِطِ الْمَذْبَحِ، وَالْبَاقِي مِنَ الدَّمِ يُعْصَرُ إِلَى أَسْفَلِ الْمَذْبَحِ. إِنَّهُ ذَبِيحَةُ خَطِيَّةٍ. وَأَمَّا الثَّانِي فَيَعْمَلُهُ مُحْرَقَةً كَالْعَادَةِ، فَيُكَفِّرُ عَنْهُ الْكَاهِنُ مِنْ خَطِيَّتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ، فَيُصْفَحُ عَنْهُ" (لا ٥: ٧ – ١٠).

فاليمامة والحمامة، تشير كلتاهما إلى ربنا يسوع المسيح؛ لأن واحدتهما تتميز بصوتٌ قوي بالمقارنة بينها وبين بقية الطيور ولا تكف أبداً عن الشدو، بينما الأخرى وديعة الطبع إلى أقصي درجة. وهاتان الصفتان موجودتان في المسيح؛ لأنه فتَن كل المسكونة بتعاليم الأناجيل. فهو اليمامةُ التي أتت من فوق، ومن السماء أعلن صوته العذب الحلو عاملاً مشيئة الله الآب (أنظر يو ٦: ٣٨ وما بعده)، مثلما يقول يوحنا العظيم: "لأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ يَتَكَلَّمُ بِكلاَمِ اللَّهِ" (يو ٣: ٣٤). كما دعانا لكي نتشبَّه بوداعته وهدوءه، قائلاً: "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (مت ١١: ٢٨).



يقول، يأخذ الكاهنُ اليمامةَ ويحُزُّ رأسها بالظِّلف؛ لأن الطيور الصغيرة هكذا تُذبح. لكن من الواضح أنه لن يفصل الرأس تماماً؛ لأن موت المسيح لم يَصِر للانقسام، بل للوحدة. لأجل هذا أيضاً في البداية، شُرِّعت نواميسٌ للبصخة، وأمر أن يُقدَّم الحمل، إلَّا أنه يقول: "فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ يُؤْكَلُ. لاَ تُخْرِجْ مِنَ اللَّحْمِ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى خَارِجٍ وَعَظْماً لاَ تَكْسِرُوا مِنْهُ" (خر١٢: ٤٦). هكذا -بالتأكيد أيضاً- المسيح لا يُقسَّم أبداً، بل هو بالكامل، واحدٌ لكل واحدٍ علي حدة، وللجميع، وهو سلامُنا ويجمعنا في نفسٍ واحدة متَّحدة بواسطة الروح، ومن خلال هذه الوحدة نتَّحد بالله. وكون أن موت المسيح لم يَصِر لأجلنا سبباً للانقسام بل للوحدة، فهذا هو ما تعلنه مباشرةً ذبيحة الطير ووصية ألَّا تنفصل رأسه عن عنقه. وكون أن المسيح أيضاً يُقدِّس الكنيسة بدمه، فهو ما يعلنه رشُّ الخيمة وكل ما تحتوي عليه بدم الطير.

تُقدَّمُ إذن ذبيحةٌ واحدةٌ من أجل الخطايا، وذبيحةٌ أخري أيضاً للمحرقة، وبالاثنين يُدرَكُ المسيح، الذي مات لأجلنا وقُدِّم كرائحة سرور كمحرقة إلى الآب (أنظر أف ٥: ٢)، مُقدِّماً ذاته عِوضاً عن حياة الجميع بالتأكيد.

بلاديوس: كلامك صحيح تماماً.

كيرلس: ويلاحظ أن الناموس قد بسَّطَ طريقة تقديم الذبيحة لكي يكون التقديم سهلاً جداً. فقد أمر أن تكون التقدمات وفقاً لقدرة كل واحدٍ مقللاً -من كل جهةٍ- الجهد المبذول في الإعداد، منحِّياً الحُجج والأعذار التي يتذرع بها الكسالى، حيث يكتب أيضاً الآتي: "وَإِنْ لَمْ تَنَلْ يَدُهُ يَمَامَتَيْنِ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ فَيَأْتِي بِقُرْبَانِهِ عَمَّا أَخْطَأَ بِهِ عُشْرَ الإِيفَةِ مِنْ دَقِيقٍ، قُرْبَانَ خَطِيَّةٍ. لاَ يَضَعُ عَلَيْهِ زَيْتاً، وَلاَ يَجْعَلُ عَلَيْهِ لُبَاناً لأَنَّهُ قُرْبَانُ خَطِيَّةٍ. يَأْتِي بِهِ إِلَى الْكَاهِنِ فَيَقْبِضُ الْكَاهِنُ مِنْهُ مِلْءَ قَبْضَتِهِ تَذْكَارَهُ، وَيُوقِدُهُ عَلَى الْمَذْبَحِ عَلَى وَقَائِدِ الرَّبِّ. إِنَّهُ قُرْبَانُ خَطِيَّةٍ. فَيُكَفِّرُ عَنْهُ الْكَاهِنُ مِنْ خَطِيَّتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ بِهَا فِي وَاحِدَةٍ مِنْ ذلِكَ، فَيُصْفَحُ عَنْهُ. وَيَكُونُ لِلْكَاهِنِ كَالتَّقْدِمَةِ" (لا ٥: ١١ - ١٣).

ليس في هذه الأقوال ما يمكن أن يشير إلى المسيح، ولكن طريقة تقديم الذبيحة، تُشير إلى حياة ذاك الذي يقدِّم الذبيحة، كما تشير إلى أن

الاقتراب من الله والتكرس له يكون بواسطة المسيح. فيقدِّم الدقيق، وهو مادة الخبز الأولى، مع ملاحظة أن الخبز يعتبر مثالاً للحياة، لكن لا يُخلط دقيق التقدمة باللبان؛ لأن اللبان يشير إلى الرائحة الذكية، ولا يوضع علية زيتاً؛ لأن الزيت يشير إلى البهجة، معلناً بذلك أنه يُقدِّم من أجل الخطية. فلا أحد يمكنه أن يشكك في أنَّ الخطيةَ شيءٌ كئيبٌ، ولا رائحة ذكيةً لها حقاً. لكن مَنْ كان رجاؤه في الله، يغتني بابتهاج الفضيلة، وبكمْ الروائح الذكية الكثيرة، أقصد الروائح الذهنية طبعاً. إذن، فالدقيق غير المخلوط باللبان والزيت يعتبر مثالاً على الحياة الخالية من الابتهاج، والتي يغيب عنها أيضاً الرائحة الطيبة. لكن بواسطة المسيح، تعود هذه الحياة إلى البهجة والسرور، كما تقبل أيضاً رائحةً ذكيةً بالإيمان، وبالتالي تُقدَّم إلى الله بواسطة هذا الذي يطهِّر الدنسين، ويغسل –ذهنياً– هؤلاء الذين سقطوا في النجاسة. لأنه يقول: "فَيَقْبِضُ الْكَاهِنُ مِنْهُ مِلْءَ قَبْضَتِهِ تَذْكَارَهُ، وَيُوقِدُهُ عَلَى الْمَذْبَحِ عَلَى وَقَائِدِ الرَّبِّ" (لا ٥: ١٢). ذلك؛ لأن دخولنا إلى الله يصير بالمسيح، وبواسطته يقترب الدنسون إليه. فقد خلُصنا بالإيمان، ونقدَّم كرائحة سرور إلى الآب (أنظر أف ٥: ٢)، ليس من ذواتنا، بل المسيح الذي في داخلنا، الذي هو رائحتنا الروحية.

بلاديوس: حديثُك صحيحٌ تماماً.

شريعة خيانة العهد والسهو

كيرلس: بالإضافة إلى هذا، لو حدث أنْ خان البعضُ الله، وحجب شيئاً من الأقداس، سواء أنكروا شيئاً سبق أن وَعَدوا به ولم يقدِّموه فوراً، أو أُدينوا بالخمول والنسيان، فقد وضع الناموس أيضاً قواعدَ لذلك، لأنه مكتوب: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «إِذَا خَانَ أَحَدٌ خِيَانَةً وَأَخْطَأَ سَهْواً فِي أَقْدَاسِ الرَّبِّ، يَأْتِي إِلَى الرَّبِّ بِذَبِيحَةٍ لإِثْمِهِ: كَبْشاً صَحِيحاً مِنَ الْغَنَمِ بِتَقْوِيمِكَ مِنْ شَوَاقِلِ فِضَّةٍ عَلَى شَاقِلِ الْقُدْسِ، ذَبِيحَةَ إِثْمٍ. وَيُعَوِّضُ عَمَّا أَخْطَأَ بِهِ مِنَ الْقُدْسِ، وَيَزِيدُ عَلَيْهِ خُمْسَهُ، وَيَدْفَعُهُ إِلَى الْكَاهِنِ، فَيُكَفِّرُ الْكَاهِنُ عَنْهُ بِكَبْشِ الإِثْمِ، فَيُصْفَحُ عَنْهُ. (لا ٥: ١٤ – ١٦). لأنه مخيفٌ جداً –في الحقيقة– أن يُسلب شيءٌ ما من كل ما قُدِّس وكُرِّس

لمجد الله. لذلك ينال جزاءً مساوياً، ولن تكون الإدانة صغيرة إن لم يتحقق كل ما وعد به. لأنه يقول: ''إِذَا نَذَرْتَ نَذْراً لِلَّهِ فَلاَ تَتَأَخَّرْ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ ... أَنْ لاَ تَنْذُرَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْذُرَ وَلاَ تَفِيَ'' (جا ٥: ٤ – ٥). وداود العظيم يرنم قائلاً: ''اُنْذُرُوا وَأَوْفُوا لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ يَا جَمِيعَ الَّذِينَ حَوْلَهُ'' (مز ٧٦: ١١). وأولاد عالي نالوا عقاباً إذ سرقوا أشياءً مقدسة وسلبوا أشياءً إلهية (أنظر ١ صم ٢: ١٢). كيف يتم غفران هذا العمل؟ أو كيف يحل المرء رِجله من هذا الجزاء ويتخلص منه؟

يمكنه ذلك إذا وضع أكثر مما نذَر. لأنه يقول سوف يزيد علي ما أخذه من القدُس خُمسَه ويعطيه للكاهن، ثم يقدم ذبيحةً كبشاً كان قد اشتراه. والأمر هنا يشير إلى المسيح حيث اشتراه رؤساء اليهود بثلاثين من الفضة، دفعوها للتلميذ الخائن.

غفران الله إذن عن هذه الخطايا، يصير بيسوع المسيح.

لكن كون أنه هو نفسه سوف يخلصهم أيضاً لأجل مظالمهم للبشر، فمن السهل أن نراه ونحن نقرأ ما قاله الناموس بعد ذالك: ''وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «إِذَا أَخْطَأَ أَحَدٌ وَخَانَ خِيَانَةً بِالرَّبِّ، وَجَحَدَ صَاحِبَهُ وَدِيعَةً أَوْ أَمَانَةً أَوْ مَسْلُوباً، أَوِ اغْتَصَبَ مِنْ صَاحِبِهِ، أَوْ وَجَدَ لُقَطَةً وَجَحَدَهَا، وَحَلَفَ كَاذِباً عَلَى شَيْءٍ مِنْ كُلِّ مَا يَفْعَلُهُ الإِنْسَانُ مُخْطِئاً بِهِ، فَإِذَا أَخْطَأَ وَأَذْنَبَ، يَرُدُّ الْمَسْلُوبَ الَّذِي سَلَبَهُ، أَوِ الْمُغْتَصَبَ الَّذِي اغْتَصَبَهُ، أَوِ الْوَدِيعَةَ الَّتِي أُودِعَتْ عِنْدَهُ، أَوِ اللُّقَطَةَ الَّتِي وَجَدَهَا، أَوْ كُلَّ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ كَاذِباً. يُعَوِّضُهُ بِرَأْسِهِ، وَيَزِيدُ عَلَيْهِ خُمْسَهُ. إِلَى الَّذِي هُوَ لَهُ يَدْفَعُهُ يَوْمَ ذَبِيحَةِ إِثْمِهِ. وَيَأْتِي إِلَى الرَّبِّ بِذَبِيحَةٍ لإِثْمِهِ: كَبْشاً صَحِيحاً مِنَ الْغَنَمِ بِتَقْوِيمِكَ، ذَبِيحَةَ إِثْمٍ إِلَى الْكَاهِنِ. فَيُكَفِّرُ عَنْهُ الْكَاهِنُ أَمَامَ الرَّبِّ، فَيُصْفَحُ عَنْهُ فِي الشَّيْءِ مِنْ كُلِّ مَا فَعَلَهُ مُذْنِباً بِهِ»(لا ٦: ١ – ٧).

أرأيت، كيف يتم تطهير هذين الخطأين بنفس الطريقة؟ فسوف يدفع تعويضاً وتقدمة كبش.

لقد حدد الناموس –بطريقة صحيحة– كيف يمكن للمخالفين، وكذلك الذين ارتكبوا جرائم ضد أخوتهم وضد أناس من نفس جنسهم أن يتطهروا أمام الله. لكن الخلاص بالمسيح لا يتحقق جزئياً، بل اغتسالٌ تام من كل

تلك الأدناس التي دائماً ما تُسبب النجاسة. لذلك قال: ''اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ''. وكذلك: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ'' (يو ٦: ٤٧ – ٥: ٢٤).

ولذلك فمن المحتم علينا بشكل مطلق أن نقول لكل مَنْ أفلت من الدينونه بنواله الخلاص بالإيمان بواسطة المسيح، إنه لم يفلت فقط من المخالفات، ولكن أيضاً لا يجد أي اتهام أو دينونة طريقه إليه، أقصد ضد هذا الإنسان. لأن ''اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ!. مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟'' (رو ٨: ٣٣ – ٣٤). إذن لو أرضينا عملياً إخوتنا الذين أحزنَّاهم، فسوف نجد خلاصنا مهيئاً في المسيح. هكذا أيضاً زَكَّا العشَّار، عندما دُعي لعمل الرسول، أعطى وعداً، ليس فقط أن يتبع الذي دعاه، بل –بالإضافة إلى ذلك– أن يرد ثلاثة أضعاف عن كل ما أخذه ظلماً. إذن ينبغي على كل الذين يرغبون في سُكنى المسيح في نفوسهم بنعمة الروح، أن يغتسلوا قبلاً من الأدناس، وأن يتطهروا من مخالفتهم، وهكذا يظهرون أمام المسيح ونفوسهم بهية وبلا دنسٍ. هكذا بالضبط فعل داود العظيم، قائلاً: ''ثَابِتٌ قَلْبِي يَا اللهُ ثَابِتٌ قَلْبِي. أُغَنِّي وَأُرَنِّمُ'' (مز٥٧: ٧).

ومثلما تظل الصبغة تلوِّن الشعر طالما كان نظيفاً، وتزول بسهولة إذا ما علقت به الأوساخ، هكذا أيضاً الاتحاد بالمسيح، فهو يدخل ويقُيم في النفوس المقدسة والطاهرة، أمَّا في النفوس الدنسة فهو لا يمكن بأية طريقة أن يقيم فيها. لأنه، حسب المكتوب: ''فالحكمة لا تدخل نفساً ماكرة و لا تحل في جسد تستعبده الخطيئة'' (حكمة سليمان ١: ٤).

إذن، ففيما نحن نصلح هؤلاء الذين ظلمناهم، وننزع أحزان إخوتنا بإعلان محبتنا العملية لهم، يمكننا أن نُحرِّر أنفسنا من أية إدانة، وبالتالي نحصل علي الغفران بوساطة المسيح.

بلاديوس: حديثك صائبٌ تماماً.

كيرلس: هناك أراء أخرى متنوعة يمكن أن نضيفها علي ما قلناه إذا أردت، كذلك توجد جرائم أخرى تحدث نتيجة أدناس مختلفة يمكننا أن نستعرضها،

بالإضافة إلى التشريع الخاص بتطهير كل واحدة منها على حدة.

بلاديوس: نعم بالتأكيد أريد؛ لأن هذه المناقشة سوف تُفيدنا فائدة وفيرة.

شريعة الأبرص وذي السيل والمتنجس لميِّت

كيرلس: مكتوب في سفر العدد: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَنْفُوا مِنَ الْمَحَلَّةِ كُلَّ أَبْرَصَ، وَكُلَّ ذِي سَيْل، وَكُلَّ مُتَنَجِّسٍ لِمَيْتٍ. الذَّكَرَ وَالأُنْثَى تَنْفُونَ. إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ تَنْفُونَهُمْ لِكَيْلاَ يُنَجِّسُوا مَحَلاَّتِهِمْ حَيْثُ أَنَا سَاكِنٌ فِي وَسَطِهِم" (عدد ٥: ١ – ٣).

علينا أولاً أن نلاحظ أن الناموس لا يتناول كل ما يحدث عن ضرورة وبدون إرادتنا. هو فقط يوبِّخنا من أجل هذه الأمور التي أشار إليها، وهو أمرٌ حسن. لكن إذا كان الأمر كذلك، فما هو السبب الذي من أجله يُعاقب الضعف الجسدي، وكيف يكون ملوماً –عن حق من جانب الناموس– مَنْ سقط في أمراض جسدية؟ لا شك أنه ينبغي علينا أن نأخذ الأمراض الجسدية باعتبارها صورةً ومثالاً للأمراض النفسية. عندئذٍ يمكننا أن نفهم الناموس فهماً روحياً، وبالتالي يكون قراراً مقدساً ما قرره الله بشأن كل واحد، فهو هنا لا يقدم الذين عانوا من أمراض بغير اختيارهم إلى المحاكم، لكن فقط هؤلاء الذين عِلَّة مخالفتهم ملومة عن حق.

بلاديوس: أنت تتحدث بشكل رائع جداً.

كيرلس: حسناً. لقد أمر أن يبتعد الأبرص عن مكان الخيمة وأن يُفحص بتدقيق. كما أمر بأن يُوضع المرض تحت الفحص، قائلاً الآتي: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلاً: «إِذَا كَانَ إِنْسَانٌ فِي جِلْدِ جَسَدِهِ نَاتِئٌ أَوْ قُوبَاءُ أَوْ لُمْعَةٌ تَصِيرُ فِي جِلْدِ جَسَدِهِ ضَرْبَةَ بَرَصٍ، يُؤْتَى بِهِ إِلَى هَارُونَ الْكَاهِنِ أَوْ إِلَى أَحَدِ بَنِيهِ الْكَهَنَةِ. فَإِنْ رَأَى الْكَاهِنُ الضَّرْبَةَ فِي جِلْدِ الْجَسَدِ، وَفِي الضَّرْبَةِ شَعَرٌ قَدِ ابْيَضَّ، وَمَنْظَرُ الضَّرْبَةِ أَعْمَقُ مِنْ جِلْدِ جَسَدِهِ، فَهِيَ ضَرْبَةُ بَرَصٍ. فَمَتَى رَآهُ الْكَاهِنُ يَحْكُمُ بِنَجَاسَتِهِ. لكِنْ إِنْ كَانَتِ الضَّرْبَةُ لُمْعَةً بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ جَسَدِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مَنْظَرُهَا أَعْمَقَ مِنَ الْجِلْدِ، وَلَمْ يَبْيَضَّ شَعْرُهَا، يَحْجُزُ الْكَاهِنُ الْمَضْرُوبَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. فَإِنْ رَآهُ الْكَاهِنُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ وَإِذَا فِي عَيْنِهِ الضَّرْبَةُ قَدْ وَقَفَتْ، وَلَمْ تَمْتَدَّ الضَّرْبَةُ فِي الْجِلْدِ، يَحْجُزُهُ الْكَاهِنُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ثَانِيَةً.



فَإِنْ رَآهُ الْكَاهِنُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ ثَانِيَةً وَإِذَا الضَّرْبَةُ كَامِدَةُ اللَّوْنِ، وَلَمْ تَمْتَدَّ الضَّرْبَةُ فِي الْجِلْدِ، يَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِطَهَارَتِهِ. إِنَّهَا حِزَازٌ. فَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ طَاهِراً. لكِنْ إِنْ كَانَتِ الْقُوبَاءُ تَمْتَدُّ فِي الْجِلْدِ بَعْدَ عَرْضِهِ عَلَى الْكَاهِنِ لِتَطْهِيرِهِ، يُعْرَضُ عَلَى الْكَاهِنِ ثَانِيَةً. فَإِنْ رَأَى الْكَاهِنُ وَإِذَا الْقُوبَاءُ قَدِ امْتَدَّتْ فِي الْجِلْدِ، يَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِنَجَاسَتِهِ. إِنَّهَا بَرَصٌ" (لا ١٣: ١ - ٨).

لا شك أن الأمر يحتاج إلى دقةٍ في الحديث، يا بلاديوس، وليس من السهل تفهُّم معنى هذه الأقوال. على أنه من الضروري -بحسب ما أعتقد- أن نقول ما قل ودلَّ عما يريد الناموس أن يعلنه، لكن سوف أشرح أولاً الاختلاف بين هذه الأمراض.

البرصُ مرضٌ شديد وثقيل علي الأجساد البشرية، ويُشفى بصعوبة، فهو يأكل الجسد ويميته. فهو يُعمِّق الجُرح حيث يتآكل الجلد، ويتجاوز ذلك إلى العمق؛ لأن الفساد ينجذب دائماً نحو الأعمق. لأجل هذا -على ما أعتقد- يذبل الشَّعرُ الموجود في المكان المصاب بالبرص، ويبيَّض ويسقط كالنبات الذي يجف ويسقط علي الأرض. هذا هو البرص.

أمَّا القُوباء البيضاء، فهي مرضٌ يصيب الجسد يُشبه البرص، لكنه لا يسبب جرحاً غائراً، ولا يتغلغل المرض إلى داخل الجسد، لكنه يطفو ويمتد علي سطح الجسم، ولا يتغير لون الشعر إلى الأبيض، ولا ينتشر علي السطح بطريقة شديدة، بل بقليل من الدواء يتوقف بسهولة ويرجع الجسد إلى حالته الصحية الأولى.

البرصُ موتٌ إذن، بينما القُوباء هي شبهُ برصٍ، لكنها في الحقيقة ليست برصاً، ولا موتاً.

الناموس إذن يحكم علي المصاب بالبرص بأنه نجس؛ لأنه بالفعل يُعاني من موت جلده، أمَّا مَن يُعاني من قُوباء (بقع بيضاء) فهو لا يُدان من قِبل الناموس؛ لأنه أبرصٌ بالشبُهة، دون أن يكون في الواقع أبرصاً.

يقول أيضاً، يُفحص الجرح، أي علامة البرص، فإذا كان الجرح عميقاً والشعر تغيَّر إلى أبيض، وكل نبت شَعرٍ يموت في المنطقة المصابة، فالمرض في هذه الحالة يكون برصاً. لأن الموت الذي يصيب الجلد يتغلغل للداخل.

أمَّا إذا كانت علامة البياض لا تتعمق داخل الجلد، ولم يتغير الشعر إلى أبيض، عندئذٍ يتم فحص هذا الأمر عن طريق الكاهن ليتحقق منه، ثم يعزله للمرة الثانية. وليس غريباً أن يستغرق فحص هذه الحالة عدة أيام، لكي يعرفوا ما الذي سوف يحدث، هل يغيِّر الشعر لونه؟ هل القُوباء تغيَّرت إلى البرص؟ هل تعمَّقت البقعة البيضاء في الجلد؟ إن لم تحدث هذه الأمور يُطلق المرء حُراً من أية إدانة؛ لأنه ليس مصاباً بمرض البرص، لكن مصاب بشيء يشُبه البرص، وإن كان قريباً منة تماماً بلونه الأبيض.

أعتقد أن ما عرضناه عن هذا الأمر يعتبر مُرضياً. دعنا الآن نتحدث عن المفاهيم الروحية، وليتنا ننشغل بالمفاهيم المخفية في هذه الأمور.

بلاديوس: الموضوع رائع ومفيد.

كيرلس: حسناً. يجب علينا نحن الذين أحيَانا المسيح، وأقصد أحيانا روحياً، أن نهجر الأعمال الميتة ونبتعد عنها بقدر استطاعتنا. هذه الأعمال هي التي تُميت النفس وتُبلِّد العقل الذي يُسرع بدون لجام إلى أمور الجسد والعالم. لأنه إذا كان صحيحاً أن مَنْ يزرع في الجسد، سوف يحصد فساداً من الجسد، وأن كل الذين يحيون وفق مطالب الجسد لا يستطيعون أن يُرضُوا الله (أنظر رو ٨: ٨)، فكيف ومن أين يمكن لأحد أن يشك في أنهم سوف يموتون؟ إذن، فكل مَنْ تدنس في النفس وفي العقل يكون ميتاً وأسيراً في الأعمال الميتة، ويكون أيضاً مملوءاً من دناءة العالم.

ولو أراد أحد أن يصفُ هذا الوضع -ذهنياً- بالبرصَ، لَمَا أخطأ. فهذا الإنسان يُعَدُّ نجساً في عيني المسيح. لأنه يقول: "يَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِنَجَاسَتِهِ"، أي أنه سوف يسمع حقاً من المنبر الإلهي إنه محسوبٌ ضمن الخطاة العتاة: "أَقُولُ لَكُمْ لاَ أَعْرِفُكُمْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ! تَبَاعَدُوا عَنِّي يَا جَمِيعَ فَاعِلِي الظُّلْمِ" (لو ١٣: ٢٧). أمَّا علامة الندبة البيضاء، فهي تشير إلى هؤلاء الذين مازالوا في مرحلة الرغبات العاطفية البسيطة، ولم ينتقلوا بعد من التفكير إلى التنفيذ. أم أنك لا تعتقد أنه صحيح، أن اللذات والأفكار تنبت فينا وتسبق النتائج لتحذرنا من شيء يدينه الناموس؟

بلاديوس: بالتأكيد أعتقد هذا. ويمكنني أن أذكر داود الطوباوي حين يقول: "قَبْلَ أَنْ أُذَلَّلَ أَنَا ضَلَلْتُ أَمَّا الآنَ فَحَفِظْتُ قَوْلَكَ" (مز ١١٩: ٦٧).



كيرلس: حديثك صحيح تماماً. لأنه يمكننا أن نؤكد أنه قبل أن تتحقق النتائج يجوز العقل في الأخطاء مُعانياً أولاً من آلام اللذة. لكن، ولأن الخطية لم تتعدَّ بعد مرحلة الرغبات، نجده يتخذ موقفاً وسطاً بين الاثنين، فهو من ناحية لديه ميلٌ حُرٌّ لِما يريد، ومن ناحية أخرى لم يُعاني بعد من الإماتة، لكنه قريب جداً من الشر، ويشعر بآلام للشهوة. مثل هذا ينصحنا بشأنه أيضاً تلميذ المخلص، بقوله: "لاَ يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَلِ اللّهِ، لأَنَّ اللّهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ وَهُوَ لاَ يُجَرِّبُ أَحَداً. وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا انْجَذَبَ وَانْخَدَعَ مِنْ شَهْوَتِهِ. ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبِلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً، وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمُلَتْ تُنْتِجُ مَوْتاً" (يع ١: ١٣ - ١٥).

بلاديوس: هذا صحيح.

كيرلس: إذن أن يموت أحدٌ، كأبرصٍ، أقصد ذهنياً، لن يتحقق بالرغبات فقط، طالما كان ما يزال بعد في مرحلة هوى الخطايا المميت، ولكنه يموت عندما تحدث نتائج هذه الرغبات. لأنه مهما كان كمُ الشّر في العقل، فهو لا يُسبب إماتةً، لا يسبب الموت بعد. لأنه ليست كل خطية تقود للموت، مثلما قال تلميذ المخلص[1]، لأن الخطية التي تسبب الإماتة ما تزال توجد بعد في مرحلة الهوى، وبالتالي يمكننا وصفها ببقعة بيضاء شبيهةٍ بالبرص أو قريبةٍ منه. لذلك يفحص الكاهن هذا الذي احتُلَّ من الهوى، أي من البقعة البيضاء، ولو ظهر أنه تغيَّر إلى برصٍ، عندئذٍ لا يقتصر الحال على وصفه بالدنس، لكن بالحري يجب فصله عن الآخرين. لأن الله لا يترك الرغبةَ في الشر والاقتراب منه بلا لوم. وإذا كانت الإصابة لم تتقدم في التغيُّر ولم تنمُ تجاه الأسوأ، فليوُصف بأنه طاهرٌ. إذن أن يتجنب المرءُ الإماتة، لهو عملٌ خلاصي حسن وحقيقي، أقصد أن يتجنب ما سوف يتحقق من الأعمال، وأن يُطفئ حرارة العقل من جهة نفس النتائج. بالإضافة إلى هذا، من الحكمة أن نحاول الهرب من الشهوات عندما نراها مازلت مخططة في رغبات بسيطة؛ لأن هذا يعني أن يبتعد المرء عن البرص والقوباء. لأنك قد علمت، أن عمانوئيل الإله بحسب الطبيعة، تابَعَ

١- "إِنْ رَأَى أَحَدٌ أَخَاهُ يُخْطِئُ خَطِيَّةً لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ، يَطْلُبُ، فَيُعْطِيهِ حَيَاةً لِلَّذِينَ يُخْطِئُونَ لَيْسَ لِلْمَوْتِ. تُوجَدُ خَطِيَّةٌ لِلْمَوْتِ. لَيْسَ لأَجْلِ هَذِهِ أَقُولُ أَنْ يُطْلَبَ. كُلُّ إِثْمٍ هُوَ خَطِيَّةٌ، وَتُوجَدُ خَطِيَّةٌ لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ" (١ يو ٥: ١٦ ـ ١٧).

-بشكل كبير جداً- كل ما يخصَّنا، ولأنه رئيس كهنتنا الأعظم، فقد قبلنا بالتأكيد عندما اغتسلنا من الدناءة، ولكنه أبعدنا أيضاً من موضع إقامة القديسين عندما رأي أننا دنسين.

بلاديوس: قولك حقٌّ.

كيرلس: لأنه يقول: ''تَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ'' (لا ١٩: ٢). ولاحظ أن هذا الذي تحرَّر من الذنب، يصبح طاهراً طالما غسل ملابسه، لأن الناموس يعلن الطهارة بالماء، وكأنه بأمثلةٍ جسديةٍ يرسم لنا سرَّ المعمودية.

بلاديوس: لقد أدركت هذا الأمر.

كيرلس: لاحظ إذن، يا بلاديوس، عناية الناموس الفائقة؛ لأنه يحول أفكارنا إلى العكس، وبكافة الطرق يوضح لنا ما يفيدنا.

بلاديوس: كيف اتضح لك هذا الأمر؟

كيرلس: لقد قال أيضاً: ''إِنْ كَانَتْ فِي إِنْسَانٍ ضَرْبَةُ بَرَصٍ فَيُؤْتَى بِهِ إِلَى الْكَاهِنِ. فَإِنْ رَأَى الْكَاهِنُ وَإِذَا فِي الْجِلْدِ نَاتِئٌ أَبْيَضُ، قَدْ صَيَّرَ الشَّعْرَ أَبْيَضَ، وَفِي النَّاتِئِ وَضَحٌ مِنْ لَحْمٍ حَيٍّ، فَهُوَ بَرَصٌ مُزْمِنٌ فِي جِلْدِ جَسَدِهِ. فَيَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِنَجَاسَتِهِ. لاَ يَحْجُزُهُ لأَنَّهُ نَجِسٌ. لكِنْ إِنْ كَانَ الْبَرَصُ قَدْ أَفْرَخَ فِي الْجِلْدِ، وَغَطَّى الْبَرَصُ كُلَّ جِلْدِ الْمَضْرُوبِ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمَيْهِ حَسَبَ كُلِّ مَا تَرَاهُ عَيْنَا الْكَاهِنِ، وَرَأَى الْكَاهِنُ وَإِذَا الْبَرَصُ قَدْ غَطَّى كُلَّ جِسْمِهِ، يَحْكُمُ بِطَهَارَةِ الْمَضْرُوبِ. كُلُّهُ قَدِ ابْيَضَّ. إِنَّهُ طَاهِرٌ. لكِنْ يَوْمَ يُرَى فِيهِ لَحْمٌ حَيٌّ يَكُونُ نَجِساً. فَمَتَى رَأَى الْكَاهِنُ اللَّحْمَ الْحَيَّ يَحْكُمُ بِنَجَاسَتِهِ. اللَّحْمُ الْحَيُّ نَجِسٌ. إِنَّهُ بَرَصٌ. ثُمَّ إِنْ عَادَ اللَّحْمُ الْحَيُّ وَابْيَضَّ يَأْتِي إِلَى الْكَاهِنِ. فَإِنْ رَآهُ الْكَاهِنُ وَإِذَا الضَّرْبَةُ قَدْ صَارَتْ بَيْضَاءَ، يَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِطَهَارَةِ الْمَضْرُوبِ. إِنَّهُ طَاهِرٌ'' (لا ١٣: ٩ - ١٧).

بلاديوس: وما هو المفهوم الذي نخرج به في هذه الحالة المعكوسة.

كيرلس :ألم تفهم؟ كيف نتيقن من أن البرص هو الإماتة الجزئية للجسد المعافى، ومَنْ يتملك منه المرض يكون غير مقبول باعتباره نجساً؟

بلاديوس: فهمت.

مفارقة البَرَص الجزئي والبَرَص الكلي

كيرلس: إذن لاحظ، أن هذا الوضع قد تغيَّر أيضاً إلى العكس. بمعني أنه إذا صار المرءُ أبرصاً تماماً وأميت، ولم يكن فيه موضعاً معافى على الإطلاق، يتحَّرر عندئذٍ من تُهمة النجاسة، باعتباره طاهراً. لكن إذا وجدت في جسده ضربة عميقة، يحكم الكاهن بنجاسته باعتباره أبرصاً، وبالتالي تنهال علية كل الاتهامات الخاصة بالأبرص.

بلاديوس: لا أستطيع أن أفهم ماذا يعني في النهاية هذا الذي تقوله. لأنه إن كان البرص الجزئي يجعل المصابين به نجسين، كيف يجعل البرص المنتشر في كل الجسد المصابين به أطهاراً؟

كيرلس: إنها دقة متناهية، يا بلاديوس، لكن لا تدع دقة الناموس تسبب لنا بلبلةً أو تشويشاً لرؤيتنا. ففي كل حالة هناك شرحٌ حكيم، وبالتأكيد، ليس هناك أي أمر شرير. إذن دعنا نمضي في حديثنا، إذا أردت.

بلاديوس: نعم أريد. لأنك سوف تتحقق بنفسك أنني عَطِشٌ لسماعك بسعادة كبيرة.

كيرلس: يمكننا أن نحيا حياةً متوافقةً مع ناموس الله بطريقتين: فإمَّا أن نعيش وفق إرادته، وبالتالي نتجنب الإماتة التي تسببها الشهوات والخطية، وهكذا لا نعاني من البرص الذي يسبب الإماتة الجزئية التي تحدث في الجسد الحي والمعافى. وإمَّا –بالطريقة الثانية– أي بالإماتة الصالحة، وذلك بألَّا نعيش بعد حياةً عشوائية، وبالتالي نقبل –مثل تاجٍ– الحكمَ الذي يُعطى لكل الأعمال الصالحة. لأن بولس العظيم يكتب عن هذه الأعمال الآتي: "كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتاً عَنِ الْخَطِيَّةِ وَلَكِنْ أَحْيَاءً لِلَّهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" (رو ٦: ١١). إذن لنحيا حياة المسيح بأن نحرص علي تحقيق ما يَسُرَّه، ونمقت الإماتة الناتجة من الشهوة والخطية، ونموت عن الخطية وفقاً للكتاب المقدس، فلنرفض حياة الخطية ونحيا بالتدبير المستقيم.

بلاديوس: وضِّح لي بشكل أفضل، هذه الأمور لأنني لا أفهمها جيداً.

كيرلس: ألا نقول، يا بلاديوس، إنه لأجل هذا تحمَّل المسيح الموت لأجلنا؛ لكي لا يعيش الأحياء فيما بعد لأنفسهم، بل لأجل ذاك الذي مات وقام

لأجلهم، أي لأجل المسيح (٢ كو ٥: ١٥)؟

بلاديوس: نعم هكذا نقول، وهذا ما نعترف به.

كيرلس: إذن فنحن نحيا حياة المسيح عندما ندبِّر حياتنا وفق الإنجيل[١]، متقززين من الإماتة التي تسبِّبها الخطية، أي الموت من جراء شهوات النفس. لأجل هذا، يكتب بطرس العظيم عن المسيح: "الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ" (١ بط ٢: ٢٤). أعتقد أن كل الذين يحبِّون الحياة البهية عليهم أن يتجنبوا أي شيء يمكن أن يميتهم، وهكذا يتجنبون الأدناس.

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب.

كيرلس: لن يُصَب إذن بمرض البرص مَنْ يُفضِّل حياة المسيح متَّبعاً الوصايا الإنجيلية، ويصُدُّ إماتة الخطية.

بلاديوس: لقد أقنعتني.

كيرلس: هذه إحدى الطرق التي نستطيع بها أن نسُرّ الله، غير أنه يمكننا أن نسلك طريقاً آخر باستقامة كالآتي: إذ يجب علينا أن نميت أعضائنا الأرضية: الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الرديئة، والشراهة، وأن نكون على يقين من أننا بالفعل قد مُتنا من جهة الخطية ولم نعُد نحيا بعدُ فيها. وهذا هو ما يؤكده لنا بولس الرسول، قائلاً: "أَنَبْقَى فِي الْخَطِيَّةِ لِكَيْ تَكْثُرَ النِّعْمَةُ؟. حَاشَا! نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنِ الْخَطِيَّةِ كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟" (رو ٦: ١ - ٢). فإذا قررنا أن نحيا للمسيح، وصرنا أمواتاً بالنسبة للخطية، غير أننا بعد ذلك فعلنا الخطية ثانيةً، نكون ق صرنا -بالنسبة للناموس- موتى جزئياً، وبالتالي نكون دنسين ولا ننجو من إدانة الناموس.

إذن بخصوص ما قاله عن امتلاء الجسد كله من البرص وموت كل عضو فيه، فهذا ما يشير به إلى أنَّ مَن مات من جهة الخطية، تبرَّأ من دنس الجسد؛ لأنه يقول إنه يكون طاهراً تماماً؛ إذ قد مات من جهة الخطية ولم

١- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "فلنسلك بحسب وصايا الإنجيل، ولنبرهن على هذا بحياة وأعمال نقية طوال أيام حياتنا. بشروا بالسلام، أعدوا الطريق لهذا الإنجيل، لأنه إن صرتم مستعدين تماماً للسلام وللإيمان، فلتكونوا ثابتين على هذا النهج. الإيمان هو الترس الذي يستقبل أولاً هجمات الأعداء، ويحفظ الأسلحة جيدة بلا إصابات" تفسير الرسالة إلى أفسس، ترجمة د. سعيد حكيم يعقوب، الإصحاح السادس، ص ٣٤٩.



يترك لها موضعاً فيه. كما يقول: "لكِنْ يَوْمَ يُرَى فِيهِ لَحْمٌ حَيٌّ يَكُونُ نَجِساً"، أي أن من يحيا غاطساً في الخطية كله، أو مجرد عضو منه، فإنه يُظهِر نجاسة مرض الخطية؛ لأنه يقول: "خميرة صغيرة تخمر العجين كله" (١ كو ٥: ٦)، وهو قول حقيقي. أما إذا تغيَّر الجلد المعافى وصار أبيضاً ثانيةً، فإن الكاهن يحكم بطهارة المضروب، فهو طاهرٌ، أي أنه تخلَّص -جزئياً- من أن يحيا في الخطية؛ لأن العقل قد انتقل إلى الإماتة الممدوحة، وانتقل حقاً نقلةً رائعةً. دعني أُلخِّص كل ما قلته: أقول إننا نحيا لله؛ إذن ليت لا يسود علينا الموت. وإذا كنا قد متنا من جهة الخطية، فيا ليت لا يوجد شيءٌ منها يكون حياً فينا. فهذا هو طريق الحياة الممجد الذي يتناسب مع القديسين والذي لا يوجد به شيءٌ يمكن أن يصير شريراً.

بلاديوس: لقد فسَّرت حسناً هذه الأقوال.

ظلال الأمراض النفسية

كيرلس: الناموس يدقق جيدا في هذه الأمراض: "وَإِذَا كَانَ الْجِسْمُ فِي جِلْدِهِ دُمَّلَةٌ قَدْ بَرِئَتْ، وَصَارَ فِي مَوْضِعِ الدُّمَّلَةِ نَاتِئٌ أَبْيَضُ، أَوْ لُمْعَةٌ بَيْضَاءُ ضَارِبَةٌ إِلَى الْحُمْرَةِ، يُعْرَضُ عَلَى الْكَاهِنِ. فَإِنْ رَأَى الْكَاهِنُ وَإِذَا مَنْظَرُهَا أَعْمَقُ مِنَ الْجِلْدِ وَقَدِ ابْيَضَّ شَعْرُهَا، يَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِنَجَاسَتِهِ. إِنَّهَا ضَرْبَةُ بَرَصٍ أَفْرَخَتْ فِي الدُّمَّلَةِ. لكِنْ إِنْ رَآهَا الْكَاهِنُ وَإِذَا لَيْسَ فِيهَا شَعْرٌ أَبْيَضُ، وَلَيْسَتْ أَعْمَقَ مِنَ الْجِلْدِ، وَهِيَ كَامِدَةُ اللَّوْنِ، يَحْجُزُهُ الْكَاهِنُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. فَإِنْ كَانَتْ قَدِ امْتَدَّتْ فِي الْجِلْدِ يَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِنَجَاسَتِهِ. إِنَّهَا ضَرْبَةٌ. لكِنْ إِنْ وَقَفَتِ اللُّمْعَةُ مَكَانَهَا وَلَمْ تَمْتَدَّ، فَهِيَ أَثَرُ الدُّمَّلَةِ. فَيَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِطَهَارَتِهِ" (لا ١٣: ١٨ - ٢٣).

الناموس بهذه الأقوال يقول لنا رمزياً، إن الأمراض النفسية الكثيرة والتي قد يصل عددها إلى الآلاف، تُشفى بالاعتناء والحِرص، ومع مرور الأوقات تلتئم جروح النفس. أمَّا إذا أهملناها، فإنها تظهر ثانيةً، عندئذٍ تُعرض على المسيح والكاهن، رئيس كهنتنا، الذي يحكم علينا حكماً صحيحاً. في حالة ما إذا اقتصر المرض على مرحلة الأفكار، فهذا لا يعني أن يبقى مَن يعاني منه بغير لوم، فسوف يحكم بفصله عن الآخرين، دون أن يُطرد تماماً، أو يموت كلياً. لكن لو تجاوز المرض مرحلة الفكر والشهوة ذاتها وتطور إلى

ما هو أسوأ، عندئذٍ يُعاقب بجزاء النجاسة. إذن فلنلاحظ بصبرٍ أكثر ألَّا نوقظ الأهواء التي سبق أن هدأت وسكنت، وألاَّ نجدد مرةً ثانيةً جروح ذهننا ونرجع ثانيةً إلى البداية، وإلَّا فسوف نسمع القديس يصرخ، قائلاً: "قَدْ أَصَابَهُمْ مَا فِي الْمَثَلِ الصَّادِقِ: «كَلْبٌ قَدْ عَادَ إِلَى قَيْئِهِ، وَخِنْزِيرَةٌ مُغْتَسِلَةٌ إِلَى مَرَاغَةِ الْحَمْأَةِ»" (٢ بط ٢: ٢٢).

بلاديوس: أعتقد أن هذا صحيح، وأنت تتحدث بكثير من المنطق.

كيرلس: أمَّا بخصوص البرَص الذي يُعلَن عنه بالجروح، فهذا ما يقوله لنا الناموس، حيث يضيف: "وَإِذَا كَانَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ فِيهِ ضَرْبَةٌ فِي الرَّأْسِ أَوْ فِي الذَّقَنِ، وَرَأَى الْكَاهِنُ الضَّرْبَةَ وَإِذَا مَنْظَرُهَا أَعْمَقُ مِنَ الْجِلْدِ، وَفِيهَا شَعْرٌ أَشْقَرُ دَقِيقٌ، يَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِنَجَاسَتِهِ. إِنَّهَا قَرَعٌ. بَرَصُ الرَّأْسِ أَوِ الذَّقَنِ. لكِنْ إِذَا رَأَى الْكَاهِنُ ضَرْبَةَ الْقَرَعِ وَإِذَا مَنْظَرُهَا لَيْسَ أَعْمَقَ مِنَ الْجِلْدِ، لكِنْ لَيْسَ فِيهَا شَعْرٌ أَسْوَدُ، يَحْجُزُ الْكَاهِنُ الْمَضْرُوبَ بِالْقَرَعِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. فَإِنْ رَأَى الْكَاهِنُ الضَّرْبَةَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ وَإِذَا الْقَرَعُ لَمْ يَمْتَدَّ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ شَعْرٌ أَشْقَرُ، وَلاَ مَنْظَرُ الْقَرَعِ أَعْمَقُ مِنَ الْجِلْدِ، فَلْيَحْلِقْ. لكِنْ لاَ يَحْلِقِ الْقَرَعَ. وَيَحْجُزُ الْكَاهِنُ الأَقْرَعَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ثَانِيَةً. فَإِنْ رَأَى الْكَاهِنُ الأَقْرَعَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ وَإِذَا الْقَرَعُ لَمْ يَمْتَدَّ فِي الْجِلْدِ، وَلَيْسَ مَنْظَرُهُ أَعْمَقَ مِنَ الْجِلْدِ، يَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِطَهَارَتِهِ، فَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ طَاهِراً. لكِنْ إِنْ كَانَ الْقَرَعُ يَمْتَدُّ فِي الْجِلْدِ بَعْدَ الْحُكْمِ بِطَهَارَتِهِ، وَرَآهُ الْكَاهِنُ وَإِذَا الْقَرَعُ قَدِ امْتَدَّ فِي الْجِلْدِ، فَلاَ يُفَتِّشُ الْكَاهِنُ عَلَى الشَّعْرِ الأَشْقَرِ. إِنَّهُ نَجِسٌ. لكِنْ إِنْ وَقَفَ فِي عَيْنَيْهِ وَنَبَتَ فِيهِ شَعْرٌ أَسْوَدُ، فَقَدْ بَرِئَ الْقَرَعُ. إِنَّهُ طَاهِرٌ فَيَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِطَهَارَتِهِ" (لا ١٣: ٢٩ - ٣٧).

بلاديوس: حسناً ما هو مفهوم هذه الأقوال؟

كيرلس: يا بلاديوس، لقد قُلت لك إنَّ النجاسةَ مزدوجةٌ: نجاسة الجسد ونجاسة الروح. فالشهوات الدنيئة والدنسة تنجِّس الجسد والنفس والعقل. أمَّا ما هو أكثر من كل الشهوات الأخرى، الانحراف عن الاستقامة العقيدية وإفساد الإيمان الصحيح. وبالإضافة إلى هذا، الجُبناء والمخادعين وشهود الزور الموشوشين، والمتشاحنين والحسودين، فهؤلاء –مثل الأمور الأخرى التي ذكرناها– يسببون نجاسةً ويستحقون إدانةً معادلة لإدانة الدناءة والفجور. ويبدو هنا أن الناموس يذكِّرنا بهذه الأمراض النفسية وكل الأمراض المعتاد



حدوثها للعقل، فقد أراد أن يعلن لنا كل هذا؛ لأن الرأسَ يرمز للعقل، والذقن مثالٌ لرزانة الذهن، وهذه هي ملامح الكمال. إذن، فرئيس كهنة الجميع، أي المسيح، يُشرف علي أمورنا الخاصة ويعتني بها بالتفصيل، ويلقي نظره علي عقولنا ويفحص داخلنا وأفكارنا الخفية. فإذا حدث إفسادٌ ما، وتغيير من الإيمان المستقيم إلى الإيمان غير المستقيم، أو إلى الدناءة والشر الذي يمقته بشدة، فلسوف يبعدنا أيضاً كنجسين ويصدر قراراً يصفنا بأننا غير طاهرين، هذا هو ما يعني أن يُصاب أحد بالبرص في رأسه وفي ذقنه.

لكن لو كان العقل في بداية المرض، ولم يظهر أنه يميل تماماً إلى هذا المرض، فإنه يكتفى بأن يُفصل عن الآخرين ويؤنب بتأنيبات معتدلة، دون أن يعتبر طاهراً تماماً ودون أن يُبعد عن الله. ولكن عندما يغسل ملابسة، عندئذٍ يكون طاهراً، أي أنه سوف يقبل –على سبيل المعونة– تبريره في اسم المسيح.

حلقُ الشعر أيضاً، وعرضُ الجرحِ عارياً للكاهن، يشير إلى أنه لابد أن نُخرج كل شيء من داخلنا، وأن نكون عراةً دون أي عائق أمام أعين الإلوهية، وذلك وفقاً للمكتوب: ''وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذَلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا'' (عب٤: ١٣).

بلاديوس: هذا حقيقي. لأنه قال بفم القديس: ''هَلْ يُغَيِّرُ الْكُوشِيُّ جِلْدَهُ أَوِ النَّمِرُ رُقَطَهُ؟ فَأَنْتُمْ أَيْضاً تَقْدِرُونَ أَنْ تَصْنَعُوا خَيْراً أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُونَ الشَّرَّ!'' (أرميا ١٣: ٢٣).

كيرلس: إذن، لاحظ يا بلاديوس، كيف يتحدث الناموس بالتفصيل، فهو لا يترك شيئاً تُعَدُّ معرفته من الأمور الهامة غير محتوى في قوانينه، بل يُفيد سامعيه – لأنه وفق المكتوب: ''اَلسَّهَوَاتُ مَنْ يَشْعُرُ بِهَا! مِنَ الْخَطَايَا الْمُسْتَتِرَةِ أَبْرِئْنِي'' (مز ١٩: ١٢)، طالما أن طبيعتنا تميل إلى الضعف وتنزلق بسهولة في الخطأ، وكما يقول الكتاب: ''مَنْ يُخْرِجُ الطَّاهِرَ مِنَ النَّجِسِ؟ لاَ أَحَدٌ!'' (أيوب ١٤: ٤).

لأجل هذا، داود العظيم يرنم: ''إِنْ كُنْتَ تُرَاقِبُ الآثَامَ يَا رَبُّ يَا سَيِّدُ فَمَنْ يَقِفُ؟ لأَنَّ عِنْدَكَ الْمَغْفِرَةَ'' (مز ١٣٠ :٣ – ٤). لاحظ إذن مدي رأفة الناموس، فإنه يحرِّرنا من مثل هذه الخطايا. ومن إحسانه، أنه يطهِّر الذين جراء الانزلاق البشري، سقطوا في أخطاءٍ لا إرادية.

ظلال الزلات

يقول أيضاً: "وَإِذَا كَانَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ فِي جِلْدِ جَسَدِهِ لُمَعٌ، لُمَعٌ بِيضٌ، وَرَأَى الْكَاهِنُ وَإِذَا فِي جِلْدِ جَسَدِهِ لُمَعٌ كَامِدَةُ اللَّوْنِ بَيْضَاءُ، فَذلِكَ بَهَقٌ قَدْ أَفْرَخَ فِي الْجِلْدِ. إِنَّهُ طَاهِرٌ" (لاو ١٣: ٣٨ - ٣٩).

بالرغم من أننا بحثنا في الأمر بدقة، فالكلام هنا عن مرض الجسد المتماثل مع البرص، في حالة ما إذا عانى أحدٌ من بقعة بيضاء، دون أن يسبب له مرضه إماتةً أو يأساً شديداً. مثل هذه، هي زلاتنا، فهي أمراض بلا شك، لكن ليست للموت وفساد النفس. الديَّان لا يحكم عليها بقسوة شديدة، "لأَنَّهُ يَعْرِفُ جِبْلَتَنَا. يَذْكُرُ أَنَّنَا تُرَابٌ نَحْنُ" (مز ١٠٣: ١٤)، ولا يجهل ضعف طبيعتنا، فقد وافق علي أن يغفر لنا من محبته للبشر، وهذا ما يعنيه بقولة: "وَإِذَا كَانَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ فِي جِلْدِ جَسَدِهِ لُمَعٌ، لُمَعٌ بِيضٌ... إِنَّهُ طَاهِرٌ" (لا ١٣: ٣٨ - ٣٩). لكن الزلات الصغيرة تحدث في نفوس الناس الفاضلين، علي سبيل المثال، الغضبات السريعة، تعبيرات محدودة عن الغضب، ضيق نفوسنا تجاه الأخوة، الرغبة في الأمجاد الباطلة، ونماذج أخري مثيلة، والتي مرات كثيرة تصدر عادةً عن أناسٍ يحيون حياةً فاضلة وهم حقا طاهرون. لأن كل هذه الأمور بشريةٌ هي ومشتركة وعامة لكل أولئك الذين يحيون حياة اللحم والدم. إذن الناموس يعلن هذه الأمور بطريقة رمزية، قائلاً الآتي: "وَإِذَا كَانَ إِنْسَانٌ قَدْ ذَهَبَ شَعْرُ رَأْسِهِ فَهُوَ أَقْرَعُ. إِنَّهُ طَاهِرٌ. وَإِنْ ذَهَبَ شَعْرُ رَأْسِهِ مِنْ جِهَةِ وَجْهِهِ فَهُوَ أَصْلَعُ. إِنَّهُ طَاهِرٌ" (لا ١٣: ٤٠ - ٤١).

ألم تسمع إن سقوطَ الشعرِ مرضٌ يصيب الرأس؟ كما قُلنا، هي مثال للعقل؛ لأن الرأس مسكنٌ للعقل.

بلاديوس: أتذكَّر هذا الأمر.

كيرلس: إذن، الأمراض التي تصيب رؤوسنا تشير إلى أمراض العقل الصغيرة التي يجب أن تُغفر لهؤلاء المصابين بها. بالتالي يحررنا الناموس من أي مرض بشري، وكذلك الأدناس غير الإرادية التي تحدث لنا؛ لأنه من الحتمي أن تعاني طبيعتنا من الضعف. إن التخلُّص الكامل من الأمراض والأهواء لن يتم في هذه الحياة، بل في الدهر الآتي حيث تتزعزع الخطية من الأساسات،

ونـنتقل إلى حياة متحررة تماماً من أية أعطاب.

مكتوبٌ أيضاً: ''لكِنْ إِذَا كَانَ فِي الْقَرَعَةِ أَوْ فِي الصَّلْعَةِ ضَرْبَةٌ بَيْضَاءُ ضَارِبَةٌ إِلَى الْحُمْرَةِ، فَهُوَ بَرَصٌ مُفْرِخٌ فِي قَرَعَتِهِ أَوْ فِي صَلْعَتِهِ. فَإِنْ رَآهُ الْكَاهِنُ وَإِذَا نَاتِئُ الضَّرْبَةِ أَبْيَضُ ضَارِبٌ إِلَى الْحُمْرَةِ فِي قَرَعَتِهِ أَوْ فِي صَلْعَتِهِ، كَمَنْظَرِ الْبَرَصِ فِي جِلْدِ الْجَسَدِ '' (لا ١٣ :٤٢ - ٤٣). لأن الأمراض الصغيرة تتخطي في بعض الأحيان الجرائم الكبيرة في قوتها، وإن لم نقطعها تدنسنا بفظاعة. فلو تحرَّكت في حرية وبدون تعنيف لمسيرتها ناحية الأسوأ (علي سبيل المثال، إذا تمكن الغضب من إنسان واستقر فيه، ليته يوقف هذا الغضب بطريقة حاسمة حتى لا يكبر تدريجياً وتزداد الزلة الصغيرة)، عندئذٍ تجلب الموت علي المصابين بها. أمَّا قوله: ''وَإِذَا نَاتِئُ الضَّرْبَةِ أَبْيَضُ ضَارِبٌ إِلَى الْحُمْرَةِ فِي قَرَعَتِهِ أَوْ فِي صَلْعَتِهِ''، فيشير إلى الميول التي تحدث، وكأنها تنتقل إلى ما هو أسوأ. إذن بالصواب قال داود الطوباوي: ''أغضبوا ولا تخطئوا'' (مز ٤: ٤)[١].

بلاديوس: حديثٌ عميق.

كيرلس: بالتأكيد عميقٌ جداً. هل أدركت مدي دِقة ما أقوله، فإنني لا أستطيع أن أفكر في هذه الشروحات وأُعبِّر عنها بدون مشقة. وكون أن الذين يعانون من أمراض ظاهرة لا يمكنهم أن يمروا دون مراقبة، في حين يتم التغاضي عن الزلات الصغيرة والمخفية، فسوف تعلمها من هذا: سوف يخبرنا عن أن المصابين بالصلع طاهرون، غافراً لنا الزلات الصغيرة، كما قلنا منذ قليل. لكن لو ظهر البرص في رأس أحدٍ من المصابين، أي عندما يتطور المرض إلى ما هو أسوأ، عندئذ يصير ظاهراً ودنيئاً ولا يجد المريض قولاً يدافع به عن هذا الأمر. لأجل هذا يقول: ''وَالأَبْرَصُ الَّذِي فِيهِ الضَّرْبَةُ، تَكُونُ ثِيَابُهُ مَشْقُوقَةً، وَرَأْسُهُ يَكُونُ مَكْشُوفاً، وَيُغَطِّي شَارِبَيْهِ، وَيُنَادِي: نَجِسٌ، نَجِسٌ. كُلَّ الأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ الضَّرْبَةُ فِيهِ يَكُونُ نَجِساً. إِنَّهُ نَجِسٌ. يُقِيمُ وَحْدَهُ. خَارِجَ الْمَحَلَّةِ يَكُونُ مُقَامُهُ'' (لا ١٣: ٤٥ - ٤٦).

الثياب المشقوقة والرأس المكشوفة تشير بوضوحٍ كافٍ إلى أن منظر هذا الشخص أصبح مقززاً. وأمَّا تغطية شاربيه أي فمه، فتعني أنه لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ويقول شيئاً عندما يُدينه الله لأجل نجاسته. ولذلك لا

١- على أساس أن إرتكاب الخطأ هو مرحلة أسوء من الغضب.

يجب أن يشارك في صفوف القديسين، بل يكون منفياً من الخيمة المقدسة، وغير مشارك لأي صلاح.

بلاديوس: هذا الذي تقوله فظيع ومرعب، ولا نتمنى حدوثه.

إلى أي حدٍّ وصلت دقة الناموس؟

كيرلس: هو مرعبٌ فعلاً يا بلاديوس، وبكافة الطرق لا نتمنى حدوثه، لأجل هذا قال لنا داود العظيم: "لاَ تَذْكُرْ خَطَايَا صِبَايَ وَلاَ مَعَاصِيَّ. كَرَحْمَتِكَ اذْكُرْنِي أَنْتَ مِنْ أَجْلِ جُودِكَ يَا رَبُّ" (مز ٢٥: ٧). الناموس وهو يمر علي كل شيء، يقدِّم لنا دقته التي تصل إلى الحد الذي فيه يفحص الأواني والصوف والخيط والعكاز والمتاع الجلدي. حسناً، يقول: "وَأَمَّا الثَّوْبُ فَإِذَا كَانَ فِيهِ ضَرْبَةُ بَرَصٍ، ثَوْبُ صُوفٍ أَوْ ثَوْبُ كَتَّانٍ، فِي السَّدَى أَوِ اللُّحْمَةِ مِنَ الصُّوفِ أَوِ الْكَتَّانِ، أَوْ فِي جِلْدٍ أَوْ فِي كُلِّ مَصْنُوعٍ مِنْ جِلْدٍ" (لا ١٣: ٤٧ – ٤٨). لأنه يقول إنه برصٌ مُفسدٌ لا يُشفى. وبالرغم من ذلك أمر أن يُغسل النجس من البرص، فإذا ظهر أن المرض مازال موجوداً في شيءٍ من هذه الأشياء، فليُلقَ في النار، كشيءٍ غير مفيد تماماً. نفس الأمر يحدث لأي شيء يخصنا مثل الخيط والعُكاز والجلد. ولا يجب أن يستغرب أحدٌ من أن الله يتحدث عن أشياء مثل الصوف أو الخيط أو أي شيء أخر، فكيف لا يمكن أن نعتبر أن عدم الابتعاد عن الأدناس بعد التطهير والاغتسال الذي يتممه لنا المسيح، والإصرار على الانغماس فيها يمثل جرماً ثقيلاً. لأننا لو لم نستفِد من تطهير المسيح إيانا، يُسلِّمنا إلى النار لكي نحترق مثل كاهن الناموس، حيث لا يفيد شيئاً الخيط أو العصا بعد اغتساله (إذ كان المرض ما زال موجوداً) يلُقيان في النار.

بلاديوس: هكذا يكون.

عودةٌ إلى شريعة ذي السيل

كيرلس: إذن، يستخدم الناموسُ البرصَ لكي يشير به بشكل واضح إلى الأعمال الميتة، والتي يستطيع المرء من خلالها أن يرى المفاهيم الخفية، وكأنها في متناول يده، فالأمور الذهنية تُشرح بالأمثلة الجسدية. فالناموس يعرض لنا



الأدناس التي تصيب النفس بوضوح، عن طريق ما تشير إليه أمراض الجسد من أمور تحدث على المستوى الذهني. لقد قال أيضاً في سفر اللاويين: "كَلِّمَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُولاَ لَهُمْ: كُلُّ رَجُلٍ يَكُونُ لَهُ سَيْلٌ مِنْ لَحْمِهِ، فَسَيْلُهُ نَجِسٌ. وَهذِهِ تَكُونُ نَجَاسَتُهُ بِسَيْلِهِ: إِنْ كَانَ لَحْمُهُ يَبْصُقُ سَيْلَهُ، أَوْ يَحْتَبِسُ لَحْمُهُ عَنْ سَيْلِهِ، فَذلِكَ نَجَاسَتُهُ. كُلُّ فِرَاشٍ يَضْطَجِعُ عَلَيْهِ الَّذِي لَهُ السَّيْلُ يَكُونُ نَجِساً، وَكُلُّ مَتَاعٍ يَجْلِسُ عَلَيْهِ يَكُونُ نَجِساً. وَمَنْ مَسَّ فِرَاشَهُ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ. وَمَنْ جَلَسَ عَلَى الْمَتَاعِ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ ذُو السَّيْلِ، يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ. وَمَنْ مَسَّ لَحْمَ ذِي السَّيْلِ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ. وَإِنْ بَصَقَ ذُو السَّيْلِ عَلَى طَاهِرٍ، يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ. وَكُلُّ مَا يَرْكَبُ عَلَيْهِ ذُو السَّيْلِ يَكُونُ نَجِساً. وَكُلُّ مَنْ مَسَّ كُلَّ مَا كَانَ تَحْتَهُ يَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ، وَمَنْ حَمَلَهُنَّ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ. وَكُلُّ مَنْ مَسَّهُ ذُو السَّيْلِ وَلَمْ يَغْسِلْ يَدَيْهِ بِمَاءٍ، يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ وَيَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ" (لا ١٥: ٢ - ١١). بالإضافة إلى هذا يكون نجساً أي إناء يلمسه ذو السيل، وإذا غسل يديه بماء يكون الماء نجس. وأيضاً إذا لمس أحدٌ جسده يكون نجساً وإذا أقترب منه أحدٌ لم يكن نجساً بعد، يصير نجساً. لأجل هذا يُعيَّر ويُطرد ذو السيل مع البرَّص خارج الخيمة، حتى لا يقتربوا منه ولا يتصل بالآخرين وحتى لا يُدنِّس بيده أولئك الذين يقابلونه.

بلاديوس: بما أنَّ الناموس روحي، فما هو إذن المرض النفسي الذي يشبه السيل الجسدي؟

كيرلس: بالتأكيد الناموس روحي. لقد قُلت الصواب. لكن فكر في ذاك: السيل الجسدي يؤثر سلباً علي قدرة الطبيعة على الإخصاب، ملقياً في الفراغ عطية المني ومُضعفاً قوة الأعضاء التناسلية، متسبباً في فسادها، هكذا يُبعَد الذين يعانون من هذا المرض لأنهم نجسون. اذهب - إذن - من الصورة الواضحة للمرض الجسدي إلى كل ما يحدث في الذهن. يفسد الذهن نفسه، ويتعب كضالٍّ في أمور لا تليق، فلا يستفيد بما يفعله أو ينشغل به، وهكذا لا يكون لديه أي ثمر أصيل، بل يميل دائماً إلى فعل كل ما هو غير مُجدٍ، ويلف ويدور بطريقة فائقةً متمرغاً في وحل الأقذار.

بلاديوس: ماذا تعني؟

كيرلس: يا صديقي، ألم يقل بولس العظيم إن الإنسان قد خُلِق لأعمال صالحة؟

بلاديوس: فعلاً.

كيرلس: إذن فقد أُعطي للإنسان طبيعةٌ صحيحةٌ ومناسبةٌ لكل عمل ممدوح. ألا تؤمن أنه سبق أن أُعطي لهذا الكائن الحكمة وكل علم؟ ولذلك يمكنه بسهولة أن يتحلي بالتعقل والرجولة، إضافةً إلى البر بالطبع، إذا أراد أن يفعل ما يليق، ويتبع النواميس الإلهية.

بلاديوس: أوافقك.

كيرلس: لكن إذا أهمل ولم يبالِ بهذا الأمر، فإنه لا يكون بَعدُ حكيماً، بل يصير جاهلاً وغبياً، وبالتالي لا يمكنه أن يوجِّه أرادته إلى كل ما يقودنا إلى الحق، بل يفضِّل الضلال عما يليق به، ويُسرع إلى الهلاك مع هؤلاء الذين يهدفون إلى تحريف الأمور المستقيمة وتغييرها، وهكذا لا يكون عنده معرفة حسنة وبلا لوم عن الله، ولا يمكنه أن يسلك بلا شر طالما سار معهم في طريق واحد. أليس حقٌ ما يقوله الناموس إن مَنْ يعاني ذهنياً منْ السيلان يبذِّر بلا هدف ما يمكن أن يستثمره لله؟

بلاديوس: نعم أوفقك.

كيرلس: أيضاً. ماذا إذا ترك المرء الأعمال البارة، واكتفى بأن سُرَّ بمظاهر الرجولة مُظهراً إياها بلا جدوى مُسلِّماً نفسه بالتمام للملذات؟ ألا تعتقد إذن أنه يمرض مثل ذاك الذي يعاني من السيلان، مبذراً -بإفراط- قوى الطبيعة المعطاة له لعمل كل ما هو صالح، في فعل الأمور السيئة، وعوض الثمر الروحي يفضِّل أموراً لا تُجدي أبداً؟

بلاديوس: أعتقد هذا بالطبع.

كيرلس: إذن، فعندما أمر الناموس أن نهرب -بقدر ما نستطيع- بعيداً عن هذا الذي يعاني من السيلان، فقد كان يريد أن يعلمنا أن نبتعد -بقدر ما يمكن- عن هؤلاء الذين استسلموا للدناءة، ونصد -بحسمٍ- هؤلاء الذين يتقزز منهم الله، لأنهم يعانون من نجاسة دائمة. لأنه حقاً أمر خطير أن نلتصق بالأشرار. وبالتالي حقٌ هذا المكتوب: "مَن لمس الزفت توسخ، ومَن



عاشر المتكبر مثله صار'' (حكمة بن سيراخ ١٣: ١). لأن من يعاني من هذا المرض يدنس كل شيء يلمسه: سريره وجسده وقدرة الماء والأواني الخشبية. إذن برمزٍ يعلن لنا الناموس أنه يمكن للمرء أن يشارك في نجاسته، باعتبار أن هذا المرض يعرب عن توجُّهٍ روحيٍّ أيضاً؛ لأنه مكتوب: ''وَإِذَا طَهُرَ ذُو السَّيْلِ مِنْ سَيْلِهِ، يُحْسَبُ لَهُ سَبْعَةُ أَيَّامٍ لِطُهْرِهِ، وَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ حَيٍّ فَيَطْهُرُ. وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يَأْخُذُ لِنَفْسِهِ يَمَامَتَيْنِ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ، وَيَأْتِي إِلَى أَمَامِ الرَّبِّ، إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، وَيُعْطِيهِمَا لِلْكَاهِنِ، فَيَعْمَلُهُمَا الْكَاهِنُ: الْوَاحِدَ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ، وَالآخَرَ مُحْرَقَةً. وَيُكَفِّرُ عَنْهُ الْكَاهِنُ أَمَامَ الرَّبِّ مِنْ سَيْلِهِ '' (لا ١٥: ١٣ – ١٥).

وهذا يعني أن المريض من السيلان يطهُر ويخلُص من مرضه، لكن في المسيح بالماء والدم. لأنه يقول: ''وَإِذَا طَهُرَ ذُو السَّيْلِ مِنْ سَيْلِهِ، يُحْسَبُ لَهُ سَبْعَةُ أَيَّامٍ لِطُهْرِهِ، وَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ حَيٍّ فَيَطْهُرُ'' (لا ١٥: ١٣). أما إبقاء المتطهر حتى اليوم السابع، فهو يعني بالتأكيد أنه ينبغي علي هؤلاء الذين يريدون الانتقال من دناءة الذهن إلى تتميم الأعمال اللائقة، أن يتطهروا كل حياتهم بالمحبة. لأن فترة الأسبوع تعني اكتمال الزمن، الذي يعود مرةً أخرى لنقطة البداية سيراً تجاه نهايته، وهكذا. لذلك يشدد الناموس على أنه يجب أن نسلك بالمحبة حتى ننال التطهير بواسطة المسيح. أما الاغتسال بالماء، غسل الجسد والملابس، يُفهم منه بالطبع إلى أنه يشير إلى المعمودية المقدسة، ومن ثمَّ يتبعها النقاوة بالدم؛ لأنه يقول: ''وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يَأْخُذُ لِنَفْسِهِ يَمَامَتَيْنِ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ'' (لاو ١٥: ١٤).

كما أن اليوم الثامن يشير إلى وقت تدبير التجسد لأجلنا، وذلك عندما ذُبِحَ عمانوئيل لأجلنا، اليمامة الفصيحة والمفردة، والتي بدمها اكتمل للأبد تمام كل تقديس. وكون أن اليمامتين تُظهران الرائحة الذكية لموت المسيح –باعتبار أن هذا الموت صار من أجل خلاص العالم، ولأجل إبطال الخطية– فذلك يبدو من أن إحداهما ذُبحت لأجل الخطية، والأخرى قُدِّمَت كذبيحة محرقة. أمَّا كون أن المسيح صار كفارةً لنا لأجل خطايانا حسب الكتب المقدسة، فهذا ما أظهره لنا بهذه الأقوال: ''وَيُكَفِّرُ عَنْهُ الْكَاهِنُ أَمَامَ الرَّبِّ مِنْ سَيْلِهِ'' (لا ١٥: ١٥).

بلاديوس: أحسنت القول.

كيرلس: إذن، هكذا يجب أن يتطهر ذاك الذي يعاني من السيلان كما أخبرنا الناموس الإلهي سواء أكان سيله بالإرادة أم بغير الإرادة، فالسيلان الناتج عن عمل غريزي يتساوى في النتيجة مع السيلان الناتج عن المرض، فيجب أن يتم التطهر من كليهما. لأنه يقول: ''وَإِذَا حَدَثَ مِنْ رَجُلٍ اضْطِجَاعُ زَرْعٍ يَرْحَضُ كُلَّ جَسَدِهِ بِمَاءٍ وَيَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ. وَكُلُّ ثَوْبٍ وَكُلُّ جِلْدٍ يَكُونُ عَلَيْهِ اضْطِجَاعُ زَرْعٍ يُغْسَلُ بِمَاءٍ وَيَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ. وَالْمَرْأَةُ الَّتِي يَضْطَجِعُ مَعَهَا رَجُلٌ اضْطِجَاعَ زَرْعٍ يَسْتَحِمَّانِ بِمَاءٍ وَيَكُونَانِ نَجِسَيْنِ إِلَى الْمَسَاءِ'' (لا ١٥: ١٦ – ١٨). الجُرم واحد في الحالتين ولا اختلاف على الإطلاق.

وإذا كان الناموس يشير بالسيلان إلى المرض الطويل والمستمر، إلّا أنه يشير إلى أن المرء هنا في هذه الحالة يكون أيضاً نجساً حتى لو لم يكن يعاني فساداً عضوياً كاملاً. وهذا يتفق مع الحالة التي يبدو فيها المرء وكأنه يعاني جزئياً ولفترة قليلة، وهو ما أعلن عنه تلميذ المخلص إذ يقول: ''لأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِماً فِي الْكُلِّ. لأَنَّ الَّذِي قَالَ: «لاَ تَزْنِ» قَالَ أَيْضاً: «لاَ تَقْتُلْ». فَإِنْ لَمْ تَزْنِ وَلَكِنْ قَتَلْتَ، فَقَدْ صِرْتَ مُتَعَدِّياً النَّامُوسَ'' (يع ٢: ١٠ – ١١). فالمخالفة التي حدثت، سواء أكانت شاملة أو جزئية، ولوصية واحدة تنتج عنها إدانة.

وحسب الناموس، يُحسب نجساً أيضاً مَن لم يكن نجساً بالكلية، لكنه قَبِل النجاسةَ بشكل جزئي. وعلى الرغم من أنه ليس نجساً تماماً، إلّا أنه ليس في غنى عن أن يغتسل في اسم المسيح.

وعندما يقول الناموس إن النجس يظل غير طاهرٍ إلى المساء، فإنه يشير بهذا إلى زمن مجيء المسيح؛ لأن المسيح جاء إلى الأرض في نهاية الزمان وفي مغرب هذا الدهر، هذا الذي فيه وبه تطهَّرنا من كل دنس الخطية، نحن الذين كنّا مقيَّدين بقيود المخالفات، وتخلَّصنا من الدينونة، صغيرة كانت أم كبيرة.

وأما كون أنه لا يمكن أن يحدث تطهير من النجاسة قبل زمن مجيء المسيح؛ لأنه لا يتبرر أحد بالناموس (أنظر غلا ٦: ١٥)، فيمكنك أن تدركه مما قيل بوضوح: ''وَيَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ''.

بلاديوس: أدرك تماماً ما تقوله. أنت على حق.

كيرلس: كذلك يذكر الناموس، إضافةً إلى هذا، ما يتعلق بالمرأة التي يسيل سيل دمها أياماً كثيرة في غير وقت طمثها، فمثلما يتدنس أي شيء سواء أكان ملبساً أم سريراً إذا لمسه مَن كان يعاني سيلاً، وكذلك أيضاً مَن يلمسه هو، تكون هي أيضاً بالمثل. ويحررها الناموس أيضاً بذات الطريقة، أي بالاغتسال بالماء، وبذبيحة اليمام وبالتطهير بتوسط الكاهن.

ولأن الناموس يُستخدم كمثال للأمور الذهنية، هكذا ينقلنا إلى المفاهيم الروحية من خلال الأمراض الجسدية. وفي هذا الإطار يضيف بكل وضوح: "فَتَعْزِلاَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْ نَجَاسَتِهِمْ لِئَلا يَمُوتُوا فِي نَجَاسَتِهِمْ بِتَنْجِيسِهِمْ مَسْكَنِيَ الَّذِي فِي وَسَطِهِمْ" (لا ١٥: ٣١). وهو هنا يقصد أن المتطهرين بواسطة المسيح، والذين تقدسوا فيه، هم فقط الذين يأتون ببهاء إلى الخيمة المقدسة، فلا تتدنس بعد، بل نسجد لله كلي القداسة في طهارةٍ ونقاوةٍ مغروسين في الكنائس.

بلاديوس: حسن جداً.

شريعة تطهير المرأة إذا ولدت ذكراً أو أنثى

كيرلس: وكون أن النجاسة قد أهانت الطبيعة البشرية، وأنه لا يمكن أن تتطهر بطريقة أخرى إلَّا بواسطة المسيح الكاهن الحقيقي والذبيحة المقدسة، فهذا ما سوف تدركه إذا فحصت بالتدقيق وصية أخرى؛ إذ يقول: "وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِذَا حَبِلَتِ امْرَأَةٌ وَوَلَدَتْ ذَكَراً تَكُونُ نَجِسَةً سَبْعَةَ أَيَّامٍ. كَمَا فِي أَيَّامِ طَمْثِ عِلَّتِهَا تَكُونُ نَجِسَةً. وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يُخْتَنُ لَحْمُ غُرْلَتِهِ. ثُمَّ تُقِيمُ ثَلاَثَةً وَثَلاَثِينَ يَوْماً فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا. كُلَّ شَيْءٍ مُقَدَّسٍ لاَ تَمَسَّ وَإِلَى الْمَقْدِسِ لاَ تَجِئْ حَتَّى تَكْمُلَ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا. وَإِنْ وَلَدَتْ أُنْثَى تَكُونُ نَجِسَةً أُسْبُوعَيْنِ كَمَا فِي طَمْثِهَا. ثُمَّ تُقِيمُ سِتَّةً وَسِتِّينَ يَوْماً فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا. وَمَتَى كَمِلَتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا لأَجْلِ ابْنٍ أَوِ ابْنَةٍ تَأْتِي بِخَرُوفٍ حَوْلِيٍّ مُحْرَقَةً وَفَرْخِ حَمَامَةٍ أَوْ يَمَامَةٍ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ إِلَى الْكَاهِنِ. فَيُقَدِّمُهُمَا أَمَامَ الرَّبِّ وَيُكَفِّرُ عَنْهَا فَتَطْهُرُ مِنْ يَنْبُوعِ دَمِهَا. هَذِهِ شَرِيعَةُ الَّتِي تَلِدُ ذَكَراً أَوْ أُنْثَى" (لا ١٢: ١ – ٧).

بلاديوس: ما هي الأهمية التي يعلقها الناموس على المرأة التي تلد، وما هو هدف الناموس من ذلك؟

كيرلس: أعتقد أنه من الضروري أن نتكلم هنا بمزيد من التفصيل؛ لأن مفهوم هذه الوصية عميقٌ جداً وليس من السهل سبر غورها، لكن دعنا نبتدئ في تفسيرها على قدر ما نستطيع. وفي الحقيقة يا بلاديوس أنا متعجب لأمر واحد أكثر من أي أمور أخرى.

بلاديوس: ما هو هذا الأمر؟

الاستثناء الخاص بوالدة الإله العذراء مريم

كيرلس: بالرغم من أن الناموس يلتف ضد المرأة التي تلد ولداً أو بنتاً، ويتحامل علينا بشكلٍ عام، إلَّا أنه يستثني من ذلك العذراء المقدسة –التي نكرز أن منها وُلِدَ المسيح حسب الجسد– دون كل النساء بلا تمييز، فلو أن أي امرأةٍ حبلت وولدت، فإنها لا يمكن أن تكون طاهرة.

علينا أن نأخذ في اعتبارنا أن الجسد الإلهي أخذ قوامه من الروح القدس، وتشكَّل بطريقةٍ سريةٍ داخل العذراء المقدسة دون أن يعتمد في ذلك على نواميس الطبيعة؛ لأن بكر القديسين لم يكن في حاجة إطلاقاً لزرع بشر؛ لأنه هو بداية كل أولئك الذين نالوا الولادة الثانية من الله بواسطة الروح القدس، هؤلاء هم الذين قيل لهم بوضوح: "اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ بَلْ مِنَ اللَّهِ" (يو ١: ١٣).

إذن، العذراء القديسة هي فقط التي أفلتت من إدانة الناموس، العذراء التي ولدت الطفل الإلهي دون أن تقبل زرع بشر، لكن بفعل الروح القدس.

علة عدم طهارة المرأة التي تلد

لكن المرأة التي تلد، تصير غير طاهرة بسببٍ من الولادة ذاتها، وذلك بسبب علةٍ طبيعية، أي باعتبارها تنتمي للطبيعة البشرية. فهي مدانة من قبل الناموس وتُدعى مذنبة باعتبارها نجسة؛ لأنها تلد وتغذِّي الفساد، وذلك على خلاف الحالة التي كانت عليها عندما أخذت الوجود من الله

مباشرةً، فليس لأنها ولدت تكون فاسدة، بل لأن الفساد قد ساد عليها حتماً؛ لأنها سبقت وأُدينت لمخالفتها، وهكذا أخذت الطبيعة البشرية جزاء اللعنة الإلهية على خلاف الطبيعة، لأنه طبقاً للمكتوب: ''فالله لم يصنع الموت، لأن هلاك الأحياء لا يسره. خلق كل شيء للبقاء وجعله في هذا العالم سليماً خالياً من السم القاتل فلا تكون الأرض مملكةً للموت.... لكن الأشرار جلبوا علي أنفسهم الموت بأعمالهم وأقوالهم، حسبوا الموت حليفاً لهم وعاهدوه فصاروا إلى الفناء، فكان هو النصيب الذي يستحقون'' (حكمة سليمان ١: ١٣ – ١٦). ويقول أيضاً: ''خلق الله الإنسان لحياة أبدية، وصنعه علي صورته الخالدة. ولكن بسبب حسد إبليس دخل الموت إلى العالم. فلا يذوقه إلَّا الذين ينتمون إليه'' (حكمة سليمان ٢: ٢٣ – ٢٤).

إذن، دمغ الفسادُ الذي أتى من الخارج، الطبيعةَ البشريةَ بالدنس، وأخذ الموت الذي ساد بحسد إبليس، الخطيةَ جذراً له. على أن الأمر لم يقتصر على ذلك، بل أصاب الدنسُ طبيعتَنا بطريقة أخرى، إذ ساد على كل الذين وُلدوا ثمرة محبة اللذة الجسدية، وهذا بالضبط ما يبدو مما أعلنه داود المرنم العظيم قائلاً: ''ها أنذا بالإثم صُوِّرتُ وبالخطية حَبِلَت بي أمي'' (مز ٥١: ٥). إذن فقد أصبحت الطبيعة البشرية غير طاهرة لأنها تعرضت للفساد نتيجة المخالفة واللعنة، وذلك على خلاف إرادة الله، إذ يقول: ''خلق كل شيء للبقاء و جعله في هذا العالم سليماً خالياً من السم القاتل فلا تكون الأرض مملكةً للموت.... لكن الأشرار جلبوا علي أنفسهم الموت بأعمالهم وأقوالهم، حسبوا الموت حليفاً لهم وعاهدوه فصاروا إلى الفناء فكان هو النصيب الذي يستحقون'' (حكمة سليمان ١: ١٤ – ١٦). وهو قول صحيح.

بلاديوس: ومع ذلك، فقد بيَّن الناموس الطريقة التي يمكن للمرء بها أن يتخلص من النجاسة.

كيرلس: يا بلاديوس. بالرغم من أن الناموس ذاته يديننا، إلَّا أنه لا يفتأ يُظهر لنا الطريق؛ لأنه يقول: ''تَكُونُ نَجِسَةً سَبْعَةَ أَيَّامٍ''، إضافةً إلى ثلاثة وثلاثين يوماً آخرين بسبب دنس دمها، إذا ولدت طفلاً ذكراً. أما إذا ولدت بنتاً، فإنها تظل دنسةً فترةً مضاعفة. بناءً على ذلك، فلو ولدت ذكراً ستكون الأم دنسة سبعة أيام، إضافةً إلى ثلاثة وثلاثين يوماً، أي أربعين يوماً، ولو

ولدت بنتاً ستكون دنسةً أربعة عشر يوماً، إضافةً إلى ستة وستين يوماً، أي ثمانين يوماً.

بلاديوس: ما المقصود بهذا الأمر؟

كيرلس: ينقلنا الناموس إلى فهم الأمور المستترة من خلال الأمثلة الجسدية؛ لأنه سجَّل الأمور المحسوسة وكأنها مرآةٌ للرؤية الروحية. العارفون بهذه الأشياء يقولون إنه إذا حَبِلَتْ بولدٍ، فإنه يتشكل في أربعين يوماً، أما لو كانت بنتاً، فإن تشكيلها يتأخر باعتبار أن البنت تكون مريضةً وضعيفة؛ لأجل هذا يقولون إن البنت تحتاج إلى ثمانين يوماً حتى تتشكل تشكيلاً كاملاً. إذن تظل الأم التي تلد ولداً نجسةً أربعين يوماً، بينما الأم التي تلد بنتاً تكون نجسةً لمدة ثمانين يوماً.

أمَّا بالنسبة للتطهير، فإنه يتم ذبحُ حملٍ ويمام على باب الخيمة المقدسة بواسطة الكاهن الذي يتمم التقدمة المقدسة، كذلك حدَّد الناموس أنه يجب أن يُختتن الذكر في اليوم الثامن، هذا هو المفهوم الحرفي، لكن علينا أن نسرع للرؤية الروحية، ونمضي في عرض الطريقة التي بمقتضاها سلمتنا الطبيعة للفساد والنجاسة، وبالتالي كيفية التصدي للأدناس والنجاسة، وكيفية تجنب إدانة الناموس؛ لأن انفصال الطبيعة عن وجه الله، قد استمر أزمنةً كثيرة، هذه الأزمنة كانت قبل مجيء المسيح، وهي الأزمنة التي مَلَكَ فيها الموتُ من آدم إلى موسى، والتي فيها سادت الخطية بأشكالٍ متنوعةٍ على البشر الفانين، لكن بسبب أنه في اليوم الثامن، أي بعد زمن الناموس، وذاك السبت القديم، قَبِلنا من الروح الختان غير المصنوع بيد (أنظر كو ٢: ١١)، وبما أننا صرنا شركاء الطبيعة الإلهية، صرنا على صورة المسيح، وهكذا نصُدُّ المعاصي، فتختفي النجاسة ويهرب كل الدنس الذي قبلناه؛ لأن ولادتنا لا تغذِّي بعدُ الفسادَ بسبب معصية آدم، لكن تصير نبعاً للحياة وعدم الفساد بفضل تبريرنا بواسطة المسيح الذي قَبِلَ أن يقدِّم نفسه ذبيحةً لأجلنا مثل حملٍ حقيقي بلا عيب، كيمامةٍ إلهيةٍ وروحية.

إذن، هذه هي الطريقة التي تحقق بها خلاصنا، وليس بأية طريقة أخرى. ألم يتحقق خلاصنا بواسطته؟

بلاديوس: أجل تحقق، والرمز وضَّح لنا هذا الأمر تماماً.

المقالة السادسة عشر

ضرورة تقديم ذبائح وعطايا روحية لله

كيرلس: أعتقد أن كل ما قلناه عن وجوب بذل كل الجهد في الكف عن فعل الخطية فيه الكفاية، كذلك أيضاً ما قلناه عن تطهيرنا بواسطة المسيح الذي يقدر أن يطهِّر كل دنسٍ فينا ويمحيه بفعل الروح القدس، الذي يعرف أن يُظهرنا طاهرين وقديسين. لأجل هذا أيضاً يعلن لنا القول المقدس الخاص بهذا الأمر عن فعل الروح الذي قبلناه، قائلاً: "هأَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي. وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ، وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ. هُوَذَا يَأْتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ» وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ؟ وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟ لأَنَّهُ مِثْلُ نَارِ الْمُمَحِّصِ، وَمِثْلُ أَشْنَانِ الْقَصَّارِ. فَيَجْلِسُ مُمَحِّصاً وَمُنَقِّياً لِلْفِضَّةِ. فَيُنَقِّي بَنِي لاَوِي وَيُصَفِّيهِمْ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، لِيَكُونُوا مُقَرَّبِينَ لِلرَّبِّ، تَقْدِمَةً بِالْبِرِّ" (ملا ١:٣ – ٣). كما يتوافق مع هذه الأقوال إشعياء العظيم قائلاً: "غَسَلَ السَّيِّدُ قَذَرَ بَنَاتِ صِهْيَوْنَ، وَنَقَّى دَمَ أُورُشَلِيمَ مِنْ وَسَطِهَا بِرُوحِ الْقَضَاءِ وَبِرُوحِ الإِحْرَاقِ" (إش ٤ : ٤).

إذاً، يا بلاديوس، أظنك تدرك أن نوال التبرير[١] لا يتم إلَّا بتطهيرنا فقط بالمسيح. وبالرغم من أن زوال الأدناس القديمة يعد كافياً في حد ذاته، إلَّا

١- يبرز القديس كيرلس التبرير بالمسيح مقارنةً بالناموس في شرحه لما جاء في يو ١:١٧ قائلاً: "كل مَنْ يريد أن يتعلّم أن يدرس النعمة الإنجيلّية التي وُهِبَتْ لنا بواسطة المخلّص ويقارنها بنعمة الناموس التي أعطيت بواسطة موسى، فسوف يرى أن الابن أسمى بكثير، لأنه هو واضع الناموس الذي يهب خيرات أفضل من الناموس الموسوي. ولذلك يقول الإنجيلي "النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا". وما هو الفرق بين الناموس والنعمة التي صارت بواسطة المخلّص؟.. لقد أدان الناموس الخليقة، لأنه بالناموس أغلق الله على الكل تحت الخطية (غلا ٣:٢٢) وأظهر أننا تحت العقاب، أما المخلّص فقد أعطى الحرِّية للإنسان "لأنه لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ" (انظر يو ١٢:٤٧). ومع أن الناموس أعطي نعمة معرفة الله للإنسان وجذبه من عبادة الأصنام التي أضلّت الإنسان، وبالإضافة إلى ذلك أشار إلى الشرِّ وعلّم الخير، وإن كان بطريقة غير كاملة، لكنه كان كمعلّم نافع، أما النعمة والحق اللذان بالابن الوحيد، الذي لم يقدّم لنا الخيرات في رموز، ولا رسم الأمور النافعة في ظلال، بل بوصايا مجيدة ونقيّة، يقودنا بيده، لكي ننال معرفة كاملة للإيمان" شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق، المجلد الأول، ص ١١٨.



أنه إضافةً إلى ذلك، إخبرني عن مجدنا الذي يليق بالقديسين، وعن أنه سوف يتوّجنا بكرامات سامية. ألا تظن أننا سنكون أحسن حالاً مزدانةٌ رؤوسنا بمزيد من الأكاليل إذا ما قدّمنا حياة القداسة والتقوى -كنذرٍ مقدسٍ وحقيقيٍّ- مكملين العبادة الروحية لله؟

بلاديوس: أقول هذا بالفعل.

شريعة يوم السبت ورمزيته

كيرلس: ولأن الأمر يتفق والنواميس المقدسة، وهو من تلك الأمور التي يستحسنها الله ويُسر بها. لذلك أمر أن يتوقف أي عمل يوم السبت، ولم يسمح لأحد أن يفعل شيئاً مهما كان صغيراً، قائلاً في سفر الخروج الآتي: "اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً" (خر ٢٠: ٨ – ١٠). من الواضح أن هذا المثال يشير إلى ذلك السبت الروحي[1]، أي عندما دعانا المسيح ذاته للراحة والكف عن أي عمل جسدي، وكذلك الكف عن توجيه عقولنا نحو الاهتمامات البذيئة، ملقين عن كاهلنا ثقل الخطية مبتعدين عن الدناءة، ودعانا أيضاً إلى أن نرتاح من إتيان أعمال العصيان.

هذا النوع من الراحة لم يكن معروفاً عند بني إسرائيل، باعتبارهم لم يدخلوا إطلاقاً في راحة المسيح بحسب ما قاله بولس الطوباوي (انظر عب ٤: ٥ – ٦). لكن بالنسبة لنا، فقد منحنا المسيح الراحة، وأعطانا القناعة بأن راحتنا الذهنية تتحقق عندما نكون محبين للفضيلة مستريحين فعلاً من إتيان الخطايا.

بلاديوس: ما قُلته حسنٌ جداً.

١- في حديثه عن سماح الناموس بأن يحتفظ بني إسرائيل بالمن ليوم السبت، يشرح لنا القديس كيرلس مفهوم السبت الروحي، إذ يقول: "المنّ الذي جُمِع من قبل لأجلنا بالناموس ليس عليه أي إدانة حتى عندما يُحفَّظ بحسب السبت الروحي. لأننا ننشغل بتعاليم الظلال التي أعطيت بواسطة موسى نحن الذين نحفظ السبت في اسم المسيح، مفتشين عن الحق في هذه الظلال. إنه يصف باللعنة والإدانة مسألة جمع المنّ يوم السبت. أيضاً نحن نحفظ السبت روحياً في اسم المسيح ولا نجمع بعد تلك التي أعطيت بأمثلة وظلال. لأننا لم نختتن جسدياً ولا نقدم ذبائح من البقر والخرفان وبالحري نرفض الجزء المادي للنماذج والأمثلة والظلال طالما لدينا الحق ذاته، أي المسيح" جيلافيرا على سفر الخروج، المقالة الثانية، الكتاب الشهري مايو ٢٠١٠.

كيرلس: وبالرغم من أن الله كان قد حدَّد في ناموسه ألَّا يعمل الجميع في يوم السبت، إلَّا أننا نجد أن كل الذين قد كُرِّموا بخدمته وتلقوا أمراً بالعمل في الخيمة المقدسة، وتمموا واجباتهم المقدسة، قد دنسوا السبت، وذلك حسب قول المخلّص (راجع مت ١٢: ٥)، غير أنهم لم يُدانوا على ذلك بأنهم خالفوا الناموس، بل كانوا متحررين من المسئولية.

هكذا نحن أيضاً سوف نتوقف بالتأكيد عن اهتماماتنا الأرضية في اسم المسيح محققين راحتنا الذهنية، لكننا لن نتوقف عن إتيان الأعمال المقدسة، أي من الضروري أن نقدم إلى الله ذبائح روحية وعطايا ذهنية متتبعين خطى المسيح، وفق ما هو مكتوب (انظر ١ بط ٢: ٢١). ليتنا نقدم ذواتنا ذبائح كرامةٍ لإله الجميع، ليس بخراف مذبوحة ودم عجول، بل بالحري مكرِّسين ذواتنا له كرائحة ذكية. لأننا سنسُرُّ الله ونُفرحه أكثر من كبشٍ بقرون وفق أقوال المرنم.

بلاديوس: أنت تفكر باستقامة، لكن امضِ أيضاً وَصِف –من الكتب المقدسة– أمثلة العبادة البهية والجديرة بالإعجاب.

أمثلة العبادة البهية والأعمال المقدسة

كيرلس: حسناً، قال الله في سفر اللاويين، والواضح إنه لكل بني إسرائيل: ''كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِذَا قَرَّبَ إِنْسَانٌ مِنْكُمْ قُرْبَاناً لِلرَّبِّ مِنَ الْبَهَائِمِ، فَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ تُقَرِّبُونَ قَرَابِينَكُمْ. إِنْ كَانَ قُرْبَانُهُ مُحْرَقَةً مِنَ الْبَقَرِ، فَذَكَراً صَحِيحاً يُقَرِّبْهُ. إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ يُقَدِّمُهُ لِلرِّضَا عَنْهُ أَمَامَ الرَّبِّ. وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الْمُحْرَقَةِ، فَيُرْضَى عَلَيْهِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْهُ. وَيَذْبَحُ الْعِجْلَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَيُقَرِّبُ بَنُو هَارُونَ الْكَهَنَةُ الدَّمَ، وَيَرُشُّونَهُ مُسْتَدِيراً عَلَى الْمَذْبَحِ الَّذِي لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. وَيَسْلُخُ الْمُحْرَقَةَ وَيُقَطِّعُهَا إِلَى قِطَعِهَا. وَيَجْعَلُ بَنُو هَارُونَ الْكَاهِنِ نَاراً عَلَى الْمَذْبَحِ، وَيُرَتِّبُونَ حَطَباً عَلَى النَّارِ. وَيُرَتِّبُ بَنُو هَارُونَ الْكَهَنَةُ الْقِطَعَ مَعَ الرَّأْسِ وَالشَّحْمِ فَوْقَ الْحَطَبِ الَّذِي عَلَى النَّارِ الَّتِي عَلَى الْمَذْبَحِ. وَأَمَّا أَحْشَاؤُهُ وَأَكَارِعُهُ فَيَغْسِلُهَا بِمَاءٍ، وَيُوقِدُ الْكَاهِنُ الْجَمِيعَ عَلَى الْمَذْبَحِ مُحْرَقَةً، وَقُودَ رَائِحَةِ سُرُورٍ لِلرَّبِّ'' (لا ١: ٢ – ٩).

يقدم لنا هذا النص مثالاً واضحاً للحياة التي يحياها القديسون في ملء

العشرة الروحية والمقدسة مع الله، أليس كذلك؟

هذا المثال يظهر في شكل الحيوانات الأليفة المذكورة هنا كالخروف والعجل اللذين يقدمان للذبح. هكذا نحن أيضاً نموت للعالم بتقديم أجسادنا[1] للموت لكي نحيا لله حياةً إنجيلية مصعدين ذواتنا للآب بواسطة الابن كذبيحة حقيقية روحانية ذكية الرائحة.

هذا هو الشكل العام، لكنني سوف أعرض لك أيضا كل ما يتناسب مع كل واحدٍ تفصيلاً، بمعنى كيف يقدِّم كل واحد حياته بحسب القياس الذي أعطي له من الله الذي له السلطان على الكل. واحد هكذا وآخر غير ذلك، أي بحسب ما أخذ كل واحد من الله موهبة خاصة، طبقاً لما قاله بولس (انظر ١ كو ٧: ٧).

فبأحجام الحيوانات، أو بالشكل المختلف يُشار -بطريقة موسعة- إلى عدم المساواة وعدم التشابه من جهة القدرة الروحية والذهنية. فسواء أكان أحدٌ يُمثَّل بالعجل من حيث الضخامة والقوة، أو يأتي الثاني في الترتيب من حيث الكمال مثل الحمل باعتباره صغير الجسم، كلاهما يقدِّم ذاته -أياً كان حاله- كعطية لله ومحرقة حسنة، أي أنه يكرس ذاته تكريساً كاملاً دون أن يشتت حياته على هموم العالم، وبالتالي يكون مقبولاً كلياً من الله. هذا، وقد اشترط الناموس أن تكون الذبيحة ذكراً بلا عيب؛ لأنه هكذا ينبغي أن تكون التقدمة. لأن القديسين يُعتَبَرون مثالاً للمسيح المثال الحقيقي للرجولة والكمال، حيث تشير الرجولة إلى رتبته القيادية، ويشير كماله إلى قداسته التي لا تنتمي إلى العالم المخلوق.

لأنه واحدٌ هو قائدنا، عمانوئيل[2] الذي هو بلا مقارنة كُلّي الطُهر.

١- القديس يوحنا ذهبي الفم يشرح بكل وضوح كيف نقدم ذواتنا ذبيحة في سياق تفسيره لقول بولس "فكونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء وأسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا" (أفسس٥:٤) ، إذ يقول: " فلتكن عاشقاً للمحبة، لأنك بالمحبة تَخْلُص، وبالمحبة صرت إبناً لله. وإن إستطعت أن تُنقذ آخراً، ألا تستخدم هذا الدواء، ألا تنصح الجميع به؟ "فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يُغفر لكم". هذا نموذج لأناس يشعرون بالإمتنان، وعليهم أن ينصحوا الأحرار والنبلاء أيضاً بهذه الطريقة. يقول "كما أحبنا المسيح أيضاً". أنت أيضاً فلتتراءف بالأصدقاء، وبالأعداء، فالمولود من الله هو أعظم بكثير. يقول "كما أحبنا" كيف يظهر الخلاص في كلمة "كما"؟ بالطبع يحدث هذا إن أحسنَّا إلى أعدائنا. ثم يقول "وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة". أرايت كيف أنك، إن تألمت لأجل أعدائك، فهذا يُعَّد رائحة طيبة تفوح منك دائماً، وستصبح ذبيحة حقيقية، وهذا هو معني أن تصير متمثلاً بالله " تفسير الرسالة إلى أفسس، مرجع سابق، ص ٢٤٧.

٢- يؤكد القديس كيرلس – في سياق تعليقه على إقامة العهد مع أبونا إبراهيم من خلال الذبيحة - على أن الكلمة ظَّل بعد

على الجانب الآخر، من الضروري أن نوضح أنه يجب على المكرَّسين لله أن يكونوا رجالاً وكاملين، ليس في طباعهم شيئاً أنثوياً، وألَّا يُسلموا أنفسهم للرخاوة، بل يميلون بقوة شديدة تجاه الرجولة حافظين رجولة ذهنهم ويقظته. فيما عدا هذا، أقول يجب أن يكونوا طاهرين وبلا لوم بقدر ما تسمح لهم الطبيعة البشرية، وهذا ما نراه عند داود عندما يرنم بكل تعقل وحكمة، قائلاً: "اقْضِ لِي يَا رَبُّ كَحَقِّي وَمِثْلَ كَمَالِي الَّذِي فِيَّ" (مز ٧: ٨). ذلك لأن الله قد عرف سلفاً من هو الإنسان وكيف يسلك، وذلك بالمقارنة مع الملائكة التي هي أعظم وتتخطى بمراحل قياسنا الخاص بنا.

حسنا. فلتكن إذن التقدمة المقدسة تقدمة ذكورية بلا عيب. ويؤتى بها بالقرب من باب الخيمة المقدسة. هكذا نصير كاملين، ليس كيفما اتفق، بل فقط إذا صرنا مقبولين في الكنائس من الله الآب مقدِّماً إيانا المسيح بكونه الكاهن. لأن منه نحصل على إمكانية الاقتراب؛ لأنه هو الذي دشَّن (افتتح) لأجلنا الدخول إلى قدس الأقداس، إذ أتى هو أولاً إليه، وأظهر لنا الطريق الحقيقي.

كذلك أمر الناموس مقدم الذبيحة أن يضع يده على العجل (الذبيحة) معلنا بهذا -بشكل عام- أنهم بطريقة حسنة يعلنون موتهم عن العالم[1]، وذلك بتقديم ذبيحة حيوانية بدلاً من أنفسهم، وبذلك يقدمون صورةً رمزيةً للحياة المقدسة.

لاحظ إذاً كيف يُفصح الظل لنا عن الحقيقة. يُذبح العجل أمام الرب بالطبع، لكن دمه يسكبونه على المذبح. كون أن يموت أحدٌ عن العالم ويُميت

تأنسة هو واحد مساوٍ للآب في الجوهر أى ظِلّ هو الآتى من السماء، إذ يقول "إن كلمة الله وحيد الجنس صار جسداً ورُمز إليه بالذبائح التي أوصى الله أن تُشق، وأيضاً بالطير الذي أن لا يُشق. والسبب في هذا الأمر يحمل مفهوماً مزدوجاً. فمن ناحية نتأمل ولادته الإلهية والسرية من الآب، ومن ناحية أخرى نكرز بسر تأنسه ونحن ننشر تدبيره العميق لكي يعرفه كل الذين لم يعرفوه. وبالرغم من أن السبب يحمل مفهوماً مزدوجاً، إلَّا أنه ظلَّ واحداً بدون انقسام إلى اثنين بعد اتحاده بالجسد، ولا قُطِعَ أو شُقَ إلى ابنين، لأن المسيح هو واحد وغير منقسم، وهذا ما يشير إليه النهى عن شق الطير لأنه يقول: "وَأَمَّا الطَّيْرُ فَلَمْ يَشُقَّهُ" (تك ١٥: ١٠). ويعلن من خلال الحيوانات مثل العجل والعنزة والكبش أنه أتى من الأرض كإنسان، لكن يُدرك أيضاً أنه هو نفسه الآتي من السماء، ومن فوق لأنه إله. وهذا ما أشارت إليه مسألة عدم شق الطير. وأنه بالرغم من أنه خضع للموت من أجلنا بإرادته إلَّا أن "جسده لم يرى فساداً" (مز ١٥: ١٠) كما هو مكتوب". جيلافيرا، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم، الكتاب الشهري عدد مارس ٢٠٠٥.

١- لا يعرف القديس كيرلس التفسير الشائع القائل بأن مقدِّم الذبيحة يضع يديه على الذبيحة لكي تنتقل خطاياه إلى الذبيحة، بل لكي يعلن موته عن العالم بواسطة الذبيحة التي يتوحد معها بواسطة حركة وضع اليد عليها.

شهوات الجسد لهو أمر مُسِرٌّ جداً لله وجدير بأن يجذب إليه نظر السماء، ولهذا يرنم داود العظيم قائلاً: ''عَزِيزٌ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ مَوْتُ أَتْقِيَائِهِ'' (مز ١١٦: ١٥)[1]. لأن موت القديسين يُعد هديةً مقدسةً لله. ونحن لا نقصد بالطبع الموت عن كل الجسديات، ولكن حديثنا ينصب على الموت الذي يتحمله دائماً هؤلاء الذين يموتون للعالم، لكن يحيون حياة القداسة والبر لله. لأنه من المستحيل أن تكون لنا الحياة المقدسة إن لم نمت أولاً بالنسبة للعالم[2]. يكتب بطرس عن المسيح: ''الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ'' (١ بط ٢: ٢٤).

إذاً، ذبحُ العجل يعلن بكل وضوح الموت لأجل الخطايا، وهو موتٌ ثمين بالنسبة لله الذي يحكم، لذا يجب أن ننتبه إلى ذلك بشدة. لأنه مكتوب: ''وَيَذْبَحُ الْعِجْلَ أَمَامَ الرَّبِّ'' (لا ١: ٥). أمَّا انسكاب الدم على المذبح فيعلن -كما أعتقد- عن تكريس الحياة وتعهد النفس بالحياة لأجل مجد الله. أيضاً يسلخ الذبيحة ويقطعها بحسب الأعضاء. السلخ يعني تعرية وكشف ما بداخلنا، بينما تجزئة الأعضاء، فيُظهر بطريقة حسنة مدى تعمق كلمة الله في هذه المفاصل والمخاخ. لأنه يقول: ''لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ. وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا'' (عب ٤: ١٢ - ١٣)[3].

وعندما يُشعِل الكاهن النار، توضع على المذبح الأعضاء المجزَّأة للذبيحة، وكذلك الرأس والأرجل والأحشاء مبللةٌ بالماء. لأن كل ما للقديسين تفوح منه رائحةٌ ذكيةٌ، وليس شيئاً مما آمنوا به مرفوضٌ عند الله. اللحوم هي مثال

١- يقرأ القديس كيرلس هذه الآية قراءة فريدة، فموت أتقياء الله هنا هو موتٌ عن العالم وليس إنفصال الروح عن الجسد. هكذا الله يُسر بموت أتقياءه عن شهوات العالم كما شرح القديس كيرلس.

٢- يدعونا القديس يوحنا ذهبي الفم إلى أن نتحمل الآلام حتى الموت في سياق شرحه لِما قاله بولس الرسول ''فتفكروا في الذي إحتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلّوا وتخوروا في نفوسكم'' (عب١٢:٣) إذ يقول: ''ألا يستحق أن نُجلَد آلاف المرات، أن نُمات، أن نُحرق، أن نصبر علي ميتات كثيرة، وأي شيء آخر مُخيف، أن نصبر بالكلام وبالعمل أيضاً من أجل التمتع بخيرات الدهر الآتي؟ لأنه إن إقتضي الأمر أن نحيا في آلام مستمرة، ألا ينبغي أن نصبر علي كل شيء وإن نحتمل الآلام، لكي نربح تلك الخيرات التي وعدنا بها الله؟'' تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ٣٧٥.

٣- يشرح القديس يوحنا ذهبي الفم هذه الآيات، قائلاً: ''هنا أيضاً يُظهر أن تلك الأمور (التي حدثت في العهد القديم)، صنعتها كلمة الله ذاتها، وأنها حية ولم تُمحى. إذاً لا يجب أن تعتبر كلمة الله ضعيفة أو بسيطة لأنك كثيراً ما سمعت عنها. فإنها كما يقول الرسول بولس هي '' أمضى من كل سيف'' تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ١٢٥.



لحياتهم المادية والجسدية؛ لأنها حياةٌ فاضلة ومقدسة. أمَّا الرأس فهو مثالٌ للذهن، والأحشاء تشير إلى الأفكار والرغبات، والأرجل أيضاً تشير إلى مسيرتهم العملية وما أنجزوه[1] من أعمال خلال هذه المسيرة.

بلاديوس: حديثك قوي جداً.

كيرلس: هذا الحديث بالرغم من أنه قُدِّم لنا كما في ضباب وظلمة، إلَّا أنه يعبِّر عن الحق؛ لأن الناموس عميق.

"وَإِنْ كَانَ قُرْبَانُهُ مِنَ الْغَنَمِ الضَّأْنِ أَوِ الْمَعْزِ مُحْرَقَةً، فَذَكَراً صَحِيحاً يُقَرِّبُهُ. وَيَذْبَحُهُ عَلَى جَانِبِ الْمَذْبَحِ إِلَى الشِّمَالِ أَمَامَ الرَّبِّ، وَيَرُشُّ بَنُو هَارُونَ الْكَهَنَةُ دَمَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ مُسْتَدِيراً" (لا ١: ١٠ – ١١). إذن يتم تجزئة هذه الذبيحة أيضاً، ويبللون الأحشاء بنفس الطريقة كما في حالة العجل. كما حدّد الناموس أيضاً أنه ينبغي أن توضع فوق المذبح. وفي هذه الحالة، يسري الشرح الروحي الذي ذكرناه سابقاً. لكن هناك نقطة صغيرة خاصة، وهي أن الحمل يُذبح في الجانب الشمالي للمذبح.

بلاديوس: ما هو إذاً قولك عن هذا العمل؟

كيرلس: ألا تعرف أن أرض اليهود تقع في الشمال، بينما الأجزاء التي تقع تجاه شمال البحر، فقد قسَّمها جمع الأمم الذي لا يُحصى الذي كان يسكن هناك إلى قُرى ومُدناً؟

بلاديوس: هذا حقيقي.

كيرلس: حسناً، فهذا إشارة إلى أن هذا الجمع الذي يسكن تجاه الشمال، سوف ينالون التطهير من قِبَل الله أيضاً؛ لأن الحمل ذُبح في موضع الشمال. هذا بالضبط ما أخبرنا عنه المخلّص بخصوص جمع الأمم، قائلاً: "وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هذِهِ الْحَظِيرَةِ، يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أيضاً فَتَسْمَعُ صَوْتِي، وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ" (يو ١٠: ١٦).

بلاديوس: لقد أدركت ما تقوله.

١-هنا الحياة المادية والجسدية تقدمة مقدسة تُقدم أمام الله، أي كل حياة ونشاط الإنسان على هذه الأرض مقدسة، بما فيها من إنجازات لصالح البشرية، مثل على سبيل المثال: الكفاح من أجل العدالة ورفع الظلم عن المظلومين وكذلك أي إنجاز علمي هدفه تسهيل وإزالة العوائق التي تعوق مسيرة البشرية، إكتشاف أدوية جديدة ووسائل جراحية لشفاء البشر ......الخ

كيرلس: لقد أَمَرَ إله الجميع كل الذين يريدون أن يتمموا القُدسات، أن ينتصروا على الخمول ويتخطوا اللامبالاة، لذلك جعل طريق الحصول على الثمر أكثر سهولة بأن سمح لهم أن يقدموا ذبائحهم حتى لو كانت الذبيحة من حيوانات أصغر من الحملان بكثير، قائلاً: ''وَإِنْ كَانَ قُرْبَانُهُ لِلرَّبِّ مِنَ الطَّيْرِ مُحْرَقَةً، يُقَرِّبُ قُرْبَانَهُ مِنَ الْيَمَامِ أَوْ مِنْ أَفْرَاخِ الْحَمَامِ. يُقَدِّمُهُ الْكَاهِنُ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَيَحُزُّ رَأْسَهُ، وَيُوقِدُ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَيُعْصَرُ دَمُهُ عَلَى حَائِطِ الْمَذْبَحِ. وَيَنْزِعُ حَوْصَلَتَهُ بِفَرْثِهَا وَيَطْرَحُهَا إِلَى جَانِبِ الْمَذْبَحِ شَرْقاً إِلَى مَكَانِ الرَّمَادِ. وَيَشُقُّهُ بَيْنَ جَنَاحَيْهِ. لاَ يَفْصِلُهُ. وَيُوقِدُهُ الْكَاهِنُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ الَّذِي عَلَى النَّارِ. إِنَّهُ مُحْرَقَةٌ، وَقُودُ رَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ'' (لا ١: ١٤ - ١٧).

لاحظ إذاً كيف أنه حفظ جيداً تمثُّل القديسين بالمسيح. لأن المسيح حقاً هو اليمامة السماوية ذات الصوت العذب، وكذلك الحمامة الوديعة. مكتوبٌ عنه حقاً في سفر نشيد الأنشاد: ''وَصَوْتُ الْيَمَامَةِ سُمِعَ فِي أَرْضِنَا'' (نش ٢: ١٢). والدليل على الوداعة العظيمة والسماوية، أنه قد أعطانا ذاته مثالاً حين قال: ''تَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ'' (مت ١١: ٢٩). أمَّا القديسين أنفسهم، فقد حفظ لهم كرامة ومجد الخيرات ذاتها لأنهم صاروا متمثلين بالمسيح. لأن هؤلاء اعتُبِروا مثل اليمام، يغردون لسامعيهم بالكلمة الإلهية والمقدسة، واعتنوا أن يرفعوا ترانيم عذبةً تجاه مجد الرب. لأجل هذا يقولون: ''وَلِسَانِي أيضاً الْيَوْمَ كُلَّهُ يَلْهَجُ بِبِرِّكَ'' (مز ٧١: ٢٤). وهم بالطبع يحيون الحياة الحسنة في المسيح، وطريق وداعة التعاليم الإنجيلية يسلكون فيه. ولأولئك الذين يريدون أن يلطموهم على الخد الأيمن يديرون لهم أيضاً الأيسر، ولكل الذين يجبرونهم أن يسيروا معهم ميلاً يقدمون لهم هديةً، إذا طلبوا أن يسيروا معهم ميلين (انظر مت ٥: ٣٩ - ٤١). ذواتهم يقدمونها لله كذبيحة محرقة وكرائحة سرور وكأنهم مثل اليمام والحمام.

ثم يقطع الكاهن رأس الطير ويضعه فوق المذبح، بعدما سكب دمه على قاعدة المذبح. هكذا ذهن الرجال القديسين يجب أن يُقدَّم حقاً لله كُلِّي القداسة. لأن ذهن القديسين مملوءٌ بالمفاهيم الصالحة وتفوح منه رائحة معرفة الله الحقيقية. طالما، وفق المكتوب: ''أفكار الصديقين عدل'' (أم ١٢: ٥). وأمَّا أن حياة كل الذين يحيون في خوف الله يجب أن تكون مقدسة،

فيصير واضحاً من أنه يجب أن يُسكب الدم على المذبح. لأن الدم هو مثالٌ للحياة.

يُنزع من الطير حوصلته، أي المعدة بفرثها، ويطرحها إلى جانب المذبح شرقاً إلى مكان الرماد ومعها الريش أيضاً، حيث لا فائدة له. وهذا علامة واضحة على أن حياة القديسين قد صارت مقبولة، تلك الحياة التي تسمو فوق الطعام الجسدي، لدرجة أنه لا يريد المعدة التي بها طعام. وهذا هو مثال حياة محبي الألم العظيمة الذين لم يبالوا بالطعام، بل ولا بمعدتهم ذاتها، إذ أماتوا الجسد وأبطلوا اللذات، وهكذا ظلوا أحراراً ومتحررين من أي عنصر عالمي ونافل. وهذا هو -على ما أعتقد- ما يعنيه برفض الريش. وإذا كانت الأجنحة هامة بالنسبة للطيور، فهكذا فهي أيضاً بالنسبة لنا، لأننا يمكن أن نخدم بها احتياجات الجسد الأرضي. أقصد طبعاً نصنع منها الملابس وأدوات الطعام، وبالإضافة إلى هذا يمكننا بيعها لكي نحصل على أموال لمحاربة الفقر، كما يمكننا أن نصنع منها وسائد ناعمة للأسرَّة، إلى غير ذلك من فوائد.

لكن، بالرغم من ضرورة هذه الأمور للبشر الأرضيين الذين لديهم جسد، إلّا أن القديسين يرفضونها ويعتبرونها -بلا نقاش- عدم، ويعتبرون أن مسألة الحصول على هذه الأشياء ثقل غير مفيد؛ لأنهم يقضون حياتهم عرايا تقريباً وبدون ملابس متنازلين عن احتياجات الجسد.

إذن، يضعون الطير على المذبح بعدما ينتفون الريش من الأجنحة، وينزعون الحوصلة ويشقونه بين جناحيه دون أن يفصلونه إلى اثنين. أمَّا كسر الأجنحة، فإنه يمكن أن يكون مثالاً وبرهاناً واضحاً على أن تصرفاتهم ليست متعالية، ولا يحلِّق ذهنهم عالياً، بل يسير على خطى المتضعين وينحو نحو المتواضعات والمنخفضات. لأن ذهن المتكبرين دائماً ما يحلِّق عالياً وينقض على المتعاليات من فوق، ولا يطيق الجلوس مع المتواجدين في الأماكن المنخفضة أي المتواضعين، محتقِرين التصرف المعتدل والمتواضع.

إذن، فكسر الأجنحة يعلن بطريقة رمزية كسر الكبرياء. أمَّا عدم فصل الجسد إلى نصفين، فيعلن أن القديسين يقدِّمون حياتهم الواحدة والغير



المنقسمة إلى الله، كما يعلن أن هذه الحياة لم تتوزع بين الله والعالم كالمتزوجين، الذين هم موزعون بين الله والعالم مثلما قال بولس الطوباوي[1].

إذن، فذهن القديسين (عقلهم) مقدسٌ، كما أن حياتهم أيضاً مقدسة، أسمى من الطعام الجسدي ومتحررة من الهموم العالمية، كليّة الجمال بتدبيرها المعتدل، لم تتوزعها أمور هذا العالم. لأجل هذا تُقدَّم إلى الله كأنها رائحة سرور.

بلاديوس: هكذا يكون.

كيرلس: إذن، فقد أتاح الناموس أن تتم الذبيحة بأصغر التقدمات، والتي توجد بسهولة وبدون أي تعب جاعلاً طريق المسرة سهلاً للصغار والكبار. لأنه مكتوب: "أما وصيتك فواسعة جداً" (مز ١١٦: ٩٦). لأن الله لا يهتم بحجم الثمرة، لكن إذا أعطى المرء كل ما لديه لله، فإن الله يستحسنه مهما كان صغيراً؛ لأن الله يريد أن يكرمه الإنسان بأي شيء يملكه ويكون في استطاعته تقديمه.

حسناً، لقد قال الآتي: "وَإِذَا قَرَّبَ أَحَدٌ قُرْبَانَ تَقْدِمَةٍ لِلرَّبِّ، يَكُونُ قُرْبَانُهُ مِنْ دَقِيق. وَيَسْكُبُ عَلَيْهَا زَيْتاً، وَيَجْعَلُ عَلَيْهَا لُبَاناً. وَيَأْتِي بِهَا إِلَى بَنِي هَارُونَ الْكَهَنَةِ، وَيَقْبِضُ مِنْهَا مِلْءَ قَبْضَتِهِ مِنْ دَقِيقِهَا وَزَيْتِهَا مَعَ كُلِّ لُبَانِهَا، وَيُوقِدُ الْكَاهِنُ تَذْكَارَهَا عَلَى الْمَذْبَحِ، وَقُودَ رَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ" (لا ٢: ١ - ٢). هل أدركت إذاً كيف أنه يذكر تواضع ذاك الذي يقدِّم التقدمة. لأن الناموس الإلهي يُسمي كل واحد يقدِّم تقدمةً، نفساً، حتى لو كانت هذه النفس مهمشة في هذه الحياة، وبهذا الاسم يُظهر المساواة تجاه الجميع وعدم المحاباة من جانب الطبيعة السامية. يقول أيضاً: "ها كل النفوس هي لي" (حز ١٨: ٤). لأن الله لا يُحابي الوجوه كما للتو قلت (انظر رو ٢: ١).

إذن، لو أراد أحد المتواضعين والمهمشين في العالم أن يقدم تقدمة لله، فله أن يقدم تقدمته من دقيق مسكوب عليها زيتٌ، وموضوع عليها لُبان. الدقيق يمثل الحياة، أمَّا الزيت فيرمز إلى بهجة الرجاء، واللُبان يرمز إلى الرائحة الذكية لأعمال الحياة وإنجازاتها، وهذا ما سنوضحه.

حسناً. فالناموس يقول بحسم، إن الذين يريدون أن يُفرِّحوا إله الجميع

١- "فَأُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا بِلاَ هَمٍّ. غَيْرُ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُ فَيَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ يُرْضِي امْرَأَتَهُ" (١كو٧:٣٢ - ٣٣).



بذواتهم عليهم أن يقدموا له حياتهم ويخصصوها له غير متذمرين باذلين كل جهد وتعب من أجل الفضيلة؛ لأن بولس العظيم يقول: "ولا تتذمروا" (١ كو ١٠: ١٠)، بل تكون مملوءةً بالكامل من الرائحة الذكية الروحية. عندئذٍ يقدِّم الكاهن هذه التقدمة لله لكي يذكر ذاك الذي قدَّمها. وهو ما يعني أننا سوف نأتي إلى الله الآب بواسطة المسيح بالذبيحة الروحية، ومكسبنا هو أن نكون حاضرين في ذاكرته. فبأعمال مثل هذه نصير بواسطة المسيح جديرين بتذكُّر الله لنا ومعرفته إيانا.

بلاديوس: لقد قلت هذا بشكل رائع.

كيرلس: يضيف أيضاً على ما قاله، الآتي: "وَإِذَا قَرَّبْتَ قُرْبَانَ تَقْدِمَةٍ مَخْبُوزَةٍ فِي تَنُّورٍ، تَكُونُ أَقْرَاصاً مِنْ دَقِيق، فَطِيراً مَلْتُوتَةً بِزَيْتٍ، وَرِقَاقاً فَطِيراً مَدْهُونَةً بِزَيْتٍ. وَإِنْ كَانَ قُرْبَانُكَ تَقْدِمَةً عَلَى الصَّاجِ، تَكُونُ مِنْ دَقِيق مَلْتُوتَةً بِزَيْتٍ، فَطِيراً. تَفُتُّهَا فُتَاتاً وَتَسْكُبُ عَلَيْهَا زَيْتاً. إِنَّهَا تَقْدِمَةٌ. وَإِنْ كَانَ قُرْبَانُكَ تَقْدِمَةً مِنْ طَاجِنٍ، فَمِنْ دَقِيق بِزَيْتٍ تَعْمَلُهُ. فَتَأْتِي بِالتَّقْدِمَةِ الَّتِي تُصْطَنَعُ مِنْ هذِهِ إِلَى الرَّبِّ وَتُقَدِّمُهَا إِلَى الْكَاهِنِ، فَيَدْنُو بِهَا إِلَى الْمَذْبَحِ. وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مِنَ التَّقْدِمَةِ تَذْكَارَهَا وَيُوقِدُ عَلَى الْمَذْبَحِ وَقُودَ رَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ. وَالْبَاقِي مِنَ التَّقْدِمَةِ هُوَ لِهَارُونَ وَبَنِيهِ، قُدْسُ أَقْدَاسٍ مِنْ وَقَائِدِ الرَّبِّ. كُلُّ التَّقْدِمَاتِ الَّتِي تُقَرِّبُونَهَا لِلرَّبِّ لاَ تُصْطَنَعُ خَمِيراً، لأَنَّ كُلَّ خَمِيرٍ، وَكُلَّ عَسَل لاَ تُوقِدُوا مِنْهُمَا وَقُوداً لِلرَّبِّ. قُرْبَانَ أَوَائِلَ تُقَرِّبُونَهُمَا لِلرَّبِّ. لكِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ لاَ يَصْعَدَانِ لِرَائِحَةِ سَرُورٍ. وَكُلُّ قُرْبَانٍ مِنْ تَقَادِمِكَ بِالْمِلْحِ تُمَلِّحُهُ، وَلاَ تُخْلِ تَقْدِمَتَكَ مِنْ مِلْحِ عَهْدِ إِلهِكَ. عَلَى جَمِيعِ قَرَابِينِكَ تُقَرِّبُ مِلْحاً. وَإِنْ قَرَّبْتَ تَقْدِمَةَ بَاكُورَاتٍ لِلرَّبِّ، فَفَرِيكاً مَشْوِيّاً بِالنَّارِ. جَرِيشاً سَوِيقاً تُقَرِّبُ تَقْدِمَةَ بَاكُورَاتِكَ. وَتَجْعَلُ عَلَيْهَا زَيْتاً وَتَضَعُ عَلَيْهَا لُبَاناً. إِنَّهَا تَقْدِمَةٌ. فَيُوقِدُ الْكَاهِنُ تَذْكَارَهَا مِنْ جَرِيشِهَا وَزَيْتِهَا مَعَ جَمِيعِ لُبَانِهَا وَقُوداً لِلرَّبِّ" (لا ٢: ٤ – ١٥).

بلاديوس: إن ما يقصده الناموس عميق جداً. حسناً، من فضلك تحدث لكي نتعمق في هذه المفاهيم الدقيقة حتى لا نبتعد عن هدفنا.

كيرلس: حريٌ بنا أن نفتش عن عمق هذا المفهوم وعبقريته. سوف ترى أنه قَبِل الشيء الصغير جداً مانحاً إياه الرائحة الذكية والبهجة. اسمع المسيح ذاته يقول: "وَمَنْ سَقَى أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تِلْمِيذٍ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَهُ" (مت ١٠: ٤٢). شيءٌ من مثل هذا يجب أن ندركه أيضاً هنا، ولذلك نُعظم صلاح المشرع. لأنه، كما قلت، لم يرفض

أن يتمم أي شخص الناموس بتقدمة زهيدة جداً. لقد قال: "وَإِذَا قَرَّبْتَ قُرْبَانَ تَقْدِمَةٍ مَخْبُوزَةٍ فِي تَنُّورٍ، تَكُونُ أَقْرَاصاً مِنْ دَقِيقٍ، فَطِيراً مَلْتُوتَةً بِزَيْتٍ، وَرِقَاقاً فَطِيراً مَدْهُونَةً بِزَيْتٍ. وَإِنْ كَانَ قُرْبَانُكَ تَقْدِمَةً عَلَى الصَّاجِ، تَكُونُ مِنْ دَقِيقٍ مَلْتُوتَةً بِزَيْتٍ، فَطِيراً. تَفُتُّهَا فُتَاتاً وَتَسْكُبُ عَلَيْهَا زَيْتاً. إِنَّهَا تَقْدِمَةٌ" (لاو ٢: ٤ – ٦).

بأشياء مثل النيران والآلام، والإماتات، يعلِن عن إنجازات القديسين. فالتنور والصاج، وطبعاً الطحن، هذه كلها تعتبر علامات للانسحاق والألم لكل الذين يجوزون في التجربة. لأجل هذا يكون لسان حالهم عندما يمرون في الطريق البهي، قائلين: "لأَنَّكَ جَرَّبْتَنَا يَا اَللهُ. مَحَصْتَنَا كَمَحْصِ الْفِضَّةِ" (مز ٦٦: ١٠). أنشد أيضاً داود العظيم: "ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اَللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ" (مز ٥١: ١٧). وعلى ذلك فكل الذين عانوا مزيداً من الأتعاب، من الطبيعي، أن يتبعوا هؤلاء، عندئذٍ يكونون رائحة المسيح الذكية. وكون أنه ينبغي أن يُرحموا ويغتنوا بوفرة بنعمة الروح القدس، فهذا ما سوف يتضح لمن يفحص بتدقيق استخدام الزيت واللُبان. أليس كل ما ذكره الناموس هو بمثابة رموز وظلال؟

بلاديوس: هكذا يكون.

شريعة ذبيحة السلامة

كيرلس: إذاً سوف نقدم ذواتنا إلى الله مائتين من جهة الخطية محتملين –ذهنياً– الموت المقدس، وبالطبع نحيا للبر بحسب الكتاب المقدس (انظر ١ بط ٢: ٢٤)، وكنوع من العطاء بسرور، نسلّم له حياتنا البهية التي بلا لوم، المزينة بنقوش محبة الله.

هذا ما نعرفه بوضوح بأوامر أخرى للناموس، إذ مكتوب في سفر اللاويين: "وَإِنْ كَانَ قُرْبَانُهُ ذَبِيحَةَ سَلاَمَةٍ، فَإِنْ قَرَّبَ مِنَ الْبَقَرِ ذَكَراً أَوْ أُنْثَى، فَصَحِيحاً يُقَرِّبُهُ أَمَامَ الرَّبِّ. يَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ قُرْبَانِهِ وَيَذْبَحُهُ لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، وَيَرُشُّ بَنُو هَارُونَ الْكَهَنَةُ الدَّمَ عَلَى الْمَذْبَحِ مُسْتَدِيراً. وَيُقَرِّبُ مِنْ ذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ وَقُوداً لِلرَّبِّ: الشَّحْمَ الَّذِي يُغَشِّي الأَحْشَاءَ، وَسَائِرَ الشَّحْمِ الَّذِي عَلَى الأَحْشَاءِ، وَالْكُلْيَتَيْنِ، وَالشَّحْمَ الَّذِي عَلَيْهِمَا الَّذِي عَلَى الْخَاصِرَتَيْنِ، وَزِيَادَةَ الْكَبِدِ مَعَ الْكُلْيَتَيْنِ يَنْزِعُهَا. وَيُوقِدُهَا بَنُو هَارُونَ عَلَى الْمَذْبَحِ عَلَى الْمُحْرَقَةِ الَّتِي فَوْقَ الْحَطَبِ الَّذِي عَلَى النَّارِ،

وَقُودَ رَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ" (لا ٣: ١ - ٦).

إذن، يجب أن تكون التقدمة من البقر بدون عيب؛ لأن كل ما يُصعَد إلى الله كرائحة سرورٍ للرب، يجب أن يكون طاهراً وبعيداً عن أي لوم بقدر الإمكان. وذبيحة البقر تُقدَّم بالقرب من الخيمة المقدسة بعدما يضع مقدِّم الذبيحة يده على الذبيحة.

لكن، ما هو السبب فيما قيل بوضوح من أنه يجب أن يُقدَّم الشحم الذي يغشِّي الأحشاء والكليتين بعدما ينزعون كل الشحم، وكذلك زيادة الكبد مع الكُليتين؟

أعتقد أن الشحم الموجود فوق الأحشاء يعلن عن عنفوان (صحة) الذهن، وصحة الأحشاء التي تتغذى حسناً بعطايا الروح الذهنية؛ لأن الغذاء الجيد سواء بالنسبة للحيوانات غير العاقلة، أو بالنسبة للجسد البشري، ينشئ جسماً ضخماً وممتلئاً. هكذا أيضا تمتلئ روح القديسين بكل صلاح عن طريق شركة المواهب الإلهية الوفيرة[1]؛ لأجل ذلك، فالذين يتميزون برائحتهم الذكية والمبهجة يصيرون عند الله قديسين.

أمَّا الكُليتان فتمثلان نموذجاً لعمل الذهن المستمر، الذي بمقتضاه يرفض الميل ناحية الظلم ويعتبر كل ما هو مفيد ذو قيمة، وجدير بالتفضيل. وهذا هو ما يقوله بولس العظيم: "امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ" (١ تس ٥: ٢١).

إذاً، فبما أن الكُلية تخلِّص الجسم من الزوائد، وبتقنية عالية توزع ما هو مفيد وضروري لطبيعتنا، فهي تشبه وظيفة التمييز[2] بالنسبة للذهن. وعلى ذلك،

1- عن المواهب الإلهية يقول القديس كيرلس في موضع آخر: "وعد الله بأن يجعل القفر غدير ماء. لأنه أغدق علينا نحن الذين دُعينا من الأمم بنعمة المخلص وكنهر غمرنا بالمواهب السماوية وأسكرنا بغناه الوفير. هذا ما قاله داود العظيم: "يجعل القفر غدير مياه وأرضاً يبساً ينابيع مياه" (مز ١٠٧: ٣٥)". جيلافيرا، ترجمة د. جورج عوض إبراهيم، مراجعة د. نصحي عبد الشهيد، الكتاب الشهري عدد سبتمبر ٢٠٠٩.

٢- أثناء تفسير القديس يوحنا ذهبي الفم لما قاله بولس الرسول: "وأما الطعام القوي فللبالغين الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر" (عب ٥: ١٤) يشرح مفهوم التمييز، قائلاً: "ماذا إذاً؟ ألم يكن لهؤلاء (اليهود) حواس مُدربة، ولم يعرفوا التمييز بين الخير والشر؟ هو الآن لا يشير إلى الحياة، عندما يقول: "على التمييز بين الخير والشر" (لأن هذا ممكن وسهل أن يعرفه كل إنسان)، بل يشير إلى التعاليم الصحيحة والسامية، وإلى التعاليم غير المستقيمة والمتواضعة. فالطفل لا يعرف أن يميز بين الطعام الجيد والطعام الرديء. مرات عديدة يضع في فمه طين، ويتناول شيء ضار، ويفعل كل شيء بلا تمييز. لكن الكمال ليس هكذا. مثل هؤلاء هم أولئك الذين يصغون للجميع بشكل عام، والذين يسمعون دون تمييز لغير الكاملين. وهو يُدين هؤلاء، لأنهم يسلكون بسذاجة، مُسلِّمين أنفسهم لهؤلاء مرةً، ومرة لأولئك. هذا ما يشير إليه في نهاية الرسالة قائلاً: "لا تُساقوا بتعاليم متنوعة وغريبة". هذا هو معنى "التمييز بين الخير والشر". الحلق يتذوق الطعام، بينما النفس تختبر الكلام" تفسير الرسالة إلى العبرانيين ص ١٤٦.



فإننا نعتبر أن كُليتي القديسين، هما بمثابة تقدمة مقدسة لله، ونحن نقصد هنا القدرة التي يتمتع بها الذهن على التمييز. لأن أهل الله هم وكلاء مختبرون وحكماء، يرفضون دائماً الدناءة كأمر دنس، ويعتادون مختارين تفضيل كل ما هو مفيد. هكذا اعتقد أيضاً أن المرنم اعتاد أن تكون مسرته في الصلاح، فصرخ لله قائلاً: "لأَنَّكَ أَنْتَ اقْتَنَيْتَ كُلْيَتَيَّ" (مز ١٣٩: ١٣).

أمَّا زيادة الكبد، فتُظهِر جيداً فعل النفس، أو عمل الفكر الذي يقود إلى الرغبة (الشهوة). وهناك البعض الذين قطعوا بدقة في هذه الأمور، وقرروا بحسم أن الكبد هو مخزن الشهوات لدى أي حيوان[١]. فإذا كان الأمر على هذا النحو، إذن يجب أن تُنزع أيضاً زيادة الكبد وتُقدَّم إلى الله باعتبارها تشير إلى منبع شهواتنا بحسب قول المرنم: "يَا رَبُّ، أَمَامَكَ كُلُّ تَأَوُّهِي، وَتَنَهُّدِي لَيْسَ بِمَسْتُورٍ عَنْكَ" (مز ٣٨: ٩). فإذا كانت رغبة المرء توافق إرادة الله، فإنه يتجه صوب كل ما هو حسن، وينطلق يسبح الله بإعجاب، عندئذٍ يدفعه عطشه ليفعل كل ما يريده الله، وهكذا يشعر بالفخر لأجل ذاته.

بلاديوس: أوافقك لأنك تفكر بالصواب.

كيرلس: كذلك حدد الناموس أن تتم التقدمة بنفس الطريقة حتى إذا كان الحيوان المقدم خروفاً أو جدياً من الماعز، فاختلاف الحيوانات من جهة الحجم، إنما يعلن مقدار تقوى أولئك الذين ينتجون ثمار التقوى ومدى شوقهم. فالذي ينتج ثماراً غنيةً وممتازةً، جديرٌ بأن يُفرض عليه تقدمةٌ من البقر، ومَن يعطي ثماراً معتدلة يقدِّم ذبيحةً من الخراف، وجدي المعز للذين هم أقل في الثمار من السابقين؛ لأن جدي المعز هو أدنى من الخروف. وهذا يعني أن الأرض تعطي ثماراً[٢] ثلاثون وستون ومائة وفق المثل الإنجيلي (انظر مت ١٣: ٢٨).

بلاديوس: لقد أقنعتني.

١- يبدو أن ذلك كان أحد التفسيرات الطبية التي كانت سائدة في عصر القديس كيرلس (المترجم).

٢- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم – في سياق حديثه عن الرجال الذين أرسلهم يشوع ليتجسسوا أرض الموعد ثم رجعوا وخافوا واحتقروا أرض الموعد – عن الثمار السماوية: "إن الثمر السماوي ينتقل من خلالنا، ليس هو نبيذاً محفوظاً في أواني فخارية، بل هو عربون الروح القدس، القائم في المدينة السماوية، الذي علَّم به الرسول بولس في كل موضع، هؤلاء هم الفلاحون الرائعون (الذين بذروا البذار). هذه الثمار لم يأت بها كالب بن يفنة ولا يشوع بن نون، بل يسوع إبن الآب، لقد حمل إبن الله بالحق، الفضيلة لكل أحد، وكل الثمار (الروحية)، قد أحضرها إلينا من السماء، وأعني بها التسابيح السمائية" تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ٣٤١.

تناسُب المكافأة مع التقدمة

كيرلس: وأمَّا أن يكون التعويض على قدر إنجاز كل واحدٍ، وأن تمنح المكافآت من الله بدرجة تتساوى مع ما اختاره المجتهدون من أفعال صالحة لأجل الفضيلة، فهذا ما يخبرنا به المخلّص نفسه قائلاً إن إعطاء الوزنات لا يصير بنفس الطريقة لكل واحد، فالبعض ترجّى رئاسة عشرة مدن، والبعض الآخر خمس مدن (انظر مت ٢٥: ١٥ – ٢٩). لأن حياة كل واحد سوف توزن بطريقةٍ ما، وسوف توزع المكافأة لتعادل فضائلنا[١]. هكذا يُظهر لنا ما قاله أيضاً الناموس الموسوي. لأنه مكتوب في سفر العدد: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: مَتَى جِئْتُمْ إِلَى أَرْضِ مَسْكَنِكُمُ الَّتِي أَنَا أُعْطِيكُمْ، وَعَمِلْتُمْ وَقُوداً لِلرَّبِّ، مُحْرَقَةً أَوْ ذَبِيحَةً، وَفَاءً لِنَذْرٍ أَوْ نَافِلَةً أَوْ فِي أَعْيَادِكُمْ، لِعَمَلِ رَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ مِنَ الْبَقَرِ أَوْ مِنَ الْغَنَمِ، يُقَرِّبُ الَّذِي قَرَّبَ قُرْبَانَهُ لِلرَّبِّ تَقْدِمَةً مِنْ دَقِيق، عُشْراً مَلْتُوتاً بِرُبْعِ الْهِينِ مِنَ الزَّيْتِ، وَخَمْراً لِلسَّكِيبِ رُبْعَ الْهِينِ. تَعْمَلُ عَلَى الْمُحْرَقَةِ أَوِ الذَّبِيحَةِ لِلْخَرُوفِ الْوَاحِدِ. لكِنْ لِلْكَبْشِ تَعْمَلُ تَقْدِمَةً مِنْ دَقِيق عُشْرَيْنِ مَلْتُوتَيْنِ بِثُلْثِ الْهِينِ مِنَ الزَّيْتِ، وَخَمْراً لِلسَّكِيبِ ثُلْثَ الْهِينِ تُقَرِّبُ لِرَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ. وَإِذَا عَمِلْتَ ابْنَ بَقَرٍ مُحْرَقَةً أَوْ ذَبِيحَةً وَفَاءً لِنَذْرٍ أَوْ ذَبِيحَةَ سَلاَمَةٍ لِلرَّبِّ، تُقَرِّبُ عَلَى ابْنِ الْبَقَرِ تَقْدِمَةً مِنْ دَقِيق ثَلاَثَةَ أَعْشَارٍ مَلْتُوتَةً بِنِصْفِ الْهِينِ مِنَ الزَّيْتِ، وَخَمْراً تُقَرِّبُ لِلسَّكِيبِ نِصْفَ الْهِينِ وَقُودَ رَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ. هكَذَا يُعْمَلُ لِلثَّوْرِ الْوَاحِدِ أَوْ لِلْكَبْشِ الْوَاحِدِ أَوْ لِلشَّاةِ مِنَ الضَّأْنِ أَوْ مِنَ الْمَعْزِ. كَالْعَدَدِ الَّذِي تَعْمَلُونَ هكَذَا تَعْمَلُونَ لِكُلِّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَدَدِهِنَّ. كُلُّ وَطَنِيٍّ يَعْمَلُ هذِهِ هكَذَا، لِتَقْرِيبِ وَقُودِ رَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ. وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكُمْ غَرِيبٌ، أَوْ كَانَ أَحَدٌ فِي وَسَطِكُمْ فِي أَجْيَالِكُمْ وَعَمِلَ وَقُودَ رَائِحَةِ سُرُورٍ لِلرَّبِّ، فَكَمَا تَفْعَلُونَ كَذلِكَ يَفْعَلُ. أَيَّتُهَا الْجَمَاعَةُ، لَكُمْ وَلِلْغَرِيبِ النَّازِلِ عِنْدَكُمْ فَرِيضَةٌ وَاحِدَةٌ دَهْرِيَّةٌ فِي أَجْيَالِكُمْ. مَثَلُكُمْ يَكُونُ مَثَلَ الْغَرِيبِ أَمَامَ الرَّبِّ. شَرِيعَةٌ وَاحِدَةٌ

١ـ في سياق شرحه لقانون الإيمان يشددّ ق. كيرلس على العلاقة الوثيقة بين الإيمان والأعمال، فلابد إن تعكس أعمالنا، إيماننا القويم وأيضاً من الضروري أن نعبّر عن إيماننا بأعمال وسلوك مستقيم، فيقول: "لأن الإيمان الصحيح الذي لا يُسخر به بسبب ما له من بهجة التلازم مع الأعمال الصالحة، هو يملؤنا بكل صلاح ويُظهر أولئك الذين قد حصلوا على مجد متميز. وإن كان بهاء أعمالنا يبدو إنه لا يرتبط بالتعاليم الصحيحة والإيمان الذي بلا لوم، فإن هذه الأعمال لن تنفع نفس الإنسان، بحسب رأيي. فكما أن "الإيمان بدون أعمال ميت" يع٢: ٢٠، هكذا أيضاً نحن نقول إن العكس صحيح. وهكذا فليقترن الإيمان الذي بلاعيب ويشرق مع أمجاد الحياة المستقبلية وبذلك نصير كاملين... وأولئك الذين بسبب الجهل قد قللّوا من قيمة امتلاك الإيمان المستقيم ممجدين حياتهم بسبب أعمال الفضائل يشبهون أناساً ذو ملامح حسنه في وجوههم ولكن نظرة عيونهم مصابه بتشويه وحَوَل". رسائل ق. كيرلس: ترجمة د. موريس تاوضروس د. نصحي عبد الشهيد. المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية. يونيو ١٩٩٧م، ج ٤، الرسالة رقم ٥٥، ص ٢٦ فقرة: ٢، ٣.

وَحُكْمٌ وَاحِدٌ يَكُونُ لَكُمْ وَلِلْغَرِيبِ النَّازِلِ عِنْدَكُمْ" (عد ١٥: ١ – ١٦).

بلاديوس: دعنا نرى الآن، كيف تكون المكافأة متعادلة ومتناسبة مع ما يفعله كل واحد.

كيرلس: حسناً، ألم تسمع يا صديقي الناموس الذي يقول بوضوح إنه إذا أراد أحد أن يُتمم نذراً أو يقدم محرقةً، إذا قدَّم شاةً، يجب أن يضيف إلى الذبيحة أيضاً عُشراً ملتوتاً بربع الهين من الزيت وخمراً للسكيب ربع الهين[1]؟

فلو أن الذبيحة المقدمة كبشٌ، فإن ما يُضاف سيكون أزيد، سوف يُقدِّم ثُلثاً؛ لأن الربع أقل من الثلث، وعندما يقدِّم ثوراً، فالدقيق وباقي الإضافات سوف تكون أكثر من الثلث، سيكون النصف.

بلاديوس: لقد سمعت، لكن ماذا يعني هذا؟

كيرلس: أنت تعرف، على أية حال، أن دقيق القمح هو مثالٌ للحياة، وأن الزيت مثالٌ للبهجة. لأنه مكتوب: "وَخَمْرٍ تُفَرِّحُ قَلْبَ الإِنْسَانِ، لإِلْمَاعِ وَجْهِهِ أَكْثَرَ مِنَ الزَّيْتِ" (مز ١٠٤: ١٥). هكذا أيضاً الخمر هو مثال للبهجة الذهنية والسماوية والتي تُمنح لنا بواسطة الروح.

بلاديوس: أعرف هذا الأمر جيداً.

كيرلس: بالتالي، قياساً على الثمار التي يعطيها المرء، تكون أيضاً عطية الله في الحياة بالبهجة والسرور. ولا نقصد بالحياة هنا نعمة إحيائنا من قِبَل الله، لأنه إذا قلنا إن أحدنا يحيا بشكل أعظم أو أصغر من الآخر، فإن ذلك يُعد من قبيل الثرثرة. عندما نقول الحياة، فإننا نقصد بهاء الحياة التي بمقتضاها، يتفوق الواحد فيها على الآخر، والآخر يكون فيها أدنى من الآخرين، أو يتساوى معهم، لكن ليس بدون كرامة ومجد، لأنه يقول: "نجماً يمتاز عن نجم في المجد" (١ كو ١٥: ٤١). إذاً لدينا هنا أيضاً صورة لحياة القديسين البهية تختلف باختلاف كمية الإضافات التي تضاف إلى التقدمات والتي تعبِّر عن مقدار المجد. أمَّا أن ينحني الآتين من الأمم بأعناقهم تحت نير الخلاص مع الإسرائيليين من الدم، ويقدمون نفس التقدمات، ويحققون نفس الرُقي الروحي، فهذا ما أظهره قائلاً بأنه لا ينبغي أن يخضع الأجنبي

١- الهين قياس للكم في اللغة العبرية وهو يعادل حوالي ٢كيلو و٨٤٠ جرام (المترجم).

(الغريب) لنواميس أخرى. لأن الطريق واحدٌ هو للجميع، الطريق الذي يقود إلى الشركة مع الله الآب، وهذا الطريق هو المسيح[1]؛ لأنه، كما قال بطرس العظيم: ''لَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ'' (أع ٤: ١٢).

بلاديوس: عرضك كم هو ممتاز.

كيرلس: وعندما نقول إن طرق الانجاز والتحقيق متعددة ومختلفة، فإننا لا نتجاوز الحقيقة عندما نقول أيضاً إن المكافآت سوف تُمنح بدرجة تتناسب مع قياس كل واحد، وهذا ما أوضحه لنا بولس الحكيم، قائلاً: ''مَنْ يزرع بالشُح فبالشُح أيضاً يحصد ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد'' (٢ كو ٩: ٦). وأيضاً داود كرز قديماً قائلاً: ''يكافئني الرب حسب بري. حسب طهارة يدي يرد لي'' (مز ١٨: ٢٠). أم أنك تعتقد بغير ذلك؟ على سبيل المثال: إن بر بولس أعظم من هؤلاء الذين ليسوا على ذات الدرجة من العظمة، ولا غرو أن نُعجب به (أقصد من جهة القوة الروحية)، خصوصاً عندما يكرز بوضوح قائلاً: ''وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ'' (غلا ٦: ١٤).

بلاديوس: بالتأكيد.

كيرلس: ماذا أيضاً؟ أليس من المقبول أن تكون طهارة يدي يوحنا أعظم من الآخر الذي للتو بدأ طريق الحياة الإنجيلية؟

بلاديوس: سوف نقبل. كيف لا؟

كيرلس: أيضاً، أخبرني، نحن نقول إن قاضي الجميع هو بالحقيقة بار[2]، ولذلك

١- يؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم على هذه الحقيقة في سياق قول القديس بولس ''به لنا قدوماً إلى الآب''، إذ يقول: ''لأننا لم نأت إلى الآب من تلقاء أنفسنا، بل هو الذي قادنا إليه. يقول المسيح ''ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي'' وأيضاً ''أنا هو الطريق والحق والحياة'' (يو ١٤: ٦) تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ١٠٢.

٢- أيضاً في شرحه لنص يو ٥: ٢٢ يؤكد القديس كيرلس على هذه الحقيقة، قائلاً: ''لأنه مَنْ من الناس يليق به أن يدين العالم سواه هو وحده ذاك الذي هو الله، الذي هو فوق الكل، والذي تدعوه الأسفار الإلهية، في موضع ما قائلة، ''قُمْ يَا اَللهُ. دِنِ الأَرْضَ'' (مز ٨٢: ٨)، ثم في موضع آخر ''وَلَكِنَّ اللهَ هُوَ الْقَاضِي. هذَا يَضَعُهُ وَهذَا يَرْفَعُهُ'' (مز ٧٥: ٧). وها هو المسيح يقول إن ''الآب قد أعطى كل الدينونة للابن''، ليس كأن الابن كان بلا سلطان حتى الآن، بل تدبيرياً كإنسان، معلماً أنه من المناسب أكثر أن تنسب كل الأشياء إلى الطبيعة الإلهية، إذ هو أيضاً ليس خارجاً عن الآب، لأنه هو الكلمة وهو الله الذي له السلطان في ذاته على الكل، لكن إذ جُعِلَ إنساناً، والإنسان قد قيل له ''وَأَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ؟'' (١ كو ٤: ٧)، فإنه وبشكل لائق يقر أنه يأخذ هذا السلطان وقد يقول أحد خصومنا أيضاً عن تلك الأشياء. ''ها هوذا الابن يعلن صراحة أنه قد أخذ الدينونة من الآب''، فهو يأخذ وهذا واضح لكونه لا يملك، فكيف لا يكون ذلك الذي يعطي بسلطان، أعظم وذا



فهو لا يطلب منا أن تكون فضيلتنا في مستوى ما أنجزه القديسون، بمعنى أنه طالما يعرف الحجم الحقيقي لقدرتنا، فإنه لا يمكن أن يطلب أكثر مما يملكه الشخص، أو يستطيع أن يفعله.

بلاديوس: هذا ما أقوله أيضاً. هذا بالطبع ما قاله المسيح: ''فَكُلُّ مَنْ أُعْطِيَ كَثِيراً يُطْلَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ'' (لو ١٢: ٤٨). والعكس أيضاً صحيح. يُطلب قليلاً من ذاك الذي أخذ القليل.

رمزية الفئات العمرية

كيرلس: لاحظ أن هذا الأمر مكتوبٌ أيضاً في الناموس، وأن الله يطلب من كل واحد بحسب طاقته. ولأنه هو نبع وأصل الإحسان ومحبة البشر[1]، لا يطرد أياً من أولئك الذين يسرعون إليه بالإيمان، بل يقبل كل واحد بما ينوي القيام به، وما يقدمه من تقدمات روحية، وفي كل حالة لا يطلب ما هو فوق القدرة. الناموس المتعلق بهذا الأمر مكتوب في سفر اللاويين، كالآتي: ''وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِذَا أَفْرَزَ إِنْسَانٌ نَذْراً حَسَبَ تَقْوِيمِكَ نُفُوساً لِلرَّبِّ، فَإِنْ كَانَ تَقْوِيمُكَ لِذَكَرٍ مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً إِلَى ابْنِ سِتِّينَ سَنَةً، يَكُونُ تَقْوِيمُكَ خَمْسِينَ شَاقِلَ فِضَّةٍ عَلَى شَاقِلِ الْمَقْدِسِ. وَإِنْ كَانَ أُنْثَى يَكُونُ تَقْوِيمُكَ ثَلاَثِينَ شَاقِلاً. وَإِنْ كَانَ مِنِ ابْنِ خَمْسِ سِنِينَ إِلَى ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً يَكُونُ تَقْوِيمُكَ لِذَكَرٍ عِشْرِينَ شَاقِلاً، وَلأُنْثَى عَشَرَةَ شَوَاقِلَ. وَإِنْ كَانَ مِنِ ابْنِ شَهْرٍ إِلَى ابْنِ خَمْسِ سِنِينَ يَكُونُ تَقْوِيمُكَ لِذَكَرٍ خَمْسَةَ شَوَاقِلِ فِضَّةٍ، وَلأُنْثَى يَكُونُ تَقْوِيمُكَ ثَلاَثَةَ شَوَاقِلِ فِضَّةٍ. وَإِنْ كَانَ مِنِ ابْنِ سِتِّينَ سَنَةً فَصَاعِداً فَإِنْ كَانَ ذَكَراً يَكُونُ تَقْوِيمُكَ خَمْسَةَ عَشَرَ شَاقِلاً، وَأَمَّا لِلأُنْثَى فَعَشَرَةَ شَوَاقِلَ. وَإِنْ كَانَ فَقِيراً عَنْ تَقْوِيمِكَ يُوقِفُهُ أَمَامَ الْكَاهِنِ فَيُقَوِّمُهُ الْكَاهِنُ. عَلَى قَدْرِ مَا تَنَالُ يَدُ النَّاذِرِ يُقَوِّمُهُ الْكَاهِنُ'' (لا ٢٧: ١ - ٨).

البعض يأتون ويُسجَّلون بالنسبة للتقديس والنذر لله، وأعطوا مقدماً عدد الدينارات التي حددها الناموس. لكن لو أن شخصاً لم يكن قوياً بكفاية،

طبيعة أسمى من ذاك الذي يحتاج أن يأخذ؟''. شرح يوحنا، المجلد الأول ص ٢٦٧.

١- يقول القديس كيرلس في موضع آخر: ''الصلاح في حد ذاته بالنسبة لله ليس صلاحا عن طريق مشاركة آخر، بل الصلاح لديه في طبيعته، التي تنبع من ذاته. أو بالحري هو نفسه يكون بحسب الطبيعة ما نقول عنه إنه صلاحٌ'' الكنوز في الثالوث، المقالة الثانية والثلاثون، فقرة ١١٨، ص ٥٠١.



بل كان فقيراً جداً، أو لم تكن لديه الفدية المقدمة حينذاك وفق النواميس المحددة، حينئذٍ يفحصه الكاهن الذي يؤدي الخدمة ويحدِّد دينه قياساً على مقدرته. حسناً هذا هو الشرح الظاهر ومفهوم الأقوال المكتوبة. لكن اعتَبِر أنه من الضروري عليَّ أن أذكر لهؤلاء الذين يدرسون -بشغفٍ للتعلم- الأقوال المقدسة التي تؤكد ذلك: ففي إحدى المرات تحدث المسيح للفريسيين وذكر بوضوح ونقاء هذه الوصية. حسناً، لقد اتبع الفريسيون نمط حياةٍ خارجٍ عن حدود الناموس معلّمين بوصايا الناس، بحسب ما هو مكتوب، واقتربوا منه وسألوه: ''لِمَاذَا يَتَعَدَّى تَلاَمِيذُكَ تَقْلِيدَ الشُّيُوخِ، فَإِنَّهُمْ لاَ يَغْسِلُونَ أَيْدِيَهُمْ حِينَمَا يَأْكُلُونَ خُبْزاً؟'' (مت ١٥: ٢). أجاب المخلّص مباشرةً: ''وَأَنْتُمْ أَيْضاً، لِمَاذَا تَتَعَدَّوْنَ وَصِيَّةَ اللهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ؟ فَإِنَّ اللهَ أَوْصَى قَائِلاً: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَمَنْ يَشْتِمْ أَباً أَوْ أُمّاً فَلْيَمُتْ مَوْتاً. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ: مَنْ قَالَ لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ: قُرْبَانٌ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي. فَلاَ يُكْرِمُ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ. فَقَدْ أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ!'' (مت ١٥: ٣ - ٦).

حقاً أيها الفريسيون محبو المال، لقد أحببتم المكسب ورغبتم في رؤية الكثيرين الذين يأتون لكي يتمموا ما فرضه عليهم الناموس، فقط لتنتفخ أكياسكم وتجمعون بيد لا تشبع من كل مَن يأتي.

لكن كان من الطبيعي أن يُرجِئ البعض إيفاء المفروض عليهم متعللين كذباً بفقرهم، إضافةً إلى أنه يجب عليهم أن يعتنوا بآبائهم أو أمهاتهم. لكن بالرغم من ذلك فقد كان هؤلاء الفريسيون الخبثاء يجمعون منهم المكسب بسهولة، وذلك بأن يشجعونهم على تقديم مخصصاتهم، ولكن بعيداً عن وصية الناموس، أقصد تكريم الوالدين وتوقيرهم والاهتمام بهم، وبذلك يكونوا قد أهملوا ما أوجبه الناموس. ولأن سلب أي شيء من المخصصات الواجب تقديمها لله، أمر جديرٌ بالإدانة بحسب الناموس، نصحوا هؤلاء بأن يقولوا لوالديهم الذين طلبوا مساعدتهم: ''قُرْبَانٌ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي'' (مت ١٥: ٥)، أي أن هذا الذي سوف أُعطيه لك مخصصٌ لله، وليكن معلوماً لديك أنك سوف تخالف الناموس إذا أخذت شيئاً مما هو مخصصٌ لمجد الله. وهكذا يؤكد هؤلاء المدخِلون للتدابير السيئة أن القسوة تجاه الوالدين ليست هي السبب في مخالفة الناموس؛ لأن أولئك فضّلوا أن

يخصصوا –وفق الناموس– ثروتهم لله. هذا ما يعنيه بقوله: ''مَنْ قَالَ لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ: قُرْبَانٌ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي. فَلاَ يُكْرِمُ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ'' (مت ١٥: ٥). وكأن الفريسيين قد أعطوا أولئك الذين يقولون: ''قُرْبَانٌ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي'' تصريحاً بعدم تكريم الأب، ومنع توقير الأم، بحجة أن ما يأخذه الأب أو الأم هو تقدمة إلهية، وبالتالي يصير أيهما سارقاً لهذه التقدمات في حالة الحصول عليها.

بلاديوس: أوافق على أن ما قلته حقيقيٌّ وصحيح.

كيرلس: طالما أن الأمر التاريخي قد اتضح لنا، دعنا نمضي إلى الجانب الروحي وننشغل بما هو فوق الرؤية المحسوسة.

بلاديوس: دعنا ننطلق.

كيرلس: يا بلاديوس: إن كل واحد منَّا، نحن الذين تبررنا بالإيمان وتقدسنا بعطية الروح، نصير تقدمةً مقدسةً لله، وحياةُ كل واحد منَّا مدينةٌ للمسيح. لأنه، كما قال بولس العظيم: ''قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ، فَلاَ تَصِيرُوا عَبِيداً لِلنَّاسِ'' (١ كو ٧: ٢٣)، وأيضاً: ''وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ'' (٢ كو ٥: ١٥). لقد امتلكنا بتقدمة ذاته نفسها؛ لكي يقدمنا إلى الله الآب، كأنه اشترانا بدمه[1]. ولهذا، فنحن نأتي إلى مخلِّص الجميع، المسيح –بالإيمان والتقديس– مقدِّمين عوضاً عن كل ما فعله لأجلنا، حياتنا الفاضلة. لكن لكلٍ منّا طريقته المختلفة عن طريقة الآخر. لأن البعض يفتقرون إلى القوة، بينما آخرون برغبة شديدة ينقضُّون ويلقون أنفسهم بروح مليئة بالحيوية، ونفسٍ مستيقظةٍ، واندفاعٍ قوي في محاولة أن ينجزوا كل ما يريدون تحقيقه، وبذلك يستطيعون تقديم ما هو مُسر عند الله. هؤلاء يمكنهم أن يكونوا –وفق ما ورد في نص الكتاب– في الفئة العمرية من عشرين حتى ستين سنةً. لأن الجسد يكون حتى الستين

١ـ يؤكد القديس كيرلس على حقيقة أن المسيح إشترانا بدمه -في سياق شرحه لمعجزة تحويل ماء النهر إلى دم عن طريق سكب موسى النبي لماء النهر على اليابس- إذ يقول: ''لو لم يسكب موسي الماء علي الأرض، لمَا تغير إلي دم، الذي هو علامة الموت الظاهرة. الكلمة الذي أتي من الله، خارج الجسد، هو الحياة ومانح الحياة، لكنٍ عندما سكن في الجسد، عندئذٍ نقول أنه مات بكونه إنساناً. هذه بالتالي هي معجزة جذبت إلي الإيمان بقية إسرائيل وأيضاً معهم دُعي أيضاً جمع الأمِم. مَنْ سوف لا يتحول إلي الإيمان وهو ينظر إلي الموت، الذي هو مُرعب ومحزن للبشر، يحتضر ويضعف والفساد يبطل والطبيعة البشرية تنتقل إلي رجاء الحياة الأبدية؟ لأنه، كما متنا مع آدم، هكذا قد قُمنا مع المسيح، وسوف يؤكد لنا هذا الأمر بولس العظيم قال: ''لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ'' (١كو١٥:٢٢). لأنه إشترانا بدمه، وأعطي لنا حياته بدلاً من حياتنا'' جيلافيرا على سفر الخروج، الكتاَب الشهري، أغسطس ٢٠١٠.

قوياً وفي قمة عمله. والعقل يكون ثابتاً وقوياً ويمكنه أن يتعلم ما يريده. لأن ذاك الذي يعرف مما خَلَقَنَا بحسب ما هو مكتوب (انظر مز ١٠٣: ١٤)[١]، يعرف على أية حال، أن النفوس تعيش مثل هذا العمر. لأن الحديث يمضي تجاه الأمور الذهنية بتشبيهات جسدية. وعلى ذلك، فأي شخص سواء كان رجلاً أو امرأة، طالما كان في قمة عمره الروحي، فعليه أن يقدم ما أوصى به الناموس. بمعنى أن الرجل يقدم خبزاً بخمسين شاقل، أي يقدم ما يعبِّر بالأكثر عن ثمرة العبادة الروحية الكاملة، التي يرمز لها بسبع مرات، والسبعة تبدو بوضوح أنها شهادة للحياة السامية وللكمال. المرأة أيضاً –بسبب طبيعتها– تقدم بثلاثين شاقل الثمرة الكاملة لتعبها، التي أُعلنت بالعشرات الثلاث. أمَّا الذين يقعون في الفئة العمرية من خمس إلى عشرين سنة، فعليهم أن يقدموا عشرين شاقلاً لو كانوا أولاداً، بينما البنت تقدم عشرة شواقل. لأن الذهن يبدأ للتو ينفتح تجاه الفهم عند بلوغ خمس سنوات، وإن كان ما يزال طفولياً وضعيفاً، إلَّا أنه يتقدم للأفضل ويرتقي باستمرار تجاه جسد قوي. هل تدرك ما أقوله؟

بلاديوس: نعم أدركه جيداً.

كيرلس: إذاً فالثمرة التي يقدمها كل شخص تتناسب مع قدراته الروحية[٢]. وهذا ما نراه في حالة المرأة؛ لأنها تتبع دائماً الرجل، وباعتبارها إناءً ضعيفاً، وهذا هو ما شهد به بولس العظيم (انظر ١ كو ٧: ٣، ١ بط ٣: ٧). أما الذين يقعون في الفئة العمرية من شهر إلى خمس سنوات، فالولد يضع خمسة شواقل، والبنت ثلاثة. وأتساءل ما هو الثمر الذي يمكن للأطفال أن يقدموه؟ الحديث هنا يشير إلى الطفل في المسيح، عن هؤلاء يقول بولس إنه يتناسب معهم اللبن كغذاء (انظر عب ٥: ١٢، ١ كو ٣: ٢). أي أن كل الذين دُعُوا حديثاً للإيمان ومازالوا أطفالاً تكون ثمارهم قليلة.

١- ”لأَنَّهُ يَعْرِفُ جِبْلَتَنَا. يَذْكُرُ أَنَّنَا تُرَابٌ نَحْنُ“.

٢- يشرح القديس يوحنا ذهبي الفم هذه الحقيقة في سياق قول القديس بولس ”بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنْمُو فِي كُلِّ شيء إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ، الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّباً مَعاً، وَمُقْتَرِناً بِمُؤَازَرَةِ كُلِّ مَفْصِلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحَصِّلُ نُمُوَّ الْجَسَدِ لِبُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ“ (أف ٤:١٥ ـ ١٦) إذ يقول: ”إن المعني الذي يقصده هو الآتي: تماماً مثل الفكر الذي يخرج من العقل عن طريق الأعصاب، ولا يُعطي التأثير لكل الأعضاء بشكل عام، بل لكل عضو بالقياس الذي يتناسب مع إمكانية ذلك العضو على إستقبال هذا، فيوجد عضو يتأثر كثيراً وآخر يكون تأثُّره ضئيلاً، لأن الفكر هو الأصل أو الجذر، هكذا المسيح أيضاً، فإن النفس متحدة به كعضو، وعنايته بها ومنحه للمواهب، تُعطي حسب قياس كل واحد، ويُعطى النمو بحسب قدرات كل عضو“ تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ١٨٤.

لقد كتب التلاميذ القديسون -وهم يدركون هذا الأمر- للمسيحيين من الأمم بعدما أعطوهم وصايا إنجيلية كثيرة، قالوا لهم إنه يجب أن يحفظوا الوصايا ويبتعدوا عن الزنا، وعن أكل المخنوق، ولا شك أن الذين يفعلون هكذا يتقدمون روحياً (أع ١٥: ٢٠). لأن العقل الرقيق والطفولي لا يجب أن يتثقل بوصايا ثقيلة.

أضاف الناموس، أنه كان يجب أن يُطلب من كل الذين بلغوا ستين عاماً فصاعداً خمسة عشر شاقلاً من الرجل، وعشرة شواقل من المرأة. فيكون معنى هذا أن الذي مال بالفعل ناحية الضعف لا يستطيع أن يعطي ثماراً كثيرةً، وذلك على غرار النبات الذي شاخ؛ لأن العجز قد طال جذره، فيتأخر عن إعطاء ثمارٍ ناضجةٍ.

إذاً، فالله البار بالحق والرحوم يقبل ثماراً على قدر كل واحد ومدى ملائمة ذهنه، ولا يرفض الضعفاء روحياً وغير الناضجين ولا يطردهم كخاملين. كذلك لا يترك بدون مكافأةٍ، الأقوياء روحياً، بل يوسِّع تقدُّمهم الذي يطلبونه قياساً بإمكانية كلٍ منهم. وبغض النظر عن آرائنا الشخصية، فالله الذي يعرف الكل، يحسب بنفسه ثمرهم بحسب إمكانيتهم. لأن هذا ما يعنيه بقوله: ''وَإِنْ كَانَ فَقِيراً عَنْ تَقْوِيمِكَ يُوقِفُهُ أَمَامَ الْكَاهِنِ فَيُقَوِّمُهُ الْكَاهِنُ. عَلَى قَدْرِ مَا تَنَالُ يَدُ النَّاذِرِ يُقَوِّمُهُ الْكَاهِنُ'' (لا ٢٧: ٨).

بلاديوس: كم هي دقيقة هذه الصياغة.

ما هي التقدمة التي تتناسب مع الحياة في المسيح؟

كيرلس: يا بلاديوس، أنت تعرف أن واحداً من القديسين قد كتب: ''أَكْرِمِ الرَّبَّ مِنْ مَالِكَ وَمِنْ كُلِّ بَاكُورَاتِ غَلَّتِكَ'' (أم ٣: ٩)، لذا يجب أن نقدم لله -مثل رائحة ذكية- حياتنا المقدسة واللائقة وزينات الحياة الحسنة والفائقة، كأنها دينٌ علينا. وقد اعتبر القدماء أن الذبائح الحيوانية والبخور باللُّبان أمرٌ ثمين؛ لأن تلك كانت طريقة الحياة في ظل الناموس، لكننا نحن الذين نعيش الآن بالإيمان في المسيح، وقد سلكنا الطريق الأفضل والأسمى، ليتنا نقدِّم السجود الروحي والحقيقي لله ملقين عن كاهلنا أي غبارٍ للناموس، الناموس الذي يقيِّدنا؛ وذلك لكي نستطيع أن نقدم بسخاء كل ما هو

لائق، ونكرّم الله بتقدمات روحية ومقدسة[1]. لأنني أعتقد أنه يجب أن نتذكر هذا الذي قاله من خلال موسى الحكيم: "مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيْكَ احْفَظْ وَاعْمَلْ، كَمَا نَذَرْتَ لِلرَّبِّ إِلهِكَ تبرُّعاً، كَمَا تَكَلَّمَ فَمُكَ" (تث ٢٣: ٢٣). بمعنى أن كل ما رتبته، أسرع في عمله؛ لأن التأخير في مثل هذه المسائل ليس بدون ضرر؛ لأنه يقول: "لاَ تَسْتَعْجِلْ فَمَكَ وَلاَ يُسْرِعْ قَلْبُكَ إِلَى نُطْقِ كَلاَمٍ قُدَّامَ اللهِ" (جا ٥: ٢).

بلاديوس: هذا حقيقي.

كيرلس: وكون أنه يجب على المرء أن يتمم نذوره ووعوده، فيمكن لهذا الشخص أن يعرفه بشكل صحيح من الناموس ذاته. لأنه مكتوب: "سِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلاَمُكَ وَنُورٌ لِسَبِيلِي" (مز ١١٩: ١٠٥). ألم يُنِرْ لنا الناموس الإلهي؟ ألا يسير المرء في طريق صحيح وقويم آخذاً الناموس كسراج ونور؟

بلاديوس: كيف لا، وداود العظيم يرنم قائلاً: "وَصَايَا الرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ تفَرِّحُ الْقَلْبَ. أَمْرُ الرَّبِّ طَاهِرٌ يُنِيرُ الْعَيْنَيْنِ" (مز ١٩: ٨).

كيرلس: إذاً ما هي الطريقة التي يمكننا بها أن نحيا حياةً ممجدةً ونقية، نقدِّم فيها -كتقدمة لله- أعمالنا الصالحة؟ سوف تعلم، بشكل واضح، أن الله أمرنا بهذا بتشريعات أخرى وهذا صار في سفر العدد، كالآتي: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِذَا انْفَرَزَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ لِيَنْذُرَ نَذْرَ النَّذِيرِ، لِيَنْتَذِرَ لِلرَّبِّ، فَعَنِ الْخَمْرِ وَالْمُسْكِرِ يفْتَرِزُ، وَلاَ يَشْرَبْ خَلَّ الْخَمْرِ وَلاَ خَلَّ الْمُسْكِرِ، وَلاَ يَشْرَبْ مِنْ نَقِيعِ الْعِنَبِ، وَلاَ يَأْكُلْ عِنباً رَطْباً وَلاَ يَابِساً. كُلَّ أَيَّامِ نَذْرِهِ لاَ يَأْكُلْ مِنْ كُلِّ مَا يُعْمَلُ مِنْ جَفْنَةِ الْخَمْرِ مِنَ الْعَجَمِ حَتَّى الْقِشْرِ. كُلَّ أَيَّامِ نَذْرِ افْتِرَازِهِ لاَ يَمُرُّ مُوسَى عَلَى رَأْسِهِ. إِلَى كَمَالِ الأَيَّامِ الَّتِي انْتَذَرَ فِيهَا لِلرَّبِّ يَكُونُ مُقَدَّساً، وَيُرَبِّي خُصَلَ شَعْرِ رَأْسِهِ. كُلَّ أَيَّامِ انْتِذَارِهِ لِلرَّبِّ لاَ يَأْتِي إِلَى جَسَدِ مَيْتٍ. أَبُوهُ وَأُمُّهُ وَأَخُوهُ وَأُخْتُهُ لاَ يَتَنَجَّسْ مِنْ أَجْلِهِمْ عِنْدَ مَوْتِهِمْ، لأَنَّ انْتِذَارَ إِلهِهِ عَلَى رَأْسِهِ. إِنَّهُ كُلَّ أَيَّامِ انْتِذَارِهِ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ. وَإِذَا مَاتَ مَيْتٌ عِنْدَهُ بَغْتَةً عَلَى فَجْأَةٍ فَنَجَّسَ رَأْسَ انْتِذَارِهِ، يَحْلِقُ رَأْسَهُ يَوْمَ طُهْرِهِ. فِي الْيَوْمِ السَّابعِ يَحْلِقُهُ. وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يَأْتِي بِيَمَامَتَيْنِ أَوْ بِفَرْخَيْ حَمَامٍ

[1] إن ذبيحة التسبيح هي من التقدمات الروحية، إذ نصلي في القداس الإلهي قائلين: "بشفاعات والدة الإله القديسة مريم يا رب انعم لنا بمغفرة خطايانا نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصالح والروح القدس لأنك أتيت وخلصتنا رحمةً، سلام، ذبيحة التسبيح".

إِلَى الْكَاهِنِ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، فَيَعْمَلُ الْكَاهِنُ وَاحِداً ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ، وَالآخَرَ مُحْرَقَةً وَيُكَفِّرُ عَنْهُ مَا أَخْطَأَ بِسَبَبِ الْمَيْتِ، وَيُقَدِّسُ رَأْسَهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ. فَمَتَى نَذَرَ لِلرَّبِّ أَيَّامَ انْتِذَارِهِ يَأْتِي بِخَرُوفٍ حَوْلِيٍّ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ، وَأَمَّا الأَيَّامُ الأُولَى فَتَسْقُطُ لأَنَّهُ نَجَّسَ انْتِذَارَهُ" (عد ٦: ١ - ١٢).

بلاديوس: لم تَغِبْ الصعوبة عن فهم هذه النبوة. على الأقل كنت أستطيع أن أفهمها لو لم ينشغل الناموس بالتفاصيل. فأي عبادة في عدم حلاقة المرء شعره، بل يتركه ليطول ويتموج، أو في ابتعاده عن الخمر والخل، وامتناعه عن أن يأكل عنباً رطباً أو يابساً.

كيرلس: صحيح يا بلاديوس ليس في ذلك أي نوعٍ من العبادة، لو أننا نظرنا إلى الموضوع بصفةٍ عامةٍ، دون الغوص في جوهره. لا يخلو ما هدف إليه الناموس هنا من الإعجاب والاندهاش، فهو إذ يسجل سلوكيات الأمم الأخلاقية بطريقة رائعة، فإنه ينقل بطريقة جميلة ما يبدو أنه بلا فائدة إلى أيقونة الحياة الإنجيلية. فلو نذر شخصٌ أن يكرس نفسه للرب، عن طريق التعليم السامي والبر التام والحياة التي بلا لوم، فعليه أن يبتعد عن الخمر والمسكر، أي عليه أن يبتعد عن أي شيء يمكن أن يُسبّب سُكراً، بل عليه أن يؤمِّن ذهنه ضد أي شيء يعكِّره. فالشهوات الأرضية، والهموم الجسدية والانشغالات الباطلة هي بمثابة التدبير الجسدي والعالمي[١]. وهذه الأمور يعاني منها بعض الكهنة؛ لذا يرثيهم الحديث النبوي فيقول: "الْكَاهِنُ وَالنَّبِيُّ تَرَنَّحَا بِالْمُسْكِرِ. ابْتَلَعَتْهُمَا الْخَمْرُ. تَاهَا مِنَ الْمُسْكِرِ" (إش ٢٨: ٧). وأيضاً النبي يتحدث عن آخرين: "لأَنَّ مِنْ جَفْنَةِ سَدُومَ جَفْنَتَهُمْ، وَمِنْ كُرُومِ عَمُورَةَ. عِنَبُهُمْ عِنَبُ سَمٍّ، وَلَهُمْ عَنَاقِيدُ مَرَارَةٍ. خَمْرُهُمْ حُمَةُ الثَّعَابِينِ وَسَمُّ الأَصْلاَلِ الْقَاتِلُ" (تث ٣٢: ٣٢ - ٣٣). ويُقال إن أشخاصاً آخرين يسقون جارهم خمراً مغشوشاً (انظر حبقوق ٢:١٥). إذاً فهو يمنع عقل المكرَّسين لله عن أي شيء يسكرهم.

١- يشرح أيضاً القديس يوحنا ذهبي الفم هذه الحقيقة في سياق شرحه لما قاله بولس الرسول "لا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات" إذ يقول: "وبالصواب قال "لأجل الشهوات"، لأن حب اللذة يُغذي الشهوات المخالفة للعقل، ولو أن مُحِب اللذة هو أكثر تعقلاً من الجميع، فعلي كل الأحوال سُيعاني شيئاً بسبب شرب الخمر، كما أنه سيتجمد في مكانه نتيجة الأطعمة الزائدة، وحتماً ستزيد الشهوة من لهيب اللذة. من هنا يأتي العهر والزنا، لأن البطن الجائعة لا يمكن أن تلد حب اللذة، بل ولا تلك التي هي مكتفية، بل إن البطن التي تلد شهوات مخالفة للعقل، هي التي تعيش بإسراف، بسبب حب اللذة. تماماً كما أن الأرض الممتلئة بالندي والرطوبة بشكل كبير تلد حشرات، كذلك روث البهائم المبلل بشكل كبير يصنع نفس الشيء، بينما الأرض غير الممتلئة بهذه الرطوبة الكبيرة وهذا الماء، بل مروية بشكل قانوني، فإنها تأتي بثمر كثير، حتى وإن كانت لم تُفلح بعد، فإنها تنتج عشباً، لكن عندما تُفلح تنتج ثمار كثيرة، هكذا نحن أيضاً" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص٣٩٣ - ٣٩٢.



أيضاً يقول بوضوح إنه يجب عليه ألَّا يتناول الخل مطلقاً، والخل يشير إلى اللذات التي على خلاف الطبيعة، أي تلك التي ينجرفون فيها. أيضاً ممنوعٌ استخدام العنب الرطب واليابس، أي غير مسموح للذهن أن يغوص في الفتات القديمة للذات التي توجد داخلنا. الخمر وكل ما يأتي منه يقع تحت دينونة الناموس لأجل هذا السبب بالضبط، لا لشيء آخر على ما أعتقد. أيضاً ما الذي يمكن أن تعلنه وصية الناموس بوجوب أن يترك المرء شعره طويلاً لأجل الله؟ دعنا نتحدث الآن عن هذا الأمر.

لما كان الأمميون الأغبياء -وهم يتبعون عادات على خلاف الطبيعة ويحيون مثل الحيوانات غير العاقلة- يتركون شعورهم ويغذونها لأجل الشياطين، الواحد لأجل عرائس أوريادیس والآخر لأجل النهر، كانوا يعتبرون هذا الأمر كأحد طرق العبادة بالنسبة لهم. ولأن بني إسرائيل لم يستطيعوا أن يُخرجوا من عقولهم أمورهم العتيقة التي اكتسبوها في مصر، لذلك شرَّع موسى الحكيم، أو بالحري الله الحكيم والعظيم بواسطة موسى، شرَّع ذات الأمور، ولكن بدلاً من أن كانت هذه السلوكيات والطُرق القديمة تُستخدم في العبادات الشيطانية، حوَّلها تجاه إله الكل داخل نماذج وأمثلة وظلال. لذلك، فبالرغم من أنه حدَّد شروطاً للذبائح، وقَبِلَ هذه التقدمات إلَّا أنه لم يكن يريدها. وهذا هو ما نادى به بوضوح بفم أشعياء: ”مَنْ طَلَبَ هذَا مِنْ أَيْدِيكُمْ“ (إش ١: ١٢). من هنا يتضح لنا أن عادات الأمم كانت مخالفة للصواب، بينما الناموس يعلِّم الأمور الأفضل، وهكذا يعيد ترتيب ما يبدو لا هدف له ويضعه في الوضع الصحيح. هل تريد أن نتحدث، بقدر إمكاننا عن كلٍ من هذه الترتيبات على حدة؟

بلاديوس: أريد بالتأكيد.

كيرلس: ألا يعتبر حلق رأس هؤلاء وتعريتها لدرجة القَرَع، بمثابة إهانة لهم؟

بلاديوس: نعم أوافقك.

كيرلس: إنه أمرٌ مُهين، خاصةً أن الله يقول لأم اليهود، وأقصد أورشليم: ”كُونِي قَرْعَاءَ وَجُزِّي مِنْ أَجْلِ بَنِي تَنَعُّمِكِ. وَسِّعِي قَرْعَتَكِ كَالنَّسْرِ، لأَنَّهُمْ قَدِ انْتَفَوْا عَنْكِ“ (ميخا ١: ١٦).

إذاً، فحلق الشعر يُعدُ إهانةً وازدراءً يليق تماماً بالحزانى.

بلاديوس: ما قلته صحيح.

كيرلس: وعلى ذلك، فعندما يتعرى العقل من تلك الأفكار الصالحة التي بمقتضاها يكون عجيباً، يكون مهاناً ومجللاً بالعار. ولا ينجو من ذات المصير ضيقو العقول وأصحاب الفكرة الخاطئة عن الله، لذلك تجدهم يسجدون للحجارة، ويتجرءون بغباء على أن ينسبوا الوقار للخليقة لا للخالق والباني، فالعقل غير المملوء بالأفكار الصالحة على عكس الرأس المملوءة بالشعر الغزير، يتصرف ويتكلم بأمور منحرفة تماماً، ويرفض الإيمان الحقيقي الذي بلا لوم، مندفعاً تجاه تلك الأمور الغبية التي يعلمها كل أحد.

بلاديوس: أنت تتحدث بطريقة رائعة جداً.

كيرلس: إذاً ليت ذهننا يمتلئ بالأفكار المستقيمة[1]، ويتوَّج -كما بشعرٍ غزير وفير- من الابتكارات العجيبة من كل جانب. لأن صاحب هذا الذهن مملوءٌ من التعقل بدرجة عظيمة، وهو مناسب لأن يجعل داخله نور المسيح بالإيمان. وطالما أن هذا الذي له هذا الذهن اللائق، عاش مثل هذه الحياة الأصيلة والمميزة، لذا تأمرنا الوصية الإلهية أن يُبعد عن أي أمر يمكن أن يلوثه، أي أن يتجنب الأعمال الجسدية ويرفض كل ما يمكن أن يقود إلى الموت والفساد. وهذا ما تشير إليه مسألة أنه لا ينبغي أن يقترب إلى الأموات، حتى لا يتلوثوا من الموت. من هذا يمنعنا الناموس واضعاً إرادة الله فوق التوقير الموجَّه للوالدين. لأنه يقول: "أَبُوهُ وَأُمُّهُ وَأَخُوهُ وَأُخْتُهُ لاَ يَتَنَجَّسْ مِنْ أَجْلِهِمْ عِنْدَ مَوْتِهِمْ، لأَنَّ انْتِذَارَ إِلهِهِ عَلَى رَأْسِهِ" (عد ٦: ٧). فلكي تتحقق

١- يحذرنا القديس يوحنا ذهبي من الأفكار الباطلة في سياق حديثه عن ما قاله بولس الرسول: "فَأَقُولُ هذَا وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ: أَنْ لاَ تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الأُمَمِ أَيْضاً بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ" (أف٤:١٧) إذ يقول: "ينبغي على المعلم أن يُنمي ويوجه نفوس تلاميذه، ليس فقط بأن ينصح ويُعَلم، بل أيضاً أن يزرع في هذه النفوس، المخافة ويضعها أمام الله. لأنه من المؤكد أن كلام البشر، بإعتباره كلام أناس يحيون في نطاق العبودية، لا يمكن له أن يُؤّمن النفس، لذلك هناك ضرورة لوضع هذه النفوس أمام الرب. وهذا ما يفعله الرسول بولس، لأنه بعدما تكلّم عن التواضع، والوحدة، وأنه لا يجب على احد أن يثور ضد الآخر، إسمع ماذا يقول: "فأقول هذا وأشهد في الرب ألا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم". لم يقل ينبغي عليكم ألا تسلكوا كما كنتم تسلكون، إذ أن هذا الكلام يُعَّد كلاماً مُهيناً، لكنه عبّر عن ذات الكلام بمثال، أخذه من آخرين، وهذا ما فعله عندما كتب إلى أهل تسالونيكي، قائلا: "لا في هوى شهوة كالأمم". وكأنه يقول أنكم إنفصلتم عن عقائد الأمم، وصِرتم لله بالكامل. لكنني أطلب تلك الأمورِ التي تسمو على كل شيء، أن تكون الحياة والسلوك بحسب مشيئة الله، وهذا يعتمد عليكم. يقول إنه يستدعي الله شاهداً على كلامه، وأنه لم يصمت بل تحدث عن كيفية السلوك كما ينبغي. يقول "ببطل ذهنهم". ماذا يعني بعبارة ببطل الذهن؟ أن تنشغل بأمور باطلة. وما هي الأمور الباطلة، سوى كل الأمور الأرضية؟ التي يقول عنها كاتب سفر الجامعة "باطل الأباطيل الكل باطل" (جا ١:٢)" تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ١٩٣.

الفضيلة، ليت محبة الجسد تغيب، وبدلاً من قرابة الدم، فليكن الله في الدرجة الأولى والعظمى. هذا بالتأكيد ما قاله المسيح نفسه: ”مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمّاً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْناً أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي“ (مت ١٠: ٣٧).

وكون أن واجباتنا تجاه الله تعد أعظم في الدرجة من توقير الوالدين، فهذا ما يعلِّمه لنا المخلِّص نفسه. فعندما اقترب منه واحدٌ كان بالفعل تلميذاً له، وقال له: ”يَا سَيِّدُ، ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلاً وَأَدْفِنَ أَبِي. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: اتْبَعْنِي، وَدَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ“ (مت ٨: ٢١ – ٢٢). الأموات هم هؤلاء الذين يفضِّلون التدبير العالمي، ولم ينفصلوا بعد عن الأعمال الميتة.

بلاديوس: هكذا يكون. هذا هو.

كيرلس: حسنةٌ إذن هي طريقة النقاوة والحياة السامية، وفق الناموس، أو بالأحرى الحياة الروحية والحقيقية، لأن الناموس هو مجرد ظل.

لكن لو حدث أن تلوث هذا الذي نال التقديس جراء اقترابه إلى ميت، فعليه أن يقص شعره ويحلق رأسه، لأن شعره دنسٌ ونجس. وفي اليوم الثامن يُحضِر زوجاً من اليمام أو حمامتين صغيرتين. ويقدم خروفاً حولياً، والأيام السابقة لا تُحسب ضمن أيام النذر، لأن رأسه التي كانت مخصصةً للرب تدنست. بمعنى أنه لو حدث أن أظهر الذي خُصِّص للرب، خمولاً عظيماً فيما يتعلق بما يليق، وتدنس جراء الأعمال الميتة مقتصراً على شهوات الجسد، يكون قد أهدر المدح اللائق بالتعليم النقي، وبالتالي فهو يلقي على رأسه إهانةً عظيمةً. لأن الحلاقة تشير إلى شيء من مثل هذا. وتعبه في الوقت السابق ضاع هباءً، وليس له إلَّا أن يرثي أتعابه المفقودة. لأن هذا هو ما يعنيه بقوله: ”وَأَمَّا الأَيَّامُ الأُولَى فَتَسْقُطُ لأَنَّهُ نَجَّسَ انْتِذَارَهُ“ (عد ٦: ١٢).

إذاً لو حدث أثناء فترة التكريس (النذر) أي دنس للنذيرين، فسوف يلحق ما فعلوه سابقاً الضرر، لكن هذا الضرر ليس بلا تقويم أو إصلاح. لأن الآتين إلى المسيح يتطهرون، مثل اليمامة والحمامة، طالما لأجلنا قدَّم ذاته لله الآب كمثل حملٍ ذُبح وقُدِّم وخلَّصنا بموت جسده. لأجل هذا أمر، كل مَن حلق، أن يقدِّم ذبائح بحسب مثال المسيح الذي خلَّص



الفاجر، وأعطى القوة للضعيف، وأقام ذاك الذي سقط، وأعاد الضال وطهّر الدَّنِس[١].

بلاديوس: لقد تحدثت حسناً جداً.

تقدمة النذير إذا تنجس، ورمزيتها

كيرلس: أنا أعتقد أننا لو تعمقنا قليلاً في معنى هذه الأقوال التي أشرنا إليها، يمكننا عندئذٍ أن نسبر غور مزيد من المفاهيم الدقيقة العميقة والمستترة. الناموس نفسه يحثنا على التبصر في حال هذا الذي يُطوّل شعره لأجل الله، حيث يقول: "وَإِذَا مَاتَ مَيْتٌ عِنْدَهُ بَغْتَةً عَلَى فَجْأَةٍ فَنَجَّسَ رَأْسَ انْتِذَارِهِ، يَحْلِقُ رَأْسَهُ يَوْمَ طُهْرِهِ. فِي الْيَوْمِ السَّابعِ يَحْلِقُهُ. وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يَأْتِي بِيَمَامَتَيْنِ أَوْ بِفَرْخَيْ حَمَامٍ إِلَى الْكَاهِنِ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، فَيَعْمَلُ الْكَاهِنُ وَاحِداً ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ، وَالآخَرَ مُحْرَقَةً وَيُكَفِّرُ عَنْهُ مَا أَخْطَأَ بِسَبَبِ الْمَيْتِ، وَيُقَدِّسُ رَأْسَهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ" (عد ٦: ٩ – ١١). أيضاً أمر أن يقدموا خروفاً حولياً.

بلاديوس: لكن الذي يريد أن يتعلم الأمور المتعلقة بالمسيح، سوف يحتار متسائلاً ماذا يعني هذا الظل. إذاً أخبرني من فضلك، لمن يريد أن يتعلم، ماذا يهدف بهذا القول.

كيرلس: حسناً، سوف أقول لك بقدر الإمكان، لكن أرجو أن تسامحني لو خرجت عن طريقي؛ لأن الحديث صعب واللغز (الرمز) غامض.

بلاديوس: أوافقك.

كيرلس: يشير رأس الجسد، يا بلاديوس، إلى الذهن، لأن الذهن يوجد فيه. وهذا هو ما يقوله لنا الكتاب المقدس والإلهي. فهو يشبه الأفكار التي تأتي منه وتنشأ فيه والتي تقودنا إلى معرفة أحد الكائنات، بشعيرات الرأس؛ لأننا قلنا إن هذه الأفكار تتدفق من رؤوسنا.

بلاديوس: أنا أتذكر هذا الأمر.

١ـ في عظة عن الميلاد يؤكد القديس باسليوس الكبير على أن التطهير هو بالمسيح، قائلاً: "من أجل هذا وُلِد لكي تتطهَّر بالشركة معه. من أجل هذا نما قليلاً قليلاً، لكي تتآلف معه فتصير من أهل بيته. فيا لعمق صلاح الله ومحبته للبشر!" PG 31, 1472-1473.



كيرلس: إذن، لو كان ذهننا مملوءً من الأفكار والمفاهيم الصالحة من نحو الله، فهو عندئذٍ يشبه الرأس غير المحلوق غزير الشعر. على العكس من ذلك، لو كان مليئاً بالأفكار غير المستقيمة عن الله، ولم يكن يملك معرفةً حسنةً وبلا لوم، فإنه عندئذٍ يشبه الرأس العاري المحلوق الذي يعاني من قَرَعٍ مهين.

بلاديوس: حقيقي، هذا تحققنا منه قبل قليل.

كيرلس: انتبه إذن، قبل مجيء المخلّص دُعيَ بني إسرائيل لمعرفة الله من خلال موسى. لأجل هذا نالوا أيضاً التقديس. وقدموا نذر الطهارة لأنهم أعطوا وعداً على جبل حوريب، أنهم سوف يكونون حارسي الناموس، قائلين الآتي: "وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ، فَقَالُوا: كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ وَنَسْمَعُ لَهُ" (خر ٢٤: ٧). إذن، فقد امتلأ ذهنهم بتربية الناموس، وغذّوا شعورهم (شعر الرأس) بزينات الوصية التي أخذوها بواسطة موسى، لكنهم تدنسوا حين لمسوا ميتاً؛ لأنهم قتلوا عمانوئيل. وموت المسيح كان بالطبع مقدساً بالحقيقة، لكن جريمة قتل الرب كانت -بالنسبة لأولئك الذين قتلوه- دنسةً. حسناً، لذلك أمر الناموس أن يحلقوا -كمثل شعر الرأس- تربيتهم بواسطة الناموس، ويقصوا كل ما هو موجود -كأمثلةٍ- في اليوم السابع، أي قبل اليوم الثامن الذي فيه قام المسيح مجدِّداً إيانا لكي نكتسب عدم الفساد، وأعاد خلقتنا لحياة جديدة وإنجيلية. إذاً قصُّوا الشعر قبل اليوم الثامن، وحصل العقل (الذهن) على شعرٍ جديد وقدَّس رأسه بعد اليوم الثامن. وحصل العقل على شعرٍ جديد ليس بعد بأمثلةٍ وظلال مثل الأول، لكن حصل على تعاليم الإيمان الأصيلة. هل توافق على أن الذين يخلصون بالإيمان، عليهم ألَّا يعلِّقوا آمالهم على العبادة الناموسية، بل يجب أن يغرسوا في عقولهم وقلوبهم معرفة التعاليم الإنجيلية؛ لأنها الأفضل والأكثر سمواً من السابقة[1].

١- يبرز القديس كيرلس الخلاص بالمسيح مقارنةً بالناموس في شرحه لما جاء في يو ١٧:١ قائلاً: "كل مَنْ يريد أن يتعلّم أن يدرس النعمة الإنجيلّية التي وُهِبَتْ لنا بواسطة المخلّص ويقارنها بنعمة الناموس التي أعطيت بواسطة موسى، فسوف يرى أن الابن أسمى بكثيرٍ، لأنه هو واضع الناموس الذي يهب خيرات أفضل من الناموس الموسوي. ولذلك يقول الإنجيلي "النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا". وما هو الفرق بين الناموس والنعمة التي صارت بواسطة المخلّص؟ لقد أدان الناموس الخليقة، لأنه بالناموس أغلق الله على الكلّ تحت الخطية (غلا ٣:٢٢) وأظهر أننا تحت العقاب، أما المخلّص فقد أعطى الحرِّية للإنسان "لأنه لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ" (انظر يو ١٢:٤٧). ومع أن الناموس أعطي نعمة معرفة الله للإنسان وجذبه من عبادة الأصنام التي أضلّت الإنسان، وبالإضافة إلى ذلك أشار إلى الشرِّ وعلّم الخير، وإن كان بطريقة غير كاملة، لكنه كان كمعلّم نافع، أما النعمة والحق اللذان بالابن

بلاديوس: كيف تشرح هذا الأمر؟

كيرلس: ها بولس العارف بالناموس يقول عن تلك التعاليم القديمة والمفاخر الناموسية الآتي: ''لَكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحاً، فَهذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أيضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ، وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ'' (في ٣: ٧ – ٩).

بلاديوس: بالتأكيد أعرف هذا الأمر.

كيرلس: لقد وبّخ الآخرين لأنهم كرّموا –بعد سر المسيح– الختان الذي فرضه الناموس. لأنه يقول: ''قَدْ تَبَطَّلْتُمْ عَنِ الْمَسِيحِ أَيُّهَا الَّذِينَ تَتَبَرَّرُونَ بِالنَّامُوسِ. سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ. فَإِنَّنَا بِالرُّوحِ مِنَ الإِيمَانِ نَتَوَقَّعُ رَجَاءَ بِرٍّ'' (غلا ٥: ٤ – ٥). يقول أيضاً إن الوصية القديمة أُبطلت لأنها لم تكن بلا لوم[1]، والأخرى حلّت محلها، أقصد الوصية الإنجيلية.

بلاديوس: هذا حقيقي.

كيرلس: هذا الرمز يبين لنا أن تربية الناموس[2] قد وصلت إلى نهايتها أو غايتها،

الوحيد، الذي لم يقدّم لنا الخيرات في رموز، ولا رسم الأمور النافعة في ظلال، بل بوصايا مجيدة ونقيّة، يقودنا بيده، لكي ننال معرفة كاملة للإيمان'' شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق، المجلد الأول، ص ١١٨.

١- القديس يوحنا ذهبي الفم يشرح هذه الحقيقة أيضاً في سياق ما قاله بولس ''ولكنه الآن قد حصل (يسوع) على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط أيضاً لعهد أعظم قد تثبّت على مواعيد أفضل'' (عب ٨:٦) إذ يقول: ''أنظر كم هي أفضل هذه الخدمة (التي ليسوع) من أي خدمة أخري، طالما كانت تلك الخدمة (القديمة) ظلال ومثال، بينما هذه الخدمة (خدمة السماويات)، هي الحقيقية. وقد أورد هذا الإختلاف فيما سبق، عندما برهن على أن القديم ضعيف وبلا نفع أو عديم الفائدة. ولاحظ إلي أي ضمانات يشير، عندما ينوي أن يُبطله. لأنه بعدما قال فيما سبق ''بحسب قوة حياة لا تزول''، حينئذ قال ''يصير إبطال الوصية السابقة''. ثم يشير أخيراً إلي شيء عظيم قائلاً ''به نقترب، إلي الله''. لكنه هنا بعدما إرتفع بنا إلي السماء، وأظهر أن السماء قد صارت. بدلاً من الهيكل، وأن الممارسات والإجراءات القديمة كانت مثال (للحقائق) التي لنا، وبعد ما سمَى بالخدمة لدي هؤلاء، نجده بعد ذلك يسمو بالكهنوت بشكل طبيعي جداً. لكنني قلت أنه أشار لذلك الذي أسعدهم للغاية، قائلاً ''لعهد أعظم قد تثبتّ علي مواعيد أفضل''. من أين يتضح هذا؟ من أن هذا العهد (القديم) قد أزيح، وحل محله العهد (الجديد). ولهذا قد تثبّت لأنه أفضل. تماماً مثلما يقول ''فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال إذ الشعب أخذ الناموس عليه ماذا كانت الحاجة بعد إلي أن يقوم كاهن أخر علي رتبة ملكي صادق'' (عب ٧:١١)'' تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

٢- أيضاً يدعو القديس كيرلس الأمم للفرح بخلاص الرب وهو يشرح نص لقاء المرأة الخاطئة بالمسيح الوارد في لو ٧: ٣٦ - ٥٠ موضحاً الفرق بين بر الناموس والبر بالمسيح، إذ يقول: ''يا جميع الأمم صفقوا بأيديكم، إهتفوا لله بصوت الابتهاج والشكر'' (مز ٤٧: ١س). وما هو سبب هذا الابتهاج؟ إنه بسبب أن المخلص هنا أنشأ لنا طريقاً للخلاص لم يَسِر فيه الذين في القديم. لأن الناموس الذي وضعه موسى الحكيم كان لتوبيخ الخطية لإدانة التعديات، ولكنه لم يبرر مطلقاً أي أحد. لأن بولس الحكيم يكتب ويقول '' مَن خالف ناموس موسى فعلى فم شاهدين أو ثلاث شهود يموت بدون رأفة'' (عب

فقد أمر الإسرائيلي الذي نذر نفسه أن يحلق رأسه، إذا تدنس جراء لمس الميت، وهو ما يعني روحياً المشاركة في قتل الرب، وبالتالي عليه أن يقدس شعراً آخراً لأجل الرب بعد اليوم الثامن، أي بعد القيامة، ولكن بالتربية الكاملة للتعاليم الإنجيلية.

مَن يطوِّل شعره بعد اليوم الثامن، أي بعد القيامة، يأمره الناموس بأن يقدم تقدمة يمام وحمام معطياً بهذا رسالة مسبقة عن هذا الذي يطهِّر النجسين، أقصد المسيح. لأن الاثنين (اليمام والحمام) يشيران إلى المسيح كصوتٍ مغردٍ وحسنٍ باليمام، والوداعة التامة بالحمام. وذلك على عكس الناموس الذي كان ثقيل اللسان وتغيب عنه الوداعة، وحالاً يُوقِعُ عقاباً على الذين يهملونه.

ويقدِّم النذيرُ الشاةَ (الحَمَل) مع الطيور، لأن المسيحَ يُدرَك بكل هذا. فبالطيور؛ لأنه أتى من السماء، أمَّا بالحَمَل؛ فلأنه وُلِد هنا على الأرض. وبالرغم من أنه هو الكلمة الإله بحسب الطبيعة، إلَّا أنه صار جسداً (انظر يو ١: ١٤). هكذا الله الذي خلّصنا من ظلال الناموس، ووضع في قلوب الجميع معرفة شرائعه مقدِّماً إيانا هكذا قديسين بالحقيقة مُطهِّراً إيانا بدمه بحسب الكتب المقدسة: "فَبِالأَوْلَى كَثِيراً وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْغَضَبِ". (انظر رو ٥: ٩).

بلاديوس: هكذا يكون.

شريعة النذير

كيرلس: فإذا أتم النذير الذي أطال شعره بعد اليوم الثامن كما يجب، عندئذٍ يصير مكرساً. وكيف يصير هذا الأمر، هذا ما شرّعه قائلاً: "وَهذِهِ شَرِيعَةُ النَّذِيرِ: يَوْمَ تَكْمُلُ أَيَّامُ انْتِذَارِهِ يُؤْتَى بِهِ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، فَيُقَرِّبُ قُرْبَانَهُ لِلرَّبِّ خَرُوفاً وَاحِداً حَوْلِيّاً صَحِيحاً مُحْرَقَةً، وَنَعْجَةً وَاحِدَةً حَوْلِيَّةً صَحِيحَةً ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ، وَكَبْشاً وَاحِداً صَحِيحاً ذَبِيحَةَ سَلاَمَةٍ، وَسَلَّ فَطِيرٍ مِنْ دَقِيقٍ أَقْرَاصاً مَلْتُوتَةً بِزَيْتٍ، وَرِقَاقَ فَطِيرٍ مَدْهُونَةً بِزَيْتٍ مَعَ تَقْدِمَتِهَا وَسَكَائِبِهَا. فَيُقَدِّمُهَا الْكَاهِنُ أَمَامَ الرَّبِّ وَيَعْمَلُ ذَبِيحَةَ

١٠: ٢٨). أما ربنا يسوع المسيح فإذ قد أبطل لعنة الناموس وجعل الوصية التي تدين بلا قوة وغير فعَّالة، "صار رئيس كهنتنا الرحيم" بحسب كلمات بولس المبارك (عب ٢: ١٧)، لأنه يبرِّر الخطاة بالإيمان، ويطلق المأسورين بالخطية أحراراً". تفسير إنجيل لوقا، المرجع السابق، عظة ٤٠، ص ١٨١.

خَطِيَّتِهِ وَمُحْرَقَتَهُ. وَالْكَبْشُ يَعْمَلُهُ ذَبِيحَةَ سَلاَمَةٍ لِلرَّبِّ مَعَ سَلِّ الْفَطِيرِ، وَيَعْمَلُ الْكَاهِنُ تَقْدِمَتَهُ وَسَكِيبَهُ. وَيَحْلِقُ النَّذِيرُ لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ رَأْسَ انْتِذَارِهِ، وَيَأْخُذُ شَعْرَ رَأْسِ انْتِذَارِهِ وَيَجْعَلُهُ عَلَى النَّارِ الَّتِي تَحْتَ ذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ. وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ السَّاعِدَ مَسْلُوقاً مِنَ الْكَبْشِ، وَقُرْصَ فَطِيرٍ وَاحِداً مِنَ السَّلِّ، وَرُقَاقَةَ فَطِيرٍ وَاحِدَةً، وَيَجْعَلُهَا فِي يَدَيِ النَّذِيرِ بَعْدَ حَلْقِهِ شَعْرَ انْتِذَارِهِ، وَيُرَدِّدُهَا الْكَاهِنُ تَرْدِيداً أَمَامَ الرَّبِّ. إِنَّهُ قُدْسٌ لِلْكَاهِنِ مَعَ صَدْرِ التَّرْدِيدِ وَسَاقِ الرَّفِيعَةِ. وَبَعْدَ ذلِكَ يَشْرَبُ النَّذِيرُ خَمْراً. هذِهِ شَرِيعَةُ النَّذِيرِ الَّذِي يَنْذُرُ، قُرْبَانُهُ لِلرَّبِّ عَنِ انْتِذَارِهِ فَضْلاً عَمَّا تَنَالُ يَدُهُ. حَسَبَ نَذْرِهِ الَّذِي نَذَرَ كَذلِكَ يَعْمَلُ حَسَبَ شَرِيعَةِ انْتِذَارِهِ" (عد ٦: ١٣ – ٢١).

طالما انزاح حِملُ التاريخ الموسوي الثقيل، وطالما تحرر العقل من عبادة الأمثلة والظلال، كما تتحرر الرأس من الشعر الطويل والكثيف، فكل من كان مديناً لله بطهارته، إذ تربى بمعرفة شرائع المسيح النقية التي تنمو مثل الشعر، يكون مقدساً وقديساً بالحق وجديراً بالقبول، ولذلك يقدِّم ذاته كرائحة ذكية لله، كما أن تعليمه البهي والذي بلا لوم يقدِّمه لله كذبيحة مقبولة. لأنه يقول: "فَيُقَرِّبُ قُرْبَانَهُ لِلرَّبِّ خَرُوفاً وَاحِداً حَوْلِيّاً صَحِيحاً مُحْرَقَةً، وَنَعْجَةً وَاحِدَةً حَوْلِيَّةً صَحِيحَةً ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ، وَكَبْشاً وَاحِداً صَحِيحاً ذَبِيحَةَ سَلاَمَةٍ، وَسَلَّ فَطِيرٍ مِنْ دَقِيقٍ أَقْرَاصاً مَلْتُوتَةً بِزَيْتٍ، وَرِقَاقَ فَطِيرٍ مَدْهُونَةً بِزَيْتٍ مَعَ تَقْدِمَتِهَا وَسَكَائِبِهَا" (عد ٦: ١٤ – ١٥). فبالخروف يشير إلى طفولة ذاك الذي يقدِّم الذبيحة بالمسيح، بينما يشير بالكبش إلى كمال عقله ونضجه، وخصوبته المثمرة لأنه يقول: "أَيُّهَا الإِخْوَةُ، لاَ تَكُونُوا أَوْلاَداً فِي أَذْهَانِكُمْ، بَلْ كُونُوا أَوْلاَداً فِي الشَّرِّ، وَأَمَّا فِي الأَذْهَانِ فَكُونُوا كَامِلِينَ" (١ كو ١٤: ٢٠). كما تقدَّم أيضاً نعجةٌ ذبيحةُ خطيةٍ، بهذه الذبيحة يظهر لنا بسهولة أن حياة أولئك الذين صاروا أنقياء وكاملين من جهة البساطة والطفولة وفق المسيح، ومن جهة نضج العقل، ليسوا بلا لوم تماماً؛ لأن الذي بلا لوم هو فقط عمانوئيل، إذ قال حقاً: "رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ" (يو ١٤: ٣٠).

بالخروف والنعجة والكبش يمكن للمرء أن يتحقق مما قلته، بينما الخبز بلا خمير يشير إلى الحياة الطاهرة والسليمة. لأن بولس الحكيم يكتب في رسالته للقديسين: "إِذاً نَقُّوا مِنْكُمُ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ، لِكَيْ تَكُونُوا عَجِيناً جَدِيداً كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ. لأَنَّ فِصْحَنَا أيضاً الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا" (١ كو ٥: ٧). ورقائق



الفطير بالزيت أيضاً تشير إلى حياة القديسين المفرحة والحلوة.

إذاً سوف نقدم ذواتنا كخروفٍ بسبب طفولتنا مثل المسيح. ومثل نعجةٍ بسبب ضعف طبيعتنا التي انزلقت في الخطايا؛ لأن الأنثى هي مثالٌ للضعف. ومثل كبشٍ؛ لأننا وصلنا إلى النضج، أي إلى قياس عمر المسيح. وخبزٌ بلا خمير كأطهار، ورقائقُ من الفطير كمسرورين وفرحين برحمة المسيح. لأننا لم نخلص بأعمال الفضيلة التي فعلناها، بل برحمته. لأجل هذا من الصواب وجود الزيت فوق الخبز والفطير.

عندئذٍ يتوسط أيضاً الكاهن ويقدِّم أولاً التقدمة لأجل الخطية، وبعد ذلك المحرقة، ثم يقدِّم الكبش كتقدمة ثالثة كذبيحة خلاص (السلامة). وهو ما يعني أنه بتوسط المسيح الذي قادنا إلى الله الآب، نصير مقبولين مقدِّماً طلبات لأجل خطايانا، طالباً غفران خطايانا القديمة.

بواسطة المسيح نصير محرقةً ذهنياً، قديسين ومقدسين تماماً، كذلك نكون كرائحة ذكية عند الله، بدون أن ننشغل بالمطالب العالمية. لأن ذبيحة المحرقة تُلتهم كاملةً بواسطة النار. ليتنا نوجِّه تشكراتنا إلى الله لأجل خلاصنا وحياتنا مكرِّمين إياه ليس بعطايا أرضية وفاسدة، بل مقدِّمين له عطية جديرة بالقبول، حياتنا المقدسة والطاهرة والحلوة والخالية من الخمير. وعندما يقدم الكاهن الذبيحة وفق الناموس، يقول: "وَيَحْلِقُ النَّذِيرُ لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ رَأْسَ انْتِذَارِهِ، وَيَأْخُذُ شَعْرَ رَأْسِ انْتِذَارِهِ وَيَجْعَلُهُ عَلَى النَّارِ الَّتِي تَحْتَ ذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ" (عد ٦: ١٨).

بلاديوس: وما الذي يعنيه بهذا بحسب رأيك؟

كيرلس: إنه رَدُّ النذر ونهاية وتتميم لوعوده. نحن لا نقبل أن تُحلَق رؤوسنا مثلما يحلق ذاك الذي تدنس جراء لمس ميتٍ، أو مثل الذين أُهينوا وتدنسوا نتيجة لمسهم ميتاً، لكن نكون مثل هذا الكامل تماماً بنعمة المسيح، والمربي شعره المميَّز بعد اليوم الثامن، والذي خصص وعوده لله عن طريق هذا المثال. والعلامة على أن التقدمات قد صارت مقبولة من الله، هو أن النار تأكل كل الشعر. لأن الكتاب المقدس دائماً يشير إلى الطبيعة الإلهية بشكل النار. لأجل هذا قال موسى العظيم: "لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ هُوَ نَارٌ آكِلَةٌ، إِلهٌ

غَيُورٌ" (تث ٤: ٢٤). مشيراً بالنار إلى قوة الطبيعة الإلهية غير المائتة. لكن لاحظ أن حلق شعر النذير يتم بجوار باب الخيمة، فلا يتعداه، وهو ما يعني أن هذا هو أقصى ما يوصلنا إليه كل برنا وتقديسنا. لأن التقديس والبر الذي نحققه نحن لا يقودنا إلى قدس الأقداس؛ لأننا لسنا متحررين تماماً من المعاصي والخطايا؟ لأنه يقول: "مَنْ يُخْرِجُ الطَّاهِرَ مِنَ النَّجِسِ؟ لاَ أَحَدٌ" (أيوب ١٤: ٤). المسيحُ فقط هو من يُدخلنا إلى قدس الأقداس محرراً إيانا دون ذكرٍ لأي شرٍّ، وغافراً لنا كل خطية. لأنه دخل إلى قدس الأقداس كسابق لأجلنا (انظر عب ٦: ٢٠)، ليس لأجل ذاته، ولكن ممهِّداً طريق الدخول لأولئك الموجودين خارج الباب، وقد وصلوا بالفعل إلى عتبة الخيمة المقدسة.

بلاديوس: هذا حقيقي.

كيرلس: لأنه مكتوب: "فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى «الأَقْدَاسِ» بِدَمِ يَسُوعَ، طَرِيقاً كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثاً حَيّاً، بِالْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ" (عب ١٠: ١٩ – ٢٠). ويحلق النذير رأسه عند باب خيمة الاجتماع ويأخذ شعر نذره ويجعله على النار التي تحت ذبيحة المحرقة، ثم: "وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ السَّاعِدَ مَسْلُوقاً مِنَ الْكَبْشِ، وَقُرْصَ فَطِيرٍ وَاحِداً مِنَ السَّلِّ، وَرُقَاقَةَ فَطِيرٍ وَاحِدَةً، وَيَجْعَلُهَا فِي يَدَيِ النَّذِيرِ بَعْدَ حَلْقِهِ شَعْرَ انْتِذَارِهِ، وَيُرَدِّدُهَا الْكَاهِنُ تَرْدِيداً أَمَامَ الرَّبِّ. إِنَّهُ قُدْسٌ لِلْكَاهِنِ مَعَ صَدْرِ التَّرْدِيدِ وَسَاقِ الرَّفِيعَةِ. وَبَعْدَ ذلِكَ يَشْرَبُ النَّذِيرُ خَمْراً" (عد ٦: ١٩ – ٢٠).

بلاديوس: ماذا يريد أن يعلن الناموس؟

كيرلس: ساعِد الكبش في الكتاب المقدس هو مثالٌ على ذاك الذي لديه قوة، أي مثال لإنجازات القوة. والفطير هو مثالٌ لحياة القداسة والطهارة، بينما رقائق الفطير بالزيت تشير إلى السعادة في شكل فطير حلو. أيضاً شخص الكاهن الذي يتوسط في تقديم الذبيحة يمكن أن يأخذه المرء على أنه يشير لشخص عمانوئيل. إذاً مَن أنجز النقاوة السامية وقدّم للإله الكلي النقاوة أعمال قوته الروحية، هذه كلها يشار إليها بساعِد الكبش. أمَّا حياته التي بلا لوم فقد أُعلنت بالخبز الذي بلا خمير، وأيضاً الحياة الحلوة والمفرحة والمملوءة قداسة أُعلنت أيضاً برقائق الفطير، هذه كلها يقدمها لله كأنه

بيديه ذاتها، أي بالمسيح الوساطة، المسيح الذي قَبِل التقدمات يداً بيد مكرَّماً بالكرامات السامية والفائقة، لأجل هذا بالضبط، يقدم سجوده الحقيقي. لأجل هذا يقول: ''يَجْعَلُهَا فِي يَدَي النَّذِيرِ'' (عد ٦: ١٩).

بالإضافة إلى ذلك، فعلى من يحمل النذر المقدس، أن يعطي الكاهن لفافةً مميزةً لأجله، مثل صدر الترديد وساق الرفيعة بحسب إرادة المشرّع. وكما قلنا إن ساعد الكبش هو علامة على إنجازات القوة، هكذا أيضاً صدر الكبش هو علامة للفكر والذهن. لأن فكرنا يوجد في الأحشاء وفي الصدر. وكثيراً ما يذكر الكتاب المقدس الرأس كمثال للذهن، ولكن في مرات أخرى يذكر أن الصدر يشير إلى الفكر. إذاً الكل مقدسٌ ومخصصٌ: تلك التقدمات التي تقدم يداً بيد، وقوة أولئك الذين تقدسوا الروحية، وبالطبع الفكر، كلها تصير مقبولة بواسطته لدى الله الآب. وهكذا ننتهي إلى الحقيقة التي تقول إن القديسين لن يمكنهم أن يحققوا كل ما هو مسرٌّ لدى الله إلَّا بالقوة الروحية، وبالطبع الفكر الصالح.

بلاديوس: أنت تتحدث باستقامة.

كيرلس: أَمَرَ أيضاً أن يؤخذ ساعد الكبش مسلوقاً لا نيئاً، وذلك علامةً على رفض فعل قوة القديسين غير الصائبة. وبالتالي لا ينبغي للذين تكرسوا لله أن يكونوا قساةً، ولا أن يستخدموا عقلاً منفلتاً بلا ضابط، بل يجب عليهم أن يسيروا في طرق إنجاز أعمال الفضيلة بتعقل وبساطة وبمهارة فائقة. لأن إنجازات القديسين لا يمكن أن تكون صالحة ومقبولة لدى الله إلَّا إذا لم تكن نيئةً، وكانت خالية من البُغضة.

هل سمعت أن مَنْ يعيش بالنقاوة بهدف خلاصه يدعوه المسيح طعامه الخاص؟ فهو يقول لتلاميذه القديسين: ''لِي طَعَامٌ لآكُلَ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ أَنْتُمْ'' (يو ٤: ٣٢).

تذكَّر أيضاً أنه أَمَرَ أن يُذبح الخروف كمثال للمسيح، وشرّع بعد ذلك قائلاً: ''لاَ تَأْكُلُوا مِنْهُ نِيئاً أَوْ طَبِيخاً مَطْبُوخاً بِالْمَاءِ، بَلْ مَشْوِيّاً بِالنَّارِ'' (خر ١٢: ٩)، مقرراً أن التقدمة النيئة غير سهلة الهضم لذا تكون غير مقبولة. لأجل هذا يقول أن يأخذوا الساعد مسلوقاً. وهكذا يشير النيئ إلى ما ليس

بطيب المذاق، ولا مناسبٍ للأكل؛ لأجل هذا فهو غير مقبول.

بلاديوس: حديثك دقيق وحقيقي.

كيرلس: حسناً. ينبغي أن نعطي لله كل ما نعد به، وأن نقدم كل ما يرتبه المرء ويشرع في تحقيقه دون أن يهمل أي شيء؛ لأن إهمال ذلك يُعدُّ من أكثر الأمور خطراً ورعباً كما يقول الكتاب. لأنه إن كان اتهام المرء زوراً يندرج ضمن الأمور القذرة، فكم بالحري أن يعترف المرء لله ويَعِدُ بشيءٍ، ثم لا يفي بوعده؟ حسناً لقد سجّل خطية كل من وعد، ثم نكث وعده، لكنه حرّر من الذنب أولئك الذين لا شيء لهم، وإنما كانوا يرزحون تحت نير الاحتياج والعوز ويعملون تحت سيادة آخر. مكتوب في سفر العدد الآتي: "وَكَلَّمَ مُوسَى رُؤُوسَ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: هذَا مَا أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ: إِذَا نَذَرَ رَجُلٌ نَذْراً لِلرَّبِّ، أَوْ أَقْسَمَ قَسَماً أَنْ يُلْزِمَ نَفْسَهُ بِلاَزِمٍ، فَلاَ يَنْقُضْ كَلاَمَهُ. حَسَبَ كُلِّ مَا خَرَجَ مِنْ فَمِهِ يَفْعَلُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَإِذَا نَذَرَتْ نَذْراً لِلرَّبِّ وَالْتَزَمَتْ بِلاَزِمٍ فِي بَيْتِ أَبِيهَا فِي صِبَاهَا، وَسَمِعَ أَبُوهَا نَذْرَهَا وَاللاَّزِمَ الَّذِي أَلْزَمَتْ نَفْسَهَا بِهِ، فَإِنْ سَكَتَ أَبُوهَا لَهَا، ثَبَتَتْ كُلُّ نُذُورِهَا. وَكُلُّ لَوَازِمِهَا الَّتِي أَلْزَمَتْ نَفْسَهَا بِهَا تَثْبُتُ. وَإِنْ نَهَاهَا أَبُوهَا يَوْمَ سَمْعِهِ، فَكُلُّ نُذُورِهَا وَلَوَازِمِهَا الَّتِي أَلْزَمَتْ نَفْسَهَا بِهَا لاَ تَثْبُتُ، وَالرَّبُّ يَصْفَحُ عَنْهَا لأَنَّ أَبَاهَا قَدْ نَهَاهَا. وَإِنْ كَانَتْ لِزَوْجٍ وَنُذُورُهَا عَلَيْهَا أَوْ نُطْقُ شَفَتَيْهَا الَّذِي أَلْزَمَتْ نَفْسَهَا بِهِ، وَسَمِعَ زَوْجُهَا، فَإِنْ سَكَتَ فِي يَوْمِ سَمْعِهِ ثَبَتَتْ نُذُورُهَا. وَلَوَازِمُهَا الَّتِي أَلْزَمَتْ نَفْسَهَا بِهَا تَثْبُتُ" (عد ٣٠: ١ – ٧).

يقول أيضاً أن نفس القانون يسري على المرأة المرتبطة برجل رباطاً شرعياً. لكن تعتبر قرارات ووعود الأرملة والمرأة التي طُلِّقَت ساريةٌ عليهما مستنداً على أنهن أحرار وغير مرتبطات بآخر. لكن في حالة لم تفي واحدة بوعودها وهى تحت سيادة آخر، يُصفح عنها. لأنها عندئذٍ تنقل إدانة عدم التقوى إلى سادتها، أقصد الأب والزوج اللذين وافقا على الإيفاء بنذورها حين كانت تحت سيادتهما. أمَّا إذا رفضا الإيفاء بالنذور، يُمنح الغفران لخطاياها. لأن التقدمات لله هي ثمار النية والاستعداد وليس العوز والاحتياج.

المقالة السابعة عشر

عن الأعياد المقدسة

كيرلس: تحدثنا فيما سبق عن النقاوة، وعن الذين ينذرون نذورهم للرب، فضلاً عن حديثنا عن الكهنة. وبقي علينا أن نتحدث أيضاً عن المكافأة التي أعدها الله عوضاً عن تعب المؤمنين وانشغالهم بالتفكير فيما يجعلهم ينالون الكرامات الغنية والعظمى، ويصيرون مشاركين للرجاء الأبدي.

بلاديوس: اقتراحٌ جميل.

كيرلس: يا بلاديوس، إن الذين عاشوا الحياة الممجَّدة والمميّزة، ووصلوا إلى درجة عالية من التعليم البهي، ينبغي عليهم أن يخصصوا أياماً كثيرة مملوءة فرحاً بالأعياد والاحتفالات[1]؛ لأن لهم عمانوئيل رئيساً لاحتفالاتهم مستندين ومتأصلين جيداً على الرجاء.

بلاديوس: نعم ينبغي عليهم ذلك، وحديثك حقيقي.

كيرلس: حسناً، هل تريد أن نفحص بالتفصيل هذه الأعياد، والأمثلة التي أعطاها لنا الناموس، ونشرح طريقة ذبح كل ذبيحة على حدة شارحين، بقدر الإمكان، معنى هذه المفاهيم؟

بلاديوس: بالتأكيد، أريد، وكيف لا؟

١- يشرح القديس غريغوريوس اللاهوتي كيفية احتفال المسيحي بميلاد المسيح، قائلاً: "وأنا أيضاً أُعلن قوة هذا اليوم، لأن فيه غير الجسدي يتجسّد، والكلمة يتجسّم، غير المنظور يصير منظوراً، وغير المحسوس يصير ملموساً، غير الزمني يبتدئ. ابن الله يصير ابناً للإنسان، يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. هذا هو احتفالنا الذي نحتفل به اليوم: مجيء الله إلى البشر ليتسنَّى لنا أن نأتي نحن إليه؛ أو بالتدقيق، أن نعود إليه. فبخلعنا الإنسان العتيق، نلبس الجديد؛ وكما أننا مُتنا في آدم، هكذا في المسيح سنحيا، إذ نولَد معه ونُصلب معه ونُدفن معه ونقوم معه ثانية. هكذا نُعيِّد، .. ليس بطريقة عالمية، بل بما يفوق العالم، ليس بالخليقة الأولى، بل بتجديد الخليقة .. ما أكثر الأعياد، ولكن غايتها جميعاً واحدة: هي كمالي، وإعادة خلقتي مِن جديد، إلى آدم الأصيل. وَقِّر الميلاد الذي به انفككتَ من قيود ميلادك الأول. كرِّم بيت لحم هذه الصغرى، التي أرجعتك إلى الفردوس، واسجد أمام المذود لأنك أنت غير العاقل نلتَ منه اللوغوس طعاماً!" عظة ٣٨ على الميلاد

مواعيد الأعياد وكيفية الاحتفال بها

كيرلس: إذن طالما صار واضحاً أنه يجب أن نفسر هذه الأمور، فلنمضِ قبل أي شيء في تفسير: متى وبأي شكل يقول لنا الكتاب المقدس أنه يجب أن نُعيِّد. لأن حديثنا سوف يسير هكذا مباشرةً نحو الهدف، متصدين -بفاعلية- للفكر غير المميِّز.

بلاديوس: إذن امضِ حيث تُحب، لأن الفائدة التي سوف تقدمها ستكون بأكثر غِنى.

كيرلس: أثناء تجمع الإسرائيليين في البرية، في جبل حوريب، صاغ إله الكل، الناموس الذي حدَّد لنا ما ينبغي أن نفعله، وطالما أعلن آلاف المرات شرائع مفيدة، أضاف في النهاية الآتي: "ثَلاَثَ مَرَّاتٍ تُعَيِّدُ لِي فِي السَّنَةِ. تَحْفَظُ عِيدَ الْفَطِيرِ. تَأْكُلُ فَطِيراً سَبْعَةَ أَيَّامٍ كَمَا أَمَرْتُكَ فِي وَقْتِ شَهْرِ أَبِيبَ، لأَنَّهُ فِيهِ خَرَجْتَ مِنْ مِصْرَ. وَلاَ يَظْهَرُوا أَمَامِي فَارِغِينَ. وَعِيدَ الْحَصَادِ أَبْكَارِ غَلاَّتِكَ الَّتِي تَزْرَعُ فِي الْحَقْلِ. وَعِيدَ الْجَمْعِ فِي نِهَايَةِ السَّنَةِ عِنْدَمَا تَجْمَعُ غَلاَّتِكَ مِنَ الْحَقْلِ. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي السَّنَةِ يَظْهَرُ جَمِيعُ ذُكُورِكَ أَمَامَ السَّيِّدِ الرَّبِّ. لاَ تَذْبَحْ عَلَى خَمِيرٍ دَمَ ذَبِيحَتِي، وَلاَ يَبِتْ شَحْمُ عِيدِي إِلَى الْغَدِ. أَوَّلَ أَبْكَارِ أَرْضِكَ تُحْضِرُهُ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَطْبُخْ جَدْياً بِلَبَنِ أُمِّهِ" (خر ٢٣: ١٤ - ١٩).

حسناً، وكون أنه من الواجب أن تكون هناك أعياد لتكريم الله، وأن تليق تلك الأعياد بالحري بهؤلاء الرجال الناضجين، لا بالخائفين الجبناء، ولا بهؤلاء الذين يعانون ضعف تدبيرهم الداخلي، مستسلمين لأعمال الجسد والعالم بسبب رخاوتهم، فقد أظهره قائلاً: "ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي السَّنَةِ يَظْهَرُ جَمِيعُ ذُكُورِكَ أَمَامَ السَّيِّدِ الرَّبِّ" (خر ٢٣: ١٧). لأن الذَكَر (رمزياً) جديرٌ بأن يخضع لإشراف سماوي وإلهي بالطرق التي سبق أن ذكرناها. وهكذا كان هذا التشريع مفيداً لحفظ الأعياد. لأن الذين خضعوا لمتطلبات التربية المستقيمة، وبالفعل دخلوا تحت نير الله، تتحقق لهم غاية الحياة حسب الناموس، بطريقة -تعلن الروحيات- ملؤها إعلانات الفرح والشوق. فقد طرح الناموس جانباً ما يسبب الظلم، ومدح ما يُفيد، وكثيراً ما بسط أمامهم طريق الحياة المفرحة، لذلك ترك لهم أن يفكروا ويتأملوا في أن تعبهم سوف ينتهي إلى أفراحٍ مبهجة.

حسناً، يجيء العيد الأول مع شهر الثمار الجديدة. الثاني هو عيد حصاد البكورات، والثالث يحل موعده في الاحتفال الأخير، حيث نجمع الحصاد، أي في الشهر السابع من العام. ألا يقول هذا الكتاب المقدس؟

بلاديوس: نعم يقول وأنا أتفق معك؟

كيرلس: حسناً. من الضروري أن نتكلم عن كل عيد خاصٍ بوقتٍ معين ونفحصه بقدر الإمكان، كيف وما هي الأسباب التي تحتم الاحتفال بهذا العيد.

لأن الله الرحوم أمر –حينذاك– بني إسرائيل أن يرحلوا من مصر وأن يلقوا عن كاهلهم نير العبودية الثقيل وينتقلوا إلى أرض الموعد.

كان فرعون رافضاً للشرائع، وسمح لنفسه أن يتفوه بحديثٍ فظٍ ضد المجد غير الموصوف، قائلاً: "لا أعرف الرب" (خر ٥: ٢). وأكد أكثر من مرة أنه لن يسمح برحيل بني إسرائيل، ومن ثمِّ أذاقهم العذاب بعقوبات مستمرة ولا نظير لها. لكن، ولأنه كان وقحاً وتطاول على الله بعنادٍ، فقد أرسل الله الذي يسود على الأكوان الملاك المهلك ضد أبكار المصريين وقرَّر موتهم في ليلة واحدة. لكنه حَرِص على إلَّا يُصاب قطيع اليهود بأي شر، بل يُوجدون بعيداً عن يد المهلك أو بعيداً عن غضبه. لكن هذا لا يتحقق بالنسبة لنا إلَّا بواسطة المسيح الذي هو الحياة ومانح الحياة؛ لأنه الآتي من الحياة بحسب الطبيعة، أقصد من الآب[1].

استعلان سرِّ المسيح، وكيف يعبِّر عنه خروف الفصح

صوَّر الناموس –إذن– مسبقاً سر المسيح وقال الآتي: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ فِي أَرْضِ مِصْرَ قَائِلاً: هذَا الشَّهْرُ يَكُونُ لَكُمْ رَأْسَ الشُّهُورِ. هُوَ لَكُمْ أَوَّلُ شُهُورِ السَّنَةِ. كَلِّمَا كُلَّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ قَائِلَيْنِ: فِي الْعَاشِرِ مِنْ هذَا الشَّهْرِ يَأْخُذُونَ لَهُمْ كُلُّ وَاحِدٍ شَاةً بِحَسَبِ بُيُوتِ الآبَاءِ، شَاةً لِلْبَيْتِ. وَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ صَغِيرًا عَنْ

١- يشرح القديس كيرلس في كتابة: حوار حول الثالوث، هذه الحقيقة على أساس أن الابن يستمد الحياة من الآب بحسب الطبيعة، بالتالي فإن فعل الإحياء هو للآب وللابن، إذ يقول: "لأن الآب هو الحياة، فقد استمد الابن الحياة منه حسب الطبيعة، مُظهِراً بذلك جوهر الذي وَلَده. ولأنه هو في الآب تماماً، والآب هو -بالكمال- فيه، لهذا نقول إن الفعل هو فعل الآب والابن، ولهذا أيضاً، فإن الابن وهو يشير إلى أن ما يفعله الآب يفعله هو أيضاً، يوضّح تماماً أن كل أفعاله هي مساوية لأفعال الآب وذلك بسبب أنه هو واحد مع الآب في الجوهر" أنظر حوار حول الثالوث، ترجمة د. جوزيف موريس فلتس، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، مايو ٢٠١٠، الجزء الرابع، الحوار الخامس، ص ٤٩.



أَنْ يَكُونَ كُفْواً لِشَاةٍ، يَأْخُذُ هُوَ وَجَارُهُ الْقَرِيبُ مِنْ بَيْتِهِ بِحَسَبِ عَدَدِ النُّفُوسِ. كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أُكْلِهِ تَحْسِبُونَ لِلشَّاةِ. تَكُونُ لَكُمْ شَاةً صَحِيحَةً ذَكَراً ابْنَ سَنَةٍ، تَأْخُذُونَهُ مِنَ الْخِرْفَانِ أَوْ مِنَ الْمَوَاعِزِ. وَيَكُونُ عِنْدَكُمْ تَحْتَ الْحِفْظِ إِلَى الْيَوْمِ الرَّابعَ عَشَرَ مِنْ هذَا الشَّهْرِ. ثُمَّ يَذْبَحُهُ كُلُّ جُمْهُورِ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ فِي الْعَشِيَّةِ. وَيَأْخُذُونَ مِنَ الدَّمِ وَيَجْعَلُونَهُ عَلَى الْقَائِمَتَيْنِ وَالْعَتَبَةِ الْعُلْيَا فِي الْبُيُوتِ الَّتِي يَأْكُلُونَهُ فِيهَا. وَيَأْكُلُونَ اللَّحْمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَشْوِيّاً بِالنَّارِ مَعَ فَطِيرٍ. عَلَى أَعْشَابٍ مُرَّةٍ يَأْكُلُونَهُ. لاَ تَأْكُلُوا مِنْهُ نِيئاً أَوْ طَبِيخاً مَطْبُوخاً بِالْمَاءِ، بَلْ مَشْوِيّاً بِالنَّارِ. رَأْسَهُ مَعَ أَكَارِعِهِ وَجَوْفِهِ. وَلاَ تُبْقُوا مِنْهُ إِلَى الصَّبَاحِ. وَالْبَاقِي مِنْهُ إِلَى الصَّبَاحِ، تُحْرِقُونَهُ بِالنَّارِ. وَهكَذَا تَأْكُلُونَهُ: أَحْقَاؤُكُمْ مَشْدُودَةٌ، وَأَحْذِيَتُكُمْ فِي أَرْجُلِكُمْ، وَعِصِيُّكُمْ فِي أَيْدِيكُمْ. وَتَأْكُلُونَهُ بِعَجَلَةٍ. هُوَ فِصْحٌ لِلرَّبِّ. فَإِنِّي أَجْتَازُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هذِهِ اللَّيْلَةَ، وَأَضْرِبُ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَأَصْنَعُ أَحْكَاماً بِكُلِّ آلِهَةِ الْمِصْرِيِّينَ. أَنَا الرَّبُّ. وَيَكُونُ لَكُمُ الدَّمُ عَلاَمَةً عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا، فَأَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ، فَلاَ يَكُونُ عَلَيْكُمْ ضَرْبَةٌ لِلْهَلاَكِ حِينَ أَضْرِبُ أَرْضَ مِصْرَ. وَيَكُونُ لَكُمْ هذَا الْيَوْمُ تَذْكَاراً فَتُعَيِّدُونَهُ عِيداً لِلرَّبِّ. فِي أَجْيَالِكُمْ تُعَيِّدُونَهُ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً. «سَبْعَةَ أَيَّامٍ تَأْكُلُونَ فَطِيراً. الْيَوْمَ الأَوَّلَ تَعْزِلُونَ الْخَمِيرَ مِنْ بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ أَكَلَ خَمِيراً مِنَ الْيَوْمِ الأَوَّلِ إِلَى الْيَوْمِ السَّابعِ تُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ إِسْرَائِيلَ. وَيَكُونُ لَكُمْ فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابعِ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ. لاَ يُعْمَلُ فِيهِمَا عَمَلٌ مَا إِلَّا مَا تَأْكُلُهُ كُلُّ نَفْسٍ، فَذلِكَ وَحْدَهُ يُعْمَلُ مِنْكُمْ" (خر ١٢: ١ – ١٦).

هل تريد –إذن– أن تفحص بقليل من التفصيل وبسرعة كل علامة نقولها؟ وهكذا نعطي فرصةً حتى يصير الحكماء والأبرار الأفضل والأحسن، عندما يضيفون مساهمتهم الشخصية، إذ مكتوب: "أعط حكيماً فيكون أوفر حكمة. علّم صديقاً فيزداد علماً" (أمثال ٩: ٩).

بلاديوس: نعم أريد.

كيرلس: حسناً. إن سر المسيح يُستعلن من بداية السنة ومن الشهر الأول؛ لأن الدهر الجديد بالنسبة لنا هو زمن مجيء المخلص الذي حوّل الكل نحو الأفضل وشكّل ما هو قديم وشاخ وقرُبَ من الاضمحلال إلى خليقةٍ جديدة. لأنه يقول: "إِذاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً" (٢ كو ٥: ١٧). ونحن نحيا ليس

بحسب الناموس الموسوي، بل انتقلنا إلى حياة حسب الإنجيل؛ لأن المسيح جعلنا خليقةً جديدةً بنعمة الروح[1].

بلاديوس: حديثك مستقيم.

كيرلس: كل واحدٍ يأخذ شاةً من الخِراف، ويجتمعون بحسب بيوت الآباء في مجموعات في بيت واحد. ونحن وإن كنَّا أيضاً مجتمعين كل مجموعة في مكان منفصل عن الآخر بطريقة طبيعية، إلَّا أننا نأتي جميعنا في اسم المسيح في وحدة روحية. فنحن لنا نفسٌ واحدة، وقلبٌ واحد.

ما يقدَّم، خروفٌ أو ماعز: الخروف بسبب هدوءه وبراءته الفائقة، والنعجة بسبب ثمار (الصليب) وخصوبته. لأنه يقول: ''كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ'' (أش ٥٣: ٧). فهو يشار إليه بخروف؛ لأنه ذُبح لأجلنا وسُلِّم لأجل خطايانا كما في الكتب (انظر ١ بط ٣: ١٨، ١ يو ٢: ٢)[2]. ويشار إليه بماعز أيضاً بسبب خطايانا حسب الناموس.

يجب أن يكون الخروف صحيحاً وذكراً. تاماً وصحيحاً، أي أن يكون بلا أي عيب. قوياً معافى؛ لأن المسيح هو بلا لوم وأسمى من أي ألمٍ، أي كاملٌ حقاً. فعمانوئيل كليُّ الكمال، خصائصه الإلهية من ذاته ومن طبيعته. ذكرٌ؛ لأنه رئيسُ الكل. الذكر دائماً ما يكون متقدماً في الرئاسة، وبعد ذلك تجيء الأنثى في المرتبة الثانية.

يؤخذ الخروف من اليوم العاشر في الشهر، لكنه يُذبح في مساء اليوم الرابع عشر؛ لأن سر المسيح لم يظهر وكأنه شيءٌ جديد، ولا حينذاك صار معروفاً لأول مرة، عندما بدا اليهود -وكأنهم سكارى- يعملون أعمالاً

١- أثناء الحديث عن نبوة إسحق ليعقوب الواردة في تك ٢٧: ٢٧ - ٢٨ ''رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب. فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض. وكثرة حنطة وخمر'' يؤكد القديس كيرلس أن المسيح هو بمثابة جذرٍ ثانٍ للبشرية، إذ يقول: ''هكذا فإن مفهوم النبوة يتناسب مع الشعب الجديد ومع المسيح نفسه الذي هو البداية والأصل، فهو آدم الثاني حقاً وبمثابة جذرٍ ثاني للبشرية لأن كل ما في المسيح هو خليقة جديدة. لقد تجددنا ثانية بالمسيح من جهة القداسة والحياة والخلود. أيضاً أعتقد أن حديث البركة يعني الرائحة الروحية الذكية التي في المسيح، كالرائحة الجميلة والمفرحة التي تأتي من ورود الربيع في الحقول اليانعة والمزهرة. هكذا قدم لنا المسيح ذاته في نشيد الإنشاد قائلاً: ''أنا نرجس شارون سوسنة الأودية'' (نش ٢:١). حقاً كان سوسنةً ونرجساً، الذي نبت من الأرض كإنسان، لكن بدون أن يعرف خطية، إذ تفوح منه عبق الرائحة الذكية على كل المسكونة. إذاً المسيح يشبه حقلاً مباركاً من الله حيث هو بالحق رائحة معرفة الله الآب الذكية لأن بولس الرسول قال: ''شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين ويُظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان'' (٢ كو ٢:١٤)''. جيلافيرا التكوين، الكتاب الشهري، ديسمبر ٢٠٠٥.

٢- ''فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتاً فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ'' (١ بط ٣: ١٨). ''وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضاً'' (١ يو ٢: ٢).

ضده، بل كانت هذه الآلام أكثر قِدماً، إذ سبق وأن علنها القديسون، مثلما نادى به الناموس، وصوَّر لنا الكتاب المقدس سِرَّه.

إذن، فالحمل[1] الذي لم يكن قد ذُبِحَ بعد، كان قريباً مِنا، وكان معروفاً مسبَقاً، لكننا لم نكن نجهل أن ذبحه سوف يتم في المساء؛ لأنه في الأزمنة الأخيرة لدهرنا، ونحو غروب الزمن الذي مضى، صار موت المسيح.

وقد تم الذبحُ بواسطة الجميع، أي أنه مات لمنفعة الجميع، لكي يعرف هؤلاء الذين يقدمون الحمل لأجل خلاصهم، أنهم اشتُروا بثمنٍ، وأنهم لا ينتمون بعد لذواتهم، لكن واحداً مات لأجل الكل، هكذا أيضاً لكي لا يعيش الأحياء، فيما بعد لأنفسهم، بل لذاك الذي مات لأجلهم وقام (انظر ٢ كو ٥: ١٥).

وكون أن الرش بالدم يخلِّص هؤلاء الذين رُشُّوا بهذا الدم، فهو ما يُظهره مباشرةً قائلاً إنه يجب عليهم أن يمسحوا بالدم القائمتين والعتبة العُليا لبيوتهم. إن سرَّ المسيح منع هجمة الموت وجعلها ضعيفةً.

والنتيجة التي نخلص إليها هي أنه طالما مُسحنا نحن أيضاً بالدم الثمين، فإننا سوف ننتصر على الموت، وسوف نحتقر الفساد غير متألمين وغير معطين أي أهمية للمُهلِك. لأن دم الحياة، أي المسيح قد خلَّصنا[2].

١- الابن هو الحمل الذي بلا عيب البار والقدوس، وهذا ما أكده القديس كيرلس أثناء حديثة عن التيس المرسل إلى البرية، قائلاً: "لهذا صار المسيح ذبيحة عن خطايانا حسب الكتب المقدسة (أنظر ١ كو ١٥: ٣)، ولهذا السبب نقول إنه دُعي خطية، وهكذا يكتب بولس الحكيم جداً: "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطيةً لأجلنا" (٢ كو ٥: ٢١). والمقصود هنا هو الآب (فهو الذي جعله خطية). لأننا لا نقول إن المسيح صار خاطئاً -حاشا- بل لكونه باراً، وبالحري هو البر نفسه، لأنه لم يعرف خطية، فالآب جعله ذبيحة عن خطايا العالم". راجع: رسائل القديس كيرلس، مركز دراسات الآباء، الجزء الثالث، نصوص الآباء: ٣٤، ديسمبر ١٩٩٥ ص ٦٥.

٢- هذا ما شرحه القديس كيرلس في سياق حديثة عن يعقوب حين قرَّب إلية ابنيّ يوسف واحتضنهما وقبلهما بأنه صرنا مخلصين وقريبين بفضل دم المسيح، إذ يقول: "إذاً عليك أن تدرك بأننا حقاً كُنا أناس مجهولين عند الله الآب وصِرنا معروفين واقتربنا منه بالمسيح. لقد قبلنا الآب بفرح عظيم وأظهر لنا محبته لابنه، وبسبب هذه المحبة جعلنا مستحقين لمحبته ودعانا للإتحاد به ذهنياً وبالطبع روحياً. وتُعتبر قُبلة المحبة والأحضان هي مثال لإتحادنا به. لأجل هذا كتب بولس الحكيم لهؤلاء الذين آمنوا بالمسيح، قائلاً: "ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح" (أف ٢:١٣)، بمعنى أن المسيح قد جعلنا قريبين من الآب، ولقد قال أيضاً بولس الرسول: "أما الآن إذ عَرفتم الله بل بالحري عُرفتم من الله" (غلا ٤:٩). أي أن الله الآب جعلهم مستحقين أن يروه ويعرف فقط هؤلاء الذين لديهم شركة روحية مع الابن وحصلوا -بغنى حقيقي- على الولادة الثانية في اسمه وبواسطته. هكذا مثل أولئك الذين مُسحوا بدم الحمل جعلهم معروفين له، قائلاً: "ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها. فأرى الدم وأعبر عنكم. فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر" (خر ١٢:١٣). حسناً لقد امتلأ يعقوب بالفرح حين قال لابنه يوسف: "لم أكن أظن أني أرى وجهك وهوذا الله قد أراني نسلك أيضاً" (تك ٤٨:١٢)". جيلافيرا التكوين، ترجمة د. جورج عوض، مراجعة د. نصحي عبد الشهيد، الكتاب الشهري عدد يونيه ٢٠٠٨.



يقول أيضاً إن عليهم أن يأكلوا لحم الحمل في ليلةٍ واحدة. لأن زمن ألم خلاصنا هو حقاً زمنٌ واحد، وبينما مات مرةً واحدةً ''لاَ يَمُوتُ أَيْضاً. لاَ يَسُودُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدُ. لأَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي مَاتَهُ قَدْ مَاتَهُ لِلْخَطِيَّةِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَالْحَيَاةُ الَّتِي يَحْيَاهَا فَيَحْيَاهَا للهِ» (رو ٦: ٩ – ١٠). اللحم يكون مشوياً ويؤكل مع خبز بلا خمير (فطير) وأعشابٍ مُرةٍ. هذا يشير إلى إتمام رسالة عمانوئيل بالآلام. لأنه يقول: «لاَقَ بِذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ، أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلاَصِهِمْ بِالآلاَمِ» (عب ٢: ١٠). أمَّا أنه كان يجب أن يأكلوا الحمل مع فطير وأعشاب مُرة، فإنه يشير رمزياً إلى أننا نحن الذين صِرنا شركاء المسيح، نحتاج إلى التخلص من الخمير الذهني، أي الشر والخسة، وبإرادتنا نتألم لأجل محبتنا له، ونعاني أتعاباً ومشقات محزنة تابعين ذاك الذي لأجلنا قَبِل أن يموت. لذلك فهو ينبهنا مسبقاً إلى هذا الأمر ويقول: «لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنَ الْمُعَلِّمِ وَلاَ الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ سَيِّدِهِ. يَكْفِي التِّلْمِيذَ أَنْ يَكُونَ كَمُعَلِّمِهِ وَالْعَبْدَ كَسَيِّدِهِ. إِنْ كَانُوا قَدْ لَقَّبُوا رَبَّ الْبَيْتِ بَعْلَزَبُولَ فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَهْلَ بَيْتِهِ!» (مت ١٠: ٢٤ – ٢٥).

حسناً يُحرِّم الناموس أن يؤكل اللحم نيئاً أو مطبوخاً في الماء، بالرغم من أن أحداً لا يأكل لحماً نيئاً حتى لو لم يحرمه الناموس. إذن، فهو يعلن هنا بطريقة رمزية أن سرَّ المسيح غير مُهان ولا يدخل ضمن المبالغات الكاذبة، ولا يضعف أو ينحل مثل أفكار الشعراء اليونانيين والأدباء والحكماء، الذين بالرغم من أن أحداً لا ينافسهم في أقوال الحكمة، إلَّا أنهم عندما يصفون غضب آلهتهم ينطقون بأقوالٍ كاذبة، ويتحدثون عن طرقٍ وحشية، ويكدسون عقول الناس بروايات فجة وغير مقبولة، روايات ممتلئة من ثرثراتهم المريضة: نساءٌ زانيات، وأولادٌ فاسدون، وأعضاء تناسلية مبتورة، وبنات متحولات إلى نباتات، وأمور كثيرة بالإضافة إلى أساطير وضيعة يخترعونها. هذا يختلف تماماً عن كل الأمور الخاصة بالمسيح، فهي حقيقية لأنها منطقية، وبسهولة يقبلها العقل، وخالية من كل خلاعة ولغو. لأنها تقود بالحري الذين يسعون إلى إدراكها إلى الكرامة اللائقة بهم، ولا تتركهم يقعون في اللذات العالمية ومحبة الجسد مثلما تفعل روايات اليونانيين وخرافاتهم العجائزية. هل تدرك بوضوح ما أقوله؟

بلاديوس: نعم أدركه بوضوح جداً.

كيرلس: وكون أن الذي صار مشاركاً للمسيح بشركة جسده المقدس ودمه يجب أن يكون له فكر المسيح، راغباً في المضي في الإنجازات الداخلية عاملاً بطريقة حسنة جداً كل ما يخصه، فهذا ما يعلنه مباشرةً قائلاً إنه ينبغي أن يأكلوا الرأس والأرجل والأحشاء. ألم نقُل إن الرأسَ مثالٌ للعقل، بينما الأرجل (الساقين) تشير دائماً لمسيرة الأعمال، والأحشاء تشير إلى كل ما هو مستتر داخلنا؟

بلاديوس: استقامة هذا الشرح ظاهرة، لكن اخبرني: ما هو فكر المسيح، وما هي المسيرة، وبالطبع ما هي الأمور المستترة؟

كيرلس: فكر المسيح هو أن نتدبر في كل ما يهدف لمجد الله الآب، وأن يكون هدفنا تحقيق ما هو مُسرٌّ لدى الآب. لأنه يقول: «لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (يو ٦: ٣٨). هذا ما أراده التلاميذ العظماء في تصرفاتهم حين قالوا: «وَأَمَّا نَحْنُ فَلَنَا فِكْرُ الْمَسِيحِ» (١ كو ٢: ١٦). لأجل هذا علَّمنا أن نقول في صلواتنا: «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ» (مت ٦: ٩ – ١١).

هل رأيت؟ لقد صِرنا متمثلين بنفس فكرَ المسيح مؤكِّدين بكل وضوح أن لنا فكر وتدبير ذاك[1]. هذا ما يعنيه بقوله أن يأكلوا رأس الحمل.

أمَّا مسيرة المسيح، فهي أن نتحمل ببسالةٍ مثل ذاك الذي لم يخف الموت كما يقول بولس: «صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلَّ قُبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ الَّذِينَ أَوَّلُهُمْ أَنَا» (١ تيمو ١: ١٥)، ويجب أن نكون نحن أيضاً مستعدين لأنْ نفعل نفس الأمر، ونكون متأهبين لأنْ نقدم حياتنا ذاتها لأجل إخوتنا. لأجل هذا قال أيضاً أحد تلاميذه القديسين:

١ـ يوضح القديس يوحنا هذه الحقيقة في سياق ما قاله بولس الرسول "جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضاً فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ" (أف ٤:٤) إذ يقول: "عندما يُرشد المطوب بولس إلي ما هو أعظم، ولأنه حكيم جداً، وروحاني بشكل فائق، فقد كان يقدم إرشاده على قياس ما هو كائنٍ في السماء، كما تَعلَمَ من الرب، لذلك يقول في موضعٍ آخر "إسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح يسوع أيضاً". وأيضاً " فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً. الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله" ١كو٢:١٦. هذا ما يفعله هنا أيضاً لأنه حين تكون الأمثلة التي يُقدمها عظيمة، فإنه بهذا يجعل الغيرة قوية والحماس أشد. ولكن ماذا يقول لنا لكي يحثنا على الوحدة؟ يقول "جسد واحد وروح واحد كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد" تفسير الرسالة إلى أفسس، ص ١٦٧.

«فَإِذْ قَدْ تَأَلَّمَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا بِالْجَسَدِ، تَسَلَّحُوا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهَذِهِ النِّيَّةِ. فَإِنَّ مَنْ تَأَلَّمَ فِي الْجَسَدِ كُفَّ عَنِ الْخَطِيَّةِ» (١ بط ٤: ١). وبولس وبَّخ بعض الأشخاص قائلاً: «مَاذَا تفْعَلُونَ؟ تبْكُونَ وَتَكْسِرُونَ قَلْبِي. لأَنِّي مُسْتَعِدٌّ لَيْسَ أَنْ أُرْبَطَ فَقَطْ بَلْ أَنْ أَمُوتَ أَيْضاً فِي أُورُشَلِيمَ لأَجْلِ اسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ» (أع ٢١: ١٣). والمسيح نفسه أوصانا أن نتبع خطواته حين قال: «وَمَنْ لاَ يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي» (مت ١٠: ٣٨). فطريق المسيح مقدَّسٌ من كل ناحية ومسيرته مملؤة بكل فضيلة.

أمَّا الأحشاء الداخلية، فهي تشير إلى كل ما كان مستتراً دون أن يظهر. لأن وحيد الجنس هو بحسب الطبيعة إلهٌ حقاً وصار جسداً وسكن بيننا (انظر يو ١: ١٤)، وبينما هو صورة أبيه نزل وأخلى ذاته من عظمته وأخذ شكل العبد (انظر فيلي ٢: ٦ ـ ٧). ليتنا -إذن- نقبل عمانوئيل في نفوسنا، ليس فقط بحسب شكله البشري الخارجي، بل أيضاً بحسب أحشاؤه الداخلية، أي أن نملأ عقولنا بأسراره المستترة، عندئذٍ نكتسب الطعام الروحي الحسن.

كذلك أوجب الناموس أن يؤكَل الحملُ أثناء تلك الليلة، ولا يُبقون منه شيئاً حتى الصباح، كذلك لم يُسمح لأحد أن يكسر عظمةً واحدةً منه.

و»الصباح» يعني أن المسيح -في الحياة العتيدة- سوف يقدِّس ويبارك -بطريقةٍ أخرى- هؤلاء الذين بالإيمان والقداسة كرَّسوا له أنفسهم. فهو لن يطعمهم بجسده، أو يحييهم بدمه كما يصير الآن، ذلك لأن الموت قد أُدين والفساد قد بطُل تماماً، وهو ما يستتبع اختلاف طريقة التقديس. إذن الصباح لا يعني شيئاً آخر إلَّا الدهر الآتي.

الأمر الثاني -أعني أن لا يكسروا أيةَ عظْمَةٍ من عظامه- يقودنا إلى أن نتبع صوت المعلمين الإلهيين عن ما يخص المسيح؛ لأن الإنجيلي العظيم متناولاً -بمفهوم جسدي بالأكثر- القول الإلهي عن المسيح، قال: «وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ لأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ ... لأَنَّ هَذَا كَانَ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «عَظْمٌ لاَ يُكْسَرُ مِنْهُ»» (يو ١٩: ٣٣، ٣٦).

يأكلون الحمل ممنطقين أحقاؤهم ولابسين أحذيتهم في أرجلهم وماسكين عصيهم في أيديهم، وبكلمة واحدة، يكونون مستعدين تماماً، كمثل أولئك



الذين يتأهبون للسفر. مستعدين للانتقال الذهني سائرين بسرعةٍ لكي نخرج ونبتعد عن انشغالات العالم، وننتقل بكل استعدادنا إلى ما هو أفضل. ليتنا نحتفظ -نحن الذين تطهَّرنا- بالمسيح داخلنا. لأننا لم نعتَد أن نرتحل إلى الأمور الوقتية، لكننا نقصد دائماً الأمور الثابتة، مرتحلين من النجاسات الجسدية، مسرعين إلى الكمال الروحي[1]، آخذين في ذهننا قول المسيح: «قُومُوا نَنْطَلِقْ مِنْ ههُنَا» (يو ١٤: ٣١). لأجل هذا، كل الذين يأكلون الحمل، يأخذون شكل أولئك الذين يتأهبون للرحيل، وهذا بمثابة مثال للمسيح.

لكن يجب أن يأكلوا بعَجَلَةٍ؛ لأنه فصحٌ للرب، أي عبور، هي ساعةٌ لأجل المرور. فطالما جاء الوقت الذي يتوجب علينا فيه أن نعبر من دناءة هذا العالم إلى أن نكون حريصين على أن نفعل كل ما هو مُسرٌّ لدى الله، فعلينا أن نقوم بهذا الأمر بسرعة، بدون إبطاء ولا نبقى في خطايانا القديمة. وبولس العظيم يقول: «ارْكُضُوا لِكَيْ تَنَالُوا» (١ كو ٩: ٢٤). إذن ليتنا نسرع لكي ننال المسيح داخلنا بالإيمان طارحين أي ترددٍ، وبدون أي تأجيل، بل بكل استعدادنا. لأننا هكذا نعبر من الخطايا إلى البر، من الموت إلى الحياة، وطالما طرحنا عن كاهلنا نير العبودية، فسوف نغتني من نعمة التبني البهية.

بلاديوس: لقد قلت هذه الأقوال بطريقة حسنة.

كيرلس: حين تُحفظ كل هذه الأمور، فسوف يحققون تماماً الغاية التي أرادها المشرع. (لأن الملاك المهلك) سوف يخترق ويجول كل أرض المصريين، فهو من جهةٍ سوف يقتل كل أبكارهم، ومن جهةٍ أخرى أيضاً سوف ينتقم من آلهة المصريين، أي أنه سوف يقتل كل واحد من طغمة الآلهة المسجود لها، كل

١ـ يشرح القديس يوحنا ذهبي الفم عن كيفية الكمال أثناء حديثه عن ما قاله الرسول بولس "لِذلِكَ وَنَحْنُ تَارِكُونَ كَلاَمَ بَدَاءَةِ الْمَسِيحِ، لِنَتَقَدَّمْ إِلَى الْكَمَالِ" (عب ٦:٣) إذ يقول: "ماذا تعني عبارة " لننتقدم إلى الكمال؟" يقول الأتي: لننتقدم نحو القمة ذاتها، أي لنحيا حياة كاملة. أي مثلما في البدايات الأساسية فإن حرف الـ A يضبط كل شيء وأساس لكل البناء، هكذا يقين الإيمان يضبط نقاوة الحياة. وبدون هذا الثبات في الإيمان، فمن غير الممكن أن يوجد مسيحي، مثلما أنه من غير الممكن وجود بناء بدون أساس، ولا يمكن للمرء أيضاً أن يعرف الحروف جيداً بدون البدايات الأساسية. لكن لو أن شخص إهتم بالبدايات، أو أن شخص إنشغل بالأساس ولم يصعد إلى البناء، فلن ينال أبداً شيئاً أكثر من هذا، نفس الأمر يحدث معنا نحن أيضاً. أي لو أننا بقينا دوماً في فضيلة الإيمان، فلن نصعد أبداً إلى كمال الإيمان" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ١٥٧.

إله متغطرسٍ منتفخٍ بمجده الزائف (مثل فرعون)، وسيطلب عقابه لأجل رأيه القاسي والمنتفخ وغيرته المتطرفة جداً.

لكنه وعد بحماية بني إسرائيل الذين دَهنوا بدم الحمل القائمتين والعتبة العُليا، الأمر الذي دعاه علامةً للعهد معهم. لأنه يقول: «فَأَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ» (خر ١٢: ١٣). فالله الذي يترك غضبه وغيظه ينصب على كل متعالٍ ومتعظم، وفق أقوال النبي (انظر أش ٢: ١٢)[1]، والذي يدين السفيه وفاعل الشر بالموت، وكذلك مَن أهمل بدون انقطاع تقواه تجاهه، يترك فقط الذين خُتموا بختمٍ مميَّزٍ ورُش عليهم دم المسيح، يفلتون ويُنقذون من العقاب. لأنك سمعته يقول: «مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَكونُ[2] فِيَّ وَأَنَا فِيهِ. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ» (يو ٦: ٥٤ – ٥٥). وأيضاً: «اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ» (يو ٣: ٣٦).

المقدَّسون إذن، هم المشاركون للحياة الأبدية، وهم أصدقاء ومعارف الله الآب، ومنتصرون على الموت؛ لأنهم صاروا شركاء المسيح –بطريقةٍ سرِّيةٍ– ممسوحين بالدم المقدس.

لكن عندما يقول إنه يجب عليهم أن يحاولوا بدون توقف أن يتمموا الناموس بشأنه، فإنه يعني ألَّا نتوقف أبداً عن أن نُعيِّد في أيام المسيح مزيلين من حدودنا الخمير، أي من كل الأرض حيث نسكن. لأن الذين دُعُوا لكي يتبرروا بالإيمان بواسطة المسيح يجب عليهم أن يحتفلوا روحياً، لا أن يُعيِّدوا بخميرة الشر، بل بالحري يتنقوا من الخميرة العتيقة ويُعاد خلقتهم نحو الأفضل، ظاهرين هكذا كخميرةٍ جديدةٍ[3] مع كل جيلهم وكل ما

١- "فَإِنَّ لِرَبِّ الْجُنُودِ يَوْماً عَلَى كُلِّ مُتَعَظِّمٍ وَعَالٍ وَعَلَى كُلِّ مُرْتَفِعٍ فَيُوضَعُ".

٢- بحسب الترجمة القبطية.

٣- يشرح القديس غريغوريوس النيصي كيف نصبح خليقة جديدة، قائلاً: "كما أن الذين تناولوا سُمًّا بمكيدة أعدائهم يبطلون مفعوله المهلك بواسطة عقار آخر، هكذا نحن الذين أكلنا ما انحلّت به طبيعتنا (أي الثمرة المحرَّمة)، نحتاج بالضرورة أن نتناول ما يجمع من جديد هذه الطبيعة المنحلة، بحيث أن هذا الترياق الحال فينا يبطل بقدرته الشافية الخاصة تلك الأضرار التي أصابت الجسد من ذلك السم. وماذا يكون هذا الترياق؟ ليس إلا ذلك الجسد الذي استُعلِنَ أقوى من الموت وصار لنا بدءاً للحياة. فكما أن خميرة صغيرة -بحسب قول الرسول (١كو ٥: ٦)- تجعل العجين كله مشابهاً لها، هكذا أيضاً هذا الجسد الذي جعله الله غير مائت، حينما يحل داخل جسدنا فإنه يحوِّله وينقله كله إلى ذاته. فكما أن العقار المهلك إذا امتزج بالترياق الشافي فإن مزيج الاثنين يكون كله غير ضار، هكذا أيضاً الجسد غير المائت حينما يحل في الذي يتناوله فإنه يحوِّله بكامله إلى طبعه الخاص!" العظة التعليمية الكبرى PG 45, 93 37.

يخصهم وكل الساكنين معهم، الأمر الذي يُشير إليه الجمع الكثير غير المحصى، أي جمع أولئك الذين قبلوا الإيمان.

كذلك قال إن اليوم الأول من الأسبوع يجب أن يُدعى مقدساً. ويُدعى مقدساً أيضاً اليوم السابع. وبذلك يكون الناموس قد أظهر أن الزمن الأول لحياة الإنسان كان مقدساً، مثل أزمنة حياة آدم قبل السقوط حين لم يكن قد خالف الوصايا، ولم يهمل بعد الأوامر المقدسة. لكن الزمن الأخير مقدسٌ أيضاً، بل وأعظم، أي زمن المسيح الذي هو آدم الثاني، الذي يمنح للجنس البشري الذي عاش فيما بين الزمنين تكويناً جديداً، إذ يلده ثانيةً لحياةٍ روحية جديدة.

كذلك أوجب عليهم أن تكون هناك راحةً في اليوم السابع مبطلين أي أعمال نقوم بها. لأنه ينبغي –وهذا حسنٌ جداً– على الذين يأتون بالإيمان إلى راحة المسيح، أن يبتعدوا من الآن فصاعداً عن أي عمل جسدي وعن الانشغالات الأرضية وعن أي طوافٍ غير هادف، بل بالحري مسرعين إلى كل ما يقود إلى الحياة غير المائتة، وكل ما يجعلهم أتقياء وقديسين. لأنه، كما كتب لنا بولس الحكيم: «لأَنَّ الَّذِي دَخَلَ رَاحَتَهُ اسْتَرَاحَ هُوَ أَيْضاً مِنْ أَعْمَالِهِ، كَمَا اللهُ مِنْ أَعْمَالِهِ» (عب ٤: ١٠).

بلاديوس: هذا حقيقي.

كيرلس: هذا إذن ما قاله لنا الكتاب الإلهي. أخبر الآن موسى النبي بني إسرائيل بالأمر حين قال: «فَدَعَا مُوسَى جَمِيعَ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ وَقَالَ لَهُمُ: اسْحَبُوا وَخُذُوا لَكُمْ غَنَماً بِحَسَبِ عَشَائِرِكُمْ وَاذْبَحُوا الْفِصْحَ. وَخُذُوا بَاقَةَ زُوفَا وَاغْمِسُوهَا فِي الدَّمِ الَّذِي فِي الطَّسْتِ وَمُسُّوا الْعَتَبَةَ الْعُلْيَا وَالْقَائِمَتَيْنِ بِالدَّمِ الَّذِي فِي الطَّسْتِ. وَأَنْتُمْ لاَ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ، فَإِنَّ الرَّبَّ يَجْتَازُ لِيَضْرِبَ الْمِصْرِيِّينَ. فَحِينَ يَرَى الدَّمَ عَلَى الْعَتَبَةِ الْعُلْيَا وَالْقَائِمَتَيْنِ يَعْبُرُ الرَّبُّ عَنِ الْبَابِ وَلاَ يَدَعُ الْمُهْلِكَ يَدْخُلُ بُيُوتَكُمْ لِيَضْرِبَ» (خر ١٢: ٢١ – ٢٣).

وأمَّا أنه يجب أن يأخذوا الحمل بحسب بيوت الآباء، أي بحسب الأهل، فهو يعني الهوية من جهة الإيمان، والقرابة الروحية. لأننا نُعيِّد طبعاً مع أصحاب الآراء الإيمانية الثابتة والمستقيمة، ولا نصير شركاء في التقدمة

المقدسة والمحيية مع هؤلاء الذين عادةً ما يتصرفون بطريقةٍ مختلفةٍ عن الاستقامة والحق، لكن مع الذين يتدبرون مثلنا ومع أخوتنا، مع هؤلاء الذين هم في وحدة الروح والتطابق في الإيمان. لأن الزوفا تتَّحد -بحسب التدبير- بدم الحمل. وسوف نقول عن هذا الأمر بعض الأقوال.

يا بلاديوس، الزوفا هو نوعٌ من النبات يحبِّذه الأطباء لأنه يتميز بأنه يحل وبشدة وساخة الأحشاء، ويُليِّن البلغم الكثيف بفضل قوة الحرارة الطبيعية التي يحدثها. إذن يتحد الدم -كما قلت منذ قليل- بالزوفا، وهذا المِثال بشكل عام يعني أن دم المسيح الثمين لا يحررنا فقط من الفساد، لكن أيضاً من أي دنس مستتر داخلنا، دون أن يتركنا نشعر بالبرودة وعدم المبالاة، بل بالحري يجعلنا ألسنةً ملتهبةً في الروح. لاحظ إذن، بأي مفهوم يقول: «لاَ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ» (خر ١٢: ٢٣). لأن الكتاب المقدس يشبِّه هذه الحياة بالليل، والحياة العتيدة التي ننتظر مجيئها يشبِّهها بالنهار. وبولس الطوباوي يرى أن هذه الحياة تمضي تجاه النهاية، وأن الدهر الآتي يقترب بالفعل، بل وهو على الأبواب محذراً إيانا قائلاً: «قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ. لِنَسْلُكْ بِلِيَاقَةٍ كَمَا فِي النَّهَارِ لاَ بِالْبَطَرِ وَ السُّكْرِ لاَ بِالْمَضَاجِعِ وَ الْعَهَرِ لاَ بِالْخِصَامِ وَ الْحَسَدِ» (رو ١٣: ١٢ - ١٣).

حسناً، عبارة «حتى الصباح» تعني «حتى نهاية الحياة»، أي حتى تظهر الحياة العتيدة. ولكن كيف يصير لنا هذا، طالما أنه بنهاية حياة أي أحد يبدأ الدهر الآتي؟ بما أن المحقق لدينا، أن مَنْ مات قد تبرَّر من الخطية، بالتالي يكون الله قد وضع نهايةً له، وفق المكتوب (انظر رو ٦: ٧)، لكنه ينتظر منبر المسيح، وفي الحالة التي يوجد عليها في نهاية حياته، هكذا سيُحضر أمامه.

بلاديوس: إنني أدرك ما تقول، وشرحك حسنٌ جداً.

كيرلس: لكن عليك أن تنتبه للطريقة التي صُوِّر بها سرُّ المسيح لأجلنا عند الأقدمين، بمعنى أن هناك حملاً سوف يقدِّم ذبيحةً في وقت ما، ولما حان الوقت المحدد ارتضى عمانوئيل أن يُقدِّم ذاته لأجل حياة الجميع. وبولس العظيم يكتب: «لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضاً الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا» (١ كو ٥: ٧).

ولكن بحسب الكتب الإلهية، يمكننا أن نقدم ذبيحتنا ونكمل العيد في الشهر الثاني، لو حالت ظروفٌ دون إتمام العيد في الشهر الأول. هل تريد أن نستعرض الشاهد الكتابي الخاص بهذا الأمر ونذكر الأمور الواجبة؟

بلاديوس: بالتأكيد.

الموعد البديل لعيد الفصح

كيرلس: حسناً، مكتوب في سفر العدد: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ، فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِخُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ قَائِلاً: وَلْيَعْمَلْ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْفِصْحَ فِي وَقْتِهِ. فِي الْيَوْمِ الرَّابعَ عَشَرَ مِنْ هذَا الشَّهْرِ بَيْنَ الْعَشَاءَيْنِ تَعْمَلُونَهُ فِي وَقْتِهِ. حَسَبَ كُلِّ فَرَائِضِهِ وَكُلِّ أَحْكَامِهِ تَعْمَلُونَهُ. فَكَلَّمَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا الْفِصْحَ. فَعَمِلُوا الْفِصْحَ فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ فِي الْيَوْمِ الرَّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ بَيْنَ الْعَشَاءَيْنِ فِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ، حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى هكَذَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ. لكِنْ كَانَ قَوْمٌ قَدْ تَنَجَّسُوا لإِنْسَانٍ مَيْتٍ، فَلَمْ يَحِلَّ لَهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا الْفِصْحَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ. فَتَقَدَّمُوا أَمَامَ مُوسَى وَهَارُونَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، وَقَالَ لَهُ أُولئِكَ النَّاسُ: «إِنَّنَا مُتَنَجِّسُونَ لإِنْسَانٍ مَيِّتٍ. لِمَاذَا نُتْرَكُ حَتَّى لاَ نُقَرِّبَ قُرْبَانَ الرَّبِّ فِي وَقْتِهِ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟» فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «قِفُوا لأَسْمَعَ مَا يَأْمُرُ بِهِ الرَّبُّ مِنْ جِهَتِكُمْ». فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيل قَائِلاً: كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ أَوْ مِنْ أَجْيَالِكُمْ كَانَ نَجِساً لِمَيْتٍ، أَوْ فِي سَفَرٍ بَعِيدٍ، فَلْيَعْمَلِ الْفِصْحَ لِلرَّبِّ. فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ الرَّابعَ عَشَرَ بَيْنَ الْعَشَاءَيْنِ يَعْمَلُونَهُ. عَلَى فَطِيرٍ وَمُرَارٍ يَأْكُلُونَهُ. لاَ يُبْقُوا مِنْهُ إِلَى الصَّبَاحِ وَلاَ يَكْسِرُوا عَظْماً مِنْهُ. حَسَبَ كُلِّ فَرَائِضِ الْفِصْحِ يَعْمَلُونَهُ. لكِنْ مَنْ كَانَ طَاهِراً وَلَيْسَ فِي سَفَرٍ، وَتَرَكَ عَمَلَ الْفِصْحِ، تُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهَا، لأَنَّهَا لَمْ تُقَرِّبْ قُرْبَانَ الرَّبِّ فِي وَقْتِهِ. ذلِكَ الإِنْسَانُ يَحْمِلُ خَطِيَّتَهُ. وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكُمْ غَرِيبٌ فَلْيَعْمَلْ فِصْحاً لِلرَّبِّ. حَسَبَ فَرِيضَةِ الْفِصْحِ وَحُكْمِهِ كَذلِكَ يَعْمَلُ. فَرِيضَةٌ وَاحِدَةٌ تَكُونُ لَكُمْ لِلْغَرِيبِ وَلِوَطَنِيِّ الأَرْضِ» (عدد ٩: ١ – ١٤).

بلاديوس: لكن كُنت أود أن أعرف بوضوح، مثلما تعرفه جيداً جداً، مَنْ هم الذين يُحسبون نجسين من جهة نفس الإنسان، ومتى يستخدمون –كمبرر– حقيقة أنهم لن يمكنهم أن يحتفلوا بالفصح.

كيرلس: السرُّ التاريخي كبيرٌ جداً. لكن سوف أذكِّرك بالله الذي قال لموسى: "أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيل أَنْ يَنْفُوا مِنَ المحَلةِ كُل أَبْرَصَ وَكُل ذِي سَيْلٍ وَكُل مُتَنَجِّسٍ لِمَيِّتٍ" (عدد ٥: ٢). سبق أن تكلمنا عن الحالتين الأوليين بما فيه الكفاية. لذا أذكر الآن ما هو مفيد عن الأمر الثالث. حسناً، الكتاب المقدس يصف النجس من جهة النفس بأنه لمس ميتاً؛ لأنه حرَّم أن يلمس أحدٌ جسداً بلا نفس، وقد حكم التشريع القديم على هؤلاء الذين يحزنون على شخص قريب لهم قرابة الدم، بالنجاسة[1]. لأجل هذا طردوا هذا النجس من مكان العبادة. الناموس يشير بكل هذا إلى أن مَنْ صار كميِّتٍ من جهة السلوك الأخلاقي ومناهجه يكون كافراً ومملوءً من النجاسة الذهنية. لأن الذين قال لهم المسيح: "دع الموتى يدفنون موتاهم" (مت ٨: ٢٢)، هم أموات من جهة السلوك. إذن مَنْ صنع شركة مع أولئك الذين اعتادوا أن يفعلوا أعمالاً ميتة، أو أراد أن يتصرف مثلهم، يكون خارج الدار المقدسة وكنيسة الأبكار وخارج رعية القديسين.

هذا هو ما أراد أن يشير إليه الناموس. لكن من جهة مفهومه الحقيقي الذي يتناسب تناسباً مطلقاً معنا نحن الروحيين، فالذين يتممون عيدهم في الشهر الثاني مقدمين ذبيحةً كمثال للمسيح، بحسب ناموس الفصح؛ لأنهم نجَّسوا أنفسهم باقترابهم من إنسان ميت، ليسوا إلَّا اليهود الذين تنجسوا بقتل المسيح، وحكم عليهم بالنجاسة لأنهم تفوهوا بكلام غير لائق ضد عمانوئيل. ولأنهم تأخروا عن الميعاد الذي تمم فيه رئيس حياة الجميع عمله بالآلام، ولذلك حُرِموا من الاشتراك في عيدنا المقدس. لكن من محبته للبشر، ذاك الذي يريد أن الجميع يخلصون (انظر ١تيمو ٢: ٤)، سمح لهؤلاء أن يصيروا شركاء المسيح، على أن يحتفلوا -في الشهر الثاني، أي في الأزمنة اللاحقة للأولى- مع القديسين الذين قد دُعُوا فيما بعد، وأتوا من الأمم.

لاحظ -إذن- كيف ذبح أولئك الذين كانوا في مصر، الحملَ مباشرةً في

١- يعرف القديس يوحنا ذهبي الفم النجاسة قائلاً: "النجاسة التي تأتي من الخارج، نلفظها سريعاً. لكن نجاسة الخطية تولد داخلنا، ومن أجل ذلك بصعوبة نمحوها عندما نتنقى منها، لأنه يقول "من القلب تخرج أفكار شريرة قتل زنى فسق سرقة شهادة زور". ولهذا قال النبي "قلباً نقياً اخلقٍ فيّ يا الله"، ويقول إرميا "اغسلي من الشر قلبك يا أورشليم". أرأيت أن الإنجاز (أي تحقيق التقوى) هو لنا ولله؟ وأيضاً يقول رب المجد "طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله". إذاً لنصر أنقياء، على قدر ما تسمح به طاقتنا ولنتطهر من خطايانا" تفسير الرسالة إلى العبرانيين، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

الشهر الأول بمجرد أن طرحوا عنهم دنس عبادة الأوثان، وهكذا حُسبوا ضمن الذين آمنوا أولاً. لذلك، فهؤلاء الذين مُسحوا بدم الرب لا يمكن للمهلك أن يؤذيهم على الإطلاق، بل وسوف ينتصرون على الفساد. بعكس الآخرين الذين يحتفلون في السنة الثانية والشهر الثاني، فبعد قهرٍ يأتون ويعترفون بالنجاسة معطين تأكيداً واضحاً على أنهم صاروا نجسين جرَّاء لمسهم لإنسان ميت، وأنهم جديرون بنوال البركة، عندئذٍ يتممون العيد، ولكن بعد الأولين. لأنه مكتوب: "وَلكِنْ إِنْ كَانَ إِثْمُنَا يُبَيِّنُ بِرَّ اللهِ، فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ اللهَ الَّذِي يَجْلِبُ الْغَضَبَ ظَالِمٌ؟ أَتَكَلَّمُ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ" (رو ٣: ٥). لأجل هؤلاء أعلن أحد الأنبياء قائلاً: "بَعْدَ ذلِكَ يَعُودُ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَيَطْلُبُونَ الرَّبَّ إِلهَهُمْ وَدَاوُدَ مَلِكَهُمْ، وَيَفْزَعُونَ إِلَى الرَّبِّ وَإِلَى جُودِهِ فِي آخِرِ الأَيَّامِ" (هوشع ٣: ٥).

لذلك، سوف يطلب بني إسرائيل -في أواخر الأيام- المسيح الذي هو من نسل داود بحسب الجسد.

بلاديوس: حديثك صحيح، فقد أُعطي الرجاء لبني إسرائيل لأجل خلاصهم.

خطورة عدم الاحتفال بالأعياد

كيرلس: وكون أن عدم تميم الأعياد المذكورة، والخاصة بالمسيح ليس بالأمر الهيِّن، بل بالحري من الأمور الخطرة جداً، فهو ما يوضحه مباشرةً منذراً مَنْ لا يريد أن يتمم الشرائع بأنه سوف ينال عقوبات شديدة. أمَّا مَن اقترب من إنسان ميت ووُجدَ بعيداً جداً خارجاً عن أورشليم، أي خارج كنيسة مخلصنا المقدسة، فإنه يُعد نجساً، وسوف نعتبره من هؤلاء الضالين الذين يعبدون الخليقة دون الخالق، الذين قالوا: "للعود أنت أبي وللحجر أنت ولدتني" (أر ٢: ٢٧). لأنه يليق بالإنسان الصالح الذي يعتقد في الله حسناً أن يُوجد بالقرب من الله، بينما يرحل بعيداً ويهجر ويبتعد كل مَنْ ليس هكذا.

إذن، فالذين لم يتنجسوا مثل اليهود، ولا كانوا بعيدين مثل الأمم أو الهراطقة، هم الذين يقدمون الذبيحة ويكرمون أعياد الرب باستعداد وبدون تباطؤ. معهم أيضاً يحتفل الغريب الذي يأتي إليهم بنفس الناموس، ويشاطرهم

أفراحهم. إذن، فأولئك الذين قبلوا مفاخر الإيمان في المسيح نجعلهم شركاء الذبيحة غير الدموية وندعوهم ليصيروا مشاركين للمائدة المقدسة[1]. أعتقد أنه من الحتمي أن نشير إلى العادة المرعية في الكنائس، من أنه لو وقع اليوم الرابع عشر القمري خارج الشهر الأول، يفحصون الشهر الثاني بعده ويفتشون فيه عن اليوم المحدد حتى لا يخرج وقت العيد عن الوقت الحقيقي. هكذا تسير الأمور مثلما أُعلنت بواسطة الناموس القديم.

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب، لكن أخبرني أمراً آخراً: هل كان الناموس يسمح لمن كان بعيداً عن أورشليم أن يتمم الفصح بدون عقابٍ.

كيرلس: بالطبع لا. لأنه أمر أن يقدموا في المدينة المقدسة حيث بَنَى سليمان الهيكل القديم. لأن موسى وهو يتحدث إلى بني إسرائيل في سفر التثنية، يقول: "اِحْفَظْ شَهْرَ أَبِيبَ وَاعْمَلْ فِصْحاً لِلرَّبِّ إِلهِكَ، لأَنَّهُ فِي شَهْرِ أَبِيبَ أَخْرَجَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ مِصْرَ لَيْلاً. فَتَذْبَحُ الْفِصْحَ لِلرَّبِّ إِلهِكَ غَنَماً وَبَقَراً فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ لِيُحِلَّ اسْمَهُ فِيهِ. لاَ تَأْكُلْ عَلَيْهِ خَمِيراً. سَبْعَةَ أَيَّامٍ تَأْكُلُ عَلَيْهِ فَطِيراً، خُبْزَ الْمَشَقَّةِ، لأَنَّكَ بِعَجَلَةٍ خَرَجْتَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لِكَيْ تَذْكُرَ يَوْمَ خُرُوجِكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَلاَ يُرَ عِنْدَكَ خَمِيرٌ فِي جَمِيعِ تُخُومِكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَلاَ يَبِتْ شَيْءٌ مِنَ اللَّحْمِ الَّذِي تَذْبَحُ مَسَاءً فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ إِلَى الْغَدِ. لاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَذْبَحَ الْفِصْحَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، بَلْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ لِيُحِلَّ اسْمَهُ فِيهِ. هُنَاكَ تَذْبَحُ الْفِصْحَ مَسَاءً نَحْوَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فِي مِيعَادِ خُرُوجِكَ مِنْ مِصْرَ" (تث ١٦: ١ – ٦).

اليهودية كانت مملوءة بآلاف المدن والقرى، لكن الله حدَّد –بالنسبة لتقديم وتتميم البصخة– أن تصير فقط في المدينة المقدسة. أعتقد أن حرف الناموس يرسم لنا –كما في ظِلٍّ– ذاك الأمر الحسن، بأنه غير مسموح أن يتحقق سر المسيح في أي مكان وبأية طريقة كما يريد أي أحد؛ لأن

١- عن الشركة في المائدة المقدسة بقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "لم يكن كافياً له أن يصير إنساناً ويُلطم ويُذبح ولكنه قد مزج نفسه أيضاً بنا! ليس فقط بالإيمان بل وبالفعل الواقعي: فقد جعلنا جسداً له! فبأي طهارة فائقة يجب أن يتقدَّم من يتناول من مثل هذه الذبيحة!... والفم الذي يمتلئ بالنار الروحية، واللسان الذي يصطبغ بالدم الرهيب! فانظر إلى أية كرامة دُعيتَ وإلى سمو المائدة التي ستتنعَّم بها فالشيء الذي ترتجف الملائكة من مجرد رؤياه ولا تجسر أن تنظر إليه بدون رعدة بسبب شدة البريق المنبعث منه هذا بعينه هو الذي نأكله! وبه هو نفسه نحن نمتزج جسداً واحداً ولحماً واحداً مع المسيح. «مَنْ يخبر بأعمال الرب العظيمة ويجعل كل تسابيحه مسموعة؟!» (مز ١٠٦: ٢ سبعينية) أي راعٍ عَالٍ رعيته بأعضائه الخاصة؟ ... أما هو فإنه يغذينا بدمه الخاص وبكل وسيلة يمزجنا بنفسه". عظة ٨٢: ٥ على إنجيل القديس متى PG 58, 743.

المكان الوحيد اللائق والحقيقي هو المدينة المقدسة، أي الكنيسة حيث يوجد كاهن شرعي، وبأيدٍ تقدست، تُتمم الذبائح ويُرفع البخور إلى الله، رب الجميع، والذبيحة الطاهرة بحسب كلام النبي (أنظر ملا ١: ١١).

لذلك فالهراطقة الذين يحرِّفون المستقيمات، لا يقيمون حساباً للناموس؛ لأنهم لا يقدمون الحمل في المدينة المقدسة، ولا بأيدي المختارين بواسطة الروح القدس لتتميم الذبيحة، لكن كما كتب لنا بولس الرسول (انظر عب ٥: ٤) آخذين الكرامة لأنفسهم، وأحقية تقديم الذبيحة في كل مكان. إنهم كالثيران السفيهة والمنتفخة ينقضّون بدون تعقل على هذا الذي يعجبهم فقط. بالمثل أيضاً أولئك الذين هم بالحقيقة غير منضبطين وتسيطر عليهم الغيرة والحسد، ينالون عقوبات مُرة من الديّان بسبب أفكارهم هذه.

أنواع ذبائح عيد الفصح ورمزيتها

لكن هيا بنا ندخل نحن أيضاً في الطريق السهل والمستقيم فاحصين علامة الناموس تلك. أنت تعرف بالطبع أنه قيل بوضوح: ''اِحْفَظْ شَهْرَ أَبِيبَ وَاعْمَلْ فِصْحاً لِلرَّبِّ إِلهِكَ، لأَنَّهُ فِي شَهْرِ أَبِيبَ أَخْرَجَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ مِصْرَ لَيْلاً'' (تث ١٦: ١). ويُمكن لأحد أن يتساءل قائلاً حين أُعطيَ ناموس البصخة لليهود الذين كانوا في مصر، ألم يأمر أن يقدموا فقط خروفاً واحداً؟ ألا نجد هنا ذِكراً للأغنام والبقر، فهل ابتعد موسى عما هو مطلوب؟ إطلاقاً لأن الله شرَّع في سفر العدد أن يقدموا مع الخروف أغناماً وأبقاراً، قائلاً: ''وَفِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ، فِي الْيَوْمِ الرَّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِصْحٌ لِلرَّبِّ. وَفِي الْيَوْمِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ هذَا الشَّهْرِ عِيدٌ. سَبْعَةَ أَيَّامٍ يُؤْكَلُ فَطِيرٌ. فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ. عَمَلاً مَا مِنَ الشُّغْلِ لاَ تَعْمَلُوا. وَتُقَرِّبُونَ وَقُوداً مُحْرَقَةً لِلرَّبِّ: ثَوْرَيْنِ ابْنَيْ بَقَرٍ، وَكَبْشاً وَاحِداً، وَسَبْعَةَ خِرَافٍ حَوْلِيَّةٍ. صَحِيحَةً تَكُونُ لَكُمْ. وَتَقْدِمَتُهُنَّ مِنْ دَقِيق مَلْتُوتٍ بِزَيْتٍ: ثَلاَثَةَ أَعْشَارٍ تَعْمَلُونَ لِلثَّوْرِ، وَعُشْرَيْنِ لِلْكَبْشِ، وَعُشْراً وَاحِداً تَعْمَلُ لِكُلِّ خَرُوفٍ مِنَ السَّبْعَةِ الْخِرَافِ، وَتَيْساً وَاحِداً ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لِلتَّكْفِيرِ عَنْكُمْ. فَضْلاً عَنْ مُحْرَقَةِ الصَّبَاحِ الَّتِي لِمُحْرَقَةٍ دَائِمَةٍ تَعْمَلُونَ هذِهِ. هكَذَا تَعْمَلُونَ كُلَّ يَوْمٍ، سَبْعَةَ أَيَّامٍ طَعَامَ وَقُودِ رَائِحَةِ سُرُورٍ لِلرَّبِّ، فَضْلاً عَنِ الْمُحْرَقَةِ الدَّائِمَةِ يُعْمَلُ مَعَ سَكِيبِهِ'' (سفر العدد ٢٨: ١٦ – ٢٤).

إذن، هناك إلزامٌ من الناموس بتتميم البصخة في الشهر الأول، وفي اليوم الرابع

عشر منه كما قلنا منذ قليل. أمَّا الغرض من مسألة أن يأكلوا خبزاً بدون خمير، وراحة السبت، وكذلك أيضاً أن يُدعى كلاً مِن اليوم الأول والسابع بأنهما مقدَّسَين، فقد أوضحناه بحديثنا السابق، ولذلك فإننا لن نتحدث عن هذه الأمور، إلَّا أننا سوف نرجع أيضاً إلى أنواع الذبائح: ثورين محرقة للرب ابني بقر، وكبشاً واحداً، وسبعة خراف حوليه صحيحة، وكذلك تقدمة دقيق ملتوت بزيت. والكمية مختلفة: ثلاث أعشار للثور وعُشرين للكبش، وعُشرٌ واحدٌ لكل خروفٍ، ثم يُقدِّم تيساً واحداً للتكفير عن الخطايا: "فَضْلاً عَنْ مُحْرَقَةِ الصَّبَاحِ الَّتِي لِمُحْرَقَةٍ دَائِمَةٍ تعْمَلُونَ هذِهِ" (عدد ٢٨: ٢٣).

حسناً. لاحظ يا بلاديوس، كيف يُثمر موت عمانوئيل حقاً مؤمنين كثيرين بحسب ما قاله هو نفسه بوضوح: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تبقَى وَحْدَهَا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ. مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (يو ١٢: ٢٤ – ٢٥).

إذن، يُذبح الحمل كمثال للمسيح بحسب الناموس في اليوم الرابع عشر للشهر الأول، ويُقدِّم أولئك الذين دُعُوا لأن يتقدسوا بالإيمان، ثيران وكِباش وخِراف لذبائح محرقة معلناً بمثال قياس القوة الروحية. فلو لم يمت المسيح لأجلنا[1] لما تقبَّلَنا الله الآب كرائحة ذكية ومُبهجة. ولأن عمانوئيل حقق الكمال بالآلام، لذا علينا أن نسير على آثاره مباشرةً مقدمين ذواتنا إلى الله الآب حقاً ذبيحة روحية.

أمَّا لماذا يُقدَّم ثورين؟ لأنهم كانوا شعبين، أقصد شعب بني إسرائيل وشعب الأمم. الكبشُ واحدٌ؛ لأننا نتحد جميعنا بواسطة المسيح، كما هو مكتوب: "لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِداً، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتوَسِّطَ. أَيِ الْعَدَاوَةَ. مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الاثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَاناً وَاحِداً جَدِيداً، صَانِعاً سَلاَماً" (أفسس ٢: ١٤ – ١٥).

١- يشدد القديس كيرلس على أننا إعتمدنا في موت المسيح، وسبب هزيمة الشيطان فوق الصليب هو أن المسيح هو الحياة، إذ يقول: "وإذاً ماذا نقول ؟ "رب واحد بالحق، وإيمان واحد، ومعمودية واحدة" (أف ٤:٥). لأنه ابن ورب واحد، وليس أن الكلمة اتخذ إنساناً بحسب الاتصال وأعلن انه شريك لكراماته الخاصة، ونقل إليه البنوة والربوبية، كما يقول ويكتب بعض الذين يهذون. ولكن هو الكلمة الذي من الله، النور الذي من النور، الذي تأنس وتجسد. ونحن نعتمد في موت ذاك الذي تألم إنسانياً في جسده الخاص، ولكنه ظل غير متألم إلهياً = = وحياً على الدوام، لأنه هو الحياة من حياة الله الآب. لذلك، هُزِمَ الذي تجاسر أن يهاجم جسد الحياة، وهكذا أيضاً أبيد الفساد الذي فينا وضعف سلطان الموت نفسه، ولذلك يقول المسيح: "الحق الحق أقول لكم، إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم". رسائل القديس كيرلس، الجزء الرابع، رسالة ٥٥ فقرة ٣٨ ص٤٠.



الخراف كانت سبعة؛ لأنه بما أننا صِرنا واحداً بواسطة المسيح، نكون رعيةً واحدةً كبيرةً نتبع رئيس رعاة الجميع[1]. ومن الرعيتين اللتين كانتا موجودتين وقتذاك، تجمَّعنا الآن رعيةً واحدةً تلمع بحياة طاهرة، وبلا عيب نوجد في هذا العالم بفضل ذاك الذي ذُبح لأجلنا وأُحصيَ بين الأئمة لأجل خطايانا كُلنا (انظر أش ٥٣: ١٢)، والذي يُشير إليه الناموس بالتيس.

وعندما ذكر الناموس الثور والكبش، وأيضاً الخروف، فقد قصد بذلك أن يعلن الدرجات الثلاث لمحبة القديسين لله، وأقصد الدرجة العظمى والمتوسطة وأيضاً الأدنى والمنخفضة. لأنه بالحجم الجسدي للحيوانات يُشار إلى كمية القوة الروحية. ألم يقل الكتاب المقدس إن خصوبة الأرض تنتج ثلاث ثمار مختلفة للتعاليم الإنجيلية (انظر مت ١٣: ٢٣).

بلاديوس: بالتأكيد. لأنه يقول: أرضٌ أعطت مائة، وأخرى ستون، وأرض ثالثة أعطت ثلاثون.

كيرلس: إذن يمكننا أن نستنتج من هذا أن الاختلاف في الفضيلة وأنواع المعيشة، إنما رُسِمَ بطريقة رائعة كما في ظلالٍ، باستخدام عدد الذبائح وضخامتها الجسدية. الدرجة العظمى أُعلنت بالثور، والمتوسطة وهي الأقل من الكمال أُعلنت بالكبش، باعتبار أن الكبش أصغر من الثور. لأجل هذا –قياساً بحجم كل واحد– تُقدَّم كمية الدقيق الذي هو بمثابة مثال للحياة، ثلاثةُ أعشارٍ للثور، عُشرين للكبش، وعُشرٌ واحدٌ للخروف.

كما قال أيضاً إن كل الدقيق يجب أن يكون ملتوتاً بزيت؛ لأن عطايا الله ستكون قياساً بمواقف كل واحد. كذلك ففي الحياة الممجدة والطوباوية يوجد اختلاف كبير، فالبعض تتناسب معهم الدرجة العظمى عن حقٍ،

١- في سياق حديثه عن راحيل يؤكد القديس كيرلس أيضاً على أننا صرنا رعية واحدة لراعي واحد، إذ يقول: "أما راحيل التي كانت عيناها صافية، فهي تشير إلى الكنيسة التي من الأمم، الكنيسة التي رأت مجد المسيح، ورآها الآب فيه ودعاها لتصير مسكناً للعريس العقلي، أي المسيح، بعد إرتباطه بالأولى (مجمع اليهود). لأن الشابة ليس بها غضن بينما الأولى صارت قديمة ولأنها شاخت فقد وُجدت قريبة من الإضمحلال. إسم "راحيل" يعني "رعية الله". وحقاً الكنيسة هي رعية المخلص الذي قال لليهود من خلال قديس من القديسين: "فقلت أرعاكم. مَنْ يَمُت فليمت ومَنْ يُبِد فليُبِد والبقية فليأكل بعضها لحم بعض" (زك١١: ٩)؟ وقال عنه: "خِرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبدية" (يو١٠: ٢٧ـ٢٨). إنه بالتأكيد هو الراعي الصالح والأول في كل شيء، لكنه وُجِد أيضاً حمل لأنه صار مثلنا. وحقاً أظهره يوحنا المعمدان أمام جمع اليهود، قائلاً: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو١: ٢٩). بالتأكيد ذُبحت آلاف الحملان وفق الناموس، لكن ولا واحد منها رفع خطية العالم. لأنه يقول: "لا يمكن أنٍ دم ثيران وتيوس يرفع خطايا" (عب١٠: ٤). لكن الحمل الذي بلا خطية، الحمل الحقيقي، الذبيح الذي لم يفعل خطية أبطل خطية العالم" جيلافيرا على سفر التكوين، المقالة السادسة، الكتاب الشهري، ديسمبر ٢٠٠٧.

كما تتناسب الدرجة الأقل المكرمة والممدوحة مع البعض الآخر، والبعض الآخر تتناسب معهم الدرجة الأدنى والوضيعة؛ لأن "نجماً يمتاز عن نجم في المجد" (١كو ١٥: ٤١). وهذا يختلف تماماً عن قياس المجد بالنسبة للملائكة القديسين. على أن الابتهاج لا يقتصر على الدرجة العظمى التي توجد فيها حياة القديسين، بل يتعدى ذلك إلى غيرها من الدرجات؛ فمن الحتمي أن يفرح المؤمن ويغتني بعطايا الله.

إذن لاحظ أن الزيت لا ينسكب فقط على الثلاثة أعشار من الدقيق، بل على العُشرين والعُشر الواحد أيضاً.

على الجانب الآخر هناك الخروف الذي يقدَّم ذبيحة ومحرقة دائمة في الخيمة المقدسة في الصباح وحتى المساء. مِن هذا أيضاً يمكننا أن نلاحظ وفرة الرائحة الذكية في الخيمة المقدسة، وأن رائحة الكنائس والقديسين الذين فيها هي حقاً بلا نهاية؛ لأن رائحتهم هي عمانوئيل، وأنهم يتممون أسرار المسيح مقدمين العبادة غير الدموية إلى الله.

لأن هذا ما يعنيه بالمحرقة الصباحية والمسائية الخاصة بذبائح الخِراف. لأن هذه المحرقة تصير مقبولة في البداية والنهاية، وما بين الإثنين. إذن من البداية حتى النهاية تنبعث الرائحة في الكنائس كما من خروفٍ، الذي هو المسيح.

بلاديوس: أنت تتحدث حسناً.

شريعة عيد الباكورة وعلاقته بالفصح

كيرلس: لكن الناموس يربط العيد الأول بعيد آخر ويوجز لنا هذه الأوقات قائلاً في سفر العدد: "وَفِي يَوْمِ الْبَاكُورَةِ، حِينَ تُقَرِّبُونَ تَقْدِمَةً جَدِيدَةً لِلرَّبِّ فِي أَسَابِيعِكُمْ، يَكُونُ لَكُمْ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ. عَمَلاً مَا مِنَ الشُّغْلِ لاَ تَعْمَلُوا. وَتُقَرِّبُونَ مُحْرَقَةً لِرَائِحَةِ سُرُورٍ لِلرَّبِّ: ثَوْرَيْنِ ابْنَيْ بَقَرٍ، وَكَبْشاً وَاحِداً، وَسَبْعَةَ خِرَافٍ حَوْلِيَّةٍ. وَتَقْدِمَتُهُنَّ مِنْ دَقِيقٍ مَلْتُوتٍ بِزَيْتٍ: ثَلاَثَةَ أَعْشَارٍ لِكُلِّ ثَوْرٍ، وَعُشْرَيْنِ لِلْكَبْشِ الْوَاحِدِ، وَعُشْراً وَاحِداً لِكُلِّ خَرُوفٍ مِنَ السَّبْعَةِ الْخِرَافِ. وَتَيْساً وَاحِداً مِنَ الْمَعْزِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْكُمْ، فَضْلاً عَنِ الْمُحْرَقَةِ الدَّائِمَةِ وَتَقْدِمَتِهَا تَعْمَلُونَ. مَعَ سَكَائِبِهِنَّ صَحِيحَاتٍ تَكُونُ لَكُمْ" (عدد ٢٨: ٢٦ - ٣١).

يُذبح الخروف إذن وفق نواميس العبرانيين في الشهر الأول؛ بينما كانت العادة في الشهر اللاحق أن يجمعوا نتاج الحقول، بواكير المحاصيل وحزمة من السنابل، لأن القمح يكون قد حُصد تواً. إذن وقت يوم الباكورة كان الوقت الذي يجب أن يجمعوا فيه كل ما ابيضَّ في الحقول، هذا العيد أيضاً يعتبر عيداً رسمياً ومقدساً، ويجب أن يُتمم بحسب الناموس، ولذلك تنقطع كل محاولات الشغل والتعب؛ لأنه كان من المعتاد في أثناء الأعياد أن يتجنبوا الأعمال الشاقة. من هذا أيضاً يمكن للمرء أن يعلم أن كل الذين يحتفلون بالعيد المقدس إكراماً لله يجب أن يتجنبوا فعل الخطية[١] المخجلة والمملوءة بالعذاب ويعطون ذهنهم راحةً وقوةً لكي يستمتعوا بأمجاد الفضيلة.

كما يُقدم ثورين كذبيحة محرقة، وكبشاً وسبعة خِراف، ودقيقاً ملتوتاً بزيت، وتيساً واحداً من الماعز. وقد سبق لنا أن أوضحنا ما الذي يهدف إليه الناموس بهذا الرمز؛ لذا فإننا لن ننشغل به الآن. لكن من الحتمي أن نقول إن وقت الباكورات الجديدة يرمز إلى سر قيامة المخلص؛ لأن طبيعة الإنسان نبتت بالمسيح البكر[٢] طارحةً عنها الفساد، نازعةً عنها العتيق الذي سببته الخطية. لأجل هذا، وهي مفتخرة جداً بهذا الأمر تقول: ''فرحاً أفرح بالرب. تبتهج نفسي بإلهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص. كساني رداء البر'' (أش ٦١: ١٠). لقد دعي عدم الفساد الذي آتى من فوق من السماء بواسطة المسيح، ثياب خلاص ورداء البر.

١- الروح القدس هو الذي يغفر ويطهر ويبرر، فقوة الروح القدس مثل نار تحرق أشواك الخطية التي في داخلنا، ويؤكد على هذه الحقيقة القديس أثناسيوس، إذ يقول: ''فإن نور معرفة المسيح بالإيمان يُعتبر نوراً روحيًّا وقد كان مثاله عمود النار الذي كان يرشد إسرائيل ليلاً. وبمعنى آخر فنحن الذين صرنا باردين (بانغماسنا) في كل خطية قد أضرمنا المخلص للسعي بغيرة في كل عمل صالح: إذ قد ألقى فينا شركة الروح القدس كمثل نار روحية، ولذلك قال: «جئت لألقي ناراً على الأرض» (لو ١٢: ٤٩). فنحن جميعاً الذين تأهّلنا لمثل هذه النعمة قد صرنا أحياء بالروح. إذاً، فظهور النار يشير إلى نعمة الروح القدس لأننا اعتمدنا في المسيح في الروح القدس والنار بحسب قول يوحنا المعمدان (مت ٣: ١١). وقد قال أحد الأنبياء: «هو يخرج مثل نار الممحص ومثل أشنان القصّار، فيجلس ممحصاً ومنقيًّا للفضة والذهب» (مل ٣: ٢ و٣)، لأن قوة الروح القدس تحرق كل زغل فينا]. تفسير مزمور ٥٠: ٣.

٢- يشرح القديس كيرلس هذه الحقيقة في موضع آخر، قائلاً: ''بسبب محبة الآب لمخلوقاته دُعيَ الابن بكرَ كل خليقة، والابن بمحبته تجاه المخلوقات لم يتردد في أن يجعل ذاته بين المخلوقات، حتى أن المخلوقات التي جاءت بعده تخلص بسبب أنه دُعيَ بِكراً. هكذا ينبغي له أن يكون بكراً لكي تظل المخلوقات تدعوه بكراً. إذن هو المولود الوحيد من جهة الطبيعة؛ لأنه أتى فقط من الآب، فهو إلهٌ من إله، ونورٌ من نور، لكن هو البكر لأجلنا، لدرجة أن كل الخليقة طُعِّمت فيه كأنها في جذرِ عديم الموت، لكي تنبت مرةً ثانيةً من هذا الذي هو موجودٌ دائماً. لأن الكل صار بواسطته والكُل يخلُص بفضله'' الكنوز في الثالوث ٢٥:٨.



لكن الناموس جعل هذا الاحتفال واضحاً بما أورده من رموز كثيرة واضحة حين قال في سفر اللاويين: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: مَتَى جِئْتُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيكُمْ وَحَصَدْتُمْ حَصِيدَهَا، تَأْتُونَ بِحُزْمَةِ أَوَّلِ حَصِيدِكُمْ إِلَى الْكَاهِنِ. فَيُرَدِّدُ الْحُزْمَةَ أَمَامَ الرَّبِّ لِلرِّضَا عَنْكُمْ. فِي غَدِ السَّبْتِ يُرَدِّدُهَا الْكَاهِنُ. وَتَعْمَلُونَ يَوْمَ تَرْدِيدِكُمُ الْحُزْمَةَ خَرُوفاً صَحِيحاً حَوْلِيّاً مُحْرَقَةً لِلرَّبِّ. وَتَقْدِمَتَهُ عُشْرَيْنِ مِنْ دَقِيقٍ مَلْتُوتٍ بِزَيْتٍ، وَقُوداً لِلرَّبِّ رَائِحَةَ سُرُورٍ، وَسَكِيبَهُ رُبْعَ الْهِينِ مِنْ خَمْرٍ. وَخُبْزاً وَفَرِيكاً وَسَوِيقاً لاَ تَأْكُلُوا إِلَى هذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ، إِلَى أَنْ تَأْتُوا بِقُرْبَانِ إِلهِكُمْ، فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ فِي جَمِيعِ مَسَاكِنِكُمْ. ثُمَّ تَحْسُبُونَ لَكُمْ مِنْ غَدِ السَّبْتِ مِنْ يَوْمِ إِتْيَانِكُمْ بِحُزْمَةِ التَّرْدِيدِ سَبْعَةَ أَسَابِيعَ تَكُونُ كَامِلَةً. إِلَى غَدِ السَّبْتِ السَّابِعِ تَحْسُبُونَ خَمْسِينَ يَوْماً، ثُمَّ تُقَرِّبُونَ تَقْدِمَةً جَدِيدَةً لِلرَّبِّ" (لاويين ٢٣: ٩ – ١٦).

إن موت عمانوئيل لأجلنا هو حقاً عيدُ خلاصٍ؛ لأنه دفع لأجلنا ديوننا[١]، وهو بالحقيقة الذي يرفع الخطايا ويتألم لأجلنا وبآلامه نحن شُفينا (انظر أش ٥٣: ٥ وما بعدها). لأنه سمَّر على صليبه الصك الذي كان علينا، وبهذا انتصر ضد أولئك الذين سادوا قديماً فوق الأرض[٢] (انظر كو ٢: ١٤)، أقصد الرئاسات والسلاطين وأرواح الشر.

نلفت النظر إلى أن العيد التالي ليس أقل (أدنى) من الأول، لأنه إعادة للحياة من الموت بعد أن ألقت عن كاهلها الفساد، واقتلعت الخطية. هو انتقالنا إلى الحياة الجديدة، حياة القداسة وعدم الفساد، طالما أن الموت قد أُبطِل. لأننا خلعنا الإنسان القديم ولبسنا الجديد، أي المسيح، أي حياة المسيح وتعليمه.

حسناً، لاحظ بدء البشرية الذي جُدِّد، أي المسيح الذي مثل إيقونة الحزمة ومثل باكورة الثمار يُقدَّم تقدمةً مقدسةً إلى الله الآب. ألم نُزرع مثل السنابل في العالم؟

١- يقول القديس ميليتوس أسقف ساردس (القرن الثانى): "الإله لبس جسداً واتخذ صورة الإنسان. قبِل الآلام عن كل متألم وحُوكم من أجل كل محكوم عليه. ودُفِن فى القبر من أجل كل المدفونين، ولكنه قام حياً من بين الأموات (بقوة لاهوته) وأعلن قائلاً: مَنْ ذا الذى يمكنه أن يقاضينى؟ لقد خلّصت المديونين، وأعدتُ الحياة للذين ماتوا، وأخرجتهم من قبورهم (بكامل قواهم)؛ مَنْ هو الذى سيحاجنى؟ لقد أبطلتُ الموت؛ وسحقتُ الهاوية، ثم رفعت البشرية إلى أعلى السموات، نعم، أنا هو المسيح، أنا هو ذبيحة كفارة غفرانكم، أنا هو فصح خلاصكم، أنا هو نوركم، أنا هو قيامتكم" (SC.123, p. 116, 120, 122).

٢- "إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّراً إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ".



بلاديوس: بالتأكيد. لأجل هذا قال المسيح ذاته لتلاميذه القديسين: "أَمَا تقُولُونَ: إِنَّهُ يَكُونُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ ثُمَّ يَأْتِي الْحَصَادُ؟ هَا أَنَا أَقُولُ لَكُمْ: ارْفَعُوا أَعْيُنَكُمْ وَانْظُرُوا الْحُقُولَ إِنَّهَا قَدِ ابْيَضَّتْ لِلْحَصَادِ. وَالْحَاصِدُ يَأْخُذُ أُجْرَةً وَيَجْمَعُ ثَمَراً لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، لِكَيْ يَفْرَحَ الزَّارِعُ وَالْحَاصِدُ مَعاً." (يو ٤: ٣٥ - ٣٦). فهو يشبِّه الأمور الخاصة بنا بالسنابل والقمح.

كيرلس: إذن المسيح يُدرَك كأنه باكورة السنابل، وكمثل الثمرة الجديدة بشكل الحزمة، البكر من بين الأموات[1]، طريق القيامة[2] بالنسبة لنا، هذا الذي يعيد تكوين الكل ويلده ثانيةً، حتى يصير الكلُّ جديداً، إذ يخلصه من العتيق، لأنه يقول: "إِذاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً." (٢ كو ٥: ١٧).

قُدِّمت آنذاك حزمةٌ للرب. وعمانوئيل، ثمرة البشرية الجديدة غير الفاسدة قُدِّم لأجلنا أمام الله الآب (انظر عب ٩: ٢٤). ليس بالتأكيد لكي يراه الله؛ لأنه يوجد معه منذ الأزل، ومن غير الممكن أن يغيب عن الآب حيث هو الله. لكن لأننا نُوجد فيه، يُحضرنا بذاته نحن الذين بالحري خارج شخصه، وكنا نواجه غضبه بسبب مخالفة آدم والسيادة الطاغية للخطية علينا. إذن، فبالمسيح ربحنا أيضاً إمكانية أن نحضر أمام الله. لأنه يعتبرنا جديرين بأن يرانا؛ لأننا قد تقدسنا.

لاحظ أيضاً كيف يصوِّر الناموس الوقت الذي كان مناسباً للقيامة، أقصد

١- سبق للقديس أثناسيوس أن شرح هذا الأمر بكل وضوح، إذ قال: "فإله الجميع إذن، عندما خلقنا بكلمته الذاتي ولأنه كان يعرف أمورنا أكثر منا ويعرف مقدماً أننا رغم أنه قد خلقنا صالحين إلا أننا سنكون فيما بعد مخالفين للوصية، وأننا سنُطرد من الجنة بسبب العصيان. ولأنه هو محب البشر وصالح فقد أعد من قبلٍ تدبير خلاصنا بكلمته الذاتي الذي به أيضاً خلقنا. لأننا حتى إن كنا قد خُدعنا بواسطة الحيّة وسقطنا فلا نبقى أمواتاً كليةً بل يصير بل يصير لنا بالكلمة الفداء والخلاص لذي سبق إعداده لنا لكي نقوم من جديد ونظل غير مائتين، وذلك عندما "خُلِق" هو من أجلنا "بدء الطرق" وصار "بكر الخليقة" و "بكر إخوة" وقام "باكورة الأموات". ضد الأريوسيين، المقالة الثانية، فقرة ٧٥، ص ١٣٩.

٢- يشرح القديس أثناسيوس باستفاضة هذا الأمر فى كتابه "تجسد الكلمة" قائلاً: "وهكذا إذ اتخذ جسداً مماثلاً لطبيعة أجسادنا، وإذ كان الجميع خاضعين للموت والفساد، فقط بذل نفسه للموت عوضاً عن الجميع، وقدمه للآب. كل هذا فعله من أجل محبته للبشر، أولاً: لكي إذ كان الجميع قد ماتوا فيه، فإنه يُبطل عن البشر ناموس الموت والفناء، ذلك لأن سلطان الموت قد استُنفد فى جسد الرب، فلا يعود للموت سلطان على أجساد البشر (المماثلة لجسد الرب). ثانياً: وأيضاً فإن البشر الذين رجعوا إلى الفساد بالمعصية يعيدهم إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت بالجسد الذى جعله جسده الخاص، وبنعمة القيامة يبيد الموت منهم، كما تبيد النارُ القش" تجسد الكلمة ٨:٤ ص ٢٢. أيضاً يؤكد القديس كيرلس الأسكندرى على إبطال الموت بواسطة الابن لأجلنا قائلاً: "عندما سقط الإنسان بعصيانه واستُعبِد لقوة الموت وفقد كرامته القديمة أعاده الآب وجدَّده إلى الحياة الجديدة بالابن كما كان فى البدءِ. وكيف جدَّده الابن؟ بموته بالجسد ذبح الموت وأعاد الجنس البشرى إلى عدم الفساد عندما قام من الموت لأجلنا" قيامة المسيح، للقديس كيرلس عمود الدين، تفسير يوحنا ٢٠، ترجمة د. نصحى عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية، القاهرة ٢٠٠٣، ص ٢٧.



اليوم الثالث. اليوم التالي بعد الأول، حيث يقول، إن الكاهن سوف يقدم الحزمة أمام الرب. واليوم الثالث ليس هو الغد، بل بعد الغد، والمسيح قام في اليوم الثالث.

بلاديوس: هذا حقيقي.

كيرلس: مع حزمة السنابل يُقدَّم أيضاً خروفٌ صحيحٌ بلا عيب، وعُشرين من دقيق ملتوت بزيت (انظر لا ٢٣: ١٢). لأن الذي أُشير إليه وصُوِّر بحزمة السنابل وبباكورات المحاصيل يُعتبر أيضاً أصل وبداية الرعاية، والراعي الحي بنعمة وفيرة وابتهاج روحي. لأجل هذا يجب أن يُقدَّم مع الخروف دقيقٌ وزيتٌ وخمر. والدقيق مثالٌ للحياة، مثلما قُلنا مراراً، والزيت مثال للرخاء، والخمر مِثال للابتهاج.

أيضاً يُقدَّم خبزٌ وفريكٌ محمصٌ، وهو يسمي الفريك بالحبوب، هكذا تُسحق الحبوب وتنسكب حول الأحجار التي تطحنها. وبهذا يُدرَكُ المسيح بالنسبة لنا كخميرة جديدة، والتي بها نحصل نحن على نفس الشكل. ولدينا وصية بأن ننقي الخميرة العتيقة لكي نصير نحن خميرةً جديدةً مثل ذاك الذي بدأ طريق الحياة الجديدة، أقصد المسيح (انظر ١كو ٥: ٧ – ٨).

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب.

شريعة عيد الخمسين

كيرلس: لقد أمر بالابتعاد عن الثمار الجديدة الطرية، وألا يأكلوا أياً مِنها منتظرين تقدمة حزمة السنابل للرب. لأنه يقول: "وخبزاً وفريكاً وسويقاً لا تأكلوا إلى هذا اليوم عينه إلى أن تأتوا بقربان إلهكم" (لا ٢٣: ١٤). لأن الوقت المناسب لكي يحيا المرء الحياة الجديدة والكاملة، هو الوقت الذي ظهر فيه عمانوئيل. قبل ذلك لم يكن لأحد القدرة على أن يجدِّد حياتنا، لكنه صار البداية والأول لهؤلاء الذين خُلقوا لعدم الفساد، طالما جاء مثل إنسان بجسدٍ بيننا بسبب مشابهته لنا. وأعطانا مباشرةً تصويراً واضحاً ومسبقاً ليوم الخمسين قائلاً إنه يجب أن نحسب سبعة أسابيع بعد تقدمة الحزمة. أي بعد قيامة المخلص بسبعة أسابيع، نُعيد كلنا نحن الذين آمنا بالمسيح.

بلاديوس: شرحك واضح جداً.

كيرلس: وكون أن الوقت الآن هو وقت قيامة مخلصنا الذي يقود فيه كل الذين تقدسوا بالروح وخلصوا بالإيمان إلى إمكانية أن يثمروا الحياة الجديدة والأصلية، أظهره بوضوح قائلاً الآتي: ''إِلَى غَدِ السَّبْتِ السَّابعِ تَحْسُبُونَ خَمْسِينَ يَوْماً، ثُمَّ تُقَرِّبُونَ تَقْدِمَةً جَدِيدَةً لِلرَّبِّ. مِنْ مَسَاكِنِكُمْ تَأْتُونَ بِخُبْزِ تَرْدِيدٍ، رَغِيفَيْنِ عُشْرَيْنِ يَكُونَانِ مِنْ دَقِيقٍ، وَيُخْبَزَانِ خَمِيراً بَاكُورَةً لِلرَّبِّ. وَتُقَرِّبُونَ مَعَ الْخُبْزِ سَبْعَةَ خِرَافٍ صَحِيحَةٍ حَوْلِيَّةٍ، وَثَوْراً وَاحِداً ابْنَ بَقَرٍ، وَكَبْشَيْنِ مُحْرَقَةً لِلرَّبِّ مَعَ تَقْدِمَتِهَا وَسَكِيبِهَا وَقُودَ رَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ. وَتَعْمَلُونَ تَيْساً وَاحِداً مِنَ الْمَعْزِ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ، وَخَرُوفَيْنِ حَوْلِيَّيْنِ ذَبِيحَةَ سَلاَمَةٍ. فَيُرَدِّدُهَا الْكَاهِنُ مَعَ خُبْزِ الْبَاكُورَةِ تَرْدِيداً أَمَامَ الرَّبِّ مَعَ الْخَرُوفَيْنِ، فَتَكُونُ لِلْكَاهِنِ قُدْساً لِلرَّبِّ. وَتُنَادُونَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ مَحْفَلاً مُقَدَّساً يَكُونُ لَكُمْ. عَمَلاً مَا مِنَ الشُّغْلِ لاَ تَعْمَلُوا. فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي جَمِيعِ مَسَاكِنِكُمْ فِي أَجْيَالِكُمْ'' (لا ٢٣: ١٦ – ٢١).

حسناً، عمانوئيل هو أصل وباكورة الخليقة التي أُعيد خلقتها وصارت جديدة، ويعتبر الأول بيننا؛ لأنه هو الخبز والخميرة الجديدة، ولأننا نحن فضَّلناه كطريق يقود إلى هذا الأمر، وبسبب مشابهتنا به دُعينا نحن خميرةً جديدةً. والمثال الواضح لهذا الأمر هو خبز الثمار الجديدة. ما يُقدَّم، ليس رغيفاً واحداً، بل يجب أن يُقدَّم رغيفين، لأنهما هما شعبان حتى لو ظهرا –بالمسيح الوسيط– متحدان في واحد. لكن يخبزان خميراً.

ماذا يعني هذا الرمز؟ دعنا نفحص بقدر إمكاننا ونعرض لعمق الناموس. هل نعني بذلك أن الخمير مازال هو خمير الدناءة والكذب؟ وكيف لا يكون هذا غباءً؟ وكيف يمكننا إذن، أن نتخلص من الشر، نحن الذين انتقلنا إلى التعاليم الإنجيلية الجديدة؟ كيف تُدرَك جدة هذه التعاليم؟ كيف يُدعى البعض خميرةً جديدةً، إذا ظلَّ فيهم بقايا من الخميرة ولم يتخلصوا تماماً من الغباوة والدناءة الدنسة؟ إذن يجب أن نفكر بالطريقة التي تتناسب مع اعتبارات وجود نوع آخر من الخميرة ليست عليها أي شُبهة، بل تَلقى كل ثناء من الكتاب الموحى به من الله.

إذن يشبِّه المخلص القوة الممدوحة والمفيدة للتربية الإلهية والإنجيلية بالخميرة قائلاً: ''يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلاَثَةِ أَكْيَالِ دَقِيق

حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ» (مت ١٣: ٢٣). إذن الفعل المحيي يتسلل إلى العقل والقلب مغيِّراً ومشكِّلاً النفس والجسد والروح إلى نفس نوعية هذا الفعل المحيي. حسناً، بهذه الخميرة يجب أن نفهم أن الشعبين قد اختمرا، اللذين قُدِّما كنوع من الخبز وبوزن عُشرين لكل واحد. هذا المِثال يشير رمزياً إلى ازدواج التربية (التهذيب).

بلاديوس: ما الذي تريد أن تقوله؟

كيرلس: ألا تقبل، يا بلاديوس، أنه بالتربية المزدوجة للناموس والإنجيل سوف نصير قديسين ومقبولين من الله وهكذا نسير في الحياة الجديدة؟

بلاديوس: أقبل هذا الأمر.

كيرلس: حسناً، هذا الأمر يوضحه لنا مخلصنا، قائلاً: «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كُلُّ كَاتِبٍ مُتعَلِّمٍ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ يُشْبِهُ رَجُلاً رَبَّ بَيْتٍ يُخْرِجُ مِنْ كَنْزِهِ جُدُداً وَعُتَقَاءَ» (مت ١٣: ٥٢). أي الذين يعرفون كل ما شُرِّع بواسطة موسى ولديهم عقلٌ ناضج بالوصية القديمة الخاصة بالأمثال والظلال، وبالإضافة إليها قبلوا بغِنى المعرفة الإنجيلية والجديدة، هؤلاء يفخرون بأن لديهم تربية مزدوجة.

بلاديوس: أنت تتحدث باستقامة.

كيرلس: على أن جمع المؤن الخاص بالحياة الجديدة لم ينحصر فقط في الرغيفين، لكن الناموس يعطي وصية أن يقدموا سبعة خِراف مع ثور واحد وكبشين وسكيبة رُبع الهين من خمرٍ على كل هذا، أي بلغتنا يساوي ست درجات. سبعةُ خراف تعد مِثالاً لرعاية هؤلاء الذين آمنوا، وهم مثل الأطفال في رعية المسيح؛ لأن الحمل هو رمزٌ للطفولة. لكن من جهة الشجاعة والقوة الروحية يسير المؤمنون نحو الكمال الذي قياسه هو المسيح (انظر أفسس ٤: ١٣).

بلاديوس: ماذا تقصد بهذا الأمر؟

كيرلس: يلاحَظ أنه تكلم عن الخراف والثورين، ثم أضاف الكباش. الخراف تشير إلى الراعي، والثور مِثالٌ للشجاعة والقوة لأنه حيوان قوي، والكباش هي مِثال لكمال العُمر. إذن فالمؤمنون إذ يريدون أن ينتصروا على الأرضيات، يَسمَون تجاه الكمال الذي يُدرَك في المسيح. لأن الكباش هي كاملة من جهة العُمر وتُشير جيداً إلى قياس الكمال الروحي. والكباش عددها اثنين

لأن كمالنا بحسب المسيح هو كمالٌ مزدوج، أقصد من جهة كمال العمل وكمال المعرفة. لأنه يقول: «فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهذَا يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ» (مت ٥: ١٩).

ثم يُسكب على التقدمات خمرٌ، أي أن الذين يتعبون في سبيل أن يرتفعوا إلى الكمال بحسب المسيح، يصاحبهم السرور والابتهاج. لأنه مكتوب: «وخمر تُفرِح قلب الإنسان» (مز ١٠٤: ١٥).

يُذبح أيضاً تيسٌ واحدٌ من الماعز لأجل الخطايا، ويُقدَّم خروفين مع الخبز كتقدمةٍ للخلاص. ماذا يعني هذا أيضاً؟ مات عمانوئيل لأجل خطايانا مثلما يُعلَن هذا بتيس الماعز مقدِّساً الحياة الجديدة وجاعلاً إياها مقبولةً، محولاً إيانا إلى خميرة جديدة مكرِّساً إيانا له بالنفس والجسد حيث اعتدنا أن نتألم مائتين مع ذاك الذي وُجد مع الأموات لأجلنا مستهدفاً أن نحيا معه. شيءٌ من مثل هذا كتبه لنا بولس الحكيم في رسالته: «حَاشَا! بَلْ لِيَكُنِ اللهُ صَادِقاً وَكُلُّ إِنْسَانٍ كَاذِباً. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي كَلاَمِكَ، وَتَغْلِبَ مَتَى حُوكِمْتَ» (رو ٣: ٤).

لقد ذُبح لأجل خطايانا[1]، ونحن نشترك في قبره متألمين ليس بموتٍ جسدي، بل مميتين أعضائنا الأرضية، وهكذا لا نحيا بعد لأجل العالم، بل بالحري من أجل المسيح وبواسطته لأجل الآب. إذن، لاحظ أن ذبح تيس الماعز يتزامن مع ذبح الخِراف وتقديم الخبز، وهذا يعني أن تكريسنا مقبول، وحياتنا الإنجيلية والجديدة تصبح رائحةً ذكيةً لأنها تتحد مع آلام المسيح وتمضي في التشبُّه به. لأنه يقول: «اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أيضاً يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ. فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَداً فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضاً، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أيضاً مَعَهُ» (رو ٨: ١٦ - ١٧).

١ـ الابن هو الحمل الذي بلا عيب البار والقدوس، وهذا ما أكده القديس كيرلس أثناء حديثة عن التيس المرسل إلى البرية، قائلاً: "لهذا صار المسيح ذبيحة عن خطايانا حسب الكتب المقدسة (أنظر ١ كو ١٥: ٣)، ولهذا السبب نقول إنه دُعي خطية، وهكذا يكتب بولس الحكيم جداً: "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطيةً لأجلنا" (٢ كو ٥: ٢١). والمقصود هنا هو الآب (فهو الذي جعله خطية). لأننا لا نقول إن المسيح صار خاطئاً -حاشا- بل لكونه باراً، وبالحري هو البر نفسه، لأنه لم يعرف خطية، فالآب جعله ذبيحة عن خطايا العالم". راجع رسائل القديس كيرلس، مركز دراسات الآباء، الجزء الثالث، سلسلة نصوص الآباء: ٣٤، ديسمبر ١٩٩٥ ص ٦٥.

ويقول بالصواب إن هذه الذبيحة تُدعى ذبيحة الخلاص (السلامة)؛ لأنها تُخلِّص هؤلاء الذين لأجلهم قدَّم المسيح ذاته ذبيحةً، طالما قد حرَّرهم من الخطية والموت وبرهن على أن هؤلاء الذين دُفنوا وماتوا معه –وفق ما قلناه من قبل– قد انتصروا على الفساد.

بلاديوس: ما أعمق شرحك، وما أغمض أمر الناموس!

كيرلس: لأن هذا رمزٌ يا بلاديوس، وظلال وبأسلوب رائع يصيغ المفاهيم.

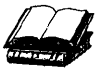
بلاديوس: ما قلته هو عين الصواب.

كيرلس: قال الناموس إن هناك ثلاث فترات يجب أن نعيِّد فيها. لأنه يقول في ثلاث فترات زمنية ستعيدون لي. هل تريد –إذن– طالما تحدثنا بالفعل عن فترتين، أن نقول ما هي الفترة الثالثة ولأي سبب يجب أن نُعيِّد فيها؟ اسمع بالطبع سبب كل فترة من هذه الفترات، السبب الأول، لأن المسيح خلَّصنا محتملاً الموت لأجل خلاصنا جميعاً، كما أننا نُعيِّد لأجل إبطال الفساد، ولأنه أحيانا مرةً أخرى وأدخلنا إلى الحياة الجديدة. الفترة الأولى هي الشهر الأول في بداية العام، والثانية هي المجاورة للأولى والتي تصاحبها، وفي أثناء هذه الفترة من الطبيعي أن يضع الرفش ليقطع السنابل، كما يجب تجميع المحاصيل الأخرى حيث توجد بكميات كبيرة جداً في الحقول. إذن ليتنا نقول أقوالاً مناسبة عن فترة العيد الثالثة فاحصين بالتفصيل كيف ولماذا يجب أن يُتمم. سوف نفتش عن معرفة هذه المواضيع في الناموس، وسوف نستقيها من الكتاب المقدس ذاته، لأن حديثنا هكذا يجب أن يسير، وأن يتضمن الحق. هل تعتقد أن رأيي غير صحيح وأنني لا أفكر باستقامة؟

بلاديوس: أنت تفكر بالصواب جداً.

أعياد الشهر السابع
عطلة اليوم الأول

كيرلس: حسناً مكتوب في سفر اللاويين: ”كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ، فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ يَكُونُ لَكُمْ عُطْلَةٌ، تَذْكَارُ هُتَافِ الْبُوقِ، مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ. عَمَلاً مَا مِنَ الشُّغْلِ لاَ تَعْمَلُوا، لكِنْ تُقَرِّبُونَ وَقُوداً لِلرَّبِّ“ (لاو ٢٣: ٢٤ – ٢٥).



يبدو إذن أن الشهر السابع يشير إلى وقت النهاية الأخير. لأن في الشهر السابع، يا صديقي، كل منتجات الأرض لا ينبغي أن تبقى في البيدر (الجُرن)، لكن يُغلق عليها في مخازن كل واحدٍ. وقتذاك، تكون فترة الثمار قد مضت واقتربت بداية الشتاء، الزروع تفسد والورود تذبل. حسناً هيا ننقل كل هذا إلينا نحن، وليتنا نقول إن هذه الحياة وصلت إلى نهايتها، وسوف ندخل مستقبلاً إلى حياةٍ آتية، سوف يعاقَب أثناءها حتماً محبي الخطية، وسوف يجني كل واحد ثمار أتعابه، إذا كان بما لديه من تعقل وحكمة قد كنزها في السماء، وكان قد تذكَّر أقوال المسيح: "لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ، وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ» (متى ٦: ١٩ – ٢٠).

إن أقوال معلمينا القديسين عن قيامة المسيح تقودنا إلى تذكر النهاية، إذ كرزوا في كل اتجاه أنها «الساعة الأخيرة» (١ يو ٢: ١٨). ليتنا نكنز كنوزنا في السموات. وفي الشهر الأول الذي تُجمع فيه ثماركم سوف تستريحون، كذلك تعود الأبواق للحياة. لأن المرء يجمع في مخازنه خيرات تعبه، وبالتالي يعتني ويهتم لأجل الطعام الأبدي والراحة الأبدية واضعاً في ذهنه كما يقول بولس العظيم: «لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ اللهِ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً» (١ تس ٤: ١٦). لأنه يقول: «فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ» (١ كو ١٥: ٥٢). حسناً، تذكروا البوق المقدس والرهيب عندما يحين موعد عيد القديسين الذي بمقتضاه يتم بالفعل توزيع مكافأة غنية عوضاً عن الأتعاب البهية التي بُذلت على الرجاء. إذن من الحتمي (الضروري) طالما سَمَونا بواسطة هذه المفاهيم المتعلقة بالكمال الأسمى أن نبتعد تماماً عن أي عملٍ، ليس فقط ما لا يفيد، بل بالحري أيضاً الذي يلوثنا أخلاقياً. لأن هذا هو ذاك الذي قاله بولس بحكمة: «الوقت منذ الآن مقصر...».

بلاديوس: هكذا يبدو.

عيد الكفارة

كيرلس: ثم بعد ذلك يقول: "أَمَّا الْعَاشِرُ مِنْ هذَا الشَّهْرِ السَّابعِ، فَهُوَ يَوْمُ الْكَفَّارَةِ. مَحْفَلاً مُقَدَّساً يَكُونُ لَكُمْ. تُذَلِّلُونَ نُفُوسَكُمْ وَتُقَرِّبُونَ وَقُوداً لِلرَّبِّ. عَمَلاً مَا لاَ تَعْمَلُوا فِي هذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ، لأَنَّهُ يَوْمُ كَفَّارَةٍ لِلتَّكْفِيرِ عَنْكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ. إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لاَ تَتَذَلَّلُ فِي هذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ تُقْطَعُ مِنْ شَعْبِهَا. وَكُلَّ نَفْسٍ تَعْمَلُ عَمَلاً مَا فِي هذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ أُبِيدُ تِلْكَ النَّفْسَ مِنْ شَعْبِهَا. عَمَلاً مَا لاَ تَعْمَلُوا. فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ فِي جَمِيعِ مَسَاكِنِكُمْ. إِنَّهُ سَبْتُ عُطْلَةٍ لَكُمْ، فَتُذَلِّلُونَ نُفُوسَكُمْ. فِي تَاسِعِ الشَّهْرِ عِنْدَ الْمَسَاءِ. مِنَ الْمَسَاءِ إِلَى الْمَسَاءِ تَسْبِتُونَ سَبْتَكُمْ" (لا ٢٣: ٢٧ – ٣٢).

قال إنه ينبغي أن يُظهِروا تواضعاً ويحفظون الصيام ويقدمون محرقات، وينقطعون عن أي عمل. بالصيام يشير إلى إماتة الشهوات الجسدية، وبالمحرقات يشير إلى تكريسنا كرائحة ذكية ليس جزئياً بل كاملةً وكليةً. بالانقطاع عن العمل وبأنه ينبغي أن ينقطعوا تماماً عن أعمالهم يشير إلى أنه لا يجب أن ينشغل بأي شيء أرضي. ألا تعتقد أن هؤلاء الذي وصلوا بالفعل إلى نهاية الأوقات، ولم ينسوا بوق الأيام الأخيرة المقدسة، ووضعوا في اعتبارهم يوم الدينونة، وبسبب هذا ينتقلون إلى الكنز الأعلى، أي غنى الثمر الروحي، كان عليهم أن يُميتوا اللذات ويظهَرون منتصرين على الشهوات الجسدية ويوجهون لله رائحة فضائلهم الذكية، وأن يبتعدوا أيضاً ويلقوا عن كاهلهم أي انشغال باطل؟ هذه –على ما أعتقد– هي أمور العالم والتجربة الشريرة في الحياة.

بلاديوس: وأنا أعتقد كذلك. كيف لا؟

كيرلس: ماذا أيضاً، الذين ينتصرون على الشهوات ويميتون الأعضاء الأرضية، الزنا، النجاسة، الشهوة، الرغبة الشريرة ألا يُقدِّمون ذواتهم لله كرائحة ذكية؟ ألا يكونوا منضمين إلى مصاف المحرقات الكاملة جاعلين تقدمتهم هذه فديةً وكفارةً لنفوسهم ذاتها؟

بلاديوس: بالتأكيد.

كيرلس: إذن يسمى المشرع –وبالصواب جداً وشرعاً– يوم الكفارة بيوم الصوم، فهو هكذا من جهة إماتة الجسد وأهوائه، ومن جهةٍ أخرى انبعاث رائحة

الفضيلة الذكية. لكن إن لم ينقطع الشخص، على أية حال، عن العمل العالمي، فإنه سوف يواجه نتائج وخيمة، الأمر الذي أظهره بوضوح قائلاً إنه سوف يُرجم بين شعبه مَنْ لا يصوم ولا يقدم محرقة، بل هو أيضاً يهين ناموس الراحة. قائلاً إن هذا الوقت هو راحة الراحة، وهكذا ندرك أنه يوجد عطلة العطلات، بمعنى الكف الكامل وبكل القدرة عن الأعمال، يقصد أعمال الدناءة والخطية. فبانتهاء هذا الدهر وبلوغ الزمن منتهاه، أيُ نصيبٍ لنا في الحياة إذا كان لنا انشغال بالأمور الباطلة؟ ألا يجب أن نفكر بالحري في الأمور السامية متمنين الراحة بكل سعادة وفرح بالله ومبتعدين مرةً واحدةً وللأبد عن التجارب؟

بلاديوس: أنت تتحدث بالصواب.

عيد المظال

كيرلس: لقد شرَّع أيضاً وقال: ”أَمَّا الْيَوْمُ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ السَّابعِ فَفِيهِ، عِنْدَمَا تَجْمَعُونَ غَلَّةَ الأَرْضِ، تُعَيِّدُونَ عِيداً لِلرَّبِّ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ عُطْلَةٌ وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ عُطْلَةٌ. وَتَأْخُذُونَ لأَنْفُسِكُمْ فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ ثَمَرَ أَشْجَارٍ بَهِجَةٍ وَسَعَفَ النَّخْلِ وَأَغْصَانَ أَشْجَارٍ غَبْيَاءَ وَصَفْصَافَ الْوَادِي، وَتَفْرَحُونَ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. تُعَيِّدُونَهُ عِيداً لِلرَّبِّ سَبْعَةَ أَيَّامٍ فِي السَّنَةِ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ. فِي الشَّهْرِ السَّابعِ تُعَيِّدُونَهُ“ (لا ٢٣: ٣٩ - ٤١).

إذن أدركت أنه حين تجمعون غلة الأرض وتتجمع كل الثمار يكون عيد المظال البهي قريباً جداً، أي العيد الذي يعلن الحياة الفردوسية التي أُعطيت في البداية للإنسان لكي يستمتع بها. وعندما نقول المظال، فإننا نقصد المنظومة الذهنية والحقيقية التي تعيد تهيئة الأجساد البشرية للعيش ثانيةً في عدم الفساد بعد أن كانت تعيش في فساد. ونلاحظ أن أيام الراحة هي اليوم الأول والثامن؛ لأنه قبل العصيان الأول، قبل أن تتسلل الخطية الخبيثة في الحياة وقبل أن تضع ثقل نيرها الذي جَثَمَ علينا، عِشنا حياة الفردوس، حياة الراحة والحرية وبدون أي ألم كما في البداية وفي جذر نسل آدم. وعندما أتى المسيح في وسط الآلام، رجعنا مرةً أخرى إلى الحالة الأولى في اليوم الثامن، أي بعد إبطال (عطلة) الناموس، فبعد ملء الزمن الناموسي،

وطالما أبعدنا عن نفوسنا نير الخطية الدنس والثقيل، انقطعنا عن أي شرٍّ، كذلك دعانا المسيح لهذا بواسطة الإيمان قائلاً: "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (متى ١١: ٢٨).

إذن الراحة هي اليوم الأول للأسبوع الذي يشير إلى فترة الإنسان الأولى. كذلك الراحة هي أيضاً اليوم الثامن الذي فيه أتى المسيح ثانيةً إلى الحياة مسمِّراً في صليبه الصك الذي كان علينا (انظر كو ٢: ١٤)، ومات لأجل الجميع لكي يُبعدنا عن الموت والخطايا، ويخلصنا من العقاب والآلام، ونكسب من خلاله الراحة الأولى، أي راحة اليوم الأول.

يقول إنه يجب عليهم أن يأخذوا ثمرةً جميلةً وناضجةً لشجرةٍ، وورق سعف النخل، وأغصان أشجار غبياء وصفصاف الوادي، وعن طريق كل ذلك نستطيع أن ندرك –كما هو واضح– أنه بواسطة المسيح مَنح لنا الله أطعمة الفردوس، وذلك على الرغم من أن قيمتنا قلَّت بسبب العصيان. بمعنى أننا وإن كنا قد طُرِدنا في شخص آدم، لكن رجعنا ثانيةً بواسطة المسيح. لأنك تعرف هذا الذي يقوله للص الذي صُلِب معه: «الحق أقول لك اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ١٣). لأن المسيح قد أعاق السيف الدوار[1] وصار الدخول سهلاً للمؤمنين، وأعاد تشكيل كل شيء إلى الهيئة الأولى، وأعاد كل شيء كما كان قديماً.

الأغصان تأتي من نباتٍ دائم الخضرة، وهذا يعني أن طبيعة هذا النبات دائم الخضرة تشير إلى أبدية النعمة ونضارة الرجاء. لأنه وفق المكتوب: «لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة» (رو ١١: ٢٩). وحقاً بهجة القديسين ليس لها نهاية، ويكرز بهذا أشعياء قائلاً: «ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنمٍ وفرحٍ أبدي على رؤوسهم. ابتهاج وفرح يدركانهم. ويهرب الحزن والتنهد» (أش ٣٥: ١٠).

مع التشريعات الخاصة بالعيد يقول: يجب أن يذوقوا البهجة الآتية من السيل. لأنه يقول في اليوم الأخير للأسبوع، أي في اليوم الثامن يستقون ماءً من السيل ويبتهجون، هكذا كل الذين آمنوا. السيل العقلي والسماوي

١- أي السيف الذي كان يمسكه الملاك لحراسة الفردوس بعد السقوط (المترجم).

هو المسيح الذي يروي نفوس أولئك الذين يتقونه بينابيع سماوية. لأجل هذا أيضاً قال بواسطة الأنبياء: «هاأنذا أدير عليها سلاماً كنهر ومجد الأمم كسيل جارف فترضعون وعلى الأيدي تُحملون وعلى الركبتين تُدللّون» (أش ٦٦: ١٢). وأيضاً داود العظيم ينادي الآب إله الجميع: «يروون من دسم بيتك ومن نهر نِعمك تسقيهم لأن عندك ينبوع الحياة بنورك نرى نوراً» (مز ٣٦: ٨ – ٩). وهكذا يكون على مواطني الفردوس –وهذا صواب تماماً– أن يتواصلوا في شركة مع المسيح بغنى ويبتهجوا بعطايا الروح الغنية.

بلاديوس: هكذا يجب، وأنت تتحدث باستقامة.

كيرلس: لكن لاحظ أنه يجب عليهم أن يتمموا العيد فقط في أورشليم، حيث يتحتم عليهم أن يتجمعوا هناك من كل اليهودية. وهذا يُعتبر علامةً على أن الذين يحيون الحياة الجيدة والممدوحة –أياً كانوا– سوف يتجمعون في المدينة الفوقانية، أورشليم السماوية ويكونون هناك مع المسيح ويعيِّدون معه. لكن كل الذين ما زالوا غير مؤمنين ولم يقبلوا بعد نعمة القيامة، وبالحري رفضوا السر الفاضل والعميق، فإن مصيرهم سيكون الهلاك ويكونون في تعاسة أياً كانوا؛ لأنهم سوف ينقادون إلى الجحيم. والشاهد لهذا الأمر هو زكريا حين قال: «وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ لاَ يَصْعَدُ مِنْ قَبَائِلِ الأَرْضِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيَسْجُدَ لِلْمَلِكِ رَبِّ الْجُنُودِ، لاَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ مَطَرٌ. وَإِنْ لاَ تَصْعَدْ وَلاَ تَأْتِ قَبِيلَةُ مِصْرَ وَلاَ مَطَرٌ عَلَيْهَا، تَكُنْ عَلَيْهَا الضَّرْبَةُ الَّتِي يَضْرِبُ بِهَا الرَّبُّ الأُمَمَ الَّذِينَ لاَ يَصْعَدُونَ لِيُعَيِّدُوا عِيدَ الْمَظَالِّ» (زكر ١٤: ١٧ – ١٨).

إذن عيد المِظال هذا، نعتبره كمثل قيامة الأجساد التي بالنسبة لها المسيح هو الباكورة. لأنه هو باكورة الراقدين (انظر كو ١: ١٨) وحقاً هو كذلك.

بلاديوس: أنت تُفكر بالصواب.

كيرلس: لكن عليك أن تعرف شيئاً آخراً.

بلاديوس: ماذا تقصد؟



شرائع الذبيحة الدائمة، وذبيحة أول الشهر، والسبوت والصوم (الكفارة) وعيد المظال

كيرلس: لقد ذكرنا في أقوال الناموس –منذ قليل– الذبيحة الدائمة، وأيضاً أول الشهر وذبائح السبت والصوم وعيد المِظال. يضيف الناموس دائماً على كل واحدة من هذه التقدمات التي ذكرناها ويقول: "تقدمون محرقات للرب". وما هي طرق تقديم الذبيحة التي تخص أول الشهر والسبوت والصوم، كذلك ما هي طرق الذبيحة أثناء المِظال، أو ما هي الذبيحة المنتظمة؟ ألم يتحدث عنها المشرع في اللاويين، وتوسَّع في الحديث عنها بالتفصيل في سفر العدد؟ هل تريد أن نتحدث عن هذه الأمور بقدر الإمكان فاحصين كل واحدة على حدة؟

بلاديوس: أريد هذا الأمر بشدة.

شريعة المحرقة الدائمة

كيرلس: مكتوب الآتي: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: قُرْبَانِي، طَعَامِي مَعَ وَقَائِدِي رَائِحَةُ سُرُورِي، تَحْرِصُونَ أَنْ تُقَرِّبُوهُ لِي فِي وَقْتِهِ. وَقُلْ لَهُمْ: هذَا هُوَ الْوَقُودُ الَّذِي تُقَرِّبُونَ لِلرَّبِّ: خَرُوفَانِ حَوْلِيَّانِ صَحِيحَانِ لِكُلِّ يَوْمٍ مُحْرَقَةً دَائِمَةً. الْخَرُوفُ الْوَاحِدُ تَعْمَلُهُ صَبَاحاً، وَالْخَرُوفُ الثَّانِي تَعْمَلُهُ بَيْنَ الْعَشَاءَيْنِ. وَعُشْرَ الإِيفَةِ مِنْ دَقِيق مَلْتُوتٍ بِرُبْعِ الْهِينِ مِنْ زَيْتِ الرَّضِّ تَقْدِمَةً. مُحْرَقَةٌ دَائِمَةٌ. هِيَ الْمَعْمُولَةُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ. لِرَائِحَةِ سَرُورٍ، وَقُوداً لِلرَّبِّ. وَسَكِيبُهَا رُبْعُ الْهِينِ لِلْخَرُوفِ الْوَاحِدِ. فِي الْقُدْسِ اسْكُبْ سَكِيبَ مُسْكِرٍ لِلرَّبِّ. وَالْخَرُوفُ الثَّانِي تَعْمَلُهُ بَيْنَ الْعَشَاءَيْنِ كَتَقْدِمَةِ الصَّبَاحِ، وَكَسَكِيبِهِ تَعْمَلُهُ وَقُودَ رَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ" (عدد ٢٨: ١ – ٨).

هل أدركت إذن الأمور التي يشدد عليها الناموس الإلهي بخصوص تقدمة الذبائح التي تختص بالأعياد؟ لأنه يجب دائماً وفي كل مكان أن نفوح برائحة ذكية تجاه الله بالحياة المتفقة مع المسيح مستخدمين كل مناحي حياتنا كنوع من تقدمات البخور لله كمحرقة ذات رائحة ذكية، وفق ما قاله بولس الرسول: "فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ» (رو ١٢: ١).



وتتم الذبيحة المنتظمة والدائمة بتقدمة خروف في الصباح وآخر في المساء، وكذلك دقيق ملتوت وزيت وخمر. ولذلك ففي كل ساعة وفي كل لحظة بدون توقف من البداية حتى النهاية في الخيمة المقدسة، أي في الكنيسة، نفوح حقاً برائحةٍ ذكيةٍ للمسيح بكل فضيلة. وكون أن الخروفين ينبعث منهما دخان تقدمتهما في الصباح والمساء، يمكن أن تكون صورة لذاك الذي بسببنا ولأجلنا قُدِّم وأُصعِد كرائحة سرور إلى أبيه مقدِّماً أيضاً حياة أولئك الذين آمنوا به، حياةً مملوءةً بالابتهاج من جراء الرجاء لأجل يقين المجد والملكوت، ومعه أيضاً سينالون الابتهاج والفرح مِن المتع الأبدية: فالدقيق الملتوت والزيت والخمر يشيرون إلى مثل هذه الحياة. هذه هي تقدمة الخلاص التي تُمَّمَت بواسطة موسى على جبل سيناء. مكتوب في الخروج، عندما حدَّد ضابط الكل نواميس الله، وكل ما يجب أن يفعلوه: «فَكَتَبَ مُوسَى جَمِيعَ أَقْوَالِ الرَّبِّ. وَبَكَّرَ فِي الصَّبَاحِ وَبَنَى مَذْبَحاً فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، وَاثْنَيْ عَشَرَ عَمُوداً لأَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ. وَأَرْسَلَ فِتْيَانَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ، وَذَبَحُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ لِلرَّبِّ مِنَ الثِّيرَانِ» (خر ٢٤: ٤ – ٥).

ويستوي أن تقدم الذبيحة من الخراف أو العجول. لأن في كليهما يمكن أن نلمح البراءة وعدم فعل الشر، ويمكن للمرء أن يرى شخص المسيح في هذه البراءة في قول أرميا: «وأنا كخروف داجن يساق إلى الذبح ولم أعلم» (أر ١١: ١٩).

إذا أراد أحدٌ الآن –بطريقة أخرى– أن يقول إن ذبيحة الصباح والمساء ابتُكِرَت في الخيمة المقدسة لتعبِّر عن زمن الطبيعة البشرية الذي كان يفوح برائحة ذكية قبل مخالفة آدم، وما سوف يصير أيضاً في النهاية بالمسيح وفي الحياة بحسب المسيح، أي في هذا الزمن، فإنه لا يكون قد جانَب الصواب، بل يسير باستقامة لأنه هكذا تكون طبيعة هذا الأمر.

بلاديوس: أوافقك.

ذبائح وتقدمات يوم السبت

كيرلس: أمَّا بخصوص ذبائح وتقدمات يوم السبت، فقد حددها قائلاً: "وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ خَرُوفَانِ حَوْلِيَّانِ صَحِيحَانِ، وَعُشْرَانِ مِنْ دَقِيقٍ مَلْتُوتٍ بِزَيْتٍ تَقْدِمَةً مَعَ سَكِيبِهِ،

مُحْرَقَةُ كُلِّ سَبْتٍ، فَضْلاً عَنِ الْمُحْرَقَةِ الدَّائِمَةِ وَسَكِيبِهَا" (عدد ٢٨: ٩ - ١٠).

لم تختلف طريقة تقديم الذبيحة عن ما ذكرناه منذ قليل، وليس هناك اختلاف فيما بينهما. حسناً لاحظ، يا صديقي، أن التقدمة المنتظمة تُتمَّم دائماً وتصير يومياً وفق الناموس، لكن ذبيحة السبوت لا تصير كل يوم، لكن فقط في يوم السبت. ولكن وحتى لا يظنوا أن التقدمة اليومية والمنتظمة كافية، فلا يبالون بتقدمة السبت، أضاف قائلاً: "محرقة كل سبت فضلاً عن المحرقة الدائمة وسكيبها" (عدد ٢٨: ١٠).

بلاديوس: هل نستنتج من ذلك أنه بالإضافة إلى التقدمة اليومية المنتظمة التي تُتمَّم وفق الناموس، هناك أيضاً تقدمة السبت؟

كيرلس: هذا ما يُستنتج ولا يجب أن نتشكك. حسناً، فلنُتمم نحن أيضاً سبتنا بحسب المسيح داخلين في راحته. لأنه إذا كان الأقدمون يفتخرون بالتبرير بحسب الناموس، ويعتبرونه رائحةً ذكية؛ لأن الناموس طبقاً لقول بولس الطوباوي، هو روحي، وأن "الوصية مقدسة وعادلة وصالحة" (رو ٧: ١٢)، فكم بالأولى نقدم نحن لله -بشكلٍ مضاعف- رائحتنا الروحية الذكية.

الحياة بحسب المسيح -إذن- والراحة الروحية هي أعظم من بر الناموس من جهة الرائحة الذكية.

بلاديوس: لقد تحدثت حسناً.

ذبائح رؤوس الشهور

كيرلس: لقد أضاف على هذه الأمور الآتي: "وَفِي رُؤُوسِ شُهُورِكُمْ تُقَرِّبُونَ مُحْرَقَةً لِلرَّبِّ: ثَوْرَيْنِ ابْنَيْ بَقَرٍ، وَكَبْشاً وَاحِداً، وَسَبْعَةَ خِرَافٍ حَوْلِيَّةٍ صَحِيحَةٍ، وَثَلاَثَةَ أَعْشَارٍ مِنْ دَقِيقٍ مَلْتُوتٍ بِزَيْتٍ تَقْدِمَةً لِكُلِّ ثَوْرٍ. وَعُشْرَيْنِ مِنْ دَقِيقٍ مَلْتُوتٍ بِزَيْتٍ تَقْدِمَةً لِلْكَبْشِ الْوَاحِدِ. وَعُشْراً وَاحِداً مِنْ دَقِيقٍ مَلْتُوتٍ بِزَيْتٍ تَقْدِمَةً لِكُلِّ خَرُوفٍ. مُحْرَقَةً رَائِحَةَ سُرُورٍ وَقُوداً لِلرَّبِّ. وَسَكَائِبُهُنَّ تَكُونُ نِصْفَ الْهِينِ لِلثَّوْرِ، وَثُلْثَ الْهِينِ لِلْكَبْشِ، وَرُبْعَ الْهِينِ لِلْخَرُوفِ مِنْ خَمْرٍ. هذِهِ مُحْرَقَةُ كُلِّ شَهْرٍ مِنْ أَشْهُرِ السَّنَةِ. وَتَيْساً وَاحِداً مِنَ الْمَعْزِ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لِلرَّبِّ. فَضْلاً عَنِ الْمُحْرَقَةِ الدَّائِمَةِ يُقَرَّبُ مَعَ سَكِيبِهِ" (عدد ٢٨: ١١ - ١٥).

إذن هناك تقدمة مستمرة وبدون نهاية تقدم كل شهر، فبالإضافة إلى التقدمة اليومية التي هي تقدمة منتظمة، هناك أيضاً تقدمة لرؤوس الشهور. حديثنا عن هذه التقدمات لن يكون بسيطاً أيضاً. لأنه من الواضح أن هناك لغزاً (رمزاً).

حسناً، رأس الشهر، العقلي والحقيقي هو زمن المسيح الجديد بعد انقضاء الزمن الأول، زمن الناموس. ويمكن لرأس الشهر أن يشير إلى الدهر الآتي الذي لم يأت بعد، لكن بدايته هي قيامة المسيح التي بواسطتها قد انتقلنا إلى الحياة الجديدة، وكعربونٍ، قبلنا غنى نعمة الروح ورجاء حياة عدم الفساد، متغيِّرين ثانيةً بالتقديس تجاه حالتنا الأولى ناظرين إلى الدهر الآتي.

إذن ما هي التقدمة التي تتناسب مع رؤوس الشهور، أي مع الحياة الروحية بحسب المسيح، حياة الدهر الآتي؟ كوننا نموت من أجل الله ولا نحيا بعد مأسورين في الخطية بل نفلت مرةً واحدة وإلى الأبد من الطريقة الأرضية للحياة لكي نحيا مع المسيح. هكذا أيضاً بولس العظيم يكتب في رسالته إلى المقدسين بواسطة الروح والمبررين بواسطة المسيح: "إِذاً إِنْ كُنْتُمْ قَدْ مُتُّمْ مَعَ الْمَسِيحِ عَنْ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، فَلِمَاذَا كَأَنَّكُمْ عَائِشُونَ فِي الْعَالَمِ؟ تُفْرَضُ عَلَيْكُمْ فَرَائِضُ» (كو ٢: ٢٠). وقال أيضاً: «لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ. مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ فِي الْمَجْدِ» (كو ٣: ٣ – ٤).

إذن لاحظ أنه بينما يموت المقدسون لأجل الله في درجة مختلفة من التقدم الروحي، يربحون مباشرةً أيضاً مكافآت تقدمهم. لأن التقدمة هي ثورين وكبشاً وسبعة خراف حولية صحيحة (انظر عدد ٢٨: ٢٦ – ٣١). فهو بكل هذا يشير لنا إلى جمع كل القديسين، فهناك جزء من هؤلاء يتفوق من جهة الفضيلة السامية مثل الثيران، والآخر يكون في درجة أقل ومكانة ثانية مثل الكبش، وجزء آخر في حالة أقل وأدنى مثل الخِراف. والثيران اثنان؛ لأن الشعوب اثنان أيضاً. ولكن التقدمة تتضمن كبشاً واحداً لأنه بواسطة المسيح اتحد الشعبان في وحدة واحدة. أما الخِراف فهي سبعة؛ لأن وصف القديسين يعني ملء الكمال.

ولأنهما اثنان، إلَّا أنهما –بحسب الاتحاد الروحي– يُدركان كواحد، كجمع كامل، وهكذا يمكن أن ندرك أن البساطة، وبراءة جمع المؤمنين بحسب

المسيح متسعتان ولا حدود لهما. لاحظ كيف أن كمية الدقيق المحددة لكل ثور هي ثلاثة أعشار ونصف هين وزيت وخمر. أما للكبش عُشرين دقيق وثُلث هين. ولكل خروف عُشر دقيق ورُبع هين، وزيت وخمر. إذن فعلى غرار ذلك تكلل نواحي حياة كل واحد بحسب تعبه وإنجازات الفضيلة – بواسطة القاضي العادل – بالمجد والطوباوية وبالطبع بالبهجة الروحية. ألم نقل مرات كثيرة إن الدقيق هو بمثابة مثالٍ للحياة، والزيت مثال للوفرة، والخمر هو مِثال للبهجة العقلية.

بلاديوس: بالتأكيد قُلنا هذا.

كيرلس: يُقدَّم مع الذبائح أيضاً تيسٌ من الماعز، يُذبح لأجل الخطايا مشيراً إلى المسيح. لأن ذبيحتنا صارت أيضاً مرضيةً عند الله بفضل آلام المسيح الخلاصية[1]. وهذا هو ما قال عنه المخلص للرُسل القديسين: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو ١٥: ٥). بالتالي فإن رائحة المسيح الذكية أُضيفت إلى روائحنا مُصعِداً إياها إلى الآب؛ لأننا لا نصير مقبولين بأية طريقة أخرى إلَّا فقط بواسطة المسيح.

بلاديوس: ما تقوله حسنٌ جداً.

ذبيحة اليوم الأول من الشهر السابع

كيرلس: هذا هو كل ما يُتمَّم لأجلنا قياساً على كل ما يصير وقتذاك في السبوت ورؤوس الشهور. ويقول: ”وَفِي الشَّهْرِ السَّابِعِ، فِي الأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ، يَكُونُ لَكُمْ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ. عَمَلاً مَا مِنَ الشُّغْلِ لاَ تَعْمَلُوا. يَوْمَ هُتَافِ بُوق يَكُونُ لَكُمْ. وَتَعْمَلُونَ مُحْرَقَةً لِرَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ: ثَوْراً وَاحِداً ابْنَ بَقَرٍ، وَكَبْشاً وَاحِداً، وَسَبْعَةَ خِرَافٍ حَوْلِيَّةٍ صَحِيحَةٍ“ (عدد ٢٩: ١ – ٢). ويقدمون أيضاً ثلاثة أعشار دقيق للثور،

١- سُميت آلاماً خلاصية إذ أراد الابن أن يحرر الطبيعة البشرية من أوجاعها لذلك اجتاز -بكونه إنساناً- كل الآلام التي تجتازها هذه الطبيعة، وهذا ما سبق إن ذكره القديس كيرلس في نفس السياق، إذ يقول: ”كما أن إبادة الموت لم تتم بطريقة أخرى غير موت المخلِّص، هكذا أيضاً من جهة كل ألم من آلام الجسد: فلو لم يشعر بالخوف، لما أمكن للطبيعة البشرية أن تتحرر من الخوف، ولو لم يكن قد اختبر الحزن، لما كان هناك تحرر من الحزن على الإطلاق؛ ولو لم يكن قد اضطرب وانزعج، لما وُجِدَ أي مهرب من هذه المشاعر. ومن جهة كل انفعال من الانفعالات التي تتعرض لها الطبيعة البشرية، فإنك ستجد المقابل لها بالضبط في المسيح. فانفعالات الجسد كانت تتحرك، لا لكي تكون لها السيطرة كما يحدث في حالتنا نحن، بل لكي حينما تتحرك، فإنها يتم إخضاعها كلية بقوة الكلمة الساكن في الجسد، وهكذا فإن طبيعة الإنسان تجتاز تغيُّرا نحو الأفضل“. شرح إنجيل يوحنا، المرجع السابق، الجزء السابع، الإصحاح الثاني عشر ص ٣٨.

وعُشرين للكبش، وواحداً لكل خروف، ويتبعها الأشياء التي تُسكب فوقها، أقصد الزيت والخمر. أي نصف هين بالعبري وثلث ورُبع.

ما الذي يقصده بالعيد الذي أظهره قائلاً: ''يَوْمَ هُتَافِ بُوق يَكُونُ لَكُمْ'' (عدد ٢٩: ١). أنه يعني بالنسبة لنا البوق الأخير، بصوت الملاك، الذي يقوم جميع الأموات بناءً عليه، وسيقوم كل الذين في القبور، كما قُلنا سابقاً.

وعندما أمر أن يحفظوا الصوم في اليوم العاشر من الشهر، كان ذلك يشير إلى إماتة الشهوات الجسدية والابتعاد عن الشهوات الأرضية مُسجِّلاً أنه يجب أن تُتمَّم التقدمة ذاتها بنفس الطريقة الأولى. وقد سبق لنا أن عرضنا مراراً للمقصود بهذه المتممات وفق الحديث الذي يتناسب مع المقارنات النظرية.

بلاديوس: نعم أتذكر هذا.

ذبائح عيد المظال

كيرلس: شرَّع أيضاً عن التقدمات التي يجب أن تُقدَّم في المظال، إذ يقول: ''وَفِي الْيَوْمِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ السَّابعِ، يَكُونُ لَكُمْ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ. عَمَلاً مَا مِنَ الشُّغْلِ لاَ تَعْمَلُوا. وَتُعَيِّدُونَ عِيداً لِلرَّبِّ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. وَتُقَرِّبُونَ مُحْرَقَةً، وَقُودَ رَائِحَةِ سَرُورٍ لِلرَّبِّ: ثَلاَثَةَ عَشَرَ ثَوْراً أَبْنَاءَ بَقَرٍ، وَكَبْشَيْنِ، وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ خَرُوفاً حَوْلِيّاً. صَحِيحَةً تَكُونُ لَكُمْ. وَتَقْدِمَتُهُنَّ مِنْ دَقِيق مَلْتُوتٍ بِزَيْتٍ: ثَلاَثَةُ أَعْشَارٍ لِكُلِّ ثَوْرٍ مِنَ الثَّلاَثَةَ عَشَرَ ثَوْراً، وَعُشْرَانِ لِكُلِّ كَبْشٍ مِنَ الْكَبْشَيْنِ، وَعُشْرٌ وَاحِدٌ لِكُلِّ خَرُوفٍ مِنَ الأَرْبَعَةَ عَشَرَ خَرُوفاً، وَتَيْساً وَاحِداً مِنَ الْمَعْزِ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ، فَضْلاً عَنِ الْمُحْرَقَةِ الدَّائِمَةِ وَتَقْدِمَتِهَا وَسَكِيبِهَا'' (عدد ٢٩: ١٢ – ١٦).

كل يوم سوف يُقدَّم ثورٌ واحدٌ بنفس الطريقة، وبنفس العدد، أي كبشين وأربعة عشر خروفاً وتيساً واحداً من الماعز. لأجل هذا في اليوم الثاني يُقدَّم أثنا عشر ثوراً، وفي اليوم الثالث أحد عشراً، وفي اليوم الرابع عشرة، وفي اليوم الخامس تسعة، وفي اليوم السادس ثمانية، وفي اليوم السابع سبعة. إذن هل أدركت أن عدد الثيران سوف يتناقص كل يوم بمقدار واحد، بينما كان عدد الكباش والخِراف ثابت، والدقيق والخمر مع الزيت.

بلاديوس: وماذا يعني هذا الأمر يا صديقي؟ ولأي سبب تكون الثيران في البداية

أربعة عشر، وكل يوم ينقص واحد، بينما تظل الكباش اثنين، والخِراف أربعة عشر ويُضاف تيساً من الماعز على هذه الذبائح؟

كيرلس: ليس من السهل يا بلاديوس أن نتتبع المقصود بهذه الشرائع؛ لأن الأمر غامض. لكن سوف أحاول، بقدر الإمكان، أن أقول ما أدركته، وعليك أن تُصحح نحو الأحسن لو لم أصل مباشرةً إلى الهدف.

بلاديوس: هذا ما سوف أفعله.

كيرلس: يبدو أن هذا القول الإلهي يُصَوِّر تربية بني إسرائيل بالناموس، كذلك دعوة أولئك الذين انقادوا بالإيمان إلى القداسة. هذا ما يعلنه لنا رمز التقدمة؛ لأن هناك فترتين يمكننا خلالهما أن ندرك أن جمع اليهود قد تربى على معرفة الله، وعلى تعليم الناموس. وماذا تكون هاتان الفترتان إلَّا تلك الفترة التي عاش فيهما موسى ويشوع بن نون والقضاة، والأخرى التي عاش فيها الأنبياء حتى يوحنا المعمدان الذي وفق قول المخلص كان لديه أعظم رسالة وعمل كنبي؟

كذلك فقد أعلن الكتاب المقدس أن بعض الذين سلكوا في الطريق الذي يثني عليه الناموس قد عاشوا في هاتين الفترتين، لكن لم يكن الجميع على نفس القياس من جهة القوة والروحانية. فقد وصل البعض إلى درجة أسمى، والمِثال على هؤلاء هو الثور، والبعض في حالة متوسطة ومثال أولئك هو الكبش، ويوجد مَنْ هم في المستوى الثالث في درجة أدنى ومِثال هؤلاء أجسام الخِراف ذات الحجم الصغير. أليس الكبش أقل من الثور والخروف أدنى في الحجم من الكبش؟

بلاديوس: أوافقك. كيف لا؟

كيرلس: حسناً، إذن فدرجة التقدم التي يُوجد فيها كل واحد، يكون أحد الحيوانات التي ذكرناها مثالاً لها بكل وضوح. ولأن الذين يتفوقون والمختارون هم دائماً أقل عدداً من الذين يجيئون في المرتبة الثانية والثالثة، لأجل هذا يُقدَّم ثلاثة عشر ثوراً، وكبشين وأربعة عشر خروفاً. لكن لأننا نقول إن الكباش كانوا اثنين، فإن عدد التقدمات يصير مُضاعفاً. بمعنى مقابل سبعة خِراف، تكون الثيران أربعة عشر طالما أن الكباش اثنان.

أليس من الطبيعي أن يصير كثير من الرجال أتقياء وقديسين متزينين بحياة غير ملومة بحسب بر الناموس؟ مثل ما كتبه الإنجيلي عن زكريا وأليصابات: "وكانا كِلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم" (لو ١: ٦).

بلاديوس: أوافقك. لقد أدان الله أم اليهود قائلاً: "كيف صارت القرية الأمينة زانية. ملآنة حقاً كان العدل يبيت فيها. وأما الآن فالقاتلون" (أش ١: ٢١).

كيرلس: حسناً، كان يوجد عدل في عصر الناموس، وبالطبع كان هناك أيضاً رجال مختبرين أطاعوا الله، لكن دون أن يمنحهم الناموس الكمال في القداسة.

بلاديوس: أنت تتحدث باستقامة.

كيرلس: إذن ونحن نتحقق من دعوة إسرائيل في درجة المتفوقين والمتوسطين وأيضاً الأدنياء، مقدمين لله ثيران وكباش وخراف، وجدنا أن عدد الثيران يتناقص دائماً لأن المختارين والمتفوقين والمختبرين ينقص منهم واحد؛ لأن الفترة تتجه دائماً نحو النقص حتى اليوم السابع، أي حتى مجيء مخلصنا، الذي بمقتضاه وصل السبت الروحي لنهايته وانتهاء أعمال الخطية. لأننا قد خَلُصنا بالمسيح حين كان يمضي هذا الدهر تجاه نهايته. لأجل هذا لدينا علامةً، حقاً من كل الأسبوع، السبت الذي هو في نهاية الأسبوع. لأجل هذا أيضاً يقول الناموس -بحكمةٍ- ليتوقف حتى السبت تقديم الذبائح القديمة، أي دعوة الناموس والطقوس التي يرمز إليها، وفي موضع الدعوة يُدخِل دعوة المسيح، قائلاً: "فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ: يَكُونُ لَكُمُ اعْتِكَافٌ. عَمَلاً مَا مِنَ الشُّغْلِ لاَ تَعْمَلُوا. وَتُقَرِّبُونَ مُحْرَقَةً وَقُوداً رَائِحَةَ سُرُورٍ لِلرَّبِّ: ثَوْراً وَاحِداً، وَكَبْشاً وَاحِداً، وَسَبْعَةَ خِرَافٍ حَوْلِيَّةٍ صَحِيحَةٍ. وَتَقْدِمَتَهُنَّ وَسَكَائِبَهُنَّ لِلثَّوْرِ وَالْكَبْشِ وَالْخِرَافِ حَسَبَ عَدَدِهِنَّ كَالْعَادَةِ. وَتَيْساً وَاحِداً لِذَبِيحَةِ خَطِيَّةٍ، فَضْلاً عَنِ الْمُحْرَقَةِ الدَّائِمَةِ وَتَقْدِمَتِهَا وَسَكِيبِهَا. هذِهِ تُقَرِّبُونَهَا لِلرَّبِّ فِي مَوَاسِمِكُمْ، فَضْلاً عَنْ نُذُورِكُمْ وَنَوَافِلِكُمْ مِنْ مُحْرَقَاتِكُمْ وَتَقْدِمَاتِكُمْ وَسَكَائِبِكُمْ وَذَبَائِحِ سَلاَمَتِكُمْ" (عدد ٢٩: ٣٥ - ٣٩). اسمع الناموس الذي يقول بوضوح: "اليوم الثامن هو اليوم الأخير عملاً ما من الشغل لا تعملوا" (خر ٢٩: ٣٥ س). لأن عبادة الظلال والتربية بالنماذج والأمثلة انقضت في اليوم الثامن الذي قام فيه المسيح، ووقت الختان

الروحي قد جاء، أي أُعيق جمع أولئك القدماء الذين دُعُوا لأنهم سقطوا في مرض العصيان وعدم الإيمان، ونَبَتَ الشعب الجديد في مكانه؛ لأن جزءً منه امتاز من جهة القوة الروحية، هذا ما يشير إليه الثور، وجزءً آخر يقدم استحساناً تاماً من جهة وجوده في قمة نضوجه، وهذا ما يشير إليه الكبش، وجزءً آخر أيضاً يحمل جمال البراءة بحسب المسيح، الأمر الذي يشير إليه الخروف. وكونه يقول إن الخِراف هم سبعة، فهذا يشير إلى الجمع الكامل كمالاً مُطلقاً في المسيح. ويجيء تيس الماعز بعد ذلك؛ لأن هذا الجمع يتميز بالإيمان في المسيح صاعداً كرائحة سرور عند الله مثلما قُلنا مرات كثيرة.

بلاديوس: هكذا يكون.

شريعة السنة السابعة

كيرلس: وكون أن نصل إلى سبت المسيح بالراحة الحقيقية، فهذا ما يتم عن طريق إيقاف كل الانشغالات العالمية والأرضية والاستمتاع بفرح الرب كما هو مكتوب (انظر مز ٣٧: ٤)، والوجود بالقرب من النصيب الحسن، فهذا ما يوضحه موسى قائلاً في سفر اللاويين: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي جَبَلِ سِينَاءَ قَائِلاً: كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: مَتَى أَتَيْتُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيكُمْ تَسْبِتُ الأَرْضُ سَبْتاً لِلرَّبِّ. سِتَّ سِنِينَ تَزْرَعُ حَقْلَكَ، وَسِتَّ سِنِينَ تَقْضِبُ كَرْمَكَ وَتَجْمَعُ غَلَّتَهُمَا. وَأَمَّا السَّنَةُ السَّابِعَةُ فَفِيهَا يَكُونُ لِلأَرْضِ سَبْتُ عُطْلَةٍ، سَبْتاً لِلرَّبِّ. لاَ تَزْرَعْ حَقْلَكَ وَلاَ تَقْضِبْ كَرْمَكَ. زِرِّيعَ حَصِيدِكَ لاَ تَحْصُدْ، وَعِنَبَ كَرْمِكَ الْمُحْوِلِ لاَ تَقْطِفْ. سَنَةَ عُطْلَةٍ تَكُونُ لِلأَرْضِ. وَيَكُونُ سَبْتُ الأَرْضِ لَكُمْ طَعَاماً. لَكَ وَلِعَبْدِكَ وَلأَمَتِكَ وَلأَجِيرِكَ وَلِمُسْتَوْطِنِكَ النَّازِلِينَ عِنْدَكَ، وَلِبَهَائِمِكَ وَلِلْحَيَوَانِ الَّذِي فِي أَرْضِكَ تَكُونُ كُلُّ غَلَّتِهَا طَعَاماً. وَتَعُدُّ لَكَ سَبْعَةَ سُبُوتِ سِنِينَ. سَبْعَ سِنِينَ سَبْعَ مَرَّاتٍ. فَتَكُونُ لَكَ أَيَّامُ السَّبْعَةِ السُّبُوتِ السَّنَوِيَّةِ تِسْعاً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. ثُمَّ تُعَبِّرُ بُوقَ الْهُتَافِ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ فِي عَاشِرِ الشَّهْرِ. فِي يَوْمِ الْكَفَّارَةِ تُعَبِّرُونَ الْبُوقَ فِي جَمِيعِ أَرْضِكُمْ. وَتُقَدِّسُونَ السَّنَةَ الْخَمْسِينَ، وَتُنَادُونَ بِالْعِتْقِ فِي الأَرْضِ لِجَمِيعِ سُكَّانِهَا. تَكُونُ لَكُمْ يُوبِيلاً، وَتَرْجِعُونَ كُلٌّ إِلَى مُلْكِهِ، وَتَعُودُونَ كُلٌّ إِلَى عَشِيرَتِهِ. يُوبِيلاً تَكُونُ لَكُمُ السَّنَةُ الْخَمْسُونَ. لاَ تَزْرَعُوا وَلاَ تَحْصُدُوا زِرِّيعَهَا، وَلاَ تَقْطِفُوا كَرْمَهَا الْمُحْوِلَ " (لاو٢٥:

١ - ١١).

هل أدركت -إذن- أن الناموس يسمح لهم بأن يعملوا ويبذروا ويفلحوا كرومهم قبل السنة السابعة؟ كذلك أمرهم أيضاً أن يستريحوا من كل الاهتمامات أثناء هذه السنة. أي أننا نستريح في سبت المسيح نازعين عن كاهلنا الاهتمام بالأمور الأرضية، وهاربين تماماً من التجارب الباطلة.

في "السنة السابعة" أي في دهور الدهور سوف نستمتع بالصالحات متغذين ومحتفلين بالخيرات الروحية التي يعطيها لنا الله. لأجلنا كلنا، في كل المسكونة سيكون هناك وقت الغفران، الوقت الأخروي الذي سيكون كل واحد فيه فيما يخصه، أي في النصيب الذي يليق به، والذي مُنح له من الله. لأنه، مثلما يوجد اختلاف في الحياة من قديس لقديس، هكذا يوجد اختلاف في المكافآت التي يغدقها علينا الله قياساً بإنجازات كل واحدٍ. تذكَّر أيضاً البوق الذي يعلن كل هذه الأمور. إنه بالنسبة لنا وقت الراحة بحسب المسيح، وبالطبع أيضاً وقت الغفران ونوال الميراث، أي قيامتنا من الأموات التي سوف تتم في الأوقات المحددة بالأبواق، وصوت الملاك حيث تسمع صفوف القديسين البهي المسيح القائل: "تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم" (مت ٢٥: ٣٤). الملك الذي أرجو أن نناله نحن بنعمة ومحبة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي له المجد مع الآب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.